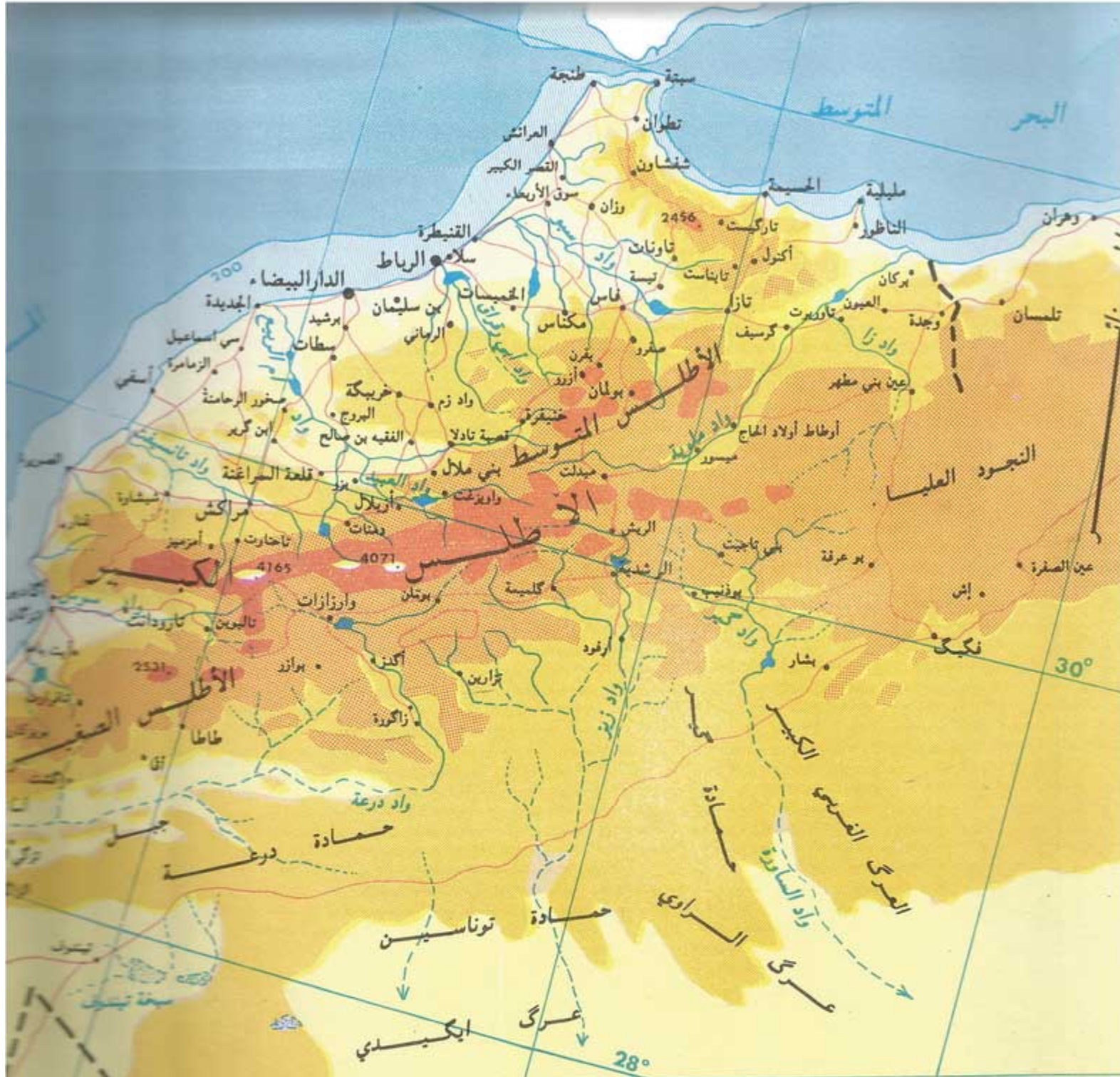
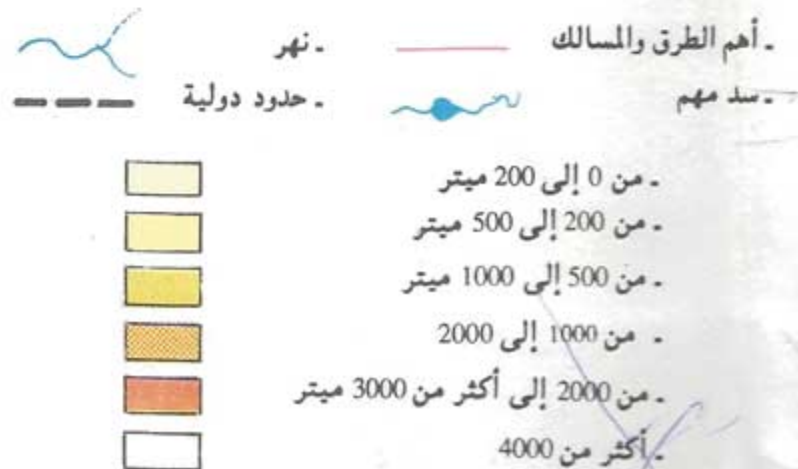


القرآن الكريم

12



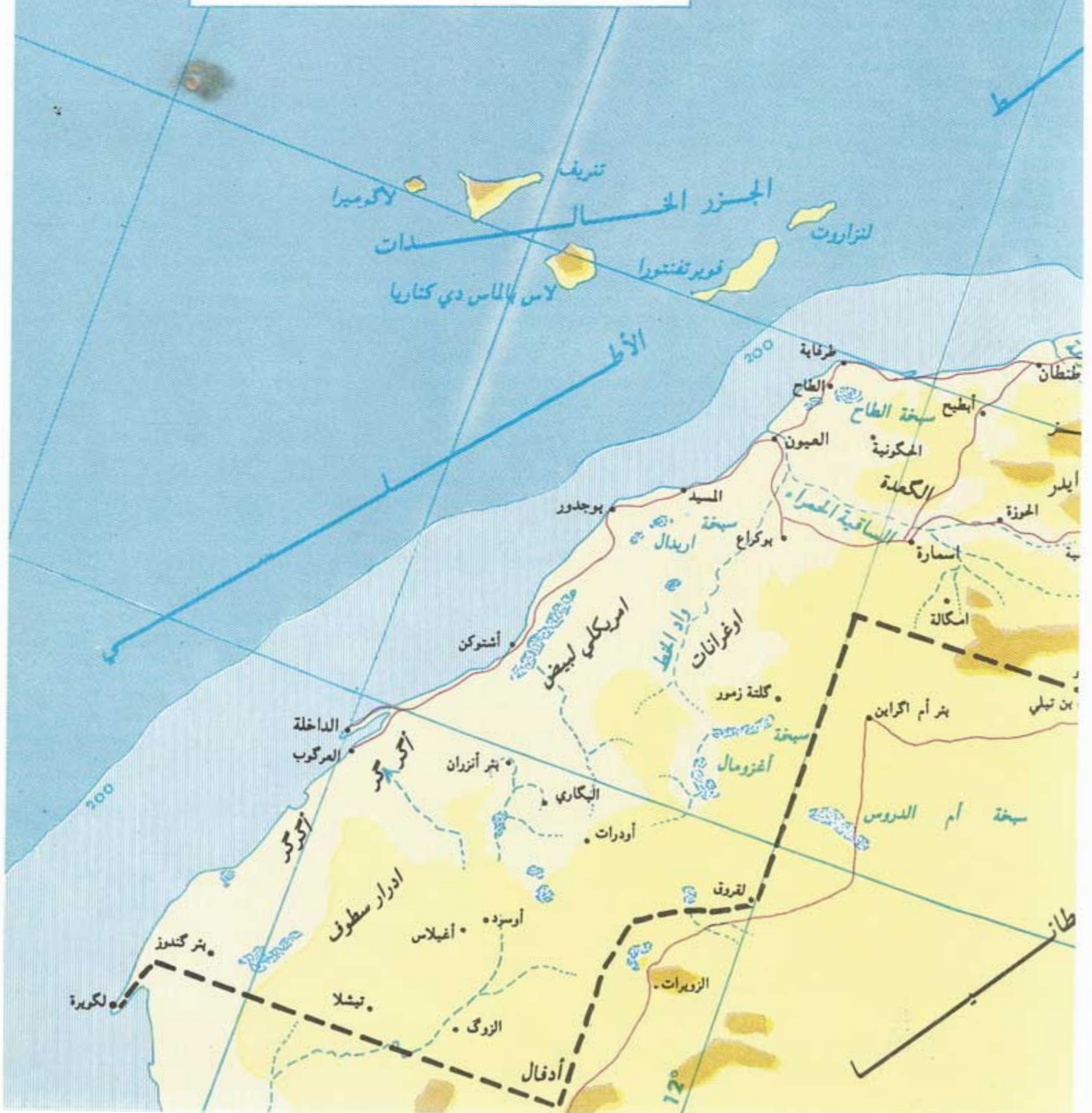
مفتاح الخريطة



المغرب
خريطة عامة

مقیاس : 1/5000.000

200 کلم 100 0 50 کلم



معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

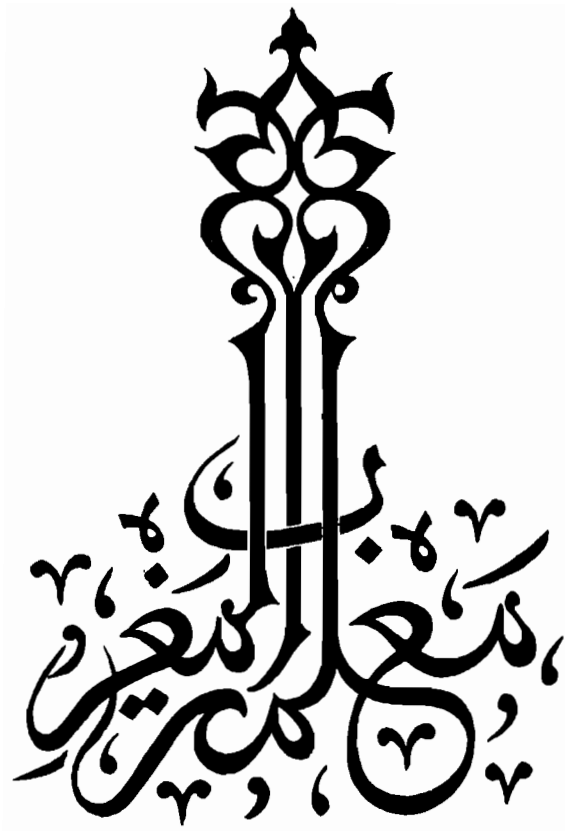


من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مكابع سلا

جامعة ابن زهر
مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. أكادير
تاريخ السجل 5
رقم الحفظ 46725
الطبعة 2011
964
معل

2000 - 1421



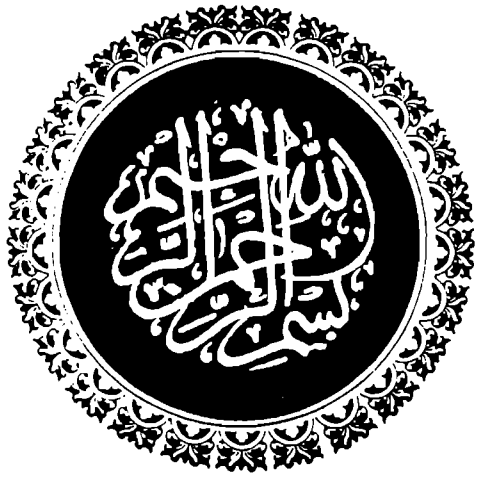
المغزى بالأفصى

رقم الإيداع القانوني
بالمخزنة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك 9 - 013 - 03 - 9981 (الجزء 12)



تم إعداد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان



المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،
الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريف، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي
بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،
الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،
الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي
بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية
الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية
الآداب، الرباط

إدريس القاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية
الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،
الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية
الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة
والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية
بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير هذا الجزء

عبد الله بوصحابة، كلية العلوم - فاس	محمد أخريف، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير
إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط	محمد أديوان، كلية الآداب - الرباط
أحمد بوعزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط	محمد أزهار، كلية الآداب - المحمدية
بوشنتى بوعسرية، كلية الآداب - مكناس	محمد الأسعد، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق
أحمد بومزكو، كلية الآداب - أكادير	أحمد أشعبان، باحث - تطوان
جامع ببيضاء، كلية الآداب - الرباط	سعيد أعراب، باحث - تطوان
ع. الله المرابط الترغي، كلية الآداب - تطوان	عمر أفا، كلية الآداب - الرباط
ع. العزيز توري، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط	ع. العزيز أكرير، كلية الآداب - بني ملال
أحمد التوفيق، الخزنة العامة - الرباط	العربي أكنينج، المدرسة العليا للإستاذة - فاس
ع. العزيز تيلاني، كلية اللغة العربية - مراكش	حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية
حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش	محدث أيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء	محمد أيت حمزة، كلية الآداب - الرباط
أحمد جوماني، باحث - الرباط	الهادي بجيججو، وزارة التربية الوطنية - الرباط
محمد الحماقي، كلية الآداب - أكادير	محمد البدرابي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش	محمد الأمين اليزاز، كلية الآداب - الرباط
محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء - بنمسك	منير البصكري، وزارة التربية الوطنية - الرباط
محمد حجي، كلية الآداب - الرباط	الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش
ع. الرحمان الحرادجي، كلية الآداب - وجدة	ع. العزيز بل فائدة، كلية الآداب - القنيطرة
ع. الجليل حليم، كلية الآداب - فاس	محمد بلعربي، باحث - الرباط
محمد حمام، كلية الآداب - الرباط	عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط
العربي الحمدي، كلية الآداب - بني ملال	رقية بلمقدم، كلية الآداب - القنيطرة
محمد حنداين، وزارة التربية الوطنية - أكادير	علي البليشي، كلية الآداب - الرباط
محمد حنيني، كلية الآداب - الرباط	أحمد بنجلون، باحث - الرباط
علال الحديمي، كلية الآداب - الرباط	زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية
محمد خربوعة، المعهد العلمي - الرباط	محمد بنشريف، كلية الآداب - الرباط
أحمد الخنوبوي، كلية الآداب - بوردو	عبد المالك بنعبيد، المدرسة الغابوية - سلا
إسماعيل الحياطي، كلية الآداب - الجديدة	عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط
نجاة الحياطي، كلية العلوم - الرباط	محمد الأمين بوخيزة، باحث - تطوان
مارية دادي، كلية الآداب - وجدة	ع. القادر بوراس، وزارة التربية الوطنية - القنيطرة
محمد بن عبد العزيز الدباغ، وزارة الثقافة - فاس	أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس
نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة	محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط
	أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق
	مصطفى بوشعراء، باحث - سلا

إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط
 ع. الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة
 محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق
 حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة
 المصطفى فنيتر، كلية الآداب - مراكش
 أحمد قدور، كلية الآداب - القنيطرة
 مصطفى قلوب، كلية الحقوق - الرباط
 محمد كربول، كلية الآداب - الرباط
 محمد غلاد، وزارة التربية الوطنية - أسفي
 محمد بن الحسن، كلية الآداب - بني ملال
 شمعون ليقي، كلية الآداب - الرباط
 حسن ليمان، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط
 محمد ماگامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش
 أحمد متفكر، وزارة التربية الوطنية - مراكش
 محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية
 الحسن المحداد، كلية الآداب - أغادير
 المكي مربي، وزارة التربية الوطنية - مراكش
 محمد مرزاق، وزارة التربية الوطنية - وجدة
 نجاة المريني، كلية الآداب - الرباط
 زهور المزغلي، كلية الآداب - الدار البيضاء
 أحمد مزيان، كلية الآداب - فاس
 محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط
 أحمد المكاوي، باحث -
 محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط
 محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط
 مصطفى ناعمي، البحث العلمي - الرباط
 عبد الله نجمي، كلية الآداب - الرباط
 زهرة النظام، كلية الآداب - المحمدية
 محمد هشمي، المدرسة الوطنية للغابوية - سلا
 عثمان هناكا، كلية الآداب - أغادير
 أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش
 أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة
 إبراهيم ياسين، كلية الآداب - الجديدة
 مصطفى يعرف، باحث - وجدة

محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش
 شفيق الرفاگ، كلية الآداب - أغادير
 علال رگوگ، كلية الآداب - بني ملال
 محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط
 بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة
 أحمد زروال، باحث - مراكش
 قاسم الزهيري، باحث - الرباط
 زكية ازوانات، معهد الدراسات الأفريقية - الرباط
 ع. الفتاح الزين، البحث العلمي - الرباط
 ع. الصادق ساسيو، المدرسة الغابوية - سلا
 ع. العزيز الساوري، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط
 الحبيب السباعي الإدريسي، وزارة المالية - الرباط
 العياشي السريوت، باحث - وزان
 محمد السعدين، وزارة التربية الوطنية - سلا
 ع. السلام السعيد، وزارة التربية الوطنية - مراكش
 رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش
 مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط
 عبد السلام الشدادي، معهد البحث العلمي - الرباط
 صالح شكاگ، وزارة التربية الوطنية - تمارة
 المصطفى شويكي، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق
 محمد الشياظمي، باحث - الرباط
 ع. الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - سلا
 حسن العباسي، كلية الآداب - الجديدة
 ع. العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة والاتصال - مكناس
 ع. العزيز عديدي،
 أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة
 محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان
 عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط
 بوشعيب العركود، وزارة التربية الوطنية - بني ملال
 أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش
 محمد عمران، كلية الآداب - القنيطرة
 علي العموري،
 الحاج موسى عوني، كلية الآداب - فاس
 عبد الله العويضة، كلية الآداب - الرباط
 مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie*.
 A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord*.
 Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales*.
 A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures*.
 A.F : *Afrique Française*.
 A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux*.
 A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos*.
 A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales*.
 A.M : *Archives Marocaines*.
 A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie*.
 And. : *Al-Andalus*.
 Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc*.
 Ant. Afr. : *Antiquités Africaines*.
 B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine*.
 B.A.R : *British Archeological Reports*.
 B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques*.
 B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc*.
 B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc*.
 B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc*.
 B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine*.
 B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire*.
 B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris*.
 B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabe-Berbère*.
 B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne*.
 B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris)*.
 B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger*.
 B.S.G.Æ.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran*.
 B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc*.
 B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*.
 B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc*.
 Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique*.
 C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie*.
 Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique*.
 C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord*.
 C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan*.
 C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques*.
 C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos*.
 C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam*.
 C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée*.
 C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*.
 C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris*.
 C.T : *Cahiers de Tunisie*.
 E.B : *Encyclopédie Berbère*.

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam* (1^{ère} édition).
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam* (2^{ème} édition).
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine*.
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes*.
F.M : *France - Maroc*.
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord*.
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc*.
Hesp : *Hespéris*.
H-T : *Hespéris-Tamuda*.
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux*.
I.G : *Information Géographique*.
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines*.
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents*.
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe*.
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien*.
Isl. Cult. : *Islamic Culture*.
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes*.
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria*.
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*.
Medit : *Méditerranée*.
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome*.
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires*.
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines*.
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc*.
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc*.
R.A : *Revue Africaine*.
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire*.
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce*.
R.D.M : *Revue des Deux Mondes*.
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes*.
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques*.
R.E.L : *Revue des Etudes Latines*.
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon*.
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris)*.
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc*.
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*.
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique*.
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine*.
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement*.
R.M.E : *Revue Maroc-Europe*.
R.M.F : *Revue Militaire Française*.
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie*.
R.M.M : *Revue du Monde Musulman*.
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire*.
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire*.
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa*.
S.I : *Studia Islamica*.
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*.
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc*.

خوافي، عبد السلام، مقاوم ولد سنة 1920 بدوار تاغلالت ملحقة تيزي وسلي دائرة أكنول. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقة سنة 1955 تحت قيادة محمد العجوري الغابوشي. حيث شارك في عدة هجومات على مواقع العدو بمنطقة تيزي وسلي. توفي عام 1995/1416.

المنندوية السامية للمقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

خوانا لا لوكا Juana la Loca ملكة قشتالة خلّفت أمها الملكية ايسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica سنة 911 (1505) ؛ وأصدرت عدة مراسيم تحث فيها الشعب الإسباني على مواصلة الحرب ضد المغرب تنفيذاً للوصية التي أصدرتها والدتها يوم 12 أكتوبر 1504 (3 جمادي الأولى 910).

وعندما فقدت عقلها وأصبحت تعرف بـ Juana la Loca (خوانا الحمقاء) تنازلت عن العرش لفائدة ابنها الملك كارلوس الخامس Carlos V وقد توفيت سنة 962 (1555).
Diccionario enciclopedia Espasa - Calpe.
محمد ابن عزوز حكيم

الخوخ، فاكهة معروفة والاسم العلمي للشجرة هو برُؤُوس بيرُسيكا Prunus persica وهو من فصيلة الورديات Rosaceae. وهي قصيرة ولا تعمر طويلاً. أوراقها رمحية طويلة نفضية أزهارها قرمزية جذابة تظهر قبل الأوراق. ثمارها كروية أو قلبية الشكل حسب الأنصاف، مغطاة بجلد كالقטיפه ونواتها مضغوطة وبها أخاديد.

لاشك أن الموطن الأصلي هو الصين حيث عرفت غراسه منذ آلاف السنين، وطورت مما نتج عنها انتخاب عدد كبير من الأصناف يتراوح حالياً ما بين ألفين وثلاثة آلاف. وصلت هذه الشجرة منطقة البحر المتوسط منذ فجر التاريخ، زرع الرومان على الأقل ستة أصناف من الخوخ. ثم امتدت زراعته إلى معظم المناطق المعتدلة من آسيا وجنوب أوروبا وأفريقيا الشمالية والجنوبية وأميركا واليابان وأستراليا. يغرس الخوخ بالمغرب في الأراضي المسقية من سائس وتريفة والحوز وتادلة ومناطق الدير وسفوح الجبال غير العالية وذلك لأن الصقيع يضره وتؤذيه الحرارة المنخفضة. أما من ناحية التربة فإن إنتاجه يكون أفضل في الأراضي الرملية.

من الفواكه الشبيهة بالخوخ نجد الشهدية أو "التقطرين" التي تظهر قرابة وثيقة بهذه الفاكهة ولكن جلدها أملس لأنها نتجت عن التهجين بين البرقوق والخوخ. المساحات المخصصة بالمغرب للشهدية تقل بكثير عن تلك التي تخصص للخوخ.

يستعمل الخوخ والشهدية للأكل : فاكهة المائدة والتعليب وصناعة المربى.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

الخوخة (باب -) بفاس، هو الباب الذي كان يعرف قديماً بباب الكنيسة، يرجع أصله إلى عهد المولى إدريس الثاني حينما سور عدوة الأندلس وفتح فيها الأبواب التالية متدرجا فيها من الجنوب إلى الشرق وهي : باب الفؤارة المعروف بباب زيتون ابن عطية ؛ باب الفرج المعروف حالياً بباب السلسلة ؛ باب الشيبوية المقابل

لباب الفصيل من عدوة القرويين ؛ باب أبي سفيان المعروف بباب بني مسافر وهو المسمى حالياً باباً سيدي بوجيدة وكان يخرج منه إلى بلاد غمارة وإلى بلاد الريف ؛ باب الكنيسة المسامتة للناحية الشرقية وكان يخرج منه إلى بلاد تلمسان. وكانت هذه الأبواب محاطة بعناية الولاة والسكان يحرسون على مراقبتها لما لها من الدور الفعال في أمن المدينة وحمايتها من الاضطرابات التي كانت تعترها حيناً بعد حين.

وظل باب الكنيسة على حاله إلى أن هدمه عبد المومن ابن علي سنة 540 / 1145 ضمن ما هدم من الأبواب حينما ارتأى رأيته أن يهدم أكثر أسوار المدينة وقال : "إننا لا نحتاج إلى أسوار إنما أسوارنا سيافنا وعدلنا" لكن هذا الموقف الذي تحدى به الواقع لم يرتضه بعض الخلفاء الموحدين من بعده فقد شرع المنصور الموحدي في بناء السور من جديد وكمله ابنه محمد الناصر الذي أعاد لهذا الباب وجوده وسماه بعد تجديده بباب الخوخة بدلاً من باب الكنيسة.

ونظراً لمسامحة هذا الباب للناحية الشرقية فقد اقتضت مصلحة السكان أن يبنوا خارجه مستشفى لمرضى الجذام ليكونوا (كما ذكر ابن أبي زرع) تحت مجرى الريح الغربي فتحمل الرياح أبخرتهم ولا يصل إلى أهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم في الماء وغسلهم بعد خروجه من البلاد، إلا أنه وقعت مجاعة في أوائل القرن السابع من سنة تسع عشرة وستمائة 619 / 1222 إلى سبع وثلاثين وستمائة فانتشر نظام الأمن في البلاد وعمت القوضى وأدى الحال إلى انتقال المرضى من مكانهم المخصص لهم فتوجهوا إلى الكهوف التي كانت موجودة بين باب الجيسة وباب الشريعة وظلوا هناك إلى أن زالت القوضى بتأسيس الدولة المرينية وحينئذ أمر يعقوب بن عبد الحق المريني عامله على فاس أبا العلاء إدريس بن أبي قرش بنقلهم إلى برج الكوكب الذي كان يوجد بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين.

وبرج الكوكب هذا هو الموجودة آثاره الآن بالمرتفع الذي يوجد فيه قبر سيدي علي المزالي، وهو المرتفع الذي كان أهل فاس في أوائل هذا القرن يحملون إليه أطفالهم حينما يصابون بالسعال الديكي الحاد المعروف بالعَوَاقَة فيعالجون من ذلك، وكان يقابله في الجهة الجنوبية برج آخر يعرف ببرج باب الزيتون وقد استغني عن البرجين معا حينما بنى أحمد المنصور السعدي بستيون باب المحروق المعروف حالياً ببرج النور أي البرج الشمالي ويستيون باب الحمراء المعروف حالياً بالبرج الجنوبي وهو الذي تقام فيه أضواء المدينة أيام ربيع فاس، ويوجد الآن حي كبير بمدينة فاس يحمل اسم باب الخوخة مكتظ بكثير من السكان الذين وفدوا عليها في السنين الأخيرة.

ابن أبي زرع، القرطاس، ج. 1، تح. م. الهاشمي الفيلاي ؛

الجزائري، جنى زهرة الآس، الرباط، 1991 ؛ روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، تر. م. حجي وم. الأخضر ؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1974 ؛ م. مزين، فاس وبدايتها، 1986.

رقية بلمقدم

خورخي خوان Jorge Juan، أميرال البحر، مشهور بلقب "العالم الإسباني" (el sabio español)، إذ شهد له الجميع بتفوقه في علم الفلك والحساب والجغرافيا.

وُلد بمدينة أوريهويلا Orihuela سنة 1714، وفي سنة 1735 كان على رأس البعثة العلمية التي وضعت صورة الكرة الأرضية بالقطر بيرو El Peru بأمرىكا الجنوبية ؛ وهو الذي أنشأ المرصد الفلكي بمدينة سان فيرناندو San Fernando بالقرب من قانس بإسبانيا.

وفي سنة 1180 / 1767 عينه الملك الإسباني كارلوس الثالث Carlos III سفيراً له لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله ووُقِّع أول معاهدة صلح وصداقة بين إسبانيا والمغرب بمراكش يوم 29 ذي الحجة 1180 (28 ماي 1767).

توفي خورخي خوان سنة 1773.

Rodriguez Casodo. Política marroquí de Carlos III, Madrid 1946.

محمد ابن عزوز حكيم

خوسي ألباريث إي بيرث José Alvarez y Perez

نائب قنصل إسبانيا بالدار البيضاء سنة 1278 / 1861 ثم انتقل إلى الصويرة بنفس الصفة سنة 1280 / 1863 إلى حوالي 1292 / 1875. له مقالات وكتابات بمختلف الصحف حول المغرب وتشوفات إسبانيا إلى الجنوب نشرت بمديرد.

مبيج، المغرب وأوروبا، ج 1 ص 60 و ج 2 ص. 384 ؛ م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج 2، ص. 875 و ج 3 ص. 1098.

خوسي ألباريث كابريرا J. Alvarez Cabrera

ضابط، كان رئيساً للبعثة العسكرية الإسبانية بالمغرب من 1890 إلى 1901، وكان مراسلاً لصحف إسبانية كما كان يكتاب صحفاً أخرى بامضاء عبد الله. له كتابات عن المغرب وأحواله نشرت سنة 1892 و 1893 بعنوان :

- Apuntes sobre el Imperio de Marruecos

- La guerra en Africa

مبيج، المغرب وأوروبا، ج 1 ص. 59، 60 ؛ م. بوشعراء، الهجرة من المغرب وإليه (مخطوط).

مصطفى بوشعراء

خوليو ثيبايوس فيديريكو Federico Julio

Ceballos كولونيل إسباني شارك في عدة معارك ضد المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف محمد أمزيان

في شهر يوليوز من سنة 1909، وكان من بين الكولونيلات التسعة الذين لقوا حتفهم في المعركة التي جرت يوم 18 يوليوز 1909 بجبل سيدي أحمد الحاج بقبيلة مزوجة (إقليم الناظور).

وقد رقي بعد وفاته إلى رتبة جنرال.

أعمال ندوة الشرف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1912. 1509)، تطاون 1946.

خُويّة، ويكتب أيضا خُويّا، أسرة تطوانية أصلها من فرقة بني معدان بقبيلة بني حزمير المجاورة لتطوان، وقد انقرضت بالمدينة.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 645.

محمد ابن عزوز حكيم

الخيار، يسمى علميا كُوكُوميس ساتيفُوس Cucumis sativus وهو من فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل القرعة والبطيخ والدلاح والحنظل ... فهو نبات حولي عشبي زاحف، خشن الساق ذو أزهار إبضية صفراء وثمار ملساء أو شوكية مستطيلة تختلف أحجامها حسب الأصناف المزروعة.

يقال إن الخيار عرف برىا طبيعيا في جنوب الهند. وزرع منذ أربعة آلاف سنة. تكلم عنه العبرانيون والمصريون والإغريق والرومان. وصل إلى أوروبا في القرن السابع عشر. وتزرع أصناف الخيار في الأراضي المنخفضة المسقية في جميع أنحاء المغرب. ويستهلك الصنف الكبير منه نيئا. أما الخيار الصغير فهو يستعمل لصنع المخلل حيث يضاف إليه الماء والملح والخل وتوابل أخرى. والقسط الكبير من إنتاج الخيار الصغير المخلل يصدر إلى الخارج.

أبحاث شخصية، البرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

* * لم يرد ذكر الخيار في المصادر الوسيطية وغيرها لا ضمن حديثها عن الخضر ولا عند جردها للفواكه. وأول إشارة عنه جاءت عند العمري في كتابه مسالك الأبصار بمناسبة جرده لخيرات المغرب وثرواته الطبيعية والفلاحية والمعدنية، وقد صنفه ضمن الخضر (مسالك الأبصار ضمن ورقات ... 299). أما الإشارة الثانية فقد وردت عند الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا مرتين : الأولى عند حديثه عن مدينة أنفا فقال "... وكم كان فيها أيضاً من بساتين وكروم ومازالت لحد الآن تُجنى منها كميات عظيمة من الثمار لا سيما البطيخ والخيار التي يبدأ نضجها في

منتصف أبريل وقد اعتاد الناس أن يحملو هذه الثمار إلى فاس لأن نضجها فيها يتأخر ... (وصف إفريقيا، 1 : 156)، والمرة الثانية عند حديثه عن أرض زواغة فذكر أنها كثيرة الخصوبة وتنتج كميات كبيرة من الخضر المتنوعة منها الخيار، وهذه الخضر تسوق في مدينة فاس (وصف إفريقيا، 218).

هذه الإشارات القليلة تدل على أن هذا النوع من الخضر المستعملة اليوم في "السلطنة" دخل المغرب في وقت متأخر إذا ما قارناه بأنواع أخرى، ويمكن القول إن دخول الخيار إلى المغرب يرجع إلى الفترة المتحدثة عنها في المصادر أي ابتداء من القرن التاسع (15 م) إما عن طريق الأندلس أو عن طريق البرتغاليين بعدما وصلوا في رحلاتهم إلى الشرق وتحديدًا إلى الهند وهو بلده الأصلي (1396 /) ولم تذكر لنا المصادر شكله ولا نوعه.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار ضمن ورقات عن الحضارة المغربية لمحمد المنوني، الرباط، 1979.

M. Menioui, Diversité biologique de la faune marine du Maroc, SEE/PNU, 1997, 101 p. ; E. Herouard, Holothuris de la côte atlantique du Maroc et du Mauritanie, Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc, 9, 1929.

محمد حجاج الطويل

خيار البحر، يتكون خيار البحر من أنواع عديدة تنتمي إلى "شوكيات الجلد" التي - وكما يدل اسمها على ذلك - فهي حيوانات متميزة بجهازها العظمي المتكون من شوكات صغيرة ودقيقة موزعة تحت جلد هذا السمك. فهي لا تؤدي وظيفة إعطاء الجسم شكلاً معيناً وإنما توفر له الحماية من الحيوانات الأخرى التي يمكن أن تغذى عليه. كما أنه من خصائص شوكيات الجلد كذلك التوفر على توافق شعاعي ووجود "جهاز مائي" يمكن من انتفاخ وارتخاء الأرجل بالماء ويمكن بالتالي من حركتها.

تختلف أنواع خيار البحر عن باقي شوكيات الجلد بجسم رخو نسبيا غير محمي لا بقوقعة ولا بقشرة كلسية كباقي أنواع فصيلته وتعيش كلها في الماء وبالأخص في مياه البحر ما بين منطقة المد ولجزر إلى أعماق تمتد إلى أكثر من عشرة كيلو مترات تحت ضغط هائل.

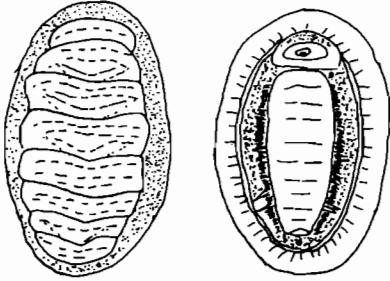
في المناطق الساحلية وتحت أرجل المصطافين يمكن العثور على خيار البحر وطوله ما بين عشرين وثلاثين سنتيمتراً إلا أن طول تلك الحيوانات يمكن أن يتجاوز المتر الواحد في الأعماق السحيقة كما يمكن أن لا يتعدى عند بعض الأنواع بضعة ملليمترات.

توجد أنواع خيار البحر إما سابحة بصفة مستمرة في الماء بين العوالق وإما بين القعريات زاحفة فوق الصخور والرمال أو مدفونة في الأوحال.

ورغم تعدد أشكاله وأنواعه فإن خيار البحر له ميزته

خيتون Chiton، ينتمي إلى مجموعة الرخويات، أي نفس المجموعة التي تضم الأخطبوط والحبار والثرق والحلزون وذلك رغم تباين أشكالها وأنماط عيشها. يتميز الخيتون عن باقي أفراد مجموعته بجسم بيضوي الشكل مفلطح من الأعلى إلى الأسفل ومحصن بقوقعة فريدة من نوعها تتكون من ثماني صفيحات نصف دائرية مفرمة بعضها في البعض مما يسمح للخيتون بالتكور على نفسه كما أن هاته الصفيحات الثمانية تدمج في صفيحة وشاحية الشكل جانبية تحيط بالجسم كله.

لا يتعدى جسم الخيتون بعض السنتيمترات طولا ولا يرى من هذا الجسم سوى تلك القوقعة الثمانية الصفيحات. قد يظن المتجول على الشاطئ أنها من المكونات الصخرية نظراً لشكلها وكذلك للونها اللذين يوهمان بشكل ولون الدعامات التي يعيش فوقها. أما الجهة البطنية فهي عبارة عن عضلة بيضاء (الرجل) وقوية تمكن الخيتون من الالتصاق بالصخر على شكل محجم وقد يصعب في غالب الأحيان نزعها من دعائمه دون كسر القوقعة، كما يرى من الناحية الأمامية بهاته العضلة فتحة صغيرة نصف دائرية (الفم) تُمكنه من قضم وكشط الطحالب التي يزحف فوقها.



خيتون

يتغذى الخيتون إذن على الطحالب الصغيرة التي تنمو فوق الصخور. ويتنفس كمعظم الحيوانات المائية عن طريق خياشيم تمكن من امتصاص الأكسجين مباشرة من ماء البحر حيث إن أنواع الخيتون بحرية تعيش في أعماق متباينة، إلا أن معظمها يعيش على أعماق صغيرة خاصة في منطقة المد والجزر تكسوها المياه وقت المد وتكشف عنها حين الجزر. ويفعل قوة الأمواج في تلك المنطقة استطاعت الخيتاتين أن تتأقلم مع تلك الأمواج فتطور شكلها ليكون أكثر انسيابية وبالتالي أقل عرضة لوقوع الأمواج.

طريقة التوالد والتكاثر عند الخيتاتين لا تختلف في

الخاصة حيث يظهر كما يدل اسمه على ذلك على شكل خيار يوجد في إحدى طرفيه الشرج كما يوجد في الطرف الآخر الفم محاطا بعشرة حتى ثلاثين من اللوامس.

تتغذى بعض أنواع خيار البحر على العوالق يتصفيتها مباشرة من مياه البحر بينما يعتمد البعض الآخر على ما تحتضنه الرمال والأوحال من مواد عضوية حيث يلتهم خيار البحر الرمل أو الوحل فتتمص خلاياه الهضمية ما تحتويه من مواد عضوية ويلقي بالباقي خارج جهازه الهضمي.

يتنفس خيار البحر بواسطة جلده كله من الرأس حتى الشرج إلا أن هناك أنواعاً تتوفر على "رئة" لكن ليست هوائية بل مائية يدخل إليها الماء المشبع بمادة الأكسجين ويقذف به إلى الورا من بعد ذلك خالياً من تلك المادة التي تكون قد امتصتها الرئة.

أما التزاوج فيتم غالباً بالصدفة بين الخلايا المنوية للذكر والبويضات الأنثوية بعد أن تلقى في الماء من الجهاز التناسلي الذي هو مكون من مجموعة من القنوات الدقيقة عند الذكر كالأنثى.

على الصعيد الوطني، يعرف في المغرب ما يناهز العشرين نوعاً من خيار البحر إلا أنه بخلاف العديد من الحيوانات البحرية، فإن خيار البحر رغم تسميته لا يدخل في عادات بلادنا المطبخية. أما بعض الشعوب الآسيوية فتعتبر بعض أنواع هذا السمك من أشهى الأطعمة كما أن البعض الآخر يستعملها بعد تجفيفها وتحضيرها كوسيلة لتقوية القدرة الجنسية.

بالإضافة للإنسان فإن لخيار البحر عدة أعداء، وللدفاع عن نفسه وسيلتان أساسيتان :

1 - السموم التي يفرزها جسمه وخاصة جلده والتي جعلت بفعل التجربة والعادة العديد من الحيوانات اللاحمة لا تقترب منه.

2 - في بعض الأحيان وعند إصرار مطارده على التهامه بإمكان العديد من أنواع خيار البحر أن يقذف بأغلبية أحشائه خارج بطنه ليشغل بها مطارده فيهرب وينجو بأعضائه الأساسية على أن يسترجع إنشاءها من جديد وفي وقت وجيز نسبياً.

M. Menioui, *Diversité biologique de la faune marine du Maroc*, SEE/PNUE, 1997, 101 p. ; E. Herouard, *Holothurians de la côte atlantique du Maroc et de Mauritanie*, Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc, 1929, 9.

محمد منيوي

ابن خيار، علي الفاسي. فقيه مجتهد مشارك، ترجم له ابن عبد الملك وذكر أنه قرأ بفاس وتلمسان وسبتة وقرطبة ومراكش. وكان فقيهاً رافضاً للتقليد ميالاً إلى النظر والاجتهاد، وله مشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف.

كان حياً سنة 601 / 1204.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تر، رقم 1424، ط. القاهرة :
ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص. 8 : ص 299 - 303، تج. م.
بن شرفة : السيوطي، بغية الوعاة، 1 : ص 102، بيروت، 1979؛
م. ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين، 2 : 661.
أحمد عزايوي

خير الدين، محمد. يدوي صوت خير الدين في مجال
الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية صلباً كصخر الأماكن
التي تردده بعدوانيتها وسخائها مقلقة وعلى قدر من
الإنسانية. جاء إلى الكتابة مبكراً فكان ذلك الفتى الشديد
المراس في الأدب المغربي بالفرنسية، وهو يحتل فيه مكانة
متميزة مشهوداً له بالمشاركة في حيوية ذلك الأدب وفي
تجده.

ولد في تافراوت سنة 1941، من والد تاجر من تجار
الجنوب قضى طفولته في بيئة خشنة فخمة بين نساء ورجال
من الشيوخ. وقد وافق سن تدمرسه الهجرة إلى الدار
البيضاء مفارقاً أمه ويئته الجنوبية. ولكن هذا المقر الجديد
أتاح له الانكباب على الأدب.
منذ ذلك وجهته كشافه ولقاءاته وفتحت أمامه مسارات
تنخله كلمات - مراجع ومواضيع رئيسية. فالزلازل والبعد
عن البلد والرجوع والته الدائم تشكل عنده تجارب عميقة.
في عنصر حياته الخلاقة وعبرها بتحقيق اليقظة البطيئة
لموهبة كاتب.



ففي البيان الذي أصدره بعنوان *Poésie Toute* (الشعر
كلية) عن مطابع الشمال، بالدار البيضاء، سنة 1964
يظهر شاعر شاب يطمح إلى النهوض بشعر مغربي باللغة
الفرنسية في قطيعة مع كل الأشكال الموروثة عن عهد
الاستعمار. فهو ينادي بشن "حرب عصابات لسانية"،
مدشناً بذلك إبداعاً يندرج منذئذ في الحركة الأدبية
والثقافية الكبرى التي دشنها إصدار مجلة أنفاس *Souffles*
سنة 1966، وهو كان من كتابها.

الجوهر عن معظم الرخويات حيث إن معظم الأنواع أحادية
الجنس تلقي بموادها الجنسية في الماء على أمل أن تلتقي
بينها عن طريق "الصدفة" فتلقح البويضات وتعطي بالتالي
أفراداً جدداً إلا أن هناك نوعاً واحداً *Callistochiton*
viviparus لا يقذف بمواده الجنسية في الماء وتخصّب
البويضة داخل الجهاز التناسلي للأنثى ويخرج بعد أيام من
النمو فرداً كاملاً شبيهاً بأمه، كما أن هناك بعض الأنواع
يمكن أن تحضن بيضها إلى أن تخرج الصغار.

وفيما يخص تصنيف تلك الحيوونات فإن العلماء
يقسمون الحياتين إلى ثلاث مجموعات عائلية وهي :

- *Lepidopleuridés* يتوفر المغرب منها على تسعة أنواع

- *Ischnochitonidés* ويتوفر المغرب لحد الآن على

خمسة أنواع

- *Acanthochitonidés* وهو ممثل في المغرب بنوعين

اثنين

أما بالنسبة للتوزيع الجغرافي لتلك الأنواع التي توجد
على السواحل المغربية فمعظمها ينتشر أساساً في منطقتي
البحر المتوسط والساحل الشرقي للمحيط الأطلسي إلا أن
بعض الأنواع خاصة منها *Lepidochitona canariensis*
Lepidochitona stroemfetti لها توزيع جغرافي محدود جداً
في جزر الكناري وناحية طرفاية المغربية.

M. Menoui, *Peuplements infralittoraux superficiels
des côtes atlantoméditerranéennes du Maroc. Etude
faunistique, écologique et biogéographique. Thèse d'Etat
Es. sciences, Rabat, 256 p. ; Diversité biologique de la
faune marine du Maroc, SEE/PNUE, 101 p., 1997 ;
Rolan Mosquetero [et al...], Moluscos de la ria de Vigo II,
Revista de ciencia del Mar, 276 p., 1990.*

محمد منوي

ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر، الأموي
الفساسي ثم الإشبيلي. ولد بفاس في رمضان سنة 502، وبها
نشأ واستوطن إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس. يزيد عدد
مشايخه على المائة كما هم مذكورون في الفهرس الذي
ألفه، روى عنه كثيرون.

ذكر ابن عبد الملك أنه "من أئمة القرنين المجودين ومن
جملة المحدثين المسنين، متفتناً في علوم اللسان، متقدماً
في النحو واللغة منها"، وهذا ما ذكره ابن الزبير أيضاً.
وقال الصفدي : "كان حافظاً مقرئاً نحويّاً متفتناً أديباً،
وهذا ما استوجب ترجمة السيوطي له في كتاب بغية الوعاة
في طبقات اللغويين والنحاة وكتاب "طبقات الحفاظ
وغيرهما.

أقرأ بإشبيلية وقرطبة، وتولّى بهذه الأخيرة الخطبة
والإمامة بجامعها الأعظم سنة 573 إلى وفاته في 17 ربيع
الأول 575، ودفن بإشبيلية بحضور واليها السيد (الأمير)
أبي علي الحسن بن عبد المومن الموحدي (انظر هذه المادة)،
وهذا مما يدل على علو مكانته.

المدائح لتقاليد بلاد المغرب. إنفا ينبغي عن بقائه على قيد الحياة نصوص ينشرها من حين لآخر. فقد هيا بباريس مسرحية ظلت غير منشورة بعنوان *Les cerbères*. ونشر مقالات ولا سيما في *Jeune Afrique* حول مواضيع اجتماعية كالحالة في ضواحي المدن الأوربية والهجرة (*Jeune Afrique*, n° 1554, oct. 1990). وقد رحبت مجلة *Esprit* بقصيدته الطويلة بعنوان *Ichtar* كما نشرت له قصتين قصيرتين هما *La gale* و *Parole élémentaire* (فبراير 1991). وصدر له عن دار نشر Cherche Midi سنة 1991 *Mémorial* وكان قد كتبه في عشرين يوماً.

وفي 1993 دخل خير الدين في صراع لاهوادة فيه ضد المرض، لكنه لم يكف يوماً عن الكتابة. لقد كرس آخر تأليف قام به للرسم وقد نشرته Ed. Errabeta في سلسلتها *Silhouettes* تحت عنوان *M'seffar vu par Khaïr-Eddine* وذلك بالدار البيضاء عام 1995. وقبل نهاية أجله ببضعة شهور سلم لمجلة *Esprit* نصاً رمزياً عنوانه *Testament d'un moribond*. وقد كانت أقصى وجوده ومنتهاه في عالم لم يستحضره من قبل بهذه القوة التي استحضره بها في لحظات آلام الفراق كما يعبر عنه في شعره غير المنشور بعنوان *Proses* وقد ابتدعه في الآلام حين خضوعه للعلاج بالأشعة في المعهد الوطني لأمراض السرطان بالرباط.

توفي خير الدين يوم 18 نونبر 1995 وترك أعمالاً أدبية كتبها ضد الأفكار الوثوقية ولا سيما الأدبية وهو يسخر منها من خلال نظرتة إلى العالم بناء وممارسة. اختمرت أعمال خير الدين في المهجر ولكنها كانت تنظر إلى أرض المغرب وإلى مكان مسمى "بالجنوبي" *Sudique*، حسب ابتداء لفظي من ابتكار الكاتب بالرغم من المهجر وبسبب المهجر. إن لكتابته علاقة ملتبسة بهذا المكان الجغرافي بجنوب المغرب، علاقة رفض ومطالبة في آن واحد. فهو فضاء بربري وهو فضاء اجتماعي تاريخي ثقافي يحتل فيه مكانة البؤرة. هنا تكشف الكتابة عن تساؤل حول المهجر الخارجي الجغرافي، بل هو على الخصوص تساؤل حول الهجرة داخل النفس، الهجرة الباطنية، وهي في آن واحد طلب معرفة عبر تجربة الكتابة. تتجلى هذه التجربة أيضاً في صورة تعبير عن الشعور بالتهميش الاجتماعي والسياسي والثقافي وتهميش الهوية، وهو شعور تولد عنه هذا التيه وهذا البحث الذي يتمثل في كل كتاب من كتب خير الدين. فالكتابة تصوغ تمرداً فردانياً وجماعياً. يصرخ معبراً عن مكابدة وجود مستعص وبضمر رغبة في التغيير، ويكشف عن مطالبة بوجود أفضل.

بين تعبير عن الواقع الخارجي وتأكيده لواقعه الداخلي الخاص، تأتي الكتابة عند خير الدين لتتخبط في تجربة تشارك في التغيير وتشكل جزءاً منه، تغيير دائم للمجال الاجتماعي والثقافي وتغيير الهوية. فهي كتابة منتسبة

اتخذ خير الدين مثله في ذلك مثل عدد من الكتاب طريق الهجرة بحثاً في المسافة عن الرباط الوحيد الممكن مع الأسرة والوطن فاراً من هذا وتلك. انبنت أعماله الأدبية هنا في هذا الابتعاد الترابي والاجتماعي وحتى القبلي، وهو ابتعاد لساني وثقافي. وبهذا أصبحت حياة الكاتب حياة أعماله التي يحملها بين جنبه، وهنا تفعل كيمياء الكتابة فعلها.

كانت المدة التي قضاهها بفرنسا (1965 – 1980) مدة خصبة أنتج فيها *Faune détériorée* (وحيش مخرب) وقد نشرته مجلة *Encres vives* عام 1966 وحصل به على جائزة تلك المجلة وأنتج *Agadir* (أغادير) وصدر عن دار النشر *Seuil*. وأنتج *Enfants terribles*. وحصلت روايته *L'Enterrement* (الدفن) على جائزة *La Nouvelle Maghrébine*.

كان خير الدين آنذاك يكتب في تلك المجلات ويسهم في إخراجها، ومنها *Dialogues* و *Les lettres nouvelles* و *Présence africaine*.

أثار شعره الانتباه وأشادت به مجلات مثل *Les Temps modernes* و *Le Journal des poètes*.

كان يسهم في تنشيط برامج إذاعية بعضها مسائية في *France culture*، وقد عاش وقائع حركة أفكار شهر ماي 1968، والتقى في خضم تلك الأحداث بأشخاص مرموقين مثل مالرو وسارتر وبيكيت وسنغور وسيزير وداماس.

نشر خير الدين أهم مؤلفاته في تلك الفترة عند سوي *Seuil*، مثل *Corps négatif*، متبوعاً بـ *Histoire d'un bon dieu* (1968)، و *Soleil arachnide* (1968)، ثم النص الذي استحق به المكافأة الثالثة للصدقة الفرنسية العربية وعنوانه *Moi l'aigre* (1970) ثم *Le déterreur* (1973) ثم *Ce Maroc* (1975)، ثم *Une odeur de mantèque* (1976)، ثم *Une vie, un rêve, un peuple toujours errants* (1978).

حين عاد إلى المغرب بين 1980 – 1989 نشر مجموعة شعرية بعنوان *Résurrection des fleurs sauvages* (1981) وكتب حكاية بعنوان *Légende et vie d'Agoun'chich* (1984) وفيها جد لقاء الحميمي مع الجنوب وسطه الثقافي البربري، الموطن الذي طالما أحبه وطالما هرب منه. والواقع أن خير الدين رجل هجرة ومنفى لا حدود مكشوفة لديه بين السفر الحقيقي والسفر داخل النفس. فالسفران عنده صيغتان لطلب واحد، تعبران عن رغبة واحدة، لذلك نجده يعاود الذهاب في اتجاه هذا المكان الآخر المستعصي على الولوج مأخوذاً بدوره بهذا العشق الذي يحمله للمنفى والتيه كما يظهر ذلك جلياً من خلال كتابه *Légende et vie d'Agoun'chich* (p. 23).

انخرط خير الدين في هذا التيه الدائم بين 1989 و1993 واستولى على مسار لم يصل إلى نهاية قط، فكان الشاعر

خَيْرَان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، استقرت أول مرة بقبيلة بني حسان، ثم انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 647.

الخيران، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xagran ؛ وكان بمدينة سلا منذ القرون الهجرية الأولى بنو خيرون أسرة أندلسية ماجدة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ وإلى هذه الأسرة ينتسب الفقيهان عبد الرحمن الخيراني الذي زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1191 إلى سنة 1206 (1777 - 1791). وابنه محمد الخيراني الذي كان من عدول تطوان من سنة 1239 إلى سنة 1246 (1824 - 1830).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1613.

الخيران، محمد بن حمادي بن الشرقي، مقاوم لم يكن ينتمي إلى أي تشكيلة لكنه كان من بين المشاركين في مظاهرة 20 غشت 1955 حيث قام بأعمال تخريبية لمنشآت المستعمر إلى أن اغتاله العمر كازو برصاصتين واحدة في وجهه والأخرى في بطنه فسقط شهيداً بأيت عمار وقد اختطفه أهله ودفنوه رحمة الله عليه.

المدوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، ج. 3.

خيرُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 648.

محمد ابن عزوز حكيم

خيرون، بارتولومي، Gerón Bartolomé راهب إسباني من المنتمين إلى طائفة الفرانسيكان كلفته حكومة كارلوس الثالث بمهمة دبلوماسية تهديدية في المغرب في عهد سيدي محمد بن عبد الله، انتهت باتفاق 29 محرم 1181 / 28 مايو 1767. استهدفت تعليمات الحكومة الموجهة إليه اختبار رأي السلطان في مضمون شروط افتتاح العلاقات بين البلدين، بعد تبادل المراسلات الأولى والهاديا

بخصوصية مغلقة في ما يتعلق بالرموز التي تنفرد بها، كتابة تشبث أيضاً برموز هذا الفضاء المشترك، هذا التراث العريق الذي تحمله. فالكاتب لا يفتأ يظهر انشغاله الدائم بما هو جماعي، فهو يحلم بأن يكون صوتاً للشعب.

كتابة تجتهد في شرح العالم برمته وتوظف كفضاء لبناء صورة عن الذات وهي نفس الوقت مكان رهان ثقافي وخطاب حول هذا الرهان ؛ فالنص مستودع تاريخ ومكان ذاكرة. إن خير الدين مثله مثل الكتاب الذين تأثروا بعقلية مجلة Souffles (أنفاس) يجد نفسه في تناقضات وتمزقات تميز به جيله، فهو لذلك لا يتصور أدبا خارج الالتزام، والالتزام في نظره لا يقف عند الاهتمام لآلام الجماعة والتشكك في أصول القضايا المتبورة وفي الهوية الأحادية التصور وفي الحكم بجميع أشكاله، بل ويتمثل أيضاً وعلى الخصوص في عمل يتموقع في بؤرة الكتابة.

إن تجربة الكتابة عند خير الدين تمس أساساً قضية التصريح والبحث عما يسميه "اللغة الجديدة". والذي يسند هذه اللغة يتضمن في أعماق تجلياته علامات موطنه الأصلي وموطن تأهيله، وهو ما يحيل على فضاء ثقافي ولساني وفضاء هوية في الجنوب المغربي حيث طبعت لغة الأم، البربرية، علاماته بكيفية لا تمحى. ويظهر أن تلك التجربة في الكتابة تستهوي بمساعها الجمالي كما تستهوي بالابتعاد أو الاقتراب من المجتمع والثقافة، من المجال الواقعي والرمزي الذي تتناولوه وتساائلوه وتحرضه وترغمه على التفتح على المكان البعيد، بإخضاعه في الأخير لمحك تناقضاته الذاتية وإسلامه لصراعاته الداخلية.

فإذا كان موطن هذا الحوار المثير هو بلاد المغرب ومن داخله عالم البربر، فلا أحد يشك في أنه - بعيداً عن الخصوصي ومن خلاله - فإن خير الدين يبحث بعمله الأدبي عن الوصول إلى ماهوكوني. فخير الدين، خلال هذا البحث وبأعمال متفرقة أشكالها ومنسجمة في وحدتها الموضوعية وفي بحثها ككتابة، يقيم حواراً مع الفن والأدب. فعمله إعادة بناء للتجربة الإنسانية وبناء للتاريخ الفردي الخاص بالكاتب وتمرير لتراث الأجداد الذي يحمله بين جناحيه. إن هذا العمل الأدبي محل لقاء بين كل مكونات الإنسان وهو يشير إلى النقص في العالم والكون.

فإذا كانت شاعرية الخواء والعنف والتدمير والفراغ المتعذر ملؤه، هي التي تخدم هذا العمل التجذري، فكل تجربة خير الدين في الكتابة لا تفتأ تصر على مواجهة قوى الخواء التي هي في آن واحد شرط تخريب وقوة خلاقة، وهي المحددة لفعل الإبداع، كتابة زلزالية مولدة للأشكال المبتكرة، فهي على طولها وعرضها مخترقة برغبة قوية في التفات من مستقبل قدرتي، يحركها رفض أساسي للعدم والموت.

زهور المزكدي

والأسرى. سبق لخبرون أن قام بالمغرب خلال عدة سنوات بدور الفرانسييسكان، سواء بفاس أو بتطوان. وفي سنة 1169 / 1755 توصل إلى حل مسألة أسيرة إسبانية على عهد المولى عبد الله.

حل خبرون بسببته يوم 28 جمادى الأولى 1179 / 12 نوفمبر 1765 وعرج على باشا طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي برفقة قسيس دير مكناس فرانسيسكو كولودرو. واستقبله سيدي محمد يوم 21 شعبان 1179 / 2 فبراير 1766، فلم يزد في خطابه عن الإشارة إلى رغبة الطرفين في عقد الهدنة في البر والبحر، ولم يطرح مثلما أوصت به التعليمات طلب تصدير القمح وإثارة المحطة الساحلية المطلوبة للصيد بجهة ساحل إفني، نتيجة إدراك السفير مدى حساسية الموضوع.

غير أن هناك تعليمات خفية جاء من أجلها خبرون كانت متشوفة إلى استدراج السلطان لقبول الفكرة الشائكة المتمثلة في توسيع حدود الثغور المحتلة، نتيجة لهذا التقارب. وكان لسيد محمد رأي خاص في هذا الموضوع، نقله السفير الفرانسييسكاني في قوله: "إن السلطان يتصور الطريقة التي سيتم بها الصلح بين الجانبين بكيفية غريبة، ذلك أنه يعتبر من واجبه الديني والوطني استرجاع تلك الحصون التي يملكها عاهلنا بالمغرب.. وأنه من جهة أخرى لا يرى أي مانع من تحقيق تلك الأمنية باللجوء إلى القوة، دون أن يتعارض ذلك مع الصلح المزمع عقده مع إسبانيا".

لقد اكتشف خبرون أن طرح مسألة الحصون على أنظار السلطان أمر جد حساس يفوق كل التصورات، إلى حد لم يتجرأ أحد على مجرد إثارتها على مسامع السلطان. وحينما ألح رئيس الحكومة الإسبانية على سفير بلاده أن يدلي له بحجة تصلب رأي السلطان في المسألة، وإفاه الجواب قائلاً: "إن سيدي محمد محا الجملة الخاصة بتوسيع حدود الحصون وبيع الأسواق المجاورة".

على أن هناك نقطة إيجابية أخيرة في سفارة بارتولومي خبرون. هي قبول سيدي محمد إرسال سفارة مغربية إلى مدريد برئاسة كاتبه أحمد الغزال. وفي يوم 24 ذي القعدة 1179 / 2 مايو 1766 حل بارتولومي خبرون بطنجة مرفقا بأعضاء السفارة المغربية، وهي في طريقها إلى سبتة.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور المغربية الشمالية المحتلة، مرقون، الرباط، 1991.

R. Lourido Diaz, *Los Misioneros Franciscanos y su participacion en el Tratado de Paz Hispano Marroquí de 1767*, Archivo - Ibero - Americano, 133 / 1974 ; *En Torno al ensanche de límites de Ceuta*, en 1782, H.T., 1982 ; Vicente Palacio Atard, *Primeras negociaciones entre España y Marruecos en 1765*, Hispania, 11 / 1951 ; V. Rodriguez Casado, *Política Marroquí de Carlos III*, Madrid, 1946.

حسن الفكيكي

الخبروني، أسرة تطوانية أحدها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : .وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم أنجبت عدة فقهاء مثل :

الخبروني، أحمد بن محمد الذي كان من بين عدول تطوان من سنة 1256 إلى سنة 1261 (1840 . 1845).

الخبروني، عبد السلام الذي كان يزاوّل خطة العدالة من سنة 1171 إلى سنة 1201 (1758 . 1787).

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 7 : 12 : م. داود، عائلات تطوان، مخطوط : م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 649.

محمد ابن عزوز حكيم

خيري أو خيرون، أسرة تطوانية، من العلوج الأندلسيين أشار إليها غوميس إيانس دي زورارا باسم (Abengeiri). اشتهر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15م) منها ثلاثة أفراد بالنشاط القرصني بساحل المضيق، هم، محمد بن خيري، كان اسمه السابق "مانويل"، وهو رئيس سفينة من فئة خمسة عشر مقعداً، ثم الرئيس بدر بن خيري، كان قائد سفينة مركبة من أربعة عشر مقعداً، وهو أخو قرصان آخر يدعى حبيب بن خيري. ظهرت الأسرة البحرية بساحل المضيق المغربي إثر احتلال البرتغال لسبتة، ويعني هذا سابق وجودها بالمدينة وانتمائها إليها قبل سنة 1415. كان زمام القرصنة البحرية بيدها ومرساتها الرئيسية بني معدن تطوان، ويدعوننا هذا إلى الاعتقاد أن سبتة كانت من جملة محطاتها قبل سقوطها.

ظهرت الأسرة أيضاً في بداية القرن العاشر الهجري (16م) في نطاق إحياء عمران مدينة تطوان وحركتها القرصنية على عهد حاكمها علي المنظري وخلفه الحسن المنظري. برز منها أخوان سنة 1515 وقد ركزا نشاطهما على مدينتي سبتة وجبل طارق والسواحل الإسبانية المجاورة، كما شمل عملهما القرصني اعتراض السفن المبحرة عبر مياه جبل طارق انطلاقاً من مرسى بليونش وبمياه المحيط من ملجئهم بمرسى العرائش.

وبعد خمس سنوات من النشاط القرصني ضد السفن الإسبانية والبرتغالية، توفي الأخ الأكبر من أسرة خيري، خلال معركة حامية مع السفن البرتغالية السبتية جرت بعرض مياه المدينة يوم 8 مارس سنة 1520.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة،

1 : 123، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

المجموعة النوع *Artemia salina* الذي له قدرة هائلة على تحمل الملوحة والذي يمكن كذلك أن يتكاثر عن طريق التوالد العذري أي دون تدخل الحيوانات المنوية للذكر. تكمن أهمية هذا النوع كذلك في استعماله وعلى الصعيد الدولي في تغذية الحيوانات البحرية والمائية التي يمكن تربيتها كالأسمك والرخويات والقشريات مثلاً.

2 - أما المجموعة الثانية (Notostracés) فيخلاف المجموعة الأولى تتوفر على قوقعة على شكل ذراع ظهري يغطي ويحمي الجسم.

3- يتميز أفراد المجموعة الثالثة (Conchestracés) بتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة تغطي الجسم كله كالمحار مثلاً أو جمل البحر التي تعيش كلها في المياه القارية والسائلة.

4 - أما المجموعة الرابعة والأخيرة (Clodocères) فهي تشبه إلى حد ما أنواع المجموعة الثالثة نظراً لتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة إلا أن هاته الصدفة أو القوقعة لا تحمي الجسم كله بل هناك المنطقة الرئيسية التي تدعى حرة بالإضافة إلى قلة عدد زوائدها التي لا تتعدى أربعة أزواج وأعينها التي تنصهر نسبياً لتكون ظاهرياً عينا واحدة مما أدى ببعض العلماء لتسميتها بـ "أحادية العين".

ولا شك أن تلك المجموعة الرابعة تعتبر من أهم المجموعات نظراً لكثرة أنواعها وأشكالها وأعدادها، ونظراً لاستيطانها كل أنواع المياه القارية منها والبحرية وكذلك نظراً لدورها البيئي والاقتصادي. فهاته القشريات تكون بالفعل نسبة عالية من العوالق سواء البحرية منها أو القارية وهي تكون بالتالي غذاء للعديد من أنواع الأسماك والرخويات والقشريات ذات القيمة التجارية العالية بالنسبة للإنسان. ولهاته المجموعة ينتمي مثلاً برغوث الماء (Daphries) الذي يستعمل لتغذية بعض الحيوانات المائية أثناء تربيتها نظراً لإمكانية هاته القشريات التكاثر السريع والرهيب إما عن طريق التوالد العادي وإما عن طريق التوالد العذري.

تعيش خيتومات القوائم بشكل أساسي في المياه القارية خاصة منها الراكدة في مصاب الأنهار والبحيرات إلا أن القليل منها فقط يمكنه العيش في المياه البحرية. معظم الأنواع التي تنتمي إلى هاته القشريات تعيش بين العوالق وتكون جزءاً أساسياً وضرورياً في السلسلة الغذائية في هاته المياه. أما الأنواع التي تعيش في مياه البحر المغربية فلا يتعدى عددها الستة، وهي ذات توزيع شاسع خاصة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

Alfa Sciences, 1974 ; *Les animaux, Encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 3, 1980 : *Animaux de la mer*, 575 p. : Poue et Chantail R., *Biologie animale, Zoologie, Invertébrés*. Paris, 1962.

محمد منيوي

خيري، حدو مقاوم ولد سنة 1922 بمدينة خنيفرة وسط عائلة متواضعة الحال. شارك في مظاهرة خنيفرة بمناسبة 20 غشت، وقام خلالها بعدة أعمال تخريبية ضد مصالح فرنسا من إحراق وإتلاف. وعند تدخل قوات الأمن الفرنسية بهدف تفريق المتظاهرين وحملهم على التراجع عن المواجهة استشهد عدد كبير من الوطنيين وكان حدو خيري من بينهم في نفس نيو 20 غشت 1955.

المنشوية نسبة تقديراً للمقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، ج 2.

خيشوميات القوائم Branchiopodes هي قشريات

تتميز بجسم مقسم إلى عدة حلقات قد تصل إلى ستين حلقة. بالإضافة إلى الزوائد الرأسية والتي لها دور حسي، فإن معظم الجسم مكسو بزوائد أو قوائم مصفحة الشكل التي إذا كانت تلعب دوراً مهماً في التنقل (السباحة) فهي تلعب كذلك دوراً مهماً في وظيفة التنفس حيث تمتص مادة الأكسجين مباشرة من الماء. ولاشك أن هذا هو السبب الرئيسي في تسمية هاته الحيوانات "بخيشوميات القوائم". تعيش معظم خيشوميات القوائم في المياه القارية والمستنقعات إلا أن القليل منها يعيش كعوالق في البحار وكذلك في المياه الشديدة الملوحة كالملاحات.

تحت اسم "خيشوميات القوائم" تصنف أربع مجموعات من الأنواع :



خيشوميات القوائم

1 - مجموعة أولى (Anostracés) تتميز بعدم وجود أية صدفة تحمي الجسم، لها أعين محمولة كل واحدة منها على رأس ذئب كما أن لها زوائد رأسية معقدة التركيب وذات وظيفة ما سكة ولا يتعدى حجمها خمسة وعشرين ملمتراً. ولاشك أن من أشهر الأنواع التي تنتمي إليها هاته

الخيل والخيول والأخيال لا واحد لها في اللغة، وهي جماعة من الأفراس واحدها الفرس للذكور وللإناث ويسمى الذكر أيضاً الجواد والحصان يجمع على أحصنة وحصن، وتسمى الأنثى حجراً تجمع على حجور وأحجار وحجورة ولا يقال حجرة. الاسم الشائع عند العامة في المغرب العربي هو الخيل والعودان مفردة العود والعودة للأنثى، وفي اللغة العود هو المسن من الإبل، وباللسان الأمازيغي أسردون وأيبس وإيبس وأسرتي.

تنتمي الخيل إلى الحيوانات الثديية اللبونة من طائفة الحافريات Ongulés ورتبة مفردات الأصابع Perissodactyles ومن فصيلة الخيليات Equidés. يتميز الفرس بإصبع واحد في كل رجل ينتهي بحافر يقوم مقام مخالب أو أظافر الأصابع. وقد تكيف الحافر مع متطلبات الجري والركض ولحقت به عبر الزمن تغيرات تتعلق بأساليب التنقل المفروضة على الفرس من طرف الإنسان كالمشي والجري السريع في سباق الخيل والترويض، الخ.

يتميز الفرس برأس صغير ومستطيل وعينين كبيرتين محميتين بجفون ذات أهداب متفاوتة الطول وسميكة. أذنه مقترنة وشديدة الحركة تنتبه لأدنى صوت. يوجد المنخران عند طرف قصبه الأنف الواقعة في الجزء الأمامي من الرأس ويتوفر الفم على شفتين متحركتين غليظتين وعلى أسنان متكاملة عددها 44 سنا صيغتها كالتالي :

3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 44 سنا. توجد بين الأضراس والأنياب فجوة كبيرة توضع فيها الشكيمة التي يعتمد عليها الراكب للتوجيه والمراقبة السير. غالباً ما تغيب الأنياب عند الإناث (الحجر).

يتصل الرأس بالجسم بواسطة عنق أهيئ يعلوه عرف من الشعر الطويل الصلب مصفف جانبياً. الجسم مكسو بزغب سميك وقصير، يختلف الألوان يمكن التمييز بين الخيول عند أوصافها، نذكر منها الكمي (bai) وهو ما يعادل الأسود والأملس وهو ثوب ذو لونين اللون الأسمر للجسم والأسود للسبب أي الشعر الطويل على العنق، والأشقر وهو ثوب وحيد اللون من غير الأسود، والأشهب وهو ثوب يختلط فيه الشعر الأبيض والأسود، كما يلعب الفرس بالمحجل حين يكون مبرقعاً ببقع بيضاء على قوائمه، ويلقب الحصان الأسود بالأدهم وهذا لون نادر في الخيل. أدت هذه النعوت إلى إعطاء الفرس عدة أسماء تغني بها الشعراء.

يبلغ وزن الفرس البربري أو المغربي المعاصر (cheval barbe) 450 - 360 كيلو غرام ويبلغ ارتفاعه عند الكتف 143 - 153 سنتيمتر، وهو حيوان قوي وصبور إلا أنه أقل رشاقة من الفرس العربي الأصيل. رأسه قوي وجبهته محدبة بعض الشيء، الصدر عريض متناسق مع عرض المؤخرة.. الظهر أقصر من السلالات الأخرى وله 23 فقرة

بدل 24 فقرة في العمود الفقري عند الفرس الوحشي. الرداف (croupe) مائل وبداية الذيل منحدره مقارنة مع باقي السلالات الأخرى. القوائم متينة والأرجل صغيرة تنتهي بحوافر قرنية متمتزة. يتحمل الجوع والعطش أكثر من أي سلالة أخرى ويتميز بعين سوداء واسعة ولا معة.

يتغذى من البرسيم والعشب والشعير والتبن ويستهلك من كل صنف ما بين 4-5 كيلو غرام في اليوم، وحفاظاً على صحته لا يقدم له العلف بعد العمل مباشرة ولا يشرب الماء مباشرة بعد الجهد. يساعده العلف المتزن على النمو السريع وغالباً ما يكتمل نموه ويلوغه بعد السنة الثانية من عمره إلا أنه لا يستعمل للنسل إلا بعد السنة الثالثة أو الرابعة ويعمر ما بين 25-30 سنة.

تدوم مدة الحمل 11 شهراً وتضع الأنثى مهراً واحداً تطفمه بعد خمسة أشهر والتوائم نادرة عند الخيل. يستطيع الصغير أن يقف على قوائمه بعد بضع ساعات من وضعه. ويمتاز الفرس السليم بالحياة والنشاط والمرح.

و الفرس حيوان عاشب غير مجتر، اتخذ الإنسان من أجل لحومه أولاً ثم دجنه ليقوم بخدمات مختلفة كالفلاحة والتنقلات وحمل الأثقال وذلك منذ ما يفوق خمسة آلاف سنة. ويعتبر تدجين الفرس مرحلة هامة في تاريخ الإنسان وذلك بتقليص المسافات التي كانت حاجزاً للمواصلات، وجر البضائع وحملها على العربات ونقلها، الشيء الذي أدى إلى إنشاء الطرق وتوسيعها والاعتناء بها. فالحصان كان بمثابة السيارة بالنسبة للوقت الحاضر.

تعرف للخيول المعاصرة عدة سلالات وضروب تنحدر كلها من نوعين : حصان طريان أوكرانيا الوحشي Equus caballus gmelini الذي انقرض خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وحصان برجيفالسكي Equus caballus przewalskii poliakov الذي ما يزال يعيش بآسيا الوسطى وسهول منغوليا، وهو حصان سمين وقصير لا يتعدى ارتفاعه عند الغارب متراً ونصف. ويرجع تاريخ إدخال الحصان إلى الأراضي المغاربية إلى عصور ما قبل التاريخ.

تعرض الحصان الوحشي إلى عدة مضايقات من الإنسان عبر الزمن إذ بالغ في اصطیاده قصد التدجين وأكل لحومه مما أدى إلى انخفاض شديد في عدد أفراده ولم تبق إلا القلة القليلة من الفرس الوحشي في العالم.

وتسمى السلالات من الخيول عروق الخيل ومن أشهرها في العالم نذكر السلالة الآسيوية الآرية Equus caballus asiaticus وإليها ينسب الفرس العربي الأصيل والفرس المغربي اللذان يعدان من أجمل ضروب الخيل في العالم ومن أصلح الأفراس للركوب.

تقسم الخيول في علم الخيل الحديث إلى حوالي 200 سلالة تختلف من حيث شكل أطرافها (مستقيمة، محدبة، مقعرة)، من حيث القدر وطول القامة (كبيرة، متوسطة، قزمة) ومن حيث طولها جمعاً بين الرأس والجسم (طوال، متوسطة، قصار).

نذكر من بين هذا التقسيم جبابرة الخيل أو الخيول الثقيلة التي تتميز قطعاً عن الخيول الخفيفة في أصولها، وهي خيول غربية الحجم أصلها في أوروبا وعلى الأخص أرض هولندا وبلجيكا وشمال فرنسا، ومنها الفرس الثقيل Ardennais منسل من آباء أوربية وله قوة في الشد عظيمة وهو الذي ركب آباءه فرسان القرون الوسطى بما على أجسامهم من دروع فولاذية ثقيلة، والفرس الإنجليزي شاير Shire الذي يفوق علوه 180 سم، يتميز بوجود خصل من الشعر عند سيقانه ويتعدى وزنه ألف كيلو غرام. والجواد العربي الذي كان له أكبر الأثر وأوسع في تحسين أكثر أنسال العالم من الخيل، والفرس البربري والفرس التركي. ومن بين أقزام الخيل نذكر فرس بوهيمية وفرس اسلاندا وفرس الصين (Poney) وفرس فالابيل Felabella الأرجنطيني الذي يقل ارتفاعه عن 75 سم. وهي خيول صغيرة القد وخفيفة الوزن، منها عدة عينات في مرايض الخيل وفي الحدائق الحيوانية العمومية المغربية، استوردت جلها من فرنسا.

وقد نشأت سلالة الفرس العربي الأصيل في شبه الجزيرة العربية ثم في اليمن وآسيا وأتى بها العرب إلى أفريقيا وبعدها إلى أوروبا وانتشرت حالياً في العالم أجمع.

ويسمى الفرس البربري أو المغربي بالانجليزية Barabary horse وبالفرنسية Cheval barbe وهو فرس من العروق الخيلية الصالحة للركوب وتحمل مشاق الفلاحة وصعود الجبال والجر والحروب. من الصعب تحديد تاريخ ثبوت العرق البربري الأصيل، ويرجح انحدار أصله إلى الخيول التي كانت تعيش قرب السواحل الليبية في القرن الحادي عشر قبل الميلاد والتي كانت تستعمل خاصة للحروب. ومنذ القرن السادس عشر الميلادي، أطلق عليه اسم الحصان البربري (cheval barbe = cheval de barbarie) نسبة إلى الشمال الأفريقي آنذاك.

وتعد السلالات المختلفة المعاصرة نتيجة انتقاءات وتصلابات بين مختلف الضروب والأنواع قام الإنسان بتحقيقها عبر آلاف السنين. ويذكر التاريخ أن مدينة بابل (Babylone) عرفت عدداً كبيراً من الخيول المدجنة خلال القرن العشرين قبل ميلاد المسيح وبعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون نقلت منها عدة وحدات إلى مصر. ومن خلال السلالات البابيلونية والمصرية ظهر الفرس العربي في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية والفرس البربري في شمال إفريقيا والفرس التركي في الشرق الأوسط. وقبل ظهور الإسلام، حافظ سكان أفريقيا الشمالية على السلالة البربرية واعتنوا بها وعودوها على تحمل المشاق مع استخدامها في عدة مجالات. ولما دخل العرب هذه المنطقة بعد الفتوحات الإسلامية، عرفت سلالة الفرس البربري عدة تصلابات مع سلالة الفرس العربي الأصيل وسلالة الفرس التركي مما أدى إلى ظهور عدة سلالات أخرى أثرت على

العرق البربري الذي لعب دوراً هاماً في ميادين الحروب عبر الفتوحات الإسلامية وغزو الأندلس وفي مهرجانات الفرس الشائعة في الشمال الأفريقي. لقد أكثر العرب من هذه السلالة ونقلوها إلى الأندلس وجنوب أوروبا ابتداء من القرن الثامن الميلادي، وإلى أوروبا الوسطى والجزر البريطانية خلال القرن الثاني عشر. وخلال القرن السابع عشر الميلادي بدأت علوم الخيليات تتطور على إثر تجارب التصلابات النسلية بين الفحول المغربية والعربية والتركية مع الخيول الفرنسية والبريطانية.

وقد أصبح العرق الإنجليزي الصافي (pur - sang anglais) يكون سلالة ثابتة في بداية القرن الثامن عشر بعد مرور قرن من التجارب، منذ سنة 1660 إلى سنة 1760 وكان من وراء هذا الانتقاء العرقي ما يزيد عن 200 فحل من أصل عربي وتركي وبربري أشهرها الخيول الإناث الإنجليزية الأصيلة والفحل البربري الأصيل جولدافين (Goldaphinbarb) والفحل العربي الأصيل دارلي (Darley arabian) والفحل التركي بيبيرلي (Beyerley turk). تعد هذه السلالة أسرع السلالات في السباق وتستعمل أيضاً في الصيد الجماعي. تلقب السلالة الإنجليزية بالفرس الصريح أو الكريم أو العتيق وقد اعتنى بها المربون وأكثروا منها مما جعلها شائعة في العالم لكثرة الإقبال عليها في سباق الخيل.

أدى ولع المغاربة وشغفهم بالفرس البربري، خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، إلى تأسيس المنظمة العالمية للفرس البربري سنة 1987 بالجزائر العاصمة، نتج عنها ارتفاع عدد الخيول البربرية بعد أن عرف انخفاضاً ملموساً على الصعيد الدولي.

ويستعمل الفرس المغربي في ميادين الفلاحة والجر والركوب والسفر والحمل في القوافل التجارية. استعمل الفرس أيضاً في جميع الحروب وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة العاديات التي تصف الخيل وهي تعدو في الغزو وتصيح وتواري النار بحوافرها ليلاً إذا سارت في الأرض ذات الحجارة، وتثير غباراً بشدة حركاتها. ولخص الشاعر امرؤ القيس وصف سير الفرس قائلاً :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلود صخر حطه السيل من عل
وقال المتنبي :

أعز مكان في الدنيا ظهر سابع وخير جليس في الزمان كتاب
وقال رسول الله (صلم) : " علموا أبناءكم السباحة والمسايفة وركوب الخيل".

أحب المغاربة الخيل منذ فجر التاريخ وجعلوا من الفرس حيواناً في خدمة الإنسان واعتنوا به واعطوه مكانة عظيمة وقاموا بتدريبه وترويضه، كما أن معظم الشعراء نظموا أبياتاً عديدة تدعو إلى العناية والرعاية لهذا الحيوان الذي لعب دوراً هاماً في مختلف الميادين لإرضاء رغبات الإنسان. ولعل "لعب البارود" (fantasia) الذي تمتد جذوره

إلى زمن الحروب، والذي يسعى المغاربة إلى المحافظة على طابعه الروحاني، لخير دليل على مدى تشبثهم بهذا التراث الأصيل الذي أصبح يصاحب كل الحفلات الدينية والوطنية في مختلف مناطق المغرب.

في سنة 1912، أنشأت مصالح الحماية ما يسمى آنذاك بالمؤسسات الخيلية بكل من تمارة ومكناس، وبعد ذلك بقليل، بالجديدة ووجدة ومراكش، حيث تم إيداع فحول مختارة بهذه المرافق قصد تشجيع إنتاج الخيول التي كانت تعزز صفوف الخيالة (cavalerie). وفي سنة 1947 أدمجت هذه المؤسسات في قطاع الفلاحة حيث سميت "مرايط الخيول الوطنية" واحتفظ بهذا الاسم إلى بداية التسعينيات حيث سميت بالحريسات الوطنية (Haras nationaux). تتجلى مهام هذه المؤسسات في وضع الفحول المنتقة رهن إشارة مربّي الخيول قصد تكثيف الإنتاج وتحسينه. ومن أجل هذا الغرض فإن الحريسات الوطنية تتوفر على فحول من سلالات متعددة كالعربي الأصيل والبربري والانجليزي الأصيل والعربي البربري وخيول الجر وكذلك الخيول البغلية (baudets). وعدد هذه الحريسات خمسة : مراكش، الجديدة، بوزنيقة، مكناس ووجدة، تؤطر ما يقرب من 80 محطة موزعة عبر التراب الوطني وهدفها تجويد النسل لعروق الخيل بالمغرب.

وتعتني هذه المؤسسات أيضاً بإحصاء ومراقبة الإنتاج وتوجيه مربّي الخيول، كما أنها تسهر على مسك دفاتر الأنسال stud book وتنظم في أغلب مناطق المغرب مباريات تشجيعية للخيول المتوفرة على بطاقة النسل وتمد شركات سباق الخيل بالدعم التقني.

وتوجد بالمغرب مؤسسة تسهر على تنظيم سباق الخيول وهي الشركة الملكية لتشجيع الفرس والتي تشرف على أربع شركات مقننة لسباق الفرس مقرها في الرباط والدار البيضاء وسطات والجديدة، وعلى ثماني شركات غير مقننة توجد في كل من وجدة وفاس ومكناس وخنيفرة والقنيطرة والخميسات ومراكش وأكادير. تنظم الفئة الأولى سباقات لسلالات الفرس العربي الأصيل والانجليزي الأصيل والعربي الانجليزي. أما الفئة الثانية فتختص في سباقات العربي البربري. وفي ما يلي جدول لعدد الخيول المشاركة في مختلف السباقات :

السلالات	عدد الأفراد	عدد المشاركين في السباق
عربي أصيل	2000	1000
أنجليزي أصيل	3000	1500
عربي أنجليزي	300	150
سلالات أخرى	5000	3000

وتوجد في المغرب أيضاً مؤسسة تسهر على تنظيم

مباريات في الفروسية العصرية كالقفز على الحواجز والترويض. ينضوي تحت هذه الجامعة 37 نادياً للفروسية توجد بمختلف أقاليم المملكة. تشارك في هذه المباريات خيول من نوع خاص، غالباً ما تكون هجيناً بين عدة سلالات معروفة باختصاصها في القفز.

يتراوح عدد الخيول في المغرب ما بين 150000 - 200000 فرداً كما يوضح ذلك جدول إحصائيات الخيل في المغرب مع المقارنة بعدد الجمال والحمير والبغال. ومن الملاحظ أن عدد البغال يفوق بكثير عدد الخيل ويرجع هذا إلى قلة استعمال الفرس واستبداله بالبغل الذي يتحمل أكبر المتاعب في البوادي والجبال.

	1984	1985	1986	1987
الخيول	152.501	173.230	172.347	188.615
البغال	448.835	474.684	493.898	523.770
الحمير	707.473	741.421	785.037	854.125
الجمال	41.108	39.951	37.421	40.778
	1988	1991	1992	1993
الخيول	197.600	191.400	185.622	162.300
البغال	511.262	529.100	528.426	525.900
الحمير	904.109	919.400	981.593	904.500
الجمال	35.597	-	38.845	-
	1994	1995	1996	1997
الخيول	165.100	161.600	155.700	145.100
البغال	527.000	539.700	522.800	515.900
الحمير	915.900	953.700	918.600	949.200
الجمال	-	-	-	-

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، ط. 3، 1988؛ أ. المعلقوف، معجم الحيوان، القاهرة 1932؛ أ. زكي، في سبيل موسوعة علمية، ط. 6، دار الشرق، 1994؛ علم النباتات والحيوانات، الموسوعة الحديثة، الجزء 7 سيلكا سويسرا، 1990؛ م. رمضان، البغل في المغرب. الموسوعة المغربية، الجزء 5، 1996.

Direction de la statistique, Effectif du cheptel et des animaux de trait. Annuaire statistique du Maroc, 1989, 1996 et 1998, Rabat ; Encarta, Encyclopédie microsoft, 1997 ; E.J. Roux, Le cheval barbe. 1987 ; N. de Bolomac et D. Bogros, L'arabe, premier cheval de sang. 1978, Ph. Ploquin et F. Peuriot, Les chevaux du royaume, 1990 ; J. Kidd, L'élevage des chevaux et des poneys, Paris, 1977 ; E. Hartl Y Edwards, Races et types de chevaux, Paris, 1977.

محمد رمضان

* * * يعود تدجين الخيل إلى العصر الحجري، إلا أن عملية التدجين الأولى لا يعرف مكانها بالتحديد، والغالب أن الموطن الأصلي الذي دجن فيه الفرس وأصبح في خدمة الإنسان هو بلاد الرافدين وبالتحديد في عهد ازدهار الحضارة الآشورية (قصة الحضارة *Peuples et civilisations*) ؛ على أنه لا ينبغي أن يفهم من عملية التدجين أنها عملية واحدة تمت في المشرق ومنها تناسلت الأنواع الموجودة مثلاً في العصر الوسيط، بل إن الإنسان قام بعلميات التدجين للفرس ولكثير من الحيوانات الأخرى في مناطق متفرقة وعلى امتداد تاريخ طويل، وقد يكون الفرس المدجن في بلاد الرافدين انقرض بعد العصر الحجري أو عاد إلى توحشه بعد تغير المعطيات البشرية والظروف الطبيعية. ومن المحتمل جداً أن يكون الفرس المغربي الأصيل الذي عرف في العصر الوسيط الأدنى بالبربري (وصف إفريقيا 2 : 167، 170، 262، 263) ؛ أو بارب Barb (إفريقيا، 1 : 71، 729) من المحتمل أن يكون منحدرًا من نوع مدجن في الشام أو في شبه الجزيرة العربية، وأدخلته الهجرات الأولى التي قامت بها الشعوب القديمة نحو الشمال والغرب (p. 71 planche B, *La Grèce et l'Orient*). إذا ما سلمنا باستيراد الخيل إلى المغرب وبقاى الحيوانات الأليفة الأخرى فإن ذلك معناه أن كل ما عرفه

المغرب من أنواع الحيوانات الأليفة والنباتات كان مصدره الشرق الأوسط. وقد ذهبت بعض الآراء التوفيقية إلى أن المغرب عرف بعض أنواع الحيوانات (دواب ومواشي). لكنها لم تكن فلاحية بمعنى أنه ليس لها مردودية اقتصادية (الفلاحة المغربية في العصر الوسيط *L'Agriculture à travers les âges*) لكن الكثير من الاكتشافات والوقائع والنصوص تكذب هذه الآراء (العبر، 6 : 224، 225) فالتدجين كما أشرت آنفاً ليس عملية واحدة في الزمان والمكان وليست عملية نهائية. وبناءً على ذلك وعلى تجارب ملموسة فإنه لا يمكن إنكار دور المغرب في تدجين بعض الحيوانات على أرضه ومنها الخيول، بدليل أنه - وإلى يومنا هذا - يحدث في أوقات الشدة والجفاف التخلي عن الكثير من الدواب فتهم على وجهها وتصبح متوحشة وعندئذ يحتاج تدجينها إلى مهارة الإنسان في صيدها وترويضها وتربيتها. ومن هنا يمكن القول إن الخيول التي عرفها المغرب وخاصة منها النوع البربري قد دجنت انطلاقاً من المراعي والمروج الجيدة التي اجتذبت أعداداً منها ؛ وليس غريباً أن نجد تطابقاً في العصر الوسيط ما بين المناطق التي اشتهرت بإنتاج الخيول وبين غناها بالمراعي والمروج الخضراء ذات المناخ الملائم لتربية الخيول وإنتاجها طيلة السنة (البكري، المغرب، ص.



90 ؛ الاستبصار، ص. 187 ؛ وصف إفريقيا، 2: 166، 262، 263 ؛ إفريقيا، 1: 71 و72).

لم تهتم المصادر التي أوردت أخبار المغرب الوسيط بأنواع الخيول عدا مصدر واحد هو كتاب المغرب للبكري، فقد ذكر خيولا سماها الخيول الحميدية نسبة إلى بني حميد وهم فرع من قبيلة بني حسان الغمارية، وذكر صاحب الاستبصار خيول بني فازاز ؛ وحتى إشارات كتب المسالك والممالك عن صادرات المغرب إلى المشرق ومنها الخيول العرب (الأعلاق النفيسة، ص. 40) لا تفيدنا كثيرا في الموضوع فلا نعرف هل الأمر يتعلق بأنواع متميزة أم بتربية جيدة لأنواع معروفة خاصة وأن المنطقتين المذكورتين : بنو حسان وبنو فازاز هي المناطق الوحيدة المشهورة بإنتاج الخيول في المغرب طيلة العصر الوسيط.

ولم يذكر الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا وهو مصدر متأخر كثيرا عن البكري وصاحب الاستبصار الخيول الحميدية، ولكنه ميز بين نوعين من الخيول المغربية : - النوع البربري والذي قال إنه معروف في أوربا باسم Barb بارب.

- النوع العربي الذي دخل بشكل محدود مع الفاتحين المسلمين.

أما الوجود القوي المؤثر للنوع العربي فيرجع إلى العهد الموحيدي (أثر القبائل العربية على الحياة المغربية) حين نزحت القبائل العربية الهلالية وتم إنزالها في عهد يعقوب المنصور بسهولة دكالة وتامسنا والغرب ؛ ورغم أن التأثيرات الهلالية والمقلية كانت أعمق في خلق تقاليد جديدة وأساليب متطورة في تربية الخيول ومعرفة أنواعها واستعمالاتها فإن أعدادها بقيت محدودة ؛ أما البربري أو "البارب" المنتج في جبال غمارة وجبال فازاز وسهول الهبط والغرب فالخسن انوزان نفسه وفي معرض حديثه عن قبيل بني حميد في جبال غمارة (الريف) لم يذكر إنتاجا للخيول بل ولم يشير إلى وجود خيول جيدة في المنطقة مما يعني أن النوع المحلي (بارب) كان قد انتشر في المغرب وخارجه واختلط بأنواع أخرى ففقد اسمه المرتبط ببني حميد وبني فازاز (المغرب، ص. 90 ؛ وصف إفريقيا، 1: 262-263).

وأهم مناطق إنتاج الخيول في المغرب خلال العصر الوسيط هي جبال غمارة ومنطقة الهبط وأزغار، وبالذات عند بطن نفقاوة من فرع بني حميد من قبيلة بني حسان المصمودية (الغيل الحميدية) اشتهرت بوجودها داخل المغرب وخارجه (البكري، المغرب). أما جودة الإنتاج وشهرته فتعود بالأساس إلى خبرة بني حميد وإلى مجالها الطبيعي الذي كان مجالا شاسعا ومتنوع النبيت والمناخ يوفر المراعي والمروج والطقس الملائم على مدار السنة، فابن خلدون ذكر أن مجال قبيلة بني حسان الغمارية - التي من فروعها : بنو حميد - يمتد على طول الساحل الأطلسيكي من وادي لكوس إلى نهر أبي رقراق (العبر، 6: 211). ومن المعروف أن

الخيول لا تتحمل الطبيعة الجبلية في الشتاء، فكان الحميديون يرسلونها إلى المراعي السهلية الدافئة والمروج الدائمة الاخضرار في فصل الشتاء وفي فصل الصيف عندما ترتفع درجة الحرارة وتنتشر حمى المستنقعات يرسلون خيولهم إلى المراعي الجبلية الخصب والمعتدلة المناخ في جبال غمارة - الريف (الاستبصار، ص. 187).

إنها خصائص محلية وميزات مناخية وطبيعية جعلت شهرة تلك الخيول تطبق الآفاق (البكري، المغرب) وتصدر طيلة العصر الوسيط خارج المنطقة وخارج المغرب باتجاه الأندلس والسودان، ويرسلها الملوك هدايا إلى ملوك الأندلس وأمرائها وأمرء إفريقيا وملوك مصر وغيرها.

المنطقة الثانية لإنتاج الخيول في المغرب الوسيط : جبال فازاز - الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الهضبة الوسطى - هذه المنطقة مشابهة في طبيعتها ومناخها لجبال غمارة فكانت قبيلة فازاز تنتجع بمواشيتها وخيولها سهل أزغار في فصل الشتاء، أي أنهم زاحموا بني حسان في مشاتهم، وتستفيد خيولهم من المراعي الجبلية الخصب والمعتدلة صيفا (الاستبصار، ص. 187 ؛ الروض المعطار، ص. 435) إذ أهمية الإنتاج في هاتين المنطقتين ومثيلاتها في جبال الونشريس بالمغرب الأوسط هو الذي يفسر إصرار الخليفة الموحيدي عبد المومن إلى غزوها وهو في بداية أمره، وحتى قبل تثبيت حكمه، أي أن المخزن الموحيدي أراد بذلك ضمان تزوده بالخيول ووضع يده على أهم مناطق إنتاجها، ولا تخفى على أحد الأهمية الإستراتيجية التي تكتسبها الخيول في أية دولة سواء وقت السلم أو الحرب (أخبار المهدي، ص. 50، 51، 52 ؛ نظم الجمان، ص. 262).

تلك الخصائص الطبيعية والمميزات البشرية في مغرب العصر الوسيط التي أعطت للإنتاج المغربي للخيول أهمية كبرى ونوعية ممتازة ستتغير في عهد الخليفة الموحيدي يعقوب المنصور، فتوطينه للقبائل الهلالية في سهول دكالة وتامسنا وتادالا وأزغار والهبط أضر كثيرا بالمنطقة ؛ فبعد ضعف المخزن الموحيدي لم تعد تلك القبائل منضبطة فاكتمحت أراضي القبائل البربرية وحرمتها من مشاتها، إضافة إلى استفحال الاضطرابات وسيادة الخوف وجو الحرب ؛ فكان لهذا الوضع الجديد أثره الكبير على إنتاج الخيول البربرية قبل أن تصبح القبائل الحسانية والفازازية عاجزة بالمرءة عن الإنتاج حتى إن الأجيال اللاحقة نسيت تقاليد أسلافها وخبرتهم في ميدان إنتاج الخيول. ومما يؤكد ذلك أن المصادر المتأخرة (ق. 16 م.) لم يرد فيها أي أثر لذلك الإنتاج (وصف إفريقيا، 1: 252)، (إفريقيا، 2: 255)، فأهمية المروج - (أكدال) - أساسية في تربية الخيول وإنتاجها، وسيطرة القبائل الهلالية على أزغار والهبط مكنها من هذه المعطيات فانتقل بذلك دور إنتاج الخيول وتربيتها إليها فكان ذلك من أسباب قوتها وهيبته (البيان، ص. 142 و296 ؛ القرطاس، 395 ؛ المن بالأمامة،

إشارات المصادر الوسيطية إلى إنتاج الخيول قليلة، ولعل ذلك راجع لمحدودية المناطق المنتجة - كما رأينا -، لكن حديثها عن امتلاك الخيول ووفرته كان أكبر، وبمنظرة سريعة إلى أعداد الفرسان الواردة فيها والتي شاركت في مختلف الحروب، وكذا الإشارات إلى أعداد خيول الغنائم، تعطينا فكرة تقريبية عن حجم الخيول في البلاد وتقلبات أعدادها ؛ على أن ذلك لا يمنعنا من القول إن إنتاج الخيول وتربيتها وامتلاكها كان قليلا جدا إلى بداية عهد الدولة المرابطية والموحدية، فالمرابطون في بداية أمرهم حاربوا على الإبل وراجلين (الحلل الموشية، ص. 21 ؛ المغرب، ص. 166 ؛ العبر، 1 : 268)، ولم تكن للموحدين في بداية دعوتهم خيول إلا ما غنموه من الحروب والغزوات ضد خصومهم من المرابطين وغيرهم (أخبار المهدي، 32 ؛ نظم الجمان، 242 ؛ المن، 158 و 331 و 348 و 349)، فحاجة الدولتين الناشئتين إلى الخيول دفعتهما للإسراع بفتح مناطق إنتاج الخيول : غمارة، فازاز في المغرب الأقصى، وادي شلف وجبال الونشريس في المغرب الأوسط.

استمر الخصاص وقلة الخيول طيلة القرون الوسطى لاستمرار تزايد الطلب وبسبب استمرار الحروب وتعدد الجبهات، فالعرض ظل دائما أقل بكثير من الطلب، ويضاف إلى هذا العامل عامل الرفه وتحسن المستوى المعاشي النسبي للسكان خاصة في العهدين المرابطي والموحدي فكانت الفئة المترفة تقتني الخيول الفارهة خاصة في فترات الازدهار والاستقرار السياسي، مما جعل أئمتها ترتفع وتصبح أحسن هدية يقدمها المخزن المغربي لأصدقائه وضيوفه وأعوانه (العبر، 7 : 226 ؛ المسند، 452 - 453 ؛ الاستقصا، 1 : 217 و 219 ؛ 3 : 128 - 129).

ورغم مجيء القبائل العربية - هلالية ومعلقية - إلى المغرب وإدخالها لأنواع جديدة من الخيول والتقاليد المتطورة في تربيتها فإن التفاوت الكبير بين العرض والطلب استمر في الاتساع، بل إن أعداد الخيول المنتجة والمرباة بالمغرب تضاعفت أكثر ابتداءً من العهد المريني المتأخر والعهد الوطاسي حتى أصبح امتلاك الفرس رمزا للقوة والجاه عند الأفراد والجماعات. فالقبيلة المتوفرة على أعداد من الخيول والفرس تكون في مأمن من أطماع الخصوم، ولا تخضع للمخزن أو لقبيلة أخرى في هذه الفترة التاريخية.

وقد عايش الحسن الوزان هذه الوضعية وتبعها بدقة في كتابه وصف إفريقيا فأشار إلى الأئمة الخيالية التي بلغت الخيول المصدرة من المغرب إلى السودان، وقارن بينها وبين أسعار الخيول في أوروبا (وصف إفريقيا، 2 : 262، 263، 166، 167، 170) ؛ وبدل أن يكون هذا العامل محفزاً للزيادة في الإنتاج كان عاملا سلبيا إذ شجع على تهريب الخيول وسرقته (المعيار، 8 : 78 و 8 ؛ وصف إفريقيا، 1 : 170)، ولم يعد امتلاك فرس في متناول الفئات المتوسطة من الناس

لما يتطلبه من عناية وتكاليف إضافة إلى ثمنه المرتفع، لذلك تركز امتلاك الخيول في أيدي القادرين عليها وفي طبليعة هؤلاء المخزن والأمرء والأعيان وكبار التجار وشيوخ القبائل وأتباعهم وأعوانهم ؛ فركوب الفرس وامتلاكه والتنقل بواسطته في غير أوقات الحروب يعتبر مؤشرا على ارتفاع في المستوى الاجتماعي (المسند، 143 ؛ القرطاس، 395 ؛ العبر، 7 : 226 ؛ المقدمة، 268)، وتجريد المخزن لقبيلة من خيولها يعني القضاء عليها وإذلالها إذ تنزل إلى مرتبة غمار الناس (الاستقصا، 5 : 97 - 98) ؛ وابتداء من أواخر العهد المريني أصبحت الخيول تحبس في سبيل الجهاد، وأصبح الناس يشتركون في فرس واحد أو رمكة، مما يدل على الارتفاع الكبير في أئمتها (المعيار، 8 : 78 - 81 ؛ فتاوى ابن رشد).

ونتيجة لتراجع المناطق الزراعية في السهول وانحسارها في باقي المناطق أواخر العصر الوسيط، انتشرت تربية الخيول في مناطق غير ملائمة لها، فأعطت خيولا أقل جودة إلى رديئة، فكان الحسن الوزان أكبر شاهد على هذا التدهور وسجله بدقة في معرض حديثه عن القبائل والجهات والمدن وأشار إلى أن الخيول الجيدة كانت محتكرة من شيوخ القبائل وخاصة القبائل العربية حتى إن المخزن الوطاسي كان مضطرا للاعتماد عليها في حروبه وغزواته (وصف إفريقيا، 1 : 126 و 128 ؛ الاستقصا، 4 : 118 - 119 و 153 وما بعدها).

استخدمت الخيول في مجالات متعددة وأغراض مختلفة طيلة العصر الوسيط، لكن الاستغلال الأكثر شيوعا الذي اهتمت به المصادر أكثر من غيره هو استخدامها في الحروب والتنقل، فالخيول هي أحسن وسيلة للسفر البري غير أنها لم تكن في متناول الجميع، بل اقتصر هذا الاستغلال على المخزن وأعوانه، وعلى الفئات اليسورة ؛ وبحسب استغلالها واستخدامها كانت الخيول تربي وتروض، فالخيول المعدة للحروب يتم تدريبها تدريباً خاصاً وإعدادها حسب فنون القتال، فخيول المبارزة غير خيول الهجوم وهذه ليست خيول الكر والفر أو الإغاثة إلى غير ذلك من فنون القتال وألوانه ؛ وهذه الخيول لا يدخل ركوبها في الصنف الذي يكسب الأبهة والمكانة الاجتماعية الراقية، إذ الشرط الوحيد لركوبها أن يكون الشخص فارسا شجاعا ومحاربا ماهرا لا يدخل في ذلك نسبه وحسبه ولا لونه، وتدريب خيول الركوب على الأسفار أو على التجوال داخل المدن وخارجها، أما الخيول الخاصة بالصيد والمطاردة وخيول السباق وخيول البريد والرسل فتدرب تدريباً خاصاً.

- خيول السباق والصيد والبريد المستعجل : تعتبر هذه الأنواع من أسرع الخيول ويتم تدريبها وترويضها لهذا الغرض وتعرض على التجربة والامتحان وأصعب امتحان لها هو مسابقة حيوانات النعام واللمط ومطاردتها ؛ فإذا تمكن راكبها من صيد تلك الحيوانات على فرسه عد من أسرع الخيول وكان ثمنه مرتفعا.

.. خيول النقل والجرجير وخيول الحمل : خيول النقل خاصة بركوب الأشخاص وتنقلهم من مكان إلى مكان في الأسفار القصيرة والمتوسطة وترعى لهذا الغرض وهي في ملكية أصحابها ومنها التي تكترى للسفر وفق شروط معروفة، أما خيول الجر وخاصة جر العربات فلم تكن مستعملة في المغرب الوسيط رغم أن استعمالها كان شائعاً في الكثير من الحضارات القديمة ومنها الحضارة الرومانية، وقد استعملها الرومان في المغرب ؛ ووردت في المصادر الوسيطة إشارات قليلة عن استخدام الخيول لجر الأخشاب والصخور والأحجار الضخمة المستعملة في البناء، وجر المحارث واستعملت الخيول لحمل المحفة وهي وسيلة خاصة بتنقل الملوك وكبار رجال الدولة في الأسفار البعيدة وخيول المحفة مدربة تدريباً خاصاً، أما خيول الحمل (الحمالة) المستعملة لحمل البضائع وسائر الأثقال على ظهورها فهي خيول غير جيدة وغالباً ما تكون مسنة أو أعفيت من خدمات أخرى تعرف بالبراذين (الوزان، وصف، 185 و187).

لا تتحمل الخيول البرودة والحرارة الشديدة، فالرمال الصحراوية الحارة والأراضي الشديدة الخشونة تضر بحوافرها فتعجز عن الركض وأحياناً حتى عن السير العادي قبل أن تهلك ولا يمكنها أيضاً الجري والركض بصفة متواصلة وبكامل طاقتها إلا لمسافة محدودة تتراوح في المعدل ما بين ثلاثين إلى أربعين كيلومتر في مناخ معتدل، فالناية بالخيول وإعدادها يختلف باختلاف الخدمات المطلوبة منها، فمثلاً لإعداد الخيول لمهام تبذل فيها طاقة وجهد كبير يجب أن تغلف ليلة القيام بالمهام المذكورة ؛ وتلافياً للنزاع حول الخيول وللسرقة، ولحماية مصالح المخزن والمحافظة على هيئته، اختص المخزن والفئة الحاكمة بنوع معين من الخيول الفارسة، مميزة إما بلونها أو بسلالتها، إضافة إلى وضع علامات خاصة عليها بواسطة الكي (التشوف، 403 ؛ المعيار، 7 : 958 و104 و181 — 182 و185 ؛ فتاوى، 1 : 313 ؛ كتاب الفلاحة لابن العوام) واختصت الخيول المحبسة بعلامة خاصة، وأتبع الخواص الطريقة نفسها فعلموا خيولهم ووسموها.

ع. ابن خلدون، العبر...، بيروت ؛ ع. البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، الجزائر، 1911 ؛ مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، الاسكندرية، 1958 ؛ حاج صادق، صفة المغرب وأوروبا في ق. 9/3 ... الجزائر 1949 ؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، 1957 ؛ أ. البندق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط، 1971 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، البيضاء، 1954 و1955 ؛ ابن القطان، نظم الجمان، تطوان ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، تطوان، 1960 ؛ مجهول، الحلل الموشية، البيضاء، 1979 ؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح...، الجزائر 1981 ؛ أ. النونريسي، المعيار المغرب، بيروت، 1981 ؛ م. ابن رشد، فتاوى، سروت، 1987 ؛ ابن العوام، كتاب الفلاحة ؛ الفلقشندي، صبح

الأعشى، القاهرة، 1919 ؛ الجاحظ، كتاب الحيوان ؛ الدميري، كتاب الحيوان ؛ ابن وحشية، الفلاحة النبطية، مصورة فرانكورت ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، 1938 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نابولي ، إيطاليا ؛ ؛ ابن صاحب الصلاة، كتاب المن بالإحامة... ؛ ابن عذاري، البيان، البيضاء، 1983 ؛ سسورانت، 3878 ويل ديس قصة الحضارة (مترجم)، القاهرة، 1956 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 ؛ مارمول كرخال، إفريقيا، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون كلية الآداب بالرباط ؛ مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، البيضاء، 1986.

R. Grand, La Grece et l'Orient, Paris 1964 ؛ L'agriculture à travers les âges..., Paris, 1950 ؛ Martin, Géographie du Maroc, Casablanca, 1967 ؛ Encyclopédie peuples et civilisations.

محمد حجاج الطويل

الخيمة، من أقدم أنواع المساكن في المغرب، إنها النوع الأكثر استجابة للتنقل كيفما كانت طبيعة السطح وكيفما كانت أحوال الطقس والمناخ. وهي قطعة نسيج سوداء في الغالب مكونة من عدة أفلجة متراسة ومن أطراف وركائز.

يتكون هذا النسيج في الأطلس من شعر الماعز وقليل من الصوف. وفي السهول الغربية عامة، يتكون من وبر الجمال وشعر الماعز، والليف. أما في الشرق والصحراء فإن اللون يكون فاتحاً وتكون الخيام أقل حجماً وأكثر انخفاصاً. عند بناء الخيمة، لا يصل سطحها إلى الأرض، الفجوة الفارغة بين السطح والأرض (تتراوح ما بين 3 و6 أمتار) هي التي تشكل مجالها الداخلي وفناءها، حيث يقل الارتفاع وتنحصر المسافة نحو الأطراف الجانبية من الداخل (ما بين متر ومترين).

وتنقسم الخيمة إلى قسمين (ركنين)، يصل بينهما فاصل يمتد بين الركيزتين الحاملتين للحمار ويدعى هذا الفاصل "بالرَحْل"، يحتوي في الغالب على صندوق خشبي، توضع فوقه مجموعة من الأغشية. ومكحلة غالباً ما تربط بالركيزة حتى تكون في المتناول وحتى ترى لكل زائر. قسم (ركن) يكون مخصصاً للرجال وللضيوف لذلك يكون الأكثر نظافة ومفروشا بأحسن الأفرشة والوسائد، أما القسم الثاني فيكون مخصصاً للنساء وللطيخ، يحتوي على كانون (حفرة محاطة بثلاث قطع من الحجر : أثافي) ورحى وأواني خزفية... وفي بعض الأحيان يعنى فيه بحديثي الولادة من الغنم والبقر...

ولتفادي أي سيول مفاجئة، تحاط الخيمة بخندق صغير يحول المياه إلى أبعد، وغالباً ما تبني الخيمة على تل أو أكمة. ولأسباب أمنية، كانت الخيام تبني على شكل دائرة أو دوار، ويخصص المجال الذي تحيط به الخيام لمبيت الماشية، وغالباً ما يحيط بدوار الخيام سياج (زريبة) من

الأشواك أو غيرها (سدرة - عصف - أغصان...).

وتقاس قيمة الخيمة بحجمها ويتمام أجزائها ويتناسق وحداتها وألوانها... وانطلاقاً من هذه المقاييس هناك نوعان من الخيام :

- خيام العزيب والسكن : خيام نفعية، أقل حجماً، ولا تتوفر في الغالب على كل المكونات...
- خيام الأفراح والمواسم : لا تستعمل إلا في المناسبات، خيام أكبر حجماً، غالباً ما تتوفر على معظم الأجزاء...
وشكلت الخيام نوع السكن الأكثر إنتشاراً في المغرب إلى غاية التدخل الاستعماري، حتى إن المعطيات الاحصائية الخاصة بالسكن أو السكان غالباً ما كانت تتم بالخيمة أو بالكانون، وهو المصطلح المرتبط بركن الخيمة.
ففي سنة 1934، مثلاً كان توزيع السكن بدائرة "وادي زم" على الشكل التالي :

بيوت	مشتة	نواله	خيام
2.363	188	2.415	12.347

أما في "هضبة أولاد عبدون" فكان توزيع السكن سنة 1936، على الشكل التالي :

بيوت وأكوخ	نوالات	خيام
413	1.101	5.937

وإذا كانت الخيام قد حافظت على شكلها التقليدي، فإن وظيفتها قد تراجعت بشكل كبير، فاسحة المجال بذلك لأنواع سكنية جديدة، ويعبر هذا التراجع في نفس الوقت عن مدى التحول الذي عرفته البنيات التقليدية منذ عهد الحماية.

1 - الفلجة أو الفليج (Flij) : شريط تنسجه النساء من الصوف والشعر، يصل عرضه إلى ستين سنتيمتراً تقريباً، طوله طول الخيمة (من 6 إلى 20 متراً). وتتكون الخيام المتوسطة من 7 إلى 8 فلوج، بينما تتكون الخيام الأكبر من 12 فليجاً.

ويحيط بالفليج من الأطراف (شارب)، وهي طية من الحواشي سواء باتصال فلجة بفلجة أخرى أو باتصالها بالرفافة حتى لا تتمزق أو يحل نسيجها.

2 - المِشَلْ : خيط متين يربط بين فليج وآخر، وهو نظام للعقد أو للخياطة للربط المحكم... وعند القطرات الأولى من المطر، ينتفخ النسيج فتتغلق ثقب الربط ولا يتسرب المطر نحو الداخل.

3 - الرابَعَة (ج. رَوَابِع) : وهي قطع طويلة، منسوجة

بأشكال هندسية متناسقة، قد تكون بالأبيض والأسود أو بالألوان، وهي القطع التي تشد الخيمة إلى الأوتاد.

4 - العمود (Perche)، قطع من خشب مصقول، أكثر عرضاً في الأعلى، تحمل أطراف الروابع نحو الأعلى، عددها بعدد الأوتاد. أما الرَكِيزَتان الداخليتان، فتكونان أكثر طولاً وأكثر متانة، لأنهما تحملان الحَمَارَ (poutre faitiere)، وتحافظان على رسو الخيمة وتوازنها.

5 - الطَرِيقَة (Triga) : شريط منسوج بشكل مزخرف، تشبه (الرابعة)، إلا أنها أكثر متانة وعرضاً (من 20 إلى 40 سنتيمتراً). تمتد من الودت الخلفي إلى الودت الأمامي، على شكل قوس مرورا وسط الخيمة فوق الحمار، ومن فوقها تمر الفلوج.

6 - المَسَاعِدُ (ج. مسعود) ويسمى كذلك خَرَبُ (crochet de bois)، وهي فروع خشبية، وتصلح لربط الرابعة بالطارفة (7).

7 - الطَارِقَة (ج. طوارف) حبال من صوف وشعر، تشد المسعود إلى الودت، وفي حالة النقص في عددها تعوض بحبال عادية أو بحبال من الدوم.

8 - السَّهْوَة : المكان الفارغ بين الفراش والواجهة الأمامية للخيمة أو الجوانب.

9 - الخالفة (ج. خَوَالِف) : وهي الأركان (الزوايا) الأربع للخيمة.

10 - الرِفَافَة (ج. رُقَايَف) (Couverture des bas-cotés) : قطع نسيج تغطي الخيمة من جانبيها. في فصل الصيف تفتح الجوانب برفع الرفايف إلى أعلى لتوليد تيار هوائي داخل الخيمة. أما في فصل الشتاء، فتضاف إلى الرفايف من الداخل ستائر من القصب البري أو من قصب القمح (الخص) لتقوية الرفايف والحماية داخل الخيمة من تسرب الرياح.

11 - الأوتاد (ج. وتد) : وتكون من حديد أو من خشب، وتندق في الأرض بواسطة مطرقة كبيرة تسمى الرزامة. والأوتاد عنصر أساسي لبناء الخيمة ولشدها إلى الأرض.

12 - الركن : وهي الجهة الممتدة من وسط الخيمة إلى جانبيها، وعليه فللخيمة ركنان : أيمن وأيسر.

13 - الفَلَقَة أو الكَفَا (الكفاء) : وهي كساء يطرح حول الخباء كالإزار له، ولكل جهة أمامية أو خلفية من الخيمة فلقتان يُشدان إلى ثنية الفلوج بنظام محكم للعقد أو بإبر غليظة تسمى (الخلال).

14 - وقد تعوّض بالمَخِيط.

15 - عندما تحدث العواصف، أو تهب رياح قوية، تُشدُّ الخيمة إلى الأرض بحبلين، يشد كل واحد منهما

تنتشر إثر سيادة العمل المأجور والاقتصاد النقدي والتحديث القروي وما يتعلق به من تدرس وتغير - ولو نسبي - في مستوى القيم، فنتج عن ذلك تغير على صعيد الأسرة الممتدة والقيم التي كانت تعتقها وتبني عليها.

J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas* ; E. Doutté, *L'organisation domestique et sociale chez les Haha*, in A.F.R.C., janvier 1905 ; R. Jamous, *Honneur et baraka. Les structures sociales traditionnelles dans le Rif*, Paris, 1981 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud marocain. Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires (groupe Chleul)* Paris, 1930 ; G. Tillon, *Le Harem et les cousins*, Paris, 1966.

عبد الجليل حليم

خيمة بوخلالة، مكان معروف بقبيلة زعير، يقع إلى الجنوب من قرية مغشوش. يظهر أنه كان محطة للمسافرين تنزل به القوافل المترددة بين فاس ومراكش. كما كان هذا المكان محطة لتخيم الحركات السلطانية. وحسب بوعسرية ابن منصور أن خيمة بوخلالة تنسب إلى أحد رجال القبيلة. وقد أشار إليها في رحلته التي وصف مراحلها من الغرب إلى مراكش، في عهد السلطان محمد بن عبد الله. وتوجد الرحلة في مؤلف الإعلام للمراكشي. قال ابن منصور يصف المكان المشار إليه :

وهذه الجبال لا محالة تُدعى بخيمة أبي خلالة
كان ريسا قائما في وقته ذا رفعة حتى ثوى في رمله

وسط نصف الخيمة من الأعلى بالموازاة مع الطريقة، ويحكمان إلى الأوتاد الخلفية والأمامية.

أندريه، باكار، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، مجلد I، أوتوبيه 1974.

E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, I. *La tente et le douar*, Hesp., TX, 1930 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris 1919.

صالح شكاكي

وتطلق الخيمة، أو الكانون بالبادية المغربية على ما يصطلح عليه حالياً بالأسرة الممتدة. وتتميز أساساً بالعيش تحت نفس السقف (تعلق الأمر بخيمة في المعنى الحرفي للكلمة أو بيت يضم كل أفراد الأسرة) وحول نفس الكانون، إذ أن رب الأسرة هو الذي يشرف من الناحية الاقتصادية على تدبير كل النفقات التي تهم مجموع أفراد الخيمة نظراً لكون أبنائه وحفدته يعملون في إطار الملكية العائلية. كما أن زوجة رب الأسرة (أكبر النساء سناً) هي التي تشرف على كل الأعمال المنزلية، تعينها في ذلك بناتها وزوجات أبنائها.

بعد وفاة رب الأسرة، يخلفه في تسيير الخيمة أكبر الأبناء سناً، ويستمر الجميع في استغلالهم أملاكهم بطريقة مشاعة. ويحق لمن شاء أن يطالب بحقه في الإرث، فينفصل عن الأسرة ليشيد خيمة جديدة. وقد أخذت هذه الظاهرة



وموضع الخيمة تمّ ظاهر معلماً لمن يراه باهر
يقول يا هذا الذي رأيته إياك أن تغتر بالزمان
ابن إبراهيم، الإعلام، 1 : 356.

علال الحديدي

خيمينيث ذي ثيسنيروس، فرانكسكو Francisco Jimenez de Cisneros قسيس شهير بالكردينال ليناك ثيسنيروس Cardenal Cisneros ولد سنة 1436 ؛ وفي سنة 1493 عين مطراناً رئيس أساقفة مملكة قشتالة ؛ وبصفته معروفاً للملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica والملك فيرناندو الكاثوليكي Fernando el Catolico عين رئيساً عاماً لمحاكم التفتيش Inquisidor general. وهو الذي أرغم مسلي غرناطة على اعتناق الدين المسيحي، وأحرق الكتب العربية بساحة فيفارامبلا Vivarambla بغرناطة ؛ وقاد الحملة الصليبية التي احتلت مدينة وهران سنة 915 / 1599 وأشرف على طبع التوراة المتعدد اللغات Biblica poliglota لأول مرة. وكانت وفاته سنة 1517.

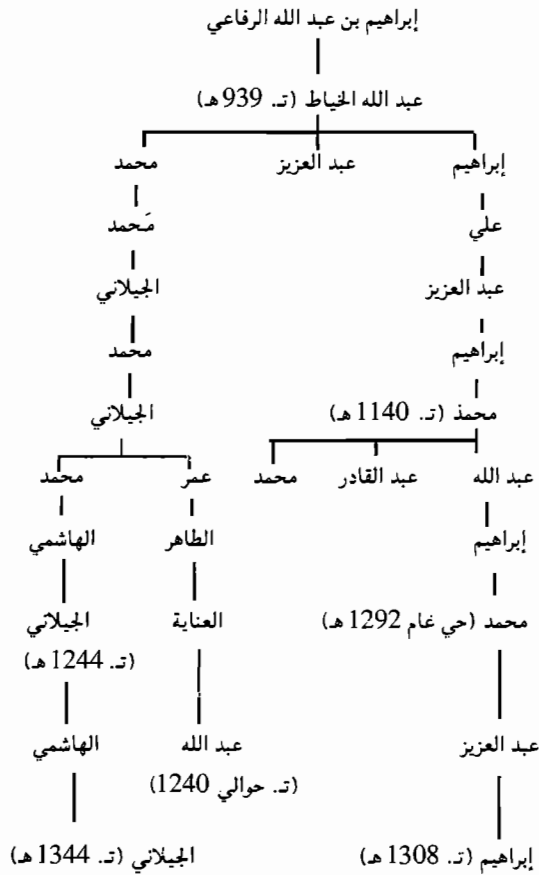
Diccionario enciclopédico Salvat, Madrid, 1920, Vol. 5.

محمد ابن عزوز حكيم

الخياط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم وهي نفس الأسرة التي ظل بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Alcayat. وكانت فرقة من هذه الأسرة الأندلسية قد استقرت أول مرة بفرقة الواد من قبيلة بني حزم (بني يجم سابقاً) حيث أسست المدشر الذي مازال يعرف بمدشر دار الخياط. م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 646.

محمد ابن عزوز حكيم

الخياط، أو الخياطية بيت صوفي شهير في المغرب ينتسب للشيخ عبد الله الخياط مؤسس الزاوية الخياطية بزهرهون خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م) وقد توارث أحفاده الصلاح والعلم وشرف النسب في كل من زهرهون وفاس، وظلت مصنفات التراجم تعني بذكر أعيانهم حتى منتصف القرن الرابع عشر (20 م) ومازالت جماعة سيدي عبد الله الخياط بجبل زهرهون تؤوي إلى يومنا هذا أضرحة ومآثر هذا البيت.



شجرة آل الشيخ عبد الله الخياط الزهرهوني

الخياط، إبراهيم بن عبد العزيز من أهل القرن الحادي عشر (17 م)، دفن داخل باب الفتوح من فاس، وهو والد محمد فتحا (ت. 1140 / 1728) واسطة عقد حفدة الشيخ عبد الله الخياط. وهناك شخص آخر متأخر باسم إبراهيم بن عبد العزيز الخياط ممن يشار إليه بالخير والصلاح. توفي سنة 1308/90. 1891.

الخياط، إبراهيم بن عبد الله بن أحمد الرفاعي، اليميني مولدا الوهراني مدفنا، جد بيت الخياطة. لا تضبط المصادر من سيرته إلا ثلاثة تواريخ : عام 859 / 4، 1455 الذي ألقى فيه عصا التسيار بالقاهرة بعد سياحة صوفية، وعام 884 / 79، 1480 الذي انتسب فيه إلى الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493)، وعام 888 / 3، 1484 الذي أمره فيه شيخه زروق بالرحلة إلى المغرب.

وتكشف هذه الاضاءات الثلاث عن المعالم البارزة في هذه السيرة : فالقاهرة احتضت أطواراً حاسمة من الحركة الصوفية التي انخرط فيها إبراهيم الرفاعي، والتي نشأت عن التقاء حركتين صوفيتين يمنية ومغربية، تزعم الأولى الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي (ت. 895 / 1489)، وتصدر

الثانية أحمد زروق. وإذا كنا لا نستبعد خروج إبراهيم الرفاعي من بلده من اليمن في صحبة أحمد الحضرمي ودخوله القاهرة معه، فإننا لا نشك في اتصاله به إبان استقراره بها، وقد انتشر صيته وأصبح مقصد المتشوفين من أمثاله إلى التصوف ورجاله. ولا يعكس خطورة شخصية الحضرمي الصوفية مثل الأثر الذي خلفه في تلميذه زروق الذي اعتمد في الطريق والتحقيق عليه، وصدر به في الطبقة الأولى من طبقات المشايخ الذين صحبهم، وقال إنه مألوف أعرف بالله ولا أكبر منه، وكان لا ينقل في كتبه إلا عنه. وقد اتصل زروق بشيخ الحضرمي في القاهرة أول مرة عند عودته من الحجاز عام 876 / 1471، فانتسب إليه وصحبه سبعة أشهر أو نحوها، وصار من خاصة أتباعه. وحدث هذا الاتصال والانتساب بعد يأس الحضرمي من أهل مصر، وتوجهه في دعوته إلى المغاربة الذين كان يرى أنهم المخصوصون بطريقته. فكانت أولى الكلمات التي سمعها زروق منه خلال زيارته الأولى له مع جماعة من المغاربة هي : "أخرجوا من هذه البلاد فإنها تذهب بنور الإيمان، وعلى كل من دخلها أن يتركها حتى يجدد دينه"، وتكرر نصحه لهم : "إن تربة المغرب طيبة، فإذا رجعت إليها تطيب قلوبكم"، وحين سئل مرة : "ما بال الرسل بعثوا إلى المشرق ولم يبعثوا إلى المغرب ؟" كان جوابه : "لأن الطبيب لا يذهب إلا إلى محل العلة !".

وتفصل ثمانية أعوام بين انتساب زروق إلى الحضرمي وبين انتساب إبراهيم الرفاعي إليه عام 884 / 1480، وهي مدة قضي زروق السنوات الثلاث الأولى منها في التردد بين مصر والحجاز، والعمل في إطار الحركة الصوفية التي يتزعمها الحضرمي بالقاهرة، وأمضى بقيتها في بلده المغرب الذي عاد إليه، وأخرج به أنفس تصانيفه وهو كتاب "قواعد التصوف"، وقاد حركة إصلاحية صوفية وعلمية كبرى، انتهت إلى فساد العلاقة بينه وبين القائمين على الرئاسة الروحية، واضطرته إلى الخروج من فاس مغاضبا عام 883 / 1478. فيسجل هذا الانتساب انخراط إبراهيم الرفاعي في المشروع الإصلاحي الزروقي الذي توضحت معالمه غداة استقرار الشيخ زروق بالمغرب، ومهد لعصر التصوف الذي سيدخله، والذي ستحقق فيه الغلبة للشاذلية من طريق الشيخين الجزولي وزروق. وفي هذا الإطار انتقل إبراهيم الرفاعي مع شيخه زروق من القاهرة إلى برقه بأهله وولده، ومكث بها إلى أن أمره بالتوجه إلى المغرب عام 888 / 1484، فرحل بأولاده الثلاثة : عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وولد له عبد الله بقابس في العام الذي يليه 889 / 1485، وتوقف بالشجر الوهراني واستوطنه. ونفسر هذا التوقف بانسداد آفاق المغرب في وجه الزروقيين، فالشيخ زروق لم يلبث أن التحق بالمغرب الأوسط عام 891 أو 892 / 1487 قصد لم شمل بيته، إذ كان خلف بفاس زوجته فاطمة الزلاعية وابنيه الأحمدين الأكبر والأصغر.

وعلى الرغم من مرور ثماني أو تسع سنين على خلافه مع أرباب الرئاسة الصوفية من قومه، تجده يحجم عن دخول المغرب ويفضل الانتظار بين أتباعه من أهل المغرب الأوسط إلى أن يلحق به زوجه وولده. وحتى بعد وفاته (899 / 1493) فإن ابنه المذكورين غادرا مصراته متجهين غربا، لكنهما توقفا أيضاً بمدينة قسطنطينة، واستقرا بها نهائياً، ولم يصلا المغرب ولم يدخلاه.

وإذا كانت قرية "تامقرة" الواقعة عند "بني عبدل" بضواحي بجاية مركز الحركة الزروقية بالمغرب الأوسط في حياة الشيخ أحمد زروق، وقاعدتها المتقدمة في اتجاه المشرق. وفي معبدها الشهير الذي أسسه الشيخ يحيى بن محمد العبدلي - الذي أخذ عنه زروق - انتسب إلى الزروقية أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) وأحمد بن خدة والصغير بن محمد الأخضر ونجله عبد الرحمان ومحمد بن علي الخروبي (ت. 963 / 1556)، وغيرهم من الأعلام. فان استقرار إبراهيم الرفاعي بوهران قد هيا للزروقية إحدى قواعدها المتقدمة في اتجاه المغرب، وأحد مراكزها النشطة في المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، والتي ستعزز بحركة الشيخ أحمد بن يوسف في إقليم بني راشد، والتي ستعم هذه المنطقة برمتها، وتقهد الطريق لعودة الزروقية إلى المغرب وانتشارها به.

ولاشك أن الشيخ أحمد زروق قد أذن لإبراهيم الرفاعي بالتصدر للمشيخة في وهران، وإذا كنا لا نستطيع تحديد المدة التي قضاها بهذا الثغر، فإنها كانت كافية لاشتهاره بالصلاح بين أهلها وظهوره بينهم بالكرامات. يشهد على ذلك لقب الخياط الذي أطلقه الوهرانيون عليه اعتقاداً في قدرته الخارقة على رتق الجرح الغائر، وأيضاً ضريحه - الذي ثوى به رفات ابنه عمر - والذي أضحي حرماً ومزاراً عظيماً بهذه الحاضرة.

اتسع النفوذ الروحي لآل الخياط خارج وهران، فانتقل نجله محمد العربي إلي مازونة، ومدفنه بين المعسكر والموضع المذكور. أما ابنه محمد الطيب، وعبد الله الذي كان ما يزال يومئذ في سن الاحتلام فقد يما فاس يحملان معهما المشروع الزروقي - الرفاعي إلى غايته وبلغانه إلى نهايته. وإذا كنا لا نعلم هل والدهما هو الذي بعث بهما في حياته، أم أنهما قصدا المغرب بعد وفاته، فان هذا الخروج قد تم في إطار النضال الذي كرس له الشيخ إبراهيم حياته، ونشأ أولاده وشبوا في خضمه، والهادف إلى نشر الطريقة الزروقية بالمغرب. وقد أتى هذا الكفاح أكله على يد عبد الله الذي أفاد من كل هذه المجهودات فأفلق في غرس البذرة الزروقية - الرفاعية في تربة زرهون، فأينعت دوحة انتشرت أفيائها في البلاد شرقاً وغرباً وقدر لها البقاء إلى هلم جرأ.

الخياط، إبراهيم بن عبد الله حفيد سميح المترجم له قبله، ويكر الشيخ عبد الله الخياط مؤسس الزاوية الخياطية، وخليفته عليها بعد وفاته التي حدثت عام 1939/ 1533. يلقب "بصاحب سلسلة الذهب" لأن جل من اشتهر بالصلاح من حفدة الشيخ عبد الله الخياط لا نجده إلا من أولاده دون أخويه محمد وعبد العزيز، ويقول مترجموه إن ذلك بدعوة من والده. وتسكت المصادر عن أخبار مشيخته لزاوية زرهون، وربما للظروف العصبية التي تمت فيها، والمتصلة بزوال ملك الوطاسيين الذين شايعهم والده وطاقفته وانتقال الحكم إلى خصومهم السعديين. وكل ما تذكره عنه علمه وصلاحه وعنايته بنجله علي الذي أورثه مشيخته الزاوية بعده، وأنه دفن بزرهون.

الخياط، أحمد هو أحد أبناء عمومة محمد بن إبراهيم ومعاصره (لم يذكر في الجدول السابق). ذكره صاحب نشر الثاني ضمن الأشياخ الذين لم يحضره عام وفاتهم من أهل المائة الثانية عشرة (18 م)، ويبدو أن اسم والده الذي استوطن فاسا لم يحضره أيضاً، فاكتمى بالاشارة إلى أنه من عقب الشيخ عبد الله الخياط. انتسب إلى الشيخ محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي (ت. 1115 / 3، 1704) المتصدر لمشيخة زاويته الكائنة بالشرشور من فاس القرويين، وأخذ معه عن الشيخ محمد بن عبد الله العلمي اليمليحي دفين وزان، ثم من بعد وفاته عن ولده الشيخ التهامي، ثم من بعد وفاته عن أخيه الشيخ الطيب. واشتهر أحمد الخياط بالانتساب إلى الطائفة التهامية. الوزانية بفاس، وبملازمته لأوراده وتلاوة أحزاب أشياخه ومدولة الجلالة. وأنه كان يحترف الفلاحة وكسب الماشية، كثير الصدقة والمودة لأهل البيت والإكرام لهم. وأنه حج فأنفق بالحجاز أموالاً على الضعفاء والمساكين. وفي حدود عام 1150 / 7، 1738 أخذ سمت إلى الزاوية الوزانية، فأدركته الوفاة من غير مرض بدبار بني مالك في الغرب، ودفن بأرضهم، وخلف بفاس أولاداً.

الخياط، الجيلاني بن الهاشمي يوجد ضريحه بزرهون أسفل ضريح جده عبد الله الخياط. فقيه مكاشف، توفي عام 1244 / 8، 1829.

الخياط، الجيلاني بن الهاشمي يشترك مع المترجم قبله في الاسم والمدفن، توفي عام 1344 / 5، 1926، ووصفه صاحب إتحاف المطالع بالشارك النابغة.

الخياط، عبد العزيز بن علي نجل الخليفة الثاني على الزاوية الخياطية بزرهون، ووالده علي بن إبراهيم هو أول من استوطن فاساً من عقب الشيخ عبد الله الخياط. ولا نعلم هل ولد بفاس أم بزرهون، ولعله مخضرم عاش طرفاً من القرن العشر (16 م) وطرفاً من الذي يليه، ودفن داخل باب الفتوح.

الخياط، عبد الله بن إبراهيم القباسي مولدا الزرهوني مدفنا، مؤسس الزاوية الخياطية بزرهون ومعلم بداية الحقبة الثانية من تاريخ الصلاح بهذا الجبل، بعد الحقبة الأولى التي ارتبطت بضريح المولى إدريس (ت. 177 / 793). وتوهم المصادر التي تؤرخ لسيرته بالنشأة الصوفية الجزولية له وسبقها على اتصاله بالزروقية، وتصور دخوله المغرب دخول العاطل من الصلاح بالمرة، وتهون من قدمته صغيراً دون الاحتلام وتلميذاً في بدايات مراحل طلب العلم ظاهره وباطنه. والحال أن هذا الطفل قد جاء يحمل إرث نضال جيل من سلفه في سبيل نشر الطريقة الزروقية، من القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. ويتمتع بشهرة بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، ويتحلى بسنده الرفيع في الزروقية، وواسطته المعتبرة فيها والده وإخوته أعلام الطبقة الأولى في هذه الطريقة. ولا يستبعد أن تكون فرصة رؤية الشيخ زروق قد أتاحت له خلال العقد الأول من حياته، ووافقت وفاة الشيخ اكتماله. وزيادة على ذلك فقد دخل المغرب في صحبة أخيه محمد العربي وابن خالته عمر الخطاب ذي الخطورة في عصر التصوف هذا. ولا شك أن إخوانهم الزروقيين المغاربة كانوا في انتظارهم وهبوا لاستقبالهم، وعلى رأسهم إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف "بأنفحام" أو "أفهام" (ت. 1520/926) شيخ أهل الملامة بمغرب القرن العاشر (16 م)، وأبي إسحاق الزهرني أيضاً، وغيرهما.

وبدأ عبد الله الخياط دراسته بمكناس مع ابن خالته عمر الخطاب، وانتقل بعدها لاستكمال تعليمه بالحاضرة الوطاسية فاس التي أدرك بها الطبقة العلمية التي عاش أفرادها معظم حياتهم في القرن التاسع (15 م)، وأدركوا العقود الأولى من القرن العاشر (16 م)، وهي طبقة الإمام محمد بن غازي المكناسي (ت. 919/1513). وبفاس توفي أخوه محمد العربي، ودفن بباب الفتوح. كما أدرك عبد الله وعمر أعلام الطبقة الجزولية الأولى، فبادرا إلى الانتساب لهم والأخذ عنهم. فصحب عمر الخطاب عبد العزيز التباع (ت. 8/914 — 1509)، واختص عبد الله الخياط بصحبة الشيخ الحسن بن عمر أجانا، وهو أحد الأربعة المشاهير من صحب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 5/870 - 1466)، والذين تخرجت على أيديهم الشيوخ وانتشرت منهم الرجال وتفرعت بهم الطريقة

الجزولية. ولازمه عبد الله اثنتي عشرة سنة، ولا تذكر كتب الطبقات من أتباع هذا الشيخ سواء. وتخبر بأن أجانا السوسسي هو الذي وجهه إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 1524/931)، صدر الطبقة الزروقية الأولى، وكبير مشايخ التصوف بالمغرب الأوسط في وقته، وشيخ المشايخ والطوائف الزروقية بالمغرب الأقصى، من الربع الأول من القرن العاشر (16 م) إلى هلم جراً.

وتجديد عبد الله الخياط العهد بالزروقية واتصاله بالراشدي، وإن أوعزته المصادر إلى إشارة شيخه أجانا، فإنه لا يزيد عن كونه حلقة من حلقات الحركة الزروقية الدائبة والمناضلة من أجل الانتشار بالمغرب، واتصال بين البيتين الزروقيين الكبيرين الرفاعي والراشدي اللذين أذنا لعهد حاسم من تاريخ هذه الطريقة بالمغرب، والذي انتهى إلى تقاسمها النفوذ الروحي به مع الجزولية، وتمكين الشاذلية من أن تصبح الطريقة الرسمية به. وتردد عبد الله الخياط إلى المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، وإن كان يسوغه لقاء الشيخ الراشدي، فإنه يملية ويوجهه تعاوده لأهله المستوطنين والمنتشرين بهذه المنطقة. وعليه يكون لقاء الخياط بالراشدي لقاء أخذ وانتساب، وفي نفس الآن لقاء تشاور وتدبر وتنسيق، ويعضد هذا القول اصطحاب الخياط في رجوعه إلى المغرب أحمد بن عبد الله المنزولي شيخ الطائفة "اليوسيفية" التي ستشتهر خلال القرن الحادي عشر (17 م) "بالعكاكة".

وإذا علمنا بخطورة المذهب الصوفي الذي دعا إليه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي في إطار مبدأ الاستحسان الذي بنى عليه الشيخ أحمد زروق طريقته، والذي يقر حرية الاختيار المذهبي في الطريقة شرط التقيد بالكتاب والسنة. وهو المذهب الذي اضطلع "اليوسفيون" بنشره والدعوة إليه بالمغرب، وقوامه مذهب المحبة الخالصة في صورته التي اكتملت على يد أبي يزيد البسطامي (ت. 874/241). وأضافنا إلى المشاكل الفكرية والصراعات الخطيرة التي سنشأ عن هذا الاتجاه الزروقي - الراشدي الخلافات الحادة والموروثة من أيام فساد العلاقة بين زروق ومشايخ الطبقة الأولى في الجزولية، حق لنا أن نتساءل عن سر التوفيق الذي صادفه عبد الله الخياط رغم تاريخه الزروقي الشديد الوشائج بكل هذه المثبطات والمعوقات ؟

اختلف زروق مع الجزوليين في دفاعه عن الرئاسة والقائمين عليها من الأمراء، وتحريمه الخروج عن الإمام بقول أو فعل، لأنها وسيلة حفظ النظام، والذي يتحقق به الذب عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وإقامة حرمتهم، والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلباً ودفعاً. ودعا إلى الحفاظ على الدولة الوطاسية الناشئة على ضعفها، والسعي في المصالح العامة تحت إمرة حكامها، وعدم إغراء الرعية بالفتنة وشق عصا طاعتهم. وعارض زروق المشروع الجزولي الداعي إلى مراعاة المصالح العامة التي قصرت عنها هم

الملوك، من جهاد وتعليم وإطعام ورد المظالم. وحذر من تتبع الفضائل وطلب المنافع العامة، لما تؤدي إليه من عظيم الضرر بحسب الزمان والعقول، ولما تعرض له من الأذى والرمي بالقيام. وأوعد كل مريد مال إلى ركوب الخيل، وأثر المصالح العامة، واشتغل بتغيير المنكر في العموم، أو توجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حال كونه في فسحة منه، أو أراد استيفاء الفضائل، أو اتبع كل ناعق وقائل بحق أو باطل. ولم يفد الوطاسيون من الدعوة الزروقية التي تحمل كل مقومات الصبغة الدينية للملكهم، ربما مدهانة واستمالة لخصيمتها الحركة الجزولية القوية، وكانوا في الشيخ زروق من الزاهدين.

كان هذا قبل خلع الجزوليين ببيعة بني وطاس من رقيتهم، أما بعد أن فتحوا عليهم باب الفتق، وباعروا الشرفاء الزيدانيين على إمارة الجهاد عام 10/916 - 1511، فلم يبق لهم إلا الزروقيون ظهيراً ونصيراً. نعم ظل بين ظهرانهم جزوليون، لكن من الثابتين على بيعتهم، أما الذين تشبهوا للحركة السعيدية التي تزعمها جزولية الجنوب، فقد بادروا إلى هجرة السلطنة الوطاسية، والتحقوا بمراكش التي خضعت للسعديين في حدود 3/930 - 1524، وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الله الغزواني (ت. 8/935 - 1529). وإذا اعتبرنا العلاقة الحسنة التي نظمت بين الزروقيين - الراشدين والأتراك بالمغرب الأوسط، منذ ظهور الأخوين عروج وخير الدين ومبايعتهما على إمارة الجهاد به، ووصل الوطاسيين حبلمهم بهؤلاء الأخيرين. أمكننا الاطمئنان إلى القول برجحان كفة الزروقيين في السلطنة الوطاسية، وإفادتهم من دعم أمرائها مادياً ومعنوياً، وتوفر أسباب الظهور لزواياهم والانتشار لطوائفهم.

وزيادة على هذا فإن ثقافة وعلوم الشيخ عبد الله الخياط الظاهرة والباطنة، التي حملها بعد ملازمة علماء الحاضرة الوطاسية، والاختصاص بصحبة أحد المشايخ الأربعة الكبار من صحب الإمام الجزولي، جعلته يتنكب عن الانفلات من بواب الاستحسان إلى مذهب غير المذهبين اللذين أبدعهما كل من الشيخين الجزولي وزروق، ويتحرى في علمه وعمله التمسك بالسنة واجتناب البدعة. وتميز بذلك عن مشاهير الطبقة الزروقية الأولى الذين حاولوا معالجة مشاكل العصر المختلفة بأفكار تنتمي إلى مذاهب صوفية مختلف في شأنها، كاليسطامية التي أحيها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والملاطمية التي أحيها الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام. واستطاع الخياط بدرجة الرفيعة في الشاذلية، التي جاءته من صدارة الطبقة الثانية في الزروقية، والامتياز بالاختصاص بالشيخ أجانا من بين أفراد الطبقة الجزولية الثانية، أن يستقطب الاتجاه الذي سيطع العصر، وينتهي بالمصالحة بين الجزوليين والزوقيين، وميل أهل العصر برمتهم إلى التصوف وبالأخص الفقهاء وعلماء الظاهر، وتحقق

الغلبة للشاذلية بالمغرب من طريق الإمامين الجزولي وزروق. وتؤكد هذه الفرضيات خصوصية نشأة الزاوية الحياطية، المستندة أساساً إلى الجاه المعنوي المحض : فالشيخ عبد الله الحياط يمني التجار غريب الدار ليس عن زرهون فحسب بل وعن المغرب برمته، والأرض التي شيد بها زاويته الأولى ليس له فيها أجداد ولا أملاك، وليس بيده ظواهر توقيير واحترام وتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة. وأهل جماعة الخلافة النازلون بالوجه الذي يلي وادي مكس من جبل زرهون هم الذين وهبوا له بلادا تسمى كدية التراب مع ما حولها من الأرض ليستعين بها على تأسيس زاوية يجمع فيها المريدين ويطعم بها الواردين. ولم يجتمع كل الزهانة على المحبة في الشيخ عبد الله الحياط، وأنف أهل قلعة بني المنصور من زاويته التي نشأت بجوارهم، وكادوا له كيداً. فكانوا إذا حلت الصلاة يذهبون إلى العين التي يتوضأ فيها ويضعون فيها النجاسة، وحرصوا صغارهم فقطعوا ألسنة بقر كان يستعين به على القيام بوظائف الزاوية. ولم يكفوا إذايتهم عنه إلى أن هجر زاويته، وانتقل عنهم إلى مدرش المغاسين من الوجه الذي يلي مكناسة. وتعفو المصادر عن تفاصيل المصاعب التي جعلت الشيخ عبد الله الحياط يتقلب بين سفوح زرهون، وتؤكد هلاك خصومه، وتعزو فناهم إلى الوباء. وتنتهي هذه المرحلة بعودة الحياط إلى موضعه الأول، وبناء زاويته بداره الكائنة بالغابة التي في ضفة العين المسماة عين الدار، وتسمى "تالغزا".

وتخلو هذه المصادر من التطورات التي أفضت إلى الشهرة التي طارت للشيخ عبد الله الحياط وزاويته في الآفاق شرقا وغربا، وكيف أصبح له صيت بعيد، ومحفل عجيب، يأوي إليه القريب والبعيد. وقدنا بنتف من أخبار هذه الزاوية لا يتطرق معها الشك في كونها أصبحت أكبر وأعظم زاوية في السلطنة الوطاسية : فقد بلغ مريدوها عشرين ألفا، وأحيانا يزيدون وأحيانا ينقصون، وهذا ضعف ما اجتمع على الشيخ محمد بن سليمان الجزولي من أتباع. ويعطي فكرة عن استبحار عمرانها، وتوسعها في الإطعام، وأنها لم يكن في القطر والعصر مثلها في هذا المضمار، وأنها قد توفرت فيها كل مواصفات المركز العلمي الممتاز. وقد أصبح الشيخ عبد الله الحياط مؤثلا لأهل العلم، وتصدر في زاويته للتدريس، وكان غالب قراءته الرسالة القيروانية والحكم العطائية. وكان تلامذته المعتمدون للتدريس في الزاوية، وقد اجتمع فيها ما ينيف على الألف من حملة القرآن، وانفردت بالطور النشط من أطوار الحياة العلمية والصوفية بزرهون.

وقد تواتر أن عدد أصحابه من المقيمين للزوايا ثلاثمائة وستة وستون، وتحقيق تاريخ هذه الفروع يحتاج إلى بحث مستقل. وتكفي الإشارة إلى تعيين سيرته الموسومة بجواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الحياط لاسم خمسة

وخمسين منهم، ينتمون إلى مختلف أصقاع المغرب من ميسور إلى سوس، وينتشرون في كبريات الحواضر فاس ومكناس ومراكش، وفي البوادي وعرها وسهلها، في الغرب وأزغار وتادلا والشاوية وزيز ودرعة. ويعد من نافلة القول أن فيهم من أذن له الشيخ عبد الله الحياط بفتح الزاوية في حياته، وفيهم من أقامها بعد وفاته. لكن يبقى أن شد الرحلة إليه من مختلف أنحاء البلاد يعبر عن المدى البعيد لصيته وشهرته، وأن الناس كانوا ينسلون إليه من كل حذب وصوب.

ولا سبيل إلى ذكر كل هؤلاء بأسمائهم، ونحسب على التنويه بالمشاهير منهم ممن عنيت بهم كتب الطبقات. وصدرهم الشيخ أبو الطيب البحياوي الميسوري (ت. 988 / 80. 1581)، الذي ظل يزور ضريح شيخه بالاركان رأس كل سنة إلى أن مات. ومحمد بن أحمد العايدي (ت. 984 / 6 - 1577)، الذي أقطعه الحياط قبيلة السوالم من قبائل الشاوية لتخدمه، وقصد فاس بعد وفاة شيخه وتوفي بها. وموسى بن علي الزرهوني المعروف بذي الصخرة، ومحمد بوكرين اليازغي الذي اشتهر بمداواة الجذماء. وأبو القاسم ابن منصور الغمري (ت. حوالي 970 / 1562)، وهو مؤلف أقدم سيرة مفردة في الشيخ عبد الله الحياط، والموسومة بجواهر السماط في مناقب شيخنا الحياط، وعليه اعتمد المتأخرون وجل ما نقلوه منه. وقد أسس زاوية رتب فيها للطلبة والمدرسين أرزاقهم، ولا ندري أكانت في زرهون أم في موطنه الأصلي بقبيلة غمرة في جوار مولاي يعقوب من أرباض مدينة فاس أم في مدفته على ضفاف نهر ملوية. ويحيى بن بكار الغمدي، دفن جبل ويلان قرية على مرحلة من فاس. وقد اشتهر بمد الثغور بالخيول والعدة، وكان الناس يقصدونه بصدقاتهم من جميع الآفاق فيفرقها على يديه في وجوه البر وأكثرها في الجهاد وافتكاك الأسرى. وعلي بن أبي بكر السكتاني (ت. 964 / 1557) متقلد خططي الفتيا والقضاء بمراكش أول عهد الشرفاء الزيدانيين. وقد أقام مدة بالزاوية الحياطية، واستجاز شيخها في بعض كتب التصوف.

وبالإضافة إلى كثرة أتباع الزاوية الحياطية وتعدد فروعها، فقد نظمت بينها وبين الزاوية العيساوية بمكناس علاقات ترجمتها المحبة التي كانت بين شيخيهما والمراسلة التي تمت بينهما. كما حدثت زيارة السيدة رحمة والده الشيخ أبي عبيد الشرقي للشيخ عبد الله الحياط، كما حصل اتصال بين والده أبي القاسم الزعري والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي. وهذه معالم في شبكة علاقة الزاوية الحياطية بغيرها من الزوايا والبيوتات الصوفية، وهي شبكة واسعة تغطي حواضر وبادي السلطنة الوطاسية، وتمتد إلى القطر التادلي الذي يمثل حدودها الجنوبية.

وتتردد المصادر في الإفصاح عن حقيقة الدور السياسي الذي لعبته الزاوية الحياطية، فهي تقر بأن الأمراء

الوطاسيين كانوا يكتنونها من مواردها الأساسية، ويبعثون إليها الغنم والبقر والقمح وغير ذلك. وأنهم كانوا يخدمون الشيخ عبد الله الخياط، ويشاورونه في الملمات، وإنه قال يوماً إنه طلب الله ألا يخرج الملك من أيديهم مادام على وجه الأرض. وتؤكد عدم وقوفه في صفهم ضد خصومهم داخل حدود مملكتهم. فقد طلب منه أحد الأمراء أن يمدّه بطائفة من المريدن الذين عنده في الزاوية ليستعين بهم على قتال بعض الخارجين عليهم، فكتب إليه "ليعلم أمير المؤمنين أن أصحابنا ليسوا أصحاب قتال ولا مشاحنة، وإنما هم أصحاب ذكر وتلاوة قرآن وعبادة لله تعالى، وهذا كتابنا عوضاً منا ومنهم". ولما وقع ما وقع بينهم وبين الشرفاء الزيدانيين من الخلاف جمع الفقراء، وقال لهم "إخواني الخلاف يهيج العداوة، ومع العداوة ينزل البلاء، وسلموا الأمر إلى الأمراء على ظاهر الأمور".

وتعرب وفاة الشيخ عبد الله الخياط التي حدثت عصر الاثنين 14 شوال 939 / 9 مارس 1533، عن انغماسه في الصراع السياسي الدائر بين الوطاسيين والسعديين، والذي لقي حتفه في خضمه. وإذا كانت المصادر لا تعين من أقدم على دس السم له، فإنه لن يكون إلا من أعداء بني وطاس الذين ثبت الخياط على بيعتهم، وكان الصبغة الدينية للملكهم، وقطب الحركة الصوفية الداعمة لدولتهم والموازنة للحركة الصوفية المتشعبة لخصومهم. ولا أدل على ارتباط مصير الدولة الوطاسية بالزاوية الخياطية من ربط الرواية المتعلقة باغتيال الشيخ عبد الله الخياط بين "بقائه على وجه الأرض" وبقاء ملك بني وطاس، وذكرها أن السلطان أحمد بن محمد البرتغالي (931 - 955 / 1524 - 1548) قد بعث بعض خواصه يقفون على جنازة الشيخ، وعين لهم موضع دفنه ليستقيم له البناء عليه. وقال لهم: "اجعلوا الشيخ في تابوت من خشب، واتركوه على وجه الأرض، ولا تحفروا له قبراً، ثم اجعلوا على ذلك التابوت دربوزاً، واجعلوا عليه حائلاً آخر، فعلى هذه الحالة يبقى على وجه الأرض، وإياكم ثم إياكم أن يشعر بكم أحد من أقاربه أو أصحابه". وتقول هذه الرواية إن السعديين الذين علموا بالأمر تحايّلوا على أبناء الشيخ، ودفعوهم إلى دفنه وكتمان الأمر على السلطان الوطاسي.

وإنها لمصادفة عجيبة أن تاذن وفاة الشيخ عبد الله الخياط لنهاية الوطاسيين، فبعدها قريباً ستقع عليهم الهزيمة في معركة بوعقبة عام 6/943 - 1537، وتنتهي بخسارة تادلا وتامسنا. وعقد الصلح بينهم وبين السعديين على ذلك، ولم تلبث حاضرتهم فاس أن سقطت في أيدي الشرفاء بعد عقد ونيف على هذا التاريخ. وكانت الزاوية الخياطية حاضرة بقوة في هذا الصلح في شخص الشيخ عمر الخطّاب ابن خالة شيخها الهالك، والذي لا تذكر المصادر من الصلحاء المفاوضين باسم الوطاسيين سوى اسمه واسم الشيخ الملامتي أحمد بن حسين العبدلي السهلي المعروف بأبي

الرواين (ت. 963 / 1556)، المتصدر لمشيخة الزاوية العيساوية بمكناسة بعد وفاة مؤسسها عام 6/933 - 1527. وتكرر الإشارة إلى ارتباط مصير الوطاسيين بالخياطيين، وتذكر الرواية أن الخطّاب حلف - إبان هذا الصلح - لا دخل السعديون فاس مادام على وجه الأرض. ورأى بعضهم أنه كان على بني وطاس ألا يتركوه هو الآخر يدفن، وأن يرفعوه في تابوت على الأعناق. وكما كانت الزاوية الخياطية بمثابة العصبية الدينية للدولة الوطاسية، كذلك انحلت عراها بزوال ملك الوطاسيين، وتسكت المصادر عن علاقتها بالسعديين وقد خضعت لهم الحاضرة الوطاسية، ولا نعلم نصيبها من الامتحان الذي أمر به السلطان محمد الشيخ المهدي عام 958 / 1551، وقصد به أرباب الزوايا مطالبا إياهم بودائع أموال بني وطاس، ومتهمهم بذلك.

وقد خلف الشيخ عبد الله الخياط ثلاثة من الأولاد هم إبراهيم الملقب "بصاحب سلسلة الذهب" ومحمد وعبد العزيز، ومات واحد في حياته، ولم يترك أنثى. وورث مشيخة الزاوية بعده ابنه إبراهيم، وحفيده علي نجل هذا الأخير، والذي قضى نحبه أواخر القرن العاشر (16 م)، وتورخ خلافتها لبوادر تحول في تاريخ الزاوية الخياطية سينتهي بإفتراق مشايخها بين زرهون وفسسّاس. وبموت الشيخ علي بفاس، وانقطاع خلافة زاوية زرهون في عقبه، وانقضاء أجل أعمامه، تنازع أحفاد الشيخ عبد الله الخياط وأولاد أحفاده على الزاوية وأخذ الصدقات وخراج القبائل التي كانت تخدمه، وحدث ذلك عام 1007 / 1598، وأفضى إلى تدخل السلطان السعدي الذي حَكَّم في قضيتهم قاضي مكناسة وناحتها الفقيه أبا القاسم بن أبي النعيم الغساني (ت. 2 / 1032 - 1623). فقسم القاضي أبو النعيم خراج هذه القبائل على هؤلاء الأولاد، ووزع عليهم شهور السنة أرباعاً ثلاثة أشهر لكل فريق منهم يقوم خلالها كل فريق بأمور الزاوية كلها، وجعل ما يرد على ضريح جدهم يقسم بينهم من غير اختصاص لأحد على الآخر.

وتعنى كتب التراجم الفاسية المصنفة خلال القرن الثاني عشر (18 م) وما بعده بأخبار عقب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الخياط الذين اندمجوا في نسيج الحاضرة الفاسية، وشكلوا إحدى بيوتاتها الكبيرة التي تمتعت بكل مقومات الجاه الديني والدنيوي، من علم وصلاح وشرف نسب ويسار. وتسجل المحاولة التي قام بها واسطة عقد هذا الفرع محمد بن إبراهيم الخياطي (ت. 1140 / 1727)، الذي أنشأ زاوية بدرب الحرة من طالعة فاس، وجمع فيها أتباع جده، ومن كان يخدمه على صلاحه وماله. وهو العلم الوحيد من أعلام الخياطة الذي ذُلبت بأخباره السيرة المفردة والمتجددة في جده عبد الله الخياط والموسومة بـ *جواهر السماط*. ولم ينقطع العلم والصلاح في الفرع الخياطي الذي رضي بزرهون مأوى، وتعلق بخدمة ضريح جد الخياطة، واستمر ذكر بعض أعيانهم في كتب التراجم المصنفة في أهل القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 و 20 م).

الخياط، مَحْمَد - فتحاً - بن إبراهيم. يفصل قرنان كاملان بين وفاة الشيخ عبد الله الخياط (ت. 1533/939) ووفاته حفيده مَحْمَد فتحاً بن إبراهيم (ت. 1727/1140)، ويمتاز هذا الحفيد عن بقية عقب مؤسس الزاوية الخياطية بالحظوة بعناية كتاب التراجم، بل وبالتدليل بترجمته للسيرة المفردة في جده المذكور، والموسومة بجواهر السماط، والمؤلفة خلال القرن العاشر (16 م) من قبل تلميذه أبي القاسم بن منصور الغمري (ت. حوالي 1562/970). وقد تجدد الاهتمام بهذه السيرة خلال القرن الثاني عشر (18 م)، ونسب التأليف فيها إلى شيخ الجماعة بفاس محمد المسناوي الدلائي (ت. 1724.3/1136)، وتعضد هذه النسبة محبة المسناوي في الشيخ عبد الله الخياط، وكثرة زيارته لضريحه بزرهون. ويعزو صاحب سلوة الأنفاس هذا التقيد إلى أحد تلاميذ المسناوي أو لبعض من تتلمذ عليهم، ولا ندري أهو محمد بن عبد الله الرفي (ت. 1782/1196) أم هو مصنف آخر؟ والنسختان الخطيتان والمتوفرتان من "جواهر السماط" في الخزنة العامة بالرباط منسوبتان إلى الرفي، ولحسن الحظ مزيلتان بترجمة محمد بن إبراهيم الخياط. وتخبران بأن هذه الترجمة هي لأحد تلامذة الرفي، ولا تفيدان في معرفة ما إذا كان هذا المؤلف المجهول قد أخرجها في تقيد مستقل وغيره هو الذي ذيل بها سيرة جده، أم أن هذا المؤلف هو الذي شاء لتقييده أن يكون ذيلاً أو باباً أخيراً من أبواب هذه السيرة. ومهما كان الأمر، فهو جمع واع وإشارة ذكية إلى أن الزاوية الخياطية لم تنجب بعد مؤسسها مثل حفيده محمد بن إبراهيم، وأنه واسطة عقد حفدته، ومحبي رسم الخياطة الماحل.

وإذا كانت مصادر القرنين العاشر والحدي عشر (16 و17 م) لا تفصح عن طبيعة النشاط الصوفي الذي اضطلع به أسلاف الشيخ محمد بن إبراهيم الذين استوطنوا الحاضرة الإدريسية منذ أواخر القرن العاشر، فإن مصادر القرن الثاني عشر (18 م) تجمع على انتظام الخياطة الفاسية في سلك الطوائف الصوفية الكبرى المنتشرة بفاس. وقد رأينا ابن عمه ومعاصره أحمد الخياط المذكور قبله اشتهر بالانتساب إلى الطائفة التهامية - الوزانية، وأدركته المنية وهو في طريقه إلى وزان. وكذلك انتظم محمد بن إبراهيم في سلك الطائفة الناصرية، وذلك في حياة الشيخ محمد ابن ناصر (ت. 1674/1085). وقد أهلته نشأته الصوفية، وعلمه واختصاصه في التصوف والحديث، وقربته القوية في إقامة الدين، وشهرة بيته، وكثرة ماله، بأن أذن له الشيخ ابن ناصر بالخلافة على الزاوية الناصرية بفاس، والكاتنة بين حومة السياج وسوقة ابن صافي، وذلك على إثر زيارته له بدرعة. ويبدو أن طموح ابن إبراهيم كان أكبر من أن يصير مقدماً على الناصريين، فما لبث أن أنشأ زاويته الخاصة بإزاء داره بدرب الحرة وقرب زاوية شيخه ابن ناصر، وهي أول زاوية يقيمها بيت الخياطة بالحاضرة الإدريسية.

وتجمع المصادر على القبول الجسيم الذي صادفته هذه الزاوية، والصيت البعيد الذي صار لمتصدرها الشيخ ابن إبراهيم، وأنها كادت أن تكون أكبر الزوايا بفاس على عهد الدولة الإسماعيلية. وتصف توسعها في الاطعام، وكثرة الازدحام عليها، وقصد الناس لها من الأفاق البعيدة، ومنهم من يأتي بالبقر والغنم والزرع وأحمال الحطب وغير ذلك. وتتفق هذه المصادر أيضاً على أن الزاوية الناصرية القريبة منها تضررت من مزاحمتها، ولم تقو على منافستها، وأن أتباعها وبالأخص ذوي القرابة لمشايع درعة لم ينظروا لها ولشيخها بعين الرضى. وأنهم كاتبوا الشيخ محمد بن ناصر، في بداية تأسيسها، ليصرف ابن إبراهيم عما لم يأذن له به من إقامة الزاوية وتلقين الأوراد الناصرية، وكتبوا إليه بعدما ظهر من أمرها ما ظهر مطالبين بحقهم في خيراتهما وسلطانها. ويعثوا إلى الشيخ أحمد بن ناصر (ت. 6/1129 - 1717) الخليفة من بعده، مشتركين من انشغال الشيخ ابن إبراهيم بزاويته، وإهماله لزاويتهم، وانقطاعه عن الذهاب إليها، وطالبوه بأن يعين لهم مقدماً منهم.

وتختلف المصادر بصدد الموقف الذي اتخذته مشايخ درعة من زاوية درب الحرة وشيخها، فيؤكد المؤلف المجهول لترجمة الشيخ ابن إبراهيم أن هؤلاء لم يلقوا بالا إلى هذه المكاتبات، للمكانة الرفيعة التي كانت له عند الشيخ محمد ابن ناصر الذي أقره على خلافة الفرع الناصري الفاسي، وأيضاً للمحبة الكبيرة التي كانت بينه وبين أحمد الخليفة، في حياة والده وبعد وفاته، والذي أجاب المعترضين بقوله زاويته زاويتنا والعكس. ولا يتفق محمد بن الطيب القادري (ت. 1773/1187) مع هذا المؤلف، ويقول إن الشيخ محمد ابن ناصر قد كتب إلى ابن إبراهيم ينهائه عن فعله، ويذكره بأنه لم يأذن له لا في بناء الزاوية ولا في جمع الفقراء وتلقينهم، وطلب منه أن يرجع إلى زاوية إخوانه الناصريين ويجمع معهم. ويزيد القادري بأن ابن إبراهيم امتنع من ذلك، وأن إخوانه الناصريين قاطعوه، وأنه لم يجتمع عليه في زاويته بدرب الحرة إلا أتباع جده عبد الله الخياط ومن يخدمه على ماله. ويستشف من حديثه استمرار نشاط هذه الزاوية على عهد تأليفه "لنشر"، وأنها مازالت تقوم برجالها ومالها بمختلف الأدوار المعهودة للزوايا، وأن أحد عقب الشيخ ابن إبراهيم واسمه طاهر كان يومها هو الفقيه والمدرس بهذه الزاوية. وقد اطلع محمد بن جعفر الكتاني (ت. 1926/1345) على جواهر السماط ونشر المثنائي، فاعتمد الأول في الترجمة التي عقدها للشيخ ابن إبراهيم من كتابه سلوة الأنفاس، ولم يحتفل بالمثنائي مكتفياً بالإشارة إليه، ومنتقداً القادري بأنه "حاد فيه عن المرام، وسلك سبيل التعسف والملام".

ومن أولاد الشيخ محمد بن إبراهيم المدفونين معه في زاويته ابنه : عبد القادر ومحمد اللذان توفيا أواخر القرن

على ذلك إلى أن توفي عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 1779.

بوشتي بوعسرية

ابن **الخياط حُسين**، **عبد السلام** أخو من قبله، كان أيضاً من فقهاء فاس وفضلائها. تولى نظارة أوقاف القرويين فحُمدت سيرته.

توفي بفاس يوم الجمعة ثالث ربيع الثاني عام سبعة وسبعين ومائة وألف / 20 أكتوبر 1763.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين* / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7.

محمد حجي

ابن **الخياط الزكاري**، **أحمد** بن محمد بن عمر بن عبد الهادي بن العربي بن محمد الحسني الفاسي. وُلد بفاس في منتصف شعبان عام 1252 وقرأ على نحو ثلاثين من كبار شيوخ المدينة، أجازه منهم ستة، ذكر إجازاتهم في فهرسته الوسطى. وقد وصل صاحب *رياض الجنة* نسب المترجم مسلسلاً إلى إدريس الأزهر صاحب فاس. وقال عنه : "الإمام العلامة النظار المحدث الأصولي الفقيه المعمر ... جوهره عقدهم (أولاد ابن الخياط الزكاري) بل مفخرة مدينة فاس في وقته وكفى به". وذكر أنه أخذ عنه الفقه والنحو والمصطلح، وسمع عليه صحيح البخاري والشفاء ليعياض، وأجازه.

أخذ المترجم الطريقة الدرقاوية عن الشيخ عبد الواحد ابن البدوي بناني، وهو عمدته في طريق القوم، وعلى يده تزهد وتجرد ولبس المرقعة وطاف في الأسواق يسأل الناس الصدقة. وقد أنكر عليه ذلك أشياخه وأقرانه من العلماء، وكان أشدهم إنكاراً عليه شيخه محمد گتون حتى قاطعه، ونهاه قاضي فاس عمر بن عبد القادر الرندة فلم ينته فسجنه مدة. وبقي على حاله بعد خروجه من السجن إلى أن أفاق من سكرته الصوفية. فرجع إلى القرويين يدرس ويبث العلم في صدور الرجال بإخلاص وتفان، وعين رئيساً للمجلس العلمي التحسيني عندما أريد إصلاح نظام التعليم بالقرويين في بداية عهد الحماية، وبقي في منصبه إلى أن وافته المنية.

ألف تأليف كثيرة أريت على المائة كتاب في الفقه والحديث ومصطلحه والسير، معظمها صغير الحجم لكن في غاية التحرير والتدقيق والإتقان، منها : حاشية على شرح الخرشى لفرائض مختصر خليل، وقد طبعت على الحجر مراراً ؛ وأخرى على شرح محمد بن عبد القادر الفاسي لنظم العربي الفاسي في مصطلح الحديث، وهي مطبوعة أيضاً ؛ وتأليف في العقائد على مذهب المتكلمين ؛ ورفع اللجاج والشقاق على حكم البيونة في الطلاق عند الإطلاق ؛

الثاني عشر (18 م)، ومن أتباعه أحمد الخطاب حفيد الشيخ عمر الخطاب، وهذا وجه آخر من وجوه الشبه بين سيرته وسيرة جده عبد الله الخياط الذي ارتبط به ابن خالته عمر الخطاب من الدراسة في المكتب بمكناس إلى الإقبال بزهرهون. ومن حفدته سميه محمد بن إبراهيم الذي كان حياً عام 5/1292 — 1876، وهو عام الفراغ من نسخة جواهر السماط التي تحمل عدد 1185، والتي طلبها لنفسه.

م. الريفي، *جواهر السماط* في مناقب سيدي عبد الله الخياط، مخطوط خ ع، 1185 د، 2242 : أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. القادري، *نشر الثاني* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق م. حجي، 858. 859. 933. 934. 944. 1897. 2257. 2260. 2261. 2529. 2784. 2956 ؛ أ. ابن أبي محلي، *سلسيل الحقيقة والحق في سبيل الشريعة للخلق*، مخطوط خ ح، 4133 : م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 : م. ابن عيشون، *الروض العطر*، تج. ز. النظام، 180. 348 : م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تج. ع. العمراري وع. مراد، 37. 38. 57. 58. 66. 67. 124. 126 ؛ نفس المؤلف، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ ع، 76. 26. 29. 34. 65. 68. 71. 70 : م. الإفرائي، *نزهة الحادي*، تج. ع. الشادلي، *الدار البيضاء*، 1998. 56. 57 : م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 1 : 229. 230. 254. 256. 2 : 162. 163. 3 : 191. 192. 334 : ع. إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 267. 275 : ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 204، رقم 795 - 796 : م. حجي، *الحركة الفكرية*، 494 - 496 : ع. فد. خشم، *أحمد زروق والزروقية*، منشورات المنشأة الشعبية، ط. 2، 1980، 42 - 53 : ع. نجمي، *العكاكرة*، د. د. ع. مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 1986، 195 - 199 : المؤلف نفسه، *بين زروق ولوتر*، ضمن *الرباطات والزوايا*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997. 77. 120.

P. Berthier, *Essai sur l'histoire du massif de My Idris*, Rabat, 1938.

عبد الله نجمي

ابن **الخياط حُسين**، - اسماً واحداً - **عبد الرحمن** الفاسي. ليس من أولاد الخياط الحسنيين. وإنما ينسبون إلى أبيهم سيدي الخياط حُسين الذي كان محتسباً بفاس. ذكر مؤلف *تذكرة المحسنين* رواية عن أبيه أن المترجم كان أمياً محترفاً بحرفة الحرير، ذا سميت حسن ولحية طويلة، فجاءته امرأة برقعة ليقرأها لها، فقال لا أحسن القراءة فتعجبت وقالت له : يا ضيعة هذا السميت وهذه الهيئة ! ولامته على تضيق عمره بدون قراءة، فأثر فيه كلامها وأقبل على الدراسة بعزم وهمة، فكان عاقبة أمره أن أصبح من علماء وقته.

تولى الخطابة بجامع الشرايليين أول ما أقيمت به الجمعة في رابع عشر ربيع الأول عام خمسة وثمانين ومائة وألف بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، واستمر

18/6/1942، وهو من أبرز العناصر التي مكنت لأسلوب المدرسة الفاسية بمدينة مراكش.
مذكرات خطية، لأحمد الوكيل، في حوزة ابنه حاتم الوكيل.

الخياطي، الغالي بن عبد السلام ولد بفاس وأواخر العقد الثاني من القرن العشرين، ثم رحل إلى الجديدة حيث تلقى تعليمه الابتدائي. وفي عام 1931 رحل من جديد مع عائلته إلى مراكش، وبها لازم دروس والده في الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد إلى غاية 1938، وهو تاريخ تحول الأسرة إلى مدينة الرباط حيث استقدم والده من طرف السلطان محمد الخامس للالتحاق بجوق القصر الملكي للموسيقى الأندلسية. انخرط الفتى في هذا الجوق، كما انخرط في الجوق الملكي للموسيقى العصرية الذي كان يرأسه يومئذ الفنان المصري وعازف القانون مرسى بركات، وبذلك استفاد من المجموعتين، واستطاع الجمع بين التراث الموسيقي الأندلسي والموسيقى الشرقية التي لم يكن قد مضى على تسربها إلى الأوساط المغربية سوى سنوات. كان ملازماً لمجالس الحاج بلهاري في مدينة أسفي. وعندما استقر بمراكش أسندت إليه إدارة المدرسة الموسيقية لطرب الآلة بدار السي سعيد طوال العقد الرابع.

وقد دعي الغالي الخياطي لتعليم موسيقى الآلة بمعهد مولاي رشيد بالرباط، لما اشتغل عازفاً على الكمان في جوق الإذاعة الوطنية للطرب الأندلسي الذي كان يرأسه - يومئذ - الفنان المرحوم مولاي أحمد الوكيل. وظل يضطلع بالمهمتين إلى وفاته.

ويذكر صالح الشرقي أن الغالي الخياطي لحن مقطوعات شعرية على نسق الصنعة في النوبة الأندلسية. توفي الغالي الخياطي يوم 23 حجة عام 1382 / 27 أبريل 1963.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 111 : روايات شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

وتقديم رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (ط. حجر فاس، 1318 هـ) عرّف فيه تعريفاً ضافياً بشيخ الطريقة الدرقاوية الذي خلف نحو أربعة آلاف مريد، عمل عدد منهم على تأسيس طرق فرعية في أرجاء المغرب والجزائر. ورسائل في مزايا مدينة فاس، وثلاثة فهارس كبرى ووسطى وصغرى. وقد عدد تأليفه في فهارسه.

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان عام ثلاثه وأربعين وثلاثمائة وألف 7/ أبريل 1925 ودفن بحي الرميّة قرب زاوية الشيخ علي الجمل.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج. 1 : 127 -

133؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت 1996، ج. 8.

محمد حجي

الخياطي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمr الجبلية. ومنهم محمد بن عبد الرزاق الخياطي كان يزاول مهنة العدالة بتطوان سنة 1788 / 1202.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون، 1999 : المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1612.

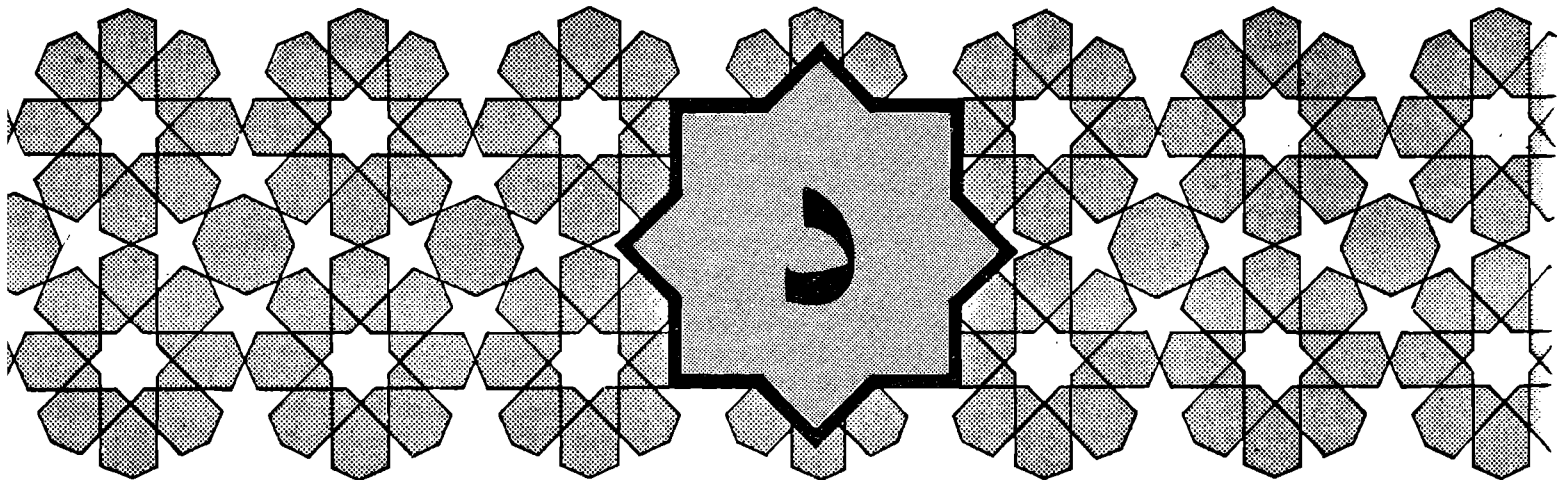
محمد ابن عزيز حكيم

الخياطي، عبد السلام بن محمد الفاسي. ولد بمدينة فاس، وبها أخذ مستعملات الموسيقى الأندلسية عن عدة أشياخ من بينهم عبد السلام البرهبي، فأتقن النوبات الإحدى عشرة وتفنن في العزف على الكمنجة والرياب.

رحل إلى مدينة الجديدة في ريعان شبابه، وأقام بها فترة قصيرة تحول على إثرها عام 1931 إلى مدينة مراكش ليقضي سبع سنوات في تدريس الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد. وكان من بين من أخذوا عنه هذا الفن نجلاه الغالي وعباس، والفنان محمد أويتحار الملقب الشلح الذي برع في العزف على الكمنجة، والشريف مولاي عبد الله الوزاني.

كان خلال إقامته بمراكش يشد الرحل بين الفينة والأخرى إلى مدينة أسفي لحضور المجالس الفنية التي كانت تلتئم ببيت الفنان الحاج عبد الرحمن بلهاري بحي تراب الصيني. وعمل عبد السلام الخياطي على تأسيس جوق لموسيقى الآلة ضم خيرة الفنانين بمراكش، وظل على رأسه إلى أن استقدمه محمد الخامس عام 1938 إلى الرباط للالتحاق بجوق القصر الملكي، فرحل رفقة أسرته، وسكن بحي تواركة، بعدما خلفه في رئاسة جوقه تلميذه الشريف مولاي عبد الله الوزاني.

توفي عبد السلام الخياطي بالرباط يوم 4 رجب 1361 /



دابار Dabar، أمير نوميدي كان يقسم في بلاط بكوس الأول Bocchus، ملك موريطانية (المغرب القديم). لعب دورا في المفاوضات التي قامت بين بكوس والقائد الروماني سولا Sulla كممثل للقنصل ماريوس Marius، والنوميدي أصبار Aspar كممثل للملك يوغرطة. قامت هذه المفاوضات في السنة الأخيرة من الحرب التي شنتها الجيوش الرومانية ضد يوغرطة، بالتدخل في مملكته نوميدية من 111 إلى 105 ق. م.

المصدر الوحيد الذي عرفنا بالأمير دابار هو كتاب حرب يوغرطة *Bellum Jugurthinum*، للمؤرخ الروماني سالوستيوس Sallustius، الذي عاش بين 86 و 35 ق. م. وتحدث عن دوره في التأثير على مواقف الملك بكوس، وإقناعه بالاستجابة لرغبة الرومان في إلقاء القبض على يوغرطة وتقديمه أسيرا لسولا.

قال سالوست في الفصل 108 : "كان يعيش بجانب بكوس ويدخله أشد المداخلة نوميدي اسمه أصبار. وكان يوغرطة لما علم بقدوم سولا قد بعثه على جناح السرعة ليمثله ويستطلع نوايا حليفه في آن واحد. كما كان هناك أحد أبناء مسوكرادة Massugrada، واسمه دابار من عائلة ماسنيسية، ولكن مولده وضع من ناحية جدته، لأن أم أبيه كانت محظية. وكانت أخلاق دابار المرضية قد جلبت له رضا بكوس الذي اختبر في عدة مناسبات إخلاصه لرومة، فبعثه في الحال يعلن لسولا أنه مستعد لتنفيذ إرادات الشعب الروماني، وأن ليس على سولا إلا أن يختار بنفسه اليوم والمكان والساعة لمفاوضتهما، من غير اهتمام بمثل يوغرطة، وأنه تعمد ألا يغير شيئا من علاقته مع هذا الأخير، وذلك ليستطيع التفاوض بكل حرية في مصالحهما المشتركة إذا لم تكن هناك من وسيلة أخرى لاتقاء عراقيل الملك (يقصد يوغرطة)".

إن هذا الحدث الذي برز فيه دابار يرجع إلى البعثة الثانية التي جاء فيها سولا إلى بكوس قصد إنهاء الحرب بالمفاوضة. وقد سبقت ذلك جولة أولى من التفاوض بين بكوس وكل من سولا ومانليوس Manlius، لا شك أن دابار كان له فيها إسهام فعال. ونعلم أنه بعد هذه الجولة الأولى بعث بكوس إلى رومة سفارة تتكون من خمسة أشخاص لم ترد أسماءهم في النص، قد يكون دابار أحدهم.

أما الجولة الثانية التي برز فيها دابار، فإن الكاتب يفيدنا أن بكوس كان يتظاهر ليوغرطة ولمثله أصبار بأنه يدافع عن مصالحهما المشتركة، ويسعى إلى تحقيق السلم مع الرومان. لكن بكوس كان يجري اتصالات سرية مع سولا دون حضور أصبار، غير أن دابار كان يحضرها، وهو الذي ينقل إلى بكوس طلبات سولا وتعليماته ثم يخبر سولا بالإجراءات والترتيبات التي يتخذها بكوس.

قال سالوست في الفصل 109 : "فأجاب سولا بأن حديثه بحضور أصبار سيكون مقتضيا. أما عن الباقي فسيكون له مع الملك حديث سري لا يحضره أي شاهد، أو يجري بحضور عدد ضئيل جدا. وفي نفس الحين أملى نص الجواب الذي أراد أن يبلغ للملك. ووقع الاجتماع كما أراده فقال إنه أتى من لدن القنصل (ماريوس) يطلب إلى بكوس هل يريد السلم أو الحرب. فطلب منه الملك حسب التعليمات التي تلقاها، أن يعود بعد عشرة أيام لأنه لم يكن يومه هذا قد قرر شيئا ولكنه سيعطي الجواب في اليوم العاشر. ثم افترقا وذهب كل واحد إلى معسكره. فلما تقدم الليل بكثير استدعى الملك سولا وكان مع كل واحد مترجمون موثوق بهم، زيادة على دابار الرجل الصادق الذي نال رضا الجانبين".

يخبرنا الكاتب عن فحوى المناقشة التي دارت في هذا الاجتماع السري الذي حضره دابار، حيث التزم بكوس بالولاء والإخلاص للرومان ووعد بتقديم كامل المساعدات

من السلاح والمال والرجال. ثم أشار الكاتب إلى التبرير الذي تقدم به بكوس لتدخله السابق في الحرب لصالح يوغرطة ضد الرومان، فنسب للملك الكلام التالي في الفصل 110 : "إني لم أحارب ولم أرد قط أن أحارب الشعب الروماني وإنما حميت بحد السلاح حدودي التي هوجمت بحد السلاح، وإني لأتخلى عن هذه الحماية، إذا كان ذلك يرضيكم، فحاربوا يوغرطة كما تشاؤون، ولن أتخطى نهر ملوشة Mulucha الذي كان هو الحد بيني وبين ميكبسة Micipsa، كما لن أسمح ليوغرطة باجتيازه، وإذا كان لك ما تطلبه غير هذا مما يليق بي وبشعبك فلن تذهب إلا وقد نلته".

كما يخبرنا الكاتب عن رد سولا في هذا اللقاء السري بحضور دابار. وهذا كلام سولا في الفصل 111 : "إن مجلس الشيوخ الروماني نظرا لانتصار أسلحتهم، لا يعتبرون الوعود التي يحملها كافية للاعتراف لهم، فعلى الملك إذن أن يعمل شيئا يبدو وكأنما قد أوحى به المصلحة الرومانية لا مصلحته الخاصة، وهو عمل سهل حيث إن يوغرطة يوجد بين يديه، فإذا سلمه للرومان، اعترفوا أن له عليهم بدا عظيمة، ووهبوه من ذات أنفسهم الصداقة والحلف والجزء الذي يطلبه الآن من نوميدية".

أشار الكاتب إلى أن بكوس رفض في البداية طلب سولا الذي يقضي بتسليم يوغرطة. ولا شك أن دابار لعب دورا حاسما في إقناع بكوس بوجهة النظر الرومانية. ثم أخبرنا سالوستيوس عن تطور الأحداث بعد هذه المفاوضة السرية بقوله في الفصل 112 : "وفي الغد دعا الملك إليه أصبار ممثل يوغرطة، وقال إن سولا أخيره بواسطة دابار أن بالإمكان إنهاء الحرب بالمفاوضة لمعرفة الشروط، ثم رجاه أن يستخير سيده حول نواياه. فذهب أصبار فرحا إلى معسكر يوغرطة، وأحرز على جميع التعليمات، ثم رجع مجدا في سيره فوصل عند بكوس في اليوم الثامن".

أشار الكاتب إلى أن يوغرطة اقترح بدوره على بكوس اعتقال سولا للضغط على رومة. وقد ذكر بلوتارخوس : Plutarque, Marius, 10, 5 نفس الخبر. وهذا كلام أصبار في الفصل 112 : "إن سيده يخضع لجميع ما يطلب منه، ولكنه يحذر ماريوس، وأن الصلح الذي عقد من قبل مع القادة الرومانيين عدة مرات قد بقي جبرا على ورق. وأن بكوس إذا كان يريد خدمة مصالحهما معا وكان يطمئن إلى سلم حقيقية، فعليه أن يهيئ باسم السلم اجتماعا يحضره جميع المعنيين بالأمر، وهنا يسلم له سولا. وحين يرى مجلس الشيوخ والشعب الروماني أن هذه الرهينة في حيازته فإنهم لا يتوانون في عقد المعاهدة، ولا يتركون في قبضة العدو رجلا ساميا مثله لم يقع ضحية لجبنه وإنما وقع لإخلاصه للجمهورية".

ذكر سالوستيوس التردد الذي انتاب بكوس، والغالب أن دابار وآخرين من رعاياه الموريين، الذين كانوا يميلون إلى

التعامل مع الرومان، أمثال ماغدولسة Magdusa، قد دفعوا الملك أخيرا إلى اتخاذ القرار الحاسم : إنه نصب كمين للوفد المرافق ليوغرطة وقتلهم جميعا، ثم اعتقال يوغرطة وتسليمه لسولا. الفصل 113.

بعدما تعرفنا على الجو العام الذي يحيط بوجود الأمير النوميدي دابار في بلاط الملك الموري بكوس الأول، ودوره في الجولة الثانية من المفاوضات، نتساءل عن الظروف والأسباب التي جعلت دابار يقيم في مملكة بكوس، لدرجة أنه أصبح من الأتناء على أسرار الملك.

إن إخلاص دابار للرومان هي شمة معروفة عند الملوك والأمراء النوميديين، نظرا للتحالف الذي كان قائما بين الأسرة الملكية ورومة، منذ ماسنيسة الذي ينتمي إليه دابار. أما العلاقة بين الموريين والنوميديين قبل حرب يوغرطة، فيبدو أنها كانت هادئة، بالرغم من أن المملكة المورية كانت تلتزم سياسة الاحتراز من رومة، ولم يتورط الموريون في الصراع القرطاجي الروماني كما فعل النوميديون. لكن الملك بكوس وبعض خواصه كانوا يهيئون الجو لاتخاذ منعطف في السياسة الخارجية، بالانفتاح على رومة والتعامل معها.

هنا نفهم الظروف الداخلية في موريطانية، التي سمحت لدابار وأمثاله بالالتجاء إلى الملك الموري بكوس. ومن جهة أخرى نفهم الدور الذي لا شك أن دابار لعبه في تحول سياسة الموريين من الانغلاق على الرومان إلى الانفتاح على تجارتهم وتأثيراتهم. نعتبر أن دابار هو أحد المعارضين لسياسة يوغرطة في فترة امتدت من سنة 118 ق.م. حيث توفي ميكبسة وقتل ابنه هيمبسال Hiempsal، وسنة 108 ق.م حيث تم التحالف بين بكوس ويوغرطة.

وهناك حدثان جعلتا النوميديين ينفضون من حول يوغرطة، ويتخذون وجهة رومة أو موريطانية في ملاجئهم. الحدث الأول هو فرار النوميديين بعد مقتل أذريعل Adherbal في عاصمته قيرطة Cirta سنة 112 ق.م. الحدث الثاني هو اكتشاف يوغرطة لمؤامرة اغتياله من تدبير القائد الروماني ميتلوس Metellus مع النوميدي بوملكار Bomilcar.

بالنسبة للحدث الأول قال سالوستيوس في الفصل 35 : "كان آنذاك في رومة نوميدي يدعى مسيفة Massiva وهو ابن كلوسة Gulussa وحفيد ماسنيسة، وكان في حرب الملوك قد انحاز ضد يوغرطة (الصالح أذريعل)، ثم فر وهجر وطنه بعد استسلام قيرطة واغتيال أذريعل. ونظرا لاتحاده من ماسنيسة فإن ألبينوس Albinus قد أقنعه بأن يطالب بمملكة نوميدية من مجلس الشيوخ... إن يوغرطة أقنع بوملكار Bomilcar، أخص أصدقائه وأوفاهم بأن يعرض المال على بعض الرجال - كما فعل من قبل - لينصبوا كميناً في السر التام لمسيقة، وإذا أخفقت المحاولة

فليقتلوه كيفما أمكن. فنفذ بوملكار أوامر الملك بكل سرعة وهاجم أحد من اكتراهم لهذه الجريمة مسيفة من غير احتياط للأمر فقتله".

بالنسبة للحدث الثاني قال في الفصل 72 : "وبعد أن أعدم بوملكار وكثيرا من الناس ممن كان على علم بالمشاركة في المؤامرة، أطفأ غضبه خوفا من إثارة الفتنة" ثم أضاف في الفصل 74 : "كان يوغرطة قد فقد أصدقاءه، فكثير منهم قتل على يده هو، والآخرون الخائفون التجأوا إلى الرومانيين أو إلى الملك بكوس".

وأيا ما كان الأمر، فسواء كان الأمير دابار قد فر مع خصوم يوغرطة المواليين لأذريعل أمثال مسيفة، أو كان من المتواطئين مع بوملكار ضد ملكهم وتمكن من الفرار، فإن مقامه في موريطانية ضمن حاشية الملك الموري كواحد من أخص أصدقائه، يوضح وزنه السياسي ودهاءه وتأثيره على مواقف بكوس الذي أنهى الحرب لصالح الرومان.

وهنا نعتقد أن دور الأمير دابار في السياسة الداخلية لبكوس ظل متواصلا، علما أن الموريين قاموا بانتفاضة بعد حرب يوغرطة، وهم يرفضون سياسة التعامل مع الرومان التي نهجها عاهلهم. ولا شك أن دابار ظل من أعوان الملك في التصدي لرعاياه الناقمين على حكمه، أمثال الموري ماكدولسة الذي تحول إلى صف المعارضين للملك.

لكن بكوس تمكن من إحباط الانتفاضة سنة 91 ق. م. حيث أعدم ماكدولسة، وأرسل إلى رومة تماثيل ذهبية لإلهة النصر الرومانية تحمل شعار النصر والغلبة، ومعها تماثيل أخرى من الذهب تظهر بكوس وهو يسلم يوغرطة لسولا. وفي ظني أن بكوس عمد إلى هذه الممارسة لإبداء التشبث بالتحالف السياسي والتعامل الاقتصادي مع رومة، كما يحلو لدابار وغيره من الذين لهم مصلحة في ربط العلاقات مع رومة.

سالوست، حرب يوغرطة، تر. م. التازي سعود، فاس، 1982 : م. مجدوب، أضواء على أوضاع مورويسية من خلال حرب يوغرطة، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان 2 - 3، 1990، ص. 61 - 82 : ملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.، ر. د. د. ع.، كلية الآداب، فاس، 1990 : المغرب القديم من خلال كتاب حرب يوغرطة لسالوست، اليوم الوطني لمجموعة البحث في الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1996، تحت الطبع.

M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J.-C. au nord de la Maurétanie*, Roma, 1992, p. 235 - 8 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s. av. J.-C.*, *Africa Romana*, 11, 1994, sous presse.

محمد مجدوب

الدائد، من ألفاظ اللهجة الدارجة المغربية كان تداوله سائدا بين الصناع والحرفيين، وهو تحريف لكلمة الضابط

العربية الأصل. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تحريف نطق الكلمات عربية وأمازيغية وأجنبية كان أمرا عاديا في اللسان الدارج لاعتبارين : أولهما ميل العامة إلى تبسيط بعض الحروف الثقيلة والمفخمة والتخفيف منها بالحذف والادغام، وثانيهما أن الكلمات المحرفة كان ينطقها جمهور عامة الناس ممن لا يحسنون مبادئ القراءة والكتابة دون أن يعرفوا كيف كانت تكتب. لذلك كانت تتحول من أصولها في النطق جزءاً أو كلاً لتبرز كلمات جديدة منحوتة بدلها، وهو أمر ينطبق على سائر اللهجات في العالم.

والدايد أداة حديدية لها مرتكز وساقان قائمان على شكل ساقين مثلث قائم متساوي الأضلاع كان الحرفيون المغاربة في القرن الماضي وما سبقه، من خرازين وحدادين ونجارين وبنائين ومعماريين وغيرهم يستعملونها لتحديد الأبعاد والمقاييس ورسم الأشكال الهندسية نصف الدائرية والدائرية وتحديد الأقواس والمنحنيات على المعادن والخشب والجلود والجدران وغيرها. وقد كانت هذه الأداة معروفة في المغرب والأندلس وبلدان المشرق العربي منذ عدة قرون وذكرت العديد من المستندات التاريخية والنصوص الأدبية والعلمية التي يزخر بها التراث العربي. وهي بذلك أداة عريقة كما يشهد على ذلك اسمها العربي، والاسم المتداول الذي يدل عليها حاليا هو البركار، وهو لفظ لا تعرف بالضبط كيف تم استعماله.

محمد الحلوي، معجم الفصحى في العامية المغربية، الدار البيضاء، 1988 : ع. القادر زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، العدد الرابع والخامس، السنة 1980 - 1981 : مؤلف مجهول، ورقسات في أسرار بعض الصنائع، مخطوط مكتبة كلية الآداب بالرباط رقم 216 مكل.

Anonyme, *L'industrie marocaine des peaux*, B.I.D.M., juillet 1942 ; G. Baumont, *L'avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l.] 1949 ; P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, Hesp., T. 3, 3° - 4° trim., 1946.

محمد بوسلام

الداخلية - جغرافيا، مدينة متوسطة الحجم (37000 نسمة عند منتصف سنة 2000)، تقع على بعد 600 كم من مدينة العيون بأقصى الجنوب الغربي للأقاليم الصحراوية المغربية. وتتميز بموضعها عند نهاية شبه الجزيرة التي تحمل نفس الاسم والتي تمتد على مسافة 40 كم طولاً و2 إلى 5 كم عرضاً مُشكِّلة عند التقائها بالمحيط الأطلنطي ما يسمى بخليج وادي الذهب. وتعتبر آخر نقطة حضرية جنوب البلاد وعاصمة جهة وادي الذهب الغوييرة.

كانت في الأصل عبارة عن مستعمرة أنشأتها إسبانيا التي كانت تحتل هذه المنطقة إلى حدود سنة 1975، وقد استرجعها المغرب يوم 14 غشت 1979 على إثر تخلي الإدارة الموريتانية عنها.

التي توفر أكبر عدد من مناصب الشغل (51٪). كما تعتبر التجارة أهم أنشطة هذا القطاع بدورها، خاصة وأنها تدخل في التقاليد العريقة لسكان المنطقة بصفة عامة. تستحوذ التجارة حالياً على حوالي 8٪ من مجموع النشاط، ويغلب على أنشطة المحلات التجارية بيع المواد الغذائية بنسبة 45٪، إضافة إلى الألبسة وأمتعة التجهيز المنزلي بنسبة 12٪.

كما يعتبر قطاع الصيد البحري من أهم الأنشطة الحضرية حيث يساهم في التشغيل بنسبة 22٪. ويتميز هذا القطاع بسيادة الصيد الساحلي الذي يوجه إنتاجه أساساً إلى السوق المحلية. أما الصيد في أعالي البحار فيكتسي بدوره أهمية كبيرة بساحل الداخلة، لأنه يهتم بأزيد من 70٪ من الأسطول الوطني. إلا أن انعكاساته على الاقتصاد الحضري المحلي متعددة تماماً. ويرتبط هذا النشاط بوجود ثروة سمكية هامة على طول الساحل الأطلسي للمنطقة وكذا بالخليج الصغير لوادي الذهب، وهي اليوم معرضة لمخاطر الاستغلال المفرط والتلوث القوي. ويرتبط بهذا القطاع نشاط صناعي جد متواضع يتمثل أساساً في بعض وحدات إنتاج الثلج الذي يستعمل لحفظ الأسماك عند التخزين والنقل.

ويتكون المجال الحضري بالداخلة من النواة التي تعود إلى الفترة الإسبانية والأحياء الجديدة التي ظهرت بعد 1979. وتنظم المدينة حول المرفقين الأساسيين اللذين يربطانها بالخارج وهما الميناء والمطار. تمتد الأحياء الأصلية على طول شارع الحسن الثاني الذي يربط الميناء بالمطار، والذي تتفرع عنه شبكة من الطرق في اتجاه الأحياء الجنوبية والشمالية من المدينة. ويعتبر هذا المحور وامتداده الجنوبي مركز المدينة لأنه يحتضن التجهيزات السوسيوثقافية والثكنة العسكرية والمركز التجاري. أما الأحياء الجديدة فتمتد جنوب وشمال مركز المدينة وهي أساساً عبارة عن مناطق سكنية.

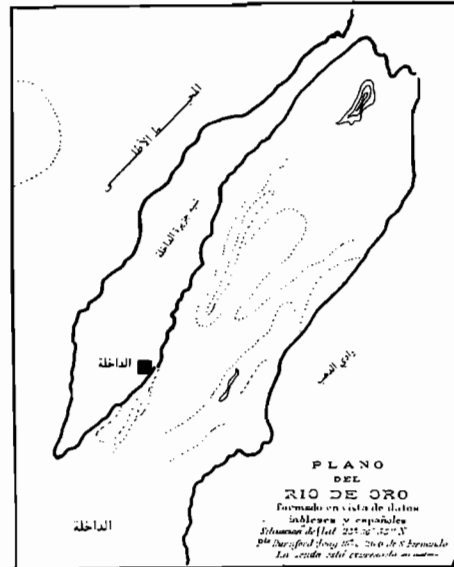
وتجدر الإشارة إلى أن تركّز معظم سكان جهة وادي الذهب الكويرة والخاصية السريعة التي تم بها التمددين بالداخلة قد أسفرا عن تدهور المشاهد الحضرية بشكل كبير جداً، سواء بالأنوية الحضرية الموروثة عن الفترة الاستعمارية أو بالأحياء الجديدة. وتتجلى هذه الظاهرة في تقادم البنايات بأحياء لتخصيصات ولبيشات وحي الميناء وكذا حي الرغيبات... كما تتمثل أيضاً في تداخل أنواع السكن على مستوى نفس الحي ونفس الشارع وغياب أي تجانس أو تناسق معماري بالمدينة. أضف إلى ذلك أن تفكك النسيج الحضري يطرح بدوره مشكل عدم توفر نوع من التدرج في المراكز الحيوية بالمدينة، وضعف التماسك ما بين مختلف الأحياء المكونة لها.

أبحاث شخصية : تصميم تهيئة مدينة الداخلة.

عثمان هناكا

وتفيد المعطيات الإحصائية المتوفرة حول المدينة، أن عدد سكانها تزايد بشكل سريع منذ بداية الثمانينيات، إذ مر من 17309 نسمة سنة 1982، إلى 29831 سنة 1994 ثم إلى 37000 نسمة سنة 2000، أي بزيادة إجمالية بلغت حوالي 19700 نسمة في ظرف 18 سنة، أي ما يعادل نسبة تزايد سنوي يقدر بـ 431٪ وهذا يبين أن عدد السكان بالمدينة تضاعف مرة واحدة خلال العقد الأخيرين. وبالاقتصار على فترة 1982 - 1994 فقط، يلاحظ أن الأصل في الزيادة المذكورة لا يعود فقط إلى الزيادة الطبيعية التي ساهمت بنسبة 46.5٪، ولكنه يرتبط أيضاً وبالدرجة الأولى بالتوافد الذي يمثل نسبة 53.5٪. وفي السواقي، شكلت الداخلة منذ استرجاعها على غرار بقية المدن بالأقاليم الصحراوية المغربية قبلة للتوافد ليس فقط على مستوى الأقاليم الجنوبية ولكن أيضاً على الصعيد الوطني. وتتوزع أصول الوافدين عليها طيلة العشرة الأخيرة على الشكل التالي :

- الأقاليم الجنوبية : 17٪
- السهول والهضاب الأطلنتية الوسطى : 47٪
- المناطق الداخلية : 32٪
- أقاليم أخرى : 4٪



ويبلغ عدد الأسر بالمدينة 5855 سنة 1994 في مقابل 1528 سنة 1982. وهذا يبين أن الزيادة الإجمالية للأسر خلال فترة 12 سنة كانت تقدر 4327، أي أنه على عكس عدد السكان تضاعف عدد الأسر ثلاث مرات تقريباً. ويبلغ حجم الأسرة في المتوسط خمسة أفراد بدل عدد 11.83 الذي سجل بالمدينة سنة 1982. ويرتبط هذا التراجع أساساً بالتوافد الذي هم على الخصوص الأسر النووية وعنصر العزاب.

ويبرز توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية سيادة أنشطة القطاع الثالث التي تستأثر بنسبة 61٪ من المجموع. وتقتل الإدارة العمومية والجندية الفروع

* * يرتبط تاريخ مدينة الداخلة بالإسبانيين، فقد أسسوها بشبه جزيرة الداخلة في الصحراء (إقليم وادي الذهب حاليا) سنة 1303 / 1885 ، وسموها بـبَيَاثِيسْنِيْرُوسَ Villa Cisneros نسبة إلى الأسقف الإسباني فرانسيسكو فيرنانديث دي ثيسنيروس Francisco Fernandez de Cisneros الذي اختارته الملكة الإسبانية إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Católica معرفا لها .

في يوم 16 سبتمبر 1877 ترأس الملك الإسباني الفونسو الثاني عشر Alfonso XII بمدير الجلسة التأسيسية للجمعية الإسبانية لاكتشاف الصحراء Asociación Española para la exploración del Sahara وبناء على مقرراتها بعثت جمعية الصيد الكانارية الإفريقية Sociedad de Pesca de Canarias وكيلا عنها إلى شبه جزيرة الداخلة قاما باتصال مع بعض المغاربة القاطنين بها وعادا إلى الجزر الخالدات يدعيان بأنهما اشتريا منهم شبه الجزيرة المذكورة، وكان ذلك أواخر سنة 1881/1299.

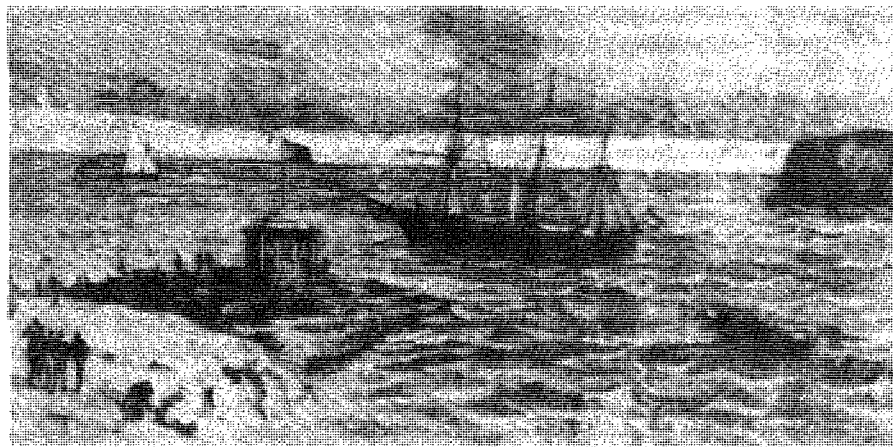
وفي 5 نوفمبر 1883/1301 انعقد بمدير المؤتمر الإسباني للجغرافيا الاستعمارية والتجارية Conareso español de geografía colonial وكان من بين مقرراته العمل على إنشاء مركز أو مركزين إسبانيين بالشاطئ الصحراوي الموالي للجزر الخالدات، وتأسيس شركة إسبانية للمستعمرين الإفريقيين Sociedad española de Africanistas. وقامت بالفعل هذه الشركة بمدير في شهر ديسمبر من نفس السنة. وفي يوم 30 مارس 1884 عقدت مهرجانها الأول بمسرح الحمراء بالعاصمة الإسبانية. ولما علمت شركة الصيد الكانارية الإفريقية بهذه التحركات شبه الرسمية، قامت بتفويت "حقها" في شبه جزيرة الداخلة إلى الشركة التجارية الإسبانية الإفريقية المؤسسة بمدير يوم 9 نوفمبر 1883 والتي قامت بإرساء سفينتين تجاريتين بالقرب من شاطئ الداخلة في شهر فبراير من سنة 1884.

وما أن علمت شركة المستعمرين الإفريقيين بهذه الصفقة الوهمية وبوجود السفينتين المذكورتين بالشاطئ الصحراوي حتى كلفت الملازم الاحتياطي إميليو بونيلي Emilio Bonelli بالقيام بعملية استطلاعية للشاطئ المذكور الموالي للجزر الخالدات فقام بجولة بحرية وبرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة) ، ونتج عن ذلك أن اختار يوم 3 نوفمبر من نفس السنة ثلاث بقع أقام فوق كل واحدة منها كوخا من خشب رفع عليه العلم الإسباني : الأول بشبه جزيرة الداخلة وأطلق عليها اسم بيبايسنيروس، والثاني بخليج الرأس المكحل وسماه بويرطو باديا Puerto Badia ، والثالث بالكورة (الرأس الأبيض) وسماه بويرطو أو مدينة كاطبي Puesta o Medina Gatell .

وعلى إثر ذلك أعلنت حكومة مدريد يوم 26 ديسمبر 1884 بلاغا أخطرت فيه الدول الأوربية بأنها قررت بسط حمايتها على الشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي شهر يناير 1885 شرع بونيلي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فكان رد فعل المغاربة أنهم هاجموا المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الأمتعة وقتلوا بعض الإسبانين وأسروا البعض الآخر ولم ينج منهم إلا من كان على ظهر السفينة التي كانت راسية بمياه الداخلة وتمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات.

لم يبق للإسبانين وجود بأرض الصحراء المغربية طيلة ثلاثة أشهر أي إلى أن طلبت شركة المستعمرين الإفريقيين من الحكومة الإسبانية حماية "مصالحهم" بالداخلة، واستجابت مدريد لذلك فأذنت لبونيلي في العودة إلى الداخلة مرة ثانية معززا بكتيبة عسكرية مكونة من 20 جنديا يرأسهم القبطان خوسي شاكون José Chacon وكان ذلك يوم 8 يونيو من نفس السنة.

وفي 10 يوليوز عين بونيلي مندوبا ملكيا Comisario



الاحتلال الإسباني الثاني لشبه جزيرة الداخلة يوم 8 يونيو 1885

Mis memorias (22 años en el desierto). Madrid. 1947 : *Espasa-Calpe*, Madrid, t. 28, p. 2784 ; Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; Ibn Azzuz Hakim, M., *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

دادا أيوب، ولي صالح يوجد ضريحه بداخل مدشر أسير (انظر مادة أسير : المعلمة) تعتبره فصيلة إدأيوب من أمازيغ جدها الأسمى كما يظهر ذلك فعلا من وجوده داخل شريط سكنها بالمدشر على اعتبار أنه الولي الوحيد المدفون داخل المدار السكني بأسير. ونجهل الأسباب الحقيقية التي جعلت منه مزارا رئيسيا للسود في إطار ممارستهم التقليدية قبل انطلاق رقصاتهم الفولكلورية. ويبقى التناقض مع ذلك مساهما في تكريس وجه الإشكال إذ كنا نجد في إحدى وثائق عائلة أهل مبارك الحاج (من إدأيوب) مشجرا يصل الجد الأعلى إيوب بجذور شريفة وذلك عبر إوالبية ربطه بالولي الشهير محمد بن عمرو اللمطي، مع الاختلاف الواضح في التصاعد السلالي داخل الوثيقة وأيضاً لصعوبة تحديد نسب ضريح لمحمد بن عمرو نفسه (خلال جزولة 2 : 13. 15).

فهل يحق لنا أن نربط هذه المشاغل بالمد القبلي لأزوايفط على مدشر أسير ؟ هل يمكن أن يكون دادا أيوب رمزا لاستمرارية فصيلة تخشى الذوبان بفعل التوسع والاستقرار الكبيرين على مستوى المدشر طوال القرون اللاحقة للقرن السادس عشر ؟ هل يكون ذلك أيضا رغبة في إثبات أصالة الانتماء وانتزاع التمثيل في صلب التمايزات داخل فروع التشكيلة الأمازيغية بأسير ؟ هل يجوز لنا أن نرى في أهمية امتلاك عالم القداسة طموحا لاستكمال ومراكمة العناصر الرمزية التي جعلت منها المواجهة عناصر رئيسية للمقاومة.

إن دراسة معمقة وحدها كفيلة بالإجابة عن تلك الأسئلة التي تبقى مثيرة للانتباه إلى تنوع الوثيقة وشساعة الحقل التاريخي الخاص بكل مدشر في خصوصيته ثم في انفتاحه على أحداث وادي نون في ظروف نفتقد فيها أي معلومات مؤكدة.

م. المختار السوسي، خلال جزولة، الجزء الثاني، تطوان د. ت.

V. Monteil. *Notes sur Ifni et les Ait Ba-Amran*, Paris, 1948.

أحمد جوماني

دادا عطا، شخصية لم يصلنا عنها سوى معلومات طفيفة لا تسمح بضبط الحلقات الجوهرية من حياتها ومراحل تنقلها في الزمان والمكان، وحتى الأخبار التي وصلتنا عن دادا عطا أخذها وجمعها أصحابها بواسطة الروايات الشفوية في غالب الأحيان.

regio بالشاطىء الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستعمرين الإفريقيين حصن الداخلة إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر.

وفي سنة 1899/1317 م أعفي بونيلي من منصبه، وحل محله ضباط عسكريون إلى أن تم التوقيع على المعاهدة الإسبانية الفرنسية ليوم 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ"حق" إسبانيا في بسط نفوذها على بيبايسنيروس Villa Cisneros وجزء من الصحراء الغربية المغربية الممتد من خط العرض 26 درجة (جنوب رأس بوجدور) إلى خط العرض 21 درجة و20 دقيقة (شمال الرأس الأبيض) غير أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال أية بقعة من الأرض المغربية المذكورة حيث إن وجودها بناحية التررس (وادي الذهب) اقتصر على وجودها بمدينة بيبايسنيروس، وهذا ما جعل التشريعات التي أصدرتها حكومة مدريد ابتداء من سنة 1901 تطبق فقط بالمدينة المذكورة، ونعني بذلك المرسوم الملكي ليوم 12 أبريل 1901 الذي بمقتضاه أصبح شاطىء الصحراء صوريا تحت نظر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الخارجية، والرسوم الصادر في 7 نوفمبر من نفس السنة بخصوص كيفية تسيير الشاطىء المذكور إداريا.

وفي شهر ديسمبر 1903 عين الضابط فرانسيسكو بينس Francisco Bens حاكما سياسيا وعسكريا على شاطىء الصحراء. وحل بمدينة بيبايسنيروس يوم 17 يناير من السنة التالية مصوحيا بواحد وثلاثين جنديا وممرض واحد، غير أنه لم يتمكن من القيام باحتلال أية بقعة أخرى بأرض الصحراء إلا يوم 29 يونيو 1916 حيث احتل رأس جوي (طرفاية)، والگورة يوم 30 نوفمبر 1920.

وابتداء من صدور المرسوم الإسباني بتاريخ 25 يناير 1919 أصبحت مدينة بيبايسنيروس تابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شمال المغرب، وفي سنة 1934 احتلت القوات الإسبانية منطقة إفني ومدينة اسمارة بالساقية الحمراء، وعندئذ أصبحت مدينة بيبايسنيروس عاصمة للأقاليم الصحراوية المحتلة من لدن إسبانيا إلى غاية سنة 1940 حيث انتقلت الإدارة المركزية إلى مدينة العيون.

ظلت مدينة بيبايسنيروس تحت الحكم الاستعماري الإسباني إلى أن تم التوقيع على اتفاقية مدريد المبرمة بين إسبانيا والمغرب وموريطانيا، فأصبحت المدينة المذكورة تابعة للنفوذ الموريطاني إلى أن تخلت عنها موريطانيا وقام سكان المدينة بمبايعة ملك المغرب يوم 13 غشت 1979 حيث أصبحت عاصمة إقليم وادي الذهب وعاد إليها اسمها الحقيقي : الداخلة.

Bonelli, E., *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara*. Bol. Soc. Geografica, Madrid XVIII 1885 ; *El Sahara* Madrid, 1887 ; Garcia Figueras, T, *Santa Cruz de Mar Pequeña - Ifni - Sahara*, Madrid, 1941 ; Domenech, A., *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; Bens, General,

ولعل هذا يعود إلى كون القبائل الهامشية التي كانت تعيش في المناطق النائية عن العواصم الكبرى لم تنل حظها من كتب الحوليات، أضف إلى ذلك إلى كون الفقهاء المحليين لم يهتموا بالرحل. ولا يذكرون هذه القبائل إلا لوضعها في طي الكتمان، كما أن مجتمع أيت عطا مجتمع يعتمد على الروايات الشفوية أساسا ونقل الأخبار بشكل متوارث. وإلى جانب هذه العوامل فإن "دادا عطا" شخصية رمزية في المتخيل العطاوي (أيت عطا) أكثر منها شخصية عادية، ولهذا أحيط بالحوار والكرامات والأساطير لدرجة يبدو معها "دادا عطا" وكأنه شخصية وهمية. وعلى كل فقد اعتبر بمثابة جد أيت عطا الأعلى. وحسب الروايات فإن "دادا عطا" عاش في النصف الثاني من القرن العاشر (16م) على الخصوص بحيث كان هو المؤسس لاتحادية أيت عطا حوالي 1550 م. كما أنه حسب هذه الأخبار دفين واحة درعة قرب اكثاوة في مكان يدعى "إيحي ن تال ن إلكثاون" أي "قم وادي لكتاوة".

وتقول الأخبار إن دادا عطا من أقارب الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن حسين المصلوحي. بل هو من تلامذته أيضا، وهذا ما جعل قبائل أيت عطا تدب بالولاء لزواية تامصلوحت إلى يومنا هذا. م

كما أن "دادا عطا" تحالف مع سعيد الحنصالي الشيء الذي جعل قسماً من أيت عطا يدين بالولاء أيضاً للحنصاليين. وقد لاحظ غلنير Gellner ومن قبله سبيلمان Spillman أن قبائل أيت عطا تقوم باستحضار الانتماء إلى الجد الأعلى "دادا عطا" كمرجع رمزي تنحدر منه مجموع تلك السلالات، وذلك لكون هذا الجد عنصراً أساساً لتحقيق التماسك ووحدة قبائل أيت عطا أمام الخطر المحدق. وسمى غلنير عملية الاستحضار هذه بعملية الانصهار. ولم يقف دور استحضار "دادا عطا" على حالة الاستنفار، بل إن قبائل أيت عطا تستمد مواقفها من المخزن أحيانا من أقوال "دادا عطا" كرفضهم أداء الواجبات المخزنية اعتماداً على قوله "دادا عطا" الماثورة ومفادها :

"وحق دادا عطا. ما يعطي مائتين يعطى. وأخاً يولي جبل صاغرو وطاً" أي معناه : "أقسم دادا عطا أنه لن يؤدي ما وجب، ولو أصبح جبل صاغرو سهلاً".

ورغم الدور الذي لعبه الانتماء إلى جد واحد في تحقيق التماسك، وفي اختيار المواقف والسلوك فإن اعتماد الانتماء إلى جد مشترك الانتماء البيولوجي، اصطدم بتناقضات، منها : أن بعض القبائل المنضوية داخل اتحادية أيت عطا لا تمت في الأصل إلى أيت عطا بصله، وأشهر الحالات في هذا المجال تمثلها مجموعات "إملوان" التي نجد قسماً منها ينتمي إلى أيت يافلما (أيت حديدو)، وقسماً ينتمي إلى أيت عطا. وقسماً مستقلاً عن الاتحاديتين. وهناك من جهة أخرى بعض القبائل التي التحقت باتحادية أيت عطا من أجل الاحتماء بها من قبائل بدوية أخرى، ومثال ذلك "بنو محمد" وهي قبيلة عربية بتافيلالت

انضمت إلى أيت خباش، وهم أيت عطا القاطنون بتافيلالت، وهناك أيضاً مثال أيت علوان وأيت اسفول فهم رغم كونهم من أخماس أيت عطا فإنهم في الغالب من أصل عربي.

وقد كان وجود عناصر متنوعة الأصول داخل اتحادية أيت عطا وراء اللبس الذي اكتنف مفهوم القبيلة العطاوية، إذ وجدت نفسها تعيش تناقضات داخلية تتجلى في إقصاء العناصر التي لم تستطع إثبات انتمائها إلى الجد الأعلى (دادا عطا) من الحياة السياسية، وحيث ترفض مشاركتها في الانتخابات التي تجري لاختيار "الشيخ العام" كما يُرفض تقديم مرشح عنها لهذا المنصب. وكمثال على ذلك : أيت علوان وأيت اسفول وأيت أونير.

كما أن الانتماء إلى الجد الأعلى اصطدم باختلاف المصالح بين مختلف بطون أيت عطا التي يشك في أصولها. وهكذا اندلعت نزاعات اتخذت طابع العنف في غالب الأحيان بين أيت عطا الصحراء وأيت عطا الدير، وكان الصراع يجري حول امتلاك المراعي ومشكل تحديد الملكيات التابعة لكل طرف. هذا بالإضافة إلى ترامي أيت عطا الدير على الأراضي التي كانت خاصة بالانتجاع لاستثمارها كأراض زراعية، ولم يعد الانتماء إلى جد مشترك أي "دادا عطا" بقادر على تحقيق تماسك هذه القبائل. وهذه النزاعات الظرفية حول المراعي هي التي مهدت السبيل للتغلغل الاستعماري لمناصرة طرف على الآخر خلال عملية الغزو العسكري، وبعد إتمامها استعملت هذه السلطات النزاع حول المراعي كوسيلة لفرض سلطتها عن طريق التحكيم الذي استمر طيلة العهد الاستعماري. وهكذا تلاشى دور الانتماء إلى جد مشترك كعامل موحد.

محمد أتكنا وأحمد باسلام، مناقشة كتاب سبيلمان : أيت عطا الصحراء وتهدة درعة العليا، بحث لنيل الإجازة، أكادير، 1989.

G. Spillman, *Districts et tribus de la Haute vallée du Draa in villes et tribus du Maroc*, tome II, Paris, 1931 ; E. Gellner, *Saints of the Atlas*, London, 1969 ; D. M. Hart, *Dadda Atta and his forty Grandsons, Transhumance, Politics and Warfare among the Ait Atta of South central Morocco* (Article) ; Assu U Baslam in *Les Africains*, tome V, Paris, 1977.

عبد القادر بوراس

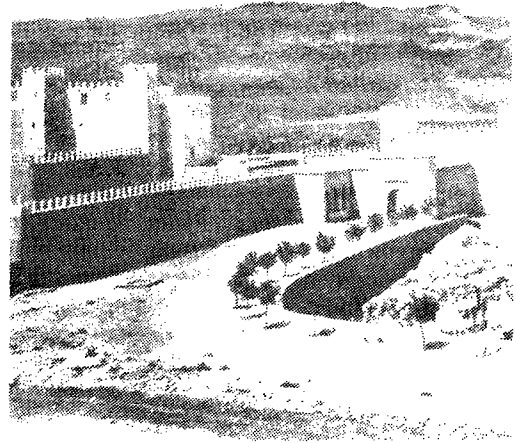
دادس، - جغرافيا - اسم أحد الروافد الرئيسية لنهر درعة، يأخذ منابعه في الأطلس الكبير الأوسط على ارتفاع يصل إلى 3.000 م عند جبل بؤيقولا. ينحدر النهر في اتجاه عام شمالي شرقي جنوبي غربي تحت اسم أسيف - ن - امضغوس ثم دادس حتى منطقة اتصاله بواد ورزازات حيث يكوّنان واد درعة.

تختلف الملامح الطبغرافية لحوض دادس، حيث تصادف أعرافاً محورية حادة تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال

الشرقي تتخللها هضاب مرتفعة وأحواض داخلية في العالية بينما يتميز القسم الأوسط بخوانقه الكارستية الضيقة والمتعمقة، ثم تنفرج التضاريس بعد ذلك على شكل منخفض متسع نسبياً يفصل بين الأطلس الكبير وجبال صاغرو (شرق الأطلس الصغير). ويعزى هذا التعقيد في الطبغرافية إلى تداخل مختلف العناصر الإرسابية الرئيسية لفترات ما بعد الترياس وتعرضها لحركات تكتونية مختلفة الموقع والمدى.

بالنظر إلى موقع المنطقة القاري وانفتاحها على المؤثرات المناخية الصحراوية فإن إمكانيات الحياة البيولوجية خارج المجاري الرئيسية للأنهار محدودة جداً. ويعتبر الجريان السطحي، رغم عدم انتظامه، عنصراً محدداً وأساسياً لكل الأنشطة. فالصبب المطلق المسجل في محطة أيت موند بلغ 36.600 لتر في الثانية بينما قد يصل صبيب الشح إلى 0 لتر في الثانية. وهذا الاختلاف جعل من تنظيم الماء وتديره أحد الركائز الهامة للمجتمع الدادسي.

وهناك ظروف جعلت من وادي دادس ومن الأودية الجبلية المكونة لحوض درعة الأعلى مجالاً للتعمير منذ القديم، وكونت منه ممراً استراتيجياً قديماً بين تافلاث ودرعة وبين هذه المناطق والمراكز الحيوية في الشمال كدمنات ومراكش وفاس.



مدينة دادس

تقدر نسبة المجال المنزوع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط بحوالي 8% فقط من المساحة العامة، مما دفع السكان إلى البحث عن تكامل مجالي في إطار اقتصاد قائم على الزراعة والرعي. على أن الموقع الإستراتيجي المشار إليه، في ميدان التبادل، وقلة الأراضي المنزرعة إضافة إلى الضغط الديمغرافي، كلها عوامل تضافرت منذ القدم لتؤدي إلى التهافت على هذه المجالات، ويعتبر هذا التهافت عنصراً أساسياً في تفسير طريقة التنظيم المجالي القبلي : فمن العالية نحو السافلة نجد القبائل التالية :

أيت حديدو، أيت مرغاد، أيت عطا - ن - مسمير، أيت عطا - ن - أسكيس، أيت سدرات الجبل، أيت عطا - ن - بومالن، أهل دادس، أيت سدرات السهل ثم قبيلة مگونه على رافد من النهر يسمى باسمها و قبائل امغران فأهل اسكورة (هسكورة) على واد توندوت ثم أفخاذ من قبائل امغران وأيت بودلال قبيل مقرن واد دادس بواد ورزازات.

إن هذا التداخل في الاستيطان بين القبائل المختلفة أدى ومازال يؤدي إلى صراعات لا متناهية حول الأراضي المنزرعة ومياه السقي والمراعي الشتوية في صاغرو والصيفية على الأطلس الكبير، حيث كَوْنُ خيوط ونسيج تاريخ المنطقة. فقبائل أيت عطا تحاول استغلال حوض دادس كممر نحو المراعي الصيفية، بينما ترغب قبائل امگونه وأيت سدرات وأيت يافلْمَان وإمغران في أن يكون لها نصيب في المراعي الشتوية بضاغرو.

ساهمت هذه الظروف إلى حد بعيد في تباين الأنشطة الاقتصادية بين أجزاء الوادي. فإذا كانت القبائل القاطنة في أعالي الأنهار تتعاطى أساساً للرعي وزراعة ضيقة للمحاصيل الموسمية فإن سكان سافلة الوادي يتعاطون بالدرجة الأولى لزراعة عمادها الحبوب كالشعير والذرة، بالإضافة إلى مغروسات قوامها أشجار التين واللوز والمشمش والخوخ والجوز.

إن ضيق المجال القابل للاستغلال الفلاحي، وتزايد حاجيات السكان كماً وكيفاً، وانفتاح المنطقة على المؤثرات الخارجية كلها عوامل أدت إلى تنامي تيار هجروي نحو المجالات الاقتصادية النشطة بشمال المملكة أو نحو الجزائر ثم نحو أوروبا الغربية منذ بداية الستينيات. وقد أدى هذا الاتصال المكثف مع الخارج إلى تحولات عميقة لكل المركب الاجتماعي المجالي والاقتصادي. فقد بدأ الرعي يتراجع واتخذت الاستثمارات في ميدان الري بالضخ وغرس التفاح والبطاطس والورود أبعاداً هامة ومتباينة. كما اتجهت بالخصوص نحو التجارة والبناء، حيث انفجرت القصور القديمة وظهر سكن جديد أجنبي في مواد بنائه وأشكاله وهندسته على جنبات الطرق. كما ظهرت تمشياً مع هذه التغيرات مراكز حضرية أصبح تضخمها يطرع عدة إشكاليات كبومالن دادس وقلعة مگونه.

إن جمالية الأشكال الطبغرافية بخوانقها وقممها وأوديتها إضافة إلى صفاء الجو واخضرار الأشرطة المجاورة للأنهار وسط مجالات قاحلة يميل لونها نحو الاصفرار أو الاحمرار، وحسن استقبال السكان، جعل من المنطقة قبلة للسياح خصوصاً الأجانب. وقد تنامي هذا القطاع بعد إحداث موسم الورود بقلة مگونه، وتشجيع السياحة الجبلية. لكن الضغط الممارس على الموارد الطبيعية خاصة القطيعين النباتي والتراحي ثم الموارد المائية ظل يهدد المنطقة.

أقديم إبراهيم، إسهام في الدراسة الهيدروولوجية والمرفولوجية لحوضي دادس وتدغنة (السفح الجنوبي للأطلس الكبير)، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1983 : م. أيت حمزة، ملامح التحولات السيسومجالية بحوض أسيف أمكون، السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1986 : وزا علي، دراسة جغرافية لوادي دادس، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا بكلية الآداب بالرباط، 1979.

M. Ait Hamza, *L'émigration, facteur d'intégration ou de désintégration des régions d'origine ?* Rabat, 1988; Tinghir, Boumalne, Dadès et Kelaât Mgouna : trois petits centres au sud de l'Atlas. 7è Colloque de Sefrou sur "L'aménagement et gestion des petites et moyennes villes au Maroc", Avril 1994, (sous presse), Sefrou ; G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlas Central*, RGM, N° 13, 1968 ; M. El Madani, *Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière - pays atlasiques méridionales : le cas des Ayt Seddrate du Dades*. DES en Géographie. Aix-en-Provence, 1986, 2 vol.

محمد أيت حمزة

* * تاريخ موقع وادي دادس جعل منه منطقة اتصال وعبور بين مناطق جغرافية وبشرية مهمة، هي تدغنة وتافيلالت شرقا، ودرعة (درا) جنوبا، وسوس غربا، والأطلس الكبير شمالا. وبالإضافة إلى ذلك فوادي دادس هو منطقة تماس وانتقال بين لهجتين أمازيغيتين هما : تمازيغت وتاشلحيت. ورغم أن وادي دادس تشرف عليه تضاريس مرتفعة جدا، فإن ذلك لم يكن عائقا أمام المواصلات في مختلف الاتجاهات : جنوبا وشرقا وشمالا وغربا. أما معنى اسم دادس فلا يعرف في الوقت الحالي. ولعل أول من أشار إلى دادس وأهله - حسب ما نعرفه إلى الآن - هو أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق في كتابه المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري (12 م)، وذلك حينما تحدث عن قبائل صنهاجة القبلة وأفخاذها قائلا : "ومن صنهاجة القبلة سولينية إين سولينت معا، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وكذلك مزگغة أو مزگگا معا أيضا من صنهاجة القبلة، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وهذان القبيلان مضافان إلى ابن كفو لا يعتمد عليهم في الحضور ولا في الترتيب، وكأنهم رعية، ولكل فخذ من هذه الأفخاذ شيخ". وواضح من هذه الإشارة أن أهل دادس ربما تقاعسوا عن الانضمام إلى الدعوة الموحدية في بداية أمرها.

وهناك إشارة ثانية لدادس وردت عند التادلي المعروف بابن الزيات في الترجمة التي أفردتها لأبي يحيى أبي بكر ابن ملول [الصنهاجي] الأسود في كتابه التشوف إلى رجال التصوف. وما قاله عن هذا الولي الصالح إنه "من أهل قرية [تانسغت] من بلد دادس من بلاد القبلة، وبها مات عام خمسة وستمئة وكان عبدا صالحا...". وكلمة دادس هنا

تعني المجال الترابي والجغرافي. أما السكان فلم تكشف عن هويتهم القبلية. أما قرية تانسغت المذكورة فهي لا تزال معروفة إلى اليوم، وتوجد على الضفة اليمنى لوادي دادس في تراب قبائل أيت حصو قريبا من سوق الخميس دادس الحالي (في وسط دادس). أما ضريح أبي يحيى فهو مزار إلى اليوم.

وتضاف إلى الإشارتين المكتوبتين السابقتين إشارة ثالثة، لكنها متأخرة تعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، وهي للحسن الوزان المعروف بجان ليون الأفريقي، يصف فيها دادس بأنه جبل "شاهق مكسو بالغابات يبتدئ غربا عند جبل مغران وينتهي في تخوم جبل أدخسان، كما يتأخم جنوباً سهل تدغنة..." ويفهم من هذه الإشارة أن منطقة دادس التي يعينها الأمر هنا هي المنطقة الجبلية من الأطلس الكبير الأوسط المطل على إقليم تادلا. ويفهم أيضاً من نفس الإشارة أن نفوذ السعديين ربما لم يشمل بعد دادس بمعناه الواسع إلى حدود سنة 918 / 1512 - 1513 تاريخ قدوم الوزان إلى المنطقة متجها من مراكش نحو سجلماسة. وجدير بالملاحظة أن المعلومات التي أوردها مارمول عن دادس لا تختلف كثيراً عما أورده عنه الوزان.

وباستثناء هذه الإشارات القليلة، فإن مختلف المصادر التاريخية سكنت عن وادي دادس وتاريخه ربما لكونه مصاقباً لمنطقتين أكثر أهمية منه هما درعة وتافيلالت، ويبدو أن المؤرخين القدامى كانوا يعتبرونه جزءاً من إحداها، فالمصادر اليهودية (مخطوط طوليدانو ومخطوط تيبيليت) التي تحدثت عن تاريخ اليهود بوادي درعة لم تذكره ولا يعرف بالتالي ما إذا كان وادي دادس يندرج ضمن الكيان السياسي الذي أقامه اليهود هناك مدة إلى أن قضى عليه المرابطون. وهذا الموضوع بالذات يجرنا إلى الحديث عن استيطان اليهود بوادي دادس علماً بأن أهم تجمع يهودي في جنوب شرق المغرب كان يوجد إلى عهد قريب في هذه المنطقة وتحديدًا بقصر تيبيليت الواقع على الضفة اليمنى لوادي دادس الأوسط في تراب قبيلة إورتيكين. وتتوفر في هذا الباب على معلومات مهمة أوردها الباحث اليهودي حاييم الزعفراني في كتابه ألف عام من حياة اليهود بالمغرب، وذلك اعتماداً على ما قاله يهودا بيريس أحد حزانات الأطلس الكبير خلال القرن السابع عشر للميلاد، عن أسرته في كتابه المسمى زهرة لبنان الذي طبع في برلين سنة 1712. ومما قاله في هذا المؤلف أن أجداده تم طردهم من إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، فشدوا الرحلة إلى المغرب وأخلدوا إلى الاستقرار بوادي دادس بعدما اشتروا مكان إقامتهم به من عاهل مراكش. وهناك شيدوا منازلهم وتعاطوا للزراعة والرعي. وعاشوا في أمان وطمانينة، وتجنّبوا الاختلاط بغيرهم حفاظاً على دمهم الملكي (إذ ادعوا أنهم من بيت الملك داوود). وقد فشا نسلهم إلى درجة أن الأرض التي

ورغم أن مؤلف الاستبصار لم يحدد بالضبط موقع هذه الأرض التي وصفها بالمدينة، فإن العناصر التي تضمنها هذا الوصف تنطبق على الموقع الذي يوجد به قصر تيبيليت الحالي في وادي دادس الأوسط الذي يتسم بالأنسباط (نسبيا) ووجود المياه، والأشجار المثمرة، وكثرة العمران، إضافة إلى كونه يتوسط مناطق الجنوب الشرقي أو ما اصطلح على تسميته في العصر الوسيط بمنطقة القبلة عبر الطريق الرابط بين مراكش وتافيلالت. وليس مستبعداً أن تكون مختلف هذه المعطيات وراء اتخاذ مقرأ للجند وللحاكم ممثل السلطة المركزية بهذه المنطقة خلال الفترة المذكورة.

ورغم أن قبائل أيت عطا تمكنت خلال القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 - 20 م) من السيطرة على بعض الأماكن في وادي دادس، فإن تسربها كان محدوداً ولم يؤد بالتالي إلى تغيير البنية القبلية الموروثة منذ الحقبة المربنية على الأقل. فالمعطيات التاريخية المتوفرة تفيد أن الخريطة القبلية لوادى دادس ربما تكاملت عناصرها خلال هذه الحقبة.

L. Mezzine, *Le Tafilalet. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVII^e et XVIII^e siècles*, Rabat, 1987 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1931 ; H. Zafrani, *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

-3902-

الدادسي، الحسن بن محمد أديب متمكن في قواعد اللغة، أفاد منه طلبة منطقة درعة في علوم : النحو والصرف والبلاغة والعروض، إلى جانب مشاركته الكبيرة في تدريس كتب الفقه أصولاً وفروعاً. أما تكوينه فقد بدأ في مسقط رأسه بدرعة واكمل بعد تخرجه بفاس على يد الإمامين أحمد المنجور وأحمد القدومي.

توفي بعد سنة 999 / 1591.

أ. ابن القاضي، درة، ج. 1 : 242، رقم 361 : م. الناصري، الدرر، تح. ذ. النوحى د. د. ع، الرباط 1988 : ج. 1 : 149 : م. حجي، الحركة، ج. 2 : 531.

الدادسي، علي بن محمد بن أبي القاسم، أبو الحسن، عالم فاضل، اختص في المعقولات، وعُرف بتقديمه في علمي الحساب والتوقيت، وله فيهما مؤلفات أشهرها نظامان في التوقيت، هما : *اليواقيت في المبتغى من صناعة المواقيت* : وهي أرجوزة تتألف من 435 بيتاً انتهى من نظمها سنة 1058 / 1648 (توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 2057 د ضمن مجموع من ص 67 إلى 84).

. وله عليه شرح سماه : *فتح المغيث في شرح اليواقيت*.
. *المعونة* : رجز آخر في التوقيت.

. *العمل بالكفة الواحدة* : رجز في الحساب وشرحه.

(توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 930 ق ضمن مجموع من ص. 85 إلى 87).

ويظهر أن الشيخ علياً الدادسي اتسع رزقه فتمكن من الإقامة مدة في مدينة فاس، قبل أن يرحل إلى مصر حيث أدركته الوفاة بالقاهرة. وكان قد أوصى أن تبنى من ثلث ماله قبة على فقهاء المالكية. توفي سنة 1094 / 1683.

م. الإفراني، صفوة، 198، م. الناصري، *الروض الزاهر*، م خ ع : 2261 ك، الفصل الأخير من الباب الثاني، ورقة 9 ظهر : م. القادري، نشر، ج. 2 : 406 : م. الحضيكي، طبقات، م خ ع : 1124 د، ورقة 163 ظهر. (وفيه وفاته سنة 1074) : أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط خ ج : 11481، ص. 271 : م. حجي، الحركة، ج. 2 : 532.

الدادسي، محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف بالكبير، فقيه جليل، وصوفي ورع ساهم في التربية الخلقية وفي نشر العلم بدرعة فانتفع به الطلبة، ومن جملتهم الشيخ محمد ابن ناصر. أصله من صنهاجة، دادس. وهو من المتخرجين على يد عالمي درعة الكبيرين محمد ابن مهدي الجراي، وأبي القاسم الشيخ. وقد ظهر مستوى تلك المشيخة في تحصيله لعلوم الدين واللغة إلى جانب تنوع مشاركاته الأخرى، فقد كان أديباً يقرض الشعر، ومؤرخاً

يعتني بأحداث عصره ويحللها وينتقد منها ما يجب انتقاده كما يظهر من عناوين مصنفاته وأهمها :
- *تحفة الصبيان* بجمل من أحكام الأديان : في نحو ألف بيت.

- *رسالة في الوظائف المخزنية* التي أحدثها الولاة بدرعة، انتقد فيها "النائب" أو "القيمة" - كما تسمى في المنطقة - التي فرضها السعديون على أهل المغرب.
- *رائية تاريخية* : تعرض من خلالها لأحداث عصره ومنها ذكر حملة المنصور على بلاد السودان.

توفي بدادس سنة 1029 / 1619.

م. الناصري، *الدرر*، تح. ذ. النوحى، د. د. ع، الرباط، 1988، ص 330 : م. الحضيكي، *طبقات*، مخطوط خ ع 1124 د ورقة 112 ظهر : م. حجي، الحركة، ج. 2، ص. 531.

نقيسة الذهبي

الدادسي، محمد بن علي المولود سنة 921 / 1515 بدادس، تلقى تعليمه بزاوية محمد بن مهدي قرب زاغورة مع شقيقه أحمد وابن عمته عبد الواحد السجلماسي وفي سنة 967 / 1560 أدى فريضة الحج وأقام بمصر مدة وسمع على مشايخها. فأخذ عن الشيخ إبراهيم الصفوي المقدسي والشيخ أبي عمران موسى النشائي، فأجازاه، ومن إجازة الشيخ موسى النشائي له قوله : "قرأ علي محمد بن علي الدادسي قطعة من صحيح البخاري قراءة محررة الألفاظ صحيحة المباني معربة المعاني فاستدللت بها على فهمه ... فأجزته ...". وبعد عودته إلى وطنه أقام بمراكش فانتفع به طلبتها.

برز الدادسي في علوم القرآن والحديث الذي له فيه سند صحيح ورواية متصلة بالحافظ ابن حجر العسقلاني وجلال الدين السيوطي، وباستثناء هذين العلمين فلم تكن له مشاركة في العلوم الأخرى حسب زعم المؤرخ الأديب أحمد ابن القاضي في كتابه *درة الحجال* حيث قال في مستهل ترجمته : "له سند صحيح وأخذ وسماع إلا أنه ليس من أهل العلم" ولعله يقصد بهذه العبارة أن العالم هو المشارك في سائر العلوم. ومع ذلك فقد استجازه فأجازاه فقال : "كانت إجازته لنا في منزله بمراكش المحروسة بأزيرط في سبع وعشرين من الحجة سنة 998".

بقي محمد الدادسي بمراكش إلى أن توفي بها بتاريخ 7 شوال 999 هجرية.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2. 150. تح. محمد الأحمدى أبو النور : *لقط الفرائد*، ألف سنة من الوفيات، تح. د. م. حجي : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5. 179 : م. حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، 2 : 530. 531.

محمد ماگامان

دادي، أسرة فاسية أصلها من تلمسان، أهل معاش وحرفة ومال وتجارة ودين وخياره، دخلوا قديماً إلى فاس. ويقال لهم ابن دادي.
ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مخطوط.

دادي، محمد الأمين التازي، موسيقي غلب عليه لقب دادي. ولد بفاس حوالي عام 1317 / 1899 وأخذ أصول الموسيقى الأندلسية ومستعملاتها عن الفنان عبد السلام البريحي ثم انخرط في جوق الفقيه محمد البريحي. وعندما فتحت مدرسة تعليم "الآلة" بدار الجامعي بمكناس أواخر سنة 1351 / 1932 استقدمته مصلحة الفنون الأهلية للتدريس بها، فتخرج على يده ثلثة من رجال هذا الفن بمكناس من بينهم مولاي إدريس الامراني ومولاي أحمد المدغري، وعبد القادر أجانا، ومحمد بناني، وعبد الكريم الوزاني، ومحمد الصائغ، والحاج محمد بن شقرون، وغيرهم. وقد استقر بمكناس وتزوج بها.

كان محمد دادي من بين أعضاء الجوق المغربي الذي مثل المغرب في المؤتمر العربي للموسيقى الأول الذي انعقد بالقاهرة عام 1932. وبعد حياة حافلة بالعطاء توفي عام 1969 بمكناس ودفن بها.
معرفة شخصية ورواية شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دار البارود بمكناس، تقع ما بين باب الحجر - الباب الرئيسي للقبة الإسماعيلية، وكان هذا الباب يسمى أيضاً باب العلوج وباب المرس نسبة إلى المرس الإسماعيلي، وبين باب بوعماير وهذه الأبواب من بناء المولى إسماعيل (1672 - 1727)، وتواجه مدخل حديقة الحبول، وكانت عبارة عن معملين للبارود، أحدهما لصنعه والآخر لتصفية ملحه، وهما اللذان قال عنهما ابن زيدان في الإنحاف (1 : 51) :

"... وكلتا الدارين من فخامة العاصمة"

وتعتبر الداران معا من منشآت المولى إسماعيل الذي كان يعتني اعتناء كبيراً بتسليح جيشه البخاري بأسلحة نارية لمواجهة الأخطار الخارجية وكل ما يهدد أمن المخزن داخلياً.

وفي بداية القرن العشرين صارت دار البارود - المعروفة حالياً بهذا الاسم - من ممتلكات السلطان مولاي عبد العزيز (1894 - 1907) كما هو مسطر في كناش رقم 454 بالخزانة الحسنية بالرباط الحامل لعنوان : "تقييد أملاك السلطان بمكناس ونواحيها" والمؤرخ بسنة 1323 / 1905.

وبعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب وضعت السلطات الاستعمارية بمكناس يدها على دار البارود المحدودة بعروسة اليزيدية وساحة الجنرال دالبيز Dalbiez - ساحة باب بوعماير حالياً - وعين بوعماير وطريق

المرس وكانت مساحتها 1830م² وحددت قيمتها المالية بـ 2500 فرنك، وتم كراؤها لمصالح البلدية بـ 300 فرنك شهرياً ابتداء من فاتح يونيو 1923، وتمكنت نفس المصالح من شرائها طبقاً لظهير 4 نونبر 1925 الخاص بالمنفعة العامة بثمان قدره : 15.000 فرنك فتملكتها ابتداء من فاتح يناير 1926 لمدة عام واحد حولتها فيه إلى مستوصف بلدي، فتنازلت عنها لمصلحة الأشغال العمومية طبقاً لاتفاق بين الإدارتين حسب ما جاء في المحضر الرسمي لذلك المؤرخ بـ 30 دجنبر 1926 الحامل لرقم 814.

وصارت دار البارود في بداية الاستقلال (1956) مقراً لإدارة القوات المساعدة المغربية، وأقفلت حالياً ولم تعد تؤدي أي دور.

ع. ابن زيدان، إنحاف، ج. 1، الرباط، 1929 ؛ بوشتي بوعسرية، مكناس، المدينة الجديدة، التأسيس - البنيات الإدارية - التناقضات، 1911. 1939، أطروحة مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

Archives du domaine de Meknès, registre n° 1, Meknès Urbain, n° 171, p. 86.

بوشتي بوعسرية

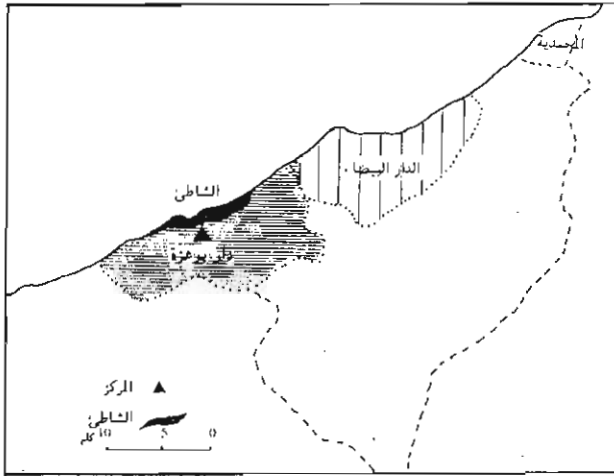
دار الباشاوات، تقع في الجانب الشرقي من حومة جامع الزيتونة، محاذية لشارع الحبول. بناها باشا مكناس بنعيسى بن عبد الكريم البخاري المولود بمكناس عام 1275 / 1858. وكان الشروع في بنائها إثر توليته باشا من طرف السلطان مولاي حفيظ في جمادى الثانية 1330 / يونيو 1911. واستغرق البناء بقية هذه السنة ثم سنة 1331 (1912 - 1913)، والسنتان الهجريتان معاً (1330 و 1331) منقوشتان على الجبس في واجهة الجناح الجنوبي وواجهة القبة الكبرى من صحن الدار. وفيها يقع اليوم المعهد الوطني للموسيقى التابع لوزارة الشؤون الثقافية بمكناس.

يدخل بناء دار الباشاوات في إطار المخطط السكاني لدور وقصور بعض رجال المخزن وأعيان المدينة التي أنشئت في الواجهة الشرقية للمدينة العتيقة في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر (19 - 20 م)، كبديل لمدينة الرياض التي شهدت انتكاسة عمرانية في منتصف القرن الثاني عشر، ومن ثم فهي تشكل نموذجاً حياً للعمارة المغربية في العصر العلوي الثالث وما بعده.

كانت الدار من بين أملاك الباشا البخاري التي صادرتها سلطات الحماية الفرنسية بعد إلقاء القبض عليه يوم 12 دجنبر 1918 ونفيه إلى مدينة الجديدة، ومنذئذ تحولت الدار إلى الأملاك المخزنية، وأصبحت على فترات متقطعة تشغل لأغراض إدارية مختلفة كان أهمها إقامة بعض باشاوات مدينة مكناس بها كالباشا الحاج أحمد السعيد، والباشا المختار الكرواني، ومن ثم غلب عليها اسم "دار الباشاوات".

وقد عرفت هذه الدار حدثاً فنياً هاماً في عام 1975

دار بوعزة، مركز يقع على الطريق الثانوية رقم 130 الرابطة بين الدار البيضاء وأزمور. ويتشكل من السوق الأسبوعي أربعاء أولاد جرار، نسبة إلى فرع القبيلة التي يوجد على ترابها. ورغم كونه من أصغر أسواق ضواحي الدار البيضاء فهو يشكل قطباً تجارياً مهماً بالمنطقة الساحلية. ويضم المركز بالإضافة إلى السوق عدة مرافق إدارية وخاصة دار الجماعة والقيادة والدرك والبريد... ومجموعة من المحلات التجارية والخدمات. وشهد هذا المركز توسعاً كبيراً مع تشييد تجمع للسكن الاقتصادي في إطار محاربة أحياء الصفيح وكذا تجزئة للفيلات من إنجاز الجماعة. هذا بالإضافة إلى استقرار وحدات صناعية للنسيج ولتلفيف وتكييف الحضر. ونظراً لقرب هذا المركز من البحر (حوالي 2 كلم) فقد استقطب الشاطئ الحيز الأكبر من حركة التعمير.



شهد شاطئ دار بوعزة، منذ بداية الثمانينيات، عدة تحولات تمثلت بالأساس في تهية مجموعة من التجزئات السكنية من طرف مؤسسات عمومية والخواص، كانت آخرها وأكبرها تجزئة "النورس" التي أنجزتها الوكالة الحضرية للدار البيضاء. هذا بالإضافة إلى تجهيز الشاطئ بعدد من المرافق من مخيمات ومحلات تجارية ومخادع للملابس ومواقف للسيارات وأرصفت للراجلين وإنارة... وبذلك تشكلت نواة تجمع حضري وسياحي بمعزل عن مركز دار بوعزة. ويتعزز هذا التجمع بانتشار السكن في شكل فيلات حوله وعلى طول الشاطئ.

أمّا جماعة دار بوعزة فتنتهي إلى عمالة الدار البيضاء عين الشق الحي الحسني. وتمتد في غربها على مساحة 135 كلم². وهي من أكبر الجماعات القروية بالولاية ومن أكثرها سكانا 47.680 نسمة سنة 1994. وقد انتقلت بها كثافة السكان من 125 ن / كلم سنة 1960 إلى أكثر

عندما حُولت بعض مرافقها إلى قاعات لتعليم الموسيقى الأندلسية الذي كان قد أحدث في نونبر 1932 بدار الجامعي بقرار من إدارة الشؤون الأهلية واستمر قائماً بها حتى الخمسينيات، ثم نقل تبعاً إلى قاعة السفراء المعروفة بقبة الحسيطين، فالمعهد البلدي للموسيقى بالمدينة الجديدة. ومنذئذ أصبحت دار الباشاوات مقراً للمدرسة الوطنية للموسيقى واتسع نطاق التعليم الموسيقي بها ليشمل طرب الملحن وفني المديح والسماع، والمواد الموسيقية النظرية والعزف على الآلات العربية والغربية. وفي يناير 1980 أصبحت الدار - في ذات الوقت - مقراً للمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية.

وفي موازاة هذا التحول الذي عرفته دار الباشاوات انطلقت بها أشغال الترميم والاستصلاح التي شملت سائر مرافقها بإشراف المفتشية الإقليمية للمباني التاريخية، وذلك بهدف رد الاعتبار إليها، وتوسيع الطاقة الاستيعابية لحجراتها الدراسية، ثم بغية تصنيفها ضمن المعالم الأثرية للعاصمة الإسماعيلية.

وقد تم تحويل مصالح مندوبية الشؤون الثقافية إلى مقرها الجديد بالمدينة الجديدة في يوليوز 1989، وبذلك عادت دار الباشاوات لتستقل - مرة أخرى - باحتضان المعهد الوطني للموسيقى.

م. العرائشي، ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي. ص. 58، ط. مكناس، 1972؛ بوشى بوعسيرة، معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1096؛ م. المنوني، مكناس وما، بوفكران، سجل وثائقي يخلد الأحداث الدامية لما بوفكران، 2 - 9 - 1937، مهرجان خطابي نظمه المجلس البلدي لمدينة مكناس في شتنبر 1982، 1983، ص. 50 - 51؛ وثائق المدرسة الوطنية للموسيقى بكناس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دار البحر بأسفي، قصبة عظيمة على شاطئ البحر. وهي من الآثار الحربية البرتغالية القائمة حتى الآن بعد ما تم ترميمها عدة مرات خلال هذا القرن. ويعود تاريخ تشييدها إلى العقد الأول من القرن العاشر (16 م) إبان احتلال البرتغاليين للمدينة، على أنقاض دار حاكمها السابق أحمد ابن فرحون. يصفها الفقيه الكانوني في كتابه أسفي وما إليه ويقول: "هذه القصبة على شاطئ البحر مربعة الشكل، على كل ريع منها برج، وفي وسطها عدة دور وخزائن..."

ويوجد الآن بداخلها عدد من المدافع البرتغالية والمغربية من مختلف العصور. وبعضها مازال في حالة جيدة. تحولت هذه القصبة حديثاً إلى متحف، وهي مفتوحة في وجه الزوار.

م. الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً؛ استطلاعات ميدانية. عبد الرحيم العطاوي

من 350 ن كلم² سنة 1994. وفي ارتباط بتزايد حجمها الديمغرافي تشهد هذه الجماعة تحولات عديدة تتمثل بالأساس في حركة التعمير التي تكتسح العديد من أجزائها. فبالإضافة إلى التعمير بالمركز والشاطئ يكتسح التعمير الأجزاء المحاذية للمجال الحضري البيضاوي. وفي هذا الصدد سمح المخطط التوجيهي بتوسع حي "الألفة" (جماعة الحى الحسني) داخل تراب جماعة دار بوعزة. وتم تحويل عدد من تجمعات السكن غير اللائق إلى تجمع ضخم للسكن الاقتصادي بمركز "لِساْسفة" الذي تمت ترقيته سنة 1992 إلى بلدية مستقلة عن جماعة دار بوعزة، ومرتبطة بالمجال الحضري للدار البيضاء. وبالإضافة إلى ذلك تشهد هذه الجماعة اكتساحاً واسعاً من سكن الفئات الغنية في شكل مغاني وقصور ضخمة على طول طريق أزموور والطرق الثلاثية المتفرعة عنها. ورغم هذا الاكتساح تحافظ هذه الجماعة لحد الآن على طابعها القروي سواء من حيث سيادة المشاهد الزراعية أو ارتباط أغلبية سكانها بالفلاحة وخاصة منها زراعة الحضر. ويظل السكن بها متفرقاً والطابع القروي هو السائد.

م. شويكي، إنتاج هيكلية المجال الحضري بالدار البيضاء، دكتوراة مرقونة في كلية الآداب، الرباط 1995، 3 أجزاء، ص. 671.

Bahir, Le changement spatial, économique et social dans les communes rurales de la Wilaya de Casablanca, Montpellier, 1992.

المصطفى شويكي

دار بوعلي بن فاس، هي دار الباشا بوعلي بن عبد
الخالق بن عبد الله بن حمدون الرومي (انظر مادة الرومي) الذين قلدهم المولى إسماعيل وأبناؤه مهمة باشوية فاس، فكان من طول حكمهم وجسروتهم في عهد ذلك السلطان وخلفائه ما جعل دار بوعلي التي كانت على الطريقة المخزنية التقليدية هي دار الباشا ومقر الحكم ورمز السلطة لدى أهل فاس. واستمر الأمر على ذلك طيلة العهد العلوي إلى أن نقلت سلطات الحماية سنة 1935 مقر الباشوية إلى محكمة جديدة أقيمت بوادي الفجاليين لتبعده عن أحياء المدينة العتيقة وتجعله تحت أنظارها في الحى الذي كانت توجد فيه جل الإدارات الاستعمارية، فانفصل بذلك لأول مرة مقر سكنى حاكم المدينة عن مقر حكمه. وتحولت دار بوعلي خلال الفترة الأخيرة من الحماية والسنوات الأولى من الاستقلال إلى مقر نظارة أحباس فاس، ثم أصبحت مدرسة ابتدائية في حي زقاق البغل بجوار دار عذيل التي كانت بمثابة خزانة تجبى إليها أموال المدينة ومنها تصرف. واحتفظت دار عذيل بمعالمها بعد ترميمها بينما دخل دار بوعلي ما دخلها من الإصلاح والترميم.

م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 6 : 2279 2281 : بحث ميداني.

إبراهيم بوطالب

الدار البيضاء أكبر مدن المغرب وعاصمتها
الاقتصادية، ومن أكبر مدن القارة الإفريقية وأهم موانئها وأقطابها الاقتصادية.

أدى الاحتلال العسكري الفرنسي للمدينة سنة 1907 إلى إذكاء تهاافت الأوربيين على اقتناء الأراضي وعلى البناء. وفي ظرف عقد من الزمن انتشر البناء بعيداً عن أسوار المدينة القديمة. واكتسبت المدينة الناشئة ملامحها الرئيسية قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، وجاءت شاسعة الرقعة، وتوسع في كل الاتجاهات، وتعددت وتباينت أحيائها. وبدل على ذلك تقسيمها إلى 23 حيا سنة 1918. وقد ارتبط اكتسابها لبعد مجالي وعمرائي لم تكتسبه أية مدينة مغربية أخرى في ظرف عقد واحد من الزمن، بالدور الاقتصادي المسند لها. ويتجلى ذلك من خلال البناء العصري الضخم الذي شيد بها وتنوع أنشطتها الاقتصادية، وأزدهار قطاع المبادلات التجارية الذي أصبح يشكل المحرك الرئيسي لمعظم أنشطة المدينة. فأصبحت الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمغرب في ظرف عقدين من الزمن. كما أصبحت خلال عقد الثلاثينيات أكبر مدن المغرب.

إن اكتساب الدار البيضاء لمكانة كبيرة كميناء متعدد الوظائف ومركز اقتصادي ضخم وكأول تجمع للجماليات الأوربية جعلها تبرز منذ فجر القرن العشرين كقطب جذاب للمهاجرين من مختلف بوادي المغرب ومدينه. فاستقطبت أعداداً كبيرة من الفارين من ضراوة التغلغل الاستعماري العسكري والاقتصادي بالبوادي، وضحايا كل الأزمات والأوبئة والكوارث الطبيعية التي شهدتها المغرب.

وقد تزايد عدد سكانها بسرعة كبيرة :

1907 : 25.000 نسمة	1952 : 262.700 نسمة
1921 : 97.000 نسمة	1982 : 2.139.200 نسمة
1994 : 2.628.660 نسمة	

وبذلك فالدار البيضاء لا تشكل فقط أكبر مدن المغرب بل تستأثر بجزء هام من ساكنته، بحيث يتركز بها أكثر من 20٪ من الساكنة الحضرية للمغرب وما يزيد عن 10٪ من مجموع سكانه.

إن النشأة الحديثة للدار البيضاء التي تدخل في إطار السياسة الاستعمارية الرامية إلى تحويل مركز الثقل بالمغرب من الداخل نحو الساحل وإلى فصل العاصمة الاقتصادية عن السياسية، جعلت هذه المدينة تتخذ منذ بداية احتلالها طابع مركز اقتصادي ومجال حضري متميزين.

ظل البناء يشكل لمدة طويلة محرك الأنشطة الاقتصادية للدار البيضاء، فقد ارتبطت به نشأة وتطور أنواع عديدة من التجارة والصناعة والخدمات. وظل يغذيها طيلة عهد الاستعمار عندما كانت الدار البيضاء تشكل

قاعدة خلفية للاقتصاد الفرنسي وخاصة أثناء الحروب والأزمات. ورغم استمراره في احتلال الرتبة الأولى من بين الموانئ المغربية فإن حصته من مجموع رواجها قد تراجعت من 76٪ سنة 1955 إلى حوالي 40٪ سنة 1992. وتراجع معها دوره في اقتصاد المدينة وفي هيكلية مجالها الحضري. ويتوقع المخطط التوجيهي للتعمير تراجع دوره في تصدير المواد المعدنية وخاصة الفوسفات من أجل استغلال السكة الحديدية في النقل الحضري. هذا فضلاً عن تراجع دوره في تصدير العديد من المواد المصنعة مثل منتجات النسيج والجلد أمام تطور نقلها نحو أوروبا بواسطة الشاحنات. ومع ذلك فهو يحافظ لحد الآن على مكانته كأول ميناء لتصدير واستيراد البضائع بالمغرب بنسبة 44٪ من الصادرات و35.5٪ من الواردات سنة 1992. وخلال نفس السنة بلغ مجموع رواجه 29 مليون طن، حوالي 52٪ منها كصادرات. هذا فضلاً عن كونه يظل لحد الآن الميناء الأكثر تنوعاً في الوظائف إذ يجمع بين تصدير المعادن والبضائع والمنتجات الفلاحية واستيراد المحروقات والمنتجات الصناعية بالإضافة إلى دوره كميناء للصيد البحري والمسافرين.

في الميدان الصناعي تتميز الدار البيضاء باحتكارها لحوالي 50٪ من الوحدات الإنتاجية بالمغرب، و60٪ من اليد العاملة الصناعية، وجلبها لحوالي 50٪ من مجموع الاستثمارات بهذا القطاع. وهي بذلك تشكل أول قطب صناعي بالمغرب. فقد انتقل بها عدد الوحدات الصناعية التي تشغل أكثر من 9 مآجورين من 20 وحدة سنة 1925 إلى ما يزيد عن 2.000 سنة 1990. وتنوعت فروع الصناعة بها لتشمل إلى جانب الصناعات الموروثة عن عهد الاستعمار (صناعات غذائية ومعدينية وكيمياوية) فروعاً أخرى مثل النسيج والجلد والصناعات الكهربائية والإلكترونية ومواد البناء والخشب والورق... وقد ترتب عن ذلك تصاعد حجم اليد العاملة الذي انتقل من حوالي 37.000 مآجور سنة 1947 إلى ما يزيد عن 140.000 سنة 1990. فتعاظم دورها في ميدان التشغيل. وأصبحت الصناعة بمفردها تشغل خلال عقد الثمانينيات ثلثي عدد السكان النشيطين بعدما لم تكن تتعدى خلال عهد الاستعمار خمس هؤلاء السكان.

وبشكل مواز لهذا التطور دخلت الصناعة بالدار البيضاء مرحلة الارتباط العضوي بمختلف فصائل الرأسمال عن طريق اندماجها في مجموعات مالية كبرى ذات تشعبات وطنية ودولية ومتعددة الروابط بالمرافق الاقتصادية الأخرى. ويرجع ذلك إلى ارتباطها المبكر والمتزايد في آن واحد بالتصدير وبالسوق الداخلية، كما أن الصناعة بالدار البيضاء نتاج تراكم زمني طويل لم تحد من

توسعه كل محاولات اللامركزية التي قامت بها الدولة. فالصناعة التي ظهرت بالدار البيضاء منذ العقد الأول من الاحتلال قد طبعت المجال الحضري بشكل قسوي. ورغم تخصص الأحياء الشمالية الشرقية في الصناعة وسكن اليد العاملة، فإن ذلك لم يمنع من انتشار هذا النشاط عبر مختلف أنحاء المدينة. ولا أدل على ذلك من كون 60٪ من الوحدات الصناعية توجد خارج الأحياء الصناعية.

ويتجلى أيضاً تأثير الصناعة من خلال تعدد الأحياء الصناعية (لا جيروند وعين برجة ولافيليت والصخور السوداء وعين السبع الشمالي وعين السبع الشرقي وسيدي مومن والمعاريف...). وبذلك أصبحت الدار البيضاء تشكل محيطاً صناعياً يجلب الاستثمارات وقوة العمل في آن واحد بحكم توفر كل متطلبات الصناعة من سوق للشغل وسوق للاستهلاك والخدمات. وفضلاً عن ذلك فالدار البيضاء تشكل المدينة الوحيدة بالمغرب التي تعرف تكاملاً وارتباطاً متصاعدين بين مختلف فروع الصناعة بها، وهنا يكمن سر قوتها ونفوذها الذي جعلها تنافس المدن الأخرى حتى بالنسبة للصناعات الصغيرة التي يسهل استقرارها خارج الدار البيضاء. وهذا ما جعل الصناعة تشكل عنصراً حيوياً في اقتصاد المدينة وفي نشاط جزء مهم من ساكنتها.

تعتبر التجارة والخدمات (أي القطاع الثالث) من أهم المرافق الاقتصادية بالدار البيضاء. ورغم تراجع حصة هذا القطاع من السكان النشيطين أمام توسع الصناعة والبناء (القطاع الثاني) فإنه يحتفظ بمكانته وأهميته على العديد من المستويات.

	1982	1971	1960
القطاع الأول	23٪	25٪	22٪
القطاع الثاني	46.5٪	40٪	34.6٪
القطاع الثالث	51.2٪	57.5٪	63.2٪

تطور توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية

ولا ترجع هذه الأهمية فقط إلى عدد وحجم المؤسسات بهذا القطاع بل ترجع إلى تداخل فروعه بمختلف فروع القطاعات الأخرى وإلى دوره على الصعيد الوطني. فالدار البيضاء لا تحتضن فقط ما يزيد عن 2.500 تاجر للجملة، أي حوالي ثلث هؤلاء التجار بالمغرب، بل إن تجار الجملة بها هم الذين يوزعون البضائع على نظرائهم بباقي جهات المغرب. فسوق الجملة للخضر والفواكه بالدار البيضاء يغطي 40٪ من حاجيات باقي جهات المغرب. وتجارة المواد الغذائية والملابس تجعل درب عمر يشكل نقطة انطلاق

لمعدل 350 شاحنة في اليوم نحو كل جهات المغرب. وارتباط تجارة الجملة بحركة التصدير والاستيراد يجعل منها قوة اقتصادية ذات تأثير قوي على مختلف المرافق الاقتصادية بما فيها الهياكل الإنتاجية.

وترجع أيضاً أهمية التجارة إلى كون الدار البيضاء تشكل أكبر سوق استهلاكية بالمغرب من حيث الحجم وتنوع مستويات العرض والطلب بها، وإلى دورها كمحطة عبور يمر بها يومياً معدلاً 30.000 مسافر من وإلى مختلف جهات البلاد. وهذا ما يجعل التجارة تستأثر بثلاثي العاملين بالقطاع الثالث. وترتبط أهمية التجارة باحتضان الدار البيضاء لمقرات المؤسسات البنكية والحوالي 30٪ من وكالاتها. هذا بالإضافة إلى احتضانها لمقر معظم باقي المؤسسات المالية من شركات المساهمة ومؤسسات القرض والتمويل والإيجار وشركات التأمين. ويؤدي هذا التركيز المالي والتجاري إلى احتلال المدينة لمكانة متميزة في ميدان الخدمات سواء منها الموجهة للمقاولات أو للأفراد، وذلك من حيث تنوعها وتعددتها. كما تعزز قطاع الخدمات بتطور التنظيم الإداري للدار البيضاء الذي أدى إلى إعادة هيكلة المصالح العمومية تبعاً لتعدد الكيانات الإدارية.

يتأثر المجال الحضري البيضاوي بالحضور القوي للمصانع ويتعدد التجمعات التجارية ومرافق الخدمات عبر مختلف أجزاء المدينة. ويرتبط عن ذلك كثافة حركة المرور وتنقلات السكان. فأصبحت المرافق الاقتصادية، وخاصة منها الصناعية، تشكل عامل ضغط قوي في ميدان حاجيات المدينة من الأراضي الصالحة للبناء. وهذا ما يجعل دينامية وهيكلية المجال الحضري بالدار البيضاء تفرزان مشاكل عويصة على العديد من المستويات وتتطلبان تدخلاً مكثفاً ومستمراً للدولة.

لذلك تكون الدار البيضاء المدينة الوحيدة بالمغرب التي شهدت خلال القرن العشرين أربع محاولات للتخطيط العمراني. وأعطت المخططات العمرانية الثلاثة التي طبقت بها هيكلة عامة تستجيب لتنظيم واضح. فقد ظلت الأجزاء الشمالية الشرقية من المجال الحضري خاصة بالصناعة وما يرتبط بها من سكن لليد العاملة. وظلت الأحياء الجنوبية الغربية خاصة بسكن الفئات الغنية. وحافظت النطاقات الوسطى على ارتباطها بالتجارة والخدمات وسكن الفئات الوسطى. وبذلك ظل المجال الحضري يتجهل وظيفياً وعمرانياً واجتماعياً وفق التخطيط الذي فرضته المبادرة الحرة عند إنشاء مدينة جديدة إلى جانب النواة القديمة في بداية هذا القرن. وظل توسع الأحياء الصناعية نحو الشمال الشرقي أي اتجاه مدينة المحمدية بشكل الاتجاه الرئيسي لدينامية المجال الحضري.

وتأثرت دينامية وهيكلية المجال الحضري بالوضع الإداري الخاص الذي أعطي للدار البيضاء، خلال وبعد عهد الاستعمار. وفي هذا الإطار دخلت الدار البيضاء ابتداءً من

سنة 1976 في مسلسل من التقسيم الإداري أدى إلى فقدانها لوحدها. انطلق هذا التقسيم من 5 جماعات حضرية لتصبح 21 جماعة حضرية و7 عمالات سنة 1994. وبذلك شكلت الدار البيضاء أول مجموعة حضرية أنشئت بالمغرب وأكبر المجموعات الموجودة لحد الآن. ولم يمنع تعدد الكيانات الإدارية من تفاقم مشاكل التعمير، الشيء الذي أدى إلى إنشاء الوكالة الحضرية سنة 1984 كأداة لتطبيق المخطط التوجيهي ومن أجل الحفاظ على مركزية القرار في ميدان التعمير. ولنفس الغاية أنشئت أول ولاية على الصعيد الوطني بالدار البيضاء.

رغم كثافة تدخل الدولة وخاصة في ميدان التأطير العمراني والإداري والاجتماعي تظل الدار البيضاء تعاني من العديد من التفاوتات السوسيوإقليمية. ويرتبط ذلك بطبيعتها كمدينة للمبادرة الحرة ويحجمها الاقتصادي الذي يجعل منها حقلاً للتحويلات الاجتماعية. فهي كقطب اقتصادي تشكل مدينة للمأجورين الذين لم تنزل نسبتهم منذ عهد الاستعمار عن 75٪ من مجموع السكان النشيطين. وكمرکز صناعي فهي تشكل مدينة عمالية بحيث ارتفعت بها نسبة العمال من 35٪ سنة 1951 إلى 52٪ من الساكنة النشيطة سنة 1982. وهي بذلك تشكل حقلاً لتحويل المهاجرين القرويين إلى عمال ولتوسع الفئات الوسطى من خلال توسع مرافق التجارة والخدمات والوظيفة العمومية. وفي هذا الصدد فإن عدد الموظفين الذي لم يكن يتجاوز 400 سنة 1931 قد بلغ 44.220 سنة 1992. وانتقلت نسبهم من 35٪ من السكان النشيطين سنة 1960 إلى 7٪ سنة 1982. وتظل هذه النسبة مرشحة للارتفاع مع تفكيك المدينة إلى كيانات إدارية متعددة.

كما تشكل الدار البيضاء حقلاً لإعادة إنتاج الفئات الغنية التي ترتبط بتطور التجارة والصناعة وميدان الأعمال. وهذا ما يجعل المجال الحضري البيضاوي يحمل بصمات كل هذه التحويلات ويصبح التفاوت يشكل أبرز سماته. ولا تنحصر هذه التفاوتات في ميدان السكن بل تمتد لتشمل العديد من الميادين. ففي العاصمة الاقتصادية للمغرب لا تتعدى مساحة المجالات الخضراء 300 هكتار أي بمعدل متر مربع للفرد. غير أن تركيز حوالي 65٪ من هذه المجالات بعمالة الدار البيضاء - أنفا يجعل سكان وسط المدينة والأحياء الغربية أوفر حظاً (4م² للفرد) من سكان الهوامش (0.5م²) وبالتالي يصبح العجز في هذا الميدان كبيراً جداً. وفي الواجهة العصرية للمغرب مازال ما يزيد عن 250.000 من السكان يتكدسون بأحياء الصفيح سنة 1992. فالدار البيضاء التي شهدت نشأة أحياء الصفيح بالمغرب تظل تعاني من هذا الإرث الثقيل. فرغم القضاء على العديد من هذه الأحياء ورغم تراجع عدد سكانها بحوالي 50.000 نسمة ما بين 1982 و1992 فإن ذلك لم يحد من أهمية هذه الظاهرة التي اتجهت نحو اكتساح ضواحي

المدينة. ويرتبط هذا الاكتساح بالتوسع السريع للمجال الحضري.

فالدار البيضاء التي لم تكن مساحتها الحضرية تتعدى 50 هكتاراً سنة 1907 قد أصبحت سنة 1992 تمتد على مساحة 14816 هكتار.

المصطفى شويكي، إنتاج وهيكلية المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 2 t., 1982 ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca*, RGM, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psycho-sociologiques*, thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Joumady, *Casablanca, métropole économique du Maroc*, Thèse d'Etat, Bordeaux III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca, La Documentation française* N° 3797 - 98, 1971 ; H. Prost, *Le plan de Casablanca*, Rev. France - Maroc, n° 8, 1911.

المصطفى شويكي

* * من الناحية التاريخية كانت المدينة تسمى قديماً "أنفا" ورد ذكرها في كتب الإخباريين والجغرافيين والرحالة. واحتلت أنفا الصدارة بين حواضر تامسنا في عهد إمارة برغواطة وفي عهد الدولة المرينية.

وساهم موقع المدينة وأهميتها التجارية ومشاركتها في الجهاد بالاندلس في توجيه الأطماع البرتغالية إليها، فقد هاجمها أسطول برتغالي يقوده الدون فرناناند أخو الملك الفونسو الخامس وخرّبها في سنة 1468 حين لم يتمكن المهاجمون من احتلالها. وظلت أنفا على حالتها المخربة لعجز الحكم الوطاسي، وللصراع الذي شغل المغاربة ضد

الغزو البرتغالي. ووصف الحسن الوزان (ليون الإفريقي) ما بقي في أنفا المخربة من آثار عمرانية، كما وصفها مارمول. وقد عاد البرتغاليون إلى أنفا سنة 1515 وبنوا فيها بعض البناء، وسموها منذ ذلك الحين كازا بلانكا (Casablanca). وقيل إنهم لما عادوا، شاهدوا داراً بيضاء

سلمت من التخريب أو بناها المغاربة، فسموها كزا بلانكا. وهناك رواية أخرى ترجع اسم الدار البيضاء إلى أسطورة السيدة البيضاء. وهي أسطورة مرتبطة بتطور المدينة وأهميتها التجارية. وملخص الأسطورة أن موقع الدار البيضاء الذي كان وسط أرض كثيرة الأشجار والعيون وكان موقع تبادل تجاري بين بعض التجار والعالم الخارجي وكان البدويون يعتمدون على المركز الذي يسكنه بعض البحارة والتجار للتزود بما يحتاجونه، خاصة في أوقات الأعياد والمواسم القبلية. وقد استقر بالمرسى تاجر تونسي اسمه سيدي علال القيرواني. وكانت داره في مكان ضريحه المعروف اليوم بالمدينة القديمة. كان سيدي علال القيرواني يتعاطى للتجارة بمساعدة زوجته للا البيضاء التي كانت امرأة فاضلة وجميلة. استغنى الزوجان وكسبا ثروة كبيرة وكانا يقدقان عطايهما على الناس. وكانت لهما دار كبيرة للسكنى ولوضع البضائع التجارية متميزة عن غيرها.

عند اقتراب الأعياد كان البدويون يقصدون الدار لشراء البضائع المستوردة، وكانوا يقولون عندما تحين مناسبة التبضع : "هيا نَتَسَوَّقْ من دار البيضاء" ! وهذا هو الاسم الذي عرفت به دار سيدي علال القيرواني وهو أصل تسمية المدينة بالدار البيضاء .

وفي كل الأحوال، فإن الثابت هو أن المدينة ظلت مهمة نظراً لتخريبها واحتلالها من طرف البرتغاليين إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790)، الذي جدد بناءها بعد أن أتم بناء مدينة الصويرة، وأحيا مرساها في إطار توجه سياسي جديد هدف إلى توسيع علاقات المغرب مع الدول الأوربية للاستفادة من تطورها الاقتصادي.



أنفا القديمة. رسم وضع سنة 1572 (كتاب Casablanca rétro)

ومن مظاهر تجديد المدينة في هذا العهد أن السلطان وضع بها قوة عسكرية من العبيد، وأنشأ بها عدة مصالح عامة. ومنذ هذا العهد اشتهرت المدينة باسم الدار البيضاء وكان ذلك حوالي 1784.

وبالجملة، فسواء ارتبط اسم الدار البيضاء بعودة البرتغاليين للمدينة التي خربوها والبناء فيها في بداية القرن السادس عشر، أو بتجديدها خلال القرن الثامن عشر في عهد السلطان محمد بن عبد الله؛ أو أطلق عليها اسم السيدة البيضاء؛ فإن مرد الاسم ومنطقه، هو تجديد بناء مرسى المدينة الذي كان نقطة تبادل تجاري نشيط مع الخارج. فبنيت فيه الدور الكبيرة والمخازن العظيمة لحزن البضائع بهدف تصديرها أو توزيعها.

وبالفعل، ازدهرت حركة التجارة والملاحة بمرسى الدار البيضاء في عهد محمد بن عبد الله الذي منح لشركتين إسبانيتين، إحداهما من مدريد والأخرى من قادس، امتياز شراء الحبوب وتصديرها من الدار البيضاء، واستقر وكلاء الشركتين بالمدينة وكذلك بمدينة فضالة المجاورة، حيث تعاطوا لاكتيال الحبوب وخاصة القمح بكميات هائلة. وقد شبه الضعيف الرباطي كثرة القوافل الحاملة للحبوب من المناطق الداخلية إلى مرسى الدار البيضاء بالسحاب في قوله: "وكانت الإبل تأتي إليها كأنها السحاب ليلاً ونهاراً". كما أشار إلى أن الفلاحين كانوا يقدمون الهدايا

للتجار النصارى لأجل شراء منتجاتهم الفلاحية. استمر ازدهار الدار البيضاء بعد وفاة محمد بن عبد الله، بيد أن عهد ابنه مولاي سليمان (1792 - 1822)، شهد أحداثاً أثرت على هذا الازدهار وأوقفت بعض الوقت. فلما ولي المولى سليمان ابن عمه عبد الملك بن إدريس عمالة الشاوية والدار البيضاء، بدأ الوالي الجديد يمنح أعيان قبائل الشاوية أموالاً من مداخيل المرسى الوفيرة تأليفاً لهم. ويبدو أنه تعدى في هذا الأمر الحدود المسموح بها من السلطان. وربما أغرته ثروة المدينة وبدايتها بالتمرد عن تعليمات سيده؛ فما كان من هذا الأخير إلا أن انتقل للشاوية، حيث قضى على بؤادر التمرد في مهدها. وقد ترتبت عن هذه الحادثة قرارات أثرت في مصير مرسى الدار البيضاء. فقد عمد السلطان إلى إغلاقها في وجه التجارة الأوربية ونقل التجار الأجانب إلى مدينة الرباط.

تطور الدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر: سرعان ما عاد مرسى الدار البيضاء لنشاطه التجاري المعتاد في عهد مولاي عبد الرحمان (1822 - 1859) الذي رخص للمؤسسات التجارية الأوربية في الاستقرار بالمدينة. ومع تطور العلاقات المغربية الأوربية خلال القرن التاسع عشر، تطورت الدار البيضاء وازداد نشاطها التجاري وتزايد عدد سكانها الأوربيين والمغاربة.

والواقع، أن وتيرة التطور الاقتصادي عرفت تصاعداً لا



توقف بعده منذ أواسط القرن. ولاشك في أن ذلك التطور قد ارتبط بالتطور الصناعي والتجاري بأوروبا وبالمبادلات مع المغرب. إن الثورة الصناعية وما نجم عنها من توسع في النشاط التجاري والمبادلات كانت وراء اندفاع الدول الأوروبية لغزو الأسواق الخارجية. وبما أن المغرب يقع على أبواب أوروبا، وبما أنه كان يتوفر على ثروات طبيعية كبيرة، فقد أصبح محط اهتمام القوى الصناعية. ومنذ احتلال الجزائر 1830، أضحت المغرب موضوع تنافس بين الدول الأوروبية المعنية بقضايا البحر المتوسط.

ومما يفسر اندفاع أوروبا نحو فتح المغرب للمبادلات التجارية، دخول دولها في ظرفية اقتصادية واجتماعية صعبة منذ 1848، بالإضافة إلى ظروف الصراع العسكري بين دولها. وهكذا عرفت مدينة الدار البيضاء استقرار التجار الأوروبيين واتخاذها مركزاً لشراء وتصدير الحبوب والأصواف التي ازداد الطلب عليها نتيجة للظرفية المشار إليها ونتيجة لرخص أثمانها بالمغرب.

وقد كانت المؤسسات الفرنسية سباقة إلى الاستقرار بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر، مثل مؤسسة "فريو" (فريول) P. Ferrieu ومؤسسة البارون سيلبير B. Seillière (1847)، والشركة الفرنسية للوديفي (1852) Compagnie Française de LODEV.

اهتمت هذه المؤسسات بتصدير الأصواف الجيدة إلى مرسيليا ولندن ومدن أوروبية أخرى وكانت حافزاً لاستقرار تجار أوروبيين آخرين.

وقد مثل استقرار أول قنصل بريطاني بالدار البيضاء سنة 1857، أي سنة واحدة بعد توقيع المعاهدة المغربية البريطانية (1856)، مؤشراً على أهمية الدار البيضاء الاقتصادية. وبالفعل حصل التجار البريطانيون بمقتضى المعاهدة على امتيازات عديدة سواء في ميدان الجمارك أو الملاحة أو السكنى. وحددت واجبات الجمارك في 10٪ من قيمة البضاعة المستوردة وحددت واجبات معينة على الصادرات، ومنح القناصل حصانة دبلوماسية لهم ولمن يخدمهم.

وبمقتضى المعاهدات الماثلة التي عقدت مع إسبانيا (1860 - 1861) وفرنسا (اتفاقية السماسرة 1863)، توسعت امتيازات الأجانب إلى الميادين القضائية (محاكم قنصلية) والسياسية (الحمايات القنصلية والمخالفات). كل ذلك ساهم في تزايد توافد التجار الأجانب والرعايا الأوروبيين إلى المراسي المغربية وخاصة إلى الدار البيضاء. وهذا التطور نفسه كان يساهم في تسارع وتيرة هجرة البدويين إلى المدينة لأن استقرار تاجر أجنبي بالمدينة كان يعني الحاجة إلى مستخدمين ووكلاء مشاركين في الأعمال الفلاحية.

إن هذه الأهمية التجارية المتعاظمة للدار البيضاء دفعت الباحثين الأوروبيين إلى تأكيد دور التجارة الأوروبية ودور

العامل الخارجي في تطور المدينة.

والواقع أن أصول ازدهار الدار البيضاء ينبغي البحث عنها في المزايا الطبيعية والاستراتيجية والاقتصادية لموقع المدينة. فمن حيث الموقع، كان يعتبر مرسى الدار البيضاء الميناء الوحيد الذي يستطيع استقبال السفن الكبيرة التي لم تعد الموانئ النهرية قادرة على استقبالها بعد تطور المواصلات البخارية. كما أن توسط موقع المدينة بين جنوب المغرب وشماله وفّر إمكانية جلب المحاصيل من الحوز والغرب زيادة على انفتاح المدينة على أغنى المناطق الفلاحية مثل الشاوية وتادلا حيث يتوفر الإنتاج الزراعي والحسواني. زد على ذلك أن الدار البيضاء تتحكم في الطريق الرابط بين عاصمتي المغرب مراكش وفاس وتقع على الساحل الأطلسي الذي أصبحت له أهمية استراتيجية كبيرة في زمن التوسع الأمبريالي والتنافس الاستعماري على القارة الإفريقية.

كل هذه المزايا تفسر سرعة تطور الدار البيضاء وليس الرغبة الأجنبية التي كانت في الحقيقة رهينة لتلك المزايا. وعلى كل حال، فإن تضاعف المبادلات التجارية بالمدينة بأكثر من ثلاث مرات بين سنتي 1848 - 1855، يبرز بوضوح التطور السريع للمدينة خلال القرن التاسع عشر. وقد احتلت الدار البيضاء الصف الأول بين الموانئ المغربية الثمانية : تطوان، طنجة، العرائش، العدوتان، الدار البيضاء، الجديدة، أسفي، الصويرة. وأهم البضائع التي كانت تصدر منها : الحبوب، الأصواف، الجلود، القطاني مثل الحمص والبقول والحلبة، ثم القزبور والشمع الطبيعي والعظام ومنتجات الصناعة التقليدية. أما الواردات عبر مرسى الدار البيضاء، فكانت الصابون، السكر، الكتان، المنتجات القطنية، التوابل، الأصباغ، الشاي، الغاز (كبروسين) الزجاج - الكاغد (الورق).

والملاحظ أن المدينة سرعان ما تحولت مع نهاية القرن التاسع عشر، إلى مركز لتوزيع البضائع المستوردة في كل أنحاء المغرب، ومركز لتجميع المنتجات الموجهة للتصدير، ولهذا هاجر إليها تجار كثيرون من فاس والرباط وسلا وغيرها من المدن.

والجدير بالذكر أن مداخل الجمارك بالدار البيضاء، كانت تساهم بقسط كبير في توازن بيت مال الدولة المغربية، نتيجة لانتظامها ووفرته، زد على ذلك أن مستفادات المدينة كانت بدورها تساهم في مداخل المخزن مثلها في ذلك مثل مستفادات المدن العريقة، فخلال القرن التاسع عشر، كان المخزن يعتمد على جبايات المدينة الموزعة على الأبواب، والجوطينية، وسوق بيع الزيت، وسوق بيع الفاخر والرماد، وسوق العود والخطب، والمجزرة، وسوق البقر والغنم، ورحبة الزرع، وطابع الفضة، والكبريت، وسوق الجلد النني، ومهراس القهوة، والصاكة، وسوق الجمال والحليل والحمير. يضاف إلى هذه المنافع مداخل القوارب

المستعملة في شحن السفن الكبرى ونقل البضائع من الأرصدة. ثم مداخيل الجزية وأبي الموارث، وأملاك المخزن المكترة للتجار الأجانب، زيادة على مستفادات أسواق بوادي المدينة.

وعلى كل حال، أصبحت الدار البيضاء من المراكز الحضرية والاقتصادية التي تساهم في اقتصاد البلاد، وفي توازنات بيت المال، وضمانة القروض الخارجية، مثل اقتراض 1904.

إن هذه الأهمية الاقتصادية، بالإضافة إلى أهمية الموقع، جلبت انتباه الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي بدأت تهتم بالساحل المغربي وتراقبه منذ 1906. وقد اعتبرت كثير من التقارير الفرنسية، العلمية والعسكرية، أن مركز الدار البيضاء يعتبر أهم موقع استراتيجي يمكن لقوة أجنبية الانطلاق منه في أي عمل عسكري يستهدف عاصمتي المغرب فاس ومراكش.

فحسب التقارير العسكرية، فإن الدار البيضاء هي المدينة الوحيدة التي يمكن النزول فيها خلال أوقات السنة كلها وهي أحسن موقع يتحكم في عزل جيوب المغرب عن شماله.

وهكذا، أدى الاهتمام الفرنسي المتزايد بالمدينة إلى احتلال التجارة الفرنسية الصف الأول بها سنة 1906 بنسبة 39.99٪ أمام بريطانيا 34.01٪، في هذه السنة كذلك.

م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أ. العماري، 1986، كنانيش الخزنة الحسنية، وثائق الخزنة الحسنية : العهد الحسني والعزيمي 22 - 178 - 258 - 397 - 400 : أ. الناصري، الاستقصا، ج. 8. 9 : م. السليمان، اللسان العرب عن تهافت المعمرين حول المغرب، م. خ. ج. 297 : ع. الخديمي، أثر استقرار الأجانب بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر. أعمال ندوة الدار البيضاء، نشر كلية الآداب، 1982، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية) 1894 - 1910 - 1904. 1906. 1908. 1991

Archives de Guerres Vincennes, 1904 - 1906 - 1908 ; A. Adam, Histoire de Casablanca, des origines à 1914, Aix-en-Provence, 1968 ; A. Bernard, Une mission au Maroc, rapport à Mr. le Gouverneur Général de l'Algérie, Paris, 1904 ; V. Berti, Les événements de Casablanca, 5 août 1907, France outre-mer, Août - Sept. 1953 ; G. Bourdon, Ce que j'ai vu au Maroc, Les journées de Casa, 1908 ; M.H.G. Conjeaud, Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894, Casa, s.d. ; Flandrin, Casablanca de 1889 à nos jours, Casa 1948 ; J. L. Miège, Les origines du développement de Casablanca au XIXème siècle, Hesp., 1953 ; J.L. Miège et E. Hugues, Les européens à Casablanca au XIXème siècle, 1856 - 1906, Paris, 1954 ; Sans Barthelony, Légende marocaine au sujet de Dar el Beida nom arabe de Casablanca, Bull. trim. Société de géo. et d'archéo. d'Oran, T. XLV, 1925 ; Tarriot, Monographie de Casablanca de 1907 à 1914, Casa, 1924 ; Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia, Paris, 1915, 2 vol.

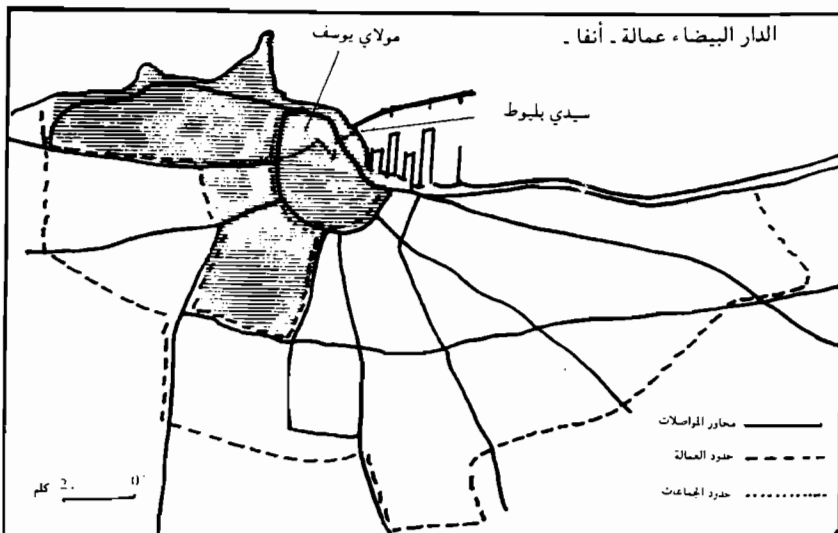
علال الخديمي

الدار البيضاء - أنفا (عمالة -)، إحدى عمالات

ولاية الدار البيضاء التسع، تمتد على مساحة 3.350 هكتار وتضم 523.279 نسمة، أي 22,5 من مساحة المدينة وحوالي 20٪ من ساكنتها. تغطي مركز المدينة والأحياء الجنوبية الغربية الممتدة من الميناء إلى حي أنفا وعين الذئاب. وترجع تسميتها إلى تشكلها سنة 1981 من جماعة سيدي بليوط (مركز المدينة) وجماعة أنفا ثم جماعة المعارف. ويفصل جماعة مولاي يوسف سنة 1992 عن جماعة سيدي بليوط أصبحت العمالة تتكون من أربع جماعات حضرية. ولعمالة الدار البيضاء - أنفا سمات خاصة في الميدان العمراني والاقتصادي والاجتماعي.

باستثناء المدينة القديمة التي تتكون من السكن المغربي التقليدي، تتميز هذه العمالة عمرانيا بتشكيل معظم أحيائها من نوعين من الإطار المبني : العمارات والفيلات. ويرجع ذلك إلى تركيبها من الأحياء التي كانت مخصصة للأوربيين خلال عهد الاستعمار. وتزداد بها أهمية أحياء العمارات من جراء التوسع العمودي الذي تشهده هذه العمالة مع تحول أحياء الفيلات إلى أحياء للعمارات انطلاقا من المركز وفي كل الاتجاهات. ولا يعبر هذا التحول فقط عن إحلال نوع من السكن محل آخر بقدر ما يجسد أيضاً توسع مركز المدينة وما يرتبط به من تزايد الحاجة إلى المكاتب ومقرات المؤسسات الاقتصادية ومحلات التجارة والخدمات.

تعتبر الدار البيضاء - أنفا على المستوى الاقتصادي محرك المدينة ككل، باحتضانها للقطب القيادي المتكون من مركز الأعمال، بالإضافة إلى الميناء والتجمعات التجارية الكبرى والراقية ومراكز تجارة الجملة والتصدير والاستيراد. وفي هذا الإطار تحتكر عمالة الدار البيضاء - أنفا 76٪ من تجار الجملة بالدار البيضاء. ويحتضن المركز بمفرده 96٪ من المؤسسات المالية و74٪ من مقرات الشركات والمقاولات



الاقتصادية. وتزداد أهمية هذا التركيز الاقتصادي مع احتضان المركز لأكثر من 76٪ من الخدمات الموجهة للمقاولات الاقتصادية. ونتيجة لذلك يوفر المركز بمفرده الشغل لما يزيد عن ثلث السكان النشيطين بالمدينة ويجلب أكثر من ثلث تنقلات العمل بها. وتحتكر عمالة الدار البيضاء - أنفا حوالي ثلثي خطوط الهاتف بالمدينة ككل. وهذا ما يركي وضعية باقي العمالات كهوامش تابعة لها، ويبرز دورها القيادي على المستوى الاقتصادي الذي ترمز إليه تسميتها التي تجمع بين مركز الأعمال وأحياء الفئات الغنية.

يتجلى الفرق أكثر بين الدار البيضاء - أنفا وعمالات الهوامش على المستوى الاجتماعي. فباستثناء عمالة عين السبع - الحى المحمدي التي تضم معظم الأحياء الصناعية بالمدينة تشكل عمالات الهوامش من أحياء سكنية شعبية في معظمها. هذا فضلاً عن تبعيتها لعمالة الدار البيضاء - أنفا التي مازالت تحتكر معظم الخدمات والتجهيزات الاجتماعية. ولا أدل على ذلك من استمرار هذه العمالة في احتضان حوالي 75٪ من الموظفين بالمدينة، وتوفيرها على 70٪ من الأطباء و67٪ من أسرة المستشفيات بالقطاع العمومي، وحوالي ثلث الثانويات بالمدينة. فالعمالة الأم مازالت تلعب دوراً كبيراً في ميدان التأطير الإداري، وتحتكر جزءاً مهماً من البنيات الأساسية والتجهيزات الاجتماعية، سواء منها التابعة للقطاع العمومي أو للقطاع الخاص. هكذا فعمالة الدار البيضاء - أنفا لا تعتبر فقط العمالة الأم على المستوى الإداري، ولاحتضانها لقرى الولاية، بل تشكل أم العمالات على كل المستويات. فالفرق واضح بين عمالة تضم معظم أحياء الفيلات والعمارات العصرية بالمدينة وعمالات تشكل في معظمها من أحياء السكن الاقتصادي والشعبي.

المصطفى شويكي، إنتاج وهيكله المجال الحضري بالدار البيضاء، دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 3 أجزاء، 671 ص.

M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca*, RGM, vol. 13, n° 1, 1989 ; Ministère de l'Intérieur, *Schéma Directeur de Casablanca*, Rapport Justificatif, Avril, 1984.

الدار البيضاء (جهة) أو الدار البيضاء الكبرى.

ترجع تسمية الدار البيضاء الكبرى إلى نهاية عهد الحماية عندما تم التخطيط لتوسيع مدينة الدار البيضاء في إطار محيطها الجهوي المباشر. وبالتحديد عندما وضع المهندس ميشيل إكوشار (M. Ecochard) سنة 1950 مخططاً للتعمير ربط فيه المدينة بالجماعات القروية المحيطة بها وجعل من المحمية الوجهة الأساسية للتوسع الحضري. ومنذ ذلك الحين أصبح مفهوم الدار البيضاء الكبرى يستعمل للدلالة على

الدار البيضاء وضواحيها المباشرة بما في ذلك مدينة المحمية والمراكز التي تدور في فلكها. ويطابق هذا المفهوم اليوم ولاية الدار البيضاء المحدثه سنة 1981 وجهة الدار البيضاء الكبرى المحدثه سنة 1997 المكونتين حالياً من 9 عمالات و29 جماعة حضرية و6 جماعات قروية.

العمالات التسع لولاية الدار البيضاء الكبرى - جهة :

- الدار البيضاء - أنفا
- الحى المحمدي - عين السبع
- الحى الحسني - عين الشق
- بن مسيك - سيدي عثمان (مولاي رشيد)
- بن مسيك - مديونة
- الفداء - درب السلطان
- مشور الدار البيضاء
- سيدي البرنوصي - زناتة
- المحمية

(انظر كل عمالة على حدة في مكانها من المعلمة)

ملاحظة : عمالة بن مسيك - سيدي عثمان تم تقسيمها سنة 1998 إلى عمالتين :

- مولاي رشيد - سيدي عثمان
- بن مسيك - مديونة

والى بداية القرن العشرين لم يكن موجوداً بهذه الجهة سوى المدينة القديمة للدار البيضاء وقصبة مديونة. وخلال العقدين الأولين للحماية تشكلت نواة جهة حضرية تدور في فلك مدينة عملاقة. وهذا ما دفع إلى تأطير التوسع الحضري بواسطة مخطط جهوي. ولم يأت مخطط إكوشار كفاية في حد ذاته بقدر ما جاء من أجل خلق نواة حضرية صلبة لمشروع محور الدار البيضاء - القنيطرة. فجاء الجيل الأول من المراكز الحضرية المكونة لهذه النواة شديد الارتباط بمدينة الدار البيضاء مجالياً ووظيفياً. وخلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات تشكل جيل ثان من التجمعات الحضرية وسع من حجم ورقة الجهة الحضرية للدار البيضاء. وخلال النصف الثاني من القرن العشرين تطور جيل جديد من المراكز زاد من حجم ودينامية هذه الجهة. ونتيجة لذلك تراجعت مكانة مدينة الدار البيضاء داخل جهتها بحيث انتقلت نسبتها من السكان الحضريين من 94.5٪ سنة 1931 إلى 93٪ سنة 1960 لتنزل إلى مستوى 89٪ سنة 1994.

إن التوسع الحضري الذي تشهده الدار البيضاء الكبرى مكنها كتجمع حضري من أن ترقى إلى مستوى جهة إدارية. ويعزى هذا التوسع إلى التراكمات التي حققتها مدينة الدار البيضاء على العديد من المستويات. فدورها كعاصمة اقتصادية للمغرب وكأكبر مدنه وأسواقه جعلها تفرخ المراكز والتجمعات السكانية وتدمجها ضمن منظومتها الإنتاجية والهياكل الضرورية لتوسع وظائفها وأدوارها. وبذلك لم تعد وظيفة العاصمة الاقتصادية حكراً على مدينة الدار البيضاء بل أصبحت وظيفة جهة الدار

البيضاء الكبرى ككل. وبالتالي فإن المنظومة الحضرية والاقتصادية للدار البيضاء الكبرى قد وسعت كما وكيفا من دور الدار البيضاء كقطب للمحور الساحلي. وبذلك حافظت الدار البيضاء الكبرى على مكانتها كأكبر تجمع حضري بالمغرب إذ أن نسبتها من مجموع السكان الحضريين ظلت جد مرتفعة (14٪ سنة 1931 و30٪ سنة 1960 ثم 22٪ سنة 1994).

تشكلت جهة الدار البيضاء الكبرى من نواة الجهة المحدثة سنة 1913 والتي ظلت تحمل اسم جهة الشاوية إلى غاية 1935 لتصبح ما بين 1935 و1956 تحمل اسم جهة الدار البيضاء. وعلى إثر إحداث الجهات الاقتصادية السبع سنة 1971 أصبحت تحمل اسم الجهة الوسطى. أي أن الدار البيضاء الكبرى التي تطورت خلال القرن العشرين كعاصمة لجهة جد شاسعة أضحت اليوم جهة قائمة الذات.

تضم جهة الدار البيضاء حسب إحصاء 1994: 31 مليون يشكل الحضريون نسبة 5٪/95 منهم. وتمثل حصة مدينة الدار البيضاء 85٪ من مجموع السكان. سنة 1994. ويرتبط ذلك بتشكيل تجمعات حضرية تتزايد أعدادها وأحجامها بشكل مضطرد. ويتمثل أهمها في عين حرودة ولساسفة وسيدي معروف وبوسكورة والنواصر ومديونة وتيط مليل. وقد تجاوز الحجم الديمغرافي للثلاثة الأولى 20 نسمة.

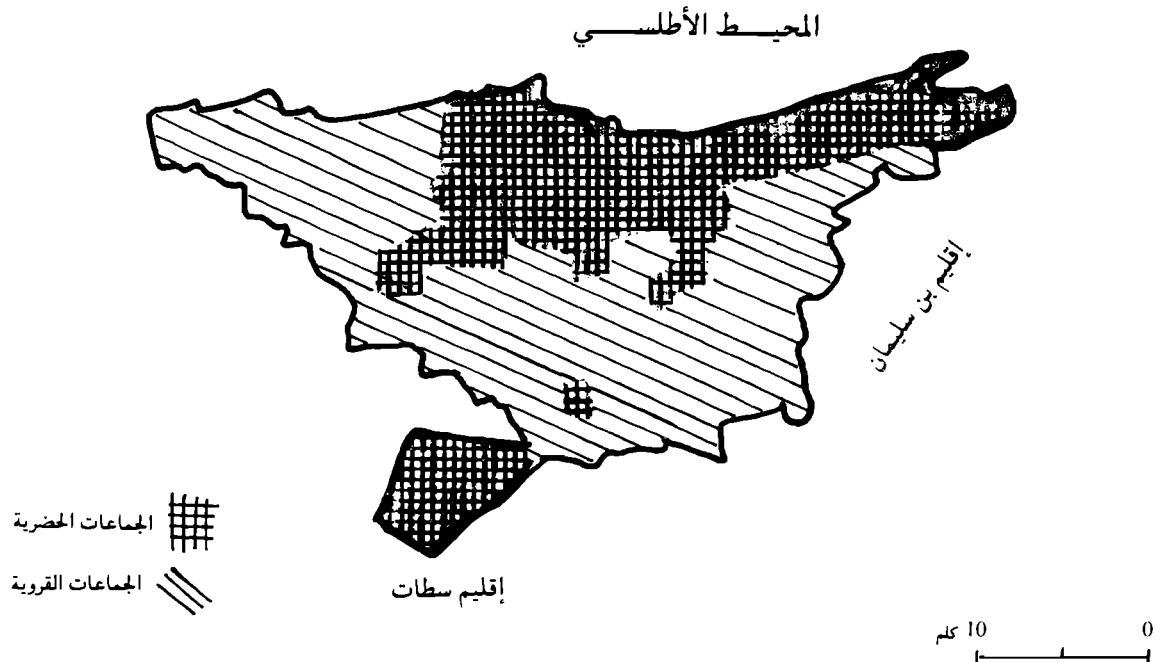
تشكل الدار البيضاء الكبرى الجهة الإدارية الوحيدة بالمغرب التي تطابق جهة حضرية. وفي ذلك امتداد للوضع الإداري الخاص الذي تميزت به الدار البيضاء منذ أن

أصبحت عاصمة اقتصادية للمغرب في بداية عهد الحماية. ونتيجة لهذا الوضع لم تعد الدار البيضاء تظهر على مستوى الوثائق الرسمية كمدينة واحدة لأن التعامل معها كجهة أصبح يحظى بالأولوية على التعامل معها كمجرد مدينة.

إذا كانت الدار البيضاء الكبرى تتميز بكونها الجهة الوحيدة التي تتألف ساكنتها أساسا من الحضريين فإنها في ذات الوقت تمثل الجهة الوحيدة التي يتركز اقتصادها أساساً على الصناعة والتجارة والخدمات. ويعزز ذلك اندماج الضواحي وساكنتها في المنظومة الإنتاجية للجهة. ويشكل انتشار الصناعة بضواحي الدار البيضاء ظاهرة قديمة لكنها اتخذت أبعاداً كبيرة منذ عقد السبعينيات. وواكب ذلك تحول في بنية الشغل بهذه الضواحي حيث تراجعت بها نسبة الفلاحة من حوالي 70٪ سنة 1960 إلى 33٪ سنة 1982 من مجموع السكان النشيطين. وفي مقابل ذلك تطورت نسبة الصناعة من 11٪ إلى 28 خلال نفس الفترة. ويتجلى أيضاً تراجع مكانة الفلاحة بجهة الدار البيضاء الكبرى من خلال تقلص مساحة زراعة الحبوب والحضروات على السواء.

وإزاء ذلك أصبحت مدينة الدار البيضاء تلعب دوراً متصاعداً في التوافدات السكانية بضواحيها. ويتجلى ذلك من خلال تزامن انتشار الصناعة مع تراجع نسبة المهاجرين مباشرة من البوادي نحوها من 78٪ من مجموع المهاجرين قبل 1960 إلى 34.5٪ ما بين 1971 و1982. وفي المقابل انتقلت نسبة الوافدين من الدار البيضاء نحو ضواحيها من

الدار البيضاء الكبرى (جهة -)



10٪ قبل 1960 إلى 49٪ من مجموع المهاجرين إلى الضواحي ما بين 1971 و1982. وبذلك تتحول الضواحي من محطة هجرة نحو الدار البيضاء إلى مجال لاستقبال قوة العمل التي تجلبها هذه المدينة. ومع استقبالها لجزء من الطاقة الإنتاجية يتضح سير جهة الدار البيضاء الكبرى نحو توزيع للأدوار بين المدينة وضواحيها لا مثيل له في سائر جهات المغرب. ويتجلى أيضاً هذا التوزيع من خلال الدور المسند للضواحي في ميدان إسواء ساكنة المدينة مع تصاعد انتشار سكن الفئات المسورة بالضواحي الجنوبية من خلال تشييد المغاني والقصور. وتشكل التجمعات السكنية الخاصة بهذه الفئات مثل أنفا الثانية قرب بوسكورة. هكذا لم تعد الدار البيضاء تنحصر في مدارها الحضري بل تمتد في شكل ضواحي متناثرة ومتباينة ومتعددة الوظائف لكنها كلها مرتبطة بالمدينة. وبذلك يتأكد الطابع الحضري للدار البيضاء الكبرى.

إن الدار البيضاء الكبرى التي تعزز باستمرار مكانتها كقطب اقتصادي وطني وكتجمع حضري وبشري ضخم قد رسخت أدوارها ووظائفها مع ترقيتها إلى مستوى جهة قائمة الذات. فعلاقتها بالجهات المحيطة بها وبكل أنحاء المغرب تزداد متانة وتشعباً.

المصطفى شويكي، إنتاج هيكلية المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, Thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 1982, 2 t. ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca*, RGM, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psycho-sociologiques*, Thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Journady, *Casablanca, métropole économique du Maroc*, Thèse d'Etat, Bordeaux III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca. La Documentation française* N° 3797 - 98, Paris, 1971 ; H. Prost, *Le plan de Casablanca*, F.M., n° 8, 1911.

المصطفى شويكي

الدار البيضاء - قصور ثلاثة بفاس ومراكش

ومكناس. فقصر الدار البيضاء بفاس من عمل السلطان المولى الحسن الأول. وكان المقيم العام الفرنسي في عهد الحماية ينزل به كلما حل بفاس. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان في *الدرر الفاخرة* : "وأسس الدار البيضاء البديعة الشكل، العجيبة الصنع، مسكن المقيم العام الآن عندما يزور فاساً".

وقد وردت كلمة الدار البيضاء في تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول بمعنى فاس الجديد، حين تحدث عن

المعركة التي نشبت بين الأمير زيدان السعدي وابن أخيه عبد الله فقال : "فقاتلهم في الدار البيضاء قتالا شديداً، انهزم فيه مولاي زيدان". وأطلق من قبل كذلك اسم الدار البيضاء على أحد قصور بني مرين بفاس.

وقصر الدار البيضاء بمراكش في غاية الفخامة ومن جملة القصور الملكية العلوية التي تمثل تراثاً حضارياً عريقاً ومعماراً تاريخياً بالمغرب. ومن المرجح أن يكون تأسيسه من عمل السلطان محمد بن عبد الله وتجديده على يد السلطان محمد بن عبد الرحمان.

تحول هذا القصر في عهد الحماية إلى مستشفى عسكري للفرنسيين واتخذ الضباط العاملون به قبه الواقعة في الطابق العلوي سكنى وظيفية. وفي نهاية 1960 تسلمته الإدارة المغربية وجرت به حفلات رسمية بمناسبة عيد العرش. أما قصر الدار البيضاء بمكناس فهو من تأسيس سيدي محمد بن عبد الله، وهم مقر المدرسة العسكرية الآن المعدة لتعليم الضباط المغاربة.

ومن بين توابع هذا القصر مسجد يتوفر على مرفقات خاصة به، وبجهته الشرقية مدرسة، كما ضم هذا المركب الاجتماعي التعليمي الديني مربعاً فسحياً عرف باسم أگدال، وفي وسطه قبة غاية في الإبداع والإتقان بإزائها حمام وكل ما يحتاج إليه من منافع.

وأعد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757. 1790) هذه القبة لفسحته، والجلوس لسماع مظالم رعيته - على حد قول ابن زيدان -. كما أعد البسيط التراموي الأطراف أمامها لرعي إناث الخيل لما كان له من ولع بتربية هذا النوع من الجياد. وأحاط هذا القصر وكل توابعه بمجموعة من الجنانات وهي جنان أسوفيط الكبير والصغير وجنان باب القزدير - مكان كليتي الآداب والعلوم - وجنان ابن حليمة وعرصة السنطرجية والبحراوية - الكولف حالياً -. وأثناء احتلال القوات العسكرية الفرنسية لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيو 1911، اتخذت قيادتها من قصر الدار البيضاء مقراً لها، واستقرت هذه القوات في هذا القصر الذي كان وقتئذ مربطاً للأفراس والنعامات الملكية وبه بعض التحف والأسلحة كالمدافع من مختلف الأنواع.

وبعد عقد معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب يوم 30 مارس 1912، أصبحت مدينة مكناس تمثل عاصمة التمهيد لاحتلال الجيوش الاستعمارية لجبال الأطلس المتوسط ومنطقة تافيلالت، نظراً لأهميتها الاستراتيجية. فتم التركيز على المدينة عسكرياً، وفي هذا الإطار تحول قصر الدار البيضاء إلى مدرسة حرية لتكوين الضباط "الأهالي" كما جاء في رسالة الجنرال ليوطي المقيم العام بالمغرب بتاريخ 18 يناير 1919 إلى السلطان مولاي يوسف الذي لبي طلبه.

وكانت هذه المدرسة خاصة بأبناء الموظفين السامين خدام حكومة الحماية والجهاز المخزني من القواد والباشوات

والأعيان والشرفاء وكل من له حظوة داخل البلاد.

ونظراً لأهمية هذه المدرسة في التكوين وإعادة التكوين للجنود القدماء، كان ليوطي يطلق عليها سان سير Saint Cyr المغرب تشبيهاً بالمدرسة الأم بفرنسا التي تخرج منها أقطاب الضباب العسكريين الفرنسيين. وعين على رأس إدارتها الرائد كتان Quetin أحد قدماء الحرس الشريف، في حين عين نقيب الشرفاء العلويين بمكناس عبد الرحمان بن زيدان نائباً للمدير، أو المدير العربي للمدرسة كما كان يلقب.

فتحت أبواب المدرسة الحربية بمكناس في وجه التلاميذ الضباط ابتداءً من شهر يونيه 1919، وكانت مدة الدراسة بها سنتين، لذلك تخرج أول فوج منها وعدد طلابه أحد عشر ضابطاً في شهر يونيه 1921.

وقد عين هؤلاء الضباط في إدارات مختلفة مدنية وعسكرية. والملاحظ أن عدد المقبولين في المدرسة الحربية بقصر الدار البيضاء بمكناس بقي على ما هو عليه لا يتجاوز أصابع اليدين إلا نادراً، وهكذا وصل هذا العدد سنة 1934 إلى 62 ضابطاً.

وبقي أمر المدرسة المذكورة قائماً إلى عهد الاستقلال، فتحول اسمها إلى الأكاديمية العسكرية الملكية التي مازالت لحد الآن تؤدي نفس المهمة التي نشأت من أجلها لكن بأهداف وطنية وأطر مغربية.

مجهول، تاريخ الدولة السعودية الدرعية التاغمدرية، ج 1، ط 1، ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ص. 53 و 82؛ إتحاف، ج 1، ط 1، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929؛ دوفردان، مراكش من التأسيس إلى سنة 1912؛ م. المنوني، ورقات من الحضارة المغربية؛ بوشتي بوعسرة، مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات، 1911 - 1939؛ أطروحة دولة، 1995، كلية الآداب بالرباط.

محمد ماكان وبوشتي بوعسرة

الدار البيضاء، قلعة بالريف تُعرف أيضاً برباط

سبتة، أحدثت لتكون مركزاً لقيادة الحركة الجهادية ضد المدينة المحتلة والحراسة الحدود الغربية احترساً من اغتصاب الإسبان المزيد من التراب المغربي. تقع على بعد خمسة كيلو مترات من سبتة على سفح جبل بليونش عند المكان الذي كان يُعرف سنة الاحتلال بجبل غمارة، وهو المسمى منذ القرن الثالث عشر (19 م) لدى الإسبان بجبل التاج. اختير موضعه على ارتفاع 290 متراً، نظراً لعلوه الذي يكشف النظر لمجموع الأرض الممتدة شرقاً في اتجاه سبتة. ويسميه الإسبان سيرايو Serrallo، والاسم مشتق من كلمة Sarraceno، وهي صيغة محولة عن اسم عربي يراد به لفظ "الشرقي" حسبما هو معروف في القواميس الإسبانية، يستعمل لتحقير المراد به.

تعود أولى الإشارات الصريحة لتأسيس الدار البيضاء

إلى ما ذكر عن الحاجة لإيجاد سكنى الباشا علي بن عبد الله الحمامي الريفي، حاكم تطوان ورئيس الجيش الجهادي المكلف بحصار مدينة سبتة ما بين 1694 و 1727، وذلك خلال السنوات الأولى من بدء الحصار. شيد الدار البيضاء ليُفهم الإسبان أنه عازم على البقاء بجوار المدينة محاصراً لها، تعبيراً على عدم رجيله إلا بعد استرجاع المدينة.

تكونت الدار البيضاء من محيط محصن يشبه القلعة، بني بجوارها مسجد، أحيطت بها مخيمات المجاهدين من عبید البخاري والمخازنية والمتطوعين الوافدين من قبائل الشمال الغربي المغربي بطريقة النوبة المتغيرة على رأس كل شهر. وهناك خريطة تعود إلى سنة 1766 تبين بوضوح أن هناك محيطاً عمرانياً يظهر في شكل شبه مستطيل غير منتظم، دل عليه بحرف F، وأشار في التعليق إلى أنه المكان المهم الذي تحتله الحراسة المغربية.

وبعد وفاة القائد علي استقر بها ابنه الباشا أحمد إلى سنة وفاة المولى إسماعيل، حيث غادرتها القرات المخزنية إثر تصاعد موجات الاضطرابات الأهلية. وفي 16 نوفمبر 1717 كانت قوات الباشا أحمد بن علي بلغت في الدار البيضاء نحو 1500 فارس يساعده أخوه القائد خولوف.

وقد سجلت الوثائق وجود القوات المخزنية بالدار البيضاء على عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، إلا أن الأمر تغير بعزله وتولية أخيه مولاي علي وتشبث الباشا أحمد الريفي بطاعة المولى عبد الله، مما اضطره إلى الالتجاء إلى طنجة في مستهل سنة 1149 / 1736، تاركا الميدان خالياً. وهذا هو الظرف التي أتاح لجنود سبتة التوجه إلى الدار البيضاء وهدمها في السنة الموالية.

بانتهاه هيمنة أسرة الباشا أحمد على تطوان يبدو أن الإشراف على تنظيم الحراسة انتقل إلى قبيلة أنجرة، إذ أنها هي التي كانت تديرها، تحت إشراف قائد القصر الصغير الواقع تحت إمرة باشا طنجة، باعتبار أن الأراضي التي توجد بها هي تابعة للقبيلة.

ولسنا ندري الوضع الذي كانت عليه الدار البيضاء على عهد محمد بن عبد الله، فقد أشارت الوثائق الإسبانية إليها على أنها القاعدة الأساسية للحراسة، وتشوف حكام سبتة لمد الحدود المطلوبة إليها. نعرف من قوادها سنة 1181 / 1767 محمد بن بلا، ابن باشا الشياظمة.

ويبدو أن قلعة الدار البيضاء كانت قد عجزت عن استرجاع هيكلها العمراني السالف الذكر، فهذا هو ما يفهم من الأمر الذي تلقاه قائد القصر الصغير محمد الصريدي في صيف 1199 / 1784 لإعادة بناء الدار قصد إيواء فيلق متكون من ستين مخزنياً بين فارس وراجل.

نعتقد أن قلعة الدار البيضاء كانت سليمة خلال حصار سبتة من طرف المولى اليزيد، فقد استطاعت أن تؤوي عدد الجنود المرابطين حول الحدود مدة سنتين. ولكننا لا نعلم شيئاً عنها على عهد المولى سليمان وبداية عهد المولى عبد

وفي سنة 1860 كان الإسبان قد حققوا آملمهم الذي راودهم منذ زمن بعيد، فتمكنوا من حصن الدار البيضاء واتخذوا منه موقعا منيعا، يوجد في الوقت الراهن داخل الحدود المغتصبة.

وثائق الخزنة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية : م. داود، تاريخ تطوان، الجزء التاسع : معلة المغرب، الجزء الأول.

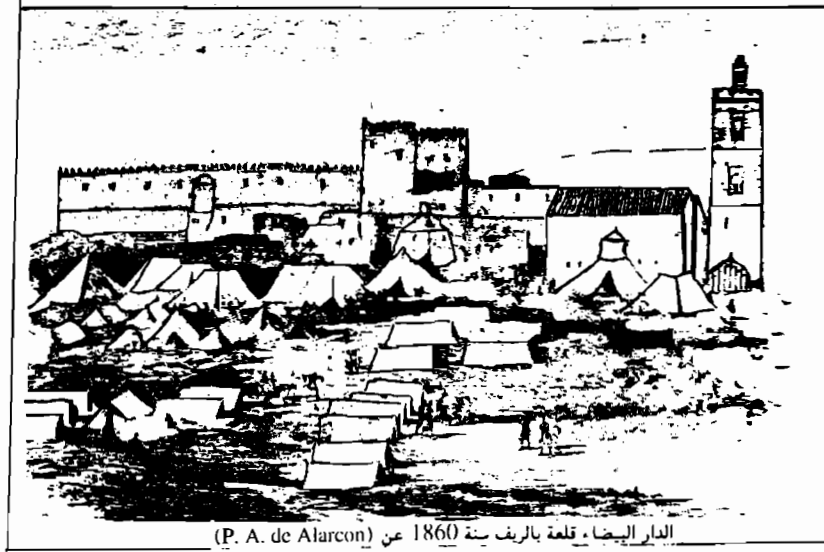
SIHM, France 2^e série filalienne, t. 6 ; Archivo General Central en Alcala de Henares ; Cuadernos del Archivo Municipal, Ceuta, 2 / 1988 ; R. Lourido Diaz, M. Arribas Palau, En torno al ensanche de Ceuta, Hesp., 1982.

حسن الفكيكي

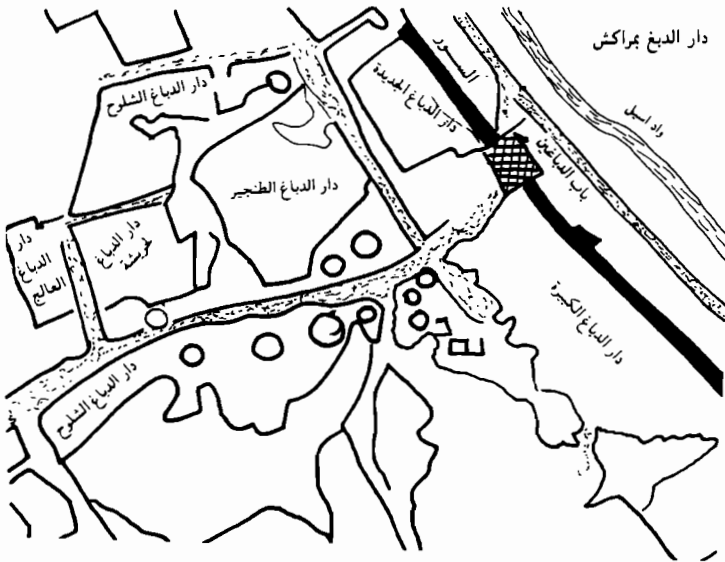
دار الدبغ أو الدبابة التقليدية. تتكون دار الدبغ عادةً في مراكش مثلاً، من مساحة مكشوفة فيها أحواض تحيط بها دكاكين مكونة من طابق أو طابقين، يُستعمل سقفها لتعليق الجلود المدبوغة. من هذه الدكاكين ما هو في ملك الأقباس ومنها ما هو في الملك الخاص ولكل دكان توابع تسمى "لَمَاعَن" وهي عبارة عن أحواض وصهاريج صغيرة، يفصلها عن الدكاكين ممر، منها المستطيل والمربع والدائري. طول المستطيل منها بين 1.70م و2م. ويعرض من 1م إلى 1.30م ويعمق يصل إلى 0.70م. أما المربع منها فيصل ضلعه إلى 1.20م وعمق 0.75م. هذان النوعان يطلق عليهما اسم مشترك هو "المجيار" لاحتوائه على خليط من الماء والجير. أما ما جاء على شكل دائري فقطره بين 1م و1.50م وعمق يصل إلى أكثر من 0.75م. ويسمى بالقصرية. "ج. لقصاري". وبها تتم مراحل الدبابة الفعلية. وتطلق القصرية أيضاً على مجموع الجلود المراد دبغها في كل مرفق من هذه المرافق. والملاحظ كذلك أن "لَمَاعَن" الخاصة بدبابة جلود البقر والجمال تكون أكبر حجماً. كما يتم الحرس على فصل "المجاير" عن "القصاري" لأن الجير إذا وصل إلى الجلود - وهي في قصرية

الرحمن على الرغم من استمرار وجود الحراسة. وسنعرف بعد ذلك أن الدار البيضاء كانت سنة 1256 / 1840 في حاجة ماسة إلى إعادة البناء، إذ أن أكثرها كان متضرراً بسبب الإهمال وعرض مبانيها لتأثير الرياح والأمطار، فأكثر ما تضرر منها هي السقوف والأبواب والنوافذ وما أصاب الجدران من التهدل. هذا هو ما عبرت عنه مراسلة 27 أكتوبر سنة 1840 حينما تسأل حاكم سبتة عن الغاية من مشروع البناء الذي يقبل عليه المغاربة بجبل بليونش. وبالفعل كان الأمر في تلك السنة متعلقاً بالمعينة والدراسة والتقويم، غير أن المشروع لم ينفذ إلا في سنة 1260 / 1844.

بدأت الدار البيضاء للسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، لما كان عازماً عليه من إحياء سنة الجهاد ضد الوجود الأجنبي بالثغور المغربية المحتلة، من المحطات الحيوية المستوجبة للعناية، فبناؤها بالنسبة إليه "إرغام للعدو الكافر وزيادة في الاحتراس وأخذ الأهبة والاستعداد، لأنها شجى في حلق الكفار وقذى في أعينهم". تكلف بالإشراف على عملية البناء عامل تطوان وناحيتها محمد أشعاش لتسقيفها وعمارتها بالمجاهدين.. وهذا بدوره وضع المهمة بيد بوسلهام بن علي أزطوط، حسب مراسلة 6 ربيع الثاني 1260.



وأراد المولى عبد الرحمن أن يتم البناء سريعاً، بدءاً من تسقيف الدار التي كانت وسط محيط السور علاوة على المسجد كمرحلة أولى، ثم الإقدام بعد ذلك على إصلاح الباقي. وكثرت المراسلات التي حثت على الإسراع في البناء، سواء من ابن علي إلى أحمد الرزني أو من بوسلهام إلى أحمد الرزني لتفقد إرسال العمال وإحضار الإقامة الخاصة للبناء والإصلاح، بينما تكلف أشياخ أنجرة بنقل تلك المواد إلى المكان المطلوب. ويبدو أن الإصلاح استمر إلى أن ظهرت الدار البيضاء على حالها في الرسم المرفق المعاصر لسنة احتلال مدينة تطوان 1860 مكتملة البناء.



الدباغة - يفسدها. فتصبح غير صالحة تماماً. وعموماً فإن كل هذه الأحواض بمختلف أنواعها، قد بنيت بشكل جعل جوانبها الداخلية وقعرها رطبة، لتسهيل تنظيفها، مع وضع عتبة على هذه الجوانب لتفادي وضع الرجلين على الجلود.

هذه المرافق الخاصة بكل دكان لا تنفي وجود أخرى عامة؛ تخضع للاستعمال المشترك بالتناوب من أهمها :

- إفرض : وهو عبارة عن حفرة أبعادها غير متساوية ويعمق يفوق المترين في الغالب يستعمل لتجميع المياه المستعملة ويستخدم كذلك لتعويم جلود الجمال والبقرة والماعز. ويتم إفراغه وتنظيفه بعد مدة.

المرگل : حوض شكله مستطيل طوله 1.50 م وعرضه 1.20 م وعمقه 1.10 م بالتقريب. رطب الجوانب والقعر. فيه يتم ركل الجلود وغسلها من الجير، يتم إفراغه من الماء المستعمل بواسطة ثقب في جانبه الأسفل.

- أزگي : صهريج صغير فيه تتم عملية "تشقيف" الجلود كما يسميها أهل الحرفة. وتهدف تسريح وإزالة ما بقي عالقا بها، من الشحم واللحم، بواسطة آلة يدوية حادة أو بالموسا.

- أفردو : عبارة عن آلة الهرس مصنوعة من الحجر؛ ومغروسة في الأرض "مهرّاز" لدق قشرة الرمان الحامض، وتحولها إلى مسحوق بواسطة عمود خشبي صلب يسمى "أساكوم".

- أسفسر : فضاء عار معزول عن مرافق الدباغة تنشر فيه الجلود المدبوغة لتجفيفها بعد تلوينها.

- الطنجير : أو الطنجرة قدر صنع من النحاس حجمه ضخم يستعمله الدباغون الذين لهم "النوبة" أي الحق في استعماله بالتناوب حتى ولو كانوا لا ينتمون إلى دار الدباغ التي يوجد فيها وفيه تصبغ جلود البقر المعروفة عندهم "بالعجلي" ولا يوجد إلا في "دار الدباغ الطنجير".

- البئر : خاضع للاستعمال المشترك وكانت بعض دور الدباغة تتوفر على بئرين حسب حجمها. وكان البئر يشكل المصدر الوحيد للمياه المستعملة وإلى حدود منتصف القرن العشرين أي قبل إدخال قنوات الماء الصالح للشرب التابع للمصالح البلدية آنذاك. وكان التزود بهذه المادة الحيوية يتم بصعوبة أي بواسطة الدلو أو السطل والحبل في مراكش مثلاً عكس ما كان عليه الحال في دور الدباغة بفاس حيث يتم الحصول على الماء بسهولة".

ومن المعلوم أن الدباغ يعد من أهم المواد الأساسية التي تركز عليها دباغة هذه الجلود. وهو أنواع مثل : الرباطي والبلدي وميموزا. ويتم جلبه من غابة المعمورة الواقعة شمال مدينة سلا ومن بعض مناطق الأطلس الكبير، لونه يميل إلى الحمرة. وكانت هذه الأنواع توضع في أكياس خشنة تنقلها الجمال والحمير والبغال. هناك نوع رابع يعرف بتاكاوت، أو تاكوت لونه يميل إلى الاصفرار وعلى شكل حبوب أصغرهما في حجم جبات الحمص وأكبرها في حجم

جبات الزيتون. يؤدي بأجود هذا النوع من تافيلالت، أقله جودة من ناحية تدغة. وقبل استعمال هذه الأنواع، كانت تمر بمراحل التنقية والنشر لتسهيل طحنها في مطاحن تقليدية، كانت توجد بحي الدباغين الذي يضم أيضاً سوقاً لعرضها للبيع، غير أن جل هذه الأنواع أصبحت تطحن في المطاحن الكهربائية منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

من المواد التي يتم الاعتماد عليها في هذه الحرفة نجد الجير، وهو من أصل حجري يُصهر في أفران تقليدية. هناك كذلك حتى الحمام "لبزق" الذي يمهّد هو أيضاً لدباغة الجلود. يقتنيه الدباغون من الذين يقومون بجمعه من نواحي الحوز ومن دكالة وغيرها.

يلاحظ أن طريقة دباغة الجلود التي تعتمد على هذه المواد الأساسية، تختلف من نوع إلى آخر رغم وجود بعض المراحل المتشابهة التي تعد قاسماً مشتركاً بينها.

1 - دباغة جلود الماعز : الزواني. تنطلق العملية باقتناء هذه الجلود من السوق على شكل وحدات تتألف كل واحدة من ست جلدات تسمى "الطريحة". وقد يصل عددها إلى عشر أي 60 جلدة فأكثر. وكان ينقلها حمالون من أصل فيلالي. ويضع كل معلم علامة خاصة به على أحد أطرافها تكون معروفة عند باقي المعلمين والصناع في دار الدباغة، حتى لا يقع خلط بين الجلود التي يمتلكها كل واحد منهم. كل مجموعة تسمى عندهم قصيرة يقوم المعلم بحزم جلودها بحبل. وتوضع في ماء إفرض - مدة يوم واحد صيفا وثلاثة أيام شتاء - ثم تسحب منه لتخضع "للتكعيب" بهدف تنقيتها من الطين والوحل والملح، ثم تمر بعد ذلك إلى عملية التكليط - وهي تبليط الوجه الخلفي للجلود بمادة لكلاطة، مكونة من خليط الرماد ونبات وماء لتسهيل عملية إزالة الشعر بالموسا يسمونها التقليع - ويتم بيع هذا الشعر في سوق خاص مكون من عدد من الدكاكين في قلب حي الدباغين.

بعد هذه العمليات التمهيدية تدخل جلود الماعز في مرحلة التهيئ: الانتقال وتبتدئ بوضعها في المجابير أي الأحواض التي تحتوي على خليط الجير والماء، وهي أربعة أنواع.

يلقى بجلود القصيرة بكاملها في النوع الأول المسمى لخصر ولدة أسبوع لضعف تأثيره وتهيب الجلود لتقبل مفعول الجير. بعد ذلك تحول إلى النوع الثاني هو أمسرّب لتبقى فيه مدة أربعة أيام - مفعوله أقوى نسبياً - النوع الثالث يعرف بلحرش لتأثيره القوي على الجلود إذ فيه تكسب نوعاً من الصلابة وتفقد ما بقي عالقا بها من الرائحة الكريهة. وقبل نقلها إلى المجيار الموالي تخضع للتمريس وهي عملية تهدف إزالة ما بقي من الشعر الذي يسمى بوخناز يبيعه الصانع إلى النساء ليصنعن به نوعاً من الحبال.

أما النوع الرابع والأخير فهو القاطع يطلق عليه هذا

الاسم لاحتوائه على الجير الجديد بعد خلطه بالماء تنقل إليه الجلود من لحرش وتبقى فيه لمدة أسبوع تقريباً غير أنها تخضع للمراقبة من وقت لآخر خاصة في فصل الصيف. في هذا المرقق تكتسب الجلود لوناً يميل إلى البياض وتصبح فيه أكثر صلابة مما كانت عليه. كما أنها تخضع لعملية أولاً، وهي إخراجها من الجير وتقطيرها وإنزالها فيه مرة ثانية، لتمكينها من امتصاص هذه المادة بالقدر الكافي. وبلاستعمال المتكرر تحول هذه المجاير من الأكثر إلى الأقل فعالية، أي من القاطع إلى لحرش وإلى امسرب ثم إلى المنحصر الذي يهرق محتواه في قنوات تصريف المياه عندما يصبح غير صالح للاستعمال. بعد قضاء المدة المطلوبة في القاطع تستخرج الجلود منه وتنقل إلى المركل حيث يتم ركلها وغسلها بالماء النقي ثلاث مرات حتى ينقطع منها أثر الجير. ويتم ذلك بتراويل دينية مثل التهليل والتكبير. وأثناء مراحل هذا الغسل تخضع للتساوي أي إزالة الشحم وبعض بقايا اللحم من وجهها الخلفي لتدخل بعد ذلك في مرحلة توهلها مباشرة للدباغة، إذ يتم غمرها في قصرة تحتوي على خليط من ختى الحمام - ليزق - والماء لتبقى فيه مدة يومين صيفاً وأسبوع شتاء. فبقاؤها في هذه المادة يعيد لها لونها ويزيل منها ما بقي فيها من رواسب الجير. ثم تعرض للغسل من جديد وتوضع في قصرة أخرى تحتوي بدورها على خليط من نخالة القمح والتين والماء لتبقى فيه أقل من أسبوع. دور هذا الخليط هو إزالة رائحة ليزق منها، وفتح الثقوب الدقيقة فيها؛ الشيء الذي يجعلها تمص تاكاوت إضافة إلى أنه يكسبها نوعاً من النعومة والطراوة. وبمجرد إخراجها من النخالة، يتم إنزالها مباشرة ودون غسلها في قصرة خاصة، تضم الماء النقي وقدر كافي من تاكاوت التي سبق إعدادها بالتنقية والغسل والتجفيف والدهن بالزيت والطحن. وكانت النساء يقمن بعملية تهيه هذه المادة مقابل أجره نقدية وذلك قبل ظهور المطاحن الكهربائية الحديثة.

تترك الجلود في تاكاوت لمدة ثمانية أيام خلالها تخضع لعملية أولاً أي تخرج وتقطر ويتم إنزالها وغمرها من جديد في الخليط نفسه. وعندما يتأكد المعلم من جودة دباغتها يتعاون مع الصانع والمعلم، على إخراجها من هذه المادة وعصرها إما على دفعات من طريحتين أو ثلاث أي من 12 إلى 18 جلدة، فيقومون بفتحها وتسريحها وإزالة أوساخها. ويطلق على هذه العملية - التشقاف - بعدها يقومون بتلوينها الواحدة بعد الأخرى بخليط من مسحوق قشرة الرمان الحامض، الذي كانوا قد قاموا بدقها في "أفردو" مهاز من الحجر. وأثناء عملية التلوين يدلكونها ويرشونها بقطرات من الزيت ليكتسب وجه الجلدة لمعانا وبريقا.

هذا الخليط كان مستعملاً في فترات مضت أما الآن فقد حلت محله صباغة صفراء. بعد ذلك تنشر الجلود في فناء عار هو أسفسر وعلى غطاء من التبن وبطريقة تجعل

وجهها الخلفي معرضاً لأشعة الشمس. وعندما تجف فإن المتعلم هو الذي يتولى عادة جمعها ونقلها إلى الدكان، حيث تبدأ مرحلة التهيه الأخيرة وتنطلق برشها بالخليط نفسه وطبها لمدة قصيرة، لتصبح لينّة. فيقوم الصانع بتسريحها على خشبة منتصبة داخل الدكان، على ارتفاع (60 سنتم) تقريباً من الأرض تسمى لخطر لصقل وجهها الخلفي أو ما يسميه الدباغون كبشير، ويتم بألة حديدية تسمى بالصدريّة، سُميت هكذا لأن جزءها الأعلى يوضع على الصدر والجزء الأسفل الحديدي على الجلدة، فيقبض الصانع أو المعلم الذي يباشر هذه العملية على عمود من خشب بيده اليمنى يفصل بين الجزئين الأعلى والأسفل ويده اليسرى على الجلدة بعد شدّها كذلك بفخذه على لخطر. كل ذلك يتطلب مهارة ومجهوداً عضلياً متواصلاً وشاقاً. ثم تمر الجلود إلى مرحلة التمير وهي حك ظهر كل جلدة باليد على آلة من طين تعرف بتبلاط وهي تشبه القدر، يحتوي وجهها على خطوط بارزة. وقد يستمر الحك عدة مرات بالنسبة للجلدة الواحدة إلى أن تبرز حبيبات دقيقة على وجهها تكسبها نعومة ونضارة. ثم تعلق من أحد أطرافها، في حبلين مشدودين إلى الحائطين المتقابلين في الدكان. فيقوم المعلم بمسحها بقطعة من الثوب الصوفي ليزيدها لمعانا ويقطع الأطراف الزائدة من حواشيتها لإخراجها في شكل مقبول وإعطائها منظرًا لائقاً. تُجمع الجلود الواحدة فوق الأخرى بعد أن أصبحت جاهزة، وتسمى آنذاك الطلوع فتُحمل إلى السوق الذي كان يعقد في مكان سوق الجلد كل يوم مباشرة بعد صلاة العصر، ماعدا يوم الجمعة وبذلك تنتهي هذه السلسلة المعقدة من العمليات الصعبة. ولهذا يقولون: "والله كل ما لعبت المعز في قرون الجبال حتى تخلص في دار الدباغ".

2 - بالنسبة لدباغة جلود الأغنام فهي سهلة نسبياً فعندما يقتنيها المعلم يضعها مباشرة في الماء لغسلها ثم تمر من محطات الجير ولبزق والنخالة لتبقى فيها مدة تتراوح ما بين 4 إلى 6 أيام لكل مادة من هذه المواد. ثم يتم تحديد اللون الذي يجب أن تأخذه. فالجلود البيضاء توضع في تاكوت والحمراء في الدباغ البلدي وميموزا لأن ذلك يكسبها اللون الأحمر. وعندما يتحقق المعلم من جودة دباغتها يقوم بشقها وتلوينها بخليط من الماء والشب. ترش بالزيت فتنتشر تحت أشعة الشمس، حتى تجف ثم ترش بالخليط نفسه دون استعمال الزيت. ثم تخضع لعملية كبشير، أي إزالة القشرة الغليظة من وجهها الخلفي. فتسرح من جديد وهو ما يسمى - بأفتاح - فتصبح جاهزة للبيع بعد أن تجمع الطلوع فتُحمل إلى سوق النعال الذي كان يعقد ابتداءً من العاشرة صباحاً طيلة أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة. أما الجلود الحمراء فتستخرج من الدباغ وتشق وترش هي أيضاً بالزيت ودون أي خليط آخر وتخضع للعمليات نفسها تقريباً.

أما دباغة جلود البقر الذي يعرف بالعجلي فبمباشرة بعد وضعها في إفرض وانتشالها منه بعد خمسة أيام تقضيها فيه، تحول إلى مجيار لحرش لتبقى فيه ثلاثة أسابيع لتسهيل إزالة الوير ووضعها في القاطع لمدة شهر مع مراقبتها - أولاً - ومنه تنقل إلى المكل لإزالة الشحم من وجهها الخلفي - التساوي - ويجدد عليها الماء لمدة ثلاثة أيام فتمر إلى - لبزق - ثم إلى النخالة لمدة شهر في كل مادة من المادتين. بعد ذلك توضع في قصرية الدباغ البلدي لمدة شهرين.

تصبغ بعدها في الطنجير باللون الوردي فتشتر وتجنف وتقر بعملية لبشير والمسح فتصبح جاهزة للاستهلاك. وتقر دباغة جلود الجمال بمحطات الجير التي تمر منها جلود البقر وإزالة الوير والشحم والغسل. لكنها تنتقل مباشرة إلى النخالة ولمدة شهرين تنقل بعدها إلى قصرية الدباغ البارد أفضل. ودون المرور بلبزق ثم إلى الدباغ الجديد. ثم تظلى مرة أخرى بمسحوق الدباغ من جديد لتبقى فيه ستة أشهر. يتم بعدها إخراجها منه بالتدريج حسب ما يرغب المعلم في بيعه منها. فتتعرض لذلك بحجرة وخليط من مسحوق الصنوبر يكسبها لمعانا وحمرة زاهية. فتعرض للبيع في سوق "النعال".

أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، بغداد، ص. 153 : مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء، ص. 90 : مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، الدار البيضاء، ص. 209 : البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، ص. 71 : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص. 27 : 28 : علي الجزائلي، جنى زهرة الآس، ط. الثالثة، الدار البيضاء، ص. 91 : 44 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 4 : 342 : 5 : 40 : 8 : 473 : البحث الميداني.

R. Le Tourneau et L. Paye, *La corporation des Tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès*, Hesp. T. XX, fax. 2, 1935 ; Lagdim Soussi Moulay Brahim, *Les activités artisanales à Marrakech et leurs retombées économiques. Etude géographique*, Université François Rabelais, Tours. 1984.

عبد السلام السعيد

دار الدبيبغ، هو القصر الذي بناه السلطان المولى عبد

الله بن اسماعيل ابتداء من سنة 1154 / 1742 جنوب مدينة فاس العتيق. لكنه صار يطلق لدى أهل فاس على المدينة العصرية التي أقيمت في جوار القصر ومن حوله حتى أصبح اليوم يتوسط أحياء الجديدة (انظر مادة أولاد الدبيبغ في مكانها من هذه المعلمة).

أما هاهنا فنكتفي بالحديث عن القصر أو القصبه وعن أسباب تشييدها يوم كان السلطان المولى عبد الله (1729 - 1757) يحاول إثبات حكمه بمساندة أخواله من قبائل الأوداية القاطنين في أحواز فاس. وكان في مطلع الأربعينيات من ذلك القرن قد نفر من المقام في قصور والده

في مكناس لما كان بينه وبين جيش العبيد من الصراع. ولذلك فضل المقام بين أخواله على مقربة من فاس دون أن يسكن القصور السلطانية الواقعة داخل أسوار المدينة. وكان أهل فاس بايعوه أول الأمر ثم ثاروا عليه. فكان في حاجة إلى إقامة قصر محصن يقيه ثورات أهل فاس ويمكنه من مهاجمتهم كلما اقتضت الضرورة ذلك. فاختار بقعة على نشز من الأرض غاية في التبصر الاستراتيجي على بضعة كيلومترات من الأسوار، تمكن السلطان من التحصن ومن مراقبة الوارد من فاس والقاصد إليها. وبالرغم مما يوجد عليه قصر دار الدبيبغ اليوم من الخراب، إلا أن هندسته العامة مازالت ماثلة للعيان توحى بطبيعة القصور السلطانية من حيث شكلها وتوزيع المرافق الخصوصية والعمومية بداخلها.

وهي على شكل قصبة مربعة متساوية الأضلاع بالتقريب، طول الضلع منها لا يقل عن سبعمائة متر، محاطة بسور مرتفع مسنن على الطريقة التقليدية لتمكين الرماة من الرماية والاحتماء من رصاص العدو. وهي على ربوة تنسرح العين فيها في كل اتجاه في سهل سايس، يوم كانت مدينة فاس لم تزل منحصرة عند وهذا الواقع في سفح جبل زلاغ. وزيادة في تيسير المراقبة أقيمت أربعة أبراج على علو مرموق في كل ركن من الأركان الأربعة تتخللها منافذ كانت تطلق منها المدافع.

وتنقسم القصبة ككل القصور السلطانية إلى عدة دور متصلة وإلى ساحات وأحواش متميزة. فهناك أولا المشور المفتي إلى قاعة الاستقبالات العمومية، بحذائه من جهة الشمال الأروى المتصلة بما كان حديقة للحيوان، ومن جهة الجنوب ساحة كانت مخيما للعساكر المكلفة بالدفاع عن القصر. وفوق تلك القاعة غرفة تنمّ رغم الدمار والخراب عن الشموخ والتأنق في الزخرفة، وهي على شكل ما يسمى عند المغاربة "مَنْزَهًا" ترى منها العين مفاثن سهل سايس والجبال. ومن هذه الغرفة يطل المرء على دار الحرم بكل ملحقاته من غرف وحمامات ومطابخ وهي في السفلي جهة الشمال.

فهذه هي القصبة المسماة بدار الدبيبغ التي أضحت اسمها يطلق على المدينة الأوربية التي أقامها الفرنسيون في جوارها ومن حولها ابتداء من العشرينيات من القرن العشرين يوم فضلوا السكن منفصلين عن المدينة العتيقة. وقد كانت مقر أول معسكر لهم في فاس يوم دخلتها جيوش الجنرال مواني في ربيع سنة 1911. ثم إنهم أسكنوا فيها قداماء من كان يقاتل في صفوفهم من الجنود المغاربة لتطويع المناطق المستعصية من المغرب. ولذلك أصبحت القصبة عرضة لكل أنواع التآكل والتلاشي من جراء الضغط الديموغرافي. مع أنها مفخرة من مفاخر الهندسة المغربية، واضحة المعالم الجمالية والعمرانية. وليست أكبر القصور في العهد العلوي ولكنها من أشدها وضوحا لمن

يريد أن يطلع من أول وهلة على شكل تلك القصور وعلى وظائفها وأساليب العيش بداخلها. وقد أقام بها المولى عبد الله إلى أن وافاه الأجل المحتوم. كما أقام بها المولى الحسن (1873- 1894) كلما مر بفاس، وكذلك ولي عهده وخليفته على العرش المولى عبد العزيز (1894- 1907).

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، الرباط، 1986 : أ.
الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج. 7 : ع. ابن زيدان، إتحاف، ج. 4، فاس، 1932.

D. Madras et R. Maslow, *Fès capitale artistique de l'Islam*, Casablanca, 1948 ; P. Azan, *L'expédition de Fez*, Paris, 1924.

إبراهيم بوطالب

دار الدريوش، مركز حضري حديث في إقليم الناظور. يوجد على الضفة اليسرى لوادي كرت، على الطريق الرئيسية التي تربط بين الناظور والحسيمة حيث يعتبر محطة طريقية مهمة في المنطقة.

عرف المركز تطوراً سريعاً منذ دخول الاستعمار الإسباني الذي جعل منه مقراً لثكنة عسكرية كبيرة انطلق منها لإخضاع المناطق الموجودة إلى الجنوب والغرب. وبعد الاستقلال، أخذ الدور العسكري لدار الدريوش يتقلص وتحول تدريجياً إلى مركز حضري عرف نمواً مطرداً، خاصة في السنوات الأخيرة نتيجة للهجرة الدولية، ويتجلى ذلك بالخصوص، في تطور عدد سكانه الذي عرف نمواً كبيراً بين سنتي 1982 و1994 يقدر بـ 165٪ وهي من أعلى النسب في إقليم الناظور.

يضم المركز مقر عدة مصالح إدارية (دائرة وقيادة وجماعة الدريوش)، وصحية واجتماعية تمتد صلاحيات بعضها إلى المناطق المجاورة كدائرة الريف، كما يقدم عدة خدمات إضافة إلى كونه مقر سوق أسبوعي مهم ينعقد يوم السبت، وهو من أكبر وأنشط الأسواق الأسبوعية في إقليم الناظور.

J.J. Baraton, *Bassin et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et technotique depuis le néogène supérieur*,. Etudes méditerranéennes. Poitiers, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador*. Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani*.

حسن العباسي

دار السكة المغربية يتبلور تاريخها في القطع النقدية المضروبة في إحدى تلك الدور. وحسب النقود التي وقع العثور عليها قديماً وحديثاً في مختلف المراكز المنتشرة فيما كان يسمى موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى) والتي توجد الآن مجموعات منها في بعض متاحفنا حيث

يتجلى أن المغاربة استعملوا النقود الفينيقية والقرطاجية والرومانية والوندالية، كما استعملوا نقود الدول الأوربية المجاورة للبحر المتوسط مثل الدولة الإسبانية والغالية والإيطالية، وكلها نقود ضربت بدور السكة الأجنبية، ولا شك أنها كانت تروج إلى جانب نقود مغربية ضربت محلياً بدور السكك المغربية غير أننا لا نتوفر على معلومات عن نقود محلية أقدم مما عرّف به جان مازار J. Mazard في كتابه *عن النقود المغربية* وخاصة دار السكة في ليكسوس (شماس) قرب مدينة العرائش، وقد ضربت نقوداً في عهد الملك بوكوس (45- 33 ق.م) وفي عهد يوبا الثاني (25 ق.م إلى 23 م) وقد برز في تلك النقود التأثير السروماني بشكل واضح. ومع الطلاع الأولى للفتح الإسلامي بدأ المغاربة يستعملون النقود الأموية المسكوكة في الشرق والتي ضربها ولاتهم بطنجة منذ عهد موسى بن نصير كما يدل على ذلك فلس نشره حسن حسني عبد الوهاب، ثم ولاتهم في الأندلس. ولاشك أن هناك دوراً للسكة أنشأتها الإمارات الأمازيغية قبل الإسلام من قبائل مصودة وصنهاجة وزناتة ثم بعد ذلك أصبحت دار السكة من اختصاصات الدول المغربية المتعاقبة على الحكم منذ الدولة الإدريسية إلى الآن.

وقد اجتهد كثير من الباحثين للتعريف بهذه المؤسسة التي تعتبر من المؤسسات الغامضة التي تحسبها الدولة من بين أسرارها الخاصة التي لا ينبغي إطلاع الغير عليها، زيادة على اعتبار أن السكة من أهم شارات الملك. ومن هذا الجانب تدرك الصعوبة الكبرى في التعريف بهذه المؤسسة التي كان الصناع المسلمون واليهود يضربون السكة فيها أحياناً أثناء الليل إمعاناً في السرية، كما أن أغلب "المعلمين" لا يكتبون، ولذلك لم تخلف عن هذه المؤسسات وثائق تذكر، وضاع كثير من وثائق الأمراء وسجلاتهم فانطمست بذلك كثير من المعلومات عن جوانب كثيرة من هذه المؤسسة، الأمر الذي جعل الباحثين يتجهون إلى القطع النقدية القديمة كمصدر للحصول على معلومات عن الصناعة النقدية وعن ضبط كثير من الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بواسطتها.

وقبل الإدلاء بلوائح دور السكة المعروفة لدى مختلف الدول المغربية المتعاقبة على حكم المغرب نورد صورة لما كان عليه العمل داخل دار السكة من حيث إدارتها، ومن حيث عمليات التصنيع الجارية بها حسب وصفها في الكتابات التاريخية.

"فدار السكة عبارة عن مبنى يقام - أحياناً - إلى جانب قصر السلطان على هيئة مكان مربع محاط ببعض الحجرات الصغيرة مخصصة لعمال دار السكة، وفي وسط هذه البناية

الكيميائية ويحتفظون بأسرار الصنعة، وهم حريصون على "أن لا يدخلوا معهم في صناعتهم أجنبياً".

الصناع و "المعلمين" ويعتبر "المعلمون" دون الصناع خبرةً، ويقوم هذا الإطار بوظائف متعددة منها : وظيفة "النقاش" وهو الذي يصنع الأختام التي تضرب بها السكة الفضية بحفر كتابات عميقة مقلوبة على قطع من الحديد، كما يصنع القوالب التي تفرغ فيها الفلوس النحاسية (لوحة رقم 2). ووظيفة "السبك" وهو الذي يقوم بخلط المعادن بمقادير معينة وتحديد عيارها ومراقبة سبكها في "الأبواب" : (البوتقات). ووظيفة "الضراب" أي : الذي يُعدُّ صفائح الفضة أو يضرب على الخاتم. ثم وظيفة "صاحب القطع" ويعرف بصاحب المزبلة (المقص) ويقوم بإعداد قطع مستديرة من الفضة.

ويهيمن على هذا القطاع في دور السكة بالمغرب عدد كبير من "المعلمين" اليهود وهي هيمنة قديمة. وقد أوردت رسائل مديرية الوثائق الملكية المتعلقة بالقرن الثالث عشر (19 م) كثيراً من المعلومات عن كفاءتهم، وعن ممارساتهم السلبية أحياناً داخل هذه الدور، مثل القيام بالإضرابات من أجل المطالبة بزيادة الأجور، وكذا القيام بأنواع من التدليس، مما جعل تلك الرسائل تنبه على الحذر "ورد البال" تجاههم.

يقع مكان ناظر الدار مع العدول والكتاب، وبالقرب من هذه الدار توجد دكاكين الصياغين مع الأمين الذي تعرض عليه المصوغات ويضع طابعه على المقبول منها" فحينما عرضنا هذه الفقرة على أحد الرسامين المغاربة تفضل بالتعبير عن تصور العاملين بدار السكة أثناء عملية ضرب النقود كما يظهر في الصورة المرفقة، وتتميماً لهذه الصورة نورد وصفاً للإطار البشري الذي يمكن تمييزه إلى قسمين : حيث يختص قسم بالتسيير الإداري والقسم الآخر بمباشرة عمليات الإنجاز، ومن القسم المسير :

- أمين دار السكة، وله السلطة المباشرة على العمال، ويقوم بتنظيم عمليات الضرب وإعداد "الإقامة"، ويحدد مقادير "الطريحة".

- ناظر الدار (المقدم) ويدعى أيضاً الأمين الثاني، يعمل على حفظ ومراقبة السبائك ودفع أجور الضراب وغيره من العملة.

- العدول والكتاب، وهم الذين يقومون بالإشهاد وتسجيل معاملات الدار وأعداد التقارير.

أما بالنسبة للإطار الذي يباشر إنجاز النقود، فيتكون من مجموعة من :

- "المعلمين" وأغلبهم من اليهود ولهم خبرة في العمليات



دار السكة المغربية

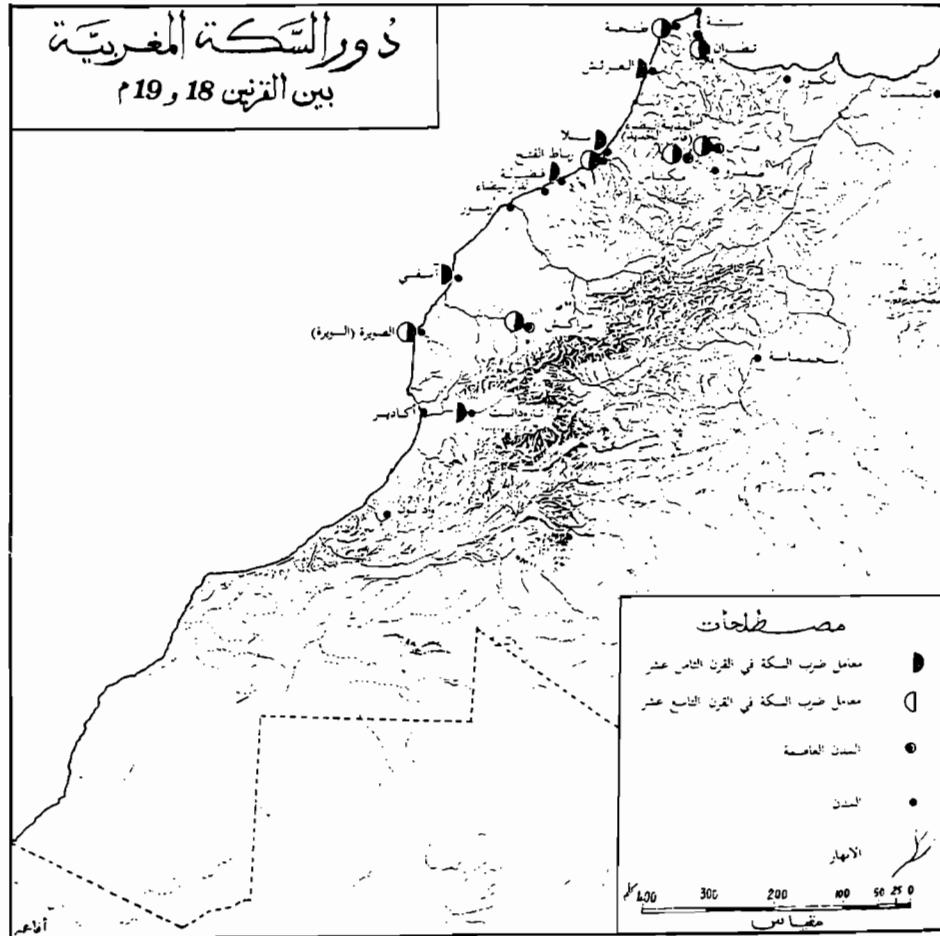
أما إنجاز القطع النقدية بدار السكة، فإنه يتطلب اجراء كثير من العمليات، خاصة منها ما يتعلق بمعالجة المعادن وبهندسة النقود وأوزانها، ونكتفي في هذه الدراسة بأن نسوق ذلك على سبيل الإجمال :

فحينما يقبل السلطان النماذج المكتوبة للدراهم والدنانير، تُدفع للنقاش، فيقوم إما بحفرها على الأختام المعدة للضرب في حالة نقود الذهب والفضة، أو بصنع قوالب الإفراغ في حالة النقود النحاسية (لوحة 2). وحينما تسبك المعادن بعد خلطها بمقادير معروفة، تدعى العيار أو العدة، وتحول إلى قضبان، ثم تُطرق لتتحول إلى صفائح، ثم تقطع على شكل قطع مستديرة، هي التي تصبح نقوداً بعد ختمها وضبط وزنها. هذا بالنسبة للنقود الفضية، أما بالنسبة للنقود النحاسية فإن المعدن عندما يتم سبكه بالانصهار، يصب في قوالب الإفراغ، ثم يترك ليبرد، فيستخرج من القالب على هيئة قطع نقدية جاهزة. وهناك عمليات عديدة تجرى على المعادن النقدية لا نرى ضرورة

تقديم شروح عنها هنا، مثل : التخليص والتشجير والتشليل والتشبيب وغيرها، ويمكن الرجوع إليها في مظانها مثل كتاب الأصداف المنفضة للجزائري.

وعن التوزيع الجغرافي لدور السكة المغربية عبر عهود الأسر الحاكمة بالمغرب، فإننا نردها بناء على ما توصلنا إليه اعتماداً على الأسماء الواردة على القطع النقدية، وإنما نورد الأهم منها فابتداء من عهد الدولة الإدريسية عرف عدد الدور انتشاراً واسعاً بلغ عشرين داراً للسكة، وهي على التوالي: طنجة وأصيلا. وتهليط والبصرة وورغة وإجرهان ووطيط. وليلة والعالية وسبو ورزعة وإيكم وبهت وتاگراگرا ومريرت، وزقور ومهنا وزيز وتدغة. ولقد درسنا مجموعة من القطع النقدية، وفُتِر لنا ملاحظة مدى تطور الخط الكوفي عبر هذه الدور في مستويات متفاوتة ووضعنا خريطة لمواقع هذه الدور مع إبراز حدود تلك التفاوتات. (انظر الخريطة).

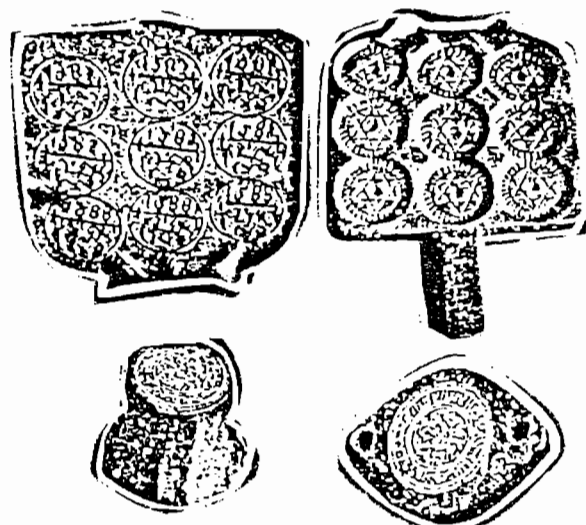
وإذا كانت هذه الدور في العهد الإدريسي مركزة في مجال جغرافي محدود، فإن دور السكة في عهد الدولة



خريطة : 1

السلطان	دور السكة في عهده	عددها
مولاي رشيد مولاي إسماعيل	• مراکش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة • مراکش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة - مكناس - أزموور - أسفي	4 7
م. أحمد بن محرز م. عبد الله بن إسماعيل سيدي محمد بن عبد الله	• مراکش - سجلماسة • مكناس - رباط الفتح - سلا • مراکش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - طنجة - البيضاء - العرائش - سلا - فضالة - الصورة - رمانة	2 3 13
مولاي اليزيد مولاي سليمان	• فاس - تطوان • مراکش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - العرائش - الصورة	2 8
مولاي هشام م. عبد الرحمان بن هشام	• مراکش - أسفي - الصورة - مولاي إبراهيم • مراکش - فاس - رباط الفتح - مكناس - تطوان - ضا (وجدة) - سلا - أسفي	4 8
سيدي محمد عبد الرحمان	• مراکش - فاس - رباط الفتح - تطوان - حوز (تطوان)	5
مولاي الحسن مولاي عبد العزيز	• مراکش - فاس • مراکش - فاس	2 2

ويتضح من خلال هذا الجدول أن عدد هذه المؤسسات بلغ أوجه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) في فترة السلطان محمد بن عبد الله. وبحلول القرن الثالث عشر (19 م) وقع الاستغناء شيئاً فشيئاً عن الكثير من هذه الدور ولم يبق مشغلاً سوى دار السكة بالصورة والرباط ومكناس وفاس وطنجة وتطوان، بل تناقص هذا العدد، في النصف الثاني من هذا القرن، حين تركزت عمليات الضرب - خاصة بعد حرب تطوان - في أربعة دور



- فوق قالب الافراع. تحت خاتم الضرب

المرابطية عرفت امتداداً في مجال أوسع تبعاً لاتساع الامبراطورية نحو المغرب الأوسط ونحو الأندلس يتجلى ذلك في اللاتحة التالية حيث توجد دور السكة في مدن سجلماسة، مراکش أغمات، نول لمطة، فاس، سبتة، سلا، الوليجة على وادي ورغة، وفي الجزائر : تلمسان، وفي الأندلس : قرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة وبلنسية والمرية والجزيرة الخضراء ولوشة ودانية وجيان ومرسية، وهناك دور أخرى أقل أهمية.

وفي العهد الموحيدي بقي نفس الاتساع، فهي في : مراکش وفاس، ومكناس وسبتة وسجلماسة ورباط الفتح، وأزموور. وفي الأندلس في اشبيلية وقرطبة وبلنسية وجيان ومرسية، وفي الجزائر في تلمسان وبجاية وكذا في تونس. وفي العهد المريني عرفت دار السكة استمراراً من حيث الصناعة النقدية وتألقا في النقوش والخطوط، ولكن مع تراجع من حيث عدد الدور، ونذكر من بين الدور المعروفة دور سكة فاس وسجلماسة وسبتة ومراكش وتطوان ومكناس وأزموور. وفي الجزائر : تلمسان وبجاية والمنصورة والجزائر المدينة. أما في العهد السعدي فقد بلغت دار السكة أوج ازدهارها أيام أحمد المنصور الذهبي، وكانت أهم دار الضرب السكة هي سجلماسة والمحمدية : (تارودانت) ثم بعد ذلك انتشرت دور السكة هي كل من فاس ومكناس ومراكش وتافيلالت وسوس ودرعة وأكناوة وإفران وتدعي سكة إفران بالأطلس الصغير، السكة الغيرانية أو الكهوفية (انظر الوثيقة : بيان السكك الحاربية في الغيران - مجلة تاريخ المغرب، 1998، ص. 32).

أما في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م) وإلى الآن فان معامل السكة تعتبر امتداداً لما كانت عليه المعامل القديمة وذلك لعراقة هذه الصناعة في المغرب، لكن المتتبع لتطور هذه المعامل - على الأقل منذ العهد السعدي - يلاحظ أن أعداد هذه المعامل تقلص بمرور الزمن، تقلص من الجنوب نحو الشمال ومن المراكز الصغرى إلى المدن الكبرى. فبعد اندثار المعامل القديمة الواقعة عند التخوم الصحراوية، مثل : نول لمطة وسجلماسة وتدغة... عرف هذان القرنان استمرار ضرب السكة في عدد لا يستهان به من المعامل، وكانت توجد في كل من تارودانت والصورة ومراكش وأسفي وفضالة والرباط وسلا ومكناس وفاس والعرائش وأصيلا وطنجة وتطوان.

غير أن هذه المؤسسات لم تشتغل - في نفس الوقت - بهذا العدد، بل كان عددها يزداد وينقص تبعاً لاختيارات ملوك الدولة العلوية بناء على مدى ما وصل إليه نفوذهم السياسي وتطلعاتهم الاقتصادية. وقد استخلصنا من خلال المجموعات النقدية السالفة الذكر، إحصاءً يبين عدد المؤسسات المشغلة في عهد كل ملك، كما يبين خطوط الاستمرار والانقطاع بالنسبة لكل مؤسسة، مما نقدمه في الجدول التالي :

نقود حسنية ضربت في باريس

والمتتبع لأطوار التاريخ المغربي، يجد أن هذا الضمور والتناقص ثم الاختفاء الذي عرفته مؤسسات ضرب السكة بالمغرب تتداخل أسبابه، فهو يسير موازيا لضمور النفوذ المخزني في المراكز الجنوبية، التي تتحكم في الطرق نحو إفريقيا الغربية : (السودان) التي تنتهي إليها تجارة القوافل. تلك المراكز التي كان يرتبط بها الكيان السياسي لمختلف الأسر المتعاقبة على الحكم بالمغرب.

وهكذا فقد توقفت دار السكة بالمغرب عملياً منذ الإصلاح الحسيني سنة 1887 وتكبد المغرب من جراء ضرب النقود بأوروبا متاعب لا حصر لها (مسألة النقود، ص. 236) واستمر ضرب النقود خارج المغرب فيما بين 1881 و1987 خلال قرن كامل من الزمن، أبرم المغرب خلاله العديد من "الكنطراوات" مع دور السكة الفرنسية في باريس، والإنكليزية في لندن وبرمنغهام، والألمانية في برلين. وعلى الرغم من كون المغرب استقل سياسياً منذ سنة 1956، فإن استقلال سيادته النقدية لم تتم الا بعد ثلاثين سنة من عهد

[illegible]

الكرملي أنسطاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط 2، القاهرة، 1987؛ حلاق حسان علي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، 1978؛ حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين، مجلة كلية الآداب، عدد 23 سنة 1999، ص. 109 - 230؛ ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، منشورات، كلية الآداب، أكادير، 1988؛ ع. أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993؛ ع. أفا، النقود في العهد السعودي - نماذج جغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7-8، سنة 1998؛ ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993؛ ابن الرقعة نجم الدين الأنصاري، الإيضاح والبيان في معرفة الكيال والميزان، دمشق، 1980؛ أ. حدود الجزناني، الأهداف المنفضة في أحكام صناعة الذهب والفضة، مخطوط؛ ع. بن عبد العزيز الكرسيفي، رسالة

في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر : ع. بن عبد العزيز الكرسيفي، رسالة في تحقيق أوزان النقود سوس، ملحق بكتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر : ابن جزي، القوانين الفقهية، الرباط، 1962 : لومبا رموريس، الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, R.M.M., vol. 38, mars 1920 ; Marty J. A., *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat 1984 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes*, H. T. vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa metrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiaie mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; Hassan Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue Tunis d'institut de Cartage, 1932.

عمر أفا

دار السلطان، قصر قديم بمدينة أسفي كان معداً فيما مضى لاستقبال الملوك والأمراء. موقع هذه الدار بالقصبة العليا في مكان مرتفع، وهي مشرفة على المدينة القديمة والبحر من جهة وعلى المدينة الجديدة ومحيط أسفي البري من جهة أخرى. وعن تاريخها يقول الفقيه الكانوني : ويظهر أنها قديمة جداً، كانت موجودة في منتصف القرن الثامن الهجري إلا أنها خربها البرتغال فيما خربوا من المدينة لما أخلوها وأوقدوا فيها النيران، ثم أسسها الملوك السعديون، ويغلب على الظن أن مؤسسها منهم هو أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي حوالي منتصف القرن العاشر الهجري... وكان بعد ذلك الملوك يتعهدونها بالإصلاح كالسلطان سيدي محمد بن عبد الله فإنه نزلها لما كان خليفة عن والده على الحوز، فخلد بها آثاراً منها داره المعروفة بالباهية وأودعها من النقش والتخريم ما يجذب القلوب وتستحسنه الطباع. وله المنتزه العالي المشرف على البحر والبر. وتوجد بها أماكن عديدة ودور وأهرية مما هو من ضروريات الملوك، وفي وسطها مسجد من محدثات ذلك العصر... لكن جل المؤرخين الأوروبيين يرجعون تاريخ بناء هذه الدار إلى عهد الاحتلال البرتغالي. وقد أعيد ترميمها ترميماً جيداً عدة مرات خلال هذا القرن. ويوجد بها الآن المتحف الوطني للخزف.

م. الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً : دراسة ميدانية.

عبد الرحيم العطوي

دار الصناعة، مؤسسة صناعية مختصة في صنع أنواع مختلفة من السفن صغيرة وكبيرة، تجارية وعسكرية. ودار الصناعة كلمة عربية الأصل انتشر استعمالها في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط، كما استعملت بصيغ أخرى منها : دار الصنعة بفتح الصاد وكسرهما ودار الإنشاء. ومن اللغة العربية انتقل هذا المصطلح إلى لغات البحر المتوسط اللاتينية ثم حرف إلى كلمات تفرعت عن اسم مشترك بين هذه الشعوب هو : Darse أو Arsenal، وهكذا نجد : darsena في اللغة الإيطالية والقشتالية وarsanale وdarsena في اللغة الكطالانية وTarzana في اللغة المالطية وarsenal في اللغة الفرنسية.

وقد عرف المغرب الأقصى منذ بداية تاريخه الإسلامي إنشاء مراكز لصناعة سفن التجارة والنقل الصغيرة التي كانت تجوب عبر مسافات قصيرة بعض موانئ البحر المتوسط وكذلك المحيط الأطلسي. غير أن الانطلاقة الحقيقية لإنشاء دور الصناعة الكبيرة لم تبدأ إلا مع الدول الكبرى التي حكمت المغرب في العصر الوسيط كالمرابطين وتطورت بشكل خاص وأصبح لها صيت عالمي مع الموحدين لتعرف بعض التراجع مع بني مرين ثم لتسترجع قوتها ونشاطها مع السعديين والعلويين. وأشهر دور صناعة السفن المغربية ست أنشئت بموانئ كان لها دور رائد سواء في التجارة أو في الجهاد تجاه الأندلس وباقي موانئ السواحل الأوربية المتوسطية المشهورة.

• **دار الصناعة ببাদس**، حدد الوزان موقعها خارج القصبة بجوار البحر، وهي دار صغيرة كانت تصنع فيها الزوارق والسفن الشراعية والمراكب التي كان الأهالي يعتمدونها في حملاتهم وهجوماتهم على سفن النصارى في البحر، كما كانوا يستعملونها في تنقلاتهم عبر السواحل المجاورة لمدينتهم وكذلك للتجارة خاصة في المناطق القريبة. ويذكر أن الخشب الذي كان يستخدم في صناعة السفن كان يأتي من الجبال المحيطة ببادس وهو يتميز بجودته العالية وبوفرته.

• **دار الصناعة بسبته**، وتعتبر من أقدم دور الصناعة التي عرفها المغرب حيث تزايدت أهميتها مع تزايد حيوية المدينة وخطورة موقعها الاستراتيجي مما جعلها تتعامل مع هذا المعطى على المستويين التجاري والعسكري. ولذلك اشتهرت هذه الدار بصناعة السفن التجارية والحربية التي ذاع صيتها أيام المرابطين والموحدين والمرينيين سواء في محاربة سفن النصارى بالبحر أو في نقل الجنود إلى الأندلس. وإذا كان الزمن لم يترك أي أثر لهذه الدار يحدد موقعها في المدينة فإن كتاب اختصار الأخبار احتفظ لنا بإشارة فريدة تفيد بأن هذا الموقع كان بمضرب الشبكة بين ما يعرف ببحر بسول وبحر الرملة.

• **دار الصناعة بسلا**، توجد بالجانب الغربي للمدينة من جهة القبلة. لم يبق اليوم من هذه المنشأة الحضارية إلا بابان

يدلان على ضخامة البناء واتساع رقعة هذا الورش البحري. ليس من اليسير الحسم في تاريخ بناء دار الصناعة بسلا، بسبب قلة المعلومات في المصادر، وما توحى به من اختلاف أيضا. فإذا رجعنا إلى مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي نراه يؤكد أن هذه الدار من بناء السلطان يعقوب ابن عبد الحق المريني، وأن المشرف على بنائها هو المهندس محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج الإشبيلي المتوفى بفاس سنة 1314 / 714. وهذه الرواية صحيحة في الغالب نظرا لما اشتهر به هذا السلطان من حرص على الجهاد، وقيامه بعدة جوازات إلى الأندلس. على أن أهم ما يؤكد الرواية هو ما يتصل بحادثة استيلاء القشتاليين على المدينة سنة 1260 / 658. وما بذله السلطان المذكور من جهد من أجل تحرير المدينة وطرد النصارى. وبالرجوع إلى المصادر المعاصرة لهذا الحدث، نجد أنها تتفق على أن المدينة لم تكن مسورة من جهة نهر أبي رقراق منذ العهد الموحيدي، وأن السلطان أبا يوسف المريني قد أمر ببناء السور وشارك بنفسه في ذلك، وأن المهندس المذكور قد قام ببناء دار الصناعة، علاوة على أن السلطان أبا سعيد الأول كان قد أمر سنة 711 ببناء المراكب الجهادية بدار الصناعة بمدينة سلا.

وفي نفس الاتجاه ذهبت بعض الأبحاث الأثرية المعاصرة إلى تأكيد الطابع المريني لبابي هذه المنشأة، اعتبارا لطبيعة النقوش الموجودة عليها والكتابات المكونة من آيات قرآنية وبسملة وتصلية، وهي من سمات الفن المريني. فضلا عن كونها كانت محرمة في العمارة الموحدية.

جميع هذه الحجج تؤكد إذن الأصل المريني لما تبقى من دار الصناعة. غير أن هذا لا يمنع من إبداء رأي مكمل في هذه المسألة يتصل بإشارة غير واضحة وردت في بعض المصادر المرينية. ذلك أنه حينما تمت الإشارة إلى بناء السور الغربي لسلا على يد السلطان أبي يوسف أشير إلى أن مبتدأ ذلك كان من دار الصناعة إلى غاية البحر : "فسار في بنائه فبناء من أول دار الصناعة إلى البحر" حسبما ذكره صاحب القوطاس، وهي إشارة توحى بأن دار الصناعة كانت موجودة حينها بهذا المكان، وأن بناء السور الغربي للمدينة كان مناسبة ربما لبعض الإضافات من بينها البابان المتبقيان إلى اليوم.

وما دمنا بصدد الحديث عن بابي دار الصناعة فمن المرجح أنهما يمثلان منفذي هذا المرسى الداخلي. فقد أشار الفقيه ابن علي إلى أن المياه كانت تأتي من النهر بواسطة ترعة عميقة وتدخل من الباب المقابل لجامع حسان، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذا المحل وأريد إرسالها في الوادي فتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء وتعم السفينة، فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جدا نحو مائة قدم (حوالي 30 مترا) ليخرج المركب منشور القلاع.

ومعلوم أن الخشب المستعمل في صنع المراكب كان يأتيها من غابة البلوط بالمعمورة، وهناك إشارات أخرى

تفيد بنقل أخشاب الأرز عبر نهر سبو إلى الساحل، وحرص السلطان أبي الحسن على التوجه بنفسه إلى جبال جاناته (غرب قبيلة زمور) لياشر قطع الخشب للإنشاء. هذا زيادة على ما كان المغاربة يحصلون عليه من لوازم وقطع غيار السفن عن طريق التجارة.

تأثرت دار الصناعة بسلا، كغيرها من أماكن صنع السفن، بفتور عمليات الجهاد وضعف الدولة منذ عهد السلطان أبي الحسن. فهجرت وتوقف الاعتناء بها مما يفسر قيام السلطان عبد المالك السعدي بترميم باب المرسى وإصلاح قوسها، لكن ذلك لا يعني عودة دار الصناعة إلى سابق نشاطها، بل الملاحظ أن هذا المرسى قد أهمل انطلاقا من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) بسبب تحول الأنشطة البحرية الجهادية إلى الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بعد هجرة الموريسكيين واستقرارهم بالرباط. وسيقع الاهتمام بدار الصناعة من جديد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أراد تجديداتها بواسطة بعض أهل الخبرة من الدولة العثمانية، فلما عاينوا المكان قالوا إن ذلك يتطلب عشرين سنة من الإصلاح، فتخلّى عن الفكرة وقرر بناء مدينة الصويرة.

وقد تحولت دار الصناعة ابتداء من سنة 1222 / 1808 إلى حارة لسكنى اليهود الذين تم نقلهم من ملاحهم داخل المدينة لأسباب استوجبت ذلك. ومعنى هذا أن الرمال كانت قد غمرت المكان وسمحت بالبناء.

• **دار الصناعة بطنجة**، يظهر أنها كانت زمن الموحدين من أنشط الدور في إنشاء المراكب الخاصة بنقل المسافرين والبضائع سواء في اتجاه موانئ مغربية أخرى أو في اتجاه الأندلس، وقد نبه الإدريسي إلى أهمية المدينة كمركز إقلاع وحط وإنشاء المراكب.

• **دار الصناعة بفاس**، أنشأها الخليفة عبد المومن الموحيدي بالموضع المعروف بالحالات من أرض ابن عبودة التي بقرب ملتقى وادي فاس مع وادي سبو. وقد تخصصت هذه الدار في إنشاء القوارب والسفن الصغيرة عندما كان الخليفة يستعد لفتح المهديّة بأفريقية سنة 552 هـ. وقد استمرت هذه الدار في نشاطها حتى في عهد بني مرين حيث نجد السلطان أبا عنان يأمر بإنشاء جفتين أحدهما شيطي والثاني شليز. ويظهر، حسب ابن الخطيب، أن هذه الدار تعرضت سنة 762 هـ لحريق مهول أتى على جميع محتوياتها. وتجدر الإشارة إلى أن دار الصناعة هذه هي الوحيدة من نوعها التي تشير إليها مصادر العصر الوسيط كدار أنشئت على واد يخرق مدينة داخلية، في حين جرت العادة أن تكون دور الصناعة في مراسي مدن ساحلية. وتفيد نفس المصادر بأن المراكب والسفن التي كانت تصنع بهذه الدار كان ينقى بها في وادي سبو لتعبيره حتى تصل إلى المعمورة عند المصب وتدخل البحر المحيط لتصبح بعد ذلك جاهزة للعمل.

• **دار الصناعة بالقصر الصغير** أو قصر مصمودة، ولعل موقع المدينة الاستراتيجي على بحر الزقاق كان له دور كبير في بناء دار لصناعة السفن خاصة المراكب والزوارق والحرايق، ويتأكد هذا إذا علمنا أن المدينة كانت خلال العصر الوسيط معبرا مهما للجيش المغربي ومحطة إقلاع للمسافرين والبضائع نحو الأندلس. وقد اعتمد نشاط هذه الدار على خشب الغابة التي تغطي جبل أنجرة القريب من المدينة.

الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية (مقتطف من نزهة المشتاق)، نشر هنري بيريس، الجزائر، 1957، ص. 108 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص. 301، 398 : مجهول، الذخيرة السنينة، الرباط، 1972، ص. 94 : ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، تج. أ. أعراب، الرباط، 1982، ص. 52، 61، 74، 75، 96، 95، 134 : ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تج. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، الجزء الثاني، ص. 273 : ع. الجزناني، جنى زهرة الآس، الرباط، 1991، ص. 37 : ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، د. ت. ص. 435 : ع. ابن خلدون، المقدمة، بيروت، 1988، ص. 312 - 317 : العبر، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 544 : الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1983، ص. 51 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، بيروت، 1983، الجزء الأول، ص. 322، 325 - 326 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 45، 288 : أ. الناصري، الاستقصا، 1955، الجزء الثالث، ص. 22 : م. ابن علي الدكالي، الإنحاف الوجيز، تج. م. بوشعرا، الرباط، 1986، ص. 63 - 67 : م. المنوني، ورفات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1979، ص. 76، 77، 78 : العلوم والآداب والفنون، الرباط، 1977، ص. 253 - 255 : ع. الهادي التازي، الأسطول المغربي عبر التاريخ، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد 33، نوفمبر 1982، ص. 15 - 47 : ع. سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1969.

Encyclopédie de l'Islam, Nouvelle édition, Leiden, 1977, T. 2, pp. 132 - 134 ; M. Lombard, *Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane (VIIe - XIe s.)*, dans *le navire et l'économie maritime du moyen âge au XVIIIe siècle*, Travaux du 2ème colloque international d'histoire maritime, Paris, 1958 ; H. Terrasse, *Les portes de l'arsenal de Salé*, Hesp., 1922 ; G.S. Colin, *Fès, port de mer*, B.E.P.M., n° 183, 1945 ; R. Dozy et W.H. Engelmann, *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe*, Beirut, 1974 ; G. B. Pellegrini, *Terminologia marinara di origine araba in italiano e nelle lingue europee*, in *La navigazione mediterranea nell'Alto medioevo*, Settimane di studio del centro italiano di studi sull'Alto medioevo, XXV, Spoleto, 1978, Tomo secondo.

رشيد السلامي ومحمد فتحة

دار الضمانة لقب لمدينة وزان بعد أن اتسعت وكثر عمرانها حين استقر بها مولاي عبد الله الشريف العلمي اليمليحي وأسس بها زاويته الشهيرة في النصف الثاني من

القرن الحادي عشر (17 م). وبذلك أصبحت مدينة وزان نقطة التقاء لقبائل بني مسارة من الشرق، ومصمودة من الغرب والجنوب، واغزاوة ورهونة من الشمال. وغدا زوار مولاي عبد السلام ابن مشيش والتجار القادمون من داخل المغرب وجنوبه في اتجاه الشمال، أو العائدون منه، يخترقون مجال زاوية وزان ويسيرون في حماية دار الضمانة.

بالإضافة إلى موقع وزان عند قدم جبل بوهلال الذي أعطاه ميزة خاصة في الامتداد السكاني وتطوره اقتصادياً وعمرانياً. وشجع شيوخ وزان الاقتصاد بهذه المدينة، وسمح سيدي أحمد بن علي الشيخ السادس للزاوية باستقرار اليهود فيها تنشيطاً لحركة التجارة، فكان تجار اليهود يعيشون بأمان في وزان دار الضمانة.

ومزيد انتشار نفوذ زاوية وزان في أرجاء المغرب وخارجها، اتسع مجال دار الضمانة وشمل حتى نزاعات القبائل وتمردها على المخزن، فكان اللجوء إلى شرفاء وزان (دار الضمانة) من هذا الطرف أو ذاك لإصلاح ذاك البين وإعادة المياه إلى مجاريها.

ح. الطاهري، تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، ط. حجر فاس، 1324 : ع. الله الوزاني، *الروض النيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف*، مخطوط؛ العياشي السريوت، دار الضمانة، مجلة أبعاد فكرية، ع 2، 1989.

G. Drague, *Esquisse*, Paris.

العياشي السريوت

دار الطراز، أو دار الديباج، وهي مشغل ووظيفة مخزنية خاصة بالملوك، وقد كانت لعظماء الملوك منذ التاريخ القديم صناعة خاصة بملابسهم وأثوابهم ؛ وانتقلت هذه الوظيفة في العهد الإسلامي مع تعديل في زخارف الأثواب والألبسة فبدل صور الملوك أو الأشكال والصور المعينة أدخل ملوك الإسلام على منسوجاتهم وملابسهم أسماء وحكماً وكلمات مميزة، وقد كلفوا بهذه الحطة أو الوظيفة أقرب الناس إليهم أو من حظي بثقتهم وعرف في العصر الوسيط بصاحب الطراز (العبر، ج. 1 : المقدمة، 266 و267) وكانت مهامه تنحصر في الإشراف على العمال وأجورهم وصيانة الآلات والأدوات وإصلاحها وتوفير المواد التي تدخل في النسيج من صباغ وصوف وكل ما تحتاجه المهنة. عرفت الدولة الإسلامية في المشرق هذه الوظيفة وعرفت الدولة الأموية بالأندلس وملوك الطوائف ؛ ومن الملاحظ عند استعراض الدول مشرقاً ومغرباً وعند النصارى أن دور الطراز كانت تحظى بعنايتها بل وتحرص على تكوينها فهي من أبهة الملك، وكما قال ابن خلدون في المقدمة، ص. 267 : "...كان ذلك في الدولتين من أبهة الأمور وأفخم الأحوال".

لم تتخذ الدولة الموحدية في المغرب، وهي في عظمتها، دار طراز لا لسذاجتها كما قرر ابن خلدون وتشدها

الديني، ولكنها دولة انبنت على القوة ومحاربة التبذير والبدخ (البيان المغرب، 144 و145) والميل إلى الخشونة في المأكل والملبس والمظاهر، ويلاحظ ذلك في آثارهم وما تركوه من مباني (الكتيبة بمراكش وصومعة حسان بالرباط كنماذج).

وفي عهد بني مرين تم إحداث هذه الوظيفة خاصة في الفترة الأولى وهي فترة القوة والشموخ متأثرين في ذلك بملوك بني الأحمر في غرناطة (المقدمة، 267). ولأخذ فكرة عن مكونات دار الطراز أو محتوياتها فقد عاصر ابن الخطيب مثل ابن خلدون فترة من فترات قوة المرينيين وعظمتهم. ويصف ابن الخطيب حرائق نشبت في القصر السلطاني بفاس المعروف بقصر أبي قير أتت على المخازن وامتدت إلى دار الطراز. يقول ابن الخطيب في (نفاضة الجراب، 273): "...اتصلت بدار الديباج فالتهمت من الحديد والأثواب وآلات النسيج وضخام المناول والسواح الرسوم وحيال التمويج وعقار الصبغ وغزل الذهب ما لا يأخذه الوصف".

ومن الأسباب الأخرى التي لم يذكرها ابن خلدون والتي جعلت كبار سلاطين بني مرين يهتمون بدار الطراز، شيوع الاحتكار التجاري وتعاطي بعض السلاطين وأشياخ بني مرين وموظفيهم الكبار له، وكانت المنسوجات الرفيعة من أهم سلع التبادل التجاري مع السودان وغيره من البلدان أي أنها كانت سلعة لجلب الذهب، إضافة إلى اهتمام المرينيين بالعلاقات الخارجية مع الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وتوجيه هدايا فاخرة إلى حكامها ومن ضمنها المنسوجات (القرطاس، 387؛ المسند، 193 و452).

ع. ابن خلدون، العبر، ج 1؛ المقدمة، بيروت، د. ت.؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، بيروت، 1948؛ ابن الخطيب السلماني، نفاضة الجراب، تج. أ. مختار العبادي، القاهرة، د. ت.؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح، الجزائر، 1981.

محمد حجاج الطويل

دار ابن العامري، "مركز فلاحى حديث من المراكز الهامة ببني حسن في منطقة الغرب. يقع على ضفة وادي بهت على بعد 50 كلم من الخميسات و8 كلم من سيدي سليمان. تزدهر به فلاحية البساتين والحوامض، وبه عدة ضيعات نموذجية" بهذا عرّفه الصديق بن العربي في كتابه المغرب. واشتهر مركز دار بن العامري أكثر بمعامل تقطير الزهر (زهر الليمون) وتعليبه في قنينات مختلفة الأحجام تغطي الأسواق المغربية في جميع الجهات.

تنسب دار ابن العامري إلى القائد محمد بن العامري عامل السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام على وجدة، وهي أهم العمالات في ذلك العصر لموقعها على الحدود مع

الجزائر التي احتلها الفرنسيون آنذاك. وقد ورد اسم ابن العامري في بعض المعاهدات المبرمة بين هذا السلطان وفرنسا.

ص. بن العربي، المغرب، ط. 2، بيروت، 1984 (ص. 129)؛ ع. ابن زيدان، الإنحاف، 5 : 159 و228.

محمد حجي

دار العدة بفكيك، عبارة عن خزانة علمية كبرى، أسسها الشيخ الإمام عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الذي عاش ما بين (820-920 هـ). وهي خزانة علمية خصص لها داراً بجانب مسجده وجعل نواتها ما كان قد اجتمع بين يديه من مصنفات في مختلف ميادين المعرفة آنذاك، جمعها خلال مدة دراسته وجولاته بين مختلف مدن المغرب، كفاس وتلمسان وبجاية والقيروان ومن مصر وغيرها. ولم يطلق عليها اسم "دار العدة" اعتباراً بل كان يعي أن طالب العلم والباحث عن المعرفة يحتاج إلى عدة من كتب يعتد بها كما يحتاج المحارب إلى عدة السلاح والزراد للحرب والمواجهة. ولا يمكن أن تكون دار العدة في مستوى ذلك الوصف إلا إذا كانت عامرة بكل ما يروي نَهَم الطالب والعالم الباحث في زمانه. وقد تطورت محتويات هذه الخزانة بما أضافه أبناؤه وحفدته من بعده، سواء بما صنفوه وألفوه من كتب ومذكرات أو بما جلبوه إلى خزانته أثناء جولاتهم الدراسية، خاصة منهم أبناؤه العلماء الثلاثة : محمد وأحمد وإبراهيم، وحفيده أبا القسم بن محمد وغيرهم.

ومن جملة المخطوطات التي ألفتها الإمام عبد الجبار وبنوه وأضيفت إلى خزانته على سبيل المثال : تفسير القرآن في اثني عشر مجلداً، ومختصر حياة الحيوان، وروضة السلوان وهي أرجوزة في علم الصيد لابنه إبراهيم، ونظم مختصر الشيخ خليل لحفيده أبي القاسم بن محمد، وكتاب الحاوي المنوط بالفتاوى له أيضاً، وكتاب الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد كذلك.

ومما يدل على حجم هذه الخزانة وأهميتها ليس فقط في ذلك المجال الصحراوي فحسب بل على مستوى الخزانات المغاربية، شهادات عدد من الرحالة الحجاج العارفين والعلماء الزائرين ممن قصدوا للاطلاع على كنوزها العلمية، منهم مفتي الجزائر الشيخ سعيد قدورة (ت. 1066/1656). وأبو سالم العياشي في طريقه إلى الحج عام 1072/1662. لكنه لم يتيسر له الدخول إليها معلقاً على ذلك : "...وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم فلم يتيسر لغيبة الذي عنده المفتاح". كما زارها شيخ الزاوية الناصرية أحمد بن ناصر الدرعي عندما مر بفكيك إلى الديار المقدسة عام 1096 وعام 1121 وقد أبدى إعجابه وأسفه في نفس الوقت مما رأى حيث يقول : "... ورأيت عندهم (آل عبد الجبار)

كتبا غريبة وهي إلى الاندثار قريبة". وأبدى الهشتوكي نفس الانطباع صحة شيخه أحمد ابن ناصر بقوله : "ودخلنا إلى خزانتهم العظيمة وتبركنا بها ورأينا فيها كتباً غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة".

ولم يكن نقصان ما بالخزانة من كتب بسبب الإهمال وإفساد الأرضة فحسب بل كان بعض أفراد أسرة آل عبد الجبار يأخذون منها الكتب من حين لآخر لبيعها خارج البلدة الفكيكية، وهذا ما حدا ببقية منهم اسمه عبد القادر بن محمد بن عبد الجبار أن يطلب من القاضي محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الودغيري تحرير وثيقة وقف، لما بقي من كتب الخزانة سواء ما كان باقياً بدار العدة نفسها أو ما تم جمعه من أفراد الأسرة وغيرهم وإرجاعه إلى 'خزانة'. وقد جاء في رسم الحبس الذي كتب في أواسط ربيع النبوي عام 1165 ما يلي :

"... هذا وإن ما جمعه الوالد المذكور (الإمام عبد الجبار) وأولاده في صدر القرن العاشر من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلاد فكيك من أجل خزائن المدن وأكبرها وليس الخبر كالعيان حبس على من ينتفع بها من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والاتساع منها إن كان أهلاً لذلك ثم ترد بعد ذلك لمحلها، معقب مؤيد ووقف صحيح مخلص لا يباع ولا يورث حسبما شهد به الجم الغفير (...) من أهل بلدة فكيك خلفاً عن سلف".

ورغم هذا الجهد المبذول لجمع شتات هذه الخزانة العلمية العظيمة، فإن ذلك لم يمنع محمد بن عبد السلام بن ناصر شيخ الزاوية الناصرية الذي زارها في طريقه إلى الحج عام 1781/1196 أن يقول عنها : "كانت لهذا الإمام (العلامة عبد الجبار) وبنيه من بعده خزانة كتب عظيمة احتوت على دواوين غريبة ثم تلاعبت بها أيدي الحدثان (...) فتفرقت شذراً منذر حتى لم يبق منها إلا الأثر". وبالفعل اندثرت هذه الخزانة وتفرقت شذراً ولم يبق منها غير الأثر حسب تعبير ابن ناصر الدرعي، ويتمثل هذا الأثر الآن فيما يقارب الأربعين أو الخمسين مخطوطاً بعضها كامل والبعض الآخر عبارة عن أضياب وأوراق متناثرة يحمل بعضها عناوين كتب مفقودة لا أثر لها. وقد تم جمع هذا الأثر منذ بضع سنين في خزانة خشبية بضريح العلامة عبد الجبار كشاهد على هذه الخزانة الجليلة المقدار التي كانت في فترة من فترات التاريخ المغربي منارة للعلم في الجنوب المغربي.

أبو سالم العياشي، ماء الموائد (رحلة العياشي)، ط. حجر فاس : أحمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، ط. حجر فاس : أ. الهشتوكي، هداية الملك العلام، مخطوط خ. ح. : م. بنعلي بوزيان، واحة فكيك، 1987 : محمد حجي، الحركة الفكرية، 1977 : وثائق خاصة.

أحمد مزبان

دار عديّل بفاس، تقع بحومة المعادي في فاس القديم (فاس المدينة). ويرجع تاريخ تأسيسها إلى أواسط القرن الحادي عشر (17 م) (الإتحاف، ج. 2، ص. 126). وكانت أسرة عديّل التي شيدت هذه الدار تتولى عادة أمانة جباية مكوس فاس. وكانت إدارة هذه الأمانة، قبل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) تتمركز في فندق النجارين القريب من ضريح المولى إدريس الثاني (L'organisation des finances au Maroc, p. 223). إلا أنه بعد نكبة الحاج الحياط عديّل وإخوانه على عهد هذا السلطان صودرت أموالهم ودارهم لفائدة المخزن. ومنذ ذلك التاريخ انتقلت أمانة جباية المكوس من فندق النجارين إلى دار عديّل (L'organisation des finances au Maroc, p. 223).

وفي عهد الحماية استغلت هذه الدار في مآرب إدارة متنوعة. فقد تحولت إلى سجن لتأديب العصاة من أهل فاس في مرحلة، ثم تم تحويلها في مرحلة لاحقة إلى وكالة بنكية، وبعد ذلك أصبحت مقراً ومخفراً للشرطة (رواية شفوية). وتعتزم وزارة الثقافة الآن استغلالها كمرفق لتدريس الموسيقى الأندلسية حيث بدأت الاستعدادات الأولية لتحقيق ذلك.

تتكون دار عديّل من طبقين فسيحين في غاية من الجمال المعماري. وقد تم ترميمها سنة 1419 الموافق 1998 بالتعاون بين وزارة الثقافة ومنظمة اليونسكو وتمويل من الحكومة الإيطالية، وتم تدشينها يوم فاتح ذي القعدة 1419 الموافق 18 فبراير 1999 (لوحة تذكارية توجد بمدخل دار عديّل).

ع. ابن زيدان، إتحاف، الجزء الثاني، الرباط، 1930.
E. Michaux-Bellaire, L'organisation des finances au Maroc, A.M., Vol. XI, 1905.
العربي اكنينج

دار العسكري، في 13 مارس 1935، أسس المارشال فرانشي Franchet d'Espérey بباريس "لجنة الصداقة الإفريقية"، ذات صبغة جمعوية على شاكله هيئات الصليب الأحمر. وحددت أهدافها في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمخترطين في سلك الجندية الفرنسية سواء كانوا فرنسيين أو من أبناء المستعمرات...

واهتمت هذه اللجنة بقضية قدماء المحاربين المغاربة، فأنشأت لهذا الغرض سنة 1936 مؤسسة "دار العسكري"، وهي مؤسسة وسيطة اهتمت بقضايا هؤلاء وتابعت وضعياتهم... وكانت في نفس الوقت أداة تنفيذية للأعمال الاجتماعية على المستوى المحلي. وفي نفس السنة فتحت بعض ديار العسكري أبوابها في مدن فاس ومكناس وتازة... ثم شملت منذ سنة 1937 مدناً أخرى كترباط والدار البيضاء والقنيطرة والصويرة ووزان وميدلت... وفي

ووضعت لكل منخرط جذاذة تضمنت رقما خاصا، واسم المدينة التي تنتمي إليها دار العسكري، وصورة للمنخرط ومعلومات شخصية حوله، كالاسم والعنوان ورقم البطاقة العسكرية ونوع المعاش والحالة العائلية، ونوع الوظيفة العسكرية والأقدمية... كما منحت للمنخرط بطاقة تعريف خاصة. وكانت دار العسكري تحتفظ في أرشيفاتها بملفات هؤلاء العسكريين وتتضمن كل الوثائق التي تهم المنخرط ووضعيته وجميع مراسلاته...

وخضعت ديار العسكر المحلية لنيابة جهوية وجد مقرها المركزي بمديرية الشؤون السياسية بالرباط. ولعب النائب الجهوي دور المنسق بين هذه الديار ودور المفتش لها، وفي نفس الوقت لعب دور الوسيط بين لجنة الصداقة الإفريقية بباريس وديار العسكري بالمغرب.

بعد الاستقلال، تراجع دور ديار العسكر سنوات، إلى أن توقفت سنة 1965 بسبب صعوبات مختلفة كتلك التي تتعلق بالكفالات والتعويضات.

Bulletin d'information et de documentation du Maroc, Mercredi 15 décembre 1937 ; P.L. Sebault, Les amitiés africaines et les Diar el Askri du Maroc, C.H.E.A.M., n° 717 ; Col. Serieux, L'œuvre des amitiés africaines, la Nouvelle Revue Française d'outre-mer, n° 6, Juin 1955.
صالح شكاك

دار الفارس، تقع بدكالة وراء الجرف الأصفر، كانت مثل قرى سايس وتارترير تابعة لقبيلة مشنزاية البربرية، وهي ميناء صغير كان يُصدر منتجات محلية، ومنه أخذ البرتغاليون قبل احتلالهم لمدينة أسفي يقتنون الحبوب، كما كانوا يفعلون ذلك في الموانئ الصغيرة الأخرى التي كانت تزدهم فيها مراكبهم. يقول الرحالة البرتغالي بَريرا : "يوجد هنا كثير من القمح والشعير، وغالبا ما تأتيها السفن لشرائها...". وتؤكد بعض الإيصالات هذه الحقيقة. وكان الوسطاء يدفعون سلعا مستوردة مقابل تلك الحبوب.

وفي سنة 1502 وعد يحيى الزيات الذي تم طرده من أسفي في سنة 1498 البرتغاليين بتسليمهم ميناء دار الفارس مقابل إعطائه السلطة على قبائله قرب أسفي، ولكنه خاب في مسعاه.

وبعد أن رفعت القبائل الحصار الذي ضربه على مدينة أسفي في سنة 1510، طلب سكان مدينة الغربية الأمان من القبطان البرتغالي، لكنه رفض هذا الطلب، فالتجأوا إلى المحاخام أبرهم ليشفع لهم لدى الملك، ولكنه استغل خوفهم ليطلب منهم التنازل للملك عن حصن تارترير وميناء دار الفارس.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي.

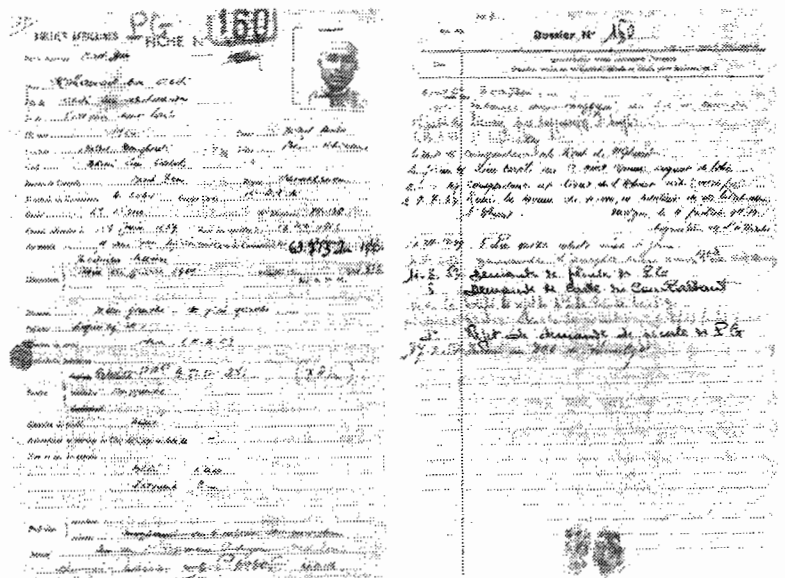
R. Ricard, La côte atlantique.

محمد الشياطي

15 دجنبر 1937، كان عدد المسجلين بهذه الديار : 4.632 عسكريا. واهتمت هذه المؤسسة بتوفير المعلومات العسكرية والإدارية والقانونية... مع تقديم الإرشادات الضرورية والإسعافات الطبية والمساعدات الغذائية والمدرسية لفائدة قدماء الجنود وعائلاتهم، دون أن تفصح في ذلك عن أغراض سياسية أو طائفية. وعملت هذه المؤسسة كذلك على تشغيل قدماء المحاربين، كلما أتاحت الفرصة، في أورش العمل المختلفة. وفي هذا الإطار تم التنسيق مع البلديات ومكاتب المراقبة المدنية لتوفير الشغل لهذه الشريحة، وتقديم الخدمات الصحية لأعضائها بالمجان. كما ارتبطت بعلاقات تنسيق وتعاون مع بعض المصالح الاجتماعية كاللجان المحلية للصداقة الإفريقية والمكتب المغربي لقدماء المحاربين ولجنة الصليب الأحمر والمصلحة الاجتماعية للجيش... وشكلت هذه المصالح طرفا ممولا لمؤسسة "دار العسكري".

وبلغت عدد أيام العمل الممنوحة لقدماء المحاربين : 64.259 يوم عمل، بمبلغ إجمالي قدر ب : 364.600 فرنك، مع تقديم 700 وجبة من الحساء يوميا. وفي سنة 1952، بلغ عدد قداماء المحاربين بالمغرب : 140.000 محارب. وبلغ عدد ديار العسكري 28 داراً في سنة 1954، انخرط فيها 112.000 عسكري. وفي سنة 1955 ارتفعت نفقاتها إلى 40 مليون فرنك.

كان يشرف على التسيير الإداري والمالي لكل "دار عسكري" : مدير وكاتب ومحاسب... وكانت بنائياتها تتمركز بالثكنات العسكرية أو بالإدارات التابعة للمراقبة المدنية. وفتحت دار العسكري أبوابها لجميع أصناف العسكريين المغاربة بغض النظر عن رتبهم وعن نوع الجندية التي كانوا يمارسونها، وبغض النظر عن نوع تقاعدهم ومعاشهم...



دار القاضي أو دار الحاج علي ن القاضي بحاجة، اشتهرت محلياً بالأمازيغية (تيكمي ن لوضا) أي دار السهل لأنها حصن صغير يقع في سهل منبسط تحيط به جبال عريضة بمثابة أسوار حول حمى الحصن الذي يشرف على السهول والربى المجاورة شرقي الطريق الرئيسية بين الصويرة وأكادير عند نقطة مركز سميμο على بعد حوالي 40 كلم جنوب الصويرة.

هذا الحصن الشهير بحاجة الشمالية ب (دار القاضي) أو (تكمي ن لوضا) تعود أسباب شهرته إلى أنه كان مسرحاً لأحداث مؤلمة ظلت منقوشة في الذاكرة الشعبية بعضها وقع في عهد الحسن الأول والبعض الآخر ارتبط بأول زحف للجيش الفرنسي على منطقة حاجة في اتجاه سوس والجنوب.

ذلك أن هذه الدار المنيعة بأسوارها كانت من بناء أسرة الحاج علي ن القاضي الذي تولى قيادة قبيلة ايداسارن الحاحية في أوائل عهد السلطان الحسن الأول، ولكنه سرعان ما تعرض لهجمات جاره القائد مبارك أنفلوس الطموح إلى أن يجمع كل قبائل حاجة الاثنتي عشرة تحت نفوذه وحده دون غيره ممن وزع عليهم السلطان الجديد تركة القائد الكبير الحاج عبد الله أبهي الحاحي الذي امتد نفوذه على حاجة كلها وسوس فأصبح يهدد السلطة المركزية.

وعندما اشتد الصراع بين صاحب الدار الحاج علي ن القاضي ومنافسه القائد مبارك أنفلوس أمر السلطان بالقبض عليهما والزج بهما في السجن إلى الأبد، وهناك توفي صاحب الدار الحاج علي ن القاضي عام 1299 / 1881 وتعرضت أسرته للضياع والتشرد فأصبحت الدار خالية لا يسكنها إلا البوم. وبعد ثلث قرن من التهميش والنسيان قفزت دار الحاج علي ن القاضي إلى صدارة الأحداث التاريخية في المغرب وفرنسا سنة 1331 / 1912 وكتبت بأحرف بارزة في مقدمات الصحف الباريزية والدولية بعد ما تمت محاصرة قبائل حاجة للجيش الفرنسي الزاحفة من مدينة الصويرة إلى مدينة أكادير قرب هذه الدار الحصينة، وعندما أقبل الليل واشتد الحصار على الفرنسيين الذين كانوا ينتقلون بعربات تجرها الخيول، فلم يجدوا بدا من الدخول إلى هذا الحصن كملجأ يقيهم من ضربات الأهالي التي تنهال عليهم من كل الجهات بعد ما تخلى عنهم القائد محمد أنفلوس الذي وعدهم بأن يساعدهم ويحميهم حتى يصلوا إلى ميناء أكادير لوقوع سوء تفاهم بينهم. بل أرسل رسله إلى القواد والقبائل يحثهم على استنفار المجاهدين ضد النصارى لمحاصرتهم بدار القاضي. فصار المنادون ينادون في الأسواق لحث الناس على الجهاد بدار الحاج علي ن القاضي. ودام هذا الحصار من يوم 17 / 12 / 1912 إلى يوم 24 / 12 / 1912. ثم استمر القتال بين المجاهدين بقيادة القائد محمد أنفلوس النكنافي والقائد عبد الرحمان الكيلولي من جهة وبين الفرنسيين بقيادة (البوتنان البيرت)

والقبطان ما سوتي ومن معهم من قواد الحوز الموالين لهم كالقائد عبد المالك المتوگي والقائد خبّان والأگلاوي وغيرهم كثير.

وقد اضطرت الجيوش الفرنسية أثناء الحصار بدخل هذه الدار إلى ذبح الخيول لأكل لحومها وامتصاص ما تبقى في بطونها من ماء لإطفاء جمة عطشهم القاتل، وذلك قبل أن تقوم الطائرة بإمدادهم بما يحتاجونه من طعام وشراب ترميه من السماء فوق الحصن المطوق من كل جهة، وقد سقط في معركة دار القاضي الشهيرة عدد كثير من قتلى الجانبين. قدر الفرنسيون ضحاياهم بـ 76 قتيلاً وأكثر من ذلك سقط من المجاهدين الأهالي. وقد حرص الفرنسيون على إقامة نصب تذكاري لجندية فرنسية ماهرة في الرماية تمكن أحد المجاهدين الحاحيين من قتلها رمياً وهي داخل الحصن فدفنت بمكان مصرعها وفوق قبرها على جدار الحصن رخامة بيضاء كتب عليها اسمها. إلا أن هذه الرخامة تعرضت للكسر والإتلاف فلم يبق إلا مكانها وأخبارها يرويها الرواة.

وكان حرص الشاعر الشعبي الحاحي المدعو إيشو قوياً على تخليد هذه المعركة بما نظمه من أشعار نضالية تحث على الجهاد مازال معظمها متداولاً بين الناس باللسان الأمازيغي كقوله :

- 1 - تيكمي لوضاء غ نيكما ورومي تاغوت
 - 2 - نيشا مضروس، نيشا گيس نيفي ن نيسان
 - 3 - تامونت ايركازن زرع أسيف ثيمون
- ترجمة لتقريب المعنى :

- 1 - في دار السهل يصرخ النصراني مستنجداً
- 2 - وفيها اضطر إلى أكل الجيف من الخيول
- 3 - اتحدوا يارجال، فإني رأيت عظمة النهر في تجمع مياه

محمد أيت الحاج، مظاهر الحياة الثقافية بحاجة وايدوتنان خلال القرن 14، د. د. ع. مرقون : تقارير بعض الضباط الفرنسيين محفوظة بدائرة تمار حول هذه الأحداث : م. المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص. 407.

محمد أيت الحاج

دار القايد التونسي، موقع بدكالة يقع على بعد 90 كلم جنوب شرق مدينة الجديدة و13 كلم جنوب مركز أربعاء العونات وستة كلمترات غرب الزاوية التونسية. وقد أخذ هذا الموقع شهرته من محطة القطار التي كانت موجودة به خلال السنوات الأولى من فترة الحماية، زمن أول خط للسكك الحديدية بالمغرب، والمعروف بالخط العسكري أو الخط الضيق. وقد بدأت عملية تشييد شبكة السكك الحديدية العسكرية انطلاقاً من الدار البيضاء في اتجاه مراكش سنة 1911، حيث وصلت إلى دار القائد التونسي سنة 1915.

واعتبرت محطة دار القائد التونسي، آنذاك، نقطة التقاء بين الدار البيضاء ومراكش وبين الجديدة عبر سيدي بنور. ومازالت هناك، حالياً، بقايا قنطرة على وادي الفارغ انطلاقاً منها كان يتفرع الخط في اتجاه سيدي بنور، إضافة إلى بقايا خزان ماء مازال تاريخ بنائه منقوشاً عليه (28/ 11/ 1919). وبالقرب من هذا الخزان توجد بقايا منازل مهدمة تحمل طابعاً معمارياً فرنسياً، تبرز من بينها دار رئيس المحطة ودار رئيس ثكنة، وغير بعيد عنها بقايا مصنع للحلفاء.

إضافة إلى هذا ارتبط هذا الموقع باسم القائد سيدي أحمد التونسي الذي عينته فرنسا سنة 1912 قائداً على قبيلة العونات والذي كان، آنذاك، زعيماً للزاوية التونسية، التي تأسست في بداية القرن الثاني عشر (1126/ 1714)، من طرف الشيخ التونسي بن مبارك الذي ينتسب إلى قبيلة بني سبع بمنطقة الحوز والمتلمذ على سعيد أحنصال مؤسس الزاوية الخصالية.

تحريرات ميدانية.

E. Bouasla, *La zaouia tunisienne des Doukkala, Histoire sociale et économique (XVIIIe - XXe siècles)*, H.T., vol. XXVIII, 1990 ; J. Bouquerel et F. Joly, *Chemins de fer, Atlas du Maroc, Notices explicatives, Section Géographie Economique ; Voies de communication, Planche n° 44a*, Comité de Géographie du Maroc, Rabat, 1955 ; M. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, Vol. 10, *Région de Doukkala*, tome 1 : *Les Doukkala*, Paris, 1932.

إسماعيل خياطي

دار القايد الحاجي أو قصبه الحاجي، أحد المعالم

التاريخية والعمرانية بإقليم أسفي. صادف بناؤها تاريخ تعيين أول قائد من أسرة الحاجي المسمى "سليمان البيري السباعي"، الذي شغل في ذات الوقت منصب باشا مدينة الصويرة. وحسب ما توصلنا إليه، فإنها لعبت أدواراً هامة، سياسية، واجتماعية، ودينية، خلال النصف الأول من القرن الحالي.

عندما نتحدث عن دار القائد الحاجي نقصد ذلك التجمع العمراني المحصن بسور، له مدخلان رئيسيان "النخيلة والبئر"، كما كان يطلق عليهما زمن القائد، يؤديان إلى وحدات عمرانية وتجهيزات مرفقية متميزة بأقصى الجهة الجنوبية لإقليم أسفي. وبداخل الدار يوجد المسجد وكتاب كان يُدرس فيه القرآن للأطفال وقسم للزاوية التجانية، كان يتلو فيه المريدون الأوراد، ثم المنصة المرصية التي كانت تتخذ مكاناً للقاء يستقبل فيه القائد شكايات سكان القبائل التي كانت تدخل في حوزته، ثم هناك مجموعة من المرافق المرتبطة بالدار، كمطبخ كبير يضم أفرنة مختلفة الأحجام كان يشتغل به حوالي ثلاثين خادمة، وحمامات تقليدية وتسعين خزاناً أرضياً للحبوب، ثم رباط للخيل يسع حوالي خمسين حصاناً، ومطحنة تقليدية مصنوعة من

الحجر الصلب تديرها الدواب، ومخزن لزيت الزيتون. هذا فضلاً عن الشكل المعماري المتميز الذي توجد عليه مجموعة الدور التي تتكون منها دار القائد الحاجي، وبإحداها تبدو الرياض التي أعد تصميمها بطريقة تتلاءم مع عاداتنا الإسلامية، وحجرة الضيوف التي تكون قريبة من المدخل، وحجرة أخرى بالداخل يظهر أنها كانت مخصصة لاستقبال الضيوف طولها عشرة أمتار وعرضها حوالي ثلاثة أمتار أحيطت "بمضربات" محشوة بالصوف الخالص، أغلقتها مازالت تحتفظ بألوانها الزاهية، وفي الوسطى فرشت زربية يظهر أنها من صنع محلي، وبالداخل تشكل بقية الحجرات محاطاً يتوسطه فناء واسع تحيط به الأبنية المرفوعة بالسواري المكسوة بالزليج الملون مع وجود طابقيين بهذه الدار زينت بعض غرفها بنوع من النقوش المعروفة في تاريخ العمارة الإسلامية.

وقد عرفت دار القائد الحاجي قبل الحماية وبعدها بمحافظتها على الشخصية المغربية. وشاركت في الحركة الوطنية بما كانت تقدمه من مساعدات مادية ومعنوية للوطنيين مثل ما قدمه القائد أحمد الحاجي من سلاح ومؤن للثائر أنفلوس، مما تسبب في نفيه بمدينة الصويرة بعدما تبين للمستعمر الفرنسي تضامنه الوطني، كما كان الاتصال على أشده بين القائد والسلطان بواسطة الرسل، أو عن طريق الاتصال المباشر، وأعدت المواطنين للاتخراط في العمل الوطني.

ومن الشخصيات العلمية التي زارت هذه الدار نذكر : محمد المختار السوسي، الذي خصها بالحديث في أحد مؤلفاته، والمؤرخ عبد الرحمان بن زيدان وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وفقهاء آخرين من جامع القرويين بفاس ومن جامع ابن يوسف بمراكش...

ولا يفوتنا الحديث عن الجانب الترفيهي الذي كانت تمثله هذه الدار، حيث كانت تتوفر على جوق نسوي للموسيقى الأندلسية، يقوم بإحياء الحفلات، وجدير بالذكر أن هذا الجوق كان في معظمه يتكون من النساء منهن ربحانة والطربنجة وعود الصباح الخ، وكان يرأس هذا الجوق رجل يدعى أبا هشوم من مراكش.

تحريرات ميدانية.

علال رگوگ

دار القيطون بفاس، تقع بجوار جامع الشرفاء المقابل لباب الحفاة من ضريح المولى إدريس الأزهر. ذكر ابن أبي زرع في سبب بناء هذه الدار أن المولى إدريس أسس أولاً عدوة الأندلس عام اثنين وتسعين ومائة (808 م) وأدار بها السور واستقر بها، ثم شرع في بناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين، وكان موضعها شعراء وغياضاً ملتفة بقي يقطع الشجر والخشب ويبني في موضعه، وأعجبه ما رأى

من كثرة العيون فيها وتدفق الأنهار، فانتقل من عدوة الأندلس إليها، ونزل منها بموضع يعرف بالمقرمدة، وضرب فيه قيطونه، وأخذ في بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة ثم أخذ في بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من أولاده" (ص. 38).

والجوطيون الذين يشير إليهم ابن أبي زرع هم الطالبون المنسوبون إلى جدهم يحيى الثاني الجوطي حفيد إدريس الأزهر. الذي خرج في غمرة محنة الأدارسة بعد انقراض ملكهم من فاس إلى جوطه، وهي مدينة مندثرة كانت تقع على الضفة الجنوبية لوادي سبو في بلاد الخلط.

وكان الطالبون سدة ضريح جدهم المولى إدريس ويسكنون لذلك دار القيطون إلى أن أجلاها عن فاس. وبعد انتهاء المحنة كان الطالبون أول من رجع من الأدارسة إلى فاس وسكنوا دار القيطون من جديد إلى أن أخرجهما منها أبو الحسن المريني أو ابنه أبو عنان بسعي من الخطيب ابن مرزوق التلمساني صهر العمرانيين، فانتقل الطالبون لدرب السعود والصفاح من عدوة الأندلس وعوضوا عن فتوحات ضريح جدهم بفتوحات ضريح سيدي علي بوغالب، وبقي فريق العمرانيين الذين أصبحوا يُدعون الإدريسيين القيطونيين يعتمرون دار القيطون ويتولون سدانة الضريح الإدريسي إلى الآن.

ع. ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973؛ ع. القادري، الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسن، ط. حجر فاس، 1308؛ إ. الفضلي، الدر البهية، ط 2، المحمدية، 1999، ج. 2؛ 5041 م. حجي، بوطالب أو الطالبون الجوطيون، معلمة المغرب، 1738: 5.

محمد حجي

دار الكبداني، (جماعة ومركز حضري بإقليم الناظور)، تكون إحدى الجماعات السبع التي يشملها تراب دائرة الدريوش وتبلغ مساحتها حوالي 97 كلم² أي ما يعادل 6٪ فقط من مجموع المساحة الإجمالية للدائرة، الشيء الذي يجعل منها ثاني أصغر جماعة في الدائرة بعد جماعة تازغين.

يتميز سطحها بوجود وحدات تضاريسية متنوعة تتمثل في الجبال والهضاب ثم السهول. تحتل الجبال حوالي 27٪ من المساحة الإجمالية للجماعة وهي جبال متوسطة الارتفاع. أما الهضاب فتتمدد على مساحة أوسع وتتكون أساسا من سطوح ارتبط ظهورها بتطورات الزمن الرابع، وهي عبارة عن سطوح متقطعة تتخللها مجموعة من خطوط الشبكة المائية الموسمية الجريان. وتكون السهول الوحيدة الثالثة ممتدة أسفل السطوح السابقة على جوانب المجاري المائية الكبيرة.

عرف حوض الكبداني تطورات على مستوى بناء السطح، وتعود أهم فترات تكوينه إلى الزمن الثالث، خاصة فترة النيوجين الأعلى التي شهدت توضع مواد طفلية سمكية انتهت بتوضع مواد خشنة عبارة عن رمال وحصى يزيد سمكها أحيانا على عشرة أمتار، كما شهدت هذه الفترة نشاطا بركانيا مهما ساهم في بناء المنطقة. وعرف الحوض خلال الزمن الرابع مجموعة من التطورات خلفت عدة أشكال سطحية يتمثل أهمها في المستويات الرباعية المنبسطة، كما تركت عدة أجيال من المواد السطحية والأترية المتنوعة بعضها غني جدا ويلعب دورا مهما على مستوى النشاط الفلاحي.

وعلى عكس ما هو عليه الحال في بعض الجماعات (الدريوش مثلا)، فإن المواد القادرة على خزن المياه الجوفية كالكلس البحيري تكاد تنعدم في الحوض، الشيء الذي يؤثر على الموارد المائية الباطنية التي تتميز بضعف كمياتها وبعمق فرشاتها الذي يتراوح بين 25 م و 80 م، ويكون هذا العنصر عائقا كبيرا أمام استغلالها. من جانب آخر ساعد وجود سحنات طفلية هشة وسميكة على نشاط التعرية التي أدت إلى إتلاف مساحات مهمة من الأراضي القابلة للاستغلال.

على المستوى المناخي، تتلقى جماعة دار الكبداني حوالي 350 ملم موزعة على 35 يوما كمتوسط، وهي غير كافية لضمان قيام نشاط فلاحي مهم، كما أنها غير منتظمة في توزيعها السنوي والبيسوي.

يعيش على مساحة الجماعة 11.400 فرد حسب إحصاء 1994 موزعين على 2.629 أسرة. وتبلغ كثافة السكان 117.5 نسمة في كلم² وهي من أعلى الكثافات في إقليم الناظور. وقد عرف سكان الجماعة تطورا سلبيا بين سنتي 1982 و 1994 حيث تراجع عددهم بنسبة 15٪ نتيجة الزوج القروي والهجرة الدولية.

يعتمد سكان الجماعة في عيشهم على مجموعة من الأنشطة أهمها الفلاحة والهجرة والتجارة. تبلغ المساحة الصالحة للزراعة حسب تقديرات مركز الأشغال الفلاحية بالدريوش حوالي 6.370 هكتار أي ما يعادل 65.6٪ من مجموع أراضي الجماعة منها 6.220 هكتار بورية وحوالي 150 هكتار مسقية. وتتوزع باقي الأراضي على الغابات بنسبة 20.6٪، والمراعي بنسبة 76٪ والأراضي غير الصالحة للاستغلال بنسبة 65٪.

تستغل المساحة القابلة للزراعة في إنتاج الحبوب وتعود ملكيتها إلى حوالي 2.000 فلاح (17.5٪ من مجموع السكان) يملك جلهم (حوالي 75٪) أقل من 5 هكتارات.

بالإضافة إلى الزراعة، تحتل تربية الماشية موقعا مهما في حياة السكان. غير أن هذا النشاط يعرف حاليا تراجعاً مستمرا في الجماعة، مثل ما هو عليه الحال في باقي

والبقر، وقبالتها فحص طويل قد انحشرت إليه طيور النعام... ("نزهة المشتاق").

حسب الوصفين ونص الرحلتين والدراسات الطوبوغرافية فالمكان المقصود موجود ما بين مكول ومدينة الكارة إن لم يكن الكارة نفسها، والفحص المذكور عند الشريف الإدريسي هو سهل المذاكرة من سهول الشاوية الخصبة.

أما الإشكال والالتباس الذي أوقعنا فيه اجتهد ماسينيون وسواه فيتعلق بالخلط ما بين طريقين أو مسلكين مختلفين ربطاً ما بين مدينة مراكش ومدينة سلا : الطريق التاريخي (الخليفة الذي بقي مسلوكاً حتى عهد المرينيين : والطريق المعدل الذي أصبح أكثر أهمية في العهد السعدي والعلوي. فالطريق الأول ينطلق من مراكش إلى تونين (سيدي بوعثمان) ومن هذا المفرق يسير باتجاه نهر أم ربيع حيث يتم قطع النهر قرب قرية أم ربيع ثم يسير باتجاه ايفيسيل (كيسر) فأنقال (دار المرابطين) فمكول ... وهكذا.

أما الثاني فينطلق من مفرق تونين (سيدي بوعثمان) لكنه يسير باتجاه بولعوان حيث يقطع وادي أم ربيع ثم يتجه نحو سطات فبرشيد ثم مديونة وهو الطريق الرئيسية الحالية (مراكش - الدار البيضاء - سلا).

بقي أن نشير في الختام إلى أن الاسم الأصلي للقرية (أنقال أنكال) اسم بربري، أما دار المرابطين التي ذكرها الإدريسي فمحدثة، وهذا يجعلنا على فترة الصراع ما بين المرابطين والموحدين من جهة والبرغواطيين من جهة أخرى ؛ وقد أدرك الشريف الإدريسي بقايا الأزدهار الفلاحي الذي كانت عليه تامسنا في العهد البرغواطي، ولاشك أن الصراع أفرز تهجير العناصر الأصلية من موطنها (أنقال) واجتمعت فيه العناصر المحاربة للبرغواطيين من المجندين والمتطوعين (المرابطين) فاتخذوا من القرية معسكراً ورباطاً لهم.

الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، الطبعة الإيطالية، المعهد الشرقي بتابولي، د. ت. الجزء الثالث ؛ ع. المنعم الحميري، الروض العطار، بيروت، 1957 ؛ ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، الدار البيضاء، 1989 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. حجاج الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، أطروحة، مرقونة، بكلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ تحريات ودراسة ميدانية.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16ème siècle*, Alger, 1906 ; Martin [et al], *Géographie du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; Allain, *Une organisation agricole Almohade*, Hesp., 2è - 3è trim., 1954.

محمد حجاج الطويل

دار ابن مشعل، قرية كانت توجد بجبال بني يزناسن على بعد عشرة كيلو مترات غرب بركان وسبعين كيلو مترا جنوب شرق مليلة، بأراضي قبيلة بني اورمش، ظلت قائمة

يتبين من هذا النص أن دار المرابطين (أنقال) تبعد عن إيفيسيل - التي هي كيسر الحالية - حسب محقق كتاب التشوف - بحوالي 30 كلم، وإذا تتبعنا الإدريسي منذ خروجه من مدينة مراكش نلاحظ أن دار المرابطين شكلت المرحلة السادسة بعد تونين وتقطين وغفسيق وقرية أم ربيع وإيفيسيل وقرية أنقال (دار المرابطين) ثم مكول وإكسس فسلا.

إن دار المرابطين واقعة ما بين إيفيسيل : كيسر الحالية، وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم سطات (على الطريق الثانوي سطات - قلعة السراغنة) وما بين مكول وهو مكان معروف إلى اليوم على مقربة من جماعة مليلة وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم بنسلمان وواقعة على الطريق الثلاثية الرابطة ما بين مدينة بنسليمان ومدينة الكارة. أي أننا نسير حسب الشريف الإدريسي في خط شبه مستقيم ابتداء من قرية أم ربيع، أما القول بأنها مديونة فبعيد جداً لأن مديونة مديونة منحرفة كثيراً عن الطريق التاريخي.

ومن القرائن التي تقرنا من التحديد الصحيح لموقع دار المرابطين كون نص الإدريسي دقق في مسألة المراحل فجعل قرية دار المرابطين (أنقال) وقرية مكول في مرحلة واحدة مما يعني أن القريتين كانتا متقاربتين، وتقدر بناء على نص الإدريسي الذي قد تؤكد التنقيبات الأثرية لو توفرت الإمكانات، ونسبة كبيرة من اليقين أن قرية أنقال (دار المرابطين) هي قرية ماغوس التي وردت أوصافها في رحلة لسان الدين ابن الخطيب من فاس إلى مراكش مروراً بتامسنا وبمرعاة الفارق الزمني بين رحلتي الشريف الإدريسي (ت. 548 - 1154) ولسان الدين ابن الخطيب (ت. 776 - 1379) الذي يزيد على قرنين غير كثير من معالم القرية، فتطورت حتى أصبحت حاضرة ثم بدأت تتدهور حتى أصبحت كما وصفها ابن الخطيب : "... وعند الصباح شرعنا في الارتحال، وعين الشمس بمرض الضباب مفتقرة إلى الاكتحال، فسلكتنا خندق هارون، فحص خراز، ومأزق براز، ومظان احتراز، إلى دشر مكول، وهو إلى الفناء موكل، وبرجل الخراب من الأعراب مركول. ولما رأينا جنباه غير مأنوس، وقد امتاز بلبوس البوس، جزناه إلى ماغوس، دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازية، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة تامسنا حيث مجلس قاضيها، وتشاجر ساخطها وراضيها، وحمام متوضيها، دشار كبير، يأكل من هري ويشرب من بير، فقد النضارة، وعدم مرافق الحضارة، إلا أنه على الاختزان أمين، ولحفظ الحبوب ضمين، ما لم تعث شمال للفساد ويمين، فاتخذ به مسجد شان النقص من مناره، لقصور درهمه وديناره، فمنظره شنيع، وحماه غير منيع..." (نفاضة الجراب، 89).

أما الشريف الإدريسي قبله فقال عنها "... بها عين عليها أقباء وماؤها معين، كثيرة الزرع والمواشي والإبل

البنيان إلى حدود سنة 1690 حيث اندثرت معالمها الحضارية في ظروف غامضة فتضاربت الأقوال بشأنها وسيطر الخيال القصصي على الوقائع التاريخية، فلا مناص لاستجلاء حقيقة الأمور من استعراض ما تتوفر عليه من الثوابت.

ورد ذكر دار ابن مشعل، أول مرة، في رسالة للكونت دي ألكوديتي (Comte de Alcaudete) الوالي الإسباني على وهران في ما بين 1534 و1558، يخبر فيها بوصول قائد من لندن الشريف السعدي إلى دار ابن مشعل من أراضي تلمسان، وورد ذكرها أيضاً في رسالة إسبانية أخرى بتاريخ 15 شتنبر من سنة 1595 تخبر بشورة المولى الناصر ضدًا على عمه المنصور الذهبي وتفيد أن الأمير الناصر اعتصم بجبال بني يزناسن بعد انهزامه، وتثبت أن دار ابن مشعل قرية كبيرة بين تلمسان ومليلة على بعد عشرين فرسخاً من مليلة، وجاء أيضاً في وثائق إسبانية يتراوح تاريخها بين 1609 و1614، أن الحروب التي قامت، غداة وفاة المنصور الذهبي بين أولاده وحفدته، كانت قد ألزمت ولده أبا فارس وحفيده عبد الله ابن الشيخ المامون بالاعتصام بدار ابن مشعل، وذلك بعد انهزامهما على يد المولى زيدان.

ولما انقضت الدولة السعدية ويزغ فجر الدولة العلوية، تحركت الأقلام الأجنبية لنقل بعض ما كان قد بلغ إلى علم أصحابها من صدى الأحداث، فجاء في تقرير لمجهول انجليزي، سنة 1669، أن المولى الرشيد بطش بشيخ يهودي كان من الأغنياء، نزل ضيفاً عليه، ثم قتله واستولى على كنوزه، ويتأكد من رسالة لبعض أعضاء سفارة أنجليزية لدى المولى الرشيد سنة 1670 أن هذه الواقعة جرت بدار ابن مشعل.

أما الفرنسي موييت (Mouette) الذي كان أسيراً لدى المولى الرشيد والمولى إسماعيل، والذي نشر كتاباً عن تاريخ قيام دولتيهما صدر سنة 1683، فإنه قال عن المولى الرشيد إنه أراد أول الأمر أن يتحصن ببعض الحصون فباغت قلعة دار مشعل (كذا) بحجة زيارة عاملها، ثم أمر بتعذيبه ليقر له بمخايب كنوزه، وانتزع من يهودي كان يسكن بنفس القلعة أزيد من مائتي مثقال، وهو ما يساوي المليون من سكتنا، مما كان قد تجمع لديه من تجارة تلك الجهات التي كانت كلها بيده. كما ذكر موييت هذا دار ابن مشعل بصفة كونها قرية منيعة، لدى تعرضه لثورات المولى أحمد بن محرز على عمه المولى إسماعيل.

وفيما يرجع للمصادر العربية يبدو أن المؤلف المجهول صاحب تاريخ الدولة السعدية، هو أول من ذكر دار ابن مشعل، علماً بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قد وضع قبل اعتلاء آخر الملوك السعديين عرش المغرب سنة 1654 ولا بعد وفاة المؤرخ اليفرنى في حدود سنة 1740، ولقد قال هذا المؤلف المجهول عن المولى عبد الله بن الشيخ المامون إنه هرب إلى دار ابن مشعل مع عمه مولاي أبي فارس، وقال أيضاً: "ولما استقر مولاي عبد الله وعمه أبو فارس بدار

ابن مشعل، اجتمعت عليه رؤساء العرب مع محلة شراقة"، وهو ما يثبت أقوال الوثائق الإسبانية السابق ذكرها.

وحيث إن اليفرنى نهل مباشرة من هذا المؤلف، فإنه ثاني من ذكر دار ابن مشعل من المؤرخين المغاربة، قال في نزهة الحادي عن المولى الرشيد: "ولم يزل يجول في البلدان طمعاً في اقتناص الملك إلى أن أدته خاتمة الجولان إلى قصبة ابن مشعل، فوجد فيها يهودياً من أهل الذمة، له أموال طائلة وذخائر نفيسة، وله على المسلمين صولة واستهزاء بالدين، فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفية اغتيال ذلك اليهودي إلى أن مكته الله منه في قضية يطول جلبها، فقتله وأخذ أمواله وذخائره، وفرقها فيمن تبعه وانضاف إليه، فتقوى بذلك عضده".

ثم كتب محمد بن الطيب القادري صاحب نشر الثاني فقال عن المولى الرشيد إنه خرج من تافيلالت ثاني وعشرين من شوال سنة 1069 إلى تدغة، ثم إلى الزاوية، ثم إلى دار ابن مشعل، هكذا وجدت مقيداً عن الحافظ الفاسي، وقال لدى ذكر اتصال المولى الرشيد بالشيخ اللواتي: "فبينما هو مقيم عنده، إذ رأى رجلاً بهيئة من خيل وأتباع ومماليك، وهو يصطاد كهيئة الملوك، فسأل عنه من هو، فقيل ابن مشعل من يهود تازا"، فتأثرت لدى الأمير الناهض ثائرة الغيرة على الإسلام، واستعان بطلبة زاوية الشيخ اللواتي لإنقاذ الإقليم من طغيان ذلك الذمي. إلا أن القادري عاد ليثبت، وهو يلخص أحداث قيام الدولة العلوية، أن المولى الرشيد بوع ببلاد أنكاد والضهرة وتافرطة ومسول وزناتة، وملك ديدو ودار ابن مشعل وكارت والريف، كما أثبت أن المعركة بين مولاي محمد ومولاي الرشيد دارت في دار ابن مشعل وأن مولاي محمد دفن في دار ابن مشعل بعد مقتله.

وهذه الرواية هي الراجحة لدى أبي القاسم الزباني الذي كتب في الترجمان عن مقتل المولى محمد قائلًا: "ولما وقف الرشيد على أخيه حملة وتوجه به ليدفنه ببني يزناسن، فطرق دار ابن مشعل ببني يزناسن فقتله وأخذ ماله وما عنده وتقوى به... ودفن أخاه في دار ابن مشعل ورجع لوجدة". مما يجوز أن يفهم منه أن دار ابن مشعل كانت وحدة حضرية أو أنها لم تكن سوى منزل يهودي يحمل ذلك الاسم، وكلا القولين لهما ما يبررها لدى هذا المؤرخ، فإنه ذكر في معرض حديثه عن حركات المولى أحمد بن محرز في الترجمان، أن المولى إسماعيل بلغه أن الترك جاؤوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وأن كلامهم مع ابن أخيه أحمد بن محرز، لكنه في البستان الظريف وفي الروضة السلیمانية عساد فقال عن المولى الرشيد إنه احتاج إلى مال وكان أخذ ولد الذمي ابن مشعل معه فجاءت أمه تطلب فداءه، فتعلل عليها وتفرس فيها وقال لها لا أعطيه إليك حتى تدليني على مال زوجك أو أقتل هذا الولد، فأنعمت له بذلك وركب معها إلى الدار

فدلت على خزنة في بيت، فتقب عليها فوجد فيها خوابي مالا ذهبيا وفضة. والذي يدعو إلى أخذ أقوال الزباني بعين الاعتبار أنه استعمل على تلك الأقاليم في دولتي سيدي محمد بن عبد الله وولده المولى سليمان، كما أنه أقام برهة من الزمان بمدينة تلمسان. وبالرغم من تدوينه لتلك الأحداث بعد مرور أزيد من قرن كامل عليها، فإنه ذكر بتفاصيل مثيرة للانتباه مجهودات المولى إسماعيل للتمكن من بني يزناسن إذ كانوا شيعة للترك وفي ولايتهم، ونقله لقبائل الشبانسات ووزارة من الحوز، للتضييق عليهم، وإقامته لثلاث قصبات حول تلك السلسلة الجبلية لمحاصرتها، وهي قصبات الرقادة وسلوان والعيون. وجرى كل هذا خلال الثمانينيات من القرن السابع عشر الميلادي، وكان ولاشك من وقائعه الحاسمة أمر المولى إسماعيل بدك قلعة دار ابن مشعل على الإطلاق، وذلك في حدود سنة 1690، حسبما جاء في تقييد للرئي السموئل بن دانان الذي كان معاصراً للأحداث وذكر أن سكان دار ابن مشعل من اليهود انتقلوا إلى دبدو.

خلاصة القول إذن، أن دار ابن مشعل كانت قرية أو قلعة منيعة بداخل أوعار جبال بني يزناسن، وأنها كانت كجميع القرى المغربية تضم جالية يهودية وافرة، ولاشك أن أشهر تجار تلك الجالية هو الذي قتله المولى الرشيد وحاز أمواله. ولما آلت الأمور إلى المولى إسماعيل، وتوالت عليه ثورات بعض إخوته وابن أخيه المولى أحمد بن محرز، وكانت جبال بني يزناسن لمناعتها واتصالها بالإيالة الجزائرية، ملجأ للثوار، فإنه أمر بهدم قلعة دار ابن مشعل وعوضها بقصبات مخزنية تراقب المنطقة. ولا سبيل إلى إثبات كون اليهودي الذي قتل على يد المولى الرشيد كان يسمى أو لا يسمى بابن مشعل.

مجهول، تاريخ الدولة السعدية، تج. كولان (Colin)؛ م. الصغير الإفرائي، نزعة الحادي، ط. فاس الحجرة، 1307؛ م. بن الطيب القادري، نشر المثاني، تج. م. حجي و أ. التوفيق؛ أبو القاسم الزباني، الترجمان، ط. باريس 1888؛ البستان الطريف، مخطوط خ ع 1577؛ مجهول، الروضة السليمانية، مخطوط خ ع 1275؛ م. أكنسوس، الجيش العرم، ط. فاس الحجرة، 1336؛ أ. أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956.

Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, 1ère série, Espagne, T. I, p. 208 ; 2ème série, France, T. II, p. 1-200 (Relation de Mouette) ; L.Chenier, *Recherches sur l'histoire des maures*, Paris, 1787 ; Slousch, *Les juifs de Debdou*, R.M.M., 1913 ; Cenival, *La légende du juif Ibn Mechaal et la fête du sultan des Tolba à Fès*, Hesp. 1925 ; H. Hirschberg, *A history of the jews in North Africa*, 2ème éd., Leiden, 1974.

إبراهيم بوطالب

دار النيابة بطنجة، كانت بمثابة وزارة للشؤون الخارجية في مغرب ما قبل الاستعمار. تأسست في عهد المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 – 1859)، واختيرت طنجة مقراً لها بعدها عن العاصمتين السياسيتين (فاس

ومراكش)، ولكونها المقر الدائم لرؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدين سابقاً في المغرب. كان على رأس دار النيابة موظف سام يلقب بنائب السلطان، تنحصر اختصاصاته في القيام بدور الوسيط بين السلطان والهيئة الدبلوماسية، فيتولى باسمه، ونياً عنه مهمة التفاوض معها في كل ما يتعلق بالعلاقات المغربية الخارجية. ويعتبر محمد الخطيب التطواني أول نائب استقل بأشغالها. وكان في بداية تعيينه سنة 1851 / يجمع بين وظيفتي النيابة وشاوية طنجة؛ وبناء على طلبه، تم فصل الوظيفتين سنة 1854، فعين محمد بن عبد المالك باشا على المدينة، واستقل الخطيب بمنصب النيابة، واكتملت بذلك معالم المؤسسة الجديدة التي أصبحت تعرف بـ"دار النيابة السعيدة بطنجة". وكان مقرها في حي القنصليات الذي عرف فيما بعد بـ"السوق الداخل".

تعاقب على رأس المؤسسة، بعد محمد الخطيب، أربعة نواب آخرون: محمد برغاش (1862 - 1886)؛ الحاج محمد ابن العربي الطريس (1886 - 1908)؛ محمد الجياص (1908 - 1913)، ثم في الأخير الحاج محمد التنازي الذي تولى مهامها في عهد الحماية إلى أن تم إلغاؤها سنة 1942.

أما المهام التي اضطلعت بها، فهي صفحة مثيرة من المواجهة الدبلوماسية بين بلد مغلوب على أمره، وهو المغرب، وبين ممثلي الدول الأجنبية الطامعة في غزوه. ففيها جرت المفاوضات للتوقيع على المعاهدات الثنائية (معاهدة 1856 مع بريطانيا، ومعاهدة 1861 مع إسبانيا، ومعاهدة 1863 مع فرنسا)؛ وفيها جرت المفاوضات التمهيدية لمؤتمر مدريد المنعقد في العام 1880. بالإضافة إلى ذلك، كانت "دار النيابة" على اتصال مستمر ب ممثلي الدول الأجنبية، سواء لتبليغهم احتجاجات المخزن على الانتهاكات الترابية للحدود المغربية، أو للنظر في القضايا التي كانوا يطرحونها.

لم يكن النائب السلطاني يتمتع بأي تفويض لاتخاذ القرارات، وكان عليه الرجوع إلى المخزن في كل قضية مهما كانت أهميتها. لكنه أصبح - تحت ضغط الظروف - يعالج مباشرة كثيراً من القضايا؛ وبذلك لم يعد يتراسل مع السلطة المركزية فحسب، وإنما أيضاً مع مختلف الموظفين والولاة.

باتساع مهام "دار النيابة"، تحولت من جهاز بسيط إلى جهاز إداري معقد يضم الكتاب والعدول والمترجمين. وفي عام 1896 عين اللبادي خليفة للنائب، وتم تعويضه في عام 1898 بأحمد الطريس (الابن). وأمام تزايد الحاجيات، أصدر المولى عبد العزيز ظهيراً في 24 جمادى الأولى 1318 / 30 غشت 1900 أدخل بمقتضاه إصلاحاً جذرياً على المؤسسة، يتلخص في تشكيل مجلس لإدارة أشغالها بكيفية جماعية، يتكون من الحاج محمد الطريس "كبير المقام ورئيسه"، ومن خمسة نواب مساعدين له؛ كما تم تعيين قاض بها، وعدلين، ومترجمين، وثمانية كتاب.

كان الغرض من هذا الإصلاح جعل "دار النيابة" في مستوى الدور المنوط بها. إلا أنها كانت في الواقع شبحاً هزلياً أمام تزايد نفوذ الهيئة الدبلوماسية التي تمكنت، في شتى المناسبات، من أن تنتزع منها كثيراً من الامتيازات بدون إذن السلطان أو إشعاره.

مجلة دار النيابة، طنجة، المطابع المغربية والدولية، الأعداد 1 إلى 28 (صدر أول عدد منها في العام 1984).

محمد الأمين البراز

دار ولد زيدوح في تادلا، من بين أقدم المراكز الموجودة

في قبيلة بني وجين التي تشكل جزءاً من قبيلة بني موسى المستوطنة للضفة اليسرى لنهر أم الربيع. تقع دار ولد زيدوح غرب قطاع بني موسى على بعد نحو خمسين كيلومتراً جنوب غرب بني ملال في موضع محاذ لنهر أم الربيع.

يتشكل سكانها في أغليبيتهم الساحقة من العنصر العربي الذي استوطن المنطقة بشكل مكثف منذ القرن السادس (12 م). وبناءً على ذلك فإن سكان دار ولد زيدوح ينسبون أصلاً إلى بني جابسر المتفرعين عن بني جشم المنحدرين من بني هلال الوافدين من إفريقية. غير أن المركز بحكم انفتاحه تلقى عناصر بشرية متنوعة الأصول، إلا أن الطابع الغالب هو الطابع العربي.

ويبدو أن النمط الذي كان مهيمناً على حياة السكان، في أوائل تعميرهم للمنطقة هو الخيمة والشاة. حيث "تحيزوا إلى سفح الجبل بتادلا وما والاها يجاورون هناك صناكة من البربر فيسهلون إلى البسيط تارة ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى..."

كان الطابع الغالب على سكان المنطقة قديماً هو التنقل حسب ما يوفره لهم مجال استقرارهم من سبل العيش التي كانت تتركز بالأساس على الترحال بحثاً عن التكامل الرعوي بين السهول والجبال المجاورة لها. وقد ظل مجال تنقلهم هذا في بداية الأمر يمتد من قدم سلسلة الأطلس المتوسط إلى الحدود الشمالية والغربية لسهل تادلة قبل أن تقتسم مختلف فرقهم - بما فيهم قبيلة دار ولد زيدوح والمسماة أيضاً بأولاد إبراهيم - هذا المجال فيما بينها وتستقر كل فرقة في حيز محدود أصبح بحكم التطور الزمني خاصاً بها.

وكنتيجة لذلك ظل السكن يغلب عليه طابع التنقل ويتجسد ذلك في الخيام حيث يسهل معها التنقل والانتجاع بالقطعان. وما يدعم هذا أن الأهالي في البوادي مازالوا إلى اليوم ينعثون الدار بـ"الخيمة" فكانت المساكن المشيدة تمثل جزراً وسط محيط من الخيام، يشار إليها بالبنان، وتقتصر على الأغنياء والأعيان.

اشتهر من بين هؤلاء محمد بن أحمد زيدوح المعروف

بولد زيدوح آتي الترجمة وهو من أكبر "الكسابية" الأغنياء بالمنطقة.

غير أن التحول الحاسم في حياة هذا المركز اقتزن بأحد أبناء محمد بن أحمد وهو بوعبيد. حيث ظهر أول مرة ككاتب لدى ولد الراضي قائد أولاد عزوز (بين الفقيه بن صالح وخريبكة). ثم تمكن بنباهته وسمعة والده أن يتقرب من أحد وزراء السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام فتم تعيينه قائداً على دار ولد زيدوح ليتحول بذلك من "قصر" إلى قصبة فقيادة كبيرة يشمل نفوذها بالإضافة إلى بني موسى، بني مسكين وورديغة.

كما أن أهمية دار ولد زيدوح تُعزى أيضاً لعامل الموقع الجغرافي، فهو يقع في الوسط بين شمال المغرب وجنوبه يدلل أن المعركة التي دارت بين الوطاسيين والسعديين عام 1536/943 نصت على اقتسام المغرب بينهما جاعلين نهر أم الربيع حداً فاصلاً بين مملكتيهما، هذا النهر الذي يمر بمحاذاة دار ولد زيدوح. والمعركة دارت رحاها في نفوذ هذا المركز : أبي عقبة حوالي 10 كلم من دارولد زيدوح.

وفي نفس المكان، على مقربة من دار ولد زيدوح دارت معركة أخرى بين محمد الحاج الدلائي وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي انقشع غبارها عن هزيمة هذا الأخير سنة 1638/1048.

وفي سنة 1674/1085 وقع بمشرع أبي عقبة بدار ولد زيدوح صدام بين السلطان المولى إسماعيل وابن أخيه مولاي أحمد بن محرز كانت فيها الهزيمة على ابن محرز.

لكل هذه الاعتبارات أصبح مركز دار ولد زيدوح محطة من محطات الطريق الرابط بين فاس ومراكش بدليل أن كثيراً من السلاطين العلويين تعودوا النزول به أثناء تنقلاتهم بين الشمال والجنوب، ومن أشهر هؤلاء السلطان الحسن الأول الذي نزل به وهو في طريقه من مراكش في اتجاه جبال فازاز ففاس. وكان ينوي التكنيل بأيت سخمان ومن تحالف معهم من أيت إسري غير أن المنية واقت الحسن الأول بدار ولد زيدوح ليلة الخميس 3 حجة عام 1311 / 7 يونيو 1894.

وما لا شك فيه أن أهمية موقع وموضع دار ولد زيدوح هي التي دفعت الفرنسيين عندما سيطروا على المنطقة ابتداءً من 13 - 1914 أن يتخذوا من هذه القرية مركز إدارتهم المدنية والعسكرية والتي شمل نفوذها مساحة شاسعة من بني موسى وبني عمير وأجزاء أخرى من تادلا حتى مشارف بني ملال وخريبكة. فمنها كانت الأوامر الاستعمارية تصدر إلى إحدى عشرة قيادة.

ع. ابن خلدون، العبر : أ. الناصري، الاستقصا، ج. 6 : ع. العزيز

بن عبد الله، معلمة المدن والقبائل : ع. الوهاب بن منصور، قبائل

المغرب، الجزء الأول : م. بن البشير بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال

1854. 1916 : تحريات ميدانية.

بوشعيب العكروود

ابن دافال، عيسى بن عمران المكناسي من قبيلة مكناسة تازا من بني وردميش، حلاه صاحب التكلمة بقوله : (كان من الراسخين في العلم، قائماً على الأصول الفروع، أديباً شاعراً خطيباً فصيحاً مفوهاً مدركاً، من رجال الكمال...) .

ولد عام 512 / 1215، روى ببلده عن الحسن بن عبد الله بن الخراز وغيره، وقدم الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بالمرية عن أبي القاسم بن ورد، واختص به وأكثر عنه، ولقي بأغمام وريكة قاضيه أبا محمد سبط بن عبد البر فسمع منه، ومراكش عن حجاج بن يوسف وتفقه به. فكان فقيهاً أديباً شاعراً.

استقضى باشبيلية مدة، ثم ولي قضاء الجماعة بعد موت أبي الحسن بن أبي جنون، فكان في ولايته مشكور السيرة، جزلاً في تنفيذ الأحكام، معروفاً بالعدالة والنزاهة، ولم تطل مدته في قضاء الجماعة، إذ توفي وهو يتولى هذا المنصب عام 578 / 1182.

التكلمة 17، قسم الغريباء ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 9 : 399، المجذوة، 503، بغية الملتبس، 404.

أحمد متفكر

دالبيز Dalbiez, Denis، (جنرال فرنسي)، ولد يوم 18 يونيو 1852 في بيوانيون Peyoignon بمقاطعة البيريني الشرقية التحق بفيلق المشاة 82 كجندي بتاريخ 23 نونبر 1870 بعد تخرجه من مدرسة سان سير Saint Cyr وتقلب في عدة مناصب عسكرية بفرنسا والجزائر إلى أن سمي جنرال اللواء سنة 1911.

وفي يوم 2 ماي من نفس السنة انتقل دالبيز إلى المغرب، حيث التحق بمحلة موانبي التي فكت الحصار عن فاس واحتلت مكناس. ثم عينه الجنرال موانبي قائدا عاما للجيش المرابطة في مكناس وفاس وبوتي جان - وبقي في هذا المنصب يسهر على العمليات العسكرية والمعارك التي جرت في إقليم مكناس إلى تاريخ 5 نوفمبر 1913، فخلفه في نفس المهمة الجنرال هنريس Henrys، والتحق دالبيز بفرنسا حيث شارك في الحرب العالمية الأولى. وفي يوم 31 مارس 1915 وضع رهن إشارة المقيم العام بالمغرب لأن عطاءاته العسكرية في أوربا لم تكن في المستوى المطلوب، فعاد إلى المغرب الذي كانت له دراية بوضعيته.

وبعد تسلم دالبيز قيادة مركز مكناس، واتخاذة للإجراءات التنظيمية الأولى بالمدينة الأهلية التي ضاقت رحابها بالقوات العسكرية التي نزلت بداية بقصر الدار البيضاء وجامع الأنوار، اتجه نظره إلى الانتقال للصفة اليمنى لوائي بوعماير على هضبة حمرية لإقامة النواة الأساسية للشركات العسكرية الفرنسية بمكناس التي

أصبحت منذئذ مركزاً لتمهيد احتلال البلاد تحت قيادة الجنرال دالبيز.

توفي الجنرال دالبيز في المستشفى المختلط بمدينة نيس يوم 10 غشت 1929.

بوشتي بوعسرية، مكناس المدينة : التأسيس - البنيات الإدارية - التناقضات، 1911 — 1939، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، مرقونة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. Service historique de l'armée de terre. (S.H.A.T.), Château de Vincennes, Paris, n° F217. Etat des services de Mr. Dalbiez. بوشتي بوعسرية

دالوين، إيرنيست Ernest Dalwin، كان أول أمره نائباً قنصلياً لبلجيكا بمدينة قانس بإسبانيا. وقد قام برحلة استطلاعية إلى المغرب دون خلالها مشاهداته ونشرت نتائجها سنة 1855. وفي السنة الموالية عين قنصلا لبلاده في طنجة، ثم سمي قنصلا عاماً بشاطئ إفريقيا الغربية سنة 1866. وفي سنة 1877 رقي إلى رتبة وزير مقيم للملكة البلجيكية.

كان ديلوماسيا نشيطا وذكيا فاستطاع أن تكون له علاقة طيبة مع المخزن إلى أن ظفر في يونيو 1862 بإبرام معاهدة مع المخزن حصلت بلاده بموجبها على الامتيازات المخولة لبريطانيا العظمى سنة 1856 وإسبانيا سنة 1861، وعمل على أن يكون لبلجيكا وزن دولي ونشاط تجاري، فعين في الكثير من الثغور الشاطئية قناصل ووكلاء أصالة أو نيابة.

جمع ثروة طائلة من تجارته مع المخزن فكان يبيع له أسلحة قديمة وفاسدة في بعض الأحيان، وكان يملك في طنجة وحدها تسعة منازل. وقد أحيل على المعاش ومات بأوربا سنة 1884 وخلفه البارون فيطنال Whetnall.

م. بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج. 2 ص. 640 : وثائق مخزنية.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 96 ; Tome II, p. 275 ; Tome III, p. 454 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905*, p. 16 et 29. مصطفى بوشعرا

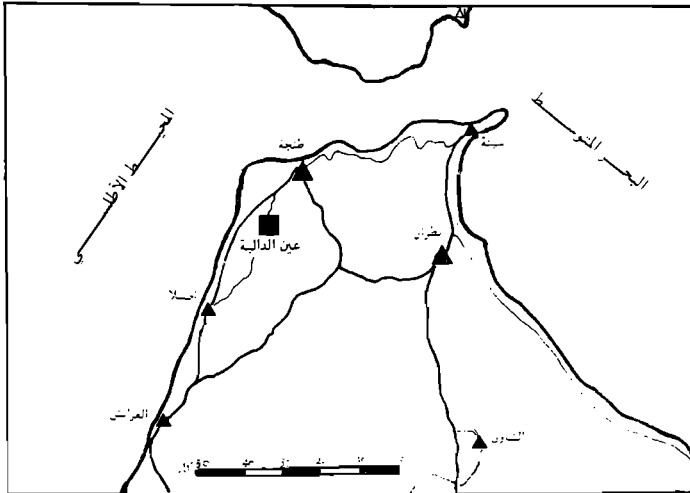
الدالية "شجرة العنب" الكرّم بالعربية أو "ادلِيلِت" أو "أضيل" بالأمازيغية، أسماء لنبات فيتيس فيتيفيرا Vitis vinifera الذي ينتمي إلى فصيلة الكرميات Vitaceae وأмпелиدات Ampelidaceae. وهي شجرة خشبية متسلقة، من الممكن أن تمتد امتدادا كبيرا أفقيا وعموديا، أو شجيرة صغيرة بسبب التقليم الجائر الذي يجعل قطر ساقها ينمو بشكل كبير. لها محاليق تمكّنها من التسلق. أوراقها كبيرة راحية، نفضية. أزهارها صغيرة غير واضحة، ذات رائحة طيبة. ثمارها متجمعة في عناقيد كبيرة وجد متفرعة. ثمار

ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962 : أبحاث شخصية.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.
عبد المالك بنعبيد

الدالية (عين -) موقع أثري يوجد في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الطنجية على هضبة جنوب مدينة طنجة، بمحاذاة جبل "زهيرو". وتبعد عن هذه المدينة ببضعة كيلومترات. وقد اكتشفت فيها وفي أماكن متفرقة أخرى بمنطقة طنجة مدافن لعصور مختلفة.

ويعد دراسة وتحليل ما عثر عليه بداخل هذه المدافن من أدوات فلاحية وأخرى منزلية وأسلحة وحلي وغيرها، اتضح أنه بين القرن السابع والخامس قبل الميلاد كان يعيش في هذه المنطقة سكان اختلط بهم الفينيقيون وساهموا في تحويل طريقة عيشهم وتوسيع آفاقهم. وفي هذا الصدد يقول الباحث الأركيولوجي "م. پونسيس" M. Ponsich : "إنه لمن المستحيل، إذا كانت استنتاجاتنا عن العهد البرونزي صحيحة، أن لا يكون البحارة الفينيقيون، الذين كانوا يجوبون السواحل الأطلنتية، قد أغفلوا هذه الأرض الخصبة وهذه القرى المزدهرة التي وصل أهلها قدراً لا يستهان به من التطور، فلم يدخلوا معهم في مفاوضات ولم يؤسسوا [ببلادهم] مراكز للتبادل التجاري".



وعن طريق هذه المدافن أيضاً استطاع العلماء أن يؤرخوا بداية فترة القرطاجيين مع القرن السابع قبل الميلاد وأن يتأكدوا من وجودهم بالمنطقة ومن أن المغاربة كانوا يتعاملون معهم في جو يطبعه التفاهم، حتى إنهم تبنا لغتهم وديانتهم دون اندماج كلي معهم. وانتهت فترتهم في آخر حكم "بتوليمي Ptolemée". يقول "ج. كركوينو J. Carcopino في سيطرة الرومان على المغرب : "ابتداء من 146 قبل الميلاد انتقلت ممالك الأهالي دون أن تعلم إلى الهيمنة الرومانية التي عوضت بكل بساطة ووضوح

العنب بيضية أو كروية الشكل، ومختلفة الألوان حسب الأصناف. فهي إما سوداء، أو بيضاء (خضراء) أو حمراء. مذاقها حلو.

وُجدت الدالية طبيعية في المغرب بجانب الأودية الرطبة ومجري المياه في المناطق المنخفضة كما هو الشأن في جميع الأنحاء المعتدلة من حوض البحر المتوسط من المحيط إلى بلاد الفرس. وفي أمريكا كذلك. ومن المحتمل جداً أن تكون الدالية قد انتشرت انتشاراً واسعاً بواسطة الطيور قبل أو بعد ظهور الإنسان.

تعتبر الدالية من أقدم النباتات التي زرعت على وجه الأرض. ومن المحتمل أن تكون بداية زراعتها في شرق حوض البحر المتوسط. وقد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية. من المعروف أن زراعتها في مصر نشأت منذ ستة آلاف سنة. ثم تطورت وتحسنت وتوسعت بدرجة كبيرة بواسطة الحضارات الإغريقية والرومانية والعربية وما بعدها حتى أصبحت حالياً زراعة العنب معروفة في كل المناطق المعتدلة من القارات الخمس.

استنبطت أصناف العنب المزروعة اليوم من الأصناف الأوربية والمتوسطية والأمريكية. لكن الأصناف الأوربية والمتوسطية المحسنة تتعرض بسهولة للإصابات بأنواع مختلفة من الفطريات والحشرات خاصة قملة الجذر "فلوكسيرا". ولهذا تستخدم الأصناف الأمريكية كأصول أو جذور تطعم عليها الأصناف الأوربية والمتوسطية.

أشهر أصناف العنب المغربية المستعملة في الزراعة التقليدية في الحدائق والبساتين القريبة من المنازل هوصنف "أخمر بوعمر" الذي له نكهة ومذاق يجعلانه من أحب أصناف العنب لدى المغاربة.

عرفت زراعة الكروم تطوراً كبيراً منذ دخول الفرنسيين لصناعة الخمر بالإضافة إلى إنتاج عنب المائدة والزبيب.

وهكذا انتشرت زراعة أصناف ونماذج عديدة من الدالية في جميع السهول والسهول الجبلية المغربية. وأشهر السهول المغربية التي تنتج كميات كبيرة من العنب هي تريفية وسائس والشاوية ودكالة حيث تغرس الكروم بدون سقي إلا استثنائياً، فوق أترية مفككة خفيفة وجيدة الصرف. والبيومناخات المطابقة لزراعة العنب بدون سقي هي البيومناخ شبه الرطب وشبه الجاف. أما في المناطق الأكثر جفافاً فإن الدالية تسقى كما هو الشأن في سوس أو في الواحات.

ينتج المغرب كميات كثيرة جداً من العنب وأكبر قسط منه يُعصر خمرًا، وذلك من بقايا الاستعمار الفرنسي. يصدر القسط الكبير من الخمر إلى أوروبا وآسيا. لكن المساحات الشاسعة من كروم النبيذ أصبحت تتقلص منذ بداية الاستقلال لتترك المجال لزراعة كروم العنب الطري للمائدة أو كمصدر للزبيب الذي يؤكل نيئاً أو مطهوياً في شتى المأكولات المغربية.

mégalithiques et les populations blondes du Maroc, revue anthropologique, V, 1876 ; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger*, B.A.M., V, 1964 ; *Le Musée Michaux-Bellaire à Tanger*, B.A.M., IV, 1960 ; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, VIIè, 1970.

الهادي بجيجو

داماد هوبر Hubert Damade جنرال فرنسي وكُد بمدينة تولوز في 24 دجنبر 1856. وعمل في الهند الصينية وإفريقيا الجنوبية.

وفي 26 دجنبر 1907 عينته الحكومة الفرنسية خلفا للجنرال درود Drude في قيادة جيش الاحتلال الفرنسي بالشاوية. وتولى مهمته في المغرب ابتداء من 6 يناير 1908، وظل في تلك المهمة إلى بداية 1909.

وبالرغم من الإمدادات التي عززت قوات الاحتلال ورفعت عدد رجالها إلى 15.000 جندي، وبالرغم من التفوق الساحق لجيش الاحتلال في الإمكانيات والعتاد الحديث، أمام قبائل لا تملك إلا بنادق خفيفة، فإن داماد لم يتمكن من حسم المعركة لصالحه بسرعة، بل نجح المغاربة في فشلون خطته في معركتي برايج وفخفاخة يناير - فبراير 1908.

ويبدو أنه نتيجة لاستمرار القتال مع المغاربة في سهول الشاوية، بدأت الشكوك تساور الحكومة الفرنسية في كفاءة القائد الجديد لقواتها بالمغرب، لذلك تقرر إرسال بعثة عسكرية للتفتيش بالشاوية ولتقرير الخطة التي ينبغي اتباعها ترأسها الجنرال ليوطي.

وقبيل وصول البعثة، بذل قائد قوات احتلال الشاوية أقصى جهده للقضاء على مقاومة المغاربة فارتكب أعمالا إرهابية شنيعة ليثبت تفوق القوات الفرنسية.

توفي في ضيعته Pontus à Fronsac. وفي 1951 نقل رفاقه إلى مدفن الانقليد Les invalides بباريز.

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الطبعة الثانية، 1994.

Archives de guerre, Vincennes, Paris ; *La Koumia*, n° 108, Mars 1988 ; *Afrique Française* (bull. de L') 1908 - 1909 ; A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, 1927.

علال الخديمي

الداموس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Zdemug-Adamuz وهو اسم مدينة إسبانية.

د. ابن عزوز حكيه، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكره في 'ترقه 652.

الدامون، محمد بن عبد القادر قائد كان يرأس

الوصاية القرطاجية".

ولا نجد دليلاً على إنشاء مدينة طنجة، إلا أربع طرق قديمة تنطلق من المكان المعتقد أنه طنجة القديمة في اتجاه باديتها. واحدة من هذه الطرق توجد في الجنوب، تحاذي مقبرة "بوكشكاش" تؤدي إلى عين الدالية.

وفي الترجمة الحالية لمراحل المسالك الرومانية التي وردت في "تهج أنطونان" *L'itinéraire d'Antonin* للباحث المصطفى مولاي رشيد في مقاله *طنجة والمسالك الرومانية*، يقول : "فيما يخص المسافة طنجيس - سلا، عند مغادرة المدينة الأولى، تتخذ الطريق نفس اتجاه المسار الحالي الفاصل بين طنجة وأصيلة، عابرة وادي المهرهر، الرافد الشمالي لوادي تاهدارت قرب عين الدالية..." "ومن هنا تتأكد أهمية هذا الموقع، فالطريق الرئيسية التي تتجه من طنجة إلى المستعمرات الرومانية بالجنوب تمر بعين الدالية، ومن هذه الطريق كانت تمر خيرات سهل لوكسوس وسهل الغرب متجهة نحو طنجة. فكان لابد من وضع نقط حراسة عليها لتسهيل مرور المنتجات، فربما كانت عين الدالية إحدى هذه النقط.

وإذا بحثنا في معرفة بداية نشأة عين الدالية فإن الخزف الموجود بها يدل على قدم المكان والاستيطان به منذ مدة زمنية بعيدة تمتد من الثرن الأول قبل الميلاد إلى السابع عشر بعده. وحسب "ش. تيسو" Ch. Tissot يظهر أنها كانت دون شك معسكراً محصناً. ويرى "م. بونسيش" رغم أن الاطلاع لا تقدم الشكل التقليدي للنقط العسكرية، ورغم عدم وجود ما يثبت ذلك، فإن هناك أسواراً عريضة وكثيرة إضافة إلى قاعدة عمود وأجزاء لرؤوس أعمدة وبقايا جرات وأدوات منزلية وقبور يرجع تاريخها إلى العصر الروماني، وأنها كانت منشأة بدوية أسست منذ القرن الأول قبل الميلاد، وأن المنطقة كانت منذ ذلك الوقت مستغلة ومحروسة، ويستشهد بضبعة "الضاية" القريبة جداً منها والتي كانت محصنة وموجودة قبل القرن الأول بعد الميلاد، وهي الفترة التي أحرقت فيها. ويضيف فيقول : "ومن الممكن أن "ش. تيسو" قد وجد خلال اكتشافه للمكان آثاراً محفوظة بكيفية جيدة سمحت له أن يؤكد أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً، ويغلب الاعتقاد بأن الأمر كان يتعلق بمنشأة فلاحية مهمة، تحولت بعد قانون ديوكليتيان Diocletien إلى نقطة تعزيز للدفاع العسكري في ناحية طنجة، الشيء الذي يفسر بسرعة تحويلها بصفة استعجالية..." وهذا ما يذهب إليه "ش. تيسو" الذي يرى كما سبق ذكره أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً.

المصطفى مولاي رشيد، *طنجة والمسالك الرومانية*، في مجلة دار النبابة، العدد العاشر، ربيع 1986، ص. 31.

Ch. Tissot, *Itinéraire de Tanger à Rabat*, Bul. de la Soc. de Géographie, Paris, 1876 ; *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, IX, 1878 ; *Sur les monuments*

جماعة من المجاهدين من قبيلته أهل سريف. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها مولاي أحمد الريسوني. شارك في المؤتمرات التي عقدتها الثورة في عين الدالية يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي قرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 ؛ كما شارك في 23 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الدانق، وحدة من وحدات الوزن وهو لفظ معرب عن اللغة الفارسية القديمة يجوز فيه فتح النون وكسرهما جمع دوانق، وهناك إجماع على أنه سدس الدرهم الشرعي وذلك نظراً لأن 504 - 6 = 84) وعليه فمقدار الدانق هو ثمان حبات من الشعير وخمسا حبة ووزنه 0.4853 غ مما ينطبق على وزن سدس الدرهم النقدي الشرعي، وتتفاوت أوزان الدانق حسب الدنانير والدرهم العرفية التي أصدرتها دور السكة المغربية خلال العهود التاريخية المختلفة (انظر الدرهم والدينار من المعلمة). كما يختلف الدانق من وزن النقود على الدانق من الأوزان الطبية المتداولة.

ع. أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، ص. 152 ؛ ع. بن عبد العزيز الكرسيقي، رسالة في تحرير أوزان النقود في سوس، تج. عمر أفا، أنظر ملحق 2 من كتاب النقود المغربية في القرن 18 م)، ص. 137 - 152 ؛ ح. ابن الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب، الجزائر، 1928، ص. 5.

عمر أفا

الدانمارك والمغرب. يرجع تاريخ العلاقات بينهما

إلى الربع الأول من القرن السابع عشر عندما كانت الدانمارك تخوض مع غيرها من الدول الأوروبية غمار تلك الحرب الدينية المعروفة بحرب الثلاثين سنة بين البروتستانتين والكاثوليكين.

ففي سنة 1037 / 1627 قامت جماعة كبيرة من المجاهدين البحرين السلويين والرباطيين على متن ثلاث سفن حربية وتحت إمرة مغامر هولاندي يدعى مراد الرايس ويسمى في الأصل يان يانس Jan Jansz بغزو جزيرة إيسلاندا الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البسيط الجليدي غروينلاندا بالقطب الشمالي، تلك الجزيرة التي كانت تابعة للمملكة الدانماركية قبل أن تصبح سنة 1918 جمهورية مستقلة.

وأثناء تلك الغارة على بعض الأماكن المنعزلة منها أسروا أربعمائة من الأطفال والنساء والرجال ونهبوا العاصمة ريكيافيك واستولوا على مؤن وبضائع مثل الفراء والجلود والأسماك المخزنة وساقوا الجميع إلى مرسى العدوتين الرباط وسلا.

كان لهاته الواقعة الجريئة صدى واسع لدى الدول الأوروبية التي كانت ماتزال تتذكر انتصار المغرب في معركة وادي المخازن وانهزام البرتغال سنة 1578 وفتوحات أحمد المنصور السعدي بالسودان بعد ذلك.

أسماء هؤلاء الأسارى مازالت محفوظة بجامعة هاسكولي Haskoli بالعاصمة الإسكندنافية حسبما أخبرني بذلك بسلا يوم 10 مارس 1999 الأستاذ بتلك الجامعة وهو أولفار طورمودسن Thormodsson الذي جاء للبحث عنهم، وأفادني أن ثلاثين منهم فقط هم الذين رجعوا إلى بلادهم بعد سنوات من الأسر، طالباً منى إعانتهم في الكشف عنهم. وقد تبين من الاستقراء الذي أجرته أن هؤلاء الإسكندنيين أرسلوا إلى الجزائر للتبادل بآخرين مع قراصنتها، وذلك بقصد تضخيم مال الافتداء بتعدد الوسائط، حتى إذا لم يظهر مطالب بهم بيع الأسارى بيع القن في أسواق النخاسة، فاستخدم الأطفال والنساء في المنازل وعهد للرجال بالأشغال الشاقة أو اللينة في البحر أو في البر. وعلى هذا يكون مصيرهم الانصهار وسط المجتمعات الإسلامية بشمال إفريقيا.

فماذا كان موقف المملكة الدانماركية من هذه الحادثة الأليمة ؟ مما لاشك فيه أن فكرة افتكاكهم كانت تراود الدانماركيين والإسكندنيين، لكن الذي ثنى عزم الحكومة الدانماركية هو ما علمته من وعورة الطريق ومخاطرها بحراً وما ستعلمه أو ما قد علمته من انهيار كيان الدولة السعدية بموت آخر سلاطينها في الثلث الأول من القرن السابع عشر، فلا تجد مخاطباً لها، فطويت الصحف عن هاته القضية.

ويعد نحو 120 سنة تقوت دولة الدانمارك بعلاقات مع الدولة المغربية، وذلك أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، فقد كانت الوثائق المغربية تسمي الدانمارك : الدّين مارك وأهلها : الماركين، فدخلت سجل التاريخ المغربي من أجل ذلك.

ربط السلطان سيدي محمد بن عبد الله أثناء خلافته علاقات وطيدة مع الدول الأجنبية ومنها الدانمارك، وتبادل مع ملكيها فريدريك الخامس ثم كريستيان السابع رسائل وسفارات وهدايا، وسمح لها باستيطان تجارها وتعيين قناصلها ونوابها في شتى الموانئ المغربية.

يوم 13 يوليوز 1751 وصلت إلى مرسى آسفي بعثة عينها الملك فردريك الخامس برئاسة ي ب ده لونكفيل J.B. de Longueville. فأقام بالمدينة مدة. لكنه لما رفع راية بلاده فوق مقر عمله ساءت علاقته بالمنخن فوقع عزله لعدم استئذانه في ذلك.

ولم تلبث الأمور أن عادت إلى نصابها باستيطان تجار دانماركيين مدناً مغربية ووصول خبراء دانماركيين في الهندسة وفي الفنون الحربية والبحرية إلى حضرة السلطان، واكتست التجارة نوعاً من الأهمية خلال عهد سيدي محمد

ابن عبد الله ولا سيما عند عقد معاهدة صداقة وتجارة واستيطان يوم 16 شعبان 1166 / 18 يوليوز 1753 تنص على تأمين السفن الدانماركية القادمة للمراسي المغربية ومديد المعونة إليها. وكان الذي تفاوض من أجلها هو إيتيان ري E. Rey والذي بدأ تنفيذ بنودها هو القنصل الدانماركي الجديد لوتزوف Lützuw.

بدأت التجارة والمبادلات تعرف نمواً وازدهاراً على يد الشركة الدانماركية الإفريقية برئاسة شالتهيراند. ولكنها انتكست بإفلاسها، ولا سيما عند ما قرر السلطان بعد بناء الصورة نقل التجارة لهاته المدينة سنة 1767، لكن في 26 يوليوز منها (28 صفر 1181) تجددت المعاهدة المغربية الدانماركية، فوصل يانس كوستروب J. Kaustrop وشرع في تطبيق فصولها التي يقضي أحدها بتجديد مبلغ الإتاوة التي بدأت تدفعها الدانمارك مثل دول أوروبية أخرى بالشمال، ولم تكف عن ذلك إلا بعد ثمانين سنة وذلك بمعاهدة إلغائها سنة 1845. وسلمت حكومة الدانمارك عدداً من البواخر الحربية بمقتضى هاته المعاهدة أيضاً. وقد ليث كوستروب سنتين، إذ في سنة 1769 انتقل إلى خارج المغرب. وكانت الدانمارك تدفع سنوياً للمغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 51.000 ويكسدال، أي أزيد من ربع مليون فرنك، (المعجم التاريخي، ص. 26).

أما السلطان فقد عين سنة 1759 القائد الحاج التهامي ابن علي أمسُدُون (= مَدُون) سفيراً لدى الملك فريدريك الخامس حاملاً مطالب المغرب المثلثة احتمالاً في بعث سفن حربية وعتاد إليه، فاستقبله أحسن استقبال وعين كاس Kass لمفاوضته.

كما أنه أوفد في صفر 1203 / نونبر 1788 سفيراً آخر إلى ملك السويد - النرويج وملك الدانمارك يحمل رسالتين إلى كل منهما ومعه هدايا إليهما. وكان هذا السفير هو الحاج الطاهر بن عبد الحق فنيش السلاوي الذي توفي سنة 1215 والذي كان عاملاً على الصورة وغيرها مثل طنجة وسلا.

ولا بد أن أشير إلى نائب قنصلي مشهور بكتابته عن المغرب وهو جورج هوست George Høst الذي كان صديقاً للسلطان ومرافقاً له طيلة حياته، بحيث أصدر في حقه ظهيراً في 2 قعدة 1179 / 12 أبريل 1766 بتوقيره وإيصاء الولاة به خيراً. فقد ألف هوست عدة كتب ترجم بعضها من الدانماركية إلى لغات أخرى مثل الفرنسية التي عرب منها مؤخراً أحد كتبه عن السلطان.

وبوفاة سيدي محمد ضعفت العلاقة بين البلدين، واستمرت كذلك طيلة القرن التاسع عشر، فكانت المملكة الدانماركية ممثلة بغيرها من نواب الدول كالمملكة المتحدة. ولم يكن لها دور بارز في أحداث المغرب، فحضرت بالنيابة لا بالأصالة في مؤتمر الجزيرة الخضراء لسنة 1906، وذلك لقلة مصالحتها بالمغرب حيث لم يكن لها من المحمين طيلة القرن التاسع عشر سوى سبعة أشخاص، ولم يكن لها تجار

ومستوطنون، لكن يشار إليّ ورود سائح دانماركي سنة 1885 اسمه غير مضبوط كتبته الوثائق المغربية هكذا : خورخي يريگط الريط، فسكن فاساً بعد أن "تزيّاً بزي المسلمين وصار يدخل المساجد والأضرحة والحُرم، فوقع بينه وبين الصبيان مشاجرة في حال تزييه بزي المسلمين وتخلله المساجد".

هذا، وبعد استقلال المغرب اتفق البلدان على ربط علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية مازالت سارية المفعول إلى الآن.

جورج هوست، تاريخ إمبراطور المغرب سيدي محمد بن عبد الله، عربه عن الفرنسية عبد الرحيم حُزَل ونشر تبعاً في جريدة "العلم"، ابتداءً من 4 أبريل، 1990 : ع. العزيز بنعبد الله، المعجم التاريخي، آخر كتاب تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د. ت. م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 2 و. ج. 3 صفحات مختلفة، و. ج. 4، ص. 1543 : ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9 ص. 243 وما بعدها : مجلة الوثائق، ج. 4 ص. 133 وما بعدها : مذاكرة مع أولفار طورمودسن الإسلاوي يوم 10 مارس 1999 بسلام بواسطة ترجمانه عبد السلام بنين الحسنوي أصلاً السلاوي منشأ المقيم منذ 36 سنة رفقة أولاده بعاصمة إسلاندا إلى الآن.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé* ; B. Bennassar et L. Bennassar, *Les Chrétiens d'Allah - L'histoire extraordinaire des renégats. XVIe et XVIIe siècles ; Villes et tribus du Maroc*, Rabat, tome I, p. 127 ; *Lettre du Ministère des Affaires Etrangères et de la Coopération*, Rabat (Direction de la Coopération Culturelle et Scientifique), en date du 26 février 1999, adressée à la Bibliothèque Sbihi de Salé.

مصطفى بوشعراء

داهية أو ديهيا (Dihya)، أو الكاهنة، ملكة حكمت

المغرب الأوسط خلال نهاية القرن الأول الهجري (7 م) ويلاحظ الباحث في تاريخ هذه الشخصية نقصاً كبيراً في المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذه الفترة. ويشكل ابن عذاري وابن خلدون والريفي القيرواني أهم المصادر التي أشارت إلى هذه الشخصية إشارة مقتضبة وتقريباً متشابهة، وذلك في إطار حديثهم عن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا. هذه المصادر صورت ديهيا ككاهنة وساحرة يهودية استطاعت بسحرها أن تهزم جيوش حسان بن النعمان. وجاءت صورتها، في مجملها، أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع. أما المراجع الأجنبية فقد صورت ديهيا كبطل وزعيمة القومية الأمازيغية في شمال إفريقيا، واعتبرت نهايتها بمثابة نهاية المقاومة المسلحة الأمازيغية ضد العرب (G. Camps, 132).

وما بين الرواية الشرقية والكتابات الغربية، نجد الداهية كشخصية تاريخية، ظهرت على مسرح التاريخ بعد مقتل كسيلة في خضم الحروب التي وقعت أثناء فتح شمال إفريقيا سنة 686، وانتقل إليها حكم الأمازيغ بعد ذلك

J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casa, 1994 ;
G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, Paris,
1980; M. A. Haddadou, *Guide de la culture et de la
langue berbères*, Alger, s.d.

محمد حنداين

ابن داود، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل
هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة
اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benavit، وقد
انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ابن داود، أحمد قائد شارك في معركة وادي المخارن
بجانب السلطان عبد الملك السعدي، ويقول عنه الطبيب
اليهودي (الذي كان يعالج السلطان المذكور) إنه كان قائداً
بجيش السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483
إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي
ذكرها في الرقم 234.

Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don
Sebastian*, Lisboa, 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن داود، سليمان بن أعراب العسكري، كان كبيراً
في قومه بني عسكر حلفاء بني مرين، قاد عدة حملات
عسكرية لقمع المتمردين على المخزن المريني وشغل مناصب
هامّة كما تعرض لنكبات كثيرة أثرت على مجرى حياته
السياسية خاصة في الفترة الممتدة بين سنة 760 / 778
بسبب مواقفه المنحازة أثناء انتقال الحكم من أمير إلى آخر.
لكن قبل ذلك برز نجم ابن داود كقائد عسكري وسياسي
محنك مما جعل السلطان أبا عنان يقر به إلى حاشيته ويعينه
عاملاً على مدينة رُنْدَة بالأندلس ثم بعد ذلك - أي سنة 756
- على جبل الفتح وسائر ثغور الأندلس مكان عيسى بن
الحسن الشائر على السلطان. وعند رجوع أبي عنان من
حملته على إفريقية استدعى ابن داود من الأندلس
فاستوزره وجعله قائداً على الجيش المريني العائد إلى
إفريقية سنة 759 لوضع حد لهجمات عرب الدواودة على
ضواحي قسطنطينة. لكن ذبوع خبر وفاة السلطان أبي عنان
المفاجئ أثر في معنويات الجيش المريني مما اضطر سليمان
للانسحاب من قسطنطينة والعودة إلى المغرب.

عرف المغرب بعد وفاة أبي عنان مرحلة سياسية متقلبة
استمرت حتى نهاية دولة بني مرين سنة 868، ولعل أبرز ما
يميز هذه المرحلة تولية ملوك وأمراء ضعاف إما لصغر سنهم
أو لقلّة درايتهم بشؤون الحكم، واستبداد الوزراء الذين
كانوا الحكام الفعليين. فبعد وفاة أبي عنان استبدد الوزير
الحسن بن عمر بالأمر وحجر على ولي العهد الأمير السعيد
وهو ما يزال صبيّاً فنصبه للملك وحتى يعطي لهذا الاجراء

التاريخ. واتخذت منطقة الأوراس المحصنة مقراً لها.
وحسب ابن خلدون فإن داهية قد تكون يهودية الديانة،
ولكن ليس هنالك ما يؤكد ذلك. وتذهب بعض المراجع
الأخرى إلى أنها مسيحية. وتشير الروايات العربية إلى
أنها امرأة شجاعة مقدامة في الحروب رغم تقدمها في
السن. وعنّها يقول ابن عذاري: "... لما دخل حسان
القيروان أراح بها أياماً ثم سأل أهلها عن بقي من أعظم
ملوك إفريقيا ليسير إليه فيبيده أو يسلم. فدلوه على امرأة
يقال لها الكاهنة، وجميع من بإفريقيا (...) منها خائفون"
(ابن عذاري، البيان، 28). وفي خلال الحروب التي خاضتها
ضد القائد حسان بن النعمان، انتصرت في معارك كثيرة،
منها معركة واد نيني على بعد 16 كلم من عين البيضاء،
ويطلق المسلمون على هذا الوادي "واد البلاء". (Haddadou,
87). وبعد ذلك استطاعت أن تحكم إفريقيا لمدة خمس
سنوات قبل أن تصل الإمدادات العسكرية لحسان من
الشرق، بأمر من الخليفة الأموي مروان بن الحكم. ثم بعد
ذلك عاد حسان إلى محاربة ديهيا سنة 78، فلم تجد بداً
أمام جيوش حسان التي قدرت بأربعين ألف جندي، إلا
التحصن في معقلها بجبال الأوراس حيث انتهت حركتها
بموتها سنة 78 / 701. وبخصوص نهايتها، فإن الروايات لا
تتفق حولها، فمنها ما ذهب إلى أن الكاهنة انتحرت، بعد
أن أعطت الأوامر لأبنائها بالانضمام إلى الجيوش
الإسلامية، ومنها ما ذهب إلى أنها قُتلت من قِبَل حسان
ابن النعمان، وأرسل رأسها إلى الخليفة في دمشق، وعين
أبناءها قواداً لجيشه.

اشتهرت ديهيا بسياسة الأرض المحروقة حسب ما
أشارت إليه معظم تلك المصادر. ويذكر القيرواني أن
الكاهنة قد ملكت إفريقية خمس سنين منذ هزمت حسان،
فلما أبطأ العرب عنها قالت للبربر إن العرب إنما يطلبون من
إفريقية المدائن والذهب والفضة ونحن نطلب منها المزارع
والمراعي فأحرقوا كل شيء. هذه القولة كررها ابن خلدون.
وأصبحت ديهية مشهورة بسياسة "الأرض المحروقة". غير
أن هنالك من شكك في وجود هذه السياسة، واعتبر ما جاء
عند المؤرخين العرب شيئاً مبالغاً فيه، لأن المناطق التي
حكمتها ديهيا، كانت قد تعرضت للتفكير منذ وقت سابق
بسبب حروب الفتوحات. (M. A. Haddadou, *Guide de la
culture*, 87).

وهنالك من ربط ذلك التخريب بعوامل أخرى تتعلق
بالظروف الاجتماعية التي عرفت المنطقة آنذاك، والصراع
بين الحواضر والبادي (J. Brignon, *Histoire du Maroc*, 50)
ومهما يكن من أمر غموض هذه الشخصية، فإن
تاريخ شمال إفريقيا أدخل هذه المرأة في تاريخ المرأة
المغاربية.

ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، الجزء الأول، تح. كولان وليثي
بروفانسال، الطبعة الثانية، 1980، بيروت: ع. ابن خلدون، العبر،
بيروت، 1979.

بعض المشروعات استقدم أبناء السلطان أبي عنان من كل جهات المغرب للمبايعة. غير أن صاحب مراكش الأمير محمد المعتمد بن أبي عنان رفض القدوم إلى فاس تحت ضغط وتشجيع شيخ هنتاتة عامر بن محمد بن علي، وقد دفع هذا الموقف بالوزير الحسن بن عمر إلى تجهيز حملة عسكرية بقيادة سليمان بن داود ويعنه سنة 760 إلى مراكش فحاصرها بينما فر أميرها هو وعامر إلى جبل هنتاتة ليتحصنا فيه. غير أن تحول الأوضاع بفاس وخروج منصور بن سليمان على السلطان المريني بها اضطر ابن داود لرفع الحصار عن مراكش والعودة إلى فاس لمشايعة منصور ابن سليمان ومساندته في حركته التمردية ضد السلطان السعيد، فكافأه بتعيينه وزيراً للجنود. ولما استولى أبو سالم على الملك سنة 760 استقدم ابن أخيه محمد المعتمد ووزيره عامر شيخ هنتاتة من الجبل الذي كانا لاجئين إليه ورد لهما اعتبارهما، كما عين سليمان بن داود وزيراً له إلى حدود سنة 762 عندما ثار عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد اليباني على السلطان أبي سالم ونادى بخلع وتثبيت الأمير تاشفين بن أبي الحسن مكانه سلطاناً جديداً على المغرب يأتمر بأوامره ويخضع لاستبداده، وقد حاول أبو سالم ووزيره ابن داود وبعض حاشيته وخاصة حصار فاس الجديد بهدف استعادة زمام الأمر إلى يده. غير أن محاولته تلك باءت بالفشل الذريع فسقط قتيلاً بينما اعتقل وزيره سليمان بن داود ومن كان معه. وقد أمر الوزير الثائر عمر بن عبد الله بأن يكون معتقل ابن داود بدار قائد النصاري غرسيبة بن انطوان ثم نقل بعد ذلك إلى بعض دور فاس الجديد إلى أن عفى عنه وقربه من حاشيته وعينه والياً على مدينتي سبتة وطنجة، إلا أن الأمور لم تستقر على هذا الحال، إذ سرعان ما انقلبت الأوضاع وتمكن مرشح جديد هو الأمير عبد العزيز من حسم الصراع على السلطة لصالحه، فبيع سنة 768 ويادر باعتقال الوزير المستبد وخصمه اللدود عمر بن عبد الله وثلة من خاصته ومؤيدي حركته كان على رأسهم سليمان بن داود ومحمد بن موسى ابن إبراهيم الملقب بالسبيع، فقتل عمر وأودع الآخرين السجن حتى عفا عنهما بفضل وساطة لسان الدين ابن الخطيب وزير ابن الأحمر.

ويستفاد من المصادر أن سليمان بن داود كان حاضراً مرة أخرى بقوة في الأحداث التي أدت إلى بروز شخصية الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم كمرشح قوى للحكم، كما شارك مشاركة فعالة إلى جانب الوزير محمد بن عثمان ابن الكاس في استيلاء الأمير على السلطة وليصبح سلطاناً على المغرب. وقد حفظ الملك الجديد لابن داود هذه المساعدة فعينه سنة 776 في منصب صاحب الشورى ورئيس مشيخة بني مرين. وفي عهد هذا السلطان بلغ سليمان شأواً كبيراً فكان إلى جانب الوزير ابن الكاس الأمر والنهي، فاستغل سلطته ونفوذه لينتقم من عدوه اللدود لسان الدين بن الخطيب. وقد اتفقت المصادر على أن سبب العداوة بين

الرجلين يعود إلى موقف صارم كان ابن الخطيب قد اتخذه من سليمان عندما وعد ابن الأحمر هذا الأخير بأن يوليه على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعيد إلى ملكه وعرشه الذي ضاع منه. وعندما استعاد ابن الأحمر حكم غرناطة ذكره سليمان بن داود بما قطع له من وعد لكن ابن الخطيب عارض بشدة تنفيذ الوعد معللاً موقفه بأن منصب شيخ الغزاة بالأندلس موكل وموروث لأعيان الملك من آل عبد الحق، لأنهم يعسوب زناتة، فتذمر سليمان من ذلك ورجع خائياً وأسرها في نفسه إلى أن حانت فرصة للانتقام من غريمه ابن الخطيب، فترص به وحاك حوله مؤامرة دنيئة انتهت بقتله. بدأت تفاصيل هذه المؤامرة عندما تمكن السلطان أحمد بن أبي سالم من السيطرة على الحكم فاتح سنة 776 واستقر في دار ملكه فاس الجديد، في هذه الأثناء استغل الوزير سليمان بن داود مكانته وحظوته لدى السلطان فأغراه بالقبض على لسان الدين ابن الخطيب تلبية لرغبة سلطان غرناطة ابن الأحمر ووزيره أبي عبد الله ابن زمرك. وبعد اعتقال لسان الدين سافر ابن زمرك إلى فاس واستقبله سلطانها ثم أحضروا ابن الخطيب وأقاموا له محاكمة في مجلس الخاصة وأهل الشورى الذي كان يرأسه ابن داود، واتهموه بأفكار خطيرة وردت في بعض ما كتبه فامتنح وعذب في سجنه، فتشاور المجلس في شأنه وأفتى الفقهاء بقتله غير أن سليمان بن داود ولشدة كراهيته لابن الخطيب أراد التخلص منه بأسرع ما يمكن والانتقام منه شخصياً فدس إليه من قتلته في سجنه خنقا ثم أحرق و"عجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته" (العبر، ج. 7، ص. 709) وأمام تزايد غضب الناس من فعلة سليمان اضطر إلى الفرار بجلده إلى الأندلس عند ابن الأحمر سنة 778 واستقر بقرطبة حيث عين في مجلس الشورى إلى أن توفي هناك سنة 781.

ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، د. ت، ص. 437. ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تج. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، الجزء الثاني، ص. 274، 278، 304؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 614-615-620-621-625. 631. 651. 654. 672. 707. 711؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر، ألفريد بيل، الجزائر، 1903. 1910 - الجزء الثاني، ص. 21. 24؛ ابن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 28. 31؛ النفحة النسرنية واللمحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 52. 56؛ أ. المقرئ، أزهار الرياض، الرباط، 1978، الجزء الأول، ص. 229. 231؛ أ. الناصري، الاستقصا، 1955، الجزء الثالث، ص. 200. 203. 204، الجزء الرابع، ص. 3. 6. 38. 42. 64؛ م. المنوني، وقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1979، ص. 60.

رشيد السلامي

داود بن عبد المومن بن محمد الشيخ أمير سعدي أو كل إليه عمه مولاي عبد الملك قيادة جيش الغرب ووجهه لمراقبة تحركات البرتغاليين بمدينة الجديدة (التي كانت آنذاك بيد البرتغال)، ثم شارك في معركة وادي المخازن بجانب عمه المذكور، وبعد المعركة عينه عمه مولاي أحمد المنصور الذهبي عاملاً بمكناس لمدة قصيرة ؛ وفي شهر صفر 988 / أبريل 1580 ثار ضد عمه بسوس، وقد توفي سنة 997 / 1589.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، ص. 48 و55.

Ojeda, Luis de, *Comentario que trata de la infolice jornada del Rey Don Sebastian (S.I.H.M., France I, p. 575 - 627) ; J. Franchi Consetaggio, L'union du Royaume de Portugal a la Couronne de Castille, (S.I.H.M.), France, p. 506 - 574 ; Lope de Vega, Tragedia del Rey Don Sebastian, Madrid 1618 y 1898 ; Medico Judio, Carta a su hermano, (S.I.H.M. , Angleterre, t. I, p. 312 - 321).*

محمد ابن عزوز حكيم

داود، محمد بن أحمد (الحاج -) بن محمد التطواني، الأستاذ الأديب المؤرخ. ولد بتطوان ليلة الاثنين 12 ذي الحجة 1318 / 4.1.1901 من أم من عائلة داود أيضاً. حفظ القرآن وما تيسر من المتون العلمية على العادة الجارية وهو دون البلوغ، وفي عام 1330 / 1912 شرع في الأخذ عن علماء هذه البلدة إلى عام 1338 / 1920 حيث انتقل إلى فاس فأتم على علمائها دراسته وقضى بها سنتين. ثم عاد إلى مسقط رأسه فزاوّل التدريس والعدالة والكتابة في الصحف خصوصاً جريدة الأهرام المصرية الذائعة الصيت في العالم، فكان مراسلها الخاص بنشر بها تفاصيل عن حرب التحرير التي تزعمها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي باسم مستعار.

وفي عام 1342 / 1923 نال جائزة التاريخ في الأسواق الأدبية التي أقيمت في سبتة لأدباء اللغتين العربية والإسبانية.



وبتاريخ 1343 / 1925 أسس مع رفقاته : المدرسة الأهلية وتولى إدارتها والتدريس بها نحو اثنتي عشرة سنة. وكانت أول مدرسة عربية إسلامية حرة أسست بشمال المغرب في عهد الحماية. فكانت النواة الأولى للحركة العلمية الحديثة والوطنية الاستقلالية بهذه البلاد ومن تلاميذها مؤسسو حزب الإصلاح الوطني.

وفي عام 1347 / 1928 أسس شركة المطبعة المهدية وانتخب رئيساً لمجلس إدارتها. وكانت أول مطبعة عربية كبرى في الشمال. وفي نفس السنة نال الجائزة لأولى في الأسواق الأدبية بسبتة أيضاً مع الزهرتين الطبعية والأدبية. وكانت مشاركته بقصيدة نونية في الوصايا والحكم نشرت بمجلة الاتحاد سنة 2 عدد 17.

وفي عام 1350 / 1931 انتخب عضواً بالمجلس البلدي بتطوان باقتراع حر في عهد الجمهورية الإسبانية. وصدر بذلك قرار وزيري مؤرخ في 22 جمادى الأولى 1350 / 5.10.1931.

وفي عام 1352 / 1933 أسس مجلة السلام وتولى إدارتها وتحريرها، وهي أول صحيفة حرة وطنية. صدر منها عشرة أعداد، وقد منّعت الإدارة الفرنسية دخولها لمنطقة حمايتها بقرار نشر بالجريدة الرسمية عدد 1125 بتاريخ 18 / 5 / 1934. وقد احتال الأستاذ داود لدخولها المنطقة المنوعة بتغيير اسمها باسم "العزيمة" فنجحت الحيلة. وفي عام 1353 / 1934 أصدرت مندوبية طنجة وحاكمها قراراً بنفيه من طنجة ومنطقتها معتبراً وجوده بها خطراً على الأمن العام. وظل ممنوعاً من دخول طنجة بضع عشرة سنة.

ثم نفته الإدارة الفرنسية من الرباط وأصدرت أمراً بمنعه من دخول المنطقة كلها. وفي نفس السنة أيضاً عين عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بشمال المغرب. وحج في نفس السنة وزار نجداً والعراق وشرق الأردن وفلسطين ومصر ومنعته فرنسا من دخول سورية ولبنان لكونهما تحت انتدابها يومئذ. واستغرقت هذه الرحلة ستة أشهر.

وفي عام 1354 / 1936 أصدر جريدة الأخبار وكانت أول جريدة حرة وطنية تصدر بالمغرب. وقد أصدرت الإدارة الفرنسية أمراً بمنعها من دخول منطقة حمايتها. وفي عام 1355 / 1937 عين مفتشاً عاماً للتعليم الإسلامي بشمال المغرب بظهير خليف. وهو أول وظيف حكومي تولاه في حياته. وبمجهوداته أسست سبعة معاهد دينية وكثير من المدارس العصرية التي ما تزال قائمة إلى اليوم. ووضع مناهجها العربية الإسلامية.

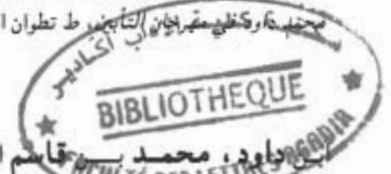
ثم عين نائباً لرئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي وعضواً بالمجلس الأعلى للأوقاف الإسلامية بشمال المغرب، ثم مديراً للمعارف بالشمال.

وبعد الاستقلال عين عضواً في اللجنة الملكية لإصلاح التعليم بالمغرب، وعضواً بالمجلس الوطني الاستشاري، وفي لجنة مدونة الأحوال الشخصية.

وللمترجم ولع بالتدوين وجلّد على الكتابة والتقييد نسخ كثيراً من الكتب وملاً الدفاتر والكتانينش، ثم توجه للعناية بالتاريخ متأثراً بشيخه الفقيه الرهوني مؤرخ تطوان. وكان له به مزيد اختصاص، وله عليه دالة ونسخ لنفسه كثيراً من مؤلفاته وعلى رأسها تاريخه : عمدة الراوين في تاريخ تطواين، وهو في خزانته معظمه بخطه. وأهم مؤلفاته تاريخ تطوان في عشرة أجزاء طبع منها ثمانية. في الخمسينيات بعد الحرب الكونية الثانية. ومنها كتاب المجتمع التطواني من خلال الأمثال المغربية. مقارنة بالأمثال العربية والمحلية من العالم العربي. وقد أتمه في نحو أربع مجلدات، ومنها مذكراته (على رأس الأربعين) وفيها التاريخ المفصل لحياته وما أحراره بالنشر ! ولتاريخه لتطوان مختصر أحرز على جائزة المعهد الحسني بتطوان فطبع بها في مجلد، والعملة المغربية خلال أربعة عشر قرناً. أما أبحاثه ومقالاته ومحاضراته فلا تحصر، ولو جمعت لمئات في عدة أجزاء. وكان معنياً بالتحف والنوادر فجمع مجموعات من طوابع البريد ومن العملات المختلفة. ومن صور البلاد والأشخاص الشيء الكثير. وقد وفق رحمه الله في شيخوخته لبناء مسجد لصق داره، ويجواره وفوقه مكتبة حبسها على طلبة العلم وأهله. كان يعتكف فيها للتسجيل والتنظيم واستقبال الزوار. وظل كذلك إلى أن أسندت إليه مديرية المكتبة الحسنية بالرباط. فسار فيها مرضي المعاملة مثنيا عليه إلى أن هاجمه المرض فعاد لمسقط رأسه متأثراً. زوّته وهو مريض فوجدته يعمل في انجاز ما كان ناقصاً من مشاريعه العلمية. فأظهرت له الإشفاق مما هو فيه فاستغفر - رحمه الله - وألح علي في الدعاء له. فدعوت ودعوت ونحن نكي معاً. وبعد هذه الجلسة بأيام معدودة لبي داعي ربه في رابع عشر رمضان عام 1404 / 4 / 6 / 1984 ودفن بمصلى الجنائز بمدخل باب المقابر بتطوان رحمه الله تعالى.

م. داود نفسه، ترجمته الشخصية بقلمه بآخر المجلد الأول من تاريخ تطوان، طبع تطوان : أ. الرهوني، عمدة الراوين، في تاريخ تطواين، ج 6 مخطوط : محمد أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، حواشي الأمير شكيب، 2 / 45 / 47 : أستاذ الجيل الرائد الكبير المرحوم

محمد الأمين بوخيزة



السلامي. كان عالماً جليلاً وفقهاً محدثاً وشاعراً مكثراً، وكان خلا وصديقاً للسان الدين ابن الخطيب السلماني لما كان مقيماً بسلا، ونوه به في إحدى قصائده العينية. وقد عين للتدريس بالمدرسة المرينية التي بطالعة سلا. خلف

بعض التأليف ومنها ديوان في السيرة النبوية في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 360 ك، وعنوانه : نوادر الظلام في شرف سيد الأنام وكانت وفاته بمسقط رأسه سنة 800 للهجرة / 1397 م.

أ. ابن القاضي، درة المجال، ج 3، ص. 281 : م. ابن علي الدكالي، تقييد عن المدرسة المرينية : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 4، ص. 378 : جعفر الناصري، ابن الخطيب بسلا، ص. 66 : كنانة محمد التطواني، مخطوط، الورقة، 34.

مصطفى بوشعرا.

أيت داود، مدينة تاريخية عريقة في القدم، تقع بقبيلة إداو بوزيا الجبلية في قبيلة حاحة بعيداً عن البحر، تنسب إلى داود بن خالد بن يحيى بن زكرياء الذي يقال إنه أول نزيل في ذلك المحل وأنه جاء من (منى) بالحجاز في القرن السادس وهو الجد الخامس للشيخ الصوفي سعيد بن عبد النعيم صاحب الزاوية المشهورة هناك.

وقد ذكر صاحب وصف إفريقيا مدينة أيت داود من بين مدن حاحة العامرة في مطلع القرن العاشر (16 م) بقوله : (أيت داود مدينة عتيقة بناها الأفارقة على جبل شامخ، إلا أن بقمته سهلاً في غاية الجمال... وفي وسطه عيون جارية كثيرة ماؤها بارد جداً. وليست ضواحيها سوى صخور وغابات غريبة موحشة، وتنتب بين هذه الصخور كمية وافرة من الأشجار. في هذه المدينة عدد كثير من الصنائع اليهود من حدادين وإسكافيين وصانعين. يقال إن السكان الأقدمين لهذه المدينة يهود من سلالة داود، أسلموا بعد أن فتح المسلمون هذه البلاد).

وقد لاحظ الوزان أثناء مروره بهذه المدينة في مطلع القرن العاشر أن سكانها يكثر فيهم المتصلعون في الفقه ويستظهر معظمهم النوازل والأحكام، لذلك أصبحت هذه المدينة في حاحة بمثابة محكمة شرعية ترفع إليها جميع الخصومات، فتسوى فيها المطالبات القضائية والاستدعاءات والاتفاقات والعقود... ولذلك يقصدها جميع الناس من الأماكن المجاورة. وقد نوه الحسن الوزان بغزارة علم شيخين جالسهما في هذه المدينة حوالي عام 919، ولا نستبعد أن يكون أحدهما هو العالم المتصوف المشهور سعيد بن عبد المنعم الحاسي المتوفي سنة 935 هـ، إذ قال عن الأول (وقد عرفت منهم شيخاً يحفظ كتاب المدونة عن ظهر قلب، يعني مجموع القوانين ويشتمل على ثلاثة أجزاء تتناول بالدرس أصعب المسائل الفقهية، وتبين رأي الإمام مالك فيها).

وثانيهما التقى به الوزان بدار وكيل شرعي في هذه المدينة حيث اجتمع عدد من فقهاء ذات مساء وبعد تناول العشاء بدأت المناقشة حول معرفة ما إذا كان يجوز بيع

ملك الخواص إذا احتاجت الأمة واقتضته المصلحة العامة، وكان من بين الحاضرين شيخ كبير حاز شرف الفصل في المسألة وحسم الخلاف فيها، وكان يدعى الجزار، لأنه يمتاز بإصابة مفصلات النوازل الشرعية.

وكل هذا يدل على ما لهذه المدينة العتيقة من أهمية حضارية كمركز إشعاع علمي وديني، وكرباط حصين بالجبال يحتمي به المجاهدون ضد التغلغل البرتغالي الذي استهدف عددا من القرى والمدن الحاحية فقتل وشرذ أهلها وخرب ديارها، ودك أسوارها كما ذكر المؤلف، فلم يبق منها اليوم إلا هذه المدينة ومدينة تفضنا الواقعة غربها على المحيط الأطلسي. وأيت داود اليوم عبارة عن مركز لقيادة وجماعة وقبيلة إيداو بوزيا القروية يعمر فيه سوق أسبوعي يوم الجمعة وبه مدرسة علمية إزاء زاوية أحفاد الشيخ المذكور سيدي سعيد بن عبد المنعم (تـ 935) والذين يتمتعون بنفوذ روحي وعلمي بين سكان قبائل حاحة وسوس إلى اليوم.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1، ص. 83؛ م. المختار السوسي، المعسول، 19: 72؛ تحريات ميدانية.

محمد أيت الحاج

الداودي، أسرة فاسية كبرى تشتمل على خمس فرق : الفرقة الأولى - كما جاء في رفع الالتباس - : أصلها من تلمسان يدعون الشرف. أول قادم منهم على فاس الشيخ الجليل الحاج الداودي - اسماً - بن العربي التلمساني المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف شارح الهمزية ومحشي السعد إلى غير ذلك من التأليف، ومنهم حفيده القاضي الحسن بن ناصر بن الشيخ الداودي المذكور، المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف المشارك الأديب الشاعر.

والفرقة الثانية كان لها ذكر بفاس، شرفاء يعرفون بأولاد ابن العياشي. قال في الدرر البهية (2 : 55) "كان سكناهم بنواحي الشراييلين وكانت لهم هناك رباغ كثيرة والآن قد انقرضوا وإليهم ينسب جنان بالمرج باب الخوخة". والفرقة الثالثة شرفاء أيضاً ويعرفون بالهرغيين نسبة إلى هرغة قبيلة عظيمة من قبائل المصامدة من السوس الأقصى، أهل معاش وحرقة وطلب، وآخر من أدركنا منهم - يقول عبد السلام ابن سودة - يشار إليه بالطلب العلامة الموثق الطاهر بن إدريس الداودي المتوفى أواسط العشرة السادسة وثلاثمائة وألف.

والفرقة الرابعة من الجبل من قبيلة متيوية وليسوا من الأشراف وإن صار البعض منهم يدعي ذلك الآن. أهل تجارة ومال وطلب ومعاش وحرقة ظهر بالعلم منهم الآن عبد الله ابن عبد الرحمان الداودي من أكبر المدرسين بالقرويين وله اليد الطولى في الافتاء ؛ وابنه عبد الكريم آتي الترجمة. والفرقة الخامسة من بلاد الريف مرابطون من نسل

الداودي المجاهد دفين بلاد النكور في الريف. ظهر منهم أخيراً الشيخ الوقور المهدي بن الحسن الداودي المتوفى عام 1360 كان يُعد من العلماء، وتولى أخيراً قيادة قبيلة الحياينة.

ع. السلام ابن سودة، رفع الالتباس، مرقون.

محمد حجي

الداودي أو أولاد داود أو الداوديون، أسرة قلعية قديمة الاستيطان بهضبة تازوطا، تدل أولى الوثائق المعروفة لدينا وهي مؤرخة بربيع الثاني عام 730 على أنهم كانوا مستقرين بالمكان منذ وقت سابق يصعب تحديده، ويمكن الرجوع به على الأقل إلى دخول بني مرين ناحية قلع كرت (قلعية) سنة 610.

تعلقت الوثيقة بالمدعو الجروم أو أيروم الوغمراني الذي احتاج إلى رسم يثبت به ملكيته على الأرض الكائنة بهضبة تازوطا، مبدؤها من باب الحصن لتعود إليه بعد الاستدارة، إذ أن الداوديين كانوا سند قائد تازوطا في الجهاد ضد مليلة خلال القرن العاشر (16 م) وما بعده . وقد أعيدت المصادقة على نفس الوثيقة بتاريخ تاسع شوال عام 1158 ثم بتاريخ أول ذي القعدة عام 1286.

واعتماداً على ما بيد الداوديين من وثائق، فإن الأسر الداودية المتفرعة ما بين 730 و1295 هي المعروفة بكنيات أيروم ويومزوغ وأبنار والداودي.

وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ وثائق السيد الوردة ؛ وثائق الخال الطاهر محمد عالوش ؛ وثائق ميمون المختار الداودي ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ معلمة المغرب، محر ميداني.

حسن الفكيكي

الداودي، أحمد بن حدو، مقاوم كان يرأس جماعة من المهاجرين من قبيلته كبدانة انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف محمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بتاحية الناظور ؛ وقد شارك في عدة معارك وسقط أسيراً في المعركة التي جرت يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) والتي استشهد فيها زعيم المقاومة الشريف محمد أمزيان.

محمد ابن عزوز حكيم

الداودي، البشير مقاوم من مواليد سنة 1926 بمدينة العيون. شب على مبادئ الوطنية والكفاح، وكان من الرعيل الأول للمقاومة والمؤسسين لفرق جيش التحرير بالصحراء المغربية برتبة قائد. شارك في عدة معارك منها : معركة الدشيرة، وتافودارت والعيون ولبلاية وغيرها من

المعارك التي دارت رحاها بالصحراء.

توفي في شهر أبريل 1995 بمدينة العيون.

المنندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، شهداء الاستقلال.

صيتهم أثناء مقاومة قبائل الشاوية للاحتلال الفرنسي خلال سنة 1907 - 1908. ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بندادود التي خرج منها كثير من الأبطال الذين اشتهروا بالشجاعة والفروسية.

خاض معارك الجهاد، حول الدار البيضاء وسطات ضد جيش الاحتلال الفرنسي وكان يتقدم الصفوف حاملا لواء قبيلته، مثله في ذلك مثل القرشي بن الرغاي الداودي. لما تغلبت القوة العسكرية، وخضعت كل قبائل الشاوية للسيطرة الفرنسية، ألقى القبض على حمامو الداودي كغيره ممن عارض الاحتلال ودافع عن بلاده من مجاهدي الشاوية. وأبقت القوة الغاشمة جيبس السجن إلى أن وافاه أجله في تاريخ غير محدود.

العربي العزوي، نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير، مخطوط.

علال الخديمي

الداودي، سعيد، مقاوم ولد سنة 1916 بدوار أيت بوجو فوم أودي دائرة واويزغت إقليم أزيلال. اختار الكفاح المسلح في صفوف الحركة الوطنية حيث نفذ العديد من العمليات الفدائية فألقي عليه القبض في شهر يونيو سنة 1951، وعند خروجه استمر في كفاحه بصفوف المقاومة المسلحة ليلقى عليه القبض للمرة الثانية حيث تم نقله من سجن تونفيت بإقليم أزيلال إلى سجن سيدي سعيد بمكناس ومنه إلى سجن الدار البيضاء فمراكش وأخيراً سجن بوزكارن بالصحراء المغربية وبه استشهد داخل زنزانته خلال شهر نوفمبر سنة 1953.

المنندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، شهداء الاستقلال، 3 : 116.

الداودي، عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام. ولد بمدينة فاس عام 1916 / 1334 وأدخله والده في سن السابعة إلى الكتّاب بحي سيدي أحمد الشاوي قرب سكناه، فقضى فيه نحو سبعة أعوام وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة الناصرية الحرة التي كان يديرها الفقيه محمد غازي



الداودي، التقى بن عمر، مقاوم ولد سنة 1928 بطانطان. نشأ في أسرة متواضعة وعرف عنه كرهه الشديد للاستعمار الشيء الذي دفعه بعد اشتداد عوده إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثالثة عشرة قيادة قاضي ملال وذلك بتاريخ 12 / 11 / 1957، امتاز بإخلاصه وتفانيه في العمل حيث كان مثالا حسنا بالنسبة لباقي إخوانه المجاهدين، شارك في عدة معارك خاضها جيش التحرير ضد المستعمرين : الإسباني والفرنسي، نذكر منها معركة تيلوين واصضر وابريغت وأخيرا معركة افران، وكانت مشاركته فعالة ومثمرة طيلة الفترة التي قضاها في صفوف جيش التحرير إلى أن استشهد في المعركة الأخيرة بتاريخ 20 / 11 / 1958.

المنندوبية السامية لقدماء المقاومين، شهداء الاستقلال، 4 : 24.

الداودي، الجيلالي بن الرغاي، من قبيلة أولاد سيدي بندادود، إحدى قبائل الشاوية الجنوبية المكونة لقسم أولاد بورزق. تولى القيادة على قبيلته في عهد مولاي الحسن الأول، وشمل نفوذه بعض فرق أولاد بوزيري المجاورين. وقد استمر الجيلالي الداودي في القيادة إلى عهد الاحتلال الفرنسي.

لم يتعرض القائد الجيلالي بن الرغاي الداودي لأي أذى عندما انتفضت قبائل الشاوية ورفضت قوادها منذ 1903. ويظهر أن القائد انغمس مع أسرته ضمن الانتفاضة حيث كان أخوه وخليفته القرشي بن الرغاي من زعماء الانتفاضة ومقدمي جماعاتها.

حارب القائد الجيلالي الفرنسيين، ولما تمت سيطرة المحتلين هاجر بلاده. وقد عدته استخبارات جيش الاحتلال من زعماء المقاومة.

وقد اتصل القائد الجيلالي بالألمان ونال حمايتهم. وبتلك الحماية أراد الرجوع لبلاده. الأمر الذي أثار خلافات بين قيادة جيش الاحتلال في شخص الجنرال مواني Moinier الذي رغب في أن يقدم له المجاهد المغربي طلب الأمان، وبين السلطات الدبلوماسية الفرنسية بالمغرب التي قبلت الأمر الواقع. وقد عاد الجيلالي الداودي لقبيلته دون أن يطلب الأمان من الجنرال قائد جيش الاحتلال.

علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 - 1910، الدار البيضاء، 1994 : وثائق الحربية الفرنسي.

الداودي، حمامو الشاوي من أبطال الجهاد الذين ذاع

بتوجيه من عمه أحمد الذي كان يسكن مدينة مراكش. وقد تلقى في هذه المدرسة دروساً في النحو والفقه والسيره والحساب والجغرافيا، انتقل منها إلى جامعة القرويين التي تأسس فيها آنذاك التعليم النظامي المكون من ثلاثة مراحل : ابتدائية وثانوية ونهائية، فانخرط في النظام وأخذ عن الشيوخ : عبد العزيز العراقي، وأحمد العمراني ومحمد بن العربي أشرفي وغيرهم، كما أخذ خارج النظام عن عبد الرحمن الغريسي ومحمد بن عبد المجيد أقصي ومحمد بن عبد الكبير ابن الحاج.

يمثل هؤلاء الأساتذة مختلف مراحل تعليمه كما يمثلون جوانب شتى من أخلاقه وسلوكاته، وكان أكثرهم غير راض على الوضع الاستعماري الذي فرضته الحماية على المغاربة وكذلك على الوضع الفكري الذي يسود بعض الفئات في المجتمع، فنشأ عبد الكريم الداودي متحمساً للفكر الإصلاحي، وظهر ذلك في مواقفه الوطنية حيث دخل إلى السجن مرات، كما ظهر في خطبه أيام الجمعة وفي خلايا حزب الاستقلال الذي كان ينتمي إليه.

ومن أبرز مواقفه الإصلاحية دعوته إلى إدماج المرأة في المجتمع وإلى وجوب تعليمها وتوعيتها، وكان يعقد جلسات خاصة في منزل الوطني أحمد مكواري يحضرها نساء واعيات يقدم إليهن الأصول الشرعية في وجوب مشاركة المرأة في المجال التربوي ويحملهن مسؤوليتهن في تعميم هذه الأفكار داخل المجتمع المغربي.

وكانت أفكاره هذه واضحة أثناء تكليفه بتقديم الدروس النهائية لقسم البنات بجامعة القرويين، حيث تخرج على يده الفوج الأول من العالمات المكون من السيدات حبيبة البورقادي وفطومة القباچ، وزهور الزرقاء، وعائشة بنت محمد السقاط والسعدية الحمياني.

ومنذ تخرج عبد الكريم الداودي وهو يعمل في إطار التعليم، فكان أستاذاً بجامعة القرويين و ببعض المدارس الحرة بفاس، وحظي بشعبية كبيرة في المجتمع الفاسي إذ كان الناس يقبلون عليه لاستفتائه في كثير من قضاياهم الدينية وللإستماع إلى خطبه أيام الجمعة سواء أثناء قيامه بها بمسجد سيدي أحمد الشاوي أو بعد أن انتقل إلى جامع القرويين. وكان يجيب في كثير من الأحيان عن أسئلتهم في ركن المفتي بالتلفزة المغربية.

وبعد عبد الكريم الداودي أحد أعضاء المجلس العلمي بفاس، اختير لإلقاء بعض الدروس الحسنية الرمضانية، منها درس بعنوان فضيلة الغرس والزرع في الإسلام انطلاقاً من حديث البخاري (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) : ودرس في فضيلة العلم والحكمة والبذل من أجل الصالح العام انطلاقاً من حديث البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة.

الزم رحمه الله بالقيام بواجبه دون أن يستسلم لعجز أو مرض لأنه كان يرى أن الإنسان مسؤول عن أعماله ما دام حياً، ولهذا نجده منذ نشأته إلى آخر يوم من حياته منكباً

على التعلم والتعليم وعلى الاستفادة والإفادة، وكيفينا دليل على ذلك أنه توفي يوم الجمعة عشرين ذي القعدة عام 1415 / 21 أبريل 1995 بنوبة قلبية وهو عائد من الرياء إلى مدينة فاس بعد أن سجل بدار التلفزيون حصة من حصص ركن المفتي.

وقد أقامت له كلية الشريعة بفاس في اليوم التاسع من يونيو 1995 حفلاً تابينياً شارك فيه عدد من العلماء والأدباء. وما ينبغي ملاحظته أن عبد الكريم الداودي رغم نشاطه العلمي الدؤوب ومشاركته في شتى ضروب المعرفة الإسلامية لم يشتغل بالتأليف والتدوين بحيث لم أقف له إلا على كنانة علمية بها تقاييد تتعلق بالأحكام الشرعية وقواعد الأصول، وفيها بعض القصص والتنف الشعرية وتاريخ حوادث شخصية ووطنية.

وذكر له ابن الحاج في ترجمته مجموعة من التأليف لم يتيسر لي الاطلاع عليها منها شرح على لامية الأفعال لابن مالك قال : إنه مازال في مسودته، وتعليقات على كتاب مفتاح السنة للشيخ محمد عبد العزيز الخولي في الحديث، وعلى كتاب لباب اللباب في الفقه، وتلخيصات في تاريخ المغرب.

ع. الكريم الداودي نفسه، كنانة علمية تحتوي على تسع وأربعين ورقة في ترجمته الذاتية : م. ابن الحاج، إتخاف ذوي العلم والروسخ، الدار البيضاء، 1978 : دعوة الحق، العددان 305 - 306، عام 1394.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الداودي، القرشي بن الرغاي، مجاهد شهير بقبائل الشاوية، ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بنداود، المجاورة لأولاد بوزيزي إلى الجنوب من مدينة سطات.

ينتمي القرشي إلى أسرة تولت القيادة بقبيلته، ويبدو أنه كان خليفة لأخيه القائد الجيلالي بن الرغاي. ويظهر أن أسرة القرشي بن الرغاي كانت مرتبطة بالجماعة ارتباطاً تقديم وزعامة، ولهذا انخرط القرشي بن الرغاي في انتفاضة 1903 بالشاوية وتزعم جماعة قبيلته التي واجهت الاستغلال الرأسمالي للتجار الأجانب واليهود وسيطرة قواد المخزن.

وظل القرشي يتزعم إخوانه، إلى أن تحولت الانتفاضة إلى جهاد ضد الاحتلال الفرنسي لمدينة الدار البيضاء إثر حوادث 1907.

اشتهر القرشي بن الرغاي كقائد حربي شارك في معسارك الدار البيضاء والشاوية وخاصة في المعارك التي دارت في الشاوية الجنوبية، وقد استشهد في إحدى هذه المعارك التي جرت بمدينة سطات في 15 يناير 1908.

ع. الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894. 1910، الدار البيضاء، 1994 : وثائق الحزبية الفرنسية.

علال الخديمي

الداودي محمد بن لحضر، مقاوم ولد سنة 1930 بمدينة وجدة. دفعت به أفكاره الوطنية إلى العمل ضمن صفوف المقاومة السرية المغربية بوجدة وفاس، وشارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية مع أحمد عمر والحاج بويو من سنة 1953 إلى غاية سنة 1954.



ومن جملة الأعمال التي نفذها اغتيال بعض الخونة المتعاملين مع سلطات الاستعمار الفرنسي. ألقى عليه القبض وسجن بمدينة فاس وحاولت الشرطة استنطاقه إلا أنه فضل الانتحار بدل البوح بأسرار المقاومة واستشهد رحمه الله سنة 1954 بفاس.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، شهداء الاستقلال، 2 : 178.

الداودي، محمد بن الهادي الشكري القلعي، قائد المولى الحسن على خمس بني شكر القلعي. كان في بداية أمره شيخ فرقة بني بوغمارن المندرجة في خمس بني شكر، ثم أصبح أول قائد للقبيلة على عهد المولى الحسن بعد تفكيك نظام القيادة الموحدة التي كانت بيد المختار ألغم منذ عهد محمد بن عبد الرحمن (/ المعلمة، 10 / 3193). ومن هناك جاءت نزاعاته مع المختار ألغم والسعي للإطاحة به.

تولى القيادة على بني شكر حوالي سنة 1291. وهي السنة التي قرر فيها المولى الحسن أثناء زيارته لقبيلة قلعية اعتماد النظام الجديد القاضي بتطبيق نظام تعدد القيادات داخل القبيلة الواحدة، تلافيا لكثرة النزاعات وضبطا لاستخلاص الواجبات المخزنية.

تكونت قبيلة بني شكر آنذاك من تجمعات واد المدور من أعلاه إلى أدناه ومن أهل كتلة شبه جزيرة هرك. وفرقة بني بوغمارن من الفرق الرئيسية بالقبيلة، قاعدتها قلعة تازوطا. وإذا أخذنا على سبيل المثال ما جاء في مراسلتين، الأولى بتاريخ 12 شعبان عام 1291 والثانية بتاريخ فاتح صفر 1297، فإن القائد الحاج محمد بن الهادي وجب عليه من الأعشار ما تراوح بين 2.800 ريال في السنة الأولى و1484 ريال في السنة الثانية.

ودار القائد محمد بن الهادي الداودي كائنة بمدشر أولاد داود، من فرقة بني بوغمارن، المستقر على السفح الجنوبي من كتلة جبل أكركور القلعي بجوار إحدادن السبت، حيث ما يزال أحد أحفاده يسكن هذه الدار، وهو المدعو الطويلي الداودي.

كانت قبيلة بني شكر الخمس الأول المنفصل عن القائد المختار ألغم الجواوي، سابق الترجمة وأصبحت مثالا يحتذى لباقي أخماس قبيلة قلعية. كان مدير الحركة ضده هو بنو شكر بقيادة محمد بن الهادي الداودي، الأمر الذي أدى إلى استمرار النزاع معه إلى أن تم القبض على المختار ألغم وإيداعه في سجن العرائش.

شارك الحاج محمد بن الهادي الداودي بأمر من المولى الحسن قواد قلعية في حل مشاكل حدود مليلة التي كان يديرها عادة رجال حامية مليلة مع أهل قبيلة مزوجة. وكان منها المشكل البارز منذ 23 رجب 1300 : المترتب عن شكاية عسكر مليلة بقتل أحد الجنود، اتهم به المسمى حمو بن الطاهر النصري المزوجي، مضافا إلى دعاوي أخرى.

ولتلك الغاية وجه المولى الحسن القائد الرحالي العمري الذي بقي بقصبة جنادة سبعة عشر يوماً للإشراف على فض دعاوي الحدود، وهي مثلما أبرزتها الوثائق : دعوى حم بن الطاهر النصراوي المتهم بقتل جندي إسباني وسرقة أهل خمس مزوجة الحلايف والزروع ودعوى قتل الإسيان لأحد الشكرين بالحدادة. وحينما قدر ما ضاع من الخسائر بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على الأخماس، فكان المطلوب من بني شكر هو دفع سبعين ريالاً، تكلف الحاج محمد بن الهادي الداودي بجمعها وتسديدها. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك بن علي الديولالي، المعين في 21 شوال 1300 قائداً على الحدود واسطة بين قلعية وحاكم مليلة فيما يرجع لمشاكل الحدادة، بدل القائد حميدة ابن علي الشكري المنقول إلى قصبة عيون سيدي ملوك.

لم ينجح محمد بن الهادي الداودي من النزاعات التي كانت تشب بين القواد وأمناء القبائل، ونعرف أن أمين بني شكر هو المسمى الحاج محمد بن عبد الله الشكري. والخلاف بين الأمناء والقواد كان في العهدة مركزاً حول الاستقلال بشؤون مالية القبيلة وعدم تدخل القائد في أمرها.

هذا هو ما علمناه من خلال مراسلة 29 جمادى الأولى 1305 مما وقع بينه وبين بني شكر من البارود ومقتل بعض إخوانه وإخراجه من داره وهروبه إلى مزوجة. ولم تكن هذه نهاية الحاج محمد بن الهادي الداودي بل استمر علمنا بوجوده على رأس القبيلة إلى 26 جمادى الأولى 1307 / 18 يونيو 1890، وهو التاريخ الذي أمر به للتدخل في الصلح بين مسطاسة وبني كميل من قبائل الريف الغربي، وإلى تمث شوال 1307 / 18 يونيو 1890 حين أخبر القائد السلطان

المولى الحسن بمقتل المقدم الحضري، ثم أخفت عنا الوثائق أخباره ابتداء من هذا التاريخ.

وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ وثائق السيد الوردية ؛
وثائق الحال الطاهر محمد عالوش ؛ وثائق ميمون المختار
الداودي ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ معلمة المغرب،
نحر ميداني.

حسن الفكيكي

الداورة (واد -)، هو أحد الأنظمة الهيدروغرافية

المغربية الرئيسية ذات الجريان الحبيس، النازلة عبر سفوح الأطلس الكبير الأوسط، والمخرقة لوحدة هضاب وحامدات المغرب الجنوب الشرقي، وتغطي أراضيه مساحة واسعة من الدائرة الترابية لإقليم الرشيدية.

يشكل واد الداورة حالياً المجرى الأسفل لثلاثة أحواض نهريّة كبرى هي حوضا زيز وغريس المنطلقان من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط المعروف بالأطلس الكبير الكلبي، وكذلك حوض المعير الذي يقوم بتصريف مياه التخوم الشرقية للأطلس الصغير. ينطلق واد الداورة من نقطة التقاء هذه الأودية الثلاثة عند حاسي الرملية ليستمر نحو الجنوب مخترقاً حمادة الكمكم ثم حمادة كير قبل أن تتلاشى وتختفي معالمه عند حمادة توناسين المترامية الأطراف.

على الرغم من أهمية التغذية المائية التي تتميز بها أحواضه العليا المنطلقة من الأطلس الكبير الأوسط، فإن واد الداورة بسبب امتداده الواسع نحو الجنوب في اتجاه العروض الصحراوية الجافة، وبسبب اختراقه للحمادات الشاسعة المكونة من صخور كاربونانية في الغالب تتميز بنفاذية عالية، وبسبب الحقول والعروق الرملية التي تخلخل عناصره الهيدروغرافية وتنهك مجراه الرئيسي، لا يعرف إلا جرياناً متقطعاً ولحظياً يرتبط في الغالب بالأمطار العاصفية المحلية، ولا تصله مياه عالية إلا نادراً على النحو الذي حدث سنة 1965 بسبب فيضانات أحواض العالية. وحتى هذه الأتوات المائية الفيضية الممكنة فقد تضاعفت إمكانية وصولها خصوصاً بعد تشييد سد الحسن الداخل عند الراشيدية على واد زيز أحد الروافد الرئيسية لواد الداورة. وفي حالة حدوث الجريان فإن المياه التي يتم تصريفها سرعان ما تجد طريقها نحو السبخات التي تتخلل سطح الحمادات مثل سبخة الداورة، أو نحو الجرف لتغذي الفرشات الجوفية المختلفة التي يستغل رحل المنطقة مياهها عبر سلسلة من الأبّار المتفرقة، مثل حاسي تماسنت وحاسي محرز وغيرها.

إن الظروف المناخية الحالية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تفسر تطور هذا النظام الهيدروغرافي المغربي الواسع الامتداد. فإن تطوره في الواقع يعود إلى فترات مناخية رطبة قديمة كانت تسمح بتوفير المياه الكافية وبشكل

مستمر لتنشيط الجريان واشتغال التعرية المائية النهرية، التي مكنت من تشكيل حوض هيدروغرافي مترامي الأطراف، يمتد وسط حوضين كبيرين مماثلين هما حوض درعة الممتد عند الطرف الغربي وحوض الساور الممتد عند الجانب الشرقي والذي يتميز حالياً بنفس خصائص حوض الداورة.

من الناحية البشرية، فإن امتداد واد الداورة عند المجال الصحراوي القاحل يجعل منه منطقة فراغ سكاني حقيقي، لا تتجاوز عنده الكثافات السكانية 5 نسمة/ كلم في أحسن الأحوال، تتركز فيه الحياة البشرية المعتمدة على الترحال المرتكز على غط الرعي الخفيف حول نقط الماء التي تختفي تدريجياً في اتجاه الجنوب بسبب تزايد درجة شح المياه وتقدم تدهور جودتها.

الحسن المحداد

داوينة Davina، واد ذكره الجغرافي الرافيني *La Géographie de Ravenne*، الذي وضع كتابه في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن الميلادي. وهو آخر ما وصلنا من المصادر اللاتينية حول جغرافية المغرب القديم. إن الكاتب يسمي المغرب القديم أحياناً بموريطانية الطنجية، وأخرى بدعوه موريطانية الغاديسية Mauretania Gaditana، نسبة إلى مضيق جبل طارق الذي يدعوه Septem Gaditanum، وهو بدوره ينتسب إلى مدينة غاديرة Gadera أو غاديس Gades في إسبانيا.

تحدث الكاتب عن وادي داوينة في مجال موريطانية الطنجية (الفقرة التاسعة من الفصل الثالث). فبعد إحصاء المدن التي أدرجها في هذا السياق وعددها 18 موقعا، أضاف ما يلي : "إن هذا البلد تسقيه وديان من بينها توربولنتا Turbulenta، الذي يدعى أيضا داوينة". والملاحظ أن ما أورده الكاتب في هذا السياق من المدن والنهر، لا نجد له ذكرا في بقية المصادر المعروفة حول تاريخ المغرب القديم باستثناء مدينة طنجة Tingis.

والكاتب نفسه تحدث في سياق آخر عن المغرب القديم (الفقرة الحادية عشرة من الفصل الثالث والفقرة الرابعة من الفصل الخامس)، وذكر بعضا من وديانها المعروفة في مصادر أخرى، وبعض المدن التي وردت في مسالك أنطونينوس *Itinéraire d'Antonin*، حيث نتعرف على المحطات والمدن التي تخترقها الطرق الرومانية في القرن الثالث الميلادي.

وأغلب الظن أن الكاتب أخطأ في إدراج الوادي المذكور بموريطانية الطنجية. وهذا ما لاحظته الباحثة موريث أوزينا عن المدن الثمانية عشرة التي وردت في المصدر، في السياق الذي ورد فيه واد داوينة (انظر مادة دراكونيس). وأيا ما كان الأمر، فهناك ملاحظة حول هذا الوادي الذي يحمل اسمين : توربولنتا - داوينة. إن هذه الظاهرة

معروفة في نصوص أخرى قديمة بالنسبة لبعض الوديان. يتعلق الأمر بواد ديريس Dyris، وهو غير معروف حالياً، قيل إنه ينبع من جبال الأطلس ويدعى أيضاً أغير Agger (Vitruve, 8, 2, 6). ثم وادي دارا Dara (هو درعة الحالي) الذي يدعى أيضاً نهول Nuhul (Orose, 1, 2, 13).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane dans Pline, H.N., V. 2 - 18, Antiquités africains*, 25, 1989.

محمد مجدوب

داي مدينة قديمة بوسط المغرب اندثرت وقامت على أنقاضها مدينة بني ملال الحالية. والمعروف عند الرحالة والمؤرخين العرب في تسميتها أنها مثل "داء" وزناً ومعنى، لما عُرفت به من وخم الهواء وتعدد الأمراض لكثرة ما بها من عيون وشلالات، وما يتبع ذلك من مستنقعات. مثل ما نجده عند الحسن اليوسي في *المحاضرات من قصص وإنشادات*، كقوله :

ألا ليت شعري هل أبيتُ ليلَةً بسهب الشنين أو بسهب بني وركا وهل تعبرن نهر العبيد ركائبني وهل تتركُن دايًا وأدواءَها وركا

إلى أن جاء أخيراً المستشرق غوتيي Gauthier ونشر سنة 1926 في مجلة هسبريس مقالا بعنوان مدينة *أوداي* أي مدينة اليهودي، وراج هذا الافتراض على ما به من تحمل.

أما عن تاريخ "داي" فالمشهور أنها من إنشاء المرابطين في القرن الخامس (11 م) إلا ما ذكره البكري في *المسالك والممالك* أن يحيى بن إدريس اختص بداي وما حولها من البلاد بعد وفاة إدريس الثاني وتوزيع الأقاليم على أبنائه سنة 213 وإذا صحت هذه الرواية فيكون المرابطون قد جددوا دايًا حتى لكانهم أنشؤوها إنشاءً. وهناك من يخلط بين داي ومؤسسة عمرانية مرابطية أخرى في تادالا هي تآكرات القريبة منها. حسبهما بعضهم شيئاً واحداً، وزعم آخرون - اعتماداً على رواية شفهية عامية - أن يوسف بن تاشفين حَرَّب دايًا وبنى على أنقاضها تآكرات. والواقع أن مدينة داي وقلعة تآكرات عمارتان متجاورتان مستقلتان كانتا معاً قائمتين في عهد المرابطين والموحدين. فدائي كما وصفها الشريف الإدريسي في *نزهة المشتاق* واقعة "في أسفل جبل خارج من جبل درن... وهي صغيرة لكنها كثيرة العامر، والقوافل عنها واردة صادرة" ويبدو أنها التي يعني صاحب *الاستبصار* بقوله : "وبنى فيها - تادالا - المثلثون حصناً عظيماً منيفاً وهو الآن معمور فيه الأسواق والجامع"، في حين كانت تآكرات قلعة عسكرية أقرب إلى الجبل كما تقتضيه طبيعتها. وهناك نص البيهقي في *أخبار المهدي* الذي لا يدع مجالاً للشك في وجود المؤسستين معاً، إذ وصف عن مشاهدة استيلاء الموحدين على تآكرات ثم على داي.

وعن نهاية مدينة داي يحددها نص *التشوف* في سنة

559 / 1163 ويقول إنه طرأ على أهلها في هذه السنة ما طرأ وافترقوا في البلدان. وإذا كان سبب خراب داي غير معروف فقد افترض الأستاذ أحمد التوفيق - أخذاً من إشارات متناثرة في *التشوف* - أن يكون ذلك بسبب ثورة المرابطين المتوافرين في تادالا وتأييدهم للمسمى "عتاب" الذي قد يكون رام انتزاع السلطة من يد الموحدين بعد موت عبد المومن في السنة السابقة. وأضيفُ تأييداً لهذا الافتراض أمرين : الأول ما عُرف من كراهة أهل دادي لنحلة الموحدين وخروجهم عليهم المرة تلو الأخرى، وذلك ما يُفهم من تكرار فتح تادالا ودادي في عبارات ابن القطان في *نظم الجمان*، كقوله في أنباء سنة ست وعشرين وخمسائة : "ثم تحرك رضي الله عنه إلى داي مرة ثانية وردّ سرية إلى بلد هزجة وهم غافلون، فقتلهم قتلاً ذريعاً". الثاني ما يُستشف من مختلف المصادر التاريخية أن السنتين الموالتين لوفاة عبد المومن يحيط بهما الغموض لشدة الاضطرابات وتوالي المؤامرات حتى من طرف أبناء عبد المومن أنفسهم، بحيث لم يبايع أبو يعقوب يوسف بيعته الجماعة إلا يوم الجمعة ثامن ربيع الأول عام 560 / 22 يناير 1165.

هكذا تكون داي عاشت كحاضرة لتادالا نحو مائة وسبعين سنة، تمتعت خلالها برفاحية العيش بسبب موقعها الاستراتيجي وسط البلاد، وعلى الطريق الرئيسية بين الشمال والجنوب وحاضرتيهما فاس ومراكش، وبسبب خصب تربة أراضيها ووفرة مياهها، كما امتازت بوفرة علمائها وصلحائها، فقدت بذلك المركز الثقافي اللامع في منطقة تادالا، واشتهر أعلامها بنسبتهم التادالية، ولم يُنسبوا إلى داي مباشرة، ربما لما يُشعر به هذا الاسم من داء ووباء، فيقال للواحد منهم تادلي من دادي، أو تادلي أصله من داي. وقد عم إشعاع مدينة داي الفكري والديني كل مراكز تادالا المحيطة بها كمدينة تادالا العتيقة على مرحلة منها، وعين الحوت في شمالها الغربي، وقلعة تآكرات التي تدعى أيضاً محلة داود نسبة إلى القائد المرابطي داود بن عائشة، ويسمىها البيهقي تآكرات متاع داود. وقرية نضير المعروفة اليوم بدواي أولاد عبد الله. كل هذه المراكز وغيرها من مواقع التجمعات السكنية في تادالا كانت على صلة قوية أو ضعيفة بداي، تستمد منها وتلتجئ إليها في التعليم والتربية الروحية والأحكام الشرعية.

قد تكون داي هي مسقط رأس الصوفي الكبير يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات مؤلف *التشوف*، فوالده العالم الصالح يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي قضى حياته في داي، ولم يغادرها إلا عندما وقعت الواقعة التي شتتت شمل أهلها، وتدل رواياته وأخباره وإنشاداته في *التشوف* على معرفة واطلاع ودقة ملاحظة لمدينة داي. ثم التحق مع من التحق من أهلها بمراكش حيث تجسّعوا في

جانبها الشرقي، ومعهم علماءهم وصلحاهم أمثال أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي، ومحمد بن تميم الزناتي التادلي، ويحيى بن أبي بكر عبد الله التادلي الذي قرأ عليه هناك الصبي المهاجر يوسف بن يحيى التادلي الذي سيخلد في تشوفه أخبار الصالحين في داي وتادلا ودكالة ومراكش وسائر الجنوب المغربي.

أ. البكري، المسالك والممالك، بيروت، 1992؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، لندن؛ أ. البيذن، أخبار المهدي، الرباط، 1971؛ مجهول، الاستبصار، تج. سعد زغلول عبد الحميد الاسكندرية، 1958؛ ي. التادلي، التشوف، تج. أ. التوفيق، ط 2، الدار البيضاء؛ م. الحميري، الروض المعطار، تج. إحسان عباس، بيروت، 1978؛ ح. اليوسي، المحاضرات، تج. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982؛ الملتقى العلمي لمنطقة تادلا، تادلا، التاريخ، المجال، الثقافة، أبريل، 1992، منشورات كلية الآداب بني ملال، الدار البيضاء، 1993.

E.F. Gautier, *Medinat - ou - Daï, Hesp.*, 1926.

محمد حجي

الداي ولد سيدي بابا، ولد في مدينة أطار

بموريتانيا سنة 1340 / 1921، وبها تعلم وترى في بيت صلاح وعلم وأدب، فدرس القرآن الكريم ومختلف العلوم السائدة في ذلك الوقت على يد علماء أجلاء، كما درس اللغة الفرنسية والعلوم العصرية بالمدارس التي كان الاستعمار قد أنشأها. وكان شغوفا بالمطالعة لا يفتر عنها ليل نهار، وخصوصا فيما يتعلق بكتب التاريخ. ولما أصبح شاباً يافعاً، دفعته غيرة الوطنية إلى المساهمة في النضال الوطني الشاق الذي كان يخوضه أبناء موريتانيا من أجل



التحرير من الاستعمار وتحقيق الوحدة مع المغرب. وكان الداى ولد سيدي بابا يؤمن إيماناً قاطعاً بوحدة المغرب من طنجة إلى نهر السينغال، لذا فهو بعد عودة محمد الخامس من المنفى والتوقيع على وثيقة الاستقلال، كان متيقناً، كما أكد لي ذلك، أن باقي أطراف المغرب في الجنوب لا محالة ستلتحق بشماله، فكان ذلك سبباً في وفوده إلى الرباط سنة 1958، لمتابعة الكفاح، بعيداً عن المناورات الاستعمارية.

وبمجرد قدومه، عينه محمد الخامس مستشاراً بوزارة الخارجية، ولم يمض عليه في هذا المنصب سوى سنة واحدة حتى رُقي إلى رتبة مدير لقسم إفريقيا سنة 1959 بنفس الوزارة؛ ثم عين سفيراً للمغرب ببغينيا سنة 1961 وظل يشغل هذا المنصب إلى أن تم تعيينه سنة 1963 سفيراً مساعداً للمندوب الدائم لدى الأمم المتحدة وممثلاً للمغرب بمجلس الأمن الذي أسند له سنة 1964 رئاسة لجنة التحقيق في حوادث الحدود بين الفيتنام والكامبودج، ثم عُيّن، بعد ذلك، من قبل نفس المجلس، عضواً في لجنة الخبراء المكلفة بالتحقيق في مشكلة العنصرية بإفريقيا الجنوبية؛ ثم رُقي ابتداءً من 1965 إلى منصب ممثل دائم للمغرب لدى الأمم المتحدة، بينما قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة في السنة التالية بانتخابه نائباً لرئيسها.

بعد ذلك، عاد السيد الداى إلى المغرب حيث عُيّن وزيراً بالديوان الملكي، وبقي يشغل هذا المنصب إلى أن وقع تعيينه سنة 1971 سفيراً لبلاده بالملكة العربية السعودية، ثم عاد إثر ذلك إلى المغرب سنة 1972 ليتقلد منصب مدير للديوان الملكي.

وفي شهر ماي 1973، أسندت إليه وزارة التربية الوطنية، ثم في سنة 1974، عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، وظل يعمل بها إلى غاية سنة 1977، حيث تقدم للانتخابات البرلمانية بصفته عضواً في اللجنة التنفيذية للتجمع الوطني للأحرار، فانتخب نائباً برلمانياً، ثم انتخب رئيساً للبرلمان، وظل يشغل هذه الرئاسة طيلة ست سنوات. كان السيد الداى بذكائه وطيبوبته واستقامته محط إعجاب كل من عاشروه أو عملوا معه، كما كان يُشهد له بالباع الطويل في الميدان الدبلوماسي، وبالإخلاص للواجب الملقى على عاتقه في جميع المناصب العليا التي شغلها.

ومما قاله المرحوم الحسن الثاني لأبناء السيد الداى حينما جاؤوا يعزونه في فقدان والدهم: "إن المثال الذي ضربه السيد الداى يعزّ نظيره سواء حينما اختار المجيئ للمغرب وسمح في الشيء الذي كان يمكنه أن ينتظره في مكان آخر، أو بعد التحاقه بالمغرب من خلال سيرته التي بقي محافظاً عليها عشرات السنين، والحقيقة أن السيد الداى كان يحظى باحترام الجميع... لقد كانت له بالفعل

مكانة فريدة من حيث النزاهة الفكرية والمادية، وكان قبل كل شيء رجلاً لا يسعى إلا وراء الفضيلة...".

توفي السيد الداوي ولد سيدي بابا إثر مرض طويل يوم 21 ربيع الأول عام 19/1413 سبتمبر عام 1992 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

بحث ميداني ومعرفة شخصية : جريدة الميثاق الوطني.

محمد الشياطي

الداوي، ويكتب الدَّيرِي. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Aldeire ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

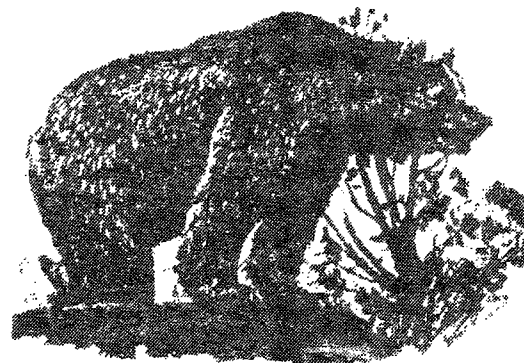
م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 655.

الدايز أو ابن الدايز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث ما زال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Adaiz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ولم يبق منها إلا زقاق يعرف بالسماط الدايز يقع بحومة السوق.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 656.

محمد ابن عزوز حكيم

الدب الأسمر بالمغرب، حيوان ثديي لاحم من فصيلة الدببات Ursidae، كبير وثقيل يزن 250 - 300 كيلوغرام، ويبلغ ارتفاعه عند الغارب 125 سم. يعيش على أخمص أقدامه. يُجمع على دبة وأدباب. يسمى علمياً أورسوس أركتوس Ursus arctos Linnaeus, 1758. كان يعيش في مغارات جبال الريف وجبال الأطلس ويُحتمل انقراضه في المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، الناتج عن شدة مضايقته من طرف الإنسان. يسمى بالأمازيغية أبوباز وأباباز وبالفرنسية Ours brun وبالإنجليزية Grizzly bear



الدب الأسمر

Brown bear وبالإيطالية Orso bruno.

ذكر الدب الأسمر من بين وحيش المناطق المغاربية لأول مرة في التاريخ من طرف الباحث شاو Shaw سنة 1800. وقد أعطى Blyth سنة 1941 وصفا علمياً دقيقاً لهذا الدب من خلال جثة عثر عليها في سفوح جبال تطوان ولم يحتفظ بجلده. وقد أدت مراجعة هذا الوصف بالعالم Schinz سنة 1844 إلى تمييز ضرب جديد للدب الأسمر وأطلق عليه الاسم العلمي Ursus arctos crowtheri. يبقى هذا المقال الدليل الوحيد لوجود الدب الأسمر بالمغرب يتعامل به بعض الباحثين في مجال علوم الحيوانات، إلا أن العالم Lataste يشك في هذا المقال ويسانده في ذلك Cabrera (1932) الذي ينفي قطعاً وجود الدب على التراب الوطني خلال القرون الأخيرة بعد أن تيقن من عدم ذكر هذا الحيوان في تقاليد المغاربة ولا في مذكرات الصيادين المعاصرين للقرن الثالث عشر.

وقد أكدت علوم الحفريات وجود الدب الأسمر في المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ، وخاصة منها أواخر عهد الحجر المنحوت Paléolithique supérieur ويحتمل انقراضه في عهد الحجر المصقول Néolithique. يوجد بحدائق الحيوانات العمومية الوطنية بعض العينات من الدب الأسمر الأوربي الأصل.

S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. Rabat, 1986 ; A. Cabrera, *Los Mamíferos de Marruecos*. Trab. Mus. Nac. Cien. Nat., *Série Zoolog.*, 57 ; E. Ennouchi, *Les Ursidés marocains*. Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc, 37 ; E. Blyth, *Letter from...*, Poc. Zool. Soc. London, 9 ; G. Shaw, *General zoology or systematic natural history, Mammalia*, 1 : 311 - 312.

نجاة الخياطي ومحمد رضاني

الدَّبَّاع، أسرتان شريفتان حسنيتان يتصل نسب كل منهما بإدريس بن إدريس. تتصل الأولى به عن طريق ولده داود، ولعلها اتسمت بهذا اللقب عن طريق احتراف أحد أبنائها بحرفة الدباجة فلصقت به وبأولاده من بعده، وإليها ينتمي الشيخ عبد الواحد الدبَّاع المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، المنتسب إلى الطائفة الدرقاوية، وصاحب الزاوية بحي السياج إزاء درب ابن زيان بفاس قبالة سيدي أحمد ابن ناصر قريبا من سوق ابن صافي.

أما الثانية فيرتفع نسبها إلى عيسى بن إدريس بن إدريس الذي كان والياً على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما يتصل بها.

قدم هؤلاء الدبَّاعون من غرناطة إلى مدينة سلا في أواخر المائة السابعة، وكان أول قادم منهم هو جدهم أبو العباس أحمد بن أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن عمر. وأبو القاسم محمد المذكور هو الذي تصدّرت به شجرتهم المقيدة في أواسط القرن السابع والمتسلسلة على

ولما قدم أبو العباس إلى مدينة سلا لقي ترحاباً كبيراً من لدن أهلها ومن أمراء الدولة المرينية وأكرموه وبنوه إكراما جزيلا، ووفروا لهم الإقامة ومنحهم بعض الجرايات التي يستعينون بها على مواجهة الزمان ومقاومة الغربة. وكان من بينها مستفاد دار الديبغ بهاته المدينة فنسبوا إليها منذ ذلك الحين وأصبحوا يعرفون بالديباغين، ولما ارتحلوا من مدينة سلا إلى مدينة فاس ومدينة مراكش صاروا يعرفون بالشرفاء الديباغين والشرفاء السلاويين، وكانوا حريصين على تقديم الوثائق الكفيلة بإثبات نسبتهم وحصر أفراد أسرتهم معتمدين في ذلك على ما نقلوه من الشهادات والاعترافات المضبوطة ضبطا توثيقيا، ومجددين لها من لدن أهل المعرفة والعدالة، ولقد أشار سليمان الحوات في كتابه الذي خصه للتعريف بالديباغين الذين سكنوا حي العيون بمدينة فاس المسمى بقرة العيون في الشرفاء الديباغين القاطنين بالعيون إلى أنه رأى بأيديهم رسما مؤرخا بزمان إقامتهم في سلا شهد لهم فيه بالنسب الشريف جماعة من أعيان المغرب وخصوصا عدول طنجة وفيه تسجيل قاضي طنجة وإعلامه بإعماله لقضاة الوقت وهو الشيخ الفقيه العالم علي بن عبد الله بن طاهر، وتسجيلات أخرى تتضمن إعلانات بالاستقلال والإعمال وحق الخطاب لقضاة الوقت من أهل بلدان متعددة.

وكان للشيخ عبد العزيز أخ اسمه العربي يعتبر الجد الأعلى للأسرة الدباغية التي توجهت إلى الحجاز فإليه يرجع نسب السيد مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب ابن العربي الذي توجه هو وأولاده إلى الحجاز فأقاموا هناك

ولهؤلاء الدباغين الحجازيين مجلس عائلي يتداولون فيه شؤون الأسرة ويتكلمون بحل مشاكلها وإعانة محتاجيها ويجددون فيه الربط مع أقاربهم وأصهارهم، وصاروا في الوقت الحاضر يفكرون في توسيع اختصاص هذا المجلس وذلك بإدخال بعض أبناء عمومته بالمغرب فيه، وإحياء الروابط الأسرية الجامعة بين الدباغين بالمغرب والدباغين بالمملكة العربية السعودية. ولا يفرقون في ذلك بين من كان



ينتمي من الدباغيين إلى داود بن إدريس، أو بين من كان ينتمي منهم إلى عيسى بن إدريس، وتلك ميزة كبرى تهدف إلى تحقيق الدور الأساسي من التكافل الاجتماعي الذي ينبغي أن تتحمله كل أسرة على حدة للتخفيف من الأعباء التي تلقى عادة على المسؤولين، وقد كتب رئيس مجلس العائلة الشريف عبد الله محمد علي في 4 مارس سنة 1992 رسالة إلى كاتب هذا البحث أقتطف منها ما يلي : "إن أسرة آل الدباغ في السعودية انحدرت من الجد السيد مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب الدباغ الذي انتقل إلى الحجاز واستقر بها إلى أن توفاه الله، وبلغ عدد أفراد هذه الأسرة وأقاربهم ما يقرب من أربعمئة نسمة يتم لقاءهم في اجتماع سنوي عام يعقد عادة في اليوم الثاني من شهر شوال خلال إجازة عيد الفطر ليتمكن أكبر عدد منهم حضور هذا الاجتماع الذي يهدف في المقام الأول إلى صلة الرحم وتبادل الرأي في كل ما يعود على الأسرة بالخير، وحيث إننا نرغب في توثيق الاتصال ودعم الأواصر بين أفراد الأسرة بالملكة العربية السعودية وبين أقربائهم في المغرب فإنه يسعدنا أن نستضيفهم لاجتماع الأسرة هذا العام" الخ...

وهناك شرفاء دباغيون نزحوا من المغرب واستقروا في شرق الأردن وفي فلسطين وفي الكويت وفي مصر وهم أيضا يحنون إلى ربط صلتهم بأصولهم، يوجد منهم الأستاذ حسن علي الذي وجه إلي سنة 1958 رسالة أبدى فيها رغبته في تتين الأواصر بينه وبين أصوله في المغرب وهذا الشريف كان يعمل أستاذاً محاضراً مساعداً للغة العربية في معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة درم (The Durham college).

وعلى كل حال فإن الأسرة الدباغية اشتهرت في المشرق والمغرب، إذ أنها كانت قدوة في العلم والصلاح، أذكر منها على سبيل المثال الفقيه عبد القادر الدباغ مفتي الديار المراكشية الذي كان أستاذاً للملك محمد بن عبد الرحمن، وأخاه السيد عبد الخالق الذي توجه إلى الصحراء في وفد خاص للاتصال بأحمد البكاي رئيس الطائفة المختارية، والشريف محمد بن عبد الحفيظ بوطربوش الذي كان له كرسي بضريح المولى إدريس بفاس لسرد الشفا والتعليق عليه، وغيرهم ممن سنخصص لهم ذكراً أثناء التعرض للتعريف بهم في هذه المعلمة.

م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجر فاس، 1300 : إ. الفضيلي، الدرر البهية، ج. 2 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 1، ص. 222 : ابن أبي زرع، القرطاس، ج. 1، ص. 217 : الهاشمي الفيلاي، الرباط : معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج. 1، ص. 217 مادة الأدب : قرة العيون في الشرفاء الدباغيين القاطنين بالعيون، مخطوط : أ. السجلسماسي، الإبريز : ل. بروثفصال، مؤرخو الشرفاء، تر. عبد القادر الخلاوي : أ. الشباني، مصابيح البشرية في أبناء خير البرية : عيسى العربي، قبيلة أيت

عتاب، البيضاء : م. م. بن عبد العزيز المراكشي السجلسماسي، تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب، مخطوط.

محمد. العزيز الدباغ

ابن الدباغ، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وكان جل أفرادها بحارة بحامية تطوان سنة 1246 / 1830 وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان 1999 : المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 236.

محمد ابن عزوز حكيم

الدباغ، أحمد بن علي من الشرفاء الدباغيين المراكشيين، اعتقده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام جرياً على عاداته في التبرك ببعض أهل الخصوصية والانتساب، كما هو الحال بالنسبة إلى اعتقاده في الشريف الدباغ المعروف بمحمد البركة المتوفى بالوفاة في يوم واحد مع أحمد بن علي المذكور.

دفن أحمد بن علي بباب أغصات أحد أبواب حمراء مراكش ودفن محمد البركة بروضة باب الدباغ قبلة العين الجارية هناك.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 2، ص. 409 : ج. 6، ص. 294.

الدباغ بوطربوش، إبراهيم بن الشيخ محمد بوطربوش الدباغ أتى الترجمة قال عنه في إتحاف المطالع : "كان علامة مشاركاً محدثاً، له فهرسة جمع فيها أشياخه". توفي رابع قعدة عام 1329 / 27 أكتوبر 1911. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2864.

الدباغ بوطربوش، محمد بن عبد الحفيظ اشتهر بلقبه بوطربوش، علم من أعلام التصوف أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، اشتهر بأخذه عن الشيخ عبد القادر العلمي دفين مكناس، كان حاداً الذكاء، كثير العبادة، قادراً على توليد المعاني من النصوص رغم كونه كان أمياً، وهذه ظاهرة يسجلها المؤرخون عن عدد من أفراد أسرة الدباغ. قال عنه محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس : "إنه كان رحمه الله أمياً، وكان مع ذلك يتكلم في حقائق التصوف وأسرار الكتاب، فيأتي في ذلك بما يدهش العقول ويحير الألباب." وقال عنه إدريس الفضيلي في الدرر

البهية : "إنه كان آية باهرة في المذاكرة وحسن المحاضرة وله فهم ثاقب في الحديث، على أنه لم يلزم في صغره مجالس علم، ولا عانى تعلم نحو ولا غيره مما يعين على تحصيل ذلك، إلا أنه لازم سرد الحديث والسير وكتب القوم حتى صار له في ذلك رسوخ قدم وطول باع، مع الإكثار من الأذكار والأوراد، آناء الليل والنهار".

ورغم كونه كان قدوة حسنة في سلوكه، ومربيا مرشدا لكثير من أصحابه فإنه لم يرد أن يجعل لنفسه زاوية خاصة، وإنما كان يلتقي بمريديه في المساجد والدور والبساتين، ويكثر الجلوس بمسجد القرويين والضريح الإدريسي وزاوية سيدي عبد القادر الفاسي. وأخذ عنه جماعة من العلماء والفضلاء منهم من أخذ الجانب الصوفي كمولاي الكامل بن عبد الله الأمراني الذي استمد منه الطريقة الناصرية ومنهم من أخذ عنه دروسا موضوعية في التفسير والحديث وقد نبه إلى بعض هذه الدروس العلمية الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني.

ومن المجالس العلمية التي كان يقوم بها مجلس للبخاري يسرد عليه بزاوية عبد القادر الفاسي أشار إليه محمد بن جعفر الكتاني في السلوة وقال بعد ذكره : "وكنا نجالس فنتسمع من الكلام على الأحاديث وآيات القرآن وكلام القوم ما يهر العقول". ومن المجالس التي كان يقوم بها مجلس لتدريس موطا الإمام مالك وقد استفاد من هذا المجلس الفقيه محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي.

توفي يوم الثلاثاء سابع محرم عام 1291 / 24 فبراير 1874 ودفن بضريح عبد القادر الفاسي، ولم يودع الحياة إلا بعد أن خلف ستة أبناء اشتغلوا بتحصيل علمي الظاهر والباطن. ومازال عقبه حتى الآن بفاس يعرفون بأولاد بوطريوش الدباغ حسب ما هو مدون في سجلات الحالة المدنية.

م. الكتاني، سلوة، ج. 1، ص. 329 ؛ إ. الفضيلي، الدرر البهية، ج. 1، ص. 152 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7، ص. 142 ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2650 ؛ م. المنوني، مجلة المناهل، العدد 36.

الدباغ، عبد الخالق بن أحمد، من أفراد الأسرة الدباغية القاطنين بمدينة مراكش، كان فقيها صالحا ومدرسا نافعا، انتسب إلى الطريقة المختاركة الكتبية وترأس زاويتها بهذه المدينة، وكانت بينه وبين أحمد البكاي حفيد المختار الكتني الجد علاقة وطيدة زادت رسوخا حينما توجه إلى الصحراء، واستمد منه الورد وأتى به إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام.

كان في غالب الأحيان يتولى نشر آراء صاحبه أحمد البكاي في مختلف المجالات، ويتلقى منه الرسائل المتعلقة بالتصوف وغيره، ومنها رسالة تشتمل على إظهار موقف

أحمد البكاي من الكتاب الذي ألفه محمد بن أحمد أكنسوس في تاريخ العلويين المسمى بالجيش العرمم الحماسي في دولة أولاد مولاي علي السجلماسي، فقد لاحظ فيه وجود بعض الهفوات، وارتأى تسجيلها في وريقات وأرسلها إلى السيد عبد الخالق ليتولى تقديمها للمؤلف، ولما بلغه أن المؤلف لم يستسغها كتب ردا آخر سماه فتح القدوس في الرد على أكنسوس.

والظاهر من هذا العنوان أن البكاي لم يكن عنيفا في رده بخلاف ما جاء في بعض الردود التي قام بها بعض المعارضين للمؤلف، فإنها كانت تتسم بالعنف كالرد المسمى الطالع المنحوس في الرد على أكنسوس وكالرد المسمى الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجروفي، الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس.

والغالب أن السيد عبد الخالق الدباغ لم يكن يحمل عدا لأكنسوس في إبراز بعض ما جاء في رد أحمد البكاي من الجزئيات العلمية الخالصة التي لا تصل إلى حد الإضرار بشخصية المؤلف.

ومن هذه الجزئيات كون المؤلف كان يخطئ أحيانا في تحديد أسماء بعض المؤلفات أو في تحديد مضمونها. فمن النوع الأول ما ذكر من أن محمد الصغير اليفرنى ألف كتابا في تاريخ المولى إسماعيل سماه الظل الظليل في مفاخر مولانا إسماعيل في حين أن الاسم الذي سماه به مؤلفه هو الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل الشريف أو روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف ومن النوع الثاني عده كتاب صفوة الأدب لأبي العباس الجراوي من كتب التاريخ، في حين أنه كتاب أدب جامع لمنتخبات من الأشعار على نسق كتاب الحماسة لأبي تمام.

والواقع أن مثل هذه الهفوات يمكن معالجتها بالنقد النزيه دون أن يصل إلى حد السباب والتجريح، ولعل السيد عبد القادر الدباغ كان من أنصار هذا الاتجاه نظراً لما عرف به من سداد الرأي وحب النصيحة ونشر الأخوة بين الناس، وليس له يد فيما قام به أولئك المعارضون الأشداء الذين واجهوا المؤلف بالشتم والسباب.

وكان للمترجم أخ عالم شهير يعرف بسيدي عبد القادر الدباغ حدد المؤرخون وفاته سنة 1265 / 1848 ، أما مترجمنا هذا فلم تحدد المصادر التي اطلعت عليها تاريخ وفاته.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7، ص. 11 ؛ ج. 8، ص. 53 ؛ ج. 89، ص. 266 ؛ ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، ج. 2، إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص. 534.

محمدع. العزيز الدباغ

الدباغ، عبد العزيز بن مسعود الفاسي، الشيخ الصالح الشهير عُرف بالصلاح والنسبة إلى التصوف

والمشيخة، شريف إدريسي حسني، ذكر مؤلف الدر السني أن شهرة أهله بالدباغين ليست نسبة إلى حرفة صنع الدباغ، أو ديبج الجلود، وإنما السبب هو كون أجداده قد عين لهم أمراء من بني مرين مرتباً من دار الدباغ لما كانوا بسلا بحسب ما ورد في ظهير ينص على ذلك مؤرخ بعام 790 / 1388. ويذكر نفس المصدر أن قدوم هذه الأسرة على فاس كان أول المائة التاسعة. (نشر، 3 : 245).

كتب أحمد بن مبارك اللمطي (تـ. 1156 / 1743) من كبار علماء فاس في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) كتاباً عنوانه الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز أو الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز أورد فيه معلومات عن نشأة هذا الشيخ وعن مشيخته وعلاقته معه كمريد له بصفة خاصة، والأسئلة التي ألقاها عليه والأجوبة التي تلقاها عن تلك الأسئلة فيما يتعلق بمواضيع حيرت علماء "الظاهر" مما يتصل بالحديث والقرآن وكلام شيوخ التصوف والأخرة وقضايا تتعلق بالظلمانية والنورانية الباطنيتين ولا سيما دور الباطن النبوي والمقام المحمدي في احتواء أسرار الأحوال والمقامات التي يتحدث عنها الصوفية.

أراد العالم اللمطي أن يبين أن شيخه الدباغ وهو الرجل الأمي قد أوتي علماً لديناً، وذلك من خلال آراء إما أنها توافق ما ذهب إليه كبار العلماء أو أنها تأتي بتفسير ظواهر لم يصل بشأنها العلماء إلى توضيحات مقنعة. فجاء هذا التأليف سجلاً فريداً من نوعه لقضايا قلماً صرح بمثلها الصوفية السابقون أو المتأخرون أو قلما تناولوها بأسلوب عادي مثل الأسلوب المباشر الحالي من الألفاظ كما في كتاب الإبريز.

يظهر الشيخ الدباغ من خلال الإبريز ودوداً لطيفاً فطرياً فياض الخاطر واثقاً بما يتكلم عنه. وقد تضمنت مقدمة الكتاب إشارات إلى بداية تعلقه بعالم الروحية على يد شيخ دبر تزوج أمه فارحة بوالده متنبئاً لهما بمولود توفي هو قبل مجيئه، وهو عبد العزيز هذا الذي تلقى تركة من الشيخ المذكور هي عبارة عن شاشية وحذاء سنة 1109. بحث الدباغ عن الشيوخ واتصل بعدد منهم إلى أن لقي شخصاً لقنه سنة 1121، وعرف فيما بعد أنه الرجل المعروف عند الصوفية بالخضر. وبعد أربع سنوات وقع له الفتح، أي في سنة 1125. وفي نفس السنة اجتمع به ابن مبارك اللمطي. وفي عام 1129 بدأ هذا التلميذ العالم في وضع تقايد عن محاوراته وعلاقته مع الشيخ فحصل منها كتاب الإبريز.

يذكر الدباغ من شيوخه أسماء أشخاص لقيهم بطريقة غير عادية، ومنهم رجل اسمه عبد الله البرنوي ليس هو شيخ أحمد اليمني المتقدم عنه.

يظل الأثر النفيس للدباغ هو كتاب الإبريز، وإن كان له مريدون في وقته، فهو لم يخلط طريقة مشهورة. ولكن الكتاب نموذج لمحتوى شفوي يتحول إلى نص مكتوب، كما

أن علاقة اللمطي بالدباغ علاقة تتلمذ عالم اصطلاحى على رجل أمي، لا تتلمذ باطن فحسب بل في أمور تتصل بالمعرفة الاصطلاحية. لذلك فالاعتناء بهذا الكتاب اعتناء واضح يظهر في تعدد مخطوطاته وطبعاته.

توفي عبد العزيز الدباغ بفاس عام 1132 / 1720 ودفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار بين دراس بن إسماعيل وعلي صالح. وبنيت عليه قبة.

أ. اللمطي، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، بيروت، لبنان؛ نشر أيضاً بتحقيق : م. عدنان الشماخ، في جزأين، دمشق، 1984 : م. القادري، نشر الثاني، ج 3، 245 - 246 : م. الكتاني، سلوة، ج 2، 197. 204.

زكية ازوانات

الدباغ، عبد القادر بن أحمد الحسني، من علماء مراکش في القرن الثالث عشر الهجري، كان مدرسا بارعا، وموجها موفقا، له خبرة بالفقه وقدرة على الإفتاء، وكان من أشياخ السلطان محمد بن عبد الرحمن في قراءة الصحيح في الأشهر الثلاثة الفاضلة وقت خلافته الصغرى. استفاد طلبه العلم من مجالسه التي كان يدرس في بعضها التفسير والفقه، ويحلل في بعضها حكم ابن عطاء الله. أخذ عن جماعة، منهم علي بن الفاضل بن مريدة السمرغيني المنتمي للزاوية الدرقاوية المتوفى عام 1304 / 1886 دفين بباب أغمات.

وما يذكر في ترجمته أن القاضي محمد بن محمد بن عاشور قاضي الجماعة بمراكش كان رغم ما اشتهر به من اعتداده بنفسه يتوجه إليه ويستفهمه في بعض القضايا النازلة ويحكم بمقتضاها.

توفي عام خمسة وستين ومائتين وألف / 48—1849 ودفن بمين قبة سيدي يوسف بن علي خارج باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 8، ص. 456 : ج. 6، ص. 255 + 381 : ج. 9، ص. 297 : م. ابن الموقت، السعادة الأبدية، ج. 1، ص. 48.

محمد. العزيز الدباغ

الدباغ، عبد الله بن عبد الواحد بن علال

ابن إدريس الحسني الفاسي. ولد في حدود عام 1190 / 1776 واشتغل بتحصيل العلم الظاهر والباطن "كان عالماً ولياً صالحاً خيراً ديناً، له كرامات وأتباع". أخذ عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وكان من أشهر تلاميذه الذين نشروا الطريقة الدرقاوية من بعده. وأخذ عنه كبار علماء هذه الطريقة، وألف فيه وفي شيخه مولاي العربي الدرقاوي منهم المهدي بن عبد الواحد ابن القاضي الفاسي كتاب النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد الواحد

وشيخه المولى العربي الدرقاوي ؛ وأبو بكر بناني الرباطي كتاب الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد الواحد وشيخه مولاي العربي.

توفي بفاس عند طلوع فجر يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول عام 1271 / 9 دجنبر 1854. ودفن أولاً بزاوية الشيخ الجمل العمراني ثم نقل بعد عامين إلى محل اتخذت له فيه زاوية بحومته السياج قريباً من سويقة ابن صافي.

المهدي ابن القاضي، النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد الواحد وشيخه المولى العربي الدرقاوي، مخطوط ؛ أبو بكر بناني، الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد الواحد وشيخه مولاي العربي ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7، 2601.

محمد حجي

الدبّاع، عبد الهادي بن عبد الرحمان، من فرع

أولاد عيسى بن إدريس، كان من أعيان مدينة فاس وصلحائها. انتدبه محمد بن عبد الله ليكون أحد النقباء الاثني عشر الذين عينهم بمدينة فاس لمراجعة الوثائق والظواهر المتعلقة بإثبات النسب الشريف لمن يدلي به، ليكون ذلك سبيلاً إلى تصحيح النسبة أو إبطالها. وقد رسم لهم الملك في ظهير تعيينه الخطة التي يسبرون عليها، وأمرهم بالتثبت واتباع الشريعة ونيل الشهوات وإمعان النظر فيما يرجع للخطة المذكورة من الجزئيات والكليات، وجعل قراهم إلزامياً. وأرخ هذا الظهير بأواخر جمادى الأولى من عام واحد وسبعين ومائة وألف.

وعلى كل حال فإن السيد عبد الهادي كان موفقاً في مهمته وهو لم يختر لها اعتباراً وإلماً كان اختياره مبنياً على دراية دقيقة لسلوكه وأخلاقه ونزاهته ومعرفة بآناس الناس.

توفي في حدود عام 1200 / 1785.

ع. ابن زيدان، إتحاف، ج. 3، ص. 234، ص. 349؛ أ. الشيباني، مصابيح البشيرة في أبناء خير البرية، ص. 156.

الدبّاع، عبد الواحد بن غلال الحسني، كان من

أهل المعرفة والصلاح، حريصاً على الإفادة، راغباً في تربية المريدين. ولد في حدود التسعين ومائة وألف، ذكره محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس وقال عنه إنه أخذ عن الشيخ محمد بن بكار تلميذ أخيه أبي العلاء إدريس، وبعد وفاته أخذ عن عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي تلميذ أخيه المذكور أيضاً، وبعد وفاته عن محمد بن إبراهيم تلميذ العارف العربي الدرقاوي وخليفته على فقرائه بفاس. ولم يزل في صحبته وخدمته إلى أن قدم لفاس مولاي العربي من بني زروال فجدد عليه الورد وسلبه الإرادة.

وبعد اتصاله بمولاي العربي صار حجة في الطريقة الدرقاوية، وأصبح له من المريدين العدد الكثير، منهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني الفاسي أصلاً الرباطي داراً ومولداً، المعروف بالدباغي نسبة إلى عبد الواحد المذكور.

وقد كان هذا الفقيه متفانياً في حب شيخه متمسكاً بطريقته، ملبياً لرغباته. شرح بأمر منه الصلاة المشيشية في كتاب سماه الفتوحات الغيبية في شرح ألفاظ الصلاة المشيشية وقد طبع بمصر عام 1331 / 1912 بهامش كتابه مدارج السلوك إلى مالك الملوك.

ومن المعروف عن عبد الواحد أنه كان يربي مريديه على أساس من الشرع متين، بحيث يرى أن الالتزامات الشرعية ضرورية لا مجال لأحد في إهمالها أو تحويرها أو التكاسل في تطبيقها، وكان يرى أن المسلم مطالب بتصيحة أخيه امتثالاً لقول رسول الله ﷺ الدين النصيحة، وكان يكثر من ذكر هذا الحديث ويقول لمريديه : "الفقير إما ذاكراً أو مذكراً أو متفكراً وإلا فهو غافل".

توفي في شهر ربيع النبوي من سنة 1271 / نونبر - دجنبر 1855، ودفن بالمريلة بضريح سيدي علي الجمل، ثم نقل منه بعد عشرين شهراً من موته إلى المحل الذي جعل له زاوية بحي السياج، وبه يوجد قبره الآن وعليه دريوز، وفوق ضريحه نقش بين نسبه ويحدد تاريخ وفاته.

ونظراً لارتباطه بشيخه مولاي العربي مؤسس الطريقة الدرقاوية فإن أتباع هذه الطريقة كانوا يجعلونه في نفس درجة شيخه، وقد ألف في هذا الشأن تلميذه محمد بن المهدي بن محمد ابن القاضي كتاباً سماه النور القوي في ذكر شيخنا عبد الواحد الدبّاع وشيخه مولاي العربي الدرقاوي، وهو كتاب اعتمد عليه الذين ترجموا لهذين الصوفيين المغربيين.

.. الكتاني، سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 258؛ ج. 3، ص. 361؛ لطفى بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تر. ع. الخلاوي، ص. 246؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 1، ص. 222؛ النقش الموجود على ضريحه ؛ أ. ابن الحياط، مقدمة رسائل الشيخ محمد بن العربي الدرقاوي، 1318.

الدبّاع، علي بن محمد بن عمر بن محمد بن

إدريس بن عبد العزيز، من أشهر قراء مدينة فاس وصلحائها، له دراية بالقراءات القرآنية، أخذها عن المقرئ أحمد المدعو حاً بن عبد العزيز بن عمر الصديقي السوسي المتوفى بالمدرسة المصباحية بفاس عام 1285 / 1868. وكان له حظ من النظر في أسرار الحروف كوالده واعتقده الناس كثيراً وهاموا في محبته وتقربوا إليه وتبركوا به.

الدَّبَّاع، محمد بن إدريس بن عبد الهادي

الحسني الفاسي، قال عنه الفضلي في الدرر البهية "إنه من خيار جنسه وأهل المروءة فيهم، ملازم لشانه، مقبل على نفسه وما يذنيه من ربه، وأنه لا ولد له". تنبئ هذه الأوصاف عن حقيقة هذا الرجل الذي كانت الحياة بالنسبة إليه لا قيمة لها إلا بالعمل الصالح والسلوك الطيب، وهو يعد من الأفراد القلائل الذين تلقوا تربيتهم عن طريق الاتصال المباشر بأهل المعرفة الربانية، كما يعد من الأفراد الذين استمدوا بعض العلوم الدينية عن طريق المخالطة



والمصاحبة للعلماء والفقهاء، وإلا فهو لم يتلق دراسة رسمية، ولم تكن له دراية بقواعد اللغة، بحيث إذا كتب بخطه شيئاً ظهرت عليه مخايل الضعف في الصورة وفي الرسم، إلا أنه حينما يعبر عن خواطره وابتهالاته ومكنون محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ينطلق لسانه بالتعبير الرائع والأسلوب الجذاب، ويتجلى ذلك في كتاب صغير ألفه على شكل دلالات الخيرات وقسمه إلى سبعة أحزاب سماه مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار، ومهدد له مقدمة في فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واعتمد في محتواه على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، ونسخته الأصلية مكتوبة بخط جميل هو خط الشريف مولاي إدريس الدبَّاع الأعرج، وقع الفراغ منها في أواخر ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف. وقامت جماعة من المحسنين المغاربة بطبعه سنة 1983 ومهد له محرر هذه الترجمة مقدمة صغيرة ذكر فيها أن المؤلف رغم قدرته على التأليف فإنه كان لا يحسن القراءة والكتابة. إلا أنني بعد ذلك تبين لي من خلال الاطلاع على كتاب مخطوط كان في ملكه قبل أن ينتقل إلى ورثته أنه ليس أمياً بالمعنى المعروف المتداول، فهو قد سجل في بعض أوراقه المضافة بخطه المهلهل ما يدل على أنه لم يكن على خبرة بقواعد اللغة ولكنه لم يصل إلى حد الأمية.

ومن خلال ما كان يسجله يتبين لنا أنه كان متتبعا

حج في آخر عمره وتبادل المعرفة مع جماعة من علماء الحجاز واستجاز بعض من لقيهم هناك كمحدث المدينة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الهندي وابن أخيه الشيخ محمد مطهر بن أحمد سعد شيخ الطريقة النقشبندية والعارف أحمد بن منصور الرفاعي ومحمد حسين بن الشيخ محمد صالح جمل الليل الشافعي المكي النقشبندي. وافته المنية بالمدينة المنورة عام 1290 / 1873 ودفن بالبقيع.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9، ص. 240.

الدَّبَّاع، عمر بن محمد بن إدريس ابن عبد

العزیز، من علماء فاس في القرن الثالث عشر (19 م) عاش في حقبة كان فيها علماء الدين في المغرب ينالون تقديراً كبيراً من الملك العلوي مولاي سليمان، يجالسهم ويستمع إليهم ويسمنحهم من عطاياه ما يعينهم على مواجهة مشاق الحياة.

كان حريصاً على المعرفة جاداً في الطلب، له خبرة بالفقه واللغة، أخذ عن أشهر علماء عصره كأبي محمد عبد القادر ابن شقرون، وحمدون ابن الحاج فنال بسبب ذلك جاهاً كبيراً، تولى الخطابة والإمامة بمسجد الديوان فكان المصلون يعجبون بأسلوبه الجذاب، ويصدق لهجته وسعة علمه وقوة تأثيره في نفوسهم وسلوكهم.

اشتهر بحسن أخلاقه وسلامة طويته، ورغبته في توجيه الخلق إلى طريق الحق. كان يتلقى أذكاره وأوراده من بعض أهل الصلاح إلى أن بلغ إلى مسمعه أمر الدعوة السنية التي يدعو إليها الشيخ أحمد التيجاني فكتب إليه يطلب الورد فأذن له فيه.

وقد أشار أحمد سكيرج في كتاب كشف الحجاب إلى أن المترجم له يعد من خواص أصحاب الشيخ التيجاني فهو ممن حضر معه نقش الاسم الأعظم بزواية فاس بالسارية المعروفة بالسارية الميمونة أو سارية الذهب وهي الثانية من الجهة اليسرى من ضريح الشيخ، دلني عليها مقدم الزاوية المذكورة كما أشار إليه أيضاً في الربع الرابع من كتابه رفع النقاب بعد كشف الحجاب ووصفه فيه بالتواضع وعدم الأثانية وعدم الاتكال على ما كان له من الفضل والجاه في مجتمعه.

وعلى كل حال فإن هذا الفقيه الصوفي يمثل صورة من صور الاتجاه الفكري السائد في المغرب أثناء هاته الحقبة التي عاشها، وظل وفيها لأفكاره وسلوكه إلى أن توفاه الله في رابع عشر رجب عام 1260 / 30 يوليوز 1844 ودفن بضريح جده الشيخ عبد العزيز بالقباب خارج باب الفتوح.

أ. سكيرج، كشف الحجاب، ص. 420 : رفع النقاب، الربع الرابع،

ص. 165 : سليمان الحوات، قرة العيون في الشرفاء الدبائعين

القاطنين بالعيون، مخطوط : إ. الفضلي، الدرر البهية، ج. 2 :

150، (مطبعة جبرية) : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجر

عبد الله إبراهيم، نداء الحرية بين المغرب العتيق والمغرب الحديث (نوفمبر 1995) ؛ دعوة الحق، عدد 268 مارس 1988، مقال تحت عنوان فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف للأديب الباحث محمد بن عبد الله.

الدباغ، محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن القطب المولى عبد العزيز. كان من فقهاء فاس إلا أنه كان يتوجه إلى مدينة مراكش ويقضي بها مع أبناء عمومته أكثر أيامه.

غلب عليه الاهتمام بأسرار الحروف وعلم الأسماء وكتابة الزيارج فكان مقصد الراغبين في معرفة هذه العلوم التي يعسر تعليلها ويصعب تحديدها لأن التصرف فيها غالبا ما لا يعود إلى قوانين ثابتة وإنما يرجع إلى قوى نفسية خارقة للعادة يهبها الله لمن يشاء من عباده. وقد حاول ابن خلدون في مقدمته أن يحدد موضوعها ويبين الفرق بينها وبين السحر فكان تحديده صعب المثال رغم الدقة التي عرف بها في تعريفاته وحدوده ومقالاته.

ورغم صعوبة تناول هذه العلوم من الناحية الموضوعية فقد تلقاها عنه الفقيه عبد السلام ابن ريسون واستعملها أيضا ومزج بعض قوانينها بشخصيته الذاتية القابلة لذلك. توفي صبيحة يوم السبت خامس عشر محرم من عام 1285 / 8 ماي 1868 ودفن مع والده داخل قبة جده المولى عبد العزيز خارج باب الفتوح بفاس.

ع ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 6، ص. 320.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الدباغ، محمد المراكشي، ولد بمراكش ونشأ بها وتعلم، فتخرج فقيها محدثا، حلا في إتحاف المطالع : "بالفقيه الأجل، العلامة الأفاضل، القاضي الأعدل، المحدث الأكمل، الحاج الأبر، الناسك المعتمر. من محبته امتزجت في الجسد والرأس والدماع، سيدي محمد الدباغ، قاضي ثغر أجدير وغيره". ولم يترجم له العباس بن إبراهيم المراكشي في الإعلام.

توفي في حدود عام 1210 / 1795.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 2456.

الدباغ، محمد بن مسعود الحسني الفاسي، الفقيه الصوفي الخير الذاكر المتعبد الصالح الوقور بقية السلف. أخذ عن مشيخة فاس في عصره كمحمد بن المدني گنون، وأحمد بن أحمد بناني كلاً، وعبد المالك العلوي الضير.

ترك علم الظاهر وانغمس في علم الباطن، وله في ذلك أنظام وأزجال، أشهرها منظومة في الطرق الصوفية شرحها

للأحداث ويحرص على عدم تفويت الفرص من أجل تقييد الفوائد، فمن ذلك مثلاً إشارته إلى وقوع زلزال عظيم يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني عام 1324 بعد طلوع الفجر بخمسة أقسام وقع بسببه هرج عظيم وارتفعت الأرض من محلها وتكلمت خراف دفة البيت ووقع لطف كثير.

ومن ذلك إشارته إلى اليوم الذي خلع فيه المولى عبد العزيز ويوع أخوه عبد الحفيظ فقد قال : "عزل المولى عبد العزيز في يوم الجمعة قبل الصلاة في 28 ذي القعدة عام 1325 وخطب الناس بالصحابه رضي الله عنهم وفي يوم السبت 29 من الشهر المذكور نُصر مولاي عبد الحفيظ بعد صلاة الظهر وأرسلت له البيعة.

ومن ذلك ما سجله في الصفحة الأخيرة من أنه من الله عليه بسبحة الولي الصالح والغوث الواضح مولانا عبد العزيز بن مسعود الدباغ، على يد الفقيه عبد الغني بن المدني بنيس في تاسع رجب عام 1323.

وكان من المهويين في نظم قصائد الشعر الملحون، يتغنّى المنشدون بشعره، ويتناقصون في حفظه، ومن أشهر قصائده القصيدة المسماة (الغزال زهيرة) التي يقول فيها : ما لك على الارسام غافلة يا لغزال زهيرة غيثنى يا راية النصر شرع الله معك واش العشير يدوز عشيرة ؟ والفايت يحيه ما صدر توفي بفاس بعد أن عمر طويلا حوالي عام 1350 / 1931. ودفن بالقياب خارج باب الفتوح بجوار قبة القطب المولى عبد العزيز الدباغ رحمه الله.

إ. الفضيلي، الدرر البهية، ج. 2، ص. 153 : م. الدباغ، مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار، الدار البيضاء، 1989 : م. المرابطي السجلماسي، تيسير المواهب في ذكر بعض ما لأبي فارس من المناقب، مخطوط : الفوائد والإشارات المكتوبة بخط المؤلف في آخر هذا الكتاب.

الدباغ، محمد ← بلحسن (الفقيه -)

محمد بن محمد المراكشي

الدباغ، محمد بن الحسن الحسني، من فقهاء فاس، درس بمصر، وتولى الإمامة والخطابة والافتاء بمسجد باريس بعد تأسيسه على يد السلطان المولى يوسف، وكانت له معرفة بعلوم البلاغة والتوقيت علاوة على الفقه والحديث، اختير ليكون شيخ الجماعة بمدينة مراكش وحمل الأمانة بصدق وإخلاص وجهر بالمعارضة لما كان يقوم به الفرنسيون من محاولة التضييق على الحريات والتقليل من شأن الشريعة الإسلامية، فآلقوا القبض عليه سنة 1937 وسقطت سن من أسنانه إثر ركلة من أحد جنود المستعمرين ولم يحترموا سنه التي كانت قد بلغت التاسعة والسبعين ونفوه بعد ذلك إلى تارودانت ومازال ذكره يتردد بين مؤرخي الحركة الوطنية.

توفي في حدود عام 1360 / 1941.

الشيخ أحمد بن محمد بن الخضير العمراني بشرح سماه سعد الشمسوس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس. تتلمذ له بعض أعلام فاس، ومنهم عبد السلام ابن سودة الذي خصه بترجمة في فهرسة شيوخه.

توفي بفاس عام 1340 / 1921 ودفن بروضتهم بالقباب.

م. العمراني، سعد الشمسوس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 8 : 2928.

محمد حجي

توفي بمكة المكرمة في شهر شعبان عام 1311 / فبراير - مارس 1894.

إ. الفضلي، الدرر البهية، ج. 2، ص. 151 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7، ص. 267 ؛ م. الطيب الدباغ، شجرة الأسرة الدباغية ؛ دائرة المعارف الإسلامية، ج. 12، ص. 292 ؛ ع. الحلي الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، ج. 3، ص. 1040 تحت رقم 589 ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2796.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الدباغ، يعقوب بن عبد الله بن علي. ترجم له ابن عيشون في الروض لكنه لم يورد ما يفيد في تحقيق شخصيته، بل ذكر فقط أنه مدفون خارج باب الجيسة. وذكره المدرع في منظومته في صلحاء فاس، وعنهما نقل الكتاني ترجمته في سلوة الأنفاس وأضاف إليها معلومات ذكر أنه عثر عليها بهامش بعض الكتب وجاء فيها أن اسمه يعقوب الدباغي بن عبد الله بن علي بن عبد الرحمان بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن إدريس، وأن ضريحه بفاس وله ابن يدعى محمد بن يعقوب وضريحه بتادلة. ونسبه الكتامي للقرن الخامس أو السادس وأوضح أن لقب الدباغي يفيد أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس، إلا أن انتماءه للقرن المذكور يطرح إشكالا.

ذكر الكتاني، اعتمادا على ما أورده القادري في الدرر السنني حين تعرض لنسب الشرفاء الأدارسة، وعد منهم الشرفاء الدباغيين القاطنين بحومة العيون من فاس، أن هؤلاء الشرفاء كانوا من جملة الأدارسة الذين غادروا فاسا في اتجاه الأندلس حين انقرضت دولتهم بالمغرب وذلك سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ومكثوا بها إلى أن قدموا لسلا في المائة الثامنة ومنها انتقلوا لفاس أول المائة التاسعة أو قرب وسطها، ولذلك استبعد أن يوجد واحد منهم بفاس خلال القرن المذكور إلا أن يكون قد رجع إليها في ذلك الوقت أو لم يحصل له أصلا انتقال منها، وهذا ما جعله يتردد بينه وبين شخص آخر يدعى أبا يوسف يعقوب الشريف دفين خارج باب الشريعة الذي يعتقد أيضا أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس.

ويقربنا من هذه الحقيقة ما ذكره الكتاني حول اطلاعه على ظهير للسلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي المتوفى عام عشرة وتسعمائة (910 هـ) مؤرخ بشهر رجب من نفس السنة، وينص على تولية أحد الشرفاء الدباغيين ويدعى أحمد بن علي بن عبد الرحمان الشريف الإشراف على روضة الولي يعقوب الدباغ والنظر في مصالحها جريا على عادة أسلافه من الدباغيين، مما قد يفيد على أن المقصود به صاحب الترجمة ويؤكد على صحة انتسابه

الدباغ، محمد بن الهادي الحسني، من أولاد عيسى بن إدريس، كان من أتباع الطريقة المختارية الكنتية الصحراوية التي كان لها ذبوع وانتشار في عهد الملك العلوي مولاي عبد الرحمان وولده محمد الرابع.

وكانت هذه الطريقة من أقوى عوامل الربط بين شمال المغرب وجنوبه، وعمل المنتسبون إليها على لم شتات البلاد، وتأليف قلوب العباد، وكانت تتوفر على زوايا في مختلف المدن المغربية، ولعل من أكبر رؤسائها الشيخ محمد بن أحمد بن دحو الأزموري، فهو الذي سافر إلى الصحراء وأخذ الإذن مباشرة من السيد المختار بن محمد بن المختار الكنتي، وعند رجوعه بنى زاوية أزموور، وأعطى الإذن لمريديه في بناء زوايا أخرى داخل البلاد المغربية، ومن بين هؤلاء المريدين محمد بن الهادي الدباغ المترجم، فقد التحق بهذه الطريقة وشرع في بناء زاوية بفاس في حي العيون قرب ضريح سيدي علي بن أبي الذئاب، وهي الزاوية التي دفن فيها بعد موته في حدود عشري جمادى الثانية عام 1284 / 19 أكتوبر 1867 واتخذها الناس مقبرة فيما بعد.

م. الكتاني، سلوة، ج. 1، ص. 283 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 2، ص. 242 ؛ ج. 6، ص. 317 ؛ م. المنوني، ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، ج. 2، ص. 543 ؛ الشنقيطي، الوسيط، ص. 361.

الدباغ، مسعود بن الطيب بن الحسن بن

الطبيب بن العربي، من أولاد عيسى بن إدريس القاطنين بمدينة مراكش، تلقى دراسته أولا بمدينة مراكش وأخذ فيها عن الشريف مولاي محمد العلوي الصفيوي، وعن الحاج الهاشمي بن عبد الله الدرقاوي، تشوق إلى البقاع المقدسة فقرر الهجرة إليها هو وأبناؤه وأهله، وسكن أولا بالمدينة المنورة ثم انتقل إلى مكة.

استأنس بالصوفي محمد بن علي السنوسي وليد مستغانم وأخذ عنه بالزاوية التي أقامها بأبي قبيس. وهكذا فالدباغيون الموجودون بالملكة العربية السعودية أصلهم من المغرب وهم من سلالة مسعود الدباغ المترجم.

للشرفاء الدباغين بفاس وليس لأهل حرفة الدباغة بفاس مثلاً تردد على السنة البعض من أصحاب هذه الحرفة.

ويستفاد من التاريخين المذكورين كذلك أن صاحب الترجمة عاش خلال القرن التاسع (15 م).

ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 292؛ ع. السلام القادري، الدر السني، ص. 414؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 211؛ ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس، ص. 285 و ص. 361؛ م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 105.

زهراء النظام

باب الدباغين بمراكش أو "باب الدباغ" ويرجع أصل التسمية إلى مجاورة الباب لدور الدباغة منذ تأسيسه.

يقع باب الدباغين وسط الواجهة الشرقية من سور مراكش، وهو واحد من الأبواب الثلاثة لهذه الواجهة : باب أيلان وباب ينتان ويرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن بناء سور المدينة على عهد حكم المرابطين حيث وردت إشارات متعددة عنه ضمن أخبار ترجع إلى هذه الفترة (أخبار المهدي، 40 / 60 : نظم الجممان، 159). ويمكن إجمال الجانب التاريخي لهذا الباب في محورين هما :

1 - محور سياسي - عسكري : لعل من بين أبرز الأحداث السياسية العسكرية التي كان لها ارتباط بباب الدباغين هي :

أ - عمليات البحيرة : 524 / 1130 : جرت هذه العمليات بما فيها الحصار والمواجهات خارج شرق سور المدينة على ميدان تمتد رقعته بين باب الدباغين وباب أيلان (نظم الجممان، 159).

ب - حصار 541 / 1145 : كان باب الدباغين واحداً من بين ثلاثة أبواب اختار قادة جيش الموحدين المكلفين بتدبير عمليات الحصار اقتحام المدينة منها وهي باب دكالة في الغرب وباب ينتان وباب الدباغين في الشرق وأسندت مهمة الاقتحام من هذا الباب بالذات إلى فريق من الجنود، يبدو أنه كان يتمتع بخبرة عسكرية عالية ويتعلق الأمر بعبيد المخزن مدعوماً بجند من صنهاجة (أخبار المهدي، 64).

ج - تصفية عام 548 / 1154 : أمر عبد المومن في سياق هذه التصفية للمناوئين والمعادين للمخزن الجديد بقتل عيسى أخي المهدي بن تومرت كواحد ممن شملتهم حملة تصفية الناكثين وجرى تنفيذ الأمر قرب باب الدباغين (البيان : قسم الموحدين، 50، 51).

2- محور ديني :

يمكن اختزال بعض عناصره البارزة في الجوانب الأربعة التالية :

أ - الجانب الشرقي : يقع باب الدباغين ضمن مجال الجانب الشرقي الذي عُرف بكثافة النشاط الصوفي به في

العاصمة الموحدية.

ب - الاستسقاء : أورد ابن الزيات أخباراً تهم موضوع صلاة الاستسقاء بمراكش، ضمنها حدد مكان أداء هذه الصلاة مرة خارج باب الدباغين (أخبار أبي العباس، 467) ومرة خارج باب أغمات، (أخبار أبي العباس، 474) ولعل في هذا التحديد ما يوحي بأفضلية المكان، وقيمتها الخاصة عند السكان.

ج - الكرامات : يستفاد من كتابات ابن الزيات أن عدد الكرامات التي جرت وقائعها في أبواب مراكش، بلغ تسع كرامات موزعة بين أربعة أبواب هي : باب فاس (التشوف، 304، 305) باب ينتان (أخبار أبي العباس، 470) باب أغمات (التشوف، 306) وباب الدباغين (التشوف، 300، 341 - 346 - 442 - 446 : أخبار أبي العباس السبتي، 469، 470) ومن هذا المجموع كان باب الدباغين مجالا لثلاثي الكرامات المشار إليها.

د - مقبرة الباب : تقع خارج الباب وتحدّه من الشمال وفيها دفن عدد من صوفية المدينة.

لوحة لمصوفة دفنوا بمقبرة باب الدباغين من خلال التشوف

المتصوف	أحواله	تاريخ الوفاة
أبو إبراهيم إسحاق بن محمد المزوجي	من الأفراد	1189 / 585
أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم	كان عبداً صالحاً ورعاً	1196 / 592
أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم التينملي	كان زاهداً في الدنيا وأهلها	1196 / 592
أبو عمران موسى بن عيسى الدرعي الأسود	جمع القرآن في مدة يسيرة	1198 / 594
هنية بنت ميون الدكالي	من الأفراد	1199 / 595
أبو هارون عبد السلام بن وجوط العزفي فاضل	حزين دائم البكاء	1205 / 601
أبو عبد الله محمد بن تميم الزناتي	كان عبداً صالحاً مجاب الدعوة	1211 / 607
أبو العباس أحمد بن خالص الأنصاري	من أهل المجاهدة والتجرد والزهد	قبل عام 601 / 1209
أبو الحسن علي بن يسمور الدكالي المعروف بالعربي	كان عبداً صالحاً	1216 / 612
أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الزناتي	كان عبداً صالحاً	1218 / 614

الخصوصيات المعمارية : يعتبر باب الدباغين واحداً من بين مجموعة أبواب سور المدينة التي تتوفر على بابين أحدهما خارجي والآخر داخلي ويلاحظ بالنسبة لهذا الباب وجود تباين واضح بين بابيه في التصميم والحجم والزخرفة يمكن إجماله في المقارنة التالية :

ابن دُبوس، أسرة فاسية أصلها من بني يفرن الزناتيين. استوطنت مدينة فاس عند ما كون بنو يفرن إمارتهم فيها. واشتهرت بالثروة والنباهة والعلم خلال عصري المرابطين والموحدين. وكان أحد أزقة مدينة فاس يعرف بها هو "عقبة ابن دبوس" ومازال إلى اليوم. أنجبت عدداً من العلماء تولى بعضهم قضاء مدينة فاس خلال عصر المرابطين. ثم انقرضت أواخر العصر الموحدي. منهم :

ابن دُبوس، أحمد بن عبد الله اليفرنى الفاسي فقيه مشارك، لم تورد له كتب التراجم ترجمة مستقلة، ومن النبد المتفرقة عنه نعرف أنه كان أول قضاة أسرته، ولي قضاء مدينة فاس في العصر المرابطي بعد وفاة قاضيها العالم الورع أبي يعقوب يوسف بن عيسى ابن الملجوم الأزدي سنة 498، لكنه ما لبث أن عزل بعد مدة قصيرة سنة 500، وولي مكانه الفقيه المحدث أبو القاسم هشام بن يوسف ابن الملجوم.
توفي أحمد ابن دبوس بفاس سنة 507 / 1113.

ابن دُبوس، عبد الله بن أحمد بن عبد الله اليفرنى الفاسي، لم تفرد له كتب التراجم القديمة ترجمة مستقلة، وترجم له من المتأخرين الكتاني في سلوة الأنفاس وعبد السلام بنسودة في قضاة فاس. ومنهما ومن مجموع الأخبار المتناثرة عنه يستفاد أنه كان قاضياً بمدينة فاس وإماماً بجامع القرويين. ونقف في ترجمة الصوفي الشهير أبي الفضل ابن النحوي (تـ. 513) على إشارة إلى خصومة وقعت بينه وبين قاضي فاس ابن دبوس الذي منعه من تدريس علم الكلام بجامع القرويين، فاضطر إلى مغادرة المدينة بسبب ذلك. لكن القاضي ابن دبوس نفسه كان من مريدي الشيخ ابن النحوي.

ألف عبد الله ابن دبوس كتاب الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام، وهو في أدب القضاء واختصاصات القاضي، وحل بعض الإشكالات الفقهية التي تعترض القضاة في المسائل العويصة، اعتمد فيه على مصادر الفقه المالكي المشهورة كموطأ الإمام مالك وواحة ابن حبيب ومدونة سحنون والعنتبية والموازنة ونوادر ابن أبي زيد القيرواني ومنتخبه ابن لبابة ومنتخب الأحكام لابن زمين وتبصرة اللخمي ووثائق ابن العطار.

وكان له ولد يسمى عبد الحق ابن دبوس، كان عالماً جليلاً من علماء فاس توفي سنة 557 أو 578، وكذا عبد الخالق بن عبد الحق كان من علماء المدينة، وتوفي سنة

عناصر المقارنة		الباب الداخلي	الباب الخارجي
المقاييس	العلو	أكبر	أصغر
	العرض	أكبر	أصغر
المدخل		أكبر	أصغر
الواجهة		ذات مستويات خمسة متدرجة	ذات مستوى واحد
الزخارف		موجودة ومتنوعة	غير موجودة
النوافذ		غير موجودة	نافذة واحد وفتحات

لعل تأمل عناصر هذه المقارنة يقدم الانطباع بقوة حضور المشاغل الأمنية في هندسة الباب الخارجي والملاحظة تدعمها عدة مؤشرات يمكن حصرها في أربعة هي :

1 - عدم انفتاح الباب على نفس الاتجاه الذي يقابل السور، وبالمقابل انفتح على الاتجاه الموازي للسور في اتجاه الشمال، ولعل مما يسهم في فهم هذا التوطين ووظيفته الأمنية كون باب الدباغين يعتبر الباب الشمالي للواجهة الشرقية من سور المدينة، ويبعد موقعه عن النهاية الشمالية لهذه الواجهة بما يقرب من نصف مسافة الواجهة كلها، ولعل مراقبة ما يجري خارج هذه المسافة الطويلة، وأمام عدم وجود باب فيها يقتضي توجيه مدخل الباب نحو الشمال.

2 - إحاطته ببرجين الأول شمال الباب والثاني في جنوبه تعلوهما شبكة فتحات صغيرة، منها المربعة ومنها الطويلة تسمح فقط بالرؤية ومن خلالها المراقبة الكلية للمحيط الخارجي للباب شمالاً وغرباً وجنوباً.

3 - ضيق مدخل الباب الخارجي مقارنة بمدخل الباب الداخلي ودعامة باب آخر يغلق ويفتح يقع مباشرة بعد الدخول من الباب الخارجي. وبوابة ذات مدخل ضيق ويسقف منحدر في شكل قوس لا تسمح بالمرور المريح.

4 - تتميز المسافة الفاصلة بين الباب الخارجي والباب الداخلي بمجموعة من العناصر المعمارية تلتقي في تكامل وظيفتها الأمنية المشتركة وهي :

أ - يتم المرور من الداخل إلى الخارج أو العكس، بطريقة ملتوية عبر منحرجات ستة وهذه الخاصية جعلت من باب الدباغين نموذجاً فريداً بين باقي أبواب سور المدينة، وأعقدها في تصميمه وأصعبها في اقتحامه.

ب - وجود ساحة مستطيلة الشكل مكشوفة، يشرف عليها من الأعلى سطح به ستارة، لعل من بين استخداماته، استعماله كمركز للهجوم المباغت ضد كل من أمكنه الإفلات من الباب الأول والآخر المجاور له ولبوأته، وهو آخر نقطة دفاعية داخل باب الدباغين قبل دخول المدينة.

ي. ابن الزيات، التشوف وأخبار أبي العباس السبتي، تج. أ.
التوفيق، الدار البيضاء، 1984 : ابن القطان، نظم الجمال، تج.
محمود علي مكي، بيروت، 1990 : البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971 : ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، تج.
محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيير، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 : التحري الميداني.

597، ولم يكن له عقب، وبوفاته انقرضت أسرة بني دبوس. ع. الله، ابن دبوس، الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام، تح. إدريس السفياني، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1994، مرقونة؛ القاضي عياض، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تح. م. بنشريف، بيروت، 1990، ص. 12؛ ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 99؛ ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 26؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، 2: 388 - 390؛ ع. السلام ابن سودة، قضاة فاس، نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة؛ م. الكتاني، سلوة الأنفاس، فاس، طبعة حجرية، 1316، 3: 294 - 295؛ مجهول، نبذة من تاريخ المغرب الأقصى، مخطوط، خ. ع، رقم 2152، ص. 119. محمد المرفاوي

أبو دبوس (آخر ملوك الموحدين) ← إدريس بن محمد بن عبد المومن

دبدو، مدينة جبلية صغيرة تقع في الجهة الشرقية من المغرب على بعد 160 كلم جنوب غرب مدينة وجدة و52 كلم جنوب مدينة تاوريرت، وهي إحدى الباشويات الثلاث التي تشكل إقليم تاوريرت وتضم أربع جماعات قروية (سيدي لحسن والعطف وأولاد محمد وسيدي علي بلقاسم) إضافة إلى الجماعة الحضرية لدبدو.

تعتبر هذه المدينة لدى الكثيرين قديمة مع أنها لم يُذكر اسمها قبل القرن الثامن (14 م) حيث ذكر ابن خلدون أنه لجأ إلى جبل دبسو سنة 774 وقد يفهم من هذا عدم وجود المدينة آنذاك إذ لم يشر إليها كثير من الكتاب الذين سبقوه رغم أن الوزان ذكر في كتابه وصف إفريقيا أنها مدينة قديمة أسسها الأفارقة، كما أشارت بعض المراجع إلى ظهورها أيام عبد الحق المريني. فهذا الاسم يطلق أيضاً على جبل يشرف عليها من الناحية الغربية وعلى الوادي الذي يمر بجوارها. ونسبة إلى الكلمة يقال "دبدوبي" و "دبادية" مما قد يرجح أن يكون أصلها "دبدوب" التي تعني مكانا يصدر دبذبة وهي كل صوت أشبه صوت وقع الحافر على الأرض الصلبة وهو المكان الذي بنيت فيه إمارة بأمر من الحكام المرينيين بفاس، إلا أن هناك ميلاً إلى الاعتقاد بأن أصل كلمة "دبدو" أمازيغي قد يرتبط بكلمة "بادو" أو "أبادو" وتعني الحاجز بين حوضين مسقيين أو بكلمة "ريدو" التي تطلق على نوع من الكثبان، وكلتا الكلمتين تدلان على شكل يوحى به "جبل دبسو" وامتداده الذي يفصل بين وادي دبسو وسهول تفرطة.

وتذكر بعض الروايات الشفوية المتوارثة والمتداولة بقوة أن "فاطمة بنت عبد الحق المريني مولت بناء القصبة (إمارة دبسو) بمال صداقها!" حسب كتابات وجدت على أحد

الأسوار، وقد تكون هذه الرواية عارية عن الصحة لغياب ذكرها في أي من المصادر، إلا أن المؤكد هو تأسيس دبسو إبان قيام عبد الحق المريني (592 - 614 / 1196 - 1218) بتقسيم مجال دولته بين فروع قبيلته الكبرى، فكانت دبسو معقلا من نصيب بني ورتاجن (قبيلة زناتية) لصد هجمات بني عبد الواد التلمسانيين والحد من أطماعهم، وهذا ما عرّضها للاجتياح والتدمير على يد ملك تلمسان سنة 766 / 1365. بينما تذكر المصادر أيضاً أن أحد زعماء بني ورتاجن تمكن من تأسيس إمارة صغيرة بدبدو حوالي سنة 833 / 1430 بلغت ذروة ازدهارها خلال هذا القرن حيث استطاعت أن تبسط نفوذها وأن تفرض نفسها على امتدادات محيطها رغم المناوشات التي كانت تقودها ضدها القبائل المجاورة لها، بل إنها استطاعت أن تثبت استقلالها عن سلطة الوطاسيين بعد أقول نجم المرينيين وحاولت انتزاع تازا من ملك فاس مما عرضها لمتاعب أعادتها إلى فلك العاصمة نفسها، ومع استتباب الأمر للسعديين بفاس حوّل عبد الله الغالب دبسو إلى مجرد باشوية سنة 970 / 1563 تؤوي محلة عسكرية لمواجهة أي زحف محتمل للأتراك من الناحية الشرقية. وبهذا انكمشت دبسو على نفسها وتعاطى أهلها للتجارة بين البدو والحضر محليا، ومع فاس وملييلة وتلمسان ووهران والواحات الصحراوية جهويا لتسويق الصوف والزرايبي والزيت والزيتون والحبوب، واستقرت فيها طائفة من اليهود أصبحوا يملكون ضيعا وبساتين وأراضي ومواشي كسائر مواطنيهم من المسلمين.

قد يكون تزامن ازدهار إمارة دبسو مع بداية تهجير يهود الأندلس مفسراً لاستقطاب طائفة منهم تشير بعض المراجع إلى أصولها الإشبيلية المهجرة منذ سنة 1391 وتذكر أنه بين سنتي 1440 و1470 تم استقرار العائلات اليهودية الأولى في دبسو التي سميت أيضاً "إشبيلية"، ومازالت بها حاليًا عين تحمل اسم "إشبيلية"، غير أن بعض المراجع الأخرى تتحدث عن وجود قديم لجالية يهودية مغربية في هذه المدينة كانت لبعض عناصرها منافسة مع اليهود الأندلسيين، كما تحدثت عن هجرة مبكرة لليهود في اتجاه فلسطين نشطت منذ مجاعات فترة 1779 - 1807. تفجرت هذه المنافسة مع اندلاع ثورة بوحمارة التي انقسمت حول مساندتها مختلف قبائل وطوائف المنطقة إذ انضم إليها سنة 1904 أحد اليهود الذي كان قد عين قائداً على دبسو ويدعى دودو بن حيدا بعد أن حاول أن يستقل بها أحد السكان الأمازيغ وهو المسمى بوحصيرة، فعمت الفوضى وهاجر بعض اليهود إلى تلمسان ووجدة وملييلة سنة 1894 إثر وفاة الحسن الأول وتولي عبد العزيز زمام الأمور وقيام ثورة بوعمامة على الزحف الفرنسي في التخوم المغربية الجزائرية وانقطاع القوافل، ولم يعد "الهدوء" إلى المنطقة إلا مع الاحتلال الفرنسي سنة 1911 إثر زحف عسكري عنيف واجهته مقاومة شديدة برزت فيها قبيلتا علوانة وني

رئيس.

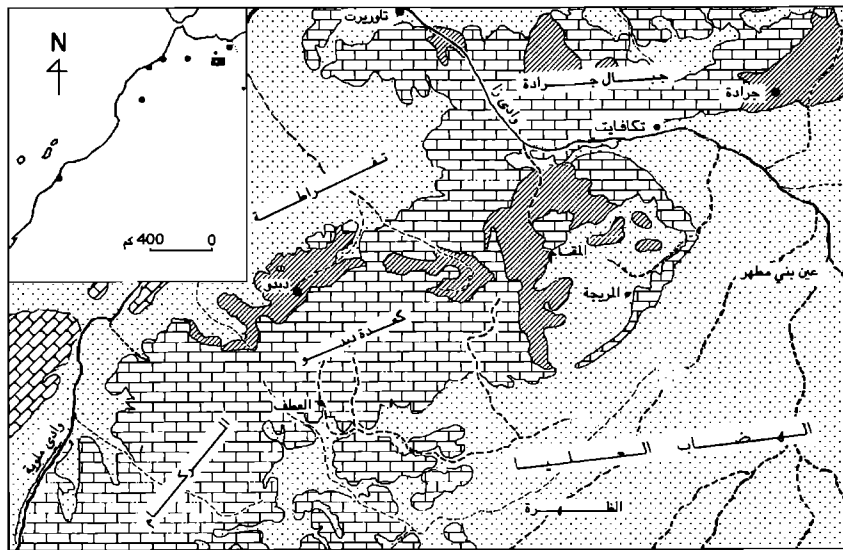
ينفرد حي المصلى بموضع على الضفة اليسرى في قدم سفح وعرض.

وتتميز الأحياء القديمة بسكن تقليدي يغلب فيه الطابع القروي ويلتف حول أزقة ضيقة لا تخضع لأي تصميم أو تخطيط، وهو مبني بالحجارة والطين المضغوط (التابية أو اللوح) على أرضية من القشرة الكلسية والشيست ومسقوف بأخشاب العرعر المجنح (الطاغتا) وجذوعه، وقد يحتوي أحيانا على أكثر من طابق. أما المباني الحديثة فلا تنظم بدورها في أي تصميم أو تجزئة، وتستعمل فيها المواد العصرية من إسمنت مسلح وغيره مع الآجر والحجارة، وهي مواد يعتمد عليها أيضاً في ترميم السكن القديم وتجديده. فالقصة المرينية لم يبق منها سوى المسجد وبعض ملحقاته وأجزاء من سورها والخندق المحيط به إضافة إلى السكن ذي الطابع الريفي الذي يبدو أنه أقيم على أنقاض معمار القصة وهو مأهول جزئياً. أما دبدو فما زالت تحتفظ بالكثير من المباني القديمة ذات الخصائص التي تميز فيها النفحات المغربية والأندلسية والإسلامية واليهودية.

تعتبر دبدو من المدن القديمة الصغيرة ذات النمو البطيء إذ بلغ عدد سكانها 1751 نسمة سنة 1936 بأغلبية يهودية بلغت 917 نسمة (52٪) وانتقل العدد الإجمالي للسكان إلى 2213 سنة 1952 ثم ارتفع إلى 3564 سنة 1960 وبعدها انخفض إلى 2644 (26٪) سنة 1971 بسبب هجرة اليهود إلى فلسطين إثر الحرب العربية الإسرائيلية (يونيو 1967). ورغم أن هدد السكان ارتفع من جديد إلى 4013 نسمة سنة 1982 (52٪) فالنمو بقي بطيئاً مع إحصاء سنة

يتعذر إذن إثبات ظهور دبدو خارج السياق الذي تأسست فيه إمارة تم بناؤها في شكل قصبة لازالت بقاياها قائمة إلى الآن في موقع استراتيجي بين فاس غرباً وتلمسان شرقاً وعلى الطريق التي تصل مليلة شمالاً بالوحدات الصحراوية جنوباً، وفي موضع حصين يبلغ ارتفاعه 1260م. فوق درجة صلبة بين مسيلين على سفح وعرض ينساب إليه الماء من عين دافقة عالية تسمى "تافرن" بينما تنشق عين أخرى تدعى "اشبيلية" في قدم السفح على ارتفاع 1000 حيث يمتد مركز دبدو فوق حادور ضيق على الضفة اليمنى من الوادي الذي يحمل الاسم نفسه. يصرف هذا الوادي منخفضاً يبلغ عمقه حوالي 700 م من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي حيث ينفرج على سهول تفرطة الشاسعة التي يخترقها قبل أن يترافد مع وادي ملوية في الشمال الغربي. ويعتبر هذا المنخفض من بين أودية التعرية التراجعية التي وجهتها انكسارات انطلاقا من تفرطة في اتجاه الهامش الشمالي الغربي للهضاب العليا الذي يقترب ارتفاعه من 1700 م. بينما لا يزيد ارتفاع هذه السهول عن 650 م.

يضم مركز دبدو عدة أحياء قديمة تصنف تقليدياً إلى : الكياديد وأولاد يوسف وأولاد عمارة وقبين إضافة إلى الملاح (الحي اليهودي) وحي القصة (حي يمتد داخل بقايا أسوار الإمارة القديمة) وكذلك الحوش وهو حي حديث ارتبط ظهوره بانتشار التوسع نحو السافلة حول بعض البنايات التي شيدتها الإدارة الفرنسية خلال فترة الحماية وقبلته



رواسب نيوجينية و رباعية
غطاء رسوبي ملتوي - الزمن الثاني
قاعدة هرسينية - الزمن الأول
غطاء رسوبي ماندي - الزمن الثاني

العيون.

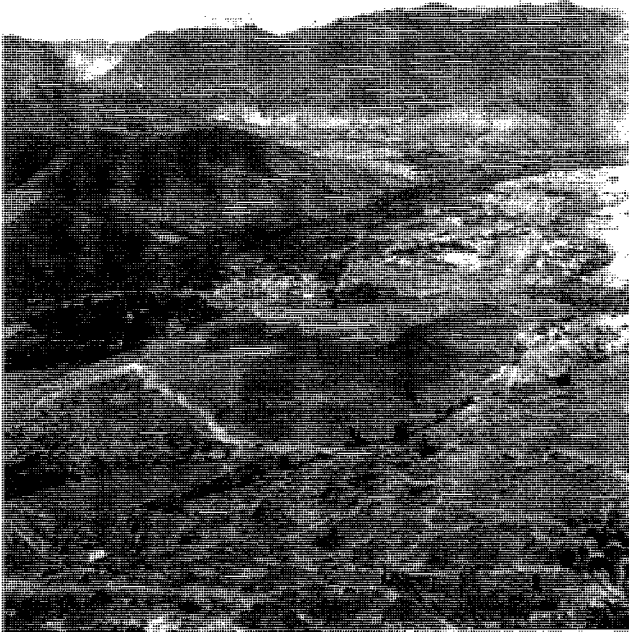
دبدو (كتلة) : اصطلح على إطلاق هذا الاسم على وحدة مرفونيوية تمثل الجزء الأكثر ارتفاعاً في الهضاب العليا (1691 م) تنتصب شامخة في حافتها الشمالية الغربية المشرفة على سهول تفرطة الممتدة بحوض غرسيف. وتتشكل هذه الكتلة التي تقع مدينة دبدو في قلبها من أعراف جبلية متصلة بهضبة متماسكة، وقد جزءها أودية عميقة نتجت عن الحث التراجعي الذي انطلق من جرف انكساري يتجاوز مداه الأقصى 1000 م.

وتتكون هذه الكتلة من غطاء رسوبي تسود فيه الضخور الكلسية والدولوميتية الجوراسية (الزمن الجيولوجي الثاني) وهي قليلة السمك نسبياً، توضع فرق أساس تشكله القاعدة الهرسينية (الزمن الجيولوجي الأول) المكونة من صخور حوكها الاختراق الغرانيتي إلى شست وكوارتزيت. وبسبب الميل المبكر لهذه الكتلة نحو الارتفاع شكلت قعراً مرتفعاً لم يغمره البحر خلال الزمن الجيولوجي الثاني إلا في مرحلة متأخرة وتراجع عنها في وقت مبكر. تعتبر هذه الكتلة حاجزاً تضاريسياً وعراً يفرض تصاعداً اضطرارياً للكتل الهوائية مما يجعل الرطوبة منها تُمطر وتُثلج بمعدل يفوق 500 مم في الأجزاء المرتفعة (الكتلة) مما جعلها مكسوة بغابة متوسطة تتدرج فيها المستويات البيومناخية من شبه القاحلة إلى شبه الرطبة تشمل البطم والعُتم والعرعار والصنوبر والبلوط والضرو، تكتسحها الحلفاء باستمرار بسبب التدهور. ورغم أن هذه الكتلة تُشكل جزيرة خضراء برطوبتها في وسط يتميز

1994 إدا لم يتجاوز 12٪ مع 4477 نسمة، أما اليهود فقد غادر آخرهم المدينة قبل نهاية القرن العشرين بعد أن تقلص عددهم إلى 5 أسر فقط في سنة 1978. لا يمثل سكان بلدية دبدو سوى نسبة 14٪ من مجموع سكان الدائرة التي بلغ عدد سكانها 31990 نسمة سنة 1994. والتي تضم أيضاً قيادتين (الكتلة والزوي) تشمل كل منهما جماعتين قرويتين وهما على التوالي العطف وأولاد محمد ثم سيدي لحسن وسيدي علي بلقاسم. وتعدو أصول سكان دبدو ومحيطها إلى قبائل عربية وأخرى أمازيغية معربة. وعرف سكان دبدو أنشطة دينية إسلامية كانت توطرها مختلف الزوايا والطوائف وأخرى يهودية وقد اضمحلت مع مرور الزمن ولم يعد هناك أي نشاط يذكر حالياً.

يتضح إذن أن دبدو لا تستقطب سكان باديتها إلا مرحلياً ولا تحقق نمواً ذاتياً مهماً بسبب النزوح المستمر منها نحو المدن. وتنتج هذه الهجرة عن انعدام تنمية تواجه العزلة ومحدودية الموارد وضعف البنية التحتية وتقلص وظيفتها التجارية والحرفية التقليدية التي أصبحت لا تنتعش سوى أيام الأربعاء مع انعقاد السوق الأسبوعية. تتوفر دبدو على شبكة جزئية للواد الحار وعلى شبكة للتزويد بالماء الشروب عانت كثيراً مع استفحال ظاهرة الجفاف قبل أن يتم إنقاذها بالتزود من تفرطة. ويخترق المركز شارع وحيد ينتظم على جانبيه عدد من الدكاكين جلها مغلق إضافة إلى بعض مشاغل الحرفيين. وقد اشتهرت دبدو بنسيج الأغصية الصوفية المعروفة "الدبدوبي" والحياطة وصناعة الحصائر وبعض الأواني من الحلفاء وبصناعة الأدوات الفلاحية التقليدية والحداة والحرازة والخزف والصابغة وإنتاج الزيتون وزيتته.

تربط دبدو بمحيطه طريقٌ وحيدة جهوية (605) تنطلق من مدينة تاوريرت شمالاً إلى دبدو جنوباً لتستمر عبر منحدرات منحدرة وعرة في اتجاه قرية العطف جنوباً وبعدها تصبح عبارة عن مسلك يوصل إلى تندرارة، وتتفرع منها طريق سيدي لحسن وعين بني مطهر وعدد من المسالك غير المعبدة. ويتوفر مركز دبدو على ثلاث مدارس وثانوية ومستوصف ومركز بريدي ووكالة بنكية، وأصبح مؤخراً يتوفر على بيوت حديثة للإيواء السياحي أقيمت بجوار "عين تافرننت" على درجة مشرفة على مشاهد طبيعية جميلة. وقد عُرفت دبدو أيضاً بغاباتها الوارفة الظلال (البلوط والعرعار والعتم والصنوبر) وما تؤويه من وحش ونباتات طبية تعاني كلها من التدهور. أما الفلاحة فيعتمد عليها غالبية السكان بمن فيهم ساكنة المركز وتقوم أساساً على تربية الماشية خاصة منها الماعز نظراً للطبيعة الغابوية الجبلية إلى جانب قطع الأخشاب والزراعات البورية الاحتمالية، إذ أن الزراعات المسقية محدودة في المكان والزمان، وقد لا تتعدى الفصل المطير والمثلج أحياناً بسبب معاناتها مع طول فترات الجفاف الذي يقلص من انصباب



بالقحولة فإنها لا تتوفر على وديان دائمة الجريان نظرا لضعف سمك الغطاء الرسوبي التنفيذ وضخامة القاعدة غير النفيذة إضافة إلى طول الفصل الجاف.

ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، ج 7، ص 546، طبعة، 1992 ؛ أ. شحلان، 1998، "مدن مغربية في كتابات عبرية، صفرو ومكناس ودبدو" ؛ متنوعات محمد حجي، بيروت، مارمول كريخال، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984، ص. 270 - 272 ؛ ح. الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983، ج 1، ط، ص. 351 - 354 ؛ ع. الرحمان الحرادجي، 1986، ملاحظات حول البيئة الجغرافية لكتلة دبديو "ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر" وجدة، ص 29 - 33.

Ch. De Foucault, *Reconnaissance du Maroc*, Paris, 1988 ; J. Desnottes et J. Celerier, *La vallée de Debdou, La Géographie*, Paris, T. 50 ; A. El Harradji, *Le Massif de Debdou, Etude géodémographique*, Thèse Doct. 3^e cycle, Univ. Paris I, Panthéon-Sorbonne, Inst. Géogr., Paris, 1985 ; *Morphodynamique, activité anthropique et environnement dans le massif de Debdou-Mekkam, (Maroc Oriental)*, actes du symposium, *Dynamique de l'environnement en Afrique*, 2^e congrès des Géographes Africains, Rabat, 19 - 25 avril 1993, pp. 103 - 112 ; *Structure géologique et évolution géomorphologique du massif de Debdou (Maroc Oriental)*, R.G.M., 1996 ; *Dubdu, E.I.*, vol. 2.

عبد الرحمان الحرادجي

الدبدي، أسرة تطوانية أصلها من غمارة وقد انقرضت بتطوان حيث كانت بالمدينة دار بحومة الطرانكات تعرف بدار الدبدي سنة 1257 / 1841.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1614.

محمد ابن عزوز حكيم

الدبس، لغةً : عسل التمر وعصارته والعمامة تُطلقه على عسل الزبيب. وجاء في كتاب *المقصد الشريف* في معرض حديثه عن يحيى بن مخلوف من فخذ بني يغمرا من قبيلة بقرية : "فخرجت لأسوق شيئاً من الدبس في الجبل الذي فوق داري المشرف على الوادي الهابط إلى أبي سكور" (*المقصد*، 122) ويتحدث الحسن الوزان عن الدبس في : "جبل بني جرير يسكنه فرع من غمارة فيه غابات وكروم ويساتين الزيتون وسكانه فقراء مذقعون يلبسون الثياب الحفيرة ولا يملكون من الماشية إلا القليل ويصنعون كثيراً من الخمر والدبس..."، وعن جبل بني بوشيب قال بعد أن وصف مزايا الجبل الطبيعية وخصائصه المناخية ونشاط السكان الفلاحي : "... ويقتات الناس بالدبس المطبوخ وحساء الفول ويعتبرونها أحسن قوت،

ويأكلون هذا الدبس مع الخبز..." (*وصف إفريقيا*، 1 : 259-260).

برجعنا إلى النصوص التاريخية الموحدة ومقارنة ما جاء فيها عن شراب الرب نستطيع القول إن الدبس هو الرب نفسه مع تغيير طفيف يتعلق بالزوجة، فالرب وهو الأصل يتخذ من عصير العنب المطبوخ ويترك على النار إلى أن يتبخر أكثر من نصفه، أما الدبس فهو الناتج عن تبخر ما يحتويه العنب من الماء حتى يصبح لزجاً مثل العسل، وربما جُفف أكثر حتى يصبح صلباً يقضم. الاختلاف الكبير بين الرب والدبس يتعلق بالغاية من تناول المادتين وكلتاها تستهلك في المناطق الجبلية الشديدة البرودة (*لاستبصار*، وصف إفريقيا، 259 - 260) إلا أن الرب مادة مُسكرة إذا بولغ في استهلاكها وانتشر في المغرب كله وتشرب عادة بعد الأكل والشبع (*المن بالامامة*، 433).

أما الدبس وكما جاء عند البادسي والحسن الوزان فهو مادة غذائية أساسية إلى جانب الخبز أو حساء الفول، إلا أن الاكثار من تناوله يؤدي إلى نفس السكر والتخدير الذي يعطيه شراب الرب.

بقي أن أشير في الختام إلى أن كلمة دبس المستعملة إلى اليوم في الدارجة المغربية تعني اللون الأسمر العسلي، وقد أخذت المادة المتحدث عنها اسمها من هذه الخاصية. ويُعرف الرب باسم "الصامت".

ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 1958 ؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين، بيروت، 1964.

محمد حجاج الطويل

الدبلوماسية المغربية، دبلوماسية قطر من

الأقطار هي ارتباطه بغيره وشبكة علاقاته مع العالم، وهي التعبير عن المنزلة التي يتبوؤها في هذا المضمار حيث لا غنى لأمة ولا لقطر عن الاتصال بالعالم أجمع في عصرنا هذا، عصر التواصل والتقدم التقني. والتاريخ الدبلوماسي بهذا المنظور مرآة تعكس تحرك قطر ما ودرجة تفاعله مع أنداده سلباً وإيجاباً وما يحققه في مجال الحضارة الإنسانية عبر العصور.

والباحث في التاريخ الدبلوماسي أو بعبارة أخرى في السياسة الخارجية لأمة من الأمم كالواقف أمام جبل جليدي أربعة أخماسه تحت الماء، فلا تُرى إلا قمته. وكذلك الدبلوماسية أو السياسة الخارجية فإنها عادة ما تتسم بالتكتم عن الخفايا والخلفيات. فعدة عوامل تتخللها، منها طبائع صانعي القرار والفاعلين، وتأثير من حولهم من

بسبب انتماء الدولتين للعقيدة المسيحية بالرغم من نزاعهما إذ ذاك.

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و 18 م) أبرمت الدبلوماسية المغربية على سبيل المثال معاهدات لا تحصى مع إنجلترا في (1030—1760) ومع الدانمارك (1757) ومع إسبانيا (1767 و 1780 و 1799) ومع الولايات المتحدة الأمريكية (1787) ومع فرنسا (1630 و 1682 و 1767) ومع هولندا (1600 و 1651 و 1683) ومع إيطاليا (1762 و 1765) ومع البرتغال (1772 و 1799) ومع السويد (1763).

لكن الدبلوماسية المغربية اضطرت إلى مراجعة أساليبها وإعادة تنظيمها بعد الأزمات الداخلية التي وقعت بعد وفاة مولاي إسماعيل وبسبب تغير الظروف الناشئة عن احتلال فرنسا للجزائر (1830) وتطلع الدول المسيحية إلى غزو المغرب بعد هزيمته في إيسلي (1844) ضد فرنسا و(1860) ضد إسبانيا. وقد أفاد المغرب اتفاقه مع إنجلترا التي كانت تمتلك مضيق جبل طارق منذ (1704) وتحرص على بقاء توازن القوى في البحر المتوسط.

وبلغت الدبلوماسية المغربية ذروتها على عهد المولى محمد بن عبد الله، فأصبحت طنجة مقر الدبلوماسيين الأجانب وكانوا يتصلون بوزير الخارجية المغربي من عاصمة المملكة بفاس بواسطة ممثله بطنجة. وتوثقت العلاقات مع تركيا والحجاز والدول الأوروبية الأنفة الذكر والولايات المتحدة الأمريكية.

وقضى على سياسة الاستيطان والحمايات القنصلية للرعايا المغاربة من لدن الدول الأجنبية وإن كانت استؤنفت من بعد نظراً لضعف الدولة، واقتكاك الأسرى المسلمين إلى غير ذلك. وقد اقتفى أثر محمد بن عبد الله حفيده السلطان مولاي الحسن الأول فزاد في تحسين العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية وحفظ التوازن في ظروف بدأت تلك الدول تشهه خلالها لانتقاص المملكة من أطرافها والاستيلاء عليها. وقد أبرم اتفاقية في مدريد (1880) مع ثلاث عشرة دولة عقدت هناك مؤتمراً يتعلق بالمغرب، فنجحت الدبلوماسية المغربية في الحد من أطماع بعض تلك الدول وما كانت تتطلع إليه من تجاوزات وامتيازات على حساب المغرب.

لكن نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شهدت امتداد الاستعمار الغربي وبالتالي تأمر الدول الاستعمارية خاصة فرنسا وإسبانيا على المغرب وتحالف بقية الدول الغربية المجاورة وضعف المملكة المغربية وعزلتها على عهد السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ. فلم تستطع الدبلوماسية المغربية رد المد الاستعماري على الرغم من انعقاد مؤتمر الجزيرة (1906) الذي نص على المبادئ الثلاثة : سيادة واستقلال المغرب. ووحدته الترابية والمساواة في الاتجار معه بين الدول لمثله في المؤتمر.

القوى الضاغطة على اختلاف أنواعها، وتأثير الرأي العام، والظروف السائدة في الداخل والخارج الخ.. وقد لا تتجلى كل هذه العوامل بوضوح فيضطر الباحث في الدبلوماسية إلى الافتراض والتأويل في كثير من الأحيان. وبالتالي فإن علم التاريخ ليس من العلوم الدقيقة.

الجهاز المكلف بتسيير الدبلوماسية هو وزارة الشؤون الخارجية وهو من أهم أجهزة الدولة وأكثرها حساسية. لهذا كثيراً ما تكون هذه الوزارة تابعة لرؤساء الدول الذين بيدهم الحل والعقد أو لرؤساء الحكومات في الدول الراسخة القدم في الديمقراطية.

هذا الجهاز في المغرب كان يسمى "وزارة البحر" خاصة بعد قيام الدولة السعدية لأنه الجهاز الذي كان يعالج شؤون المغرب لما وراء البحار أي "المفاهمة مع الدول وعقد المعاهدات والاستصدار والاستيراد وفض المشاكل التي تعرض في بعض الظروف" كما جاء في كتاب الإتحاف للنقيب عبد الرحمن بن زيدان.

الدبلوماسية المغربية وإن كانت نشأت منذ قيام الدول والممالك التي تعاقبت على الحكم قبل الفتح الإسلامي، إلا أنها لعبت دوراً لا يستهان به في عهد المرابطين والموحدين ونشطت أكثر منذ العهد السعدي إلى أن بلغت الأوج في عهد الدولة العلوية وسلاطينها العظام بدءاً من المولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله والحسن الأول.

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء "وزراء البحر" إذ ذاك وأسماء بعض السفراء في شتى أقطار العالم. منهم من كانوا مقيمين في البلاد التي كانوا معتمدين بها ومنهم من أسندت لهم مهام ظرفية. وهكذا كان للمغرب اتصالات بالباب العالي وبلاد الشرق وأوروبا بما فيها إسبانيا والمقاطعات التي تكونت منها إيطاليا فيما بعد وفرنسا وإنجلترا وروسيا وكثير من أقطار أمريكا وآسيا. وإذا كان قليل من سفراء الدولة المغربية كتبوا مذكراتهم عما شاهدوه، فقد ترك بعضهم كتابات عن ارتساماتهم في ما وقفوا عليه بفرنسا والولايات المتحدة أثناء حرب انفصالها عن بريطانيا وغيرها. يضاف إلى ذلك ما كتبه ممثلو الدول الذين كانوا معتمدين في المغرب، وكان أغلبهم قناصل تركوا مؤلفات مهمة عن بلادنا وأحوالها.

منذ اعتلاء الدولة العلوية الحكم وفي عهد المولى إسماعيل (1674—1727) شهدت الدبلوماسية المغربية نشاطاً متنامياً بسبب الأخطار التي كانت تتعرض لها البلاد من حدودها الشرقية من لدن الأتراك، ومن الشمال بسبب الغارات الإسبانية والبرتغالية ونشاط القرصنة البحرية وما كان يترتب عليها من مشاكل الأسرى، وغير ذلك. وهكذا تبادل المغرب السفراء مع إنجلترا (أحمد بن حدو) ومع فرنسا (الحاج محمد تميم وبالأخص عبد الله بن عائشة) على سبيل المثال. وقد بلغ الأمر بمولاي إسماعيل أن فاوض لويس الرابع عشر على عقد حلف ضد إسبانيا. لكنه لم يتم

سعيًا وراء الاستيلاء على المغرب أبرمت فرنسا سلسلة من الاتفاقات مع إيطاليا (1902) مقابل إطلاق يد هذه في طرابلس، ومع إنجلترا (1906) مقابل التسليم لها باحتلال مصر، ومع إسبانيا (1904) مقابل التنازل لها على المنطقة الشمالية من المغرب، وأخيراً مع ألمانيا (1911) مقابل التنازلي عن موطئ قدم لها في الكونغو وقطعة من إقليم تشاد. فكانت الضربة القاضية بالرغم مما كان بين ألمانيا والمغرب من علاقات ود طوال عهود، ورغم ما بذلته الدبلوماسية المغربية في هذا السبيل لاتقاء مطامع فرنسا. وكان من نتائجها زيارة الامبراطور غليوم الثاني لطنجة في مايو 1905 مؤكداً استقلال المغرب، وانبعثت سفينة حربية "بانطير" بعد ذلك.

قضي الأمر وأمكن لفرنسا فرض حمايتها على المغرب في 30 مارس 1912. وكان من نتائج غياب الدبلوماسية المغربية طوال أربع وأربعين سنة إلى إعلان الاستقلال سنة 1956، تلك الدبلوماسية التي شهد لها أحد خبراء وزارة الخارجية الفرنسية إذ ذاك السيد شوڤي Chouvet في كتابه *Notion d'Etat et de nationalité au Maroc* حين قال : "تاريخ المغرب الدبلوماسي يدل على أن سيادة سلاطين المغرب كانت لهم منذ زمن طويل فرصة البروز في المحافل الدولية".

وفي غياب الدبلوماسية المغربية أثناء الحماية أصبح المقيم العام الفرنسي في منطقة الجنوب ملكاً بعلاقات المغرب مع الخارج، وكذلك الشأن في المنطقة الشمالية التي أصبحت تحت الحماية الإسبانية. لكن محمد الخامس بعد خروجه من الحجر ما فتئ ينادي بعودة الدبلوماسية المغربية إلى سالف عهدها وهو القائل : "منذ الآن لن يضيع حق من حقوق البلاد، بل سأسعى لاسترجاع ما ضاع". فكان يركز في خطبه بمناسبة عيد العرش كل سنة وفي تصريحاته على استعادة السيادة المغربية، خاصة في خطاب طنجة بمناسبة رحلته التاريخية في أبريل 1947 وفي خطابه الأخير سنة 1952 بمناسبة عيد العرش الفضي قبل خلع ونفيه.

دبلوماسية المغرب كما كان يراها بطل التحرير تركز على دعائم أربع : وفاق وتعاون مع جميع الدول، علاقات متميزة مع الدول الصديقة، ارتباط متين مع الدول العربية، تعاون وثيق مع الدول الإسلامية. ففي تصريح للصحافة بطنجة أعلن محمد الخامس : "أن المغرب حريص على أن يكون له في المستقبل علاقة ودية مع كل الأقطار التي دافعت عن الحرية والتي تواصل الدفاع عنها.. ولنا أمل وطيد في بلوغ كل ما نطمح إليه". وعند مقابلته للسلك الدبلوماسي بطنجة صرح قائلاً : "إن مساهمة المغرب في الحرب تعطي الحق في المطالبة بنصيبه في الانتصار واسترجاعه حقوقه التي هي حقوق جميع الشعوب". وصرح على لسان ولي العهد الحسن الثاني الذي تولى الملك بعده: "إن العالم العربي وطننا، وإن اللغة العربية لغتنا وإحدى

ركائز شخصيتنا، وإن العرب أشقاؤنا وسنسعى لتوثيق عرى الروابط التي توحدنا مع أشقائنا يجب أن تتجلى الوحدة والتعاون بين جميع ذوي النيات الحسنة".

ثم أكد الحسن الثاني عند اعتلائه العرش في إحدى خطبه مرجعية الدبلوماسية المغربية مصرحاً : "أن موقع المغرب الجغرافي وتاريخه الحافل يجعله مطوقاً بمسؤوليات وأمان جسام. إنه يقع في ملتقى البحرين، فعليه إذاً أن يفكر في السياسة الأطلسية وسياسة البحر المتوسط. إن المغرب جاء قريباً من أوروبا، فعليه أن يفكر في سياسته بالنسبة إليها وللقارة الإفريقية التي هو منها. وإن المغرب بلد عربي، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه العرب، وأخيراً إن المغرب دولة إسلامية، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه الدول الإسلامية". وقد ذُكر الحسن الثاني مراراً بأن جذور المغرب توجد بإفريقيا وأن أغصانه تمتد إلى أوروبا.

على هذا الأساس خطط الملك الراحل سياسة خارجية للمغرب المستقل وظل مشرفاً عليها موجهها لها خلال ثمان وثلاثين سنة قضاها على العرش، ولم يكن وزراء الخارجية رغم وفرة عددهم في تلك الفترة إلا منفذين للنهج الذي وضعه هو والده من قبل.

لقد سبق أن نص التصريح المشترك في 2 مارس 1956 بين محمد الخامس وحكومة الجمهورية الفرنسية الخاص بإعلان استقلال المغرب وسيادته على "أن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد علانية اعترافها باستقلال المغرب الذي يقتضى بالأخص دبلوماسية.. كما تؤكد عزمها على احترام وحدة المغرب المضمونة بالمعاهدات الدولية وتعمل على احترامها". وفي 4 أبريل 1956 توجه محمد الخامس إلى مدريد وصدر في أعقاب محادثاته مع الجنرال فرانكو تصريح مشترك تعترف فيه الحكومة الإسبانية باستقلال المغرب ووحدة ترابه كذلك.

ولم تكن الحكومة المغربية الأولى التي تألفت يوم 7 دجنبر 1955 تشتمل على وزير للشؤون الخارجية حيث لم تحدث الوزارة إلا في 26 أبريل 1956 وأسندت إلى الحاج أحمد بلاقريج الأمين العام لحزب الاستقلال في الحكومة الثانية بعد الاستقلال، فتحمّلت أكبر الأعباء في التأسيس والتدبير حيث نشأت من فراغ بخلاف الوزارات الأخرى التي تأسست خلفاً لإدارات الحماية في المناطق الثلاث وتوسعت تبعاً لمقتضيات الظروف وضرورة الحاجة.

أصبحت القضايا المطروحة بالحاج على الوزارة الناشئة كثيرة تتعلق بتثبيت وترسيخ السيادة المغربية بجميع مظاهرها بعد التصريحين المشتركين اللذين ألحنا إليهما. فكان أول عمل قامت به الدبلوماسية المغربية في عهد الاستقلال إلغاء النظام الدولي علي طنجة في 29 أكتوبر 1956 على يد محمد الخامس الذي قام برحلة إليها وحطم بيده الحاجز الذي كان يفصلها عن بقية أجزاء المغرب. وكانت الدبلوماسية المغربية تحرص في كل الاتفاقيات على

تضمنين وجوب تحرير جميع الأجزاء المقتضية ووحدة التراب المغربي والتحفظ في شأنها. فلا يخفى أن فرنسا سبق أن اقتطعت مناطق بكاملها في الجنوب الشرقي وجنوب المغرب ووضعت يدها عليها في غيبة السيادة المغربية. ومثل ذلك فعلت إسبانيا بموجب تواطئها مع فرنسا حيث وضعت يدها على أقاليم كثيرة : الصحراء المغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب ويوجدور وإيفني وطانطان) بالإضافة إلى سبتة ومليلية والجزر الجعفرية التي احتلتها في القرن السادس عشر.

وقد شخص محمد الخامس إلي محاميد الغزلان بوابة الصحراء الغربية في فبراير 1958 ومنها وجه الخطاب إلى سكانها معلناً أن الإقليم جزء لا يتجزأ من المغرب مؤكداً أنه سيعمل كل ما في وسعه لتحرير أجزاء الصحراء وإعادتها إلى الوطن. وقد كان لهذا الخطاب صدى بعيد في الصحراء حيث تحرك أبناؤها لتحريرها.

كما اهتمت الدبلوماسية المغربية بحدود المغرب الشرقية والأجزاء التي كانت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، وكانت حرب ضارية تجري بين جبهة التحرير الجزائرية وفرنسا فأرجأت الحكومة المغربية التفاوض في شأنها إلى ما بعد استقلال الجزائر مع حكومتها إذ ذاك، وأبرمت في هذا الشأن اتفاقية مع الحكومة الجزائرية المؤقتة التي كان يرأسها فرحت عباس.

استرجعت الدبلوماسية المغربية بعد جهد جهيد طرفاية وطانطان في أبريل 1958 وإفني في يونيو 1969 من يد الاستعمار الإسباني. ثم جاء دور الصحراء المغربية، فبعد مفاوضات طويلة ومضنية مع الحكومة الإسبانية واتفاق مع موريتانيا ومحادثات مع الحكومة الجزائرية التي دخلت طرفاً في النزاع على الصحراء المغربية وقرار محكمة العدل الدولية التي أصدرت قرارها بوجود "علاقات ولاء بين المغرب والصحراء لمغربية" أعطى الحسن الثاني انطلاقة المسيرة الخضراء في 6 نوفمبر 1975 والتي ضمت ثلاثمائة وخمسين ألف شخص للمسير إلى الصحراء التي دان شيوخها له بالولاء. وهكذا ضم هذا الإقليم إلى المغرب. ولم يبق تحت احتلال إسبانيا إلا سبتة ومليلية والجزر الجعفرية. وقد جرت اتصالات ومسامح في شأنها، واقترح الحسن الثاني تكوين خلية تفكير مزدوجة لحل مشكلتها. لكن الحكومة الإسبانية لم تستجب لهذا الاقتراح. ومن القضايا الكبرى التي اهتمت بها الدبلوماسية قضية جلاء القوات العسكرية الفرنسية وتصفية القواعد الأمريكية. وقد جرت مفاوضات مع فرنسا استمرت نحو خمس سنوات، وكانت حكومة باريس تصر على عقد حلف عسكري. لكن الأمر انتهى بالجلء التام في مارس 1961. واستنكر المغرب استعمال الحكومة الفرنسية للصحراء التي كانت ألحقها بالجزائر في غياب الدبلوماسية المغربية في تفجير قنابلها النووية، فسحبت تجهيزاتها. أما القواعد الأمريكية فقد سبق أن

صفت في 22 دجنبر 1959 بموجب اتفاقية وقعها محمد الخامس والرئيس إيزنهاور بمناسبة الزيارة التي قام بها هذا الأخير للمغرب. ومعلوم أن تلك القواعد كانت من رواسب عهد الحماية حيث وقع الاتفاق على إقامتها بين حكومتي باريس وواشنطن.

نشطت الدبلوماسية المغربية في هيئة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها وأخذ المغرب مقعده بين دول عدم الانحياز، وكان من مؤسسي هذه الحركة بحضور الحركة الوطنية في مؤتمر باندونغ دجنبر 1954. وقد مثل الحسن الثاني المغرب على رأس وفد كبير في المؤتمر التاريخي الذي عقدته الحركة ببلغراد وحضره سبعة وعشرون رئيس دولة في سبتمبر 1961.

وكان بناء وحدة المغرب العربي من أولويات اهتمام الدبلوماسية المغربية انطلاقاً من مؤتمر طنجة الذي انعقد في أبريل 1958 وحضره ممثلو دول شمال إفريقيا بمن فيهم وفد عن ليبيا وآخر عن منظمة التحرير الجزائرية التي كانت تخوض الحرب ضد فرنسا.

كما كان اهتمام الدبلوماسية المغربية منصباً منذ البداية على وحدة الدول الإفريقية وشؤون القارة السوداء بوجه عام. وقد دعا محمد الخامس إلى عقد مؤتمر حضره رؤساء أغلب الدول الإفريقية المستقلة بالدار البيضاء في يوليو 1958 وأسفر عن الميثاق المعروف بميثاق الدار البيضاء الذي كان له صدى بعيد. وحصلت انقسامات في صفوف الدول الإفريقية، نشأ عنها فريق تقدمي وفريق محافظ. ومع ذلك فقد برزت إلى الوجود منظمة الوحدة الإفريقية في مايو 1963 وكان المغرب من مؤسسيها. وترأس الحسن الثاني وفد بلاده في أول مؤتمر لقمة الوحدة الإفريقية انعقد بالقاهرة في يوليو 1963.

وفي طليعة اهتمامات الدبلوماسية المغربية تضامن الدول العربية. فمنذ انخراط المغرب في الجامعة العربية غب استقلاله، بذل جهداً كبيراً لمراجعة ميثاقها، ولم يدخر الحسن الثاني وسعاً في السعي لتوحيد كلمة العرب أثناء المؤتمرات التي دعا إليها في المغرب والدفاع بالأخص عن القضية الفلسطينية التي كانت وما تزال القضية المركزية للدول العربية. وكان للمغرب دور كبير في الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد في مؤتمر القمة الذي انعقد بالدار البيضاء 1974.

كما قامت الدبلوماسية بدور كبير في تأسيس وتفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي حيث كان الحسن الثاني الداعي لعقد القمة الأولى سنة 1969. وتعددت بعد ذلك اجتماعات القمة ودورات وزراء خارجية الدول الإسلامية في المغرب، وكان العاهل الراحل من أكبر المشرفين عليها. وبمناسبة نهاية العشرة الأولى وانعقاد مؤتمر القمة بالمغرب الذي حضره أغلب رؤساء الدول الإسلامية الخمسين أسندت للحسن الثاني رئاسة لجنة القدس تقديراً واعتباراً.

هذه بإيجاز كبير بعض المهام التي اضطلعت ومازالت الدبلوماسية المغربية ممثلة في زارة الشؤون الخارجية والتي أضيفت إليها مهمة التعاون.

وللمغرب كذلك تمثيل واسع في الخارج يبلغ :

(1) 148 سفارة

(2) 76 قنصلية

80 من الممثلين الدبلوماسيين مقيمون في الأقطار التي هم معتمدون فيها و68 يمثل كل واحد منهم المغرب في عدة أقطار ويقوم كل واحد منهم في أحد تلك الأقطار. أما القنصليات فكلها مفتوحة في القارات الخمس. وكل القناصل المغربية مقيمون في البلاد التي هم معتمدون فيها.

وللمغرب تمثيل في مآت المنظمات الدولية والحكومية. ويجدر أن نشير إلى أن للمغرب علاقات صداقة وأخوة وتعاون وحسن جوار مع مائة وخمس عشرة دولة ممثلة بسفراء أغلبهم مقيمون بالرباط. وهم موزعون على القارات الخمس : 33 سفارة إفريقية و30 سفارة آسيوية و30 سفارة أوربية و20 سفارة من أمريكا و2 من الأقيانوس بالإضافة إلى 29 قنصلية و20 منظمة دولية وتمثيلية للمفوضية الأوروبية.

كما تجدر الإشارة إلى أن عدد الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة الشؤون الخارجية منذ الاستقلال ومن ضمن 24 حكومة تولّى مقاليد الأمور ثلاثة عشر وزيراً وهم على التوالي : الحاج أحمد بلقريج، عبد لله إبراهيم، إدريس المحمدي، أحمد رضا أكديرة، أحمد الطيبي بنهيمه، محمد الشرقاوي، أحمد العراقي، عبد الهادي بوطالب، يوسف بن العباس، عبد اللطيف الفيلالي، محمد بوسنة، عبد الواحد بلقزيز، محمد بنعيسى.

كما توالى على الوزارة تسعة كتاب دولة وهم :

محمد بوسنة، محمد بن العربي العلمي، عبد الله الشرفي، أحمد الشرقاوي، عبد الرحمن بادو، عبد الحق التازي، الطيب الفاسي الفهري، عبد السلام زينند، عائشة بلعربي.

ومن المتوقع أن يزيد نشاط الدبلوماسية المغربية في عهد محمد السادس نظراً للتحويلات التي تعرفها بلادنا والظروف العالمية والتحديات التي تواجهها الأقطار التي هي في مثل وضعها.

ق. الزهيري، الدبلوماسية المغربية في خدمة الاستقلال، تقرير في 26 صفحة (من أرشيف وزارة الخارجية والتعاون) : ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، (عشرة أجزاء) : إصدار إدارة البروتوكول في وزارة الخارجية والتعاون بالمغرب.

Le Maroc : avant le protectorat, sous la protectorat, faillite du protectorat ; C. A Julien, Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956 ; Annuaire du corps diplomatique et consulaire et des organisations internationales.

قاسم الزهيري

الدَّبْلُون، قطعة ذهبية إسبانية Doblon ضربت في إسبانيا بعد نهاية الدولة المرابطية وقد انتشر الدبلون في المغرب وفي بلدان شمال إفريقيا كما انتشر في بلدان الشرق في مصر والعراق وسوريا.

ففي المغرب كان يصرف الدبلون في القرن الثالث عشر (19 م) بمقتضى التسعيرة الواردة في ظهير السلطان عبد الرحمان ابن هشام سنة 1288 / 1852 به 32 مثقالاً فضياً مغربياً أي ما يعادل 16 ريالاً فضياً إسبانياً. ورغم ما استنتجناه من رسالة السلطان الحسن الأول من أن الدبلون بعد ثلاثين سنة أي في سنة 1882 كان يصرف بنفس التسعيرة وهي 16 ريالاً إسبانياً. فإن ذلك لا يعني - كما قد يُتهم - جمود صرف الدبلون الذهبي الإسباني، وإنما يعني استقراراً في العلاقة بين العملة الإسبانية الذهبية وعملتها الفضية. ونفهم هذا إذا علمنا أن الدبلون الذي كان يساوي 16 ريالاً إسبانياً كان يمثل 32 مثقالاً مغربياً أي 320 أوقية فضية مغربية في الوقت الذي كان يصرف الريال الإسباني به 20 أوقية على حين ارتفعت قيمة الدبلون من 32 مثقالاً مغربياً إلى 143 مثقالاً سنة 1882 حيث بلغ صرف الريال الإسباني حوالي 89.5 أوقية مغربية. وهذا يفسر مدى تصاعد قيمة صرف العملة الإسبانية واستمرار تدهور العملة المغربية منذ حرب تطوان والديون المترتبة عنها وكذا عواقب التدخل الأجنبي وعوامل أخرى متعددة جعلت العملة المغربية أقل أهمية، وتهافت الناس على العملة الإسبانية الدبلون والفرنسية بعدها وهي اللوز التي حجبت الدبلون عن التداول فلم يكد يظهر الدبلون إلا قليلاً بعد الثمانينيات من القرن الثالث عشر (19 م) بالمغرب.

ع. أفا، مسألة النقود في القرن التاسع عشر، ص. 136 - 401 :

أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9، ص. 64 : رسالة السلطان مولان

الحسن إلى محمد بركاش، فاتح جمادى الثانية 1299 / 20 أبريل

1882، انظر ملف السكة بمديرية الوثائق الملكية : ع. أفا، الوثائق

المخزنية الخاصة بمسألة النقود في القرن التاسع عشر، ملف مديرية

الوثائق الملكية، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 13 سنة 1987 :

الكرملي أسطاش، النقود العربية وعلم النميات، ص. 183 - 256.

J.-L. Miège, Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894, Paris, 1961, T. 3.

عمر أفا

أولاد الدببيغ ذكرهم ابن سودة ضمن سكان مدينة فاس في كتابه **إزلة الالتباس** قائلاً : "كان لهم ذكر بفاس وعز ومال وإليهم تُنسب دار الدببيغ ببلاد زواغة محل المدينة الجديدة الآن بفاس وقد انقرضوا. وقفت على رسم في رق غزال مؤرخ بعام سبعة وستين وتسعمائة ذكر فيه الموثق أن المرأة عائشة بنت الحاج عبد الرحمن الدببيغ

توفيت فورثها زوجها محمد الصنهاجي وعصبتها جماعة المسلمين، فعلى هذا انقرضت أولاد الدبيبغ في هذه السنة وقد بقي ذكر هذه العائلة بسبب البقعة الأرضية الكبرى التي ما زالت تُنسب إليهم إلى الآن المدينة الجديدة بفاس. ع. ابن سودة، رفع الالتباس، مرقون.

محمد جحي

دبيلة، **علال بن الحاج محمد بن التهامي،** أحد أعلام مدينة أسفي صدر القرن الرابع عشر (20 م) وهو ينحدر من أسرة دبيلة الأسفية العريقة. تولى الخلافة عن عامل المدينة وكان يخطب بالجامع الفوقاني نيابة عن الفقيه عبد الرحمان بن الحسين المطاعي. توفي عام 1350 / 1931. م. الكانوني، أسفي وما إليه.

عبد الرحيم العطاوي

الدجاج كما هو في الدارج والمعاجم، جنس طير أهلي من رتبة الدجاجيات (Gallianaceae, Galliformes) والفصيلة التدرجية Phasianidés فيها سلالات كثيرة نتجت عن تجمعات كان الإنسان من ورائها. يسمى علمياً Gallus gallus ويسمى الذكر الديك والأنثى دجاجة والصغار كتاكيت وفلايس. وفي هذا الجنس أنواع كدجاج بنخيوة ودجاج جاوي ودجاج سرنديب ودجاج براهما ودجاج كوشين ولونشان brahma, cochin et langshan وكل هذه السلالات تلد قليلاً من البيض وقامتها كبيرة. أما الدجاج الأهلي فصجول الأصل ويعتقد أن سلالاته المعروفة تولدت من تسافد أنواع وحشية عديدة وكان الإنسان من وراء انتشارها في جميع القارات.

تعتبر السلالات المتوسطة التي تضم انكونا Ancona والأندلسية andalouse ومنوركا ولوغورون Leghorn البيضاء White leghorn à crête simple من بين الدجاج الأهلي الأكثر شعبية في المغرب. تتميز هذه السلالات باستهلاك كمية قليلة من الأكل وبيض أبيض كبير مقارنة مع أجسامها الصغيرة.

ويرجع تدجين الدجاج الأهلي المعاصر ابتداءً من الدجاج الوحشي الأسوي الاشقر Gallus gallus ويرجع ذلك ما بين 2000 و3500 قبل الميلاد. ومع مرور العصور انتشر هذا الطائر في جميع بقاع العالم وتغير لون ريشه وحجمه بواسطة التجمعات والانتقاءات العرقية التي كان الإنسان يسعى إليها بحثاً عن مزيد من الإنتاج والتكاثر.

يربى الدجاج لأكل بيضه ولحومه، وفي زمننا هذا تطورت تقنيات التربية وأسس ما يفوق 500 وحدة إنتاج صناعية بداخل الوطن تنتمي إلى القطاع الخاص وتنتج سنوياً 650 مليون بيضة مما يشكل 44% من الإنتاج

الوطني ويشكل الإنتاج التقليدي حوالي 56%. تنتج الوحدات الصناعية حوالي أربعة ملايين من فراخ الدجاج. الدجاج الأصلي الذي تولد منه الدجاج الأهلي مجهول، ويظن أن مهد هذا الدجاج الأصلي في آسيا الاستوائية الجنوبية كجاوي وسيلان حيث توجد أنواع وحشية من الدجاج كنوع الدجاج الوحشي الأشقر. ريش الديك من هذا النوع ناعم ولا مع يشبه ريش التدرج. يكثر صياحه في بداية الصباح الباكر مما جعل سكان البدو يستعملونه كمؤشر للوقت. غالباً ما يكون ديك وسط مجموعة من الإناث.

يتكون غذاؤه من الحبوب والديدان والحشرات والأعشاب. يعرف الدجاج توزيعاً شاملاً على بقاع اليابسة حيث دجنه الإنسان وتوسع في تطوير إنتاجه فوجد منتجين مختصين في إنتاج بيض التفريخ ومنتجين مختصين في إنتاج لحوم الدجاج إلى جانب الإنتاج التقليدي المعروف في البوادي المغربية.

عدد البيض غير محدود عند الدجاج ويختلف حسب السلالات فهناك السلالة التي تبيض طول السنة، تزن البيضة 60—80 غرام ويختلف لونها وحجمها حسب السلالات. ينحصر وزن الدجاج ما بين 1—4 كيلو غرام تدوم مدة الحضانة 21 يوماً.

مصطفى يعرف والشيخ النواني، البيض، معلمة المغرب، ج. 6، ص. 1949 - 1950، 1998؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ المجلد أمين، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

محمد رمضاني

* * تقل الإشارات التاريخية إلى الدجاج، لذلك نتساءل عن الأسباب، فهل كان الدجاج موجوداً بكثرة حتى إنه لا يستحق الاهتمام أم العكس أن ندرته جعلت الملاحظين لا ينتبهون إليه؟ وكيف ما كان الجواب فالدجاج - حسب العديد من الإشارات في المصادر الوسيطية - إنتاجاً واستهلاكاً ارتبط بعوامل عديدة بعضها طبيعي وبعضها بشري؛ فمن العوامل الطبيعية انتشار الأمراض والأوبئة، والدجاج من الحيوانات السريعة التأثر بها، ومنها كذلك الجفاف والقحط الشديد مما يجعل الإقبال على الدجاج أمراً لا مفر منه عند الموسرين والمعسرين على السواء. وهذا العامل الطبيعي البشري نجده في فترات الخصب ينعكس فيصبح الإقبال على الدجاج من أجل بيضه أكثر سواء في التغذية أو في التجميل والعناية بالشعر. يقول الشريف الإدريسي متحدثاً عن أهل السوس: "... وعلى رؤوسهم الشعور الكثيرة ولهم بها اهتمام وحفظ وذلك أنهم يصبغونها في كل جمعة بالحناء ويغسلونها في كل جمعة مرتين برقيق البيض والطين الأندلسي..." (نزهة، 3: 228).

استهلاك البيض في التغذية في الظروف العادية عند المصامدة كان قليلاً، بل ويكره إن لم نقل يمنع أكله في الفطور، وهذه عادة ما تزال موجودة عند السوسيين. تفسر كثيراً من الجوانب المتعلقة بالدجاج والبيض الواردة في القوانين والديانة البرغواطية، فالبرغواطيون من صميم المصامدة (العبر، 1 : 659-14).

ويستنتج من قراءة تحليلية للديانة البرغواطية وقوانينها التي ركز عليها البكري في المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (139) وكذا الدراسات اللاحقة سواء منها الأركيولوجية في منطقة تامسنا (المجال برغواطة) أو الأنثروبولوجية في منطقة سوس (مصامدة منحدرين من العهد البرغواطي) يستنتج أن البرغواطيين حرموا أكل الدجاج لأغراض تكتيكية حربية. يقول البكري : "والبيض عندهم حرام والدجاج والدجاجة مكروهة"

فإذا كان تحريم أكل الديكة واضحاً ومعللاً عند البكري فإن تحريم أو تكرهه أكل الدجاج لا يفسر إلا بما ذكرت : فمعروف أن البرغواطيين منذ نشأتهم وهم في حروب ولم تستطع الإمارات المتعاقبة على حكم بلاد الغرب الإسلامي ولا الدول العظمى آنذاك (فاطميين وأمويين في الأندلس) لم يتمكنوا من هزيمة البرغواطيين لأسباب متعددة ما تزال حسب تقديري لم تدرس بعد، ومنها استغلالهم للمجال الترابي استغلالاً دقيقاً ومنه استغلال الدجاج لاستدراج العدو إلى الكمائن والأراضي الوعرة للقضاء عليه، إذ يرى الدجاج وينقل في أخمام ليوضع في أماكن محددة ومداخل وممرات وسط الغابات فيعتقد العدو أن المكان مأهول ومسكون ودليله في ذلك زقاء الديوك والدجاج السارح بكتاكيته فيتوغل في المكان وهو على يقين بأنه سائر إلى تجمع سكني.

ما عدا ذلك وجدت في المصادر إشارات عن استهلاك الدجاج إلا أنه استهلاك غير عادي فأهل البوادي يقدمونه هدية غالية لضيوفهم عند انصرافهم، وذبح الدجاج سواء في البادية أو المدينة يعتبر ترحيباً واحتفاءً بالضيف، وهذه عادة بدأت ربما منذ العصر الوسيط (نفاضة الجراب، 43 : وصف إفريقيا، 1 : 110) لتتسع بعد ذلك عمودياً وافقياً ولكنها بقيت عادة تتعلق بمستوى معاشي متوسط وعال، ويستدل على ذلك بأثمنة الدجاج المرتفعة، فقد أشار صاحب مسالك الأبصار إلى أن ثمن "طائر الدجاج ثلاثة دراهم صغيرة".

ومن الطريف أن مرق صغار الدجاج (فلوس، عتوكة) (أي الأثني التي لم تبض بعد) يستعمل للتداوي من بعض الأمراض، وهي عادة منحدرية إلينا من العصر الوسيط (المقصد، 124)، إضافة إلى الدجاج كدواء ارتبطت به عدة أمثلة وطرائف، من ذلك قولهم عن بلد جنيازة (ما بين فاس وطنجة) : مثلها : "مثل الدجاجة أن أصابها ديك أتت بالديك وأن لم يصبها ديك أتت بالبيض، تحتك بالغبار

وتلد". (الاستبصار، 188)، ومن طرائف سكان المناطق المنتجة للتين المجفف (الشريحة) أن الدجاج يُعيق عملية التجفيف التي تتم عادة على السطوح القصديرية الثنائية الميل في المناطق الشمالية (بلاد جبالة) ولمنع الدجاج من تسلق هذه السطوح والعبث بالتين، تضع النساء على أرجل الدجاج شبه أحذية من قشور اليقطين اليابس (القرع السلوي) مشدودة بخيوط فلا يستطيع الدجاج الصعود ولا العبث بأرجله بالمواد المراد تجفيفها زبيب العنب وزبيب التين وزبيب الصبار (الهندي).

الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، الطبعة الإيطالية المعهد الجامعي الشرقي بنابولي، د. ت. : ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، د. ت. : البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب الجزائر، 1911 : ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982 : ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تح. أحمد مختار العبادي، القاهرة، د. ت. : ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 : ع. ابن فضل الله، مسالك الأبصار، الجزائر، 1924، ضمن مقتطفات (بالفرنسية) ومقتطفات كودفري دوموميين، شمال إفريقيا بدون مصر (بالفرنسية)، باريس، 1928 : م. المنوني، وورقات عن حضارة المغرب في عهد بني مرين، الرباط، 1979 : مجهول، الاستبصار، 1958 : م. حجاج الطويل، مذكرات خاصة عن زيارات ميدانية للريف وجباله محمد حجاج الطويل

دحّان، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الفقيه

لحسن بن الحسن مكرراً من شرفاء بوكرفة من قبيلة أيت إغزراً الباعمرانية المنفصلة عن قبيلة أيت عبلأ بظهري حسني سنة 1299. عُرف هذا الرجل بالشجاعة إلى حد التهور، فصار من أعيان القبيلة وفرسانها، وكان يعتز بالعرف القبلي ويسهر على تطبيقه، ولطموحاته قام ضده أعيان القبيلة تنفيذاً للعرف الذي يؤمن به فحورب بنفس سلاحه.

لذلك صار شبه منفصل عن قبيلته أيت إغزراً، فأعلن أنه مع قبيلة أيت الخمس القوية، وأنه محمي من طرفها، فحدث أن عشر على رجلين من خصومه في بستانه فقتلها، فرحل عن البلاد فباع القبيلة ممتلكاته حسب العرف لعمه لحسن، وما كاد يسمع بذلك حتى استنفر قبيلة أيت الخمس بقيادة الشيخ بريك بن سعيد السيموري، فقامت الفتنة بين القبيلتين وانتهت بمعاينة المشتري وردّ الأملاك إلى مترجمنا هذا بقوة السلاح ضارباً عرض الحائط بالعرف والشرع معاً.

وقد شارك في معركة إيكالفن ضد حملة الباشا حيدا ابن مائس سنة 1917 وغنم منها بغلة في حملها عدة بنديقيات ودراهم صلبة ملازمه أو حاميذون من أيت الخمس، كما شارك في معركة تيزي الأولى 1917 ضد

الجنرال دولاموط وقد حفظ عنه الناس قوله "تُغيسُ فرنسا
وُحسان نايِتُ باعمران = إن فرنسا أزالَت أسنان الباعمرانيين
بقتلها شجعانهم في معركة تيزي وقد ساهم مترجمنا هذا
في دفن شهداء تلك المعركة لقربها من منزله وذكر أن
عددهم حوالي ستمائة شهيد، بينما ذكر الإغراوي في روضة
الأفنان (ص. 102)، فقال "فقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل
على ما قيل منهم القائد محمد بن بي نالشيخ همو..."
ونظراً لاستشهاد أصدقائه الشجعان في تلك المعركة
ولخوفه على نفسه هاجر إلى مدينة فضالة سنة 1934
وتوفي بعد ذلك بقليل.

معلمة المغرب، ج. ص. 1837 ؛ تعيين القائد أحمد أصواب على
قبيلة أيت إعرّا سنة 1299 ؛ استجواب مع عائلة دحان، سنة
1989.

الحسين جهادي

دحو، محمد بن محمد مقاوم ولد سنة 1926
بقصر زناكة إقليم فيكيك انضم إلى منظمة الهلال الأسود
بالدار البيضاء في أواخر غشت 1953.
وقد عرف بين رفاقه في المنظمة بإخلاصه وغيرته
الوطنية فقام بعدة أعمال فدائية تستهدف مصالح المستعمر،
كما كان يقوم بصنع القنابل التي كانت سببا في استشهاد
إذ انفجرت فيه إحداها أثناء تركيبها وذلك بتاريخ 4 يناير
1955.

المنندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال.

ابن دحمان، أسرة موجودة في أنحاء شتى من
المغرب، وكان منها بسلا عدول وفقهاء وحرفيون وموظفون
في المصالح الإدارية والمخزنية. منهم :

ابن دحمان، الطاهر كان سنة 1292 / 1875 من
رجال الطبجية بمدينة سلا، وصار سنة 1318 / 1901 رئيساً
لهم.
م. بوشعراء، التعريف، ج 2، ص. 149 و260.

ابن دحمان، الطيب بن محمد، كان سنة 1206
من عدول سلا القائمين بالشهادة وكان سنة 1232 ما يزال
بقيد الحياة.

ابن دحمان، الطيب - آخر - من عدول سلا سنة
1271، وكان فقيهاً مدرساً، وولي قضاء الدار البيضاء قبل
1294. وكانت وفاته سنة 1302.
م. بوشعراء، التعريف، ج 2، ص. 57 و164، ورسوم الخزانة
الصبيحية.

ابن دحمان، العربي من أهل طنجة، كان موظفاً
بدار النيابة حوالي 1312 / 1895 وبعدها، وكان يشتغل
بالترجمة، ويكلف بأعمال خارج طنجة.
وثائق مكتبة تطوان.

ابن دحمان، العربي بن الطيب، وكان من
عدول سلا سنة 1305.
وثائق آل بنسعيد.

ابن دحمان، محمد (الحاج -) كان سنة 1184
بقيد الحياة وكان من عدول سلا.
رسوم الخزانة الصبيحية.

ابن دحمان، محمد بن الطيب بن محمد وهو
من فقهاء مدينة سلا، احترف خطة العدالة، وكان سنة
1307 بقيد الحياة.
رسوم الخزانة الصبيحية ووثائق شخصية : م. بوشعراء، التعريف، ج
1، ص. 45.

مصطفى بوشعراء

ابن دحمان، محمد بن محمد السلوي، قال
عنه ابن علي الدكالي في الإتحاف : "كان أديباً شاعراً
متقناً" وقف له على قصائد في أغراض مختلفة وأثبت
مقتطفات من قصيدة طويلة من روى الزاي في مدح الشيخ
أبي يعزى. وفي الخزانة العلمية الصبيحية رسوم عدلية
فيها شهادات للحاج محمد بن دحمان. آخر سنة 1184
توفي بعد سنة 1184.
م. ابن علي الدكالي، الإتحاف/الوجيز، ط 2، الرباط، 1996 ؛
رسوم عدلية في خ. ص.

محمد حجي

الدحمان، يلقاسم بن المعطي، مقاوم ولد سنة
1905 بدوار الدحمان قبيلة بني سميح ناحية وادي زم.
شارك في المظاهرة الشعبية يوم 20 غشت 1955 واستشهد
في نفس اليوم.
المنندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال.

ابن دحية، عثمان بن حسن الكلبي السبتي
يكنى أبا عمرو ويعرف أيضاً بابن وجيه أخو أبي الخطاب
ابن دحية (السان، 4، 133 ؛ بغية، 2، 133). أخذ عن
علما ببلدته سبتة ورحل إلى الأندلس طالباً العلم فتتلمذ
عن أبي عبيد الله وعن غيره من العلماء الوافدين على

سبعة وأخذ بقرطبة عن ابن بشكوال، وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجدد أبي عبد الله ابن زرقون (صلة، 82). يُذكر أن الحافظ ابن الجدد كان يبره ويحسن إليه رفقا بزهد (السان، 4، 133). رحل إلى الشرق حاجاً إما بصحبة أخيه (صلة، 82؛ التكملة، 446) أو منفرداً لاحقاً به (وفيات، 3، 450؛ لسان، 4، 133). انتهت رحلته الشرقية بأن حط رحاله بالقاهرة حيث عينه الملك الكامل مدرسا في دار الحديث الكاملية محل أخيه أبي الخطاب المعزول (وفيات، 3، 450؛ نفع، 2، 94؛ لسان، 4، 133).

صُنّف أبو عمرو ضمن طبقة اللغويين النحاة، وهو الميدان الذي نبغ فيه. كما عرف كفقيه محدث، ذاكر للجرح والتعديل والأسانيد والرجال (صلة، 82) يذكر ابن حجر العسقلاني نقلاً عن ابن نقطة في إطار مقارنته مع أخيه أبي الخطاب أنه "أرى على أخيه بكثرة السماع كما أرى أخوه عليه بالفتنة" (السان، 4، 133؛ بغية، 2، 133). شهد له الذهبي وغيره بإمامته في الحديث وبالعدالة والمعرفة لكن يؤخذ عليه ولوعه بالتعكير في كلامه (بغية، 2، 133؛ صلة، 82). كما كان يحدث دون اعتماده على الأصل. يذكر ابن نقطة أنه رآه بالأسكندرية عند قدومه عليها في حلقة علمية والناس مجتمعون حوله يوم جمعة وكان يقرئهم جامع الترمذي. فسئل عن الأصل، فأجاب إنه لا يحتاج إلى أصل لأنه يحفظه. وقال إنه يمكنهم أن يقرأوا من أية نسخة شاؤوا، وتناول في كلامه على أئمة الفقه والحديث مثل مالك بن أنس والشافعي - يضيف ابن نقطة أنه عند ذلك الحين لم يجتمع به. يؤكد ابن الأبار من جهته أن أبا عمرو أصاب في تهجمه حتى بعض أساتذته مثل ابن بشكوال.. ويذكر ابن واصل أنه كان يُستثقل لما كان يستعمله من حوشي اللغة في رسائله (وفيات، 3، 450؛ لسان، 4، 133؛ صلة، 82).

ألف أبو عمرو كتباً عدة يذكر ابن حجر العسقلاني أنه وقف على واحد منها في (الجرم والبسمة) ويلاحظ عليه عدم معرفته بهذا الفن (السان، 4، 133). كما له منتخب في الأحكام لقد ظل يمارس الأستاذية بدار الحديث الكاملية إلى أن توفي يوم الثلاثاء 13 جمادى الأولى من سنة 634/ 12 يناير 1237 عن سن تناهز 88 سنة، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة (وفيات، 3، 450؛ لسان، 4، 133؛ نفع، 2، 94).

ابن الأبار، التكملة؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، طبعة حجرية، (د. ت. الجزء الرابع؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تج. إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث؛ ابن الزبير، صلة الصلة، القسم الرابع، تج. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، فضالة، 1414 / 1994؛ ع. السيوطي، بغية الرواة، تج. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1399 / 1979، الطبعة الثانية؛ أ. المقرئ، نفع الطبيب، تج. إحسان عباس، بيروت، 1408 / 1988، المجلد الثاني.

ابن دحية، عمر بن الحسين بن علي السبتي يكنى أبا الخطاب، وهو إحدى الشخصيات الفكرية التي عاصرت الفترة الموحدية في القرن السادس وبداية السابع (12م). لهذا كان يُعرف نفسه "بذي النسيين دحية والحسين". كما كان يكتب عن نفسه "سبط أبي البسام" (وفيات، 3، 449).

ولد في مستهل ذي القعدة من سنة 546. ويعتبر أبو الخطاب من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء الذين أنجبته مدينة سبتة، كان متقناً للحديث وفروعه (برنامج، 20) ظاهري المذهب، عالماً باللغة والنحو وأيام العرب وأشعارهم. برهن في مناسبات عدة عن كفاءته العروضية ومقدرته البيانية. لكنه اختص في طلب الحديث وتدرسه بالمغرب والمشرق في رحلته العلمية الطويلة التي لم يعد منها والتي لم يخلف لنا آثارها على غرار ما فعله بنو جلدته من العلماء السبتيين من أمثال التجيبي وابن رشيد.

روى بسبته عن أبي محمد بن عبد الله ورحل إلى الأندلس وأخذ بها عن عدد من الأشياخ منهم الحافظ أبو بكر بن الجدد وأبو عبد الله بن زرقون وأبو العباس بن خليل. كما أخذ عن ابن بشكوال (صلة، 73؛ عنوان، 160) وتولى قضاء دانية مرتين، ثم صُرف عنها - يقول المقرئ لسيرة نعتت عليه (نفع، 2؛ 104) ثم عاد إلى بر العدو. ونزل بمراكش والتقى بعلمائها (صلة، 73) رحل إلى بجاية وأقام بها أيام حكم أبي عبد الله ابن حوشتي يرمور (عنوان، 228). ثم نزل بإفريقية سنة 595 / 1199 واشتغل بها محدثاً قبل أن ينتقل إلى الديار المصرية حيث سمع عن البوصيري (عنوان، 160). ومنها تابع رحلته إلى الشام والحجاز والعراق. فأخذ في بغداد عن بعض أصحاب ابن الحصين. وقرأ بواسط على أبي الفتح محمد بن أحمد ابن الميداني. وواصل رحلته إلى "عراق العجم" وخراسان ومازندران وغيرها. وأخذ بأصبهان عن أبي جعفر الصيدلاني وبنيسابور عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وأبي سعيد ابن الصفار والمؤيد الطوسي. كل ذلك طلباً في علم الحديث وبهدف الاستماع والاجتماع بأئمة (نفع، 2، 104؛ وفيات، 3، 449).

وعند وصوله إلى مدينة إربل في سنة 604 / 1208 وهو في طريقه إلى خراسان استقبله صاحبها الملك مظفر الدين بن زين الدين، وقد كان مولعاً بتخليد ذكرى المولد النبوي عظيم الاحتفال به، فأُنجز له أبو الخطاب مؤلفاً سماه التنوير في مولد السراج المنير ختمه بقصيدة طويلة.

يقال إنه كان للكتاب وقع طيب لدى الملك الذي كافأ صاحبه بألف دينار. إذ يذكر ابن خلكان أنه سمعه عليه الملك مظفر الدين في ست مجالس في جمادى الآخرة من سنة 625 / 1228 (وفيات، 3، 449).

وبالديار المصرية ذاع صيت أبي الخطاب وعظمت شهرته فاقتربت منه العامة والخاصة. فتبوا منزلة خاصة لدى ملكها الأيوبي الكامل ناصر الدين عينه كأول أستاذ لدار الحديث

الكاملية التي أقام بنيانها سنة 622 / 1225 بالقاهرة. وفي نخل بني أيوب ارتقى إلى أحسن المراتب. وقد رد أبو الخطاب الجميل بأن نظم في الكامل ابن العادل قصائد رنانة تنم عن المحبة والعطف للذين كان يكنهما لصاحب النعم عليه.

يذكر المقرئ أنه كانت له مع الملك الكامل مخاطبات نشرية وشعرية تعكس مشاعر الود التي كانت تربط بين الرجلين (نفح، 2، 100؛ وفيات، 3، 450؛ صلة، 73) إلا أن جفوة حدثت فيما بعد بين الرجلين: يذكر أبو العباس الغبريني أن أبا الخطاب كان مثل ابن عنين في الشعراء يتناول على علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين، ففقد أنصاره وانفض الجمع حوله. ولما انكشف أمره لدى الكامل عزله عن دار الحديث (عنوان، 160) وعين مكانه أخاه أبا عمرو الأكبر منه سناً (وفيات، 3، 450). يضيف أبو العباس الغبريني أن أبا الخطاب عقب الإهانة التي لحقته من ملك مصر - رحل إلى دمشق. فتقرب إليه الوزير ابن شكر. وبدمشق أجرى مناظرة مع الشيخ تاج الدين الكندي انتهت بظعن الكندي في نسب أبي الخطاب وتشكيك الحضور في نسبه إلى دحية الكلبي مستعينا بشعر ابن عنين.

صنف أبو الخطاب مؤلفات كثيرة منها كتاب التنوير في مولد السراج المنير بمدينة إربل بمناسبة المولد النبوي سنة 604 / 1208. كما ألف العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور والآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وله أيضاً كتاب شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس في أخبار خلفاء بني العباس وكتاب الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين (نفح، 2، 104). كما له كتاب آخر بعنوان المطرب خصه للتعريف بالأدباء الأندلسيين (نفح، 2، 104، إحالة 1). ولعل أهم ما تميز به أبو الخطاب في كتاباته هو اعتماده حوشي اللغة إذ أن معظم كتاباته مغلفات مقفلات، وربما تعمّد ذلك - يقول المقرئ - حتى ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره على النحو الذي سار عليه كثير من الأدباء حين تركوا طريق العرب وانفردوا بالطريق الآخر (نفح، 2، 99).

يبدو أن أبا الخطاب عاد إلى القاهرة حيث قضى بقية حياته إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء 14 ربيع الأول من سنة 633 / 27 نوفمبر 1235 عن عمر يناهز سبعاً وثمانين سنة ودفن بسفح المقطم (عنوان، 161؛ وفيات، 3، 450؛ نفح، 2، 103).

التجبي، برنامج التجبي، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981؛ أبو جعفر ابن الزبير، صلة الصلة، تح. عبد الحمي الكتاني، 1937؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح. إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث؛ أبو العباس الغبريني، كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة

ببجاية، تح. رايح بونار، الجزائر؛ أ. المقرئ، نفح الطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، 1388 / 1968، الجزء الثاني. زليخة بنرمضان

دخيسة، قبيلة تنحدر من عرب بني معقل. وقد تحدثت المصادر التاريخية لأول مرة عن دخيسة منذ وصولها إلى المغرب في أواسط القرن الحادي عشر (17 م). وكانت تنتجع في هذا التاريخ في الصحراء الجزائرية الحالية، قرب الأغواط وعين ماضي، فعندما خرج مولاي محمد الشريف في عام 1060 / 1650 إلى نواحي تلمسان فاتحاً وعرج على طريق الصحراء، قدمت إليه قبيلة دخيسة ورحبت به ثم بايعته ودلته على مواطن قبائل تلك النواحي وقراها (الاستقصا، ج 7، ص. 21). وقد رحب مولاي محمد الشريف بهؤلاء الأعراب وأكرم وفادتهم. ويظهر أن هذه القبيلة في ذلك الوقت لم تكن تشكل سوى فرقة صغيرة من عرب معقل. فتاريخ ابن خلدون الذي أتى بالوصف على جميع فصائل عرب بني معقل، وتحدث بتفصيل، عن أماكن استقرارها في القرن الثامن (14 م)، لم يذكر دخيسة في بيانه (العبر، ج 6، ص. 118 وما يليها). ويبدو أيضاً أن تسابق هذه القبيلة إلى مبايعة مولاي محمد بن الشريف والدخول في طاعته كان يستهدف حماية جلدتها وتعزيز مكانتها وسط القبائل القوية المحيطة بها والتي كانت لا تخضع لأي سلطان، في الوقت الذي اضطرت فيه أحوال المغرب الأوسط وتطلعت بعض قبائله إلى خلع بيعة الأتراك من عنقها والانتقاض عليهم. (الاستقصا، ج 7، ص. 21). وعندما عاد مولاي محمد ابن الشريف إلى سبجلماسة التحقت به دخيسة وأولاد نصير وعززوا جانبهم والتفوا حوله في واحات تافلاّت (Arnaud Louis (commandant), Monographie de la région de Meknès, p. 66).

وقد استقر هؤلاء القوم مدة طويلة في هذه المنطقة ولم ينزلوا إلى هضبة سايس إلا في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) في عهد مولاي سليمان (1792 - 1822)، وبأمر منه لمواجهة خطر القبائل البربرية التي كانت تهدد مدينة مكناس وحكم الأسرة العلوية نفسها، بعد ظهور حركة أبي بكر امهاوش في الأطلس المتوسط، وخروج الكثير من القبائل عن نفوذ السلطة المركزية (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

وقد تعرضت قبيلة دخيسة منذ استقرارها في سايس لضغوطات كثيرة من قبل القبائل المجاورة. كما خضعت لإجراءات تأديبية من قبل المخزن المركزي الذي كان يسعى إلى إيجاد حالة من التوازن السياسي والبشري في المنطقة. ففي سنة 1850، كان هؤلاء الناس يحتلون جزءاً مهماً من هضبة سايس (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43) وعند ما جاء سيدي محمد بن عبد

المنشورية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الدخيلة (سد -) هذا هو السد الثاني في مركب عبد المومن المائي المشيد على واد إسـن أحد روافد حوض سوس المنحدر عبر سفوح الأطلس الكبير. وقد شيد عند الموضع المعروف بالدخيلة (جمعة الدخيلة، دائرة أولاد تايمة، إقليم تروانـت) على بعد 20 كلم عند سافلة سد عبد المومن الرئيسي المشيد عند موقع تامزاورت، قبيل خروج واد إسـن إلى سهل سوس.

سد الدخيلة عبارة عن سد صغير خطط له لتنظيم وتحويل المياه المعبأة عند سد عبد المومن الكبير نحو مختلف القطاعات الفلاحية الواقعة بسهل سوس الأسفل على مساحة 13 ألف هكتار. وقد أنجزت هذه المنشأة لتوفير مياه السقي لقطاعات فلاحية مستحدثة ولإنقاذ قطاع الحمضيات بأولاد تايمة الذي ظل لفترة طويلة يعاني من خصائص حاد في مياه السقي بسبب الاستغلال المفرط للمصادر المائية لجوفية وما ترتب عنه من نزول حرج لمستوى سطح الفرشة المائية المحلية.

وقد تم اختيار موضع الدخيلة لبناء هذا السد نظراً لكونه يشرف بفارق ارتفاعي مهم على القطاعات السقوية التي ستستفيد من مياهه، مما سيساعد على نقل المياه بشكل طبيعي عن طريق الجاذبية وضغطها داخل شبكة الري المعتمدة على الرش. وفي ذلك توفير مهم لتكاليف ضخ المياه وضغطها في شبكة التوزيع.

بُني هـذ السد بين سنتي 1983 و1986، على شكل حاجز مركب من 9 دعـامات خرسانية بعلو 32 متر، ويحصر حقينة تمتد على مساحة 18.5 هكتار قابلة لحجز حوالي 750 ألف متر مكعب من المياه. الطلاقا من قاعدة السد ينطلق رواق باطني على مسافة 2000 متر يقوم بدور تحويل المياه إلى القناة المتوجهة للقطاعات السقوية.

ومنذ سنة 1985، وبسبب تزايد حاجيات مدينة أكادير الكبرى واشتداد الضغط على حقولها المائية الجوفية، تم التحول نحو سد الدخيلة الذي أصبح يزود محطة سيدي بوسحاب المعالجة المياه الصالحة للشرب بحوالي 10 مليون مكعب في السنة، وذلك قصد توجيهها نحو مختلف مراكز أكادير الكبرى.

ح. المحدث، 1999، الماء بحوض سوس: إسهام في دراسة نظام هيدولوجي مغربي جنوب - أطلسي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، 740 صفحة.

الحسن المحدث

ابن ددّاه، عثمان بن طالب محمد، مقاوم ولد سنة 1913 بالساقية الحمراء وانخرط في صفوف جيش التحرير

الرحمان (1859—1873)، نقلهم إلى منطقة الحوز (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

وبعد مدة من الزمن عادوا خفية إلى ناحية الغرب (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43) وعندما تولى الحسن الأول السلطة في البلاد (1873 - 1894) أنزلهم في سنة 1874، في بلاد مجاط بعد نفي هؤلاء إلى منطقة الغرب (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43) وفي سنة 1905 اضطرت دخيسة وأولاد نصير إلى إخلاء المجال لمجاط الذين عادوا إلى موطنهم الأول، واضطروا على إثر ذلك، إلى الاستقرار شمال غرب مكناس، على قدم جبل زرهون حيث ما زالوا يقيمون في هذه المنطقة إلى الآن (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

أ. الناصري، الاستقصا، الجزء السابع، الدار البيضاء، 1956؛ ع.

ابن خلدون، العبر، بيروت، 1956. 1959.

L. Arnaud (commandant), Monographie de la région de Meknès, Bulletin de la Société de Géographie du Maroc, n° 2, 1916 ; (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc), Nouvelle Série, Tome II, Année 1942 (rapport anonyme).

العربي أكتينج

الدخيسي، محمد، من عدول مدينة سلا القائمين بالإشهاد بين الناس، وكان سنة 1219 بقيد الحياة. رسوم الخزانة الصبيحية.

الدخيسي، محمد بن عبد القادر مقاوم ولد سنة 1916 بدوار تنيسان عين الصفا إقليم وجدة كان من العناصر الفاعلة في صفوف الحركة الوطنية بالمنطقة الشرقية، شارك في عدة عمليات فدائية ضد المستعمر الفاشم الأمر الذي عرضه للاعتقال والتعذيب حيث حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر.

توفي بتاريخ 2 فبراير 1996 بمدينة احفير.

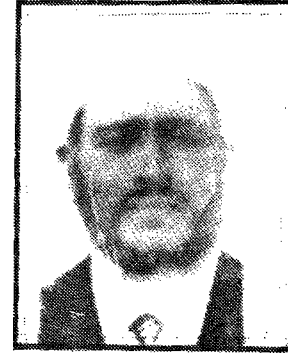
المنشورية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الدخيل، عزاز محمد، مقاوم من مواليد سنة 1929 انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ سنة 1953 ضمن فرقة عباس القباج بمدينة غولمين، ثم بعد ذلك انضم إلى صفوف جيش التحرير تحت مسؤولية إدريس بن بوبكر بدرسان. وقد كانت مشاركته مشاركة فعالة في عدد من المعارك التي دارت رحاها سواء ضد السلطات الإسبانية أو الفرنسية كأم العشار ومركالة وغيرها إلى أن احرز المغرب على استقلاله.

وقد توفي خلال شهر ذي القعدة عام 1415 / أبريل 1995.

بالصحراء المغربية سنة 1956 ضمن فرقة المقاطعة الثامنة مركز الساقية الحمراء تحت قيادة ابا الشيخ بن السالك. وقد عرف عثمان بن دداه بإخلاصه وتفانيه في الدفاع عن حوزة بلاده حيث شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن إلى أن استشهد في معركة وادي الصفاء بتاريخ 9 شعبان عام 1376 / 11 مارس 1957. المنذوبة السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

دَدُوش، محمد بن عمر، مقاوم ولد سنة 1920 بتمسمان - إقليم الناظور - انضم إلى صفوف جيش التحرير وكفاح ضمن الوحدة التي كانت مرابطة بتيزي وسلي ونواحيها، تحت مسؤولية السيد الغابوشي محمد لجدان (كزناية).



شارك في عدة اشتباكات مسلحة ضد العدو وحضر في بسكور، سيدي علي بورقبة، تيزي انتبزي تيزي اذان، أزرو، اقشار، وبقي يدافع حتى استشهد أثناء هجوم على العدو بتايناست بضواحي تازة يوم 28 / 3 / 1956. المنذوبة السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الدراجني عزوز ← تيلزكارت

الدرادر، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adradas وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 662.

محمد ابن عزوز حكيم

أبو ذَرَّار، محمد، موسيقي من مواليد مدينة سلا عام 1937 التحق بمدارس محمد الخامس حيث تابع دراسته

الابتدائية والثانوية. كما التحق بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط، فتابع دروس الصولفيج والعزف على البيانو. وفي بداية استقلال المغرب انقطع عن متابعة الدراسة العامة ليتفرغ للعمل في مجال الموسيقى، فاشتغل محرراً ومسؤولاً عن الصفحة الفنية التي كانت تصدرها جريدة العلم كل يوم أربعاء، وعمل مساعداً بقسم الموسيقى التابع لمصلحة الشباب والرياضة، فشارك في التأطير المحلي للتدريبات التي أقامتها هذه المصلحة لفائدة الشباب الموسيقي، كما شارك في البعثات التي أوفدتها إلى الخارج لحضور اللقاءات والتدريبات والمؤتمرات الموسيقية : التدريب على طريقة مارتونو بباريز في شتنبر 1957 اللقاء الدولي للمجموعات الصوتية الكورالية في فيزون لارومين Vision La Romaine غشت 1959 مؤتمر الشبيبة الموسيقية في برلين صيف 1960.

وفي عام 1961 انتقل إلى فرنسا ممنوحاً من طرف البعثة الثقافية الفرنسية لاستكمال تعليمه الموسيقي، فانخرط في المدرسة الوطنية العليا للموسيقى بباريز حيث درس قيادة الأوركسترا على يد الأستاذ جان فورني Jean Fournier والتحق بلاسكالا كانتوروم La Scala Cantorum بباريز حيث درس علم التطابق على يد دانيال لوسور Daniel Lesur، كما انخرط في المعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز حيث قضى ثلاث سنوات في دراسة الهارموني مع جورج هوگون Georges Hugon، وقيادة الأوركسترا مع روبر بلوت Robert Blot. ومن جهة أخرى عزز أبو درار دراسته الموسيقية بحضور مجموعة من التدريبات، خاصة في مجال تلقين التحليل الموسيقي بواسطة السماع (المعهد التربوي في مارلي لوروا)، والتدريب على منهج كارل اورف Carl Orff في برلين، ودروس التخصص في قيادة الأوركسترا ومسابقات في القيادة الموسيقية بمدينتي بوزاسون وهيلفرسوم بهولاندا.

وبعد تخرجه أسندت إليه عدة وظائف تربوية وثقافية، فعمل منتجاً ومحرراً لبرامج موسيقية بدار الإذاعة والتلفزة الفرنسية بباريز واشتغل مدرساً للتأهيل الموسيقي للأطفال حسب الطرق الحية، وأستاذاً للايقاع والناي والأوركسترا بكل من المعهد البلدي للدائرة السادسة بباريز، ومعهد فيتري سورسين Vitry-sur Seine. وعهدت إليه الإدارة التقنية لتدريب موسيقي مخصص للأطفال المعوقين والمرضى بباريز بسالبتريير Salpetrière. وبالإضافة إلى هذه المهام، اشتغل أبو درار أستاذاً لقيادة الأوركسترا في الشعبة الخاصة بالأجانب التابعة للمعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز، وقدم دروساً في التقنية الموسيقية (69 - 72).

وقد عاد أبو درار إلى المغرب عام 1974، فالتحق بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في شتنبر من هذه

السنة، وتعاقب على عدة مسؤوليات تتراوح بين التدريس بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط والمعهد الموسيقي بالقنيطرة، وإدارة الجوق السنفوني للوزارة، ورئاسة مكتب الموسيقى بمصلحة التعليم الفني.

وقد وافته المنية بعد مرض عضال في 16 جمادى الثانية عام 1402 / 11 أبريل 1982.

وللمترجم إنتاجات موسيقية، هي على ندرتها تكشف عن ذوق جميل ودراية عميقة بقواعد التأليف والهارموني. ومن أجمل أعماله توزيعه الموسيقي للنشيد الوطني الذي مطلعته :

نحن إخوان الصفا نحن أصحاب الحمىة

قسم الأرشيف بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط، بطاقة معلومات عن المترجم.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدَّرَاسُ، يقصد به المرحلة الأخيرة في الموسم الفلاحي التقليدي. فبعد مرحلة الحصاد يتم تجميع المحصول الزراعي في البيادر على شكل أكوام مصففة. كل كومة تحوي محصول استغلالية معينة حتى يضبط الفلاح مردودها مقارنة مع المصاريف. أو يكوم المحصول حسب نوع الحبوب : شعير، قمح صلب...

يستغل المكان الفاصل بين الأكوام كي يكون حيز الدراس (الغاعة، ج، كيع)، فيتم دكه جيداً حتى لا يتأثر بحوافر الدواب. ويطلق أكثر من مرة بخني (روث) الأبقار المذاب في الماء (الحضار) كل صباح يقوم الفلاح بدفع قسم من المحصول إلى البيدر، ويتم تقليبه بالمذراة بين الفينة والأخرى حتى يمتص أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس بعد ذلك يشرع في الدراس عن طريق دواب مختلفة (الرؤى) وخاصة من الخيول والحمير... فيتم شدها بحبل إلى عمود مدقوق في الوسط، أو يقف الدَرَّاس في الوسط وبشد

الحبل ليتحكم في دوران الدواب. وتسمى الدابة المجاورة له بـ"بوكيدى" لأنها تقيد وتشد باقي الدواب نحو الداخل، أما الدابة التي توجد في الطرف الخارجي فتسمى "الطركاد" لأنها تجر باقي الدواب نحو المزيد من السرعة. وإذا كانت الدواب تتكون فقط من الخيول فإن الدَرَّاس يغير مجرى اتجاهها كل حين، فيصبح الطراد مكان بوكيدى ليأخذ قسطاً من الراحة والعكس صحيح. وكلما تبين أن الجزء الأعلى من "الدرسة" قد أصبح دقيقاً، تخرج الدواب خارج البيدر، وتقلب الدراسة رأساً على عقب، وتتم هذه العملية بمعدل ثلاث مرات في اليوم.

تكون الكمية المداسة قد أصبحت دقيقة مع العصر تقريباً، وإذا توفرت الرياح "الغربي" اللازمة يشرع في التذرية ليفرز الحب عن التبن. وعندما يصبح الحب هو الغالب يشرع في التصفية النهائية عن طريق الرفش (البالة، بتفخيم الباء واللام)، ومكنسة خاصة تصنع من نبات محلي (زُمُورَة). في النهاية توضع الحبوب في أكياس، وتضبط كمياتها بمقاييس محلية تتوحد في القنطار. وعندما تجمع الكمية اللازمة من التبن أو في نهاية عمليات الدرس، يُجمع التبن حسب النوع في أكوام (نواذر، مفرد نادر) تدك جيداً وتطلى بالسباع (الوحد المزوج بالتبن).



إلا أن كلمة الدَرَّاس تعني كذلك في العامية المغربية نوعاً من عقال الغنم. ولا يتم ذلك إلا في حالتين، أثناء حلب الشياه، بحيث تربط مجموع النعاج حلبها بشكل متقابل، متعاكسة الرؤوس والأعناق حتى يسهل حلبها. أو في الحالة التي ينوي فيها الكساب بيع عدد من رؤوس الغنم، فيقوم بدرس قطيعه حتى يسهل عليه ضبطها ومراقبتها أثناء البيع، وفي نفس الوقت يسهل على المشتري التأكد من جودة العرض وحرية الاختيار دون إزعاج للقطيع أو انزعاج من دفع وجر. وقد تكون لهذه



الكلمة علاقة بالكلمة الفرنسية (Dressage) وتنطق في جهات أخرى بـ "الدراز".

Georges S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953; V. Loubignac, *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952.

صالح شكاك

دراكونيس Dracones، مدينة ذكرها الجغرافي

الرافيني Le Géographe de Ravenne، ضمن مواقع أخرى ثم أشار إلى أن الكتاب الذين نقل عنهم ينسبون هذه المدن لموريطانية الطنجية. يعد هذا المصدر آخر ما وصلنا حول تاريخ المغرب القديم قبيل الفتح الإسلامي، حيث إن الكتاب وضع في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن للميلاد.

يتضح أن الكاتب اعتمد أساساً على مسالك أنطونينوس *Itinéraire d'Antonin* الذي يرجع إلى القرن الثالث للميلاد، ويتضمن جرداً للمواقع التي تخرقها الطرق الرومانية في موريطانية الطنجية انطلاقاً من مدينة طنجة. والجغرافي الرافيني انطلق أيضاً من طنجة في الحديث عن المواقع التي وردت معها مدينة "دراكونيس"، في الفقرة التاسعة من الفصل الثالث وعددها 18 مدينة. لكن هذه المواقع لم يرد لها ذكر في بقية المصادر القديمة التي وصلتنا حول المغرب القديم، باستثناء طنجة. أما المدن التي نقلها عن مسالك أنطونينوس فقد وردت في الفقرة الحادية عشرة من الكتاب الثالث. ومدينة دراكونيس وردت عند الرافيني في الرتبة الخامسة بعد مدينة طنجة الواردة في الرتبة الأولى (انظر مادة داوينة).

إن الكاتب حسب الباحث موريس أوزينا، وقع في خلط بالنسبة للمدن التي تحدث عنها في هذا السياق. وأعطى الدارس مثال المدن الخمسة الأولى، على أنها مواقع معروفة في موريطانية القيصرية (في غرب الجزائر). يتعلق الأمر بالأسماء التالية : أولاً Tingis ثم Cadum Castra ثم Castra Nova ويعدها Tasacora وأخيراً Dracones.

ويعرفنا أوزينا بالمواقع التي تطابق في موريطانية القيصرية تلك المدن التي نسبها الجغرافي الرافيني للمغرب القديم وهي : أولاً Castellum Tingitanum ثم Gadaum Castra ثم Castra noua ويعدها Tasacura وأخيراً Ad Dracones.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Mauréanie Tingitane, dans Plin.* H.N., V. 2 - 18, *Antiquités Africaines*, 25, 1989.

محمد مجذوب

الدراوي، علال من القواد الرئيسيين في عهد

سيدي محمد بن عبد الله تميز بتكليف السلطان إياه بسفارة دبلوماسية بمعية قدور البرنوصي وعبد السلام عديل إلى

مالطا سنة 1777 بمهمة التفاوض من أجل افتكاك الأسرى الأتراك، محملاً بمبلغ 274.000 ريال لاستعماله في ذلك.

إلا أن رفض السلطات المالطية الاستجابة للعرض المغربي، ورغبة من السلطان سيدي محمد في مواصلة عمليات افتكاك الأسرى الأتراك، طلب من قائده التوجه بسفارته إلى القسطنطينية، وتسليم المبلغ المذكور إلى السلطان العثماني عبد الحميد الأول. وجرياً على عادة رجال الدولة بالقسطنطينية، في طلب "البقيش" اضطر القائد الدراوي إلى صرف 14.000 ريال لتسهيل مهمته، إلا أن ذلك سيجعله يتعرض لمساءلة وزير البحر العثماني حسن باشا، بخصوص بقية المبلغ الموجه من قبل سيدي محمد بن عبد الله، ولطرده هو وبقية الوفد من القسطنطينية. وقد فضل القائد المذكور ومرافقوه وجه إلى المشرق بدل العودة إلى المغرب خوفاً من رد فعل سيدي محمد بن عبد الله.

أ. الزباني، الترجمة الكبرى، ص. 83.

حسن أميلي

الدراوي، علي ← الدرعي، علي بن عبد الرحمن

الدراوي، مسعود بن محمد ولي شهير وعارف

كبير، له أصحاب كثيرون.

أخذ أولاً عن أبي المحاسن يوسف الفاسي، ثم أوصله لشيخه عبد الرحمان المجذوب فأخذ عنه واشتهرت نسبته إليه، وكان لا يفتر لسانه عن الصلاة على النبي - عليه السلام - وفي الممتع أن الشيخ كان يستأجر الأجراء ويجلسون ويصلون عن النبي (ص) وهو يشاهد ذلك ويسمعه.

توفي سنة 1011 / 1602 - 1603 ودفن خارج باب فتوح بمقبرة سدي حماموش وبجوارهما مصلّى تقام به صلاة العيدين بالنسبة لعدوة فاس الأندلس.

م. العربي الفاسي، مرآة، ع. الرحمان الفاسي، ابتهاج، 265 : م.

المهدي الفاسي، ممتع، م 19، ص. 8 : ابن عيشون الشراط، ص.

226 (د. د.ع مرقونة) : م. الإفرائي، صفوة، ص. 56 : م.

القادري، نشر، 1 : 78 - 85 : الأكليل، ص. 384 (د. د.ع

مرقونة) : التقاط، ص. 39 : الزهر الباسم، مخطوط، 33 : م.

الكتاني، سلوة، 2 : 235.

مارية داداي

الدراوي، موسى بن سعيد كان أسود اللون. من

أهل الولاية، ذا حال قوي وشوكة، شديد الشكيمة على الظلمة، ظهرت له في ذلك كرامات وآيات. اشتغل في أول أمره رباعاً عند شيخه أحمد الشاوي لمدة ثلاث سنين. وكانت

له زاوية في حياة شيخه عن إذنه بمدشر تاغزوت بموضع قرب صفرو له أتباع وأصحاب من قبيلتي أولاد ثاير وأولاد عباد. ذكره محمد بن الطيب القادري في كتابه نشر الثاني ضمن من توفوا سنة 1014، ودفن بروضة شيخه أحمد الشاوي بحومة الجرف بعدوة القرويين من فاس.

م. القادري، نشر الثاني، 1 : 133 : م. ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس، ص. 258 : م. جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، 1 : 281.

زهراء النظام

الدربوز، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية الواقعة قرب مدينة أصيلا. ومنهم محمد بن أحمد الدربوز الذي زاول خطة العدالة سنة 1261 / 1845.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1616.

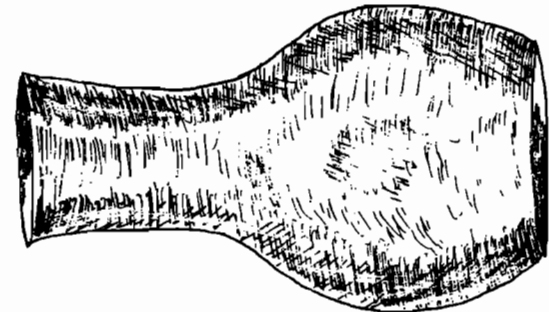
محمد ابن عزوز حكيم

الدربوكة، آلة موسيقية تستخدم لضبط الإيقاع بواسطة النقر عليها باليد. وتصنع غالباً من الفخار، وأحياناً من المعدن، على شكل كأس مفتوح الطرفين، غلف أوسعهما بقطعة مشدودة من الجلد.

وقد جاء ذكر هذه الآلة في ألف ليلة وليلة مما يدل على شيوع استخدامها في المشرق العربي منذ عهد مبكر. أما بالنسبة للمغرب فالظاهر أن استعمالها حديث لعله يرجع إلى فترتين متفاوتتين :

أولاهما كانت على عهد الاحتلال العثماني للجزائر. وفيها تسرب استعمالها إلى بعض المجموعات الشعبية بالمغرب، وثانيتهما كانت في العقد الثالث من هذا القرن، وذلك عن طريق مجموعات الموسيقى العصرية بتأثير من الأجواق الشرقية. وفي هذه الفترة بدأ استخدام الدربوكة يتسرب أيضاً إلى حظيرة أجواق الموسيقى الأندلسية.

وقد واكب استخدام الأجواق الأندلسية للدربوكة تبني المصطلحات الشرقية للتدليل على المفاهيم الإيقاعية،



الدربوكة

فشاع استخدام الدمة والتكة والاس كبدائل للندف والزنج والفاصلة، وخاصة بين رواد الأجواق العصرية.

ويعتبر دور الدربوكة ثانوية بالنسبة للطرب، فهي تساعد على ضبط الإيقاع، وذلك بواسطة نقرها باليد على إحدى الطرائق التالية :

الدم، وهو نقرة بكف اليد اليمنى في وسط الجلد. ويرمز للزمن القوي. التكة وهو نقرة باليمنى في طرف الجلد ويرمز للزمن الضعيف.

الاس، أو السكتة، وهو نقرة باليسرى في جانب الجلد ويعرف أيضاً بالفاصلة.

ج. نصار، الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة، منشورات اقرأ، ص. 56 : بحث ميداني.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدَّرْبِي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adarbe ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 665.

محمد ابن عزوز حكيم

الدَّرَج في موسيقى الآلة له مفهومان : الأول : يراد به أحد الميزانين الخمسة التي تتكون منها النوبة، وهي البسيط، والقائم ونصف، والبطايعي، والدرج، والقدام. وهو عبارة عن مجموعة من المعزوفات الآلية والمقطوعات الغنائية، يجري أداؤها على نسق لحني وإيقاعي معين. وقد أكد الباحثون أن أهل الأندلس حصروا النوبة في أربعة ميزانين، فلما كان عهد السعديين أضاف المغاربة ميزانا خامسا هو "الدرج".

وقد كان لرجال الزاوية المغربية الفضل في ابتكار الأدرج، فكانوا يتغنون بصناعاتها ضمن ميزان البطايعي، ومن ثم قيل : إن الدرج اكتسب تسميته من كون صناعاته أدرجت في ميزان البطايعي. وقد عبر عن هذه الحقيقة أحمد بن العربي أحضري في مقدمة كتابه عندما أدرج الدرج في ميزان البطايعي "لأنه محسوب عليه".

غير أن أرباب الموسيقى الأندلسية وقفوا من الأدرج موقف الرفض، وذلك بحكم وفائهم لتقاليد المدرسة الغرناطية الأصلية. وانعكس هذا الموقف على كناش محمد بن الحسين الحايك، فجاء خالياً منها.

وعندما أقدمت لجنة الوزير محمد بن العربي الجامعي عام 1303 / 1885 على مراجعة كناش الحايك كان من جملة ما أنجزته تبني الصناعات المدرجة في البطايعيات وتنسيقها في ميزانين مستقلة عرفت منذئذ بالأدرج،

Oleaceae. مواقع عديدة بالمغرب توجد بها "دردارة" سميت بهذا الاسم.

يتراوح علو شجرة فراكسينوس أنكوستيفوليا ما بين 10 و 20 م. تاجها كبير وكروي الشكل. قشرة جذعها ملساء ورمادية في الصغر، ثم تشقق وتسود في الكبر. براعمها سمراء وصغيرة. أوراقها نفضية، معنقة، مركبة ريشية مكونة من 5 إلى 13 زوجاً من الوريقات الطويلة الشكل والمسننة، إزهاراتها عنقودية تظهر قبل الأوراق. ثمارها يابسة وحيدة البذرة، لا تتفتح، ولها جناح رقيق وطويل يشبه لسان العصافير كما جاء عن ابن سينا في وصفه لهذه الشجرة.



يصادف هذا النوع بحوض البحر المتوسط. أما في المغرب فنجدته ينمو طبيعياً بجانب مجاري المياه في جميع المناطق المغربية في البيومناخات الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة واستثنائياً شبه الجافة. وفي الطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. أما من حيث التربة فإنه يتطلب أراضي خصبة وسميكة. أما النوع الثاني فراكسينوس ديمورفا فهو يختلف عن الأول بعلوه المتواضع الذي يتراوح ما بين 8 و 12م، وغالباً ما يكون على هيئة شجيرة أو شجرة صغيرة، وأوراقه غير المعنقة والتي تختلف فيما بينها : أوراق الأغصان الصغيرة والسفلى تتركب من 2 إلى 4 أزواج من الوريقات الصغيرة الحجم. أما أوراق الأغصان العليا فإنها تتركب من 3 إلى 5 أزواج من الوريقات الكبيرة نسبياً.

يصادف النوع الثاني في إفريقيا الشمالية من المغرب إلى تونس وكذلك في أفغانستان وجبال الهيمالايا الغربية. أما في المغرب فهو يعيش في الغابات والأحراج الجبلية من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير وقليل في الأطلس الصغير. إنه يتلاءم مع أقصى البرودة وأقصى الجفاف. ولهذا نجده يقطن المناطق البيومناخية الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة والجافة، والطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي، وفوق المتوسطي، والجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي. إنه لا يبالي من حيث النوعية الصخرية أو الترابية إذ نجده يعيش على أراض مختلفة كلسية أو غير كلسية سميكة أو سطحية.

وإضافتها إلى النوبات الاحدى عشرة، غير أن صنيع اللجنة ظل - فيما يبدو - منحصرأ تداوله في أوساط المدرسة الفاسية ردحا من الزمن قبل أن تتبناه - بدورها - المدرسة التطوانية الشفشاونية. ويدل على هذا أن حواضر الشمال ظلت وفيه حتى العقد الرابع من هذا القرن لمستعملات كنشاش الحايك الأصلي، من خلال اعتمادها على النسخ الأصلية كنسخة ورثة الرقيوق الطنجي، وكان قد تم الفراغ من نسخها عام 1325 / 1907 والتي مازالت حتى اليوم معتمد فناني الشمال ومرجعهم كلما طرأ خلاف أو إشكال حول بنية صنعة من الصنعات.

ويبدو هذا الوفاء في مدونة الأصهبان التي أنجزها في بداية الأربعينيات المستشرق الإسباني أركاديو دي لاريا بالائين بمساعدة الفنان الشفشاوني الأصل عبد السلام بن الأمين العلمي مدير القسم العربي بالمعهد الإسباني المغربي بتطوان، والعايشي الورياغلي رئيس الجوق وعازف الرباب، وأحمد البردعي عازف الكمان، وغيرهم، فقد وضعت صنعات الدرج التسعة في مقدمة القسم المهزوز من ميزان البطايحي.

الثاني : يراد به أحد أصناف الإيقاعات الخمسة التي تضبط حركة الصنعات المتعاقبة في ميازين النوبة. ويُعبّر عنه بـ"الدور" الذي هو بمثابة الوحدة الأساسية للهيكل الإيقاعي الذي يتحكم في ميزان النوبة.

لم يهتم الحايك بذكر الدرج ولا ببيان إيقاعه لموقفه الذي أوضحناه. وقد اعتبره أحضري في كتابه "ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة" متفرعا عن ميزان البطايحي أما الدراسات الحديثة فهي تقابله بميزان 4/4 في صورتيه الموسعة والمهزوزة :

الصورة الموسعة :

الصورة المهزوزة :

أ. أحضري، ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع، مخطوط، ص. 12 - 13 : أركاديو دي لاريا، نوبة الصهبان، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1956، ص. 29 - 31 : ع. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 2 : 446، 2061.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدرحم، احماذ ← الدرهم، احماذ

الدردار، اسم فارسي تعرب فاستعمل في المغرب والمشرق العربي ليدل على أشجار تسمى بالأمازيغية "اسلن أو توزكت"، وتخص هذه الأسماء أنواعاً نباتية شجرية، منها اثنان طبيعيان بالمغرب وهما فراكسينوس أنكوستيفوليا Fraxinus angustifolia وفراكسينوس ديمورفا Fraxinus dimorpha. بالإضافة إلى أنواع أخرى أدخلت للزينة. تنتمي هذه الأنواع إلى فصيلة الزيتونيات

م. ابن غازي، الروض الهتون...، ص. 31؛ حوالة أحباس المساكين، رقم 3 ص 10؛ ع. ابن زيدان، الإتحاف، 1، ص. 158.
رقية بلمقدم وبوشتي بوعسرية

الدردوري، أحمد ولد سنة 1349 / 1930 في قرية نائية داخل جبال سوس تدعى أنوز في منطقة سيدي عمرو، وهو صالح مدفون هناك.
دخل الكتاب وعمره سبع سنوات، وفي نفس الوقت كان يساعد أخاه الأكبر في العمل داخل الحقل. وتشاء الأقدار أن يرحل والده إلى مدينة مراكش صحبة القائد الدردوري الذي كان يحكم منطقة أولوز، ليستقر مقام الأسرة بحي للاعويش، فيلتحق الطفل بكتاب سيدي اليمنى بحي القصور.

وبعد وفاة والده لم تسمح له ظروفه المادية بمتابعة دروسه، وتلبية طموحه، فالتحق للعمل عند إسكافي بحي الصباغين مع ملازمة الدروس بجامع ابن يوسف.
وفي سنة 1378 / 1958 حصل على شهادة أهله للاشتغال في التعليم. فعين معلماً بمنطقة ابن جرير لكن طموحه دفعه لإتمام دراسته بالقرويين، فعين أستاذاً للسلك الثاني بثانوية المنصور الذهبي بمراكش. وتقلب في عدة وظائف إدارية وتعليمية بناحتي مراكش وأكادير وكانت له موهبة في نظم الشعر فساهم في كثير من التظاهرات الثقافية والأمسيات الشعرية، متحدياً معاناته وآلامه، وترك نتاجاً شعرياً موزعاً بين أصدقائه، لم تتمكن أسرته من جمعه. إذ كان يشكو من مرض القلب الذي لم يمهله كثيراً.

توفي يوم 26 جمادى الثانية عام 1404 / 28 مارس 1984، وأقبر بمقبرة الإمام السهيلي.
أ. متفكر، أعلام مراكش، (ذيل)، مخطوط.

أحمد متفكر

ابن الدراج، محمد بن عمر بن محمد بن عمر الأنصاري السبتي، من أبرز الشخصيات العلمية في العصر المريني بالمغرب، الأستاذ المتفان الفقيه المحدث الصوفي الأديب الكاتب الشاعر ذو الخط البارع تولى الكتابة الخاصة للملك أبي يعقوب المريني بفاس، ثم ولاه بعدها قضاء مدينة سلا. قال القادي : وهؤلاء ينسبون إلى الفقيه الخطيب الولي الصالح أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري، وقد عرّف به أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في تأليفه الكواكب الوقادة والسلسل العذب الأصلي، ووصفه فيه بالأنصاري ورأيت بخط عم والدنا أن الدراج المذكور من أهل سبتة، ومن ذرية عبادة بن الصامت. ولد محمد ابن الدراج ونشأ بمدينة سبتة التي كانت يومئذ من ألمع مراكز العلم والمعرفة لا في المغرب وحده بل

يعطي الدردار خشب الصناعة ذا القيمة الرفيعة نظراً لمرونته وانطوائه وصلادته ومتانته وجموده وثقله، وقوة تحمله، وذا اللون الأبيض المائل إلى الوردي. كما يستعمل لصناعة الأثاث الرفيع التي تصنع من خشب الأشجار المعمرة ذات الأخشاب التي تتميز بجمال تعريقها وجودتها. تصنع من خشب الدردار الآلات الزراعية مثل المحارث الخشبية والعربات ومقابض الأدوات وموائد الجزارة والرقائق والآلات الموسيقية. من جهة أخرى تعتبر أوراق الدردار من أحسن الأعلاف للحيوانات إضافة إلى كل هذه المزايا يستعمل الدردار للزينة وبجانب الطرق والشوارع وفي شتى المجالات من التطبيب التقليدي.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

Emberger, Les arbres du Maroc et comment les reconnaître, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

الدرحم، احماد ← الدرهم، احماد

دردورة، (باب وقنطرة بمكناس) يعدّ باب دردورة أحد أبواب مدينة مكناس الستة التي تحدث عنها ابن غازي حين ذكر أن السور المرابطي المحيط بالمدينة يفتح على الخارج بواسطة ستة أبواب من بينها باب دردورة الذي كان يقع في الشمال الشرقي للقلعة المرابطية (تاكرات)، وكان يعرف أيضاً بباب الصفا" (الروض الهتون، ص. 31).

وقد طالت التغييرات التي أحدثها المولى إسماعيل في مدينة مكناس حيث هدم وشيد إلى القرب من موضعه باب تيزمي وأما قنطرة دردورة، فهي التي تربط بين المدينة القديمة وحمية من ناحية الفخارين.

وقد أمر المولى إسماعيل بإقامتها خارج باب دردورة على الطريق المؤدية إلى تطوان في إطار القناطر التي أقامها على مختلف المحاور المنطلقة من مدينة مكناس لتنشيط الحركة التجارية، وكانت تعرف أيضاً بقنطرة ابن يشو لإشرافه على بنائها سنة 1101 / 1689. وهو علي ابن يشو اليازغي قائد أهل ديوان مولاي إسماعيل وعامله على البربر ورئيس عماله. وأنشئت بهذه القنطرة سقاية كانت مزارع عنابة السلطان لدرجة أنه حبس عليها عدة أوقاف من ربايع وعقار، وكانت تعرف بسقاية الذهب، كما حبس عليها القائد ابن يشو أوقافاً أخرى، واندثرت السقاية المذكورة ولم يعد لها أثر.

والظاهر أن قنطرة دردورة هي التي أصبحت تعرف في عهد الحماية الفرنسية بقنطرة البرتغال أمام باب تيزمي - الرابطة بين المدينتين القديمة والجديدة من جهة الفخارين.

في العالم العربي بما أنجبت من أعلام في مختلف فروع المعرفة ولا نعرف تاريخ ولادته بالضبط. وأخذ عن أهل بلده وعلى رأسهم الأمير العالم أبو القاسم العزفي ووالده أبو العباس. فعليهما تخرج، وبهما سما قدره ولم نجده ولا سيما الأول الذي رشحه لتولي منصب الكتابة الخاصة بالبلاط المريني وقضاء سلا. ومن شيوخه اللامعين في علوم اللسان أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع النحوي الشهير، وأبو الحسن علي بن عبد الله المتبوي، وأبو يعقوب بن موسى الغماري الحساني، وأبو بكر الفهري، وأبو القاسم ابن الزبير، وأبو العباس أحمد ابن فرتون السلمي وغيرهم. ولا شك أن مشيخة الرجل طويلة، لكننا لم نجد له ترجمة كافية، ولولا تلميذه الأثير القاسم التجيبي وبرنامجه الذي طبع مؤخراً بتونس بعد أن اكتشفه الأستاذ إبراهيم الكتاني، لبقى الرجل مطوي الذكر في عالم النسيان والإهمال، فقد زدنا التجيبي بمعلومات قيمة عن أستاذه المترجم له، وكذلك ابن رشيد السبتي الذي استجاز ابن الدراج ونقل عنه في رحلته ملء العيبة قصيدة طويلة. ومن تلاميذه الكبار كاتب العلامة في الدولة المرينية عبد المهيمن الحضرمي، وأبو الحسن علي بن عتيق وغيرهم. ولم نجد في النتف القليلة التي وقفنا عليها ما يشير إلى رحلته إلى الأندلس لطلب العلم أو غير ذلك. وإن كنا نستبعد عدمها فقد كانت من السهل الميسور لقرب الدار، واستمرارها من لدن الفتح من الطلبة والمجاهدين والتجار، كما لم نعرف إن كان طلب العلم بفاس أو غيرها من مدن المغرب. أما التدريس والإلقاء فلم ينفك عنه في معظم أطواره، فكان يعقد المجالس بسبته وفاس وغيرهما كان مقصوداً لتدريس تهذيب المدونة للبرادعي ومختصر الطليطلي. وإسماعيل الحديث وروايته، وله به مزيد اهتبال، وبأسانيده ورجاله جرحاً وتعديلاً وضبطاً وتحقيقاً كامل العناية والاحتفال، ويتجلى بعض هذا في تسمية مروياته وأسانيده، ومناقشة أدلة تحريم الغناء في كتابه الانتفاع والانتفاع.

كان ابن الدراج يطمح إلى الرحلة للحج والرواية كبليديه ابن رشيد والتجبي إلا أن هذين نالا بغيتهما، ولم ينل هو أمنيته. ولا شك أن للمترجم له تأليف إلا أننا لم نعرف منها إلا اثنين : الامتاع والانتفاع، في مسألة سماع السماع أو الكفاية والغناء في أحكام أحكام الغناء. والرد على من نفص على المسلمين بتحريم ما أبيح لهم منه في مظان المسرة والهناء أو حال اجتماع أرباب التهم بالسماع ليتبعوا أحسنه أحسن الاتباع وأولي الاعتناء) وقد طبع هذا الكتاب بعنوان مختصر هو : كتاب الإمتاع والانتفاع، بمسألة سماع السماع. بتحقيق محمد ابن شقرون. والكتاب الثاني في الخيل ويسمى : نيل الأمل المؤمل النيل، في معرفة ما يجب من أمور الخيل، وهو من مسموعات التجيبي عن شيخه المترجم له، ولاندرى مصير الكتاب.

والرجل أشعري العقيدة مالكي المذهب كمعظم أهل عصره صوفي عارف في المواجيد ينحو نحو أهل الوحدة ويردد أنغامها، ومن صريحها قوله من مخلع البسيط. كل مكان به اراكا والله لا أشكي هواكا وكيف أشكو وكل شيء تراه عيني فأت ذاكما وكان مستهتراً بالسماع قائلاً بإباحة آلاته عارفاً بأنواعها ولا يبعد أن يكون ماهراً في استنطاقها، يستروح إلى الرقص ويؤثره.

وبعد حياة حافلة بالمتع بلغ النهاية فأسلم الروح بمسقط رأسه عام 693 / 1293 ودفن بمقبرة المنارة.

م. ابن الدراج نفسه، الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع، تع. م. ابن شقرون : م. الحضرمي، الكواكب الوقادة : السلسل العذب، سلا : أ. التجيبي، برنامج الشيخ، تونس : م. ابن رشيد، ملء العيبة، تع. بلخوجة.

محمد الأمين بوخبرة

درايس بن إسماعيل الجراوي الفاسي، أبو ميمونة، فقيه حافظ نظار محدث من أهل فاس، من أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك وأصحابه. واشتهر إضافة إلى علمه بصلاحه وورعه ودينه المتين. ذكره القاضي عياض في المدارك في الطبقة الأولى من علماء فاس. وبدأ به التميمي كتابه المستفاد ونسب له بعض الكرامات. درس ببلده وسمع من شيوخه الذين لم تحتفظ المصادر باسم أي منهم. ورحل إلى الأندلس طالباً فزار قرطبة ولقي فقهائها. خرج في رحلة إلى الحج فزار الإسكندرية ولقي فقهائها، وسمع من علي بن عبد الله بن أبي مطر (ت. 339 / 950) كتاب ابن المواز في الفقه المالكي. ولا تلك معلومات أكثر عن البلدان التي زارها وعن العلماء الذين لقيهم في رحلته الشرقية هذه التي اتصل فيها بكبار علماء المذهبين : المالكي والأشعري في وقت كان حاسماً في تاريخ تطور المذاهب السنية. ودخل القيروان وسمع من ابن اللباد وغيره. كما حدث بها بكتاب ابن المواز فأخذه عنه من علمائها أبو الحسن القابسي (ت. 403 / 1013) وأبو محمد ابن أبي زيد القيرواني (ت. 386 / 996) الذي كان نزوله بالقيروان عنده.

نقل القاضي عياض عن المالكي القيرواني قوله : "كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين والأئمة المبرزين، من أهل الفضل والدين، ولما طرأ إلى القيروان اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم، حتى كان يقال : ليس في وقته أحفظ منه... وظهر تقصيره بعلماء القيروان وشفوفه على كثير منهم". وقد شعر علماء القيروان بتفوقه في الفقه فحدث له بسبب ذلك أحداث مع شيخه أبي بكر بن اللباد ومع الشيخ أبي سعيد خلف بن عمر.

دخل الشيخ دراس سبته فحدث عنه عدد من علمائها كأبي عبد الله محمد بن علي ابن الشيخ، وأخيه حسن بن

مثلا شاهدا على هاته المشاغل مع التذكير مبدئيا بالإشكالات الواضحة التي يطرحها هذا الموضوع ليس فقط من حيث حداثته وتشتت التنف المعلوماتية الخاصة به، ولكن أيضا باعتبار أن الإمساك بمركباته يرسم ويشخص تعقد معطيات المواد الأولية ومراحل التحضير والانجاز اليدوي، مع التركيز بالمقابل على تداخل ذلك مع بنيات وواقع التراتبية الاجتماعية والأنماط الثقافية المرتبطة بهيكل الذهنيات والسلوكات (Braudel, 271).



ونأخذ هنا نموذج الدراعة الذي يتطلب ما في ذلك شك محاولة الانفصال والتجرد الآتئين والكشف عن أهم الإشارات التاريخية والدلالات الانثروموجالية لهذا اللباس الصحراوي الشهير، وتسعفنا المعلومات التي أوردها الإخباريون والرحالة نسبيا في رصد هذا المسعى واستكمالته إذ معهم نصادف بواكر أولى واضحة لهذا التشابه مادامت المقاييس التي يتم إيرادها تأتي لتزكية الاعتبار بأن الدراعة تنتصب بقوة كلباس صنهاجي قديم، على الرغم من التمايز الطبيعي للقبائل والفصائل الصنهاجية في أشكال الملابس، فلقد سبق أن ذكر الإدريسي مثلا صناعة نسجية مبكرة بنول لمطة في القرن الثاني عشر الميلادي حيث "تباع بها الأكسية المسماة بالسفسارية والبراس التي يساوي الزوج منها خمسين دينارا وأقل وأكثر" (الإدريسي، 66)، بينما يلبس أهل أزكى أردية تميل إلى الكندورة مع إشارات إلى قبائل أخرى تعتمد في أرديتها على الجلود. تلك الصناعات الصوفية تحيلنا للالتفات إلى ضرورة جرد جغرافية للأسجة، يحتل القطن فيها مكانة بارزة منذ العصر الوسيط على الأقل في حين يتم توريد المنسوجات الصوفية إلى إفريقيا الغربية مع التوسع التجاري القافلي لتتحول مصنوعاته إلى سلع وامتيازات نخوية، وفي القرن السادس عشر تصلنا مدونات الحسن الوزان لتحدد المعالم الأخيرة المبكرة للدراعة حين تحدث عن اللباس ذي الأكمام

علي، وعمر بن ميمون بن بكر القيسي، وحمود بن غالب الهمداني، وعبد الرحمن بن العجوز الكتامي. وكان من فئة العلماء العاملين، الذين جمعوا بين العلم والورع والجهاد، فقد كان يتردد إلى الأندلس متطوعا للجهاد في سبيل الله بالثغر الأعلى منها. وكان يساهم في نفس الوقت في نشر فقه المذهب، فسمع منه كتاب ابن المواز من الأندلسيين أبو الفرج عبدوس بن محمد الثغري وخلف ابن أبي جعفر، وغيرهما.

ارتبط اسم دراس بن إسماعيل بالجهود التي بذلها في نشر وتركيز مذهب مالك بفاس، إلى درجة أن بعض المصادر بالغت حينما نسبت له الدور الحاسم في ذلك. وعلى كل حال فإن دوره كان متميزا في ترسيخ الثقافة المذهبية المالكية، فقد اعتبر أول من أدخل مدونة سخنون إليها. وساهم أيضا في التمهيد للمذهب الأشعري، حيث كان أشعريا متحمسا، تنسب له رسالة في الدفاع عن الأشعرية.

وتفرغ لتدريس الفقه بفاس، فكان له بحومة مصمودة بعدة الأندلس مسجد يعرف به، يجتمع عليه الطلبة فيه للدراسة كل يوم بعد صلاة الصبح.

توفي في ذي الحجة سنة 357 / أكتوبر - نونبر 968 ودفن خارج باب الفتوح. وقد جدد السلطان أبو عنان المريني قبره سنة 754 / 1353، ووضع عليه مربعة رخام منقوشة باسمه وتاريخه. واعتبر من أولياء مدينة فاس، وظل الناس يزورون ضريحه ولهم اعتقاد في أن الدعاء عنده مستجاب.

أبو الوليد ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966، ص. 146؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، تح. سعيد أعراب، المحمدية، 1981، 6، 81، 82؛ ابن عميرة الضبي، بغية المتبص في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، 1967، ص. 292؛ أبو زيد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج. 3، تح. محمد ماضور، تونس، ط. 2، 1993، ص. 100؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، دار المنصور، 1973، ج. 1، ص. 194؛ أ. باب التنيكتي، نيل الابتهاج، طرابلس، 1989، ص. 175؛ ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس، تح. ز. النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، ص. 49 - 55؛ م. المجوي، الفكر السامي، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1396، ج. 2، ص. 111؛ م. مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، ص. 103.

محمد المغراوي

الدراعة، يأخذ البحث في تاريخ العادات والتقاليد كل أهميته من داخل حقل المناهج السوسولوجية دون أن يبعد نفسه طبعا من إجراءات الخوض للبعد الزمني الذي تجري فيه الظاهرة، ومن ثمة ضرورة تطبيق التداخل المفاهيمي الذي تهيمن عليه خصوصيات وإجراءات العمل الانثروبولوجي، وهكذا يعتبر اقتحام وولوج ميدان الملابس

العريضة المصنوعة من نسيج أزرق اللون والتي تأخذ مراحلها النهائية بمنطقة السودان الغربي، في وقت تستورد قطع الثوب من المغرب (Puigaudeau, 415). مادام نفس الإخباري قد أوضح الأهمية التجارية التي حظيت بها مدينة تاكاوست عاصمة وادي نون آنذاك في إنتاج قطع النسيج لتغطية الطلب عليه بما أن نفس التخصص قد نتجت عنه أسواق متخصصة للنساجين بمالي على سبيل المثال (الوزان، 165).

وتتكون الدراعة من قطعة واسعة من الثوب، سُكِلت بوسطها [من ناحية القمة] فتحة كبيرة وضيقة لإيلاج الرأس، بينما تمتد من ناحية الكتفين بأكماء واسعة متدلّية إلى ما وراء أصابع اليدين. تنفتح باتجاه الأسفل حيث يتم جمع طرفي النسيج من جهة الكتفين، تتوسطها قطعة مثلثة الشكل تقريبا ومن نفس الثوب تناهز العشرين سنمتراً على مستوى العرض تمثل الجيب الوحيد الذي يميز الدراعة، على أن الرسومات والنقوش التي تزينة تنجز مستقلة ومن مواد خاصة يتخصص فيها أهل السودان والنيجر إلى حد الآن، مما يشهد بجلاء على التطور الكبير الذي يشهده هذا الرداء بدءاً من تنوع واختيار تطابق المواد الأولية (Mauss, 70)، ويختلف طول الدراعة باختلاف قامة الحامل لها مع تحمول ملموس إذ تميل حالياً إلى أن تكون متجاوزة للكتفين مع ضرورة التصريح ضمناً إلى تداخل هاته الميزة مع الانتماءات الاجتماعية والوظيفية لحاملها فنجدها قصيرة لدى الرجل أو المشتغلين مع احتفاظها بطابع نخوي طويل لدى المستقرين أو الفئات العليا في الهرم الاجتماعي، ويتم طيها من عند الكتفين بشكل آلة الأكورديون أو ربطها في بعض الحالات بحزام من الوسط (Puigaudeau, 417).

ثم إن الدراعة انطلاقاً من لونها وشكلها لا يتأتى فهمها خارج المعطى الإيكولوجي المحدد طبعاً للاختيارات التي لا تترك مجالاً للصدفة أو العشوائية، فما دامت الصحراء تتسم بطابع الحرارة المفرطة (الوزان، 148) فإن التقطيع والرسم المورفولوجي للدراعة البينة الاتساع والمفتوحة من الجانبين تسمح بضمان التهوية أي تنقل ومرور دورة هوائية كما يقي امتداد الأكماء وتحركها المستمر من لسعات الحشرات التي تكثر بالمناطق الحارة، على أن اللون الأزرق الذي يطبع هذا اللباس لا ينفلت بدوره من الاستجابة لهذا المعطى، فالأبيض مثلاً إن كان يلائم المناخ الصحراوي فإن اعتماده يظل هامشياً لكونه عاكساً قوياً للأشعة في حين يمتاز اللون الأزرق بتصدره للألوان من خلال اعتباره الأكثرها برودة (Dictionnaire, 209) أي أحد المتطلبات الضرورية وسط المناطق الصحراوية.

ونحن إن أكدنا على أقدمية هذا الرداء وتجذره بالصحرارى الصهناجية فأن اعتباره الآن أحد خصوصيات الانتماء العربي لا يأخذ إطلاقاً قيمته من أية مرتكزات أو

حقائق تاريخية، وإما يبين أهمية التوسع والامتداد الأعرابي على المحاور الجنوبية والتخوم الشمالية للصحراء الأطلسية، كما يعد احتكار بعض المحاور التجارية الممتدة على طول المنطقة توفيراً لامتياز حقيقي للاستحواذ على السلع التي تأتي على رأسها الدراريح (ج. دراعة). وبالتالي فإن المتغيرات السياسية كما حصل هنا تبين بوضوح خلخلة المجتمعات المستقرة لصالح التشكيلات الاجتماعية الجديدة أو الصائرة في طريق التشكل على امتداد القرون الأخيرة الماضية ليس فقط بموريطانيا بل حتى ببلاد تكتة، وبصبح اللباس في مثل هاته الحالات شاهداً على نسبة هامة من درجات التراتب الاجتماعي (Braudel, 272)، ثم وضوح سيطرة كبار الرحل والتجار أو بشكل آخر فصائلهم على مستوى عام أو أيضاً داخل القبيلة ذاتها بامتلاك آليات التمايز كاللباس إلى جانب اللغة، وفوق هاته الوظائف المصغرة للدراعة فإنها تأخذ كينونتها بتمييزها للإنسان الصحراوي بل ولأن حضورها أيضاً يتعالى على التخصيص ليصب في جوهر الطقوس والممارسات المجتمعية الخاصة بالمنطقة، فمادامت العلاقات بين الرجال والنساء تشكل الخلايا الجوهرية المؤسسة للمجتمع فإن الفصل بينهما مع ذلك يظهر انطلاقاً من الاستقلالية النسبية التي يحظى بها كل طرف وتكون الملابس إحدى الآليات البارزة لهذا الفصل (Haulotte, 165). فالدراعة مثلاً يختص بها الرجال لذلك يعتبر إلباسها لامرأة في مناسبة أو أثناء الرقص ترجمة رمزية مهيأة للعلاقة تملك المرأة فيها إمكانية رفضها أو قبولها كما قد يعني ذلك التحاما بين الجنسين في شكل يُعيد الفصل بين الملابس إنتاج بعده الجنسي (Westermarck, 190) على أن ارتداء الدراعة في حفلات الزفاف في وادي نون والصحراء يأتي ليزكي هذا الطرح باعتبارها تحيل في مثل هاته المناسبة على مفاهيم الرجولة (تورغزة) كما أنها تحظى داخل الحقل الثقافي الشعبي برصيد هام من الأشعار والأحاديث المروية.

إننا هنا نود لفت الانتباه إلى توسع التخصص وأهمية التنقيب في الخصائص والمكونات الثقافية لحقل وفضاء الموقع الصحراوي حيث يُمكن ذلك لا محالة من استكشاف المتغيرات التاريخية بتنوع مفهوم الوثيقة ذاته وتجاوز الضعف والفقر المعلوماتي اللذين يعيقان البحث المونوغرافي الضيق.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. I، الرباط، 1982.

Al-Idrissi, *Le Maghreb au 6^e siècle de l'hégire*, Trad. M. Sadok, Paris, 1983 ; F. Braudel, *Civilisation matérielle, économique et capitalisme XV-XVIII^e siècles*, Tome I, Paris 1979 ; J. Chevalier, *Dictionnaire des symboles*, Vol. I, 6^e éd., Paris, 1973 ; E. Haulotte, *Symbolique des vêtements*, Lugduni, 1964 ; M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; A. de Puigaudeau,

الخزرجي الأنصاري، الغرناطي الأصل، الأندلسي ثم السبتي، المتوفى بها قاضياً في أوائل المائة الثامنة، ودفن بخارجها. وقبره بها مشهور يتبرك به". من خط محمد بن علال القادري.

ومعلوم أن القاضي أبا محمد عبد الله الدريج الذي تعنيه هذه التقييدة هو غير القاضي أبي عبد الله محمد بن عمر ابن الدراج السبتي الأنصاري (ت. 693) الكاتب الأديب المؤلف لكتاب الكفاية والغناء في أحكام الغناء، وغيره من المؤلفات الأخرى. فهذا الأخير وإن كان سبتياً وأنصارياً، فأصوله ترجع إلى تلمسان، وليس إلى الأندلس كسابقه، وقد تولى في مرحلة من عمره قضاء سلا، واشتهر بكنية سلفه ابن الدراج، كما اشتهر بهذه الكنية أبنائه من العلماء بعده. (انظر ابن الدراج).

ويتبين مما سبق أن الولاية والصلاح كانتا الميزة التي عرفت بها أسرة الدريج، وهي ما تزال في سبتة مع قاضي سبتة الشيخ عبد الله الدريج الذي وصف بالولاية والصلاح؛ أو حين استقرارها بضاحية تطوان، مع الشيخ سيدي طلحة، الذي جمع بين الولاية والصلاح والعلم والجهاد. وقد تسلسل بعض هذه الصفات في عقبه المستقر بكل من حاضرتي تطوان وفاس.

ولفضل هذه الأسرة، وجلالة موقعها العلمي والاجتماعي، ألف الشيخ سليمان الحوات، تقييده الشهير في بني الدريج، اعترافاً لما أحرزوا عليه من "جلالة المنصب، علماً وولاية، بكل من عدوتي المغرب [والأندلس، إذ] لهم فيها الزوايا الواسعة الحرم، والمزارات التي تنكشف عندها عن الزائر الغمة".

فأصل هذه الأسرة كما ألعنا قبل، من الأندلس، وبالضبط من حمراء غرناطة. نزحت إلى سبتة من برّ العدو لتستقر بها إلى حين. وقد ظل انتماؤها الأندلسي ثابتاً يذكر في أنساب المتأخرين من أبنائها، بل إن أسرة الدريج بعد تشييد مدينة تطوان، تصبح ضمن الأسر الأندلسية الشهيرة بها، فتحل بذلك، وبما ورثته من علم وولاية، مركزاً مهماً في بيئة تطوان الاجتماعية، وبين أسرها، "فصاروا في عداد البيوتات الأندلسية بتطوان المحروسة، ومن أهل الحرم التي أبقاها السلف للخلف، مع التخلق بالعلم والعمل، والتعلق بعوامل الحسب والنسب".

وما يلاحظ أن هذه الأسرة رغم فضلها لم تتسع فتكثر بيوتها. بل ظلت محدودة الأفراد، حتى إن الشيخ أبا الربيع الحوات وهو يجمع تقييده في هذه الأسرة، يعدد حسب علمه الموجودين من أبناء الدريج على عهده في تسعة أنفار. اثنان منهم بتطوان، هما: الفقيه أبو حامد العربي بن عبد السلام الدريج، وابن أخيه الطالب محمد ابن الفقيه الأجل أبي الحسن علي بن عبد السلام الدريج. وسبعة منهم بحضرة فاس، وهم من عقب الفقيه الأديب محمد بن محمد الدريج (ت. 1126) الذي انتقل إلى سكنى فاس وأواخر

الدَّرَاق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الأخماس، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1615.

محمد ابن عزوز حكيم

الدَّرَاق (أسرة سوسية - فاسية) ← أدراق

الدَّرَاج، أسرة تطوانية تنتمي إلى الأنصار من أصل أندلسي. انتقلت أولاً إلى برّ العدو لتتخذ من سبتة سكناً لها. وتستقر أخيراً في تطوان بعد سقوط سبتة في يد النصارى عام 818.

ومن تطوان انتقل بعض أفرادها إلى فاس، ليصبح لأسرة الدريج حضور بين الأسر الأندلسية بكل من حاضرتي فاس وتطوان.

ويتفق الذين تحدثوا عن هذه الأسرة، بأن سلسلة نسبها يتصل بجدهم الأعلى، الشيخ أبي يعلى طلحة بن عبد الله الدريج، السبتي النشأة، دفين تطوان، وصاحب الضريح المشهور بها (كان حياً عام 832).

وقد ثبت هذا النسب حسب سليمان الحوات "في الكثير من صدقاتهم، التي هي بخط جملة من أعيان العدول، بالحضرتين الفاسية والتطوانية، أهل الضبط والتحري من العلماء الموثقين بهما". ولذلك أورد الحوات في تقييد سلسلة هذا النسب، بتسمية رجاله إلى حدود الجد الأعلى لأسرة الدريج، الشيخ أبي يعلى طلحة الدريج.

غير أن الذين تحدثوا عن هذه الأسرة يذكرون أن الشيخ سيدي طلحة من نسل قاضي سبتة وخطيبها العلامة المحدث ولي الله أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري دون تحديد علاقة هذه القرابة إن كان طلحة ينزل فيها ابناً للمذكور أو حفيداً من أحفاده.

وقد اجتهد الحوات في تفسير التحول الذي حدث في اللقب وانتقاله من صيغة الدراج إلى الدريج.

وفي تقييد بخط المؤرخ عبد السلام بنسودة نقلاً عن بعض الطرر الموثقة، يرد لقب هذه الأسرة منذ البداية بصيغة الدريج. وهي تقييدة تعرف بهذا القاضي وتذكر أحواله بما نصه: "قاضي مدينة سبتة وديار جبالها السبعة الشيخ الإمام الفقيه المالكي النوازي الخطيب البالغ الصوت المحدث الولي الصالح والذرية الصالحة أبو محمد عبد الله المعروف بالدريج، من عقب عبادة بن الصامت، أحد النقباء،

القرن الحادي عشر للهجرة.

ويذكر محمد داود أن أسرة الدريج قد انقرضت من تطوان، وأن الموجود منهم الآن بتطوان، إنما هم ممن ورد عليها من فاس حوالي منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

س. الحوات، تقييد في بني الدريج، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني، 3 : 217 : م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 77 : 3 : 14 : ع. ابن سودة، كناشة عبد السلام بنسودة، مخطوطة : ابن الزبير، صلة الصلاة، 3 : 43 : التجيبي، برنامج التجيبي، 167 : برنامج الوادي آشي، 130 : الوافي بالوفيات، 2 : 141 : أ. ابن القاضي، درة الحجال، 2 : 248 : م. المنوني، وراقات، 345 : ابن الحاج النميري، مذكرات، [نسخة مرقونة] : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 2 : 298 : 3 : 14 : أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، 4 : 53.

الدريج، طلحة بن عبد الله السبتي، يكنى أبا

يعلى، الأندلسي الأصل، السبتي النشأة، دفين تطون وصاحب الضريح المشهور بها. أصل سلفه من غرناطة. ثم انتقلوا إلى سبتة حيث نشأ بها الشيخ أبو يعلى طلحة الدريج.

لا يعرف له بالضبط تاريخ ولادة ولا تاريخ وفاة، غير أنه كان حياً في النصف الأول من القرن التاسع (15 م). فيرد ذكره بشكل صريح سنوات 830 و831 و832 وهو يتزعم المجاهدين فيقود الحملات ضد النصارى لمحاصرة بلده سبتة المحتلة، والعمل على تحريرها.

ولاشك أن الشيخ طلحة كان ممن شاهد مأساة سقوط بلده سبتة في يد النصارى عام 818.

وقد تحدث الذين ترجموا له عن نشأته بسبتة واستفادته من شيوخها وعلمائها، حتى إذا ما ظهر فضله، وبان علمه، انتقل إلى بعض البوادي القريبة من سبتة بطلب من أهلها، وباستئذان من أمير سبتة العزفي آنذاك.

وحسب سليمان الحوات في التأليف الذي خصّ به أولاد الدريج، فإن البادية التي انتقل إليها الشيخ طلحة هي نفس المدشر الذي كان به استقراره، ومدفنه، حيث يوجد اليوم ضريحه بتطون من أعلاها.

وعندي أن انتقال الشيخ طلحة إلى مستقره الجديد يكون في الأغلب غداة سقوط بلده سبتة في يد النصارى. ففي أسلوب الحوات وقد نقل عن سبقه بالترجمة للشيخ المذكور ما يفيد أن نزول الشيخ بهذا المحل حيث مدفنه الآن - كان بهدف تنظيم العملية الجهادية بتعبئة المجاهدين والإغارة على النصارى المحتلين لسبتة. "... ثم لما ظهر أمره... وكانت بادية سبتة القريبة منها خالية من أمثاله، لا جرم طلبوه من بعض أمرائها العزفين ليهتدوا بأنواره ويستجبروا بجواره، فأجابهم إلى ذلك في الحين رغبة في إصلاح حالهم بالعلم والدين وإعلاء كلمة الله بالاستعداد إلى قوة الرباط في تغور الجهاد. وأنزله رضي الله عنه في

محلتههم بمجشر واسع العمارة يقال له خندق الفرجة، فيه عين من الماء الغزير. وكان قويا، شهما، كميّا، قرنا، طويل القامة، أسمر اللون، يلبس جبة خضراء، له فرس يركبه للجهاد ويقتحم به أعداء الله في كل واد. وتخلق أهل المنزل بأخلاقه من النجدة والبأس ورباط الخيل لإرهاب عدو الله وعدوهم. فكانوا يركبون معه في خمسين فارساً، كل منهم في الحرب أسد هصور... إلى أن توفي رحمه الله ودفن بمقبرته من المجشر المذكور حيث روضته الآن".

أما المقصود بالأمير العزفي الوارد في هذا النص فهو القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يتولى سبتة عند سقوطها في يد النصارى. وقد ظل فيما بعد يتزعم قيادة المجاهدين لأجل تحريرها. وسيصبح فيما بعد أيضاً والياً على طنجة من قبل السلطان المريني وسيكون له تأثير في هزيمة البرتغال عند محاصرتهم طنجة عام 841، والتفاوض معهم لأجل التنازل عن سبتة، مقابل السماح للأمير البرتغالي الأسير دون فيرناندو، الذي كان قد نقل رهينة إلى فاس.

يؤكد هذا ما ورد في نقول وتقايد جمعت في كتيب أسماه صاحبه " الاستبصار والتفكر والاعتبار، في أهم ما ورد من الاخبار، عن كفاح المجاهدين الأبرار، من أجل مطاردة النصارى الكفار، عن جميع المدن والأصوار". عند الحديث عن السنوات التي أعقبت سقوط سبتة ومحاولات المجاهدين لاسترجاعها بما نصبه : "... ثم قال صاحب الكناشة : إنه وجد بتقييد مجهول صاحبه بأنه عند انسحاب جيوش السلطان لم يرتفع الحصار البري على المدينة، بل واصله أهل القرى المجاورة لها طيلة سنة 822 ، وأنه في سنة 823 تزعم هذا الحصار القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يحكم سبتة عند سقوطها بأيدي النصارى. واستمر الحصار إلى منتصف سنة 829 بدون انقطاع رغم الإمدادات التي كانت تصل إلى النصارى من البرتغال".

وقد ظن محمد داود حين اطلاعه على قول أبي الربيع الحوات السابق الذكر أن المقصود بالأمير العزفي هو أحد العزفين ممن حكموا سبتة في دولتهم خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م)، وتبعاً لذلك رجح كون الشيخ أبي يعلى طلحة الدريج هو من رجال القرن السابع. والواقع أن الرجل من رجال القرن التاسع (15 م).

وينفرد الكتيب المذكور وفي نفس السياق بنقل تقايد تاريخية على جانب كبير من الأهمية، تلقي مزيداً من الأضواء على شخصية أبي يعلى طلحة الدريج ونشاطه في الجهاد فيقول : "... ونقلنا عن نفس المصادر يقول صاحب الكناشة : إنه في سنة 860 تزعم الرباط على سبتة الولي الصالح الشريف البركة سيدي طلحة الدريج صاحب الضريح المشهور بتطوان، ويقول : إن هذا الرباط ابتدأ في شهر ربيع الأول من سنة 830، وكان عدد المرابطين يفوق الأربعمائة رجل. ويقول إن أهم العمليات التي قام بها

سيدي طلحة، كان الهجوم الذي قام به ضد المدينة في شهر ذي القعدة سنة 831، وآخر وقع في شهر شوال سنة 832". ورغم أن هذه التقاييد استمرت تتحدث عن نشاط المجاهدين بعد هذا التاريخ فإنه غاب عنها ذكر سيدي طلحة مما يترجح معه أن وفاة الرجل حدثت في وقت قريب من ذلك.

والملاحظ أن الذين ترجموا للمجاهد طلحة نوهوا بولايته وصلاحه وبركته. ولا يذكر اليوم إلا بهذه الصفة، فيشار فضله في ذلك وتذكر كراماته، ولا سيما حين يصيح ضريحه مقصد الزيارة والانتفاع، حتى إن الشيخ أحمد الرهوني حين يترجم له بين صلحاء تطوان في كتاب عمدة الراوين، يركز على كرامته في مداواة زائري ضريحه من المرض بالحمى.

س. الحوات، تقعيد في أولاد الدريج، مخطوط : الفقيه الشراط، الاستبصار، 30 : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 4 : 53، مخطوط : محمد داود، تاريخ تطوان، 1 : 77 : أ. الناصري، الاستقصا، 4 : 95 : م. ابن عزوز حكيم، لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية، تطوان، 1979.

عبد الله المرباط الترغي

الدَّرِيج، محمد بن محمد (الحاج -)

الأندلسي التطواني ثم الفاسي، الفقيه النزبه النبيه الصالح العابد الناسك المقرئ المجود. ينتسب إلى الولي الصالح الشهير طلحة الدريج. من حفدة الفقيه القاضي المحدث أبي عبد الله الدراج الأنصاري السبتي من ذرية الصحابي الجليل عبادة بن الصامت.

ولد بتطوان ونشأ بها وأخذ عن علمائها. وكان من مريدي الشيخ أحمد بن عبد الله مَعَن الأندلسي وحج معه، كما صحب أحمد اليميني حتى صار من أهل التثبث والإلتقان في طريق العرفان.

توفي عام 1126 / 1714 بفاس، ودفن قرب قبة سيدي مَحْمَد بن عبد الله مَعَن خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 2 : 298 : القادري، نشر الثاني، 2 : 110 : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 4 : 53 : م. داود، تاريخ تطوان، 3 : 14.

محمد الأمين بوخيزة

درسة (جبل يشرف على تطوان) ← درقة،

درقة (نهر ومدينة وإقليم)، اكتسبت كلمة درقة من خلال كتابات مؤرخي العصور الوسطى وجغرافيين ورجالاتهم المدلولات الثلاث الآتية :
أ - مدلول النهر : كانت كلمة درقة، تطلق في عرف

كتاب العصور الوسطى، على النهر الكبير، الذي تنبع روافده الأساسية (نهر دادس، نهر ورزازات) من جبال الأطلس وجبل سيراو، وبعد رحلة طويلة عبر سلسلة من الواحات بالأطلس الصغير يصب في المحيط الأطلسي شمال مدينة طان طان الحالية. وأقدم إشارة مكتوبة بهذا المعنى وردت في جغرافية الفزاري، أحد كتاب البلاط العباسي في أواخر القرن الثاني (8 م)، فقد صنف هذا الجغرافي نهر درقة ضمن أنهار "سوس وأعظمها وأكبرها.. يخرج من جبل البقرة ويمر على سجلماصة ثم درقة قبل أن يصب في البحر الأعظم" (جغرافية الفزاري، 4) ولا شك أن قول الفزاري إن نهر درقة يمر على سجلماصة خطأ بين، مرجعه اعتماد صاحب الكتاب على السماع من الغرابة ورواد الأفاق في تدوين الأخبار. وفي القرن الخامس (11 م) باتت المعلومات عن نهر درقة أكثر دقة مع أبي عبيد البكري الذي ذكر بأن منبعث نهر درقة من جبل درن وجريته من الشرق إلى الغرب (المغرب، 155).

وبالرغم من هذه الدقة في معلومات البكري عن نهر درقة فإن الشريف الإدريسي في القرن السادس (12 م) يقع في نفس خطأ الفزاري حيث ذكر أن نهر درقة يمر على سجلماصة (وصف إفريقيا الشمالية، 38). وقد نقل صاحب الاستبصار معلوماته عن درقة عن أبي عبيد البكري دون أن يضيف أي جديد (الاستبصار، 206).



وأصبحت معلومات ابن خلدون عن نهر درقة أكثر وضوحا ودقة، حيث ذكر بأنه النهر الأعظم المنحدر من جبل درن إلى القبلة (الجنوب) مغربا إلى الصحراء والرمال ويمتد إلى أن يصب في البحر ما بين نون وودان (شمال موريطانيا الحالية) وحفا فيه قصور لا تحصى، شجرتها النخيل (ابن خلدون، 6 : 88). وينفس المعنى ورد وصف نهر درقة عند الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر (16 م). إذ يؤكد أن هذا النهر يفيض في فصل الشتاء حتى كأنه بحر، ثم يجف طورا آخر حتى يمكن عبوره على الأقدام (وصف إفريقيا،

2 : 118) أما مارمول الغرناطي في أواسط القرن العاشر. فقد جاء بنفس المعلومات التي وردت عند الوزان، وعوض كلمة درن بكلمة جبال الأطلس عند إشارته إلى منبع نهر درعة (إفريقيا، 3 : 144).

ب : مدلول المدينة : وردت كلمة درعة كمدينة عند مؤرخي وجغرافيين العصور الوسطى الإسلامية، إلا أن هؤلاء لم يتفقوا على اسم هذه المدينة وموقعها، وأقدم إشارة مكتوبة عن مدينة درعة ترجع إلى القرن الخامس (11 م)، فقد ورد عند البكري "بأن مدينة درعة يقال لها تيومتين وهي قاعدة درعة.. أهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة وهي في شرف من الأرض (المغرب، 155-156).

وقد علق صاحب طليعة الدعة في القرن الثاني عشر (18 م)، على ما ذكره البكري فقال : إن مدينة تيومتين، لا أظنها الآن في عرفنا والله أعلم إلا ببلد تميمك، ويدل على ذلك آثار مدينة خالية بها، في شرف من الأرض لم يبق إلا أساس سورها وأبراجها وهي في نهاية من الكبر ومقبرتين عظيمتين قد اندثرتا، تدلان على عمارة المدينة وكثرة الناس بها" (طليعة الدعة، 3).

أما الشريف الإدريسي فذكر أن درعة ليست مدينة يحوطها سور، وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة.. وهي على نهر سجماسة (وصف إفريقيا الشمالية، 38). ويذكر ابن القطان في القرن السادس (12 م) أيضاً، أن مدينة درعة في زمنه هي حصن تزاغورت (الجمان، 93) أما صاحب الاستبصار في أواخر نفس القرن، فقد اكتفى بذكر مدينة درعة، ليتكلم لنا عن درعة ككل (الاستبصار، 206).

وفي القرن السابع (13 م) يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن درعة مدينة صغيرة بالمغرب بينها وبين سجماسة أربعة فراسخ أكثر تجارها اليهود (معجم البلدان، 2 : 451) أما ابن خلدون الذي عاش في القرن التالي فذكر بأن مدينة درعة هي تادنست، بلد كبير يقصده التجار للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة (ابن خلدون، 6 : 89) وعلق صاحب طليعة الدعة بأن مدينة تدنست قد تكون هي تيدري بالمدخل الشمالي لواجهة اكتاوة، أو تيدسي وسط واحة ترناتة، لأن في هاتين البلدتين من درعة من الخراب ما يدل على عمارتها وحضارتها سابقا (طليعة الدعة، 2).

ونرجح أن تكون مدينة درعة في عصر ابن خلدون هي تيدسي القديمة وسط واحة ترناتة، وما تزال أطلال هذه المدينة قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر تيدسي الجديد، وتعرف هذه الأطلال بالقصر الخالي، ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه أن اسم تيدسي قد ورد في بعض نسخ تاريخ ابن خلدون (حضارة وادي درعة، 132) كما أننا عثرنا على وثيقة بزاوية سيدي أحمد بن علي جبار المكسور بترناتة،

تؤكد على أنه في القرن التاسع (11 م) كان يوجد بالقرب من أطلال تيدسي سوق كبير، تلتقي فيه القوافل التجارية من كل الجهات، وما يزال مكان هذا السوق في براح من الأرض يعرف اليوم بحدب سيدي الحاج عبد الله.

وقد غاب الحديث عن مدينة "درعة" في مصادر ما بعد ابن خلدون، مما يؤكد أن كتاب العصور الوسطى كانوا يعتمدون على السماع من الغرباء ورواد الآفاق لجمع معلوماتهم عن هذه الجهة أو تلك، وتدوينها في مصنفاتهم دون التدقيق في صحتها.

وفي مطلع القرن العاشر (16 م) تحدث الحسن الوزان عن القرى الكبيرة المبنية على حفا في نهر درعة (وصف إفريقيا، 2 : 118) وتحدث مارمول الغرناطي في أواسط نفس القرن، عن أكثر من ثماني مدن بدرعة تتجاوز ساكنة كل مدينة منها أربعة آلاف نسمة (إفريقيا، 3 : 146). 151) فهل ازداد عدد سكان هذه القرى، بفضل جهود السعديين في توفير ظروف الأمن والاستقرار بدرعة حتى تحولت إلى مدن صغيرة بمفهوم ذلك العصر ؟ خاصة أن مارمول كان شاهد عيان حيث زار بلاد درعة غير ما مرة على ما يبدو، في عهد السلطان محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب.

ج : المدلول الثالث : ويتركب من ثنائية تجمع كلمة درعة إلى ما أسندت إليه مثل بلاد درعة، إقليم درعة أو عمالة درعة نصادف هذه الثنائية في كتب الإخباريين الذين كانوا يدونون أخبار سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب أثناء عملياتهم العسكرية بالمنطقة، كما نصادفها في المراسلات الرسمية والخاصة وفي الظواهر السلطانية وأحياناً في بعض الوثائق المحلية، كما نصادفها في كتب الرحلات السفارية والحجية وكتب المناقب والتراجم، حيث كان أصحابها يرصدون أخبار الفقهاء وأهل الصلاح ببلاد درعة. وقد أصبح هذا المدلول يطلق في عرف المؤرخين الرسميين والمخزن المغربي منذ العهد المرابطي إلى مطلع القرن العشرين على المنطقة التي تمتد من أفلأ ندرى (أعلى درعة) بالمدخل الشمالي لواجهة مزگيطة إلى المدخل الجنوبي لواجهة المحاميد على مشارف الصحراء الكبرى.

معطيات جغرافية : تتشكل بلاد درعة من ست واحات تمتد بشكل مستمر على حفا في نهر درعة على طول يقدر بحوالي 200 كيلو متر، وهي من الشمال إلى الجنوب : مزگيطة، تينزولين، ترناتة فزواطة، اكتاوة ثم المحاميد. وتحتل هذه الواحات موقعاً متميزاً في الجنوب الأوسط من المغرب ضمن مجال الأطلس المتوسط. تجاورها غرباً بلاد سوس ومن الناحية الشرقية وادي تازرين وتاغبالت وحمادة قم - قم وزگدو، ومن الناحية الشمالية بلاد دادس وهسكورة ووغازات وتفتح جنوباً على الصحراء الكبرى وبلاد إفريقيا الغربية. وتكتنف بلاد درعة جبال متوسطة الارتفاع أهمها جبل كيسان الذي يشرف على واحة مزگيطة وجبل

بوزروال وتودما بواحة تينزولين. ويشرف جبل باني على كل الواحات الجنوبية من ترنانة إلى المحاميد، ويمتد هذا الجبل على شكل قوس كبير يحتضن هذه الواحات، وتتخلله مجموعة من المسالك والممرات الطبيعية يطلق عليها محلياً اسم "قم" أو تيزي (ثنية) مثل قم تانسخت الذي يفصل بين واحتي تينزولين ومزغيطه، وقم تيدري الذي يفصل بين واحتي محاميد الغزلان واكتاوة، وقم ورتي الذي يربط بين بلاد درعة وبلاد دادس وتيزنتا فيلات التي تربط بين درعة وبلاد تازرين... الخ

وتكتنف بلاد درعة هضاب شاسعة وقاحلة من جهات الغرب والجنوب ومن أهم هذه الهضاب هضبة لكرارة وكدية أولاد يحيى في مستوى واحتي تينزولين ومزغيطه وتشرف كدية الفانجية وحماة درعة وقم وقم على باقي الواحات الجنوبية من جهات الغرب، والجنوب والجنوب الشرقي.

وقد تشكلت على شاطئ نهر درعة سلسلة من السهول الرسوبية الضيقة، وهذه السهول عبارة عن شريط زراعي يسائر نهر درعة في منعرجاته من أفلاندرى جنوباً إلى أقصى نقطة بواحة المحاميد على مشارف الصحراء. وبفضل هذا الشريط الرسوبي الخصب ووفرة المياه بنهر درعة اشتهرت بلاد درعة خلال العصور الوسطى بمنتجاتها الزراعية الوفيرة. ومن أهمها الحنّاء والكمون والتمور والكرويا والنيلة وغيرها من المنتجات التجارية التي يتجهز بها إلى كل الجهات (وصف إفريقيا الشمالية، 38).

ولن نبالغ في شيء إذا قلنا إن هذه المنتجات الزراعية كانت وراء ازدياد تجار الآفاق للمنطقة، حيث كانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع بمختلف القصور المتناثرة على شاطئ الوادي (المغرب، 152، 155).

ويظهر من إشارات الشريف الإدريسي أن الحركة العمرانية كانت مزدهرة بدرعة خلال العصور الوسطى، إلا أن المنطقة قد تعرضت في عصور لاحقة لخراب هذه العمارة نتيجة تعاقب دورات الجفاف الحادة، وتعرض المنطقة للأوبئة والأمراض الفتاكة، التي لا تكاد ترفع عن جهة، حتى تنزل ضيفا ثقيلا على جهات أخرى من البلاد (الدرز المرصعة، 121) ولعل ما يؤكد خراب عمران بلاد درعة هو وجود الأطلال المتعددة في غير ما واحة من واحات درعة (طليلة الدعة، 6.5).

السكان الأصليون بدرعة : تفيدنا بعض المصادر التاريخية أن السكان الأقدمين ببلاد درعة، كانوا من الكوشيين أو الإثيوبيين لسواد لون بشرتهم (Les recherches, 34) وكان هذا النعت يطلق في العصور القديمة على المجموعات البشرية السوداء التي كانت تنتشر بالأطراف الشمالية للصحراء الكبرى ومناطق الواحات التي تمتد جنوب جبال الأطلس من توات شرقاً إلى وادي نون غرباً (Le Maroc Saharien, 2 : 160 - 188). ويلاحظ أن هذه العناصر السوداء ببلاد درعة، قد امتزجت ببعض الطائفتين

على المنطقة من البيض، فتتج عن هذا الامتزاج عنصر مولد يجمع بين خصائص العنصرين، وهذا العنصر الخلاسي يعتبر أهم عنصر بشري استوطن بلاد درعة على مر العصور ليس من حيث العدد فحسب وإنما أيضاً من حيث الارتباط بالأرض وقدرته العالية على التكيف مع كل المستجدات التي كانت تطرأ على المنطقة بوصول موجات من قبائل البدو الصحراويين أو الجبيلين، ويرى عدد من الباحثين بأن هذه المجموعات البشرية الخلاسية هي أسلاف الحراطين الذين لا يزالون يشكلون إلى اليوم أهم التجمعات السكانية بسوادي درعة، ويعلمون ذلك بشكل البناء الجسماني للحراطين وبالسماوات العامة للملامح الوجه ونوعية شعر الرأس، ومجمل العادات والتقاليد التي تضرب بجذورها في عمق الصحراء وإفريقيا الغربية (Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, 1 : 294)

تعتبر القبائل الأمازيغية من الصنهاجيين والزناتيين من أهم المجموعات البشرية التي استوطنت بلاد درعة في العصور التاريخية واستبدت بالمجموعات السوداء أو الخلاسية، وقد وصل الأمازيغيون، إلى واحات درعة على دفعات متتالية :

الصنهاجيون : ينحدر الصنهاجيون من أصول غامضة ومبهمة، ويرى عدد من الباحثين مثل كاسريل كامبس (G. Camps) وسطيفان كزل (Gsell) أن الصنهاجيين ينحدرون من قبائل المازيك التاريخية، وقد كانت هذه القبائل تنتشر في عدة مناطق جنوب جبال الأطلس الكبير إلى التخموم الصحراوية (Libyca, 27) ولعل ما يؤكد أن قبائل المازيك هي أسلاف القبائل الصنهاجية أن هذه الأخيرة تؤكد وينوع من السند المتواتر أن جدها الأعلى هو مازيغ بن كنعان (الترجمة الكبرى، 58) وماتزال قبائل أيت عطا التي تعتبر من صميم صنهاجة الصحراء تفتخر على أنسابها من القبائل الأخرى أنها تنحدر من الأمازيغيين (Les Ait Atta du Sahara, 30) وتدل كل المعطيات التاريخية على مجالات انتشار القبائل الصنهاجية خلال العصور الإسلامية هي نفس المناطق التي كانت تنتشر فيها في العصور القديمة (قبائل المغرب، 1 : 329) حيث ما تزال آثار هذه القبائل مطبوعة على أسماء الأعلام والمواقع الجغرافية.

الزناتيون : كانت القبائل الزناتية تتجاور مع القبائل الصنهاجية من الناحية الشرقية (الصحاري الشرقية بشكل خاص) وتعتبر القبائل الزناتية هي المنافس التاريخي والتقليدي للقبائل الصنهاجية، حيث كانت المجموعتان تتغالبان على مواطن الكلا والرعي وتبادلان السيطرة على المسالك التجارية الصحراوية، وكان من نتائج هذا التدافع بين الصنهاجيين والزناتيين تداخل مجاميع انتشارها في الجنوب الأوسط والجنوب الشرقي من البلاد إلى درجة أن جل الباحثين كانوا يرتبكون في العودة ببعض البطون الأمازيغية الصغرى بمناطق الواحات إلى أصولها الكبرى.

ونستفيد من بعض الإشارات التاريخية أن الرومان قد تقدموا بقواتهم في بداية العقد الخامس من القرن الميلادي الأول إلى منطقة غير جنوب الأطلس الكبير (*Histoire du Maroc*, 1 : 51) فشردت القبائل الزناتية المنتشرة بهذه الجهات أمام القوات الرومانية، وتقدمت نحو بلاد درعة، إلا أن هذه الدفعة من الزناتيين ما لبثت أن ذابت في القبائل الصنهاجية واندمج بعضها في القبائل الدراوية من المستقرين.

وفي القرن الثالث الميلادي قام الرومان على عهد أسرة سيفر (Severe) بعمليات الترحيل القسري والطرده الجماعي للقبائل الزناتية من رعاة الإبل من الأراضي الزراعية الخصبة والدفع بها نحو المناطق الصحراوية القاحلة فوصلت أعداد كبيرة من هذه القبائل إلى واحات درعة (تاريخ إفريقيا الشمالية، 1 : 219).

كانت القبائل الزناتية الطارئة على وادي درعة في أوج عنفوانها البدوي، فاستبدت بقبائل المستقرين ودفعت بالقبائل الصنهاجية نحو التخوم الصحراوية (*Esquisse d'une histoire du Sahara*, 43 - 46) ويعزى إلى القبائل الزناتية إدخال مجموعة من المؤثرات الحضارية إلى وادي درعة، حيث ما تزال آثار هذه المؤثرات قائمة إلى اليوم في الأساليب الزراعية وأسماء النباتات وطرق الري.

ولما وصل الإسلام إلى الجنوب المغربي في العقود الأخيرة من القرن الهجري الأول، وجد القبائل الزناتية في أوج قوتها ويظهر أن سابقة هذه القبائل بالشمال الإفريقي وانتظام عدد من رجالها ضمن جيش الفاتحين (فجر الإسلام بالأندلس، 40 - 50). قد لطف من غلواء الروح البدوية لهذه القبائل ويات شيوخها وأهل السابقة منهم في الإسلام يتطلعون إلى تعزيز وتقوية دور قبائل زناتة بواحات زيز ودرعة، وقد تحقق للزناتيين ما أردوا بعد قيام إمارة الخوارج الصفورية بتافيلالت سنة 140. اضطلعت القبائل الزناتية بدور أساسي في بسط نفوذ هذه الإمارة على بلاد درعة، وفرض أمراء سجلماسة الخمس على ما يستخرج من معادن بالوادي (الخوارج في بلاد المغرب، 124) وظلت القبائل الزناتية مستبدة بكل مرافق بلاد درعة إلى أن فاجأهم حركة المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين في أواسط القرن الخامس الهجري. وقد أنهت الحركة المرابطية هيمنة القبائل الزناتية ببلاد درعة لتحل محلها القبائل الصنهاجية من جديد.

بلاد درعة في العهدين المرابطي والموحدي : خرجت مناطق الواحات بزيز ودرعة، منهوكة القوى من الحروب الطاحنة والصراعات السياسية التي دارت بهذه الجهات طيلة القرن الرابع (10 م) (أعمال الأعلام، 145 - 151) وكانت القبائل بهذه المناطق هي التي أدت ثمن هذه الصراعات من أموالها وأرواح رجالها، فلما تمكن بنو خزرون المغراويون، من بسط سيادة القبائل الزناتية على سجلماسة وبلاد درعة

أسأوا السيرة مع السكان وأفرطوا في استحلاب الأموال. وكانت قبائل مسوفة وسرته وتاركة الصنهاجية من أكثر القبائل المتضررة من السياسة الجبائية لمسعود بن وانودين المغراوي، الذي تولى الحكم مع بداية العقد الثاني من القرن الخامس الهجري، وبلغ به عسفه أنه احتكر مراعي بلاد درعة لإبله ومنع قبائل الرعاة الصنهاجية من ارتيادها، فاستصرخوا عبد الله بن ياسين الذي وجدها فرصة سانحة للزحف على درعة وإنهاء هيمنة القبائل الزناتية بها.

لاشك أن بلاد درعة، نظراً لموقعها الجغرافي المتميز بين المجال الجبلي والمجال الصحراوي، كانت تشكل محطة أساسية في الخريطة السياسية للمشروع المرابطي، خاصة أن عوامل الزمن لم تستطع أن تقضي نهائياً على الروح العصبية والوشائج الدموية والعرقية لبقايا القبائل الصنهاجية بدرعة، وتعلقها بأخواتها بالمجالات الصحراوية، لذلك نلاحظ أن الدولة المرابطية بعد تمكنها، كانت تخص بلاد درعة بحكام من خلص القبائل الصنهاجية وكبار القادة في سلم مسؤولي الدولة مثل داود بن عائشة اللمتوني (روض القرطاس، 142).

ويتضح من خلال التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي طرات على واحات درعة خلال النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، أن الدولة المرابطية، قد أولت عناية خاصة لهذه المنطقة، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى أهمية المنافذ التجارية بالوادي ولما ينتج فيه من مزروعات مثل التمور والحنا والنيلة وغيرها، وهي مواد مطلوبة في التبادل التجاري بإفريقيا جنوبي الصحراء.

ونستشف من إشارات أبي عبيد البكري، أن سكان درعة قد ارتفع عددهم بشكل ملموس إبان العهد المرابطي فانتشر العمران لمسافة سبعة أيام وازدهرت الزراعة على حفافي النهر وعم الرخاء، وكانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع (المغرب، 155).

وإذا كان من شيء يستخلص من إشارات البكري، فإن ذلك يتجلى في نجاح الدولة المرابطية في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، وأن هذا الاستقرار ساهم في الرفع من المنتجات الزراعية خاصة المنتجات المطلوبة في التبادل التجاري محلياً وجهياً.

وما كاد المهدي بن تومرت يعلن عن دعوته ويكشف عن مشروعه السياسي في أواسط العقد الثاني من القرن السادس (12 م) حتى قاد بنفسه الغزاة الثامنة إلى بلاد درعة فاستولى على حصن إسلیم بواحة مزغيطة، ثم توجه إلى تزاگورت بالمدخل الجنوبي بواحة ترناتة فدخلها وسبي بها عدداً من العبيد ضمهم إلى العبيد الذين أسرههم بأسليم وأسماهم عبيد المخزن (أخبار المهدي، 70) ويظهر أن المرابطين قد تمكنوا من استرجاع تزاگورت من الموحدين فأحاطوها بسور خارجي، إلا أن هذا السور لم يمنع عبد المومن بن علي الكومي من اقتحام تزاگورت سنة 526

وقتل عاملها يدرين ويجوط. وقد غابت عنا أخبار بلاد درعة بعد هذه العملية لما يزيد على عقد ونصف من الزمن، حيث وجه عبد المومن بن علي الكومي حملة عسكرية إلى وادي درعة والمناطق الجنوبية بقيادة أبي حفص الهنتاتي لوضع حد لتشغيل قبائل درعة سنة 541 وبعد انتهاء هذه العملية التمهيدية عين عبد المومن بن علي موسى بن عبد الصمد عاملاً على درعة، فاتخذ من تزاگورت مقراً لولايته، وبالرغم من الشدة التي سلكها في إرغام قبائل المنطقة على الخضوع لظل الدولة، فإن عمليات التشغيل ما لبثت أن تجددت فاضطر عبد المومن إلى أن يقود بنفسه حملة ردعية سنة 544 فأعدم حوالي ستمائة رجل من أعيان القبائل ورؤوس الفتنة بدرعة : (Le Maroc Saharien, 1 : 257).

ويظهر أن الموحدین نجحوا بعد هذه الحملة في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، ذلك أن الشريف الإدريسي الذي كان معاصراً للدولة الموحدية، يؤكد على انتشار العمران على حفاقي نهر درعة من خلال سلسلة من القرى المتصلة والعمارات المتقاربة والمزارع الكثيرة التي تنتج بعض المزروعات التي يتجهز بها إلى كل الجهات (الإدريسي، 38).

ويؤكد صاحب الاستبصار نفس المعلومات، فيشير إلى وجود الجنات الكبرى، التي يستنبت فيها جميع الفواكه، خاصة التمر والزيتون، وجبات التاكوت التي تستخدم في دباغة الجلود، إضافة إلى استخراج بعض المعادن بالمنطقة (الاستبصار، 206، 208).

الهجرات العربية إلى بلاد درعة : تعتبر القبائل العربية آخر موجة بشرية عمرت بلاد درعة وأثرت بشكل كبير في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالوادي. ويسود الاعتقاد أن القبائل العربية وصلت إلى وادي درعة في موجتين : أ - الموجة الأولى : قد تكون من المهاجرين العرب وصلت إلى وادي درعة خلال القرن الثاني (8 م) خاصة بعد قيام دولة بني مدرار بسجلماسة، ويرجع أن تكون هذه العناصر وراء محاولة تأسيس إمارة محلية بدرعة على غرار إمارة سجلماسة (الخوارج في بلاد المغرب، 124) وبعد فشل هذه المحاولة ذابت العناصر العربية المهاجرة في النسيج القبلي المحلي، ولم يكن لها أي تأثير يذكر.

ب : الموجة الثانية : وتشكل من قبائل بني معقل التي ظلت تندفق على واحات درعة منذ وقت مبكر من القرن السابع إلى غاية مطلع القرن العاشر (16 م). وتعتبر قبائل بني معقل أهم تجمع بشري من القبائل العربية نزح إلى بلاد درعة، وساهم في تعمير المنطقة إلى جانب قبائل الخلاسين (قبائل دراوة) والمجموعات الأمازيغية.

بدأت طلائع القبائل المعقلية تندفق من الصحاري الشرقية إلى واحات زيز ودرعة منذ مطلع القرن السابع (13 م) ويظهر أن سواد بني معقل قد وجدوا في هذه

الواحات ما يغري على التوسع والانتشار وممارسة الغزو. الذي يعتبر من السلوك اليومي عند هذه القبائل البدوية، وقد نتج عن هذا التدفق المعقلي صدام عنيف بين القبائل الصنهاجية والقبائل المعقلية التي كانت تتطلع إلى انتزاع المراعي الشاسعة بين تافيلالت ودرعة من يد القبائل الصنهاجية التي كانت تهيمن على المنطقة منذ العهد المرابطي، وقد أيقظ هذا الصدام المعقلي الصنهاجي ما كان كامناً في نفوس فلول القبائل الزناتية بمناطق الواحات، فانحاشت إلى بني معقل لتثار من الصنهاجيين. وقد تمكن التحالف المعقلي - الزناتي من دحر العصبية الصنهاجية.

انشط التجمع الصنهاجي إلى شطرين، تراجع أحدهما إلى المجابة الكبرى مشكلاً صنهاجة الصحراء في حين أن الشطر الآخر التحق بالمناطق الجبلية (Esquisse d'une histoire du Sahara, 68 - 69) أما بقايا الفلول الصنهاجية التي عجزت عن الظعن، فقد تحولت إلى الاستقرار والارتباط بالأرض ثم ما لبثت أن اندمجت بدورها في المجتمع المحلي شأنها في ذلك شأن فلول كل القبائل التي عبرت بلاد درعة في مختلف العصور.

ونستفيد من إشارات ابن خلدون، أن قبيلة أولاد حسين من فرع ذوي منصور المعاقلة، كان لها شغف وظهور بوادي درعة، وقد كانت هذه القبيلة منذ أواسط القرن السابع (13 م)، تستغل بُعد واحات درعة عن عاصمة الدولة فتنتقل في عمليات تشغيل على سلاطين الدولة المرينية حيث تمارس غزو القصور والاستيلاء عليها بالقوة، ويذكر ابن أبي زرع أن السلطان أبا يوسف يعقوب المريني خرج سنة 669 / 1271 إلى بلاد درعة لغزو عرب المعقل الذين ملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالنهب والقتل أهلها وأموالها (القرطاس، 307) ورغم هذه الحملة الردعية فإن بني معقل لا يكادون يخضعون حتى يشوروا من جديد. فقد ذكر ابن خلدون أن السلطان أبا يعقوب يوسف اضطر سنة 686 / 1287 إلى أن يقود بنفسه حملة ردعية قوية ضد بني معقل ببلاد درعة لما أضروا بالعمران وأفسدوا السابلة فاستكثر من قطع رؤوس المشاغبين، وقد عُلقت هذه الرؤوس بشرفات مراكش وفاس وسجلماسة (تاريخ ابن خلدون، 7 : 290).

وبالرغم من هذه الحملات الردعية التي كان سلاطين الدولة المرينية ينظمونها ضد قبيلة أولاد حسين بدرعة، لإرغامها على الانضباط والدخول تحت ظل الدولة، فإنها لا تكاد تستقيم على الطاعة حتى تثور من جديد. وقد ظلت هذه القبيلة مصدر تشغيل على الدولة، ومصدر تعب ومشقة بالنسبة للمستقرين بدرعة.

وفي أواسط القرن الثامن (14 م) عين السلطان أبو عنان عبد الله بن مسلم الزردالي عاملاً على وادي درعة، فأدرك بحنكته السياسية وخبرته بتدبير شؤون القبائل أن معالجة مسألة قبيلة أولاد حسين ببلاد درعة، تكمن في

إشراك شيوخ هذه القبيلة في تدبير شؤون هذه الواحات، فاستصدر أمراً سلطانياً من أبي عنان يفوض لشيخ هذه القبيلة أمر تحصيل اللوازم الجبائية من سكان الوادي، وأقطعهم بعض الأراضي بواحتي أكتاوة ومحاميد الغزلان. إلا أن سياسة إشراك قبيلة أولاد حسين في تسيير أمور الوادي، كانت له عواقب وخيمة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أن تشدد شيوخ أولاد حسين في استغلال الأموال دفع بعدد كبير من المستقرين إلى التخلي عن الإنتاج الزراعي أو الهجرة من المنطقة. ونستشف من إشارات ابن خلدون أن الجنوب المغربي، خلال النصف الثاني من القرن الثامن (14 م)، قد انفلت كلية من ربة الأحكام، فاشتعلت الفتن بمناطق الواحات، وكان لقبيلة أولاد حسين دور بارز في هذه الفتن (تاريخ ابن خلدون، 7 : 424).

وتدل كل القرائن على أن قبيلة أولاد حسين نجحت إلى حد كبير في فرض مراقبتها على بلاد درعة، وباتت تتحكم في الأسواق المحلية والمسالك التجارية التي كانت تربط بين واحات وادي درعة وبلاد السودان، حيث كانت تفرض على قبائل الواحات المزيد من الإتاوات والوضائع، وعلى قوافل التجار التي تجوب المسالك الصحراوية وتطرق أسواق درعة ما كان يعرف في حينه بحق المرور أو حق الطريق. وفي بحر القرن التاسع (15 م)، خاضت قبيلة أولاد حسين والقبائل المتحالفة معها حروباً طاحنة ضد حلف قبائل أيت واووزگيت التي بدأت تفرض وجودها بواحتي مزگيطة وتينزولين، وقد نجحت قبائل أيت واووزگيت في كبح جماح قبيلة أولاد حسين ومن على شاكلتها.

كان من عواقب هذه الحروب غياب سلطة الدولة المركزية بدرعة خلال القرن التاسع (15 م) وظهور المشيخات الكبرى بمختلف واحات درعة، وكانت مشيخة المزواريين بتينزولين من أهم وأبرز المشيخات الكبرى بدرعة على الإطلاق (معلمة المغرب، 7 : 2214) ولن نبالغ إذا قلنا إن مشيخة المزواريين قد تحولت في نهاية القرن التاسع (15 م) ومطلع العاشر (16 م) إلى إمارة حقيقية تمكنت بفضل ما توفر لها من أموال وقوة عسكرية من بسط هيمنتها على المنطقة الممتدة من أفلا ندرى بعالية مزگيطة إلى إيمي نترزاگورت جنوب واحة ترناتة.

وبعد نجاح الأشراف السعديين في اقتطاع المناطق الجنوبية من مملكة الوطاسيين (استقصاء، 4 : 151) انزعج المزوار بن عمرو شيخ المزواريين بتينزولين في إبانسه من استقلال السعديين بالجنوب وعول على محاربتهم ومنعهم من السيطرة على درعة، إلا أن أحمد الأعرج وبعزيمة أشد صلابة عول بدوره على إخضاع وادي درعة لسلطته مهما كلفه ذلك من ثمن، وهكذا اجتاز أحمد الأعرج جبال الأطلس سنة 944 / 1537 فحاص بخيله بلاد تافيلالت ثم عرج إلى درعة وأناخ بجيشه على مشيخة المزواريين، ولم

يغادر الوادي إلا بعد استسلام المزواريين وإعلان بيعتهم للأشراف السعديين (Le Maroc Saharien, 1 : 457).

درعة على عهد السعديين والعلويين : بالرغم من أن الأشراف السعديين ينحدرون من وادي درعة فإن اهتمامهم العملي بهذه المنطقة لم يتحقق إلا بعد إخضاعهم للمزواريين سنة 944 / 1537، ومنذ هذا التاريخ أصبح وادي درعة يشكل محطة أساسية في المشروع السعدي. وبعدما تمكن محمد الشيخ من أخيه أحمد الأعرج وأصبح سيد المغرب الأول ابتداء من سنة 951 / 1544 (الاستقصاء، 5 : 17). عين ابنه عبد الله عاملاً على وادي درعة، فقرب إليه شيوخ قبيلة أيت واووزگيت، وركز كل جهوده على توفير ظروف الأمن والاستقرار بالوادي، فارغم قبيلة أولاد حسين ومن في لفها على الخضوع والانصياع لأوامر الدولة.

ولما تولى أحمد المنصور السعدي أمر السلطنة بعد معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578 وجه عنايته للمنطقة الجنوبية بصفة عامة وواحات درعة بصفة خاصة. فأعاد تنظيم هذه العمالة وجدد تحصيناتها العسكرية واستحدث قصبات أخرى شحنها بالجيش والعتاد الحربي كما تشدد في معاملة القبائل المترحلة التي دأبت على التشغب بهذه الجهات، وفي إطار هذه العناية الخاصة بدرعة كان السلطان يعهد بحكم المنطقة إلى أقربائه أو الخلف من رجال دولته. وبعد فتح السودان سنة 998 / 1591، ازدادت أهمية وادي درعة وأصبحت طرقها تعج بقوافل التجار التي كانت تتراد أسواق المنطقة من سوس وتافيلالت وشمال المغرب كما تحولت واحة محاميد الغزلان إلى مركز تجاري تتجمع فيه القوافل التجارية قبل توجهها إلى بلاد السودان تحت حماية جيش الدولة السعدية.

وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي سنة 1012 / 1603 دخلت واحات درعة مرحلة من الصراعات السياسية والاضطرابات الاجتماعية استمرت ما يزيد على خمسين سنة انهار خلالها كل ما بناه أحمد المنصور. وهكذا انطلق الثائر أحمد بن أبي محلي من تافيلالت فاستولى على وادي درعة بعد ما هزم جيش زيدان السعدي بقيادة عبد الله الزيدة (الاستقصاء، 5 : 30).

وبعد مقتل ابن أبي محلي بمراكش سنة 1022 / 1613 تطلع يحيى الحاحي إلى الاستيلاء على وادي درعة بتنظيم غارات خاطفة على سكان الوادي، ورغم كثافة غارات قوات يحيى الحاحي على درعة، فإن الحاحي لم يتمكن من تحقيق هدفه في إخضاع الوادي إلى نفوذه.

وبعد وفاة يحيى الحاحي سنة 1035 / 1625 أصبحت طريق درعة عبر تارودانت مفتوحة أمام أمير تزرولت أبي حسون السملالي الذي كلف قائد جيشه عبد الله بن سعيد المراكشي بالهجوم على درعة والاستيلاء عليها. ولم يتمكن عبد الله بن سعيد من الاستيلاء على قصبة المخزن بواحة تينزولين إلا بعد ثلاث سنوات من الحصار وبعد نفاد

الأقوات عند الحامية السعدية بالقصبة (/إليغ، 59) ويظهر أن سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة، قد ألحقت أضراراً كبيرة بالحركة التجارية وبعدد من القبائل التي كانت تستفيد من تجارة القوافل بين درعة وبلاد السودان، لذلك كانت القبائل تنظم غارات خائفة على قوات السملاليين وترغمها على الاحتماء وراء أسوار القصب التي تسيطر عليها (/إليغ، 86).

كان أبو حسون السملالي بعد تمكنه من السيطرة على الطرق التجارية بوادي درعة يتطلع إلى بسط نفوذه على محور تافيلالت فاستغل المباحكات التي ظهرت بين الأشراف السجلماسيين ومنافسيهم أولاد ابن الزبير بقصر تابوعصامت، ليتدخل في شؤون المنطقة، وبالرغم من أن السملالي جاء إلى تافيلالت لنجدة الأشراف العلويين، إلا أنه انقلب عليهم واعتقل عميد الأسرة إبانة الشريف بن علي وساقه أسيراً إلى إليغ.

ومهما كانت الأسباب التي جعلت السملالي يعتقل الشريف بن علي فإن هذا الحادث قد أتاح الفرصة لمولاي محمد بن الشريف ليعلن عن رغبته في الإعلان عن ميلاد الإمارة العلوية. وقد استجابت قبائل تافيلالت والمناطق المجاورة لها لدعوة محمد بن الشريف (/إليغ، 149) فتمكن من بسط نفوذه على واحات وادي زيز وإنهاء نفوذ السملاليين بها.

انزعج أبو حسون السملالي لهذا التطور الذي عرفته الإمارة العلوية مع مولاي محمد بن الشريف، وأدرك أنها باتت تشكل خطراً على نفوذه بدرعة، خاصة أن الأخبار التي بدأت تصل إلى إليغ تؤكد على الاستعدادات الجارية بتافيلالت للاتقاض على وادي درعة، لذلك نلاحظ أن أبا حسون السملالي شكل في نهاية سنة 1049 / 1639 قوة عسكرية وأرسلها إلى وادي درعة لحماية المنطقة من أي هجوم علوي محتمل، وقد أحجم مولاي محمد بن الشريف على الدخول في مواجهة مباشرة مع السملاليين بدرعة، واكتفى بإرسال وفد عنه إلى إليغ للتفاوض، وكان الوفد المشكل من بعض الأشراف العلويين قد حدد مسبقاً النتائج التي ستنتهي إليها المفاوضات في انسحاب السملاليين من درعة، وألا يفكروا في العودة إلى تافيلالت لأن العلويين قد أخذوها قهراً بحد السيف.

تأكد لأبي حسون السملالي ما كان يتوقعه من إمارة تافيلالت، وفي الوقت الذي كان فيه السملالي يخطط للمواجهة مع مولاي محمد بن الشريف كان هذا الأخير يحرك بعض أنصاره بدرعة لتأليب القبائل على السملاليين، وهكذا قامت قبائل أهل مزكيطة وحلفائها سنة 1050 / 1640 بالهجوم على قوات السملاليين بدرعة وألحقوا بها خسائر فادحة (/إليغ، 117).

اهتزت إمارة إليغ لهذا الحدث، فشكّل أبو حسون السملالي قوة عسكرية توجه بها إلى واحة مزكيطة لتأديب

القبائل المشاغية، فهدم عدداً من القصور وخرب السواقي، واستنفر أهل مزكيطة لحلفاء هم من قبائل إمبران والحقوا خسائر فادحة بالسملاليين في معركة تنوگالت، وأرغم أبو حسون السملالي على الرجوع إلى إليغ وهو شبه مهزوم وذلك في الشهور الأولى من سنة 1051 / 1641.

كان المستفيد الأول من هذه الأحداث هو مولاي محمد ابن الشريف الذي استغل تراجع نفوذ السملاليين بدرعة، فوجه قواته التي اشتبكت مع السملاليين في معركتي بُوْدِهِيْر وزاگورة بواحة ترناتة، ونستشف من بعض الرسائل الموجهة من مولاي محمد بن الشريف إلى أبي حسون السملالي أن معارك أخرى وقعت بين الإمارات (/إليغ، 123) ورغم أننا لم نتمكن من تحديد تواريخ هذه المعارك، فإن كل الدلائل تؤكد أن أبا حسون السملالي خسر وادي درعة وأن المنطقة أصبحت منذ سنة 1061 / 1650 وبصفة نهائية ضمن مجال نفوذ إمارة العلويين بدون منازع.

تولى السلطان مولاي إسماعيل الأمر بعد وفاة أخيه الرشيد سنة 1082 / 1675، وقد ظل طيلة العقدين الأخيرين من القرن الحادي عشر (17 م) منشغلاً بمشاكل الثوار والخارجين على سلطة الدولة، وكان يكتفي بتعيين خليفة له بسجلماسة، ومنها تتوجه الأوامر إلى جهات الجنوب مثل توات وتيگورارين ووادي درعة وهذا يعني أن الوادي كان خاضعاً إدارياً لنفوذ الخليفة السلطاني بسجلماسة. ويظهر أن خليفة السلطان مولاي المامون بن إسماعيل قد عجز عن ضبط حركة القبائل من بقايا بني معقل وأيت عطا، فاضطر السلطان في مطلع القرن الثاني عشر (18 م) إلى إحداث "محلات" عسكرية متنقلة لشد عضد الخليفة السلطاني ومد العون له لردع قبائل الرحل وحماية المسالك التجارية (/إلى ولدي المامون، 12، 18، 21). إلا أن أسلوب المحلات العسكرية فشل في توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان وادي درعة فقرّر السلطان استحداث عمالة خاصة بالوادي وذلك سنة 1111 / 1699 وعين على رأس هذه العمالة ابنه عبد الملك الذي استقر بقصبة أغلان بواحة ترناتة ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل (/الاستقصا، 7 : 89).

لم تقض إلا ثلاث سنوات على ولاية مولاي عبد الملك بدرعة حتى فوجئ بشوْرة أخيه مولاي أبي النصر الذي هزم أخاه واستولى على درعة ونواحيها (/الحلل البهية، 109)، فعين السلطان ابنه مولاي الشريف على درعة وزوده بجيش قوي، فتمكن من هزيمة أبي النصر واسترجاع المنطقة إلى حظيرة الدولة بعد فرار أخيه الناصر إلى الفيافي الصحراوية. إلا أن السلطان لم يكن راضياً عن الطريقة التي سمح بها مولاي الشريف لأخيه الناصر بالانفلات من عقاب السلطان، فعزله عن عمالة درعة سنة 1114 / 1702.

وغابت عنا أخبار وادي درعة طيلة عشر سنوات تقريباً عادت فيها القبائل إلى ممارسة اللصوصية وقطع الطريق

على السابلة كما يشير إلى ذلك صاحب رحلة الوافد الذي زار بلاد درعة في عام 1121 / 1710 (رحلة الوافد، 166) وفي سنة 1124 / 1712 عين السلطان كاتبه الخياط بن منصور عاملاً على درعة، ولأسباب غير واضحة أمر السلطان بقتل الخياط بن منصور في نفس السنة وعين مولاي الشريف للمرة الثانية على وادي درعة، فنجح مولاي الشريف إلى حد كبير في ضبط أحوال الوادي وتوفير ظروف الأمن والاستقرار بالمنطقة. إلا أنه فوجئ سنة 1135 / 1722 بثورة قبلية عارمة بواحة محاميد الغزلان كرد فعل لتشدّد عبيد المخزن في استحلاب أموال السكان، وقد اضطر مولاي الشريف إلى الاستنجاد بالجيش السلطاني لإخضاع القبائل وإنهاء ثورتهم بعد سبعة أشهر من المواجهات العنيفة ذهب ضحيتها آلاف القتلى من الجانبين (Relation de Th. Pellow, 118 - 120). وقد كانت لهذه الثورة عواقب اجتماعية واقتصادية وخيمة نتيجة الانهيار الديمغرافي، وتوقف الإنتاج الزراعي واضطراب الحركة التجارية، الأمر الذي سمح لقبائل الرحل التي كانت تجوب هوامش بلاد درعة بالقيام بعمليات غزو واسعة للواحات، خاصة أن المنطقة باتت تعاني من الفراغ السلطوي بعد وفاة مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727.

كانت وفاة السلطان مولاي إسماعيل إيذاناً بدخول واحات درعة مرحلة حرجية من تاريخها ما فتئت تلقي بظلالها القائمة على سكان الوادي لمدة تزيد على قرن ونصف من الزمن، ذلك أن فترة وفاة مولاي إسماعيل، قد تزامت مع انطلاق قبائل أيت عطا في عمليات غزو واسعة للواحات الممتدة جنوب جبال الأطلس، ورغم الحركات العسكرية التي كان سلاطين الدولة العلوية يرسلونها إلى درعة لردع قبائل أيت عطا، فإن هذه القبائل لا تكاد تنصاع لأوامر الدولة حتى تشور من جديد، وهكذا لم تمض على وفاة مولاي إسماعيل إلا ثلاث سنوات حتى وجه السلطان مولاي عبد الله حملة عسكرية بقيادة موسى الجراري إلى وادي درعة سنة 1142 / 1730، لمعاينة قبائل أيت عطا التي كانت تهاجم على المستقرين وتقطع الطريق على القوافل التجارية، إلا أن الحملة باءت بالفشل الذريع وقتل عدد من رجالها واضطر الناجون للعودة إلى الشمال دون تحقيق أهداف الحملة، الأمر الذي جعل مولاي عبد الله يعاقب عدداً من المسؤولين العسكريين عن الحملة (Districts et tribus, 66).

وفي خضم الصراع على السلطة بين المتطلعين للسلطنة من أبناء مولاي إسماعيل ما بين 1142 و 1170 / 1730، تركت بلاد درعة لمصيرها وظلت تعاني من الفراغ السلطوي. ويستفاد من بعض إشارات محمد المكي بن موسى الناصري، الذي عايش أحوال وادي درعة إبان هذه الفترة، أن واحات درعة كانت تعيش حالة من الاضطرابات الاجتماعية حيث كانت القبائل من أيت عطا والروحة وأولاد

يحيى تتغالب على الأراضي الرعوية ومصادر المياه، وتستولى على قصور المستقرين من دراوة وغيرهم، ومن العواقب الوخيمة لهذا الوضع السياسي والاجتماعي المضطرب تراجع خطير في الإنتاج، فانتشر الجوع بين السكان وتخربت العمارة "وبلغ السعر مبلغاً عظيماً، فالمد من التمر بخمسة مثاقيل، والمد من القمح بأربعة وعشرين مثقالاً، والمد من الشعير باثني عشر مثقالاً... وكثرت الأموات في الطرقات والله غالب على أمره" (طليعة الدعة، 18) وتؤكد لنا الوثائق المحلية كبطائق المداينة ورسوم الأملاك العقارية هذه الحقيقة حيث كان الناس بدرعة يبيعون ممتلكاتهم بحفنا قليلة من الشعير أو التمر للتغلب على ظروف المجاعة (وثائق محلية).

وفي سنة 1172 / 1758 وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في إطار إعادة هبة الدولة بمناطق الأطراف إلى وادي درعة القائد أحمد التينغراسي على رأس حركة عسكرية لردع قبائل أيت عطا وإرغامها على مغادرة القصور التي احتلتها بالقوة إلا أن الحركة كسابقاتها لم تحقق أهدافها المرسومة لها فعاد التينغراسي أدراجه إلى الشمال بعد ما ترك قبائل أيت عطا وغيرها تعيش فساداً في الوادي.

ويظهر أن سكان القصور ملوا من هذا الفراغ السلطوي لذلك نرى وفداً من أهل درعة يتوجه إلى العاصمة حيث طلب من السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يبعث معهم من يتولى أمرهم ويقوم بأمر المخزن فوجه معهم سنة 1183 / 1770 الباشا سعيد بن العياشي، فنزل بقصبة المخزن بأغلان بواحة ترناتة، ودشن عمله باعتقال رؤوس الفتنة مثل محمد الحيوني الكراوي وعلي الأكتاوي. إلا أن زوجة محمد الحيوني ذبحت على قبائل أيت عطا والروحة وأولاد يحيى، فقامت هذه القبائل بمحاصرة قصبة أغلان، ولم يستطع سعيد بن العياشي التخلص من الحصار إلا بتدخل شيخ زاوية تامكروت في وقته يوسف الناصري فرجع إلى عاصمة الدولة (الضعيف، 92).

ثم غابت عنا أخبار بلاد درعة لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن تمكنت خلالها قبائل أيت عطا من التحكم بقوة في الواحات الجنوبية (المحاميد، أكتاوة، فزواطة) وفي سنة 1216 / 1801 وجه السلطان مولاي سليمان كاتبه أبا العباس التينغراسي إلى وادي درعة فأخرج قبائل أيت عطا والروحة وأولاد يحيى من القصور التي اغتصبوها ومهد تلك النواحي حتى صار ما بين درعة وسوس والفايحة مجالاً للتجارة وعمراً آمناً لأبناء السبيل (استقصاء، 8 : 108) وبعث التينغراسي إلى السلطان ثلاثين قنطاراً من المال وست عشرة من الإماء وأربعة عبيد وحملين من التمر ومثلهما من الحناء.

وفي إطار تأكيد هبة الدولة بوادي درعة عين السلطان مولاي سليمان سنة 1218 / 1803 ابنه مولاي محمد عاملاً

في حين ثبت الشيوخ التقليديين في مراكزهم تحت نظر

بالرغم من أن أسرة الأغلوي تطلعت إلى حكم منطقة الأودية (وادي دادس، وادي تودغة، وادي درعة) منذ أواسط القرن الثالث عشر (19 م) فإن حلم هذه العائلة لم يتحقق إلا في السنوات الأخيرة من حكم السلطان الحسن الأول، فقد كان السلطان عائداً من إحدى رحلاته من تافيلالت إلى مراكش سنة 1311 / 1893، فأدركه الثلج



بثنية تيشكا بالأطلس الكبير فهب قائد تلوات إبانند المدني الأكلوي لإسعاد المحلة السلطانية، ويذكر صاحب الإعلام أن المدني الأكلوي "أظهر على القيام بالمحلة ما لم يكن يترقب منه.. فحصلت له بذلك التفاتة من جانب السلطان، ومن هناك طنت حصاته وطار له طائر الاشتهار (الإعلام، 7: 236) ويتضح من هذه الإشارة أن المدني الأكلوي عرف كيف يستغل هذه الفرصة لصالح آل الأكلوي، فقد نجح في اقناع السلطان بالالتحاق بقصبة تلوات حيث وفر له ولحاشيته كل لوازم الراحة والضيافة، ولم يغادر السلطان قصبة تلوات حتى سلم للمدني الأكلوي ظهير تعيينه خليفة للسلطان على الإيالات الجنوبية (Kitab A'vane Al Maghrib) وهذا يعني إطلاق أيدي آل الأكلوي بمناطق الواحات.

قوبل تعيين المدني الأكلوي خليفة للسلطان على الجنوب بمعارضة قوية بوادي درعة، فقد قام القائد عبد الرحمان التامونگالي بإحياء التحالفات التقليدية بين أهل مزگيطه وقبائل إمغران وأيت عطا في محاولة للتصدي لنفوذ المدني الأكلوي بالوادي. وقد تجنب المدني الأكلوي المواجهة المباشرة مع قبائل هذا الحلف وفضل الاعتماد على سياسة فرق تسد لإضعاف موقف عبد الرحمان التامونگالي وحرمانه من أي سند محلي، فقرب إليه شيوخ المزوارين بواحة تينزولين، وربط اتصالات سرية مع القائد محمد بن العربي (الجد) شيخ قبيلة أولاد يحيى، ثم عمل على تأجيج نوازع العداوة التقليدية بين قبائل أهل مزگيطه وأولاد يحيى، ولم يمض وقت طويل حتى وجد القائد عبد الرحمان التامونگالي نفسه وحيداً في مواجهة آل الأكلوي، فقرر مراجعة موقفه قبل فوات الأوان إلا أن المنية عاجلته سنة 1322 / 1904، وقد عمل خلفه القائد محمد التامونگالي على فتح صفحة جديدة مع المدني الأكلوي، فأرسل كتيبة من أهل مزگيطه لتنضم إلى قوات المدني الأكلوي لمناصرة مولاي عبد الحفيظ في مواجهته مع أخيه مولاي عبد العزيز.

وفي سنة 1327 / 1909 استغل المدني الأكلوي منصبه كصدر أعظم في السلطنة الحفيظية، فعين ربيبه وابن أخيه، القائد حمّو الأكلوي خليفة على الجنوب كله من تلوات إلى محاميد العزلان.

وبالرغم من السطوة التي كان يتمتع بها آل الأكلوي، فإن القائد حمّو لم يجرؤ على الدخول بقواته في مناطق الواحات تحاشياً لمواجهة مباشرة مع قبائل أيت عطا وغيرها من القبائل الصحراوية المتمرسه بالحروب الخاطفة، وكانت هذه القبائل ترفض الانصياع لأوامر آل الأكلوي، لتشدّدهم في استحلاب الأموال، وتعارض نفوذهم إلى حد الكراهة والتحالف مع الشيطان ضدهم.

فوجئت فرنسا بعد توقيع معاهدة الحماية بالمغرب بالإعلان عن الحرب العالمية الأولى سنة 1333 / 1914،

وكانت سياسة البوطي المقيم العام الفرنسي إبانه بالمغرب، الحفاظ على موقع فرنسا بالبلاد اعتماداً على القواد الموالين وعلى رأس هؤلاء التهامي الأكلوي، باشا مراكش، الذي أصبح سيد الجنوب المغربي دون منازع، خاصة أن فرنسا فتحت أمامه مخازن الأسلحة بمراكش ووضعت رهن إشارته عدة قطع مدفعية وبعض الضباط، لضمان التفوق الميداني على القبائل بالجنوب بعد ظهور الحسين التوزونيني بناحية تافيلالت وبدأت حركته تهدد نفوذ الأكلوي بمناطق دادس وتودغة ودرعة (المعسول، 16: 262). وبفضل هذا الدعم العسكري نظم الباشا التهامي الأكلوي وابن أخيه القائد حمّو حملة عسكرية إلى وادي درعة سنة 1337 / 1919 فأنّاه بجيشه على قصبة تامونگالت بواحة مزگيطه، فهب لاستقباله أعيان بعض القبائل من فزواطة وترناتة وتينزولين وتخلّف عن لقائه أعيان قبائل أكتاوة ومحاميد العزلان. وبالرغم من أن الحملة لم تواجه بأية مقاومة، فإن التهامي الأكلوي قنع في هذه الحملة بتعيين عدد من الشيوخ الموالين له مثل عبد الرحمان المزوارى تينزولين، والقائد الحيواي على قبيلة أولاد يحيى، وعيّن الحاج محمد العسري خليفة بواحة ترناتة. وقد تشدد الحاج العسري في استحلاب أموال القبائل وألزم السكان بدفع "ألف مد من الشعير، وستمائة مد من القمح ومائة كبش، وستة قناطر من السكر، وقنطار من الأتاي وقنطار من الشمع وستمائة مد من التمر، وثلاثين صاعاً من السمن وألف غرارة من التبن" (تاريخ بن لحبيب، 23)، وقد أدت هذه المطالب المجحفة إلى ثورة القبائل وبدأت الاستعدادات لمواجهة مسلحة محتملة مع آل الأكلوي.

حاول القائد حمّو باعتباره الحاكم العام للجنوب، تدارك هذا الموقف الذي خلفته سياسة العسري، فعزله وعين مكانه أحمد بن لحسن أمزدو خليفة بترناتة، فاعتقل الحاج محمد العسري، وأركبه على بغل أعرج مبالغة في التشنيع ورغبة في تهدئة الخواطر ولو إلى حين. إلا أن أمزدو ما كاد يستقر به المقام حتى ألزم أهل ترناتة بدفع حوالي سبعة عشر ألف ريال حسنية على الفور (تاريخ ابن لحبيب، 24). هذه السياسة التفتيرية التي سلكها آل الأكلوي وخلفاؤهم بالجنوب، دفعت بقبائل وادي درعة أن تعلن عصيانها العام ضد المخزن وآل الأكلوي، فنشطت أسواق الأسلحة وبدأ الناس يعدون العدة لمواجهة قد تطول مع آل الأكلوي ويذكر الطيب بن لحبيب أن أهل توغمار (بواحة تينزولين) طردوا خليفة الأكلوي، وأن قبائل ترناتة خرجوا عن طاعة الشيوخ الموالين للأكلوي، وجعلوا دُعائر ثقيلة على كل من يصل إلى دار خليفة الأكلوي أو ضيف مخزني (تاريخ ابن لحبيب، 20). انشغل الفرنسيون وَاَلْأكلوي لهذا التطور الخطير الذي عرفته الحركة الاحتجاجية للقبائل، لذلك قرر الأكلوي تنظيم حملة جديدة إلى وادي درعة، وزودته فرنس بمائتي ألف ريال

وستة مدافع ميدانية وعشرة صنادق من الذخائر الحربية (Le Glaoui, 117). وفي يوم 22 محرم عام 1343 / 23 أكتوبر 1924 وصلت حركة القائد حمو الأكلوي إلى مشارف قصبة تامنوگالت بواحة مزكيطة، وأمام الضغط النفسي والمعنوي الذي كانت تمارسه الحركة على سكان قصر تامنوگالت خرجت السيدة عائشة بنت الشيخ أحمد الورزازي، زوجة القائد علي التمنوگالي إلى فسطاط القائد حمو الأكلوي الذي هو ابن اختها "وطرحت له صبيا كان عندها في حجره وتشفعت به (تاريخ بن حبيب، 45). وبالرغم من أن القائد حمو قد قبل شفاعته خالته وأعرض عن تهديم قصر تامنوگالت، فقد ألزم سكان القصر بتوفير المؤونة لرجال الحركة وقد حددها الطبيب بن حبيب كما يلي : "كل يوم ألف مد من الشعير، أربعمئة شليف من التبن لعلف الخيل والجمال، وأربعمئة كبش، وأربعمئة مائدة من الخبز ومائة صاع من السمن، ومائة صاع من الزيت ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم (ابن حبيب، 46). ولم يكتف القائد حمو بما فرض على السكان كل يوم بل أطلق أيدي رجال الحركة في البلد فنهبوا المزروعات وتحولوا إلى لصوص حقيقيين في الطرقات وكل من غفلوه أكلوا ثيابه على حد تعبير الفقيه الطبيب بن حبيب. وقبل أن تتحرك الحركة جنوبا ألزم القائد حمو أهل مزكيطة بدفع مائة ألف ريال ذعيرة لعصيانهم، ثم نزع خيلهم وبغالهم وكل ما يملكون.

وبمنطقة آيت سدرات (المدخل الجنوبي لمزكيطة) اعتقل القائد حمو بعض أعيان آيت سدرات وهدم دورهم ثم توجه جنوبا إلى تينزولين فأمر باعتقال حوالي سبعين من الروحة خاصة من قصور أخلوف ويوناتة والدويرات، وبعث بهم مكبلين في الأصفاة إلى زنازن تلوات واغبالو بالأطلس الكبير. ويذكر الفقيه الطبيب بن حبيب الذي كان حاضرا ضمن حاشية القائد يحيواي إلى جانب حمو الأكلوي أن هذا الأخير فرق المخازنية على ديار قبائل الروحة فنهبوا ما بها من الغلة والأثاث وحملوا كل ذلك إلى فسطاط القائد حمو، ثم أطلق أيدي رجال الحركة في بلادهم واستولوا على ما فيها من الخثري والنفيس (ابن حبيب، 48) ولم يتركوا لهم إلا جدراناً تبكي بأغزر دمة (رحلة الناصري، 16).

وبعدما جمع القائد حمو كل ما وصلت إليه يد رجاله من الغنائم والأسلاب شكل عدة فرق من المخازنية المقربين، ومع كل فرقة لوائح محددة بمستحققات كل قبيلة من الذعائر والغرامات، وعين أحمد بن لحسن أمزود منسقا للفرق ومشرفا على تجميع الأموال وحملها إلى قصبة تلوات. فكان نصيب قبائل ترناتة ثمانية وعشرين ألف ريال حسني، ومثل ذلك لكل من قبائل واحتى أكتاوة وفزواطة، وعشرين ألف ريال فقط لواحة محاميد الغزلان، وإذا كانت قبائل ترناتة قد عجلت بدفع الأموال تحت طائلة التهديد بإرسال رجال الحركة على قصورها. فإن قبائل فزواطة انقسمت على نفسها، فمنها من أدى ومنها من لم يؤد. أما

قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان فقد رفضت رفضا تاما أن تؤدي ولو فلسا واحداً وهددت المخازنية بعد اعتقالهم بالقتل إن هم عادوا للمنطقة بعد إطلاق سراحهم. انزعج القائد حمو لعصيان قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان واكتفى بالتهديد والوعيد وأنذرهم بالعقاب الشديد. ودون سابق إعلان قرر القائد حمو مغادرة واحة تينزولين على رأس حركته عائداً إلى تلوات، وإذا كان الفقهاء المرافقون لهذه الحركة مثل الطبيب بن حبيب والمهدي الناصري قد سكتوا كلية عن الأسباب الحقيقية التي جعلت حمو الأكلوي يغادر فجأة واحة تينزولين، فإن الروايات الشفوية التي التقطناها بدرعة تفيد وبنوع من التواتر، أن القائد حمو أصيب بمرض خطير أرغمه على التعجيل بالعودة إلى تلوات.

وتعتبر حركة القائد حمو إلى درعة آخر حركة قادها آل الأكلوي إلى الوادي قبيل التدخل الفرنسي. فهل كانت الحركة في الواقع عملية تمهيد لوصول القوات الفرنسية ؟ وهل كانت سلطة الحماية تريد جس نبض القبائل قبل التدخل المباشر ؟

على كل فإن أسرة الأكلوي لم تتمكن رغم ما توفر لها من عتاد حربي ودعم مادي ومعنوي من سلطة الحماية من توفير ظروف الأمن والاستقرار، إذ لم يكد القائد حمو يغادر الوادي، حتى تفجرت الصراعات القبلية بشكل خطير وعانت القبائل التي تعاونت مع آل الأكلوي الأمرين سواء داخل وادي درعة أو في المناطق المجاورة، حيث كانت القبائل الشائرة تنصيد كل من يمت بصلصة لآل الأكلوي وأنصارهم في الطرقات ما بين داس ودرعة، وما بين هذا الأخير وورزازات، ولم ينته هذا الوضع إلا مع وصول طلائع الاحتلال الفرنسي إلى وادي درعة حوالي 1929 - 1930.

م. المكي بن موسى الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط ؛ طليعة الدعة، مخطوط ؛ الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية، مخطوط، خ. ع رقم د، 1864 ؛ المشرفي، الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخطوط، خ. ع رقم د، 1463 ؛ م. الضعيف الرباطي، تاريخ، مخطوط، خ. ع د، 660 ؛ الطبيب بن حبيب المولوي، تاريخ درعة، مخطوط ؛ دار القائد يحيواي ؛ الفزاري، كتاب جغرافية الفزازي، مخطوط ؛ قصبة تامنوگالت ؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6 - 7، بيروت، 1981 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 ؛ ابن القطان، نظم الجمان، تطوان، د. ت. ؛ البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، جزء من مسالك البكري، 1957 ؛ الزباني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى، نج. ع. الفيلالي، الرباط، 1967 ؛ البديق الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، الجزائر، 1974 ؛ إيف لاغوست، العلامة بن خلدون، ترجمة، ميشل سلمان، بيروت، 1974 ؛ ش. الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراء (جزء من نزهة المشتاق، الجزائر، 1957) ؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959 ؛ الناصري، الاستقصا، ج. 4، 5، 6، 7، 8، الدار البيضاء، 1954 ؛

ميناءين بين نهري نويوس وماسة ؛ وهما بگزاس Bagzas شمالا ويزريطاس Iarzhithas جنوبا. وميناءين جنوب نهر درعة ؛ وهما الميناء الكبير، وميناء بابا (Ptolemée, Baba Géographie, IV, 6).

وفي القرن الخامس الميلادي ؛ حوالي 417 م ؛ يتطرق بول أوروذ بدوره لنهري درعة Dara ونول (P. Orose, Nuhul Contre les paiens, I, 2, 29 - 31).

بالإضافة إلى هاته الأسماء احتفظت الكتابات القديمة ببعض أسماء سكان المنطقة ؛ إذ يشير بوليب عند كلامه عن المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الكبير ؛ وبالضبط بعد روساير، إلى الماسيين Masates، والإثيوبيين البيروسيين Ethiopiens Perorses، والفاروسيين Pharusiens، والجيتوليين الدرعيين Gétules Dariens، والإثيوبيين الدرعيين. ونفس هاته الأسماء، مع اختلافات طفيفة، نجدها لدى أغلب الكتاب الذين عاشوا بعد بوليب، ومنهم الجغرافي بطوليمي الذي يوطن الدرعيين بمصب النهر الذي يحمل نفس الاسم، ويشير لهم باعتبارهم أكبر شعوب ليبيا الداخلية (Ptolemée, IV, 6, 6).

أما سترابون Strabon ويومونيوس ميلا Pomponius Mela فيضيفان إلى الشعوب سابقة الذكر مجموعة النكريتين Nigrètes، وهم جيران الإثيوبيين ويؤكد سترابون أن بعضهم كان يعيش في المغارات Troglodytes (Strabon, Géographie, XVII, 3, 7).

وما يشير الانتباه بخصوص أسماء شعوب منطقة درعة هو ذاك التمييز بين الدرعيين الإثيوبيين والدرعيين الجيتوليين. وهو تمييز مرتبط باختلاف نمط عيش المجموعتين الدرعتين ؛ فهو تمييز بين المستقر والمترحل.

فبالنسبة للإثيوبيين فهم ليسوا بزنج ولا بسود، فالكلمة، وأصلها إغريقي، تعني الوجوه التي لفتحتها الشمس، أي ذوي البشرة السمراء. بل أكثر من هذا فبطوليمي يتكلم في جغرافيته عن إثيوبيين بيض (Ptolemée, IV, 6, 6). أضف إلى ما سبق أن الصورة التي يقدمها نص بسودوسكيلاكس Pseudo-Scylax - الذي يرجع إلى القرن الرابع ق. م. - عن إثيوبي جنوب المغرب وأنشطتهم، لا تمت بصلة إلى الإنسان الأسود البشرة أو الزنجي، بحيث يظهرون فيه بشعور طويلة، وبركبون الخيول، ويغرسون الكرمة (P. Scylax, 112). فعبارة الإثيوبيين بالنسبة لمنطقة درعة تتعلق أساسا بنمط عيش مرتبط بالزراعة الصحراويين، الذين كانوا يتعاطون الزراعة، ويهتمون بتربية الخيول، ويستعملون العربات. ويتقنون استخدام النبال (Strabon, XVII, 3, 5)، وخصوصا سكان الواحات (P. Troussset, L'image de nomade..., p. 98)؛ وهاته الجماعة هي التي كانت تتاجر مع الفنيقيين حسب نص بسودوسكيلاكس المذكور أعلاه.

أما الجيتوليون فهم شديدو الصلة بمجال شاسع شبه صحراوي يمتد من تونس إلى المغرب (S. Gsell, H.A.A.N., t. V, pp. 109 - 110)، يميزهم الترحال والعيش في السباسب (P. Troussset, L'image..., p. 98). وهكذا

مولاي إسماعيل، إلى ولدي المامون، الرباط، 1967 ؛ م. المختار السوسي، إيليج قديماً وحديثاً، الرباط، 1966 ؛ المعسول، ج 16، الدار البيضاء، 1961 ؛ مارمول كارخال، إفريقيا، ج 3، الرباط، 1984 ؛ ج. الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، الرباط، 1980 ؛ م. الزرهوني، رحلة الوافد، 1992 ؛ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، الدار البيضاء، 1976 ؛ ع. الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج 1، الرباط، 1968 ؛ ع. ابن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج 4، الرباط، 1977 ؛ شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر. محمد مزالي والشير بن سلامة، تونس، 1952 ؛ مجهول، الاستبصار، الدار البيضاء، 1984 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، بيروت، 1955 ؛ معلمة المغرب، المجلد السابع ؛ م. المتوني، حضارة وادي درعة من خلال الوثائق والآثار، دعوة الحق، ع. 1973.

E. et M. Gouvion, Kitab Ayane El Maghreb, Paris, 1939 ؛ D.J. Meunié, Le Maroc Saharien des origines au 16s, Paris, 1982 ؛ G. Camps, Libyca, Tome VIII, Paris, 1960 ؛ Recherches sur les origines des cultivateurs noirs du Sahara, R.O.M.M., T. 3, 1970 ؛ J. Leprévost, El Glaoui, Paris, 1968 ؛ Spillmann, Districts et tribus du la haute vallée du Draa, A.M., V. 9, Paris, 1931 ؛ H. Terrasse, Histoire du Maroc, Casablanca, 1948 ؛ F. de la Chapelle, Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, Hesp., XI, 1930 ؛ S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T. 1, Paris, 1921.

أحمد البوزيدي

* * * وفي (التاريخ القديم)، تدخل منطقة درعة ضمن ما يسميه الكتاب الإغريق والرومان بليبيا الداخلية ؛ وهو المجال الممتد جنوب الأطلس الكبير، ونظرا لبعد هاته المنطقة عن متناول هؤلاء الكتاب، ولعدم تمكنهم من زيارتها، اكتفوا بما كان يصلهم عنها شفويا من معلومات، ولهذا السبب لا نجد عندهم إلا إشارات مقتضبة وقليلة، ولكنها مفيدة ؛ إذ تمكننا من معرفة أسماء أنهار المنطقة وموانئها الطبيعية، وأسماء ساكنتها، وتعطينا كذلك فكرة عن نمط عيش هاته الساكنة، وعن الحيوانات الموجودة بها.

فانطلاقا من القرن الثاني ق. م. نجد لدى المؤرخ الإغريقي بوليب Polybe إشارة لنهري ماسة Masasat ودرعة Darat، احتفظ بها بلين الشيخ (Plinie l'Ancien, Histoire naturelle, V, 5, 10).

وخلال حكم الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس، وضع الجغرافي أغريبا Agrippa خريطة لـ"المغرب" سيعدها في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي الجغرافي المدعو بحار صور (P. Schmitt, La plus ancienne carte..., pp. 80 - 81). وهاته الخريطة المعدلة هي التي اعتمدها الجغرافي كلود بطوليمي Ptolemée، الذي وصلت معه المعارف الجغرافية حول منطقة درعة قديما أوجها ؛ بحيث يشير في الفقرة المخصصة لليبيا الداخلية إلى أسماء سبعة أودية ما بين الأطلس الكبير ورأس جوبي، ومن بينها نهر نويوس Nouios، وهو وادي نول، ونهر درعة. كما يشير إلى أسماء أربعة موانئ طبيعية بالمنطقة ؛

الدرعي، أحمد بن محمد الكاملي الضير، ينحدر من أسرة تنتسب إلى جعفر بن أبي طالب (العقود الجوهري، 77)، وقد اشتهرت هذه الأسرة التي استوطنت منطقة أفلا ندري (أعلا درعة) شمال واحة مزكيطة بالعلم والصلاح وممارسة القضاء.

ولد أحمد الضير في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) ودرج في أول مدارج العلم بين يدي بني قومه بمزكيطة، فحفظ القرآن الكريم برعاية والده محمد بن محمد الكاملي، وأخذ مبادئ اللغة العربية وأوليات المتون الفقهية على علماء وفقهاء مزكيطة. وقد كشف أحمد الضير عن ذكاء وقاد وحافضة قوية ونجاجة لا تطل بين الأقران وهو لا يزال غضا طريا فأرسله والده إلى زاوية تامغروت بفزواطة (أعلام درعة، 80) فأخذ عن عدد من علماء هذه الزاوية أمثال محمد بن علي السملالي، وأحمد بن طلحة الناصري وقريبه محمد بن علي الناصري.

ثم رحل أحمد الضير لإتمام تعليمه إلى مراكش، حيث أخذ عن الفقيه محمد بن المدني السرخيني، والفقيه محمد بن أحمد أگنسوس (الإعلام، 2: 429). ويظهر أن شهرة أحمد الضير كشاعر مقلد وأديب بارع، وصلت إلى مسامع خليفة السلطان بمراكش، الأمير مولاي علي بن عبد الرحمان، الذي كانت تربطه علاقات خاصة بأهل درعة (وثائق آل ابن حاجي)، فضمه إلى مجالسه العلمية ومساهماته الليلية (الإعلام، 9: 249).

قضى أحمد الضير مدة من الزمن رحل بعدها إلى مدينة فاس للأخذ عن علماء القرويين لكن دون تحديد الفترة الزمنية التي قضاها بالعاصمة العلمية.

وبعد هذه الرحلة العلمية إلى مراكش وفاس عاد أحمد الضير إلى مسقط رأسه بمزكيطة، إلا أن الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة آنذاك بوادي درعة، وفقر الهمم في طلب العلم وتقدير أهله، دفعته إلى مغادرة وادي درعة والتوجه إلى سوس، وانتهت وجهته إلى أگلميم، وكانت هذه القرية تعتبر بوابة الصحراء وملتقى القوافل التجارية الصحراوية المختصة في جلب الذهب والجلود ومنسوجات بلاد السودان.

وبالرغم من أن أحمد الضير أملى أخبار سياحاته خارج المغرب، فإن أخبار هذه الرحلات قد ضاعت، وربما ما يزال بعضها في رحم الزمان بدرعة أو مراكش. فقد انطلقت سياحته من أگلميم نحو بلاد السودان، أو ما يعرف اليوم بأفريقيا الغربية، ويُرجح أن يكون وقت هذه الرحلة خلال العشر الأواخر من القرن الثالث عشر (19 م).

كان أحمد الضير يُستقبل بحفاوة من لدن علماء

فالجيتوليون الدرعيون هم الرحل الذين كانوا يعيشون بهاته المنطقة، ويرجَح أنهم كانوا صلة وصل بين منطقة درعة وجنوب الصحراء.

كانت توجد داخل هذا المجال كذلك مجموعة مهمة من الحيوانات التي انقرض أغلبها ؛ بحيث لم تبخل المصادر القديمة بالإشارة إلى بعضها، مثل الزرافات والأسود والفيلة... (Strabon, XVII, 3, 5).

هاته الصورة التي تقدمها لنا المصادر الأدبية تعززها التحريات الميدانية التي عرفتتها المنطقة ؛ بحيث تم رصد عدد مهم من النقوش الصخرية Gravures rupestres ؛ التي أُرخت بالآلاف الأول قبل الميلاد (R. Mauny, *Au tout...*, p. 742) ؛ بكل من قم الحصن، وجبل باتي (A. Ruhlman, *Les recherches...*, p. 52) ؛ وإيشت تمنارت (A. Jodin, *Les gravures...*, p. 78)، وأقا وطاطا، وأسيف تواندال ونجد فيها صوراً لصيادين ونبالة، ورسوما لعربات وخيول ولطائر النعام، ولليلة والأسود والظباء.

كما أكدت هاته التحريات التي أجريت في صحراء كل من موريطانيا ومالي والنيجر، أن درعة شكلت قديما منطقة عبور لا محيد عنها بين المغرب وجنوب الصحراء، وصلة وصل بين الثقافة المتوسطية والثقافة الصحراوية ؛ فقد أكد علم الآثار بما لا يدع مجالا للشك وجود طريق صحراوية قديمة استعملها الإنسان منذ أقدم العصور في تحركاته، تربط بين جنوب المغرب وحوض النيجر مروراً بموريطانيا، تابعة لقط الماء. وكانت هاته الطريق بعد وصولها إلى درعة تعرج غربا في اتجاه المحيط نحو مصب نهر درعة ونول، ونحو سوس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 5, 1928 ; A. Ruhlman, *Les recherches de préhistoire dans l'extrême sud marocain*, Pub. de Ser. d'Ant. Mar., fas. 5, 1939 ; R. Mauny, *Autour de la répartition des chars rupestres du Nord-Ouest Africain, Congrès paramarocain de préhistoire, Actes de la 2ème session*, 1952 ; A. Jodin, *Les gravures rupestres du Yagour (Haute Atlas), Analyse stylistique et thématique*, B.A.M. T. 5, 1964 ; P. Schmitt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc*, B.A.M. T. 11, 1977 - 78 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, 1982 ; P. Troussset, *L'image de nomade saharien dans l'historiographie antique*, Bul. de l'équipe de l'écologie et anthropologie des sociétés pastorales, C.N.R.S., n° 10, 1982.

عبد العزيز أكرير

الدرعي، أحمد بن حمّو، قائد شارك في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 16 ذي الحجة 1983 / 17 مارس 1576 بجانب السلطان المتوكل، ويقول عنه كل من الإفرائي والناصري إنه كان حاجبا للسلطان المذكور.

م. الإفرائي، نزهة، ط. 2، الرباط، د. ت. ص. 59 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 5، ص. 58.

إفريقيا الغربية، وكانت مجالسه العلمية معهم مجالس إفادة واستفادة، وقد منحه الله قبولاً في القلوب وإقبالا للأخذ عنه، وقد طارت شهرته بهذه الأصقاع التي كانت آنذاك تضطرم بالحركة التجديدية التي قادها الحاج عمر الفوتي، وقد احتفى الحاج عمر وأبناؤه بأحمد الضرير، ونفحه ملوك بلاد السودان بأموال كثيرة سمحت له بالتوجه إلى المشرق، وبعد ما أدى مناسك الحج تجول في بلدان الشرق العربي فكان يقيم في كل بلدة أياماً ثم يرحل عنها (الإعلام، 2: 430). ثم توجه إلى الهند والتقى بالشيخ داود الكلكتي، شيخ الطريقة التجانية بالهند وجد على يده عهد الطريقة التجانية. ثم رجع إلى المغرب فاستقر بين ظهراي قبيلة تجاكنت بتيندوف وقضى هناك حوالي عشر سنوات من سنة 1299 إلى سنة 1309، ولم يتمكن من تحديد المكان الذي رحل إليه أو استقر به بعد رحيله من تيندوف سنة 1309 وبعدها يظهر بمراكش سنة 1313 حيث وافته المنية سنة 1315 ودفن بزاوية شرقاً بحومة بنّاهض.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 2 و 9 : م. ابن لحبيب التمنوگالي، العقود الجوهريّة في الأنبا، الدرعية، مخطوط : المهدي الصالح، أعلام درعة : وثائق محلية في حوزة الكاتب.

الدرعي، الحسن بن محمد بن مسعود الهراجي الشهير بين أهل فاس بالدرّاي. علامة جليل وصوفي كبير موصوف بالصلاح والولاية، ينحدر من قبيلة الهراج من ذوي عبادة الله المعقلية، ولد في مكان غير معروف بدرعة سنة 943 هجرية (الدرر المرصعة، 117)، أخذ مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه، ثم تجول بمختلف المدارس العلمية التي كانت تزخر بها واحات درعة خلال القرن العاشر (16 م)، فتخرج عالماً متبحراً لا يجارى في العقائد وأصول الفقه متضلعا في علوم العربية، وله شغوف على الأقران في المنطق والقراءات مع كمال التحقيق والفهم والتدقيق (الزاوية الدلائية، 94). تصدر الحسن الدرعي بعد تخرجه لإفادة المتعلمين فنفع الله به كل من جلس بين يديه لنيته الصالحة ورغبته الصادقة في نشر العلم الشريف.

ولأسباب غير معروفة غادر وادي درعة حيث حظ الرحال بالزاوية الدلائية وهي ما تزال في بداية أمرها، ولا مبالغة إذا قلنا بأنه من المؤسسين الأوائل للحركة العلمية بهذه الزاوية، خاصة أن أبا بكر الدلائي قد اعتنى به عناية خاصة وقدره حق قدره، كما كان يلاحظه بعين التجلّة والاحترام تقديراً لعلمه ومكانته الدينية (الحركة الفكرية، 2 : 503). ويظهر أن الفقيه الحسن الدرعي وجد الاستقرار النفسي والروحي بين جدران الزاوية الدلائية، فشرع عن ساعد الجد لإفادة رواد حلقاته التدريسية من أبناء الشيخ أبي بكر وطلاب العلم الآخرين، فكان يلقي دروساً عالية في العقائد وأصول الفقه وعلوم العربية والمنطق والبيان والقراءات، وكان من أبرز من تخرج عليه من أبناء الزاوية محمد بن أبي بكر الدلائي (الزاوية الدلائية، 76).

رحل الفقيه الحسن الدرعي من الزاوية الدلائية في أواخر أيامه إلى مدينة فاس، ويذكر صاحب الدرر المرصعة أنه كان يحضر مجالس العلم بجامع القرويين حيث أخذ عن أحمد المنجور وأبي الحسن بن أبيهلول ورضوان الجنوي وغيرهم (الدرر المرصعة، 118). وتصدر بعد ذلك للتدريس بجامع القرويين فأخذ عنه الجم الغفير من العلماء من أمثال أبي مهدي عيسى السجستاني ومحمد بن يوسف التلملي، وأبي الحسن البطيوي وأحمد بن محمد بن جلال وعبد الوهاب الحميدي (نشر الثاني، 1 : 64).

أخذ الحسن الدرعي طريق القوم عن أبي المحاسن الفاسي، وتقديراً لصلاحه وزهده وعلمه، اقترح عليه الشيخ الفاسي عقد الأخوة في الله، فتعاقدوا على ذلك، وقد كان الشيخ كثيراً ما يياسط الفقيه الدرعي ويقول له مرحباً بشريكي (مرآة المحاسن، 12). ومن الآثار العلمية للفقيه الدرعي شرح حسن على صغرى السنوسي وشرح على متن لامية الإمام المجراد السلوي في قواعد الجمل (الحركة، 2 : 503).

ظل الحسن الدرعي مواظباً على التدريس بفاس دؤوباً على إفادة المتعلمين، لا يرى إلا قارئاً أو مجوداً للقرآن الكريم إلى أن وافاه الأجل بالطاعون في أواسط شعبان سنة 1006/ أواسط مارس 1598، ودفن بباب فتوح وعلى قبره قبة ما تزال قائمة إلى اليوم.

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : م. ابن الطيب القادري، نشر الثاني، ج. 1 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9 : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية بفاس : م. حجي، الحركة الفكرية، ج. 2 : الزاوية الدلائية، ط. 1).

أحمد البوزيدي

الدرعي، علي بن إبراهيم، سماه ابن المؤقت - خطأ - بأبي علي إبراهيم الدرعي، وسماه العباس بن إبراهيم تبعاً لذلك - بالحسن بن علي بن إبراهيم الدرعي، والذي في شاهد قبره المائل إلى اليوم في قاعة الصلاة التي أحدثت مؤخراً في صحن ضريح سيدي ابن سليمان الجزولي، وهي التي اعتمدها كل من ابن المؤقت والعباس بن إبراهيم فيما كتبه عن المترجم له، "أبا الحسن سيدي علي بن إبراهيم". أخذ عن أبي عمر الفلالي المعروف بالعناية (السعادة الأبدية، 2 : 38 : الإعلام، 3 : 148). حلي في شهادة قبره بما يلي : "الولي الصالح، الزاهد الورع". ثم جاء فيها : والسيد المذكور مشغول الهمة لملازمته الصلاة على النبي ﷺ مدة ثلاث وسبعين سنة، وقد رأى رسول الله ﷺ غير ما مرة، وأكثر ما يجري على لسانه (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون).

ويقصد الزوار إلى اليوم قبر المترجم له للتبرك به، وقد أحدثت في رخامة قبره ثلاثة ثقب أطمست بعض الكلمات المنقوشة عليها.

قال ابن المؤقت : "توفي رحمه الله يوم عرفة سنة تسع وسبعين وتسعمائة ودفن بصحن ضريح الإمام الجزولي بإزاء قبة الإمام اليقوري، وقبره مزدج في حائطه رخامة وفاته" ونقل عنه هذا الكلام العباس بن إبراهيم (السعادة الأبدية، 2 : 39 ؛ الإعلام، 3 : 148). غير أن الذي في شاهدة قبر المترجم له هو : "توفي في ثلاثة وسبعين من الهجرة بعد تسعمائة في شهر الله ذي قعدة يوم الخميس ووري في قبره ليلة الجمعة".

شاهدة قبر المترجم له ؛ م. ابن المؤقت، السعادة الأبدية، ج. 2، طبعة فاس، 1335 هـ ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 3، الرباط، 1980.

حسن حافظي علوي

الدرعي، علي بن بار بن الحسين، مقاوم بوادي درعة، انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة الثامنة بمركز تافودارت تحت قيادة فاضل الهاشمي وشارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ووادي الذهب إلى أن استشهد بمعركة واد الصفا، بتاريخ 11 مارس 1958.

المنذوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الدرعي، علي بن عبد الرحمان الملقب بالدرراوي. ولد في ثاني عشر جمادى الثانية عام 1609 / 1018 بإحدى قرى خمس مزغيطة من وادي درعة (مباحث الأنوار، 187). نقل صاحب الإعلام (9 : 208) وصفه فقال : "كان ربعة للطول، معتدل القامة، جميل الوجه، أكحل العينين، كث اللحية وافرها، يعلوها شيب، معتدل الأعضاء، عذب المنطق، لين الجانب، حسن الهيئة كريم الأخلاق...". ويصفه الولالي قائلا : "وكان - رضي الله عنه - واسع الأخلاق، حسن المعاملة، لا يعاشره أحد إلا ألفه، وكان إذا وعظ بكى...". (مباحث، 192).

نشأ علي بن عبد الرحمان وتربى في درعة حيث قرأ القرآن الكريم (دوحة البستان، 14). والتقى بشيوخها آنذاك، أمثال عبد الله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، ومحمد بن ناصر الدرعي (مباحث، 188 ؛ نشر الثاني، 2 : 290). بعد ذلك غادر درعة، وانطلق سائحا ؛ فألقى عصى التسيار أولا ببلاد سوس، حيث لقي الشيخ الزاهد محمد السوداني، فلزمه مدة وأخذ عنه ما تيسر من العلوم (الإعلام، 2 : 208 و 218).

ولما خبا خبره إلى أبي حسون السملالي استقدمه إلى إيليغ "وأسند إليه النظر في أمور خزائنه" (التقاط الدرر، 219 ؛ الإعلام، 9 : 218). وبعد مدة ارتحل مواصلا سياحته، فزار ضريح الشيخ أبي يعزى ؛ ثم انتقل إلى الزاوية الدلائية، حيث مكث فيها ما شاء الله، وانتهى به

الأمر إلى "المشارطة" عند أهل تڭرض. فلبث فيهم مدة يقرئ الطلبة ويعلم الصبيان، ويصلي بالناس. ومن أكرض انتقل إلى تانغملت حيث لقي الشيخ عبد العزيز بن موسى البوگمازي (الإعلام، 9 : 221) بعد ذلك طريق سميخه خير الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي صاحب واوڤت، فتأقت نفسه إلى زيارته والأخذ عنه، فقصدته وأخذ عنه الطريقة الجزولية، ولزمه مدة طويلة. فكان ذلك الشيخ عمدته في السلوك الصوفي. ولم يزل في خدمته حتى توفي عام 1651 / 1062 (متنوع الأسماع، 84). فتصدر بعده للتربية الصوفية بزواية واوڤت قبل الانتقال إلى تامجوت. ولعله في هذه الزاوية أخذ عنه كبير إحنصال، الشيخ أبو عثمان سعيد (الإعلام، 9 : 213)، الشيء الذي جعلنا نطرح التساؤل حول العلاقة بين تامجوت وإحنصال. وبالرغم من ذلك فإن شهرة الشيخ علي بن عبد الرحمان ظلت محدودة حتى انتقل إلى تامجوت، وأسس بها زاويته (المعلمة). "فتصدر لتربية المريدين ورفع الراية للزائرین" (النشر، 2 : 290).

وكانت طريقته الصوفية شاذلية من الطريقين المشهورين : طريق الجزولي عن أبي بكر الدلاتي ومحمد بن محمد الدادسي، عن عبد الله بن حسين صاحب تامصلوحت، ثم طريق أحمد زروق عن عبد الله بن حسين الرقي. وبذلك تكون طريقته شاذلية - جزولية - زروقية (الإعلام، 9 : 211)، "وله - رضي الله عنه - أوراد وأحزاب وأذكار... فزاوية مكناس يقرأ فيها أصحابه وظيفه الشيخ زروق، وزاوية فاس يقرأون فيها أوراد سيدي رضوان الجنوي، ومن أوراده الحزب الكبير، والمسبعات، ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار، ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأسرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين... ووظيفة الصبح، حزب الفلاح أيضا ثم المسبعات العشر ثم الحزب الكبير..." (الإعلام، 9 : 211).

يتضح من هذه الفقرة أن وظيفة الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي كانت تتضمن بعض الأوراد القادرية بالإضافة إلى الشاذلية. لذلك كله ترادفت على أبوابه الركاب من الخواضر والبوادي، "فقصدته الناس بالهدايا الجليلة والعطايا الجزيلة، فجمع من ذلك أموالا عريضة، وعبيدا وإماء وحرثا ونسلا ونساء..." (النشر، 2 : 290). كما اشتهر بكثرة إطعام الطعام (مباحث، 192) ؛ حتى كان يطعم الألف في المرة الواحدة، كما ينقل ذلك صاحب الإعلام (9 : 219، 220)، قائلا : "وقد بات عنده ليلة سبعة عشرة ألفا". بل لقد أفرد "داراً لليتامى والأرامل"، حتى انقطع بزوايته عدد كبير من حملة القرآن والعلماء، من بينهم محمد بن أحمد المغرازي، ويعقوب التواتي، وعلي الملقب بالجلب. وهؤلاء مدفونون بتامجوت (الإعلام، 9 : 214). أما تلاميذه فيعدون بالآلاف، منهم علماء كبار،

الدرعي، علي بن عمر، تتلمذ على أبي الحسن علي ابن العطار، ثم قدم إلى مراكش، وتوجه إلى مكة، فأدى الفريضة، وعاد إلى بلده بوادي درعة (التشوف، 411 : الدرر المرصعة، 216). كان عبداً صالحاً صاحب مجاهدة وأحوال، وكان يواظب على الصيام طيلة أيام الأسبوع، لا يفطر إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة (التشوف، 411 : الإعلام، 9 : 62). وكان إذا غلب عليه الحال سال دمه من أنفه لشدة وجده.

توفي بدرعة عام 608 / 1211 (التشوف، 411 : الإعلام، 9 : 62 : الدرر المرصعة، 216). قال المكي الناصري : "قلت وقبره شهير بالزاوية بقرية اغرغر من مزغيطة، وقد زرتة مرات، ويعرف الآن عند العامة بل وبعض الخاصة بسيدي لحسن" (الدرر المرصعة، 216).
ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تج. أ.د. التوفيق، الرباط، 1984 : م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9، الرباط، 1980.

حسن حافظي علوي

الدرعي، علي بن المقدم المحمودي، ينتسب إلى إحدى القبائل العربية التي كانت تستوطن الواحات الجنوبية من درعة الوسطى (العقود المجرية، 74)، ولد على الترجيع في السنوات الأولى من القرن الثالث عشر (19 م).

وبالرغم من أننا لا نتوفر على ما يفيدنا حول تكوينه العلمي فلاشك أنه حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ الفقه واللغة العربية بمسقط رأسه، وبعد ذلك رحل في طلب العلم بمختلف قصور الوادي فلازم مجالس أهل العلم بفرواطة ومزغيطة حتى تخرج مقرئاً بالعشر وفتياً مبرزاً لا يطار تحت جناحه. وعلى عادة جل علماء وادي درعة توجه علي ابن المقدم في زمن غير معروف إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وأثناء عودته جاور بالأزهر الشريف حيث أخذ عن ثلة من علماء مصر مثل الباجوري وطبقته (الإعلام، 9 : 254) وبعد عودته إلى المغرب عينه السلطان مولاي عبد الرحمان ابن هشام قاضياً على وادي درعة، فكان يمارس وظيفته أولاً بزاوية شرقاً وبوابة مزغيطة ثم بقصر تارغليل ببوابة ترناتة. ويظهر أن الكفاءة العلمية التي كان يتمتع بها علي ابن المقدم جعلت السلطان يفوض له أمر تعيين نواب عنه لممارسة القضاء بمختلف واحات درعة والمناطق المجاورة (وثائق محلية) ونستشف من خلال جملة من الوثائق

كالأخوين العكارين محمد والحسن الرباطيين، والحسن بن مسعود اليوسي، وسعيد بن محمد البوزيدي، وعبد الله شكلائطو الرباطي، ومحمد بن عبد العزيز التواتي، ومحمد بن عطية السلاوي، وغيرهم. ومنهم المتصوفة كأبي عثمان سعيد أحنصال (دوحة، 97 : الإعلام، 9 : 214 — 215 M. Morsy, 56).

وخصه محمد بن علي الزبادي بتأليف سماه دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان عرف به وبابتداء أمره وسيرته، وطريقته وشيوخه، وجمع بعض كلامه (دوحة : المقدمة).

وقد عرفت طريقته انتشاراً واسعاً في المدن والبادي، وتأسست زوايا تابعة له في كل من مراكش والرباط ومكناس وتطوان والتسول وفاس (النشر، 2 : 292 : الإعلام، 9 : 211).

وسبب انتشار أمر الشيخ علي بن عبد الرحمان واجتماع الناس عليه، امتحن من قبل سلاطين الوقت. فقد أمر السلطان الرشيد بنهب زاويته مراراً، واستقدمه إلى مراكش، حيث فرض عليه شبه إقامة إجبارية، حسب الإفرائي (صفوة، 184). ولعله ظل على تلك الحال حتى وفاة ذلك السلطان سنة 1082/1672.

أما الزبادي فإنه يؤكد أن السلطان أودعه السجن، حيث مكث "أياماً قلائل" ثم أخرجه وأمر بطرحه "في بئر خارج باب الجديد، قرب الصالح سيدي عبد الرحمن القرشي". ويدخل ذلك كله في إطار المحنة التي لاقتها الزوايا في ذلك العهد.

ومهما يكن من أمر فالمؤكد أن علياً بن عبد الرحمان الدرعي امتحن من قبل السلطان وأن زاويته نهبت. لكن من المحتمل أنه واصل نشاطه الصوفي بعد ذلك. ذلك أن القادري (النشر، 2 : 292) أشار إلى أن السلطان إسماعيل أمر "بأخذ داره...". وأغلب الظن أنه يتفرد بهذا الخبر. كما يشير الولاوي (مباحث، 195) الذي تردد إلى زاوية تامجوت عدة مرات، أنه : "وقعت له فتنة مع ملك من ملوك الوقت، فانتقص تقصف الناس عليه، ثم أنجاه الله تعالى منه، فعاد الأمر كما كان أولاً من ترادف الناس عليه للأخذ والزيارة إلى أن توفي...".

توفي علي بن عبد الرحمان الدرعي، بالوفاة في منتصف شهر ربيع الأول، حسب الضعيف (تاريخ، 63)، وفي 21 منه حسب الإفرائي، (الصفوة، 184) عام 1091 / 1680، ودفن بزاويته الموسومة بتامجوت من بلاد تادلا.

أ. الولاوي، مباحث الأنوار، تج. عبد العزيز بوعصاب، 1987 : م. الإفرائي، صفوة، طبعة حجرية : م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، تج. محمد الحبيب نوح، 1988 : م. الزبادي، دوحة البستان، مخطوط، خع 390 د : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1980، الجزء 9 : م. حجي، الزاوية الدلائية... الرباط، 1964 : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أ. العماري، الرباط، 1986 : التحري الميداني.

المهورة بتوقيع الفقيه علي بن المقدم، أن مدة ولايته كقاض بدرعة قد استمرت أكثر من عقدين من الزمن، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان يتمتع به هذا الفقيه من ثقة سواء بالنسبة للمخزن أو بالنسبة للسكان بالمنطقة. وماتزال جملة من الوثائق ورسوم الأملاك العقارية تزخر بتعاليق وتوقيعات الفقيه علي ابن المقدم، حيث كانت أحكامه لا ترد لقوة الدلائل والحجج الفقهية التي كان يسوقها لإفحام بعض الفقهاء المتصدين للإقتضاء ونقض الأحكام، خاصة فقهاء قصر استور، وفقهاء قصر أولاد أوشاح من آل حاجي (وثائق محلية).

وفي سنة 1286 عين السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الفقيه علي بن المقدم قاضياً بمدينة أسفي، ولم تطل مدته بهذه المدينة حيث أعفى سنة 1287 (الإعلام، 9: 254).

استقر علي بن المقدم أخيراً بمدينة مراكش، وقد أحبى الله به قراءة العشر بهذه المدينة، كما أقبل على تدريس الفقه حيث أخذ عنه الجم الغفير من علماء المدينة، ومن آثاره: حاشية على شرح المرشد الصغير وصفه صاحب الإعلام بأنه يشتمل على أبحاث حسنة وفقه كثير. وقد توفي سيدي علي بن المقدم عن سن عالية بمدينة مراكش مع بداية العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر / أوائل سنة 1875.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9 : م. بن لجيب التمنوگالي، العقود الجمهورية، مخطوط : وثائق محلية في حوزة الكاتب. أحمد البوزيدي

الدرعي، علي بن يوسف بن أحمد بن عبد الحليم التماززي أصلاً، الأكتاوي داراً ومولداً. قال الجزولي في إنارة البصائر : "وخرج أسلافه من سوس من بلدة نبي الله أو ولي الله تعالى سيدنا دانيال المسماة تاگمت المنسوبة لبني يعقوب الآن (الدرر المرصعة، 222).

تتلمذ على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وحضر مجالس العلماء المتوافرين في الزاوية الدلائية، ثم عاد إلى درعة واشتغل بالتدريس في أكتاوة وتسرگات حيث لازمه الشيخ محمد ابن ناصر (الحركة الفكرية، 2 : 544 والزاوية الدلائية، 55 و59 والروض الزاهر، 193).

كان لتتلمذ محمد ابن ناصر على علي بن يوسف أثر كبير في شهرة هذا الأخير وحفظ أخباره في كتب التراجم التي اعتنت بأعلام الزاوية الناصرية كالددر المرصعة والروض الزاهر وطلعة المشتري.

استقر المقام بالمرجع له بعد عودته من الزاوية الدلائية في زاوية سيد الناس بتامگروت (الحركة الفكرية، 2 : 544 و542) واشتغل بالتدريس بها، وكان يستعين بأعمال أخرى على معاشه. ذكر أحمد بن خالد الناصري أن محمد بن

ناصر ابتدأ بتعلم العربية واللسان والفقه وما التحق به على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي ولازمه مدة مديدة إلى أن نال منه مراده، مع ما كان عليه الفقيه المذكور من عدم المداومة على القراءة لاشتغاله بمعاشه، فربما قرأ في بعض الأيام بيتاً أو بيتين من الخلاصة وربما لم يقرأ، وكان ذلك كله لا يصد سيدي محمد عن التعلم عليه (طلعة المشتري، 1 : 127).

وقال محمد حجي : "وكان أبو الحسن هذا كثيراً ما يضيق ذرعاً بضنك عيش تامگروت، ويقصد شيخه أبا بكر في الدلاء فينال من عطايه وهداياه ما ينقلب به إلى أهله مسروراً".

احتفظت مؤلفات الناصريين بأخبار تؤكد ما عاني منه المترجم له من ضيق سعة ذات اليد، ومن تلك الأخبار القصة التي جرت له مع تلميذه محمد بن ناصر ودونها أبو العباس الجزولي في إنارة البصائر ثم نقلها عنه المكي الناصري في الدرر المرصعة والروض الزاهر وأحمد الناصري في طلعة المشتري. ذلك أن أم الشيخ محمد بن ناصر نسجت له ثوباً جديداً جيداً واسعاً سابغاً، فأثر به شيخه علي بن يوسف على نفسه، رصده إلى أن دخل بيت الاغتسال فوضع ثوبه الجديد مكان ثوب شيخه وأخذ هو البالي. ولما علم الشيخ بذلك استعظم ذلك منه ودعا له. قال المكي الناصري : "فقال به الشيخ رضي الله عنه ما اشتهر عنه من علم ودين وعمل صالح ودنيا وافرة وذرية صالحة والجاه والاستقامة وإقبال الخلق عليه للنفع والعلم والبركة (الدرر المرصعة، 222 و223 وطلعة المشتري، 1 : 127 و128). ومنها أيضاً أنه كان يرغب في ضيافة طلبته له. قال الشيخ محمد بن ناصر قال سيدي علي بن يوسف : قول الطلبة ليس على الفقيه من ضيافة هو عذر يقيمونه. ثم قال بعد ذكر كلام شيخه سيدي علي : بل الفقيه أولى بالضيافة والكرم لأنه هو الذي يرى فضل ذلك (الروض الزاهر، 192).

كان أبو الحسن علي بن يوسف مبرزاً في جملة من العلوم العقلية والنقلية قال أحمد في فهرسته : وجل استفادته - الشيخ ابن ناصر - في العلوم الظاهرة عن العالم المتواضع الأبرك الولي الصالح الأكبر سيدي علي بن يوسف (الدرر المرصعة، 226 والروض الزاهر، 111 واقتفاء الأثر، 117 ونشر الثاني، 2 : 211). وقد كثر الآخذون عنه في مختلف جهات تامگروت وبذلك عد إمام المعقول والمنقول في هذه البقعة من درعة (الحركة الفكرية، 2 : 544).

لم نقف على تاريخ وفاة علي بن يوسف فيما اعتمدناه من مصادر وذكر محمد حجي أنه توفي حوالي 1045 / 1635 (الحركة الفكرية، 2 : 544) ودفن بباركو (الزاوية الدلائية، 54).

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : الروض الزاهر، تج. المهدي الغالي، د. د.ع. في التاريخ، كلية الآداب، الرباط، 1998. 1999 : أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر، تج. نفيسة الذهبي،

الرباط 1996 : م. ابن الطيب القادري، نشر الثاني، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط 1982 : أ. الناصري، طلعة المشتري، ج. 1، الدار البيضاء 1978 : م. حجي، الحركة الفكرية، ج. 2، فضالة، 1978 : الزاوية الدلائلية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.
حسن حافظي علوي

الدرعي، أبو القاسم بن عبد الرزاق المصدياني. عاش هذا الشيخ الجليل خلال القرن العاشر (16 م)، وهو مؤسس زاوية تينمسلا بواحة تينزولين بدرعة. ويذكر عن نفسه أنه هبت عليه نفحة صوفية، فانطلق في رحلة البحث عن شيخ يأخذ بيده ويتخذة قدوة له، وحدد في قرارة نفسه بعض الضوابط التي يجب أن تتوفر في شيخه، فلم يجد هذه المواصفات في كل الشيوخ الذين زارهم وانتهت به الرحلة إلى زاوية تازروالت حيث وجد ضالته في الشيخ سيدي أحمد بن موسى السملالي (الدرر المرصعة، 115). ويفهم من إحدى رسائل شيخ زاوية تينمسلا في مطلع القرن العشرين الحسن بن عبد العزيز إلى مقدمي ومريدي زاوية تينمسلا بمختلف جهات المغرب، أن جده أبا القاسم بن عبد الرزاق المصدياني الدرعي، من ذرية محمود بن عبد القادر الجيلاني نزيل بغداد، ثم ذكر صاحب الرسالة سلسلة نسب أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى أن ربطه بالشيخ عبد القادر الجيلاني (من وثائق زاوية تينمسلا) وهذا ما جعل أحفاد الشيخ أبي القاسم بن عبد الرزاق يحملون اسم القادري في أوراقهم الرسمية حالياً.

جاء أسلاف أبي القاسم بن عبد الرزاق من جهة الساحل (الصحراء المغربية الحالية) في زمن غير مدقق إلى درعة. وأول من وصل منهم إلى الوادي هو الشيخ عمرو بن داود المصدياني، حيث نزل بقصر تيگيت وما يزال بعض حداثته وضريحه إلى اليوم على جانب الطريق الرابط بين أگدز وزاگورة (وثيقة محلية).

كان الشيخ أبو القاسم مؤسس زاوية تينمسلا من أهل الصلاح والدين يشار إليهم بالولاية (المعسول، 19: 120). وبالرغم من أننا لا نعرف أي شيء عن مستواه العلمي، وهل هو من الفقهاء المتصوفة أم لا، فإن صاحب الدرر المرصعة يذكر أن لأبي القاسم بن عبد الرزاق كلاماً عالياً يحذو فيه حذو الشيخ الجزولي في مناجاته، بل فيه ما تشمئز منه النفس وتجه الفطرة السليمة (الدرر، 115).

توفي أبو القاسم بن عبد الرزاق في زمن غير محدود من القرن العاشر (16 م) وخلفه على زاويته ابنه عمرو بن أبي القاسم، وسلك نهج والده في تربية المريدين والإكثار من الزاوياء سواء بواحي درعة أو المناطق المجاورة لها مثل بلاد تازرين ودادس وفم زگيط وخاصة إفريقيا الغربية، وقد ظلت زاوية تينمسلا تعتبر أكبر زاوية بدرعة من حيث عدد الفروع وكثرة الأتباع حتى نبغت زاوية تامگروت الناصرية وما تزال زاوية أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى يومنا هذا تحتل الدرجة الثانية بعد الزاوية الناصرية، ببلاد درعة والمناطق المجاورة.

مجهول، هدية السرور من الملك الخلاق في كرامة أبي القاسم بن عبد الرزاق، مخطوط، وثائق زاوية تينمسلا بحوزة الكاتب : م. المكي بن الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط، م. بن الحبيب التمنوگالي، العقود الجوهريّة، مخطوط : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 19.

أحمد البوزيدي

الدرعي، محماد بن الحبيب الرگراگي الغنيمي التامنوگالي المزگيطي التيسوسوتي الشهير عند علماء مراكش بالدرعي. ولد عام 1323 / 1905.

قرأ القرن بكتاب قصبة تامنوگالت على يد صهره الفقيه السيد محماد بن علي الفرغري، ثم انتقل عند الفقيه المدرس الشهير السيد محماد بن المكي بن محمد الناصري. ثم تآقت نفسه إلى الاستزادة من العلم فانتقل إلى مدينة مراكش ودرس على شيوخ العلم بجامع ابن يوسف، وأجازه بعض الشيوخ لأهليته وتمكنه من شتى العلوم. بعدها تفرغ للتدريس والوعظ بمساجد مختلفة وفي مناطق متعددة، ابتداء من مسجد الشرفاء بالمواسين، ومنه إلى زاوية مولاي عبد الملك بمنطقة قلعة مگونة ودادس، ثم إماماً مدرساً ومحدثاً بالجامع الكبير بزاوية سيدي صالح بمنطقة أكتاوة. وكان من المتسككين بأصول الشريعة الإسلامية معاديا للبدعة وأهلها، محبباً عند الخاص والعام.

ترك - رحمه الله - مجموعة من المؤلفات نذكر منها :

- (1) العقود اللؤلئية في الأخبار الدرعية، ذكره ابن سودة باسم (تاريخ درعة).
- (2) تأليف في ترتيب ما أورده السيوطي في كتابه (الآلتي المصنوعة على الأحاديث الموضوعة) ويحتوي التأليف على 1612 حديثاً ألفه سنة 1353 / 1934.
- (3) تأليف صغير في ترتيب رجال الكتاب المسمى وسيلة الفريق بأئمة الطريق على عدد حروف الهجاء.
- (4) أرجوزة حول بيان الرضاع والقدر الذي تحصل به الحرمة.
- (5) شرح مختصر الزواجر في اقتراح الكبائر للإمام العسقلاني لم يتمه.
- (6) منظومة في العقائد التوحيدية أبياتها 30.
- (7) نظم فرائض الشيخ خليل أبياتها 382.
- (8) منظومة تحتوي على أنواع شتى من العلوم أبياتها 424.

- (9) الهمزية في مدح الرسول ﷺ أبياتها 410.
 - (10) رثاء شيخه محمد المكي الناصري أبياتها 93.
 - (11) قصيدة لامية أبياتها 1096.
- توفي عام 1362 / 1943 ودفن بمقبرة قصبة تامنوگالت.

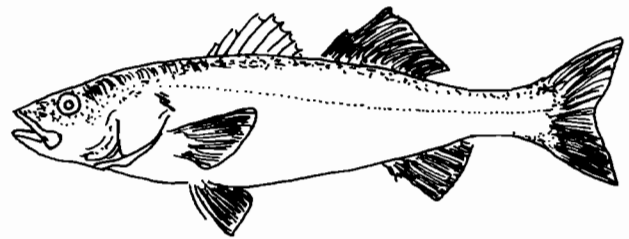
أ. متفكر، ذيل، إعلام مراكش، مخطوط : روايات شوية.

أحمد متفكر

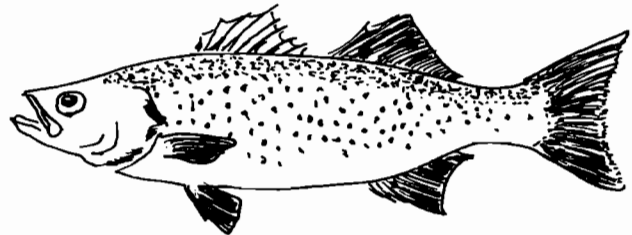
الدرعي (سمك) أو الذيب "لولو" (Le loup)، أو تحرش كما هو شائع في الأسواق السمكية في كل من العرائش وطنجة ومولاي بوسلهام ومهدية، أو بوشوك في الجديدة وأسفي والصويرة وأكادير وطرفاية والداخلية والحسيمة، جنس من الأسماك البحرية يسمى بسمك القاروس أو القاروص في كل من تونس وليبيا ومصر ولبنان وفلسطين وسوريا. والدرعي يطلق في المغرب على نوعين من الأسماك البحرية العظمية من فصيلة مرونيدي Moronidae ومن جنس ديسونتراركس Dicentrarchus : الدرعي العادي والدرعي المنقط.

الدرعي العادي يسمى علمياً (Morone labrax) وبالفرنسية Dicentrarchus labrax وبالإنجليزية European seabass وبالإسبانية Lubina. طوله شائع بين 20 و 55 سم ويبلغ أحياناً 100 سم عند الكبار.

جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، غالباً ما يكون البطن مصفراً. تعرف الكبار ببقعة سوداء على الجهة العليا من غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهرتان مفترقتان، تتكون الأولى من 8 - 10 شوكت والثانية من شوكة واحدة ومن 12 - 13 شعاعات هشة. تتكون الزعنفة الذيلية من ثلاث شوكات ومن 10 - 12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة وتتكون الخط الجانبي من 62 - 80 حشفة. فمه حاد وشفته رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومترتبة في صفوف بداخل كل فك. يعيش الدرعي في مختلف المناطق الساحلية الدافئة المياه وذلك في أعماق لا تتعدى 100 متر. شائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة، ويوجد أيضاً في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفس وشرم الداخلية. كثيراً ما يدخل معظم



الدرعي



مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقراق، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة بداخل الأنهار بحثاً عن الأكل. يتكون من مجموعات متعددة الأفراد خلال فترة التوالد التي تمتد من شهر يناير إلى بداية مارس. تصير الذكور بالغة بعد سنتين والإناث بعد ثلاث سنوات يصل طولها إلى 31. 40 سم.

الدرعي سمك لاهم، يتكون غذاؤه من اللاققرات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع ومختلف أنواع القشريات كالإربيان والسرطانات وصغار الأسماك. ينتشر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضاً في البحر المتوسط والبحر الأسود والشواطئ الأطلنطية الأوربية والموريتانية والسنغالية.

الدرعي المنقط يسمى علمياً (Morone punctatus) وبالفرنسية Dicentrarchus punctatus وبالإنجليزية Spotted seabass وبالإسبانية Baita. طوله شائع بين 20 و 40 سم يبلغ أحياناً 70 سم عند الكبار. يعرف في سوريا ولبنان ومصر بالقروس والقاروس المنقط ونقطة وأوب نقطة. وفي تونس وليبيا القاروس المنقط. ويعرف بالدرعي المنقط أو بونقطة في كل من مولاي بوسلهام ومهدية والرباط وطرفاية والعيون والداخلية. ويلقب بـ"لوير" و:نوير" في كل من طنجة والعرائش وأصيلا.

جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، الجوانب والظهر مبرقعة ببقع سوداء متفاوتة الحجم. تعرف الكبار ببقعة كبيرة سوداء داكنة في مؤخرة غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهرتان مفترقتان، تتكون الأولى من 8. 9 شوكات والثانية من شوكة واحدة ومن 10 - 12 شعاع هش. تتكون الزعنفة الشرجية من ثلاث شوكات ومن 10 - 12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة وتتكون الخط الجانبي من 57. 65 حشفة. فمه حاد وشفته رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومترتبة في صفوف بداخل الفكين.

يعيش في المناطق الساحلية الدافئة المياه، وشائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة الرملية والوحلية والصخرية، ويوجد أيضاً في البحيرات الساحلية القليلة الملوحة كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفس وشرم الداخلية. كثيراً ما يدخل معظم مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقراق، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة في أعالي الأنهار بحثاً عن الأكل في المياه العذبة. تمتد فترة التوالد من شهر يناير إلى غاية شهر أبريل. تصير الصغار بالغة بعد ثلاث سنوات يصل طولها 25 سم. نموه أقل سرعة من نوع الدرعي الغير المنقط إذ لا يبلغ طوله 41 سم إلا بعد سبع سنوات.

يتكون غذاؤه من اللاققرات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع والإربيان والأسماك الصغيرة

والسرطانات. يقتصر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضا في البحر المتوسط وخاصة في الضفة الجنوبية منه كما يوجد في السواحل الأطلنطية الأوربية والمريانية والسنغالية.

صيد أنواع سمك الدرعي بالمغرب تقليدي ورياضي ويتم بشباك الجرف وبشباك الإحاطة أو التحليق وبالشباك الخيشومية وبالصنانير. يوجد في أسواق الأسماك المغربية بصفة غير منتظمة. لحمه لذيذ ويؤكل طرياً.

تم تربية سمك الدرعي العادي في المزارع البحرية بكيفية ناجحة في كثير من الدول الأوربية. بدأت تربيته في المغرب سنة 1986 في بحيرة الناظور وقد عرفت هذه التربية نجاحاً من طرف شركة ماروست وشركة صام حيث يتراوح الإنتاج ما بين 24 - 530 طن سنوياً يُصدّر أغلبها إلى الأسواق الأوربية.

يعطي الجدول التالي الكمية المنتجة سنوياً لسمك الدرعي العادي في بعض أحواض التربية المائية بالبحيرات الساحلية المغربية :

السنة	1990	1991	1992	1993	1994	1995
الكمية بالطن	24	96	119	193	332	533

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أ. المعلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932 : دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

M. Ramdani et N. Elkhiti, *Flore et faune marines du Maroc. Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*. Expo. 98, Lisbonne, Rabat, 68 p., 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre, synthèse de l'activité du Ministère des Pêches Maritimes et de la Marine Marchande*, Rabat, 1995.

محمد رمضان

درغوث باشا، يطلق عليه المسيحيون لفظ Dargut، والأتراك Dragutte، ودرغوتشه بالتصغير. ولد بقرب الأناضول حوالي سنة 890 / 1485. وشارك منذ شبابه في الملاحية العسكرية العثمانية إلى أن أصبح من الرياس المرموقين في بحر إيجه منذ سنة 940 / 1533 ؛ قبل أن ينتقل للعمل تحت قيادة خير الدين بارباروس في مياه الحوض المتوسطي الغربي، متعاوناً مع اسطول الجهاد التطواني في المياه الإسبانية أثناء فترة حكم السيدة الحرة، وقد أكسبته جسارته وجراته عدة ألقاب كان يفتخر بها مثل "الشیطان" و "سيف الإسلام"، ومكنته عملياته الناجحة من امتلاك مجموعة سفن تحت إمرته وفي يونيو 947 / 1540 وقع أسيراً في يد القوات المسيحية حيث استخدم في التجديف إلى سنة 951 / 1544، حيث تم افتداؤه من طرف

أمير البحر خير الدين بارباروس. في هذه السنة كان محمد الشيخ السعدي في مسعاه إلى مضائقه الإسبان والبرتغال بالمياه المغربية يتقرب درغوث بالهدايا محاولاً استقطابه بمعية الرياس المرافقين له لتخدوا من الموانئ المغربية الأطلنطية مراكز لعملياتهم الجهادية.

وبعد ذلك نسجل غياباً لسيرة درغوث في المياه المغربية، لانتقاله إلى جزيرة جربة بتونس التي اتخذها قاعدة لعملياته، واهتمامه بالمساهمة في فتح ولاية طرابلس سنة 959 / 1551، ثم تنصيبه بالبرياني عليها سنة 961 / 1553، ولن يعود اسمه إلى الظهور في أقصى الغرب الإسلامي إلا في سنة 965 / 1557، أثناء توتر العلاقات المغربية العثمانية، حيث راجت إشاعة في قيامه على رأس اسطول مكون من أزيد من مائة وخمسين سفينة بمهمة تفحص موانئ المغرب واحتلالها، بعد أن قامت بعض السفن العثمانية بجولات استطلاعية همت أساساً ميناء بادس وسلا. وهو ما أقض مضاجع السلطات المغربية والإسبانية والبرتغالية.

لكن هذه الإشاعة لم تتحقق نتيجة تمكن سليمان القانوني من القضاء على خصمه محمد الشيخ، واهتمام درغوث بتثبيت السلطة العثمانية في ولاية طرابلس التي ظل على رأسها إلى حين استشهاده في حصار مالطا سنة 973 / 1565.

أندري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان، ص. 58-59.
حسن أميلي

الدرغوثي، محمد بن محمد الوجدي. ولد سنة 1336 / 1917 وكان من المجاهدين الذين ذاع صيتهم خاصة بمدينة وجدة حيث تعرض للاعتقال والنفي العديد من المرات.

وغداة اندلاع المقاومة المسلحة بالمدينة لعب محمد الدرفوفي دوراً كبيراً حيث قام بتأسيس خلايا للمقاومة وتوجيه أفرادها للقيام بالعمليات الفدائية والتنسيق بينها وبين خلايا المدن المجاورة. وقد أفزع نشاطه هذا المستعمر الذي حاول الإيقاع به ومساومته دون جدوى وهو الوطني الغيور الفدائي البطل.

فلم يبق أمام الإدارة الاستعمارية إلا القضاء عليه بأية وسيلة، فقامت بتسميمه وهو في السجن بواسطة عملية تلقيح مشبوهة نقل على إثرها إلى مستشفى كوكار بفاس. وذكر لي بعض من كان معه في السجن أن الدرفوفي المذكور كان هو المكلف بجميع الأشياء في السجن وأن من طلبه يستجيب له كأنه خادم لهم ولا يترك أحداً منهم يتناول شيئاً، وهو آخر من ينام وأول من يستيقظ منهم ولا تسمع من فيه إلا نعم" (موسوعة، 6 : 3297) ب

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع النبوي عام 1374 / 8 نونبر 1954 توفي محمد الدرفوفي وهو في طريقة من

المستشفى بفاس إلى وجدة (على بعد نحو 30 كلم منها)، ودفن في غده، في مشهد حافل بالوطنيين.

المنشورية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال، 4 : 185 ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام
المغرب، بيروت، ج. 9، 1996.

الدرقاني، محمد، مقاوم ولد سنة 1937 بأيت محمد وعلي الحمام إقليم خنيفرة.

انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال منذ انطلاسته ضمن فرقة المنطقة الشرقية بمركز بوعنان تحت مسؤولية منير أحمد بن بوشعيب. وقد شارك في عدة معارك بآيموزار مرموشة والراشيدية، توفي بتاريخ 7 غشت 1995.

المنشورية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بطاقة
506 / 44.

الدرقاوي، أسرة شريفة تتصل بسلسلة نسيهم بإدريس الأزهر باني فاس عن طريق ابنه أحمد، وجدهم القريب الذي ينتسبون إليه هو الشيخ أبو درقة محمد بن يوسف بن گنون دفين قبيلة بني ياكرين من أولاد بني رزك في الشاوية. "كانت ديارهم الأولى قرب أسفي ومنها انتقلوا إلى شراكة قرب فاس ثم إلى بني زروال ومازالوا بها إلى الآن" (رياض الجنة، 2 : 71).

إ. الفضلي، الدرر البهية، ط 2، فصالة، 1999، 2 : 158 - 160 ؛
ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، فاس، 1931، 2 : 71.

الدرقاوي، رشيد بن علي بن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ولد بفاس عام 1327 / 1909 وبها نشأ وتعلم على يد والده ومن في طبقتة من علماء القرويين، وحصل على شهادة العالمية من القسم الشرعي صحة رفيقه الشهيد محمد القرني من القسم الأدبي في 22 حجة عام 1351 / 18 أبريل 1933 فكان أول فوج تخرج من القرويين بعد إحداث النظام الدراسي بها.



اشتغل رشيد الدرقاوي بالتدريس متطوعاً في القرويين، وعمل في صفوف رجال الحركة الوطنية في عهدها الأولي وعرف السجن والتعذيب والنفي. وكان من بين معتقلي غوليمية بالصحراء في رمضان عام 1356 / 1937 بعد المظاهرات العنيفة ضد السيطرة الاستعمارية ونفي الزعماء واعتقال العديد من الوطنيين في مختلف أنحاء المغرب.

وقد اتهمه الفرنسيون هو ورفيقه محمد إبراهيم الكتاني بالتعاون مع دول المحور وقُدما للمحكمة العسكرية بكناس فحكّت عليهما بالسجن لمدة عامين، والنفي خمسة أعوام، ومصادرة أملاكهما. ذكره أكثر من مرة رفيقه في سجن غوليمية المجاهد المرحوم محمد إبراهيم الكتاني في كتابه من ذكريات سجن مكافح، ووصف ما لقي المترجم له من تعذيب مُميت على يد السجنانيين الجلادين الذين كانوا يزعمجون السجناء الوطنيين قبل الفجر للخروج إلى الأعمال الشاقة، وينهالون عليهم بهراويلهم الغليظة ضرباً وشدخاً طوال اليوم تحت الشمس المحرقة. ويوم الجمعة 22 رمضان 1356 / 26 نونبر 1937، كان رشيد الدرقاوي قد أصيبت رجله "بفكاك" لا يستطيع الوقوف عليها، ومع ذلك اقتاده الجلادون في جملة السجناء بنفس السرعة والعنف "فسقط للأرض على بعد نحو مائة ميتر... واجتمع عليه مَنْ وَجَدَهُ الحالُ بالقرب منه من (الگوم) والكروسيكي فضربوه حسبما قَدَّرَ هو فيما أخبر به بعد ذلك أكثر من ثلاثمائة ضربة، وتكسرت اثناها عظام رأسه وسالت دماؤه حتى أغشى عليه. ثم جعلوا يقفزون فوق بطنه وصدره، متوخين بلكماتهم القلب والكلى حتى لم يبق به حراك، وانقطع نفسه. فتركوه مكبوا لوجهه، ورجعوا لمواصلة المذبحة".

انخرط المترجم بعد الاستقلال في سلك القضاء بالدار البيضاء، حيث ظل يزاول عمله إلى أن تقاعد وتوفى بها ليلة الاثنين 18 حجة عام 1411 / فاتح يوليوز 1991.

م. إبراهيم الكتاني، من ذكريات سجن مكافح، الرباط، 1977 ؛
م. ابن الحاج السلمي، إسعاف الإخوان الراغبين، الدار البيضاء،
1992.

محمد حجي

الدرقاوي، الطيب ابن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، أصغر أبناء الشيخ. عينه أبوه قبل وفاته ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية.

قضى مولاي الطيب حياة هادئة محترماً من الجميع ومتجنباً كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن لقي ربه. وهو الذي أخذ عنه الورد الدرقاوي عمنا الفقيه المقدم محمد بن الطاهر بن الحبيب الشباطي الحاجي السباعي،

حين كان طالباً للعلم بالقرويين بفاس. ويقول الناصري في *الاستقصا* : "في فجر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من سنة 1287 / 10 غشت 1870، توفي الولي الصالح الناسك السني أبو عبد الله محمد الطيب ابن الشيخ الأشهر مولاي العربي الدرقاوي ودفن بمحل زاويته بأمجوط من بلاد بني زروال، وكان من خيار عباد الله على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس، يركب الحمار ويلبس الجبة ولا يتميز عن أصحابه بشيء، مع السكينة والوقار وعدم الخوض فيما لا يعني والإعراض عن زهرة الدنيا وأهلها".

أ. الناصري، *الاستقصا* : سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج. 10، دكالة، تر. م. الشياطي.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياطي

الدرقاوي، عبد الرحمن بن الطيب ابن الشيخ

مولاي العربي الدرقاوي. عالم صوفي وأستاذ مقري. من أهل المجد والفضل والتواضع والكرم. استوطن الزاوية الدرقاوية بسلا في حي باب حساين منقطعاً لأخذ العلم، فقرأ على العلماء السلويين محمد العربي بن سعيد، ومحمد المكي الصبيحي وأحمد بن خالد الناصري وعبد الله ابن خضراء وغيرهم.

ثم رجع إلى مسقط رأسه في أمجوط حيث عاش معلماً ومربياً، "ساعياً في قضاء حوائج الناس وإصلاح ذات البين وإخماد الفتن وجمع الكلمة على طاعة المخزن مع نباهة القدر والجاه العريض وتعظيم الخاصة والعامة" (رياض الجنة، 2 : 72).

توفي بمسقط رأسه أمجوط ببني زروال يوم الأربعاء 27 جمادى الأولى عام 1346 / 23 نونبر 1927.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1931، ج 2، 71، 72 : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* : سل النصال / موسوعة المغرب، بيروت، 1996، ج 8، 2967، 2969.

محمد حجي

الدرقاوي، العربي (مولاي -) الشيخ أبو عبد الله

محمد العربي بن أحمد بن الحسن بن سعيد الحسني، المعروف بمولاي العربي الدرقاوي. شيخ الطريقة الدرقاوية الشهيرة ومؤسسها. ولد ببني زروال في بلاد جبال عام 1150 / 1737 ويذكر البعض أن أحد أجداده المعروف ببودركة مدفون في بني ازك ببلاد الشاوية.

ينتمي مولاي العربي إلى الشرفاء الأدارسة. أخذ التصوف عن أستاذه الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو بالجمّل، المشهور بسعة اطلاعه وحميد خصاله والمتوفى سنة 1239 / 1823.

وبعد ذلك أسس مولاي العربي طريقة صوفية جديدة ببوريج من بلاد جبال، وهي الطريقة الدرقاوية التي تستمد مذهبها من تعاليم الإمام الشاذلي. ولم تلبث هذه الطريقة أن نالت نجاحاً باهراً في الحواضر والبوادي على السواء، وانخرط فيها عدد كبير من المريدن في المغرب والجزائر.

ولم يلبث نشاط مولاي العربي أن تجاوز بسرعة الميدان الروحي لينفذ إلى الميدان الدنيوي، رغم كونه كان يقول : "ما طلب أحد السلطة الدنيوية إلا هلك !"

وعمل السلطان مولاي سليمان على توجيه هذه القوة الصاعدة واستخدامها لصالحه، فبالغ في مجاملة مولاي العربي وكلفه ببعض المهام، فأرسله في المرة الأولى في بعثة إلى أخيه مولاي مسلمة الذي كانت قد تمت بيعته سلطاناً على المغرب في سنة 1207 / 1792 أثناء التمرد الذي شنه شرفاء جبل العلكم وبعض قبائل جبال.

وبعد ذلك بعدة سنوات، دعت الظروف السلطانية مولاي سليمان إلى استخدام درقاوة من جديد في إنجاز قضية بالغة الأهمية، وهي أن بعض القبائل العربية ثارت على باي وهران بتحريض من المقدم الدرقاوي المحلي المدعو أبا محمد عبد القادر بن الشريف البليتي، احتجاجاً على تنفيذ حكم الإعدام في أحد أتباع الطريقة، وكان ذلك في عام 1217 / 1802 وتغلب الثوار في العديد من المعارك على الجيوش التركية إلى حد أن داي الجزائر طلب من السلطان مولاي سليمان أن يستخدم مولاي العربي في تهدئة أتباعه، فأسرع السلطان إلى تلبية هذه الرغبة، خصوصاً وأنه كان قد حصل في سنة 1795 على انسحاب الأتراك من وجدة وكان يتحين الفرص لتقوية الثغور الشرقية للإيالة الشرقية.

ذهب مولاي العربي إلى تلمسان واستمع لشكاوى أتباعه، لكنه بدل أن يساعد باي وهران على بلوغ مراده، انحاز إلى الثوار ودافع عنهم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأخذ البيعة لمولاي سليمان من سكان مدينة تلمسان وسمح لهم بقراءة خطبة الجمعة في مساجد المدينة باسم سلطان المغرب، ولما أطلع مولاي العربي السلطان على هذه الأحداث لم يستنكرها بل بعث إلى الشيخ مولاي العربي برسالة يشكره على عمله، وفي تيك الأثناء بعث أهل تلمسان وقدماً إلي المولى سليمان غير أن الأتراك ثارت ثائرتهم وأخفوا يهددون، فاضطر السلطان لمقتضيات سياسية إلى استنكار العمل الذي قام به مبعوثه مولاي العربي، وأرسل مبعوثاً آخر إلى تلمسان لإعادة المياه إلى مجاريها. وهكذا تخلى عن ناحية وهران حيث كان في استطاعة الأتراك التدخل بقوة ليتمكن من المحافظة على الواحات الصحراوية. وأمام إلحاح السلطان الشديد، اضطر مولاي العربي إلى التنديد بأعمال المقدم أبي محمد عبد القادر بن الشريف البليتي، وقيل إن مولاي العربي الذي أزعجه طموح هذا المقدم وميله للأبهة والبذخ أشار إلى

السلطان بسحب الرعاية التي كان قد أسبلها عليه...

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات التي كانت قائمة بين السلطان وبين شيخ الطريقة الدرقاوية أخذت تفتت بعد هذه الأحداث. وما لا شك فيه أن التغير المفاجئ الذي ظهر على السلطان كان له تأثير على نفسية مولاي العربي، ثم أصبحت العلاقات بين المخزن والشريف الدرقاوي سيئة للغاية حينما شرع السلطان في شن حملة على المتصوفة والتنديد علنيا بالأعمال التي تقوم بها الطوائف...

اتخذ بعد ذلك مولاي العربي موقفا معاديا للسلطان وثار أتباعه من البربر وكبدوا جيوش المخزن الهزيمة تلو الهزيمة، كما أسروا سنة 1234 / 1818 في معركة زيان السلطان مولاي سليمان لعدة أيام وجرحوا فيها جرحاً مميتاً ابنه الأمير مولاي إبراهيم.

وفي السنة التالية حاصرت حشود البربر مدينة مكناس تحت قيادة أبي بكر أمهاوش من أتباع الطائفة الدرقاوية. وفي سنة 1236 / 1820، وقّع مولاي العربي والحاج العربي الوزاني شيخ طائفة وزان بفاس مع جماعة من أعيان هذه المدينة على وثيقة قرروا بمقتضاها خلع السلطان مولاي سليمان ومبايعة مولاي إبراهيم ابن السلطان السابق مولاي اليزيد.

لقد كان هذا التواطؤ الذي حصل بين أهل فاس وبربر الأطلس المتوسط وأتباع طريقتين دينيتين كبيرتين من الخطورة بمكان على السلطان، الشيء الذي جعل الكثير من الناس لا يشكون لحظة في انتصار المتمردين؛ غير أن حدثاً لم يكن في الحسبان أنقذ بأعجوبة السلطان مولاي سليمان، وهو أن مولاي العربي الدرقاوي كانت قد أخذته نشوة الانتصار فذهب بنفسه، دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة، إلى جيش عرب الأودايا الذين كانوا يمثلون بعض ما تبقى من الجيوش التي ظلت وقيّة للسلطان المخلوع، بقصد استمالتهم وضمّهم إلى الحركة التي كان يتزعمها، غير أن هؤلاء العرب قبضوا على مولاي العربي وسلموه لمولاي سليمان فأودعه السجن.

ومنذ ذلك الحين، ظل أبناء مولاي العربي الصغار يترددون على السلطان مولاي سليمان ساعين في خلاص والدهم من الأسر دون جدوى. يقول الناصري في الاستقصا: "وقدم على مولاي سليمان أولاد الشيخ أبي عبد الله سيدي العربي الدرقاوي صبية صغاراً يشفعون في أبيهم ليسرّحهم، فوصلهم وكساهم وقال لهم: والله ما سجنته ولا أمرت بسجنه، ولكن اتركوه، فسيسرّحه الله الذي سجنه!"

وظل مولاي العربي سجيناً إلى ما بعد وفاة المولى سليمان، وكان قد بلغ من الكبر عتياً وأنهكه المرض فأطلق سراحه السلطان مولاي عبد الرحمان، فقضى نحبه سنة 1239 / 1823. ولم يخلف سوى رسائل في التصوف، قدم لها الشيخ أحمد ابن الخطاط وطبعت على الحجر بفاس.

العربي الدرقاوي، رسائل، ط. حجر فاس، 132؛ تقديم أحمد ابن الخطاط الزكاري؛ سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج 10، دكالة، تر. م. الشياطي؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956.
G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.
محمد الشياطي

الدرقاوي، عزيز محمد بن علي بن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. اشتهر بلقبه عزيز. وهو أكبر أولاد شيخ القرويين علي الدرقاوي آتي الترجمة. كان حافظاً للقرآن الكريم عارفاً برسمه وتجويده. ولما أسست كتلة العمل الوطني في أعوام الثلاثين "كان من أول رجالها ودافع بماله وقوته وإيمانه. ولما سجن الوطنيون المرة الأولى بمدينة تازا سنة 1349 / 1930، كان من أولهم مع الزعيم محمد بن الحسن الوزاني والزعيم علال الفاسي..." (إنحاف المطالع).

توفي بفاس في عشرين شوال عام 1377 / 10 ماي 1958 ودفن بالقباب فوق الطريق المحدث بنحو ثلاثة أو أربعة أمتار.

ع. ابن سودة، إنحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9، 3332.

محمد حجي

الدرقاوي، علي بن أحمد بن محمد السوسي الإلغي من أساطين الطريقة الدرقاوية بسوس، انتشرت على يديه انتشاراً واسعاً في ربوع تلك البلاد فكثرت أتباعها ومريدها بفضل همة هذا الشيخ وتفانيه في سبيلها. كان والد المترجم له رجلاً أميناً بينما كان جده حافظاً لكتاب الله، ولهذا تولى الجد العناية بالحفيد، فأدخله إلى الكتاب ليحفظ القرآن. وقد كان الجد يراجع معه سور القرآن في البيت إلى أن استكمل حفظ القرآن الكريم. ثم أرسله إلى مدرسة تنالت عند الأستاذ محمد بن بلقاسم اليزيدي فقرأ عليه المبادئ الأولية في العلوم العربية والشرعية، ثم إلى مدرسة تأنكرت بإفران، فمكث بها أربع سنين. ولما زار الشيخ سعيد المعدري مقدّم الطريقة الدرقاوية بسوس، تأنكرت، اتصل به المترجم وأعجب به فأخذ عنه الورد الدرقاوي، ولزمه أياماً ثلاثة تمكنت فيها الدرقاوية من عقله وقبله، مما جعله يصاحب الشيخ المعدري في سياحاته تاركاً الدراسة وهو في وسط الطريق.

رجع المترجم إلى ميدان الدراسة بالحاج من أهله فالتحق بمدرسة أدوز عند الأستاذ محمد بن العربي الأدوزي.

لم تنقطع صلة المترجم بشيخه سعيد المعدري طوال الفترة السابقة، فقد كان يزوره بين الفينة والأخرى، ويجد في نفسه حينئذ إلى التصوف، وبقي على هذه الحال إلى أن

• ترجمة الحكم العطائية نظماً باللسان الشلحي.

• المبدئ والمعيد في أخبار الشيخ سيدي سعيد.

• مؤلف في الطب.

• رحلته الحجازية المنظومة.

توفي الشيخ علي الدرقاوي في نهاية سنة 1328 / آخر 1910.

م. المختار السوسي، المعسول، ج1 : الترياق المداوي في أحوال الشيخ سيدي علي الدرقاوي : الأغراري، روضة الأفنان، تج. حمدي أنوش.

محمد الحاقمي

الدرقاوي، علي بن الطيب بن الشيخ مولاي

العربي الدرقاوي. ولد بأمجوط ببني زروال، ومات أبوه وهو صغير فانتقل بعد أن حفظ القرآن إلى مدينة فاس ودخلها عام 1301 / 1883 طلباً للعلم، فأخذ عن كبار شيوخ القرويين أمثال الحاج صالح التادلي، وعبد الله بن حمدون بناني فرعون، ومحمد بن التهامي الوزاني وعبد المالك العلوي الضرير، ومحمد بن قاسم القادري، وأحمد ابن الخياط الزكاري وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري وغيرهم.

ثم رحل إلى المشرق سنة 1314 / 1896 لأداء فريضة الحج، وأخذ عن أعلام مصر والحرمين الشريفين. وبعد رجوعه استقر بمدينة فاس متصدراً للتدريس، فأخذ عنه جم غفير من الطلبة. ولم يكن يذهب إلى أمجوط لصلة لرحم بأقاربه إلا أيام المواسم التي تقام هناك في فصل الحريف من كل سنة "وقد رزقه الله حلاوة في التدريس وعبارة يقرب بها الفهم لكل طالب كيفما كان، وكان في جل دروسه يختار الأمور العالية... وأعز ما عنده المذاكرة، فكان يذكر أهل كل فن في فهم، فإذا ذكرته في أي فن تجده كأنه متخصص فيه" (سل النصال).



أدرج على الدرقاوي في طبقة العلماء بفاس من غير طلب منه، وأسندت إليه الإمامة بأحد مساجد حومة العيون، وكان يعيش باقتصاد من ريع أصول ورثتها عن أبيه وجده. ولما أدخل النظام إلى القرويين عام 1350 / 1931 عُيِّن المترجم له بالقسم الأول الأدبي، فلم يقبل ذلك

جاءته رسالة من الفقيه الحسن التاموديزتي الذي تجرد وانقطع بزواية المدر، يدعوه فيها إلى الالتحاق به لينخرط في سلك الفقراء الدرقاوين.

استقر المترجم أخيراً في إلغ - بعدما رفضت أمه السماح له بالاستقرار بالمعذر - فشرع في تأسيس زاويته هناك بدءاً من أواسط شوال 1302 وتصدر فيها للمشايخ وتربية المريدين الدرقاوين، وتزوج للمرة الأولى.

إن العوامل الثلاثة السابقة : بناء الزاوية، والتصدر للمشايخ، والزواج، جعلت الشيخ عليا الإلغي ينصرف كلية إلى الطريقة الدرقاوية، فأعطاهما كل وقته وكل جهده وطاقته. وبهذا سيدخل الشيخ مرحلة جديدة من مراحل حياته. سينفض عنه أودية الخمول، ويقوم بأمر الزاوية والفقراء بهمة عالية لا تعرف الكلل، ويجد واجتهاد لا يعرف الملل. كما كان بين الفينة والأخرى يقوم بالسياحة لتفقد أحوال الفقراء الدرقاوين المنتسشرين بمختلف نواحي سوس : تانكرت، مجاط، تامانارت، أفا. وتاقت نفس الشيخ إلى بيت الله الحرام ومقام النبي صلى الله عليه وسلم فأعمل الرحلة إلى هناك سنة 1305. وقد مكنه هذا السفر إلى المشرق من لقاء كثير من العلماء والشيوخ والمتصوفة في مختلف المناطق التي مرَّ بها واستفاد منهم كثيراً ما يروج هناك من أفكار وقضايا، كما أطلع على مما كان يروج في العالم العربي من أفكار ودعوات إصلاحية. ووقف على مدى التقدم الهائل الذي تعرفه بعض المدن الأوربية التي عرج عليها. وهذا كله سيزيد من معارف الشيخ بقضايا أمته ودينه.

ونظراً لأهمية هذه الرحلة فإنه قد خلدها بنظم تجاوز 1800 بيت عرض فيه لمراحل الرحلة، والمدن التي مرَّ بها، والعلماء الذين لقيهم، كما استرجع فيها جوانب من مراحل حياته السابقة. وقد هذب ابنه محمد المختار السوسي هذا النظم ونشره تحت عنوان : أصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للوالد.

لما رجع الشيخ من حجته استمر على حالته السابقة، بين إقامة بالزاوية متفقد أحوال الفقراء المستقرين والزائرين، وبين سياحات يعملها إلى مختلف ربوع سوس مرشداً وناصحاً ومعلماً وملقناً الورد الدرقاوي. كما أنه في هذه المرحلة تزوج بزوجتيه الآخرين كانت ثانيتهما هي رقية بنت شيخه محمد ابن العربي الأدوزي التي قامت بتعليم البنات والنساء بالدار.

تعد هذه المرحلة أخصب مراحل حياة المترجم ففيها تم تألق نجمه، وذيع صيته، فكثرت أتباعه، وانتشرت الطريقة على يديه انتشاراً واسعاً. وألف عدداً من الكتب ذكرها ابنه محمد المختار السوسي هكذا :

• ترجمة ريع العبادات من مجموع الشيخ الأمير إلى اللسان الشلحي.

• عقد الجمان في آداب الطريق.

إلا بالحاح من أقرانه وطلبته، وبقي قائماً على التدريس داخل النظام إلى ما قبيل وفاته بنحو سبعة أشهر، حيث ذهب إلى مسقط رأسه أمجوط، وكان يحب أن يدفن بين أهله بالقرب من والده، ومكث هناك إلى أن وافته المنية بعد أذان العشاء من يوم الاثنين رابع ذي القعدة عام 1365 / 30 شتنبر 1946.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9، 3211، 3213.

محمد حجي

الدرقاوي، محمد بن عبد الرحمان الحاحي، فقيه صوفي ينحدر من أسرة مشهورة في قبيلة ايداوتغما الحاحية بدراسة وتدريس العلوم العربية بعد حفظ كتاب الله العزيز. بعثه عمه القاضي مبارك إلى سوس لينهل من حياض العلم والتصوف والأدب عند فطاحل علمائه المشهورين آنذاك أمثال محمد بن العربي الأدوزي الذي أخذ عليه علوم اللغة والفقه والتفسير والتصوف، كما أخذ عن قطب عصره السيد الحاج الحسين بن مبارك التمدوزتي التربية الصوفية سلوكاً وكان يستعين به عند ترجمته للشيخ (خليل) إلى الأمازيغية لتكوين المريدين، وعندما عاد الفقيه الصوفي محمد بن عبد الرحمان إلى قبيلته ايداوتغما الحاحية تصدر للتدريس والإفتاء وفض الخصومات بين الناس وتلقن المريدن الطريقة الدرقاوية الصوفية التي اشتهر بالنسب إليها، فاستكتبه القائد سعيد الكيلولي بتمنار واتخذة مستشاره في حله وترحاله واصطحبه في غزوه لسوس إلى تزنييت، كما أرسله القائد سعيد الكيلولي نيابة عنه في حركة أحمد الهيبية إلى مراكش (1331 / 1912).

وبعد عودته من حركة أحمد الهيبية تفرغ للتدريس وتربية المريدن تربية صوفية على الطريقة الدرقاوية. ومازالت رسائله متداولة بين المهتمين العارفين بقيمتها الفنية، وتمتاز بجودة الخط وجزالة اللفظ والإيجاز في التعبير كما في النماذج المتوفرة لدينا وقد لزم الفقيه محمد ابن عبد الرحمان مدرسة قبيلة أيت أمر العلمية طيلة العقد الأخير من حياته ونال حظوة لدى رئيسها سعيد تيكزيرين واشترى أملاكاً بجوار المدرسة فأصبح تامرياً بالسكن، ورزق أولاداً نجباء اشتهرهم السيد الحسين الدرقاوي الذي خلف بدوره عدداً من الأساتذة شاركوا في مختلف أسلاك التعليم الثانوي والعالي مما يدل على أن هذه الأسرة أعطت وما زالت تعطي في ميادين العلم والعرفان، وإن فات روادها أن يؤلفوا الكتب فإنهم قد ساهموا في تأليف القلوب والعقول.

م. المختار السوسي، رحلة من الحمراء إلى إبلنج، مخطوط، ص. 60 : الحسين بن محمد الدرقاوي، ترجمة الوالد في حوالي 24 صفحة، مخطوط.

محمد أيت الحاج

الدرقاوية (الطريقة -) تأسست في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) على يد الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسن الدرقاوي، الشريف الإدريسي المعروف بمولاي العربي الدرقاوي، المولود في قرية بويرج ببني زروال من بلاد جبالة سنة 1150 / 1737.

تستمد الطريقة الدرقاوية مبادئها من تعاليم الإمام الشاذلي. وقد تلقى مولاي العربي الدرقاوي، علم التصوف على يد شيوخ عديدين، معتمده منهم الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو الجَمَل، المشهور بسعة إطلاعه وحמיד خصاله والمتوفى بفاس سنة 1239 / 1823.

نالت الطريقة الدرقاوية نجاحاً باهرافى مختلف الأوساط في الحواضر والبادي على السواء، وعلى الخصوص في القبائل البربرية، وأخذت تنتشر على حساب الطريقة الناصرية التي ظل الإقبال عليها شديداً طيلة أزيد من قرن كامل. وانخرط في الطريقة الدرقاوية عدد كثير من الناس من المغرب ومن الأقاليم الجزائرية التي كانت خاضعة لسلطة البايات الأتراك. وأخذت أفواج الأتباع تتوافد على بويرج لتلقي الورد من مولاي العربي الولي الجديد. وكان من بين الأتباع أشخاص صلحاء أذكيا يتحرقون شوقاً ليصبخوا بدورهم شيوخاً، فكانوا حينما يعودون إلى ديارهم يؤسسون زوايا تابعة لزواية بويرج الأم.

كان مولاي العربي قد عين قبل وفاته أصغر أبنائه وهو مولاي الطيب ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية. وقضى مولاي الطيب حياة هادئة محترماً من الجميع ومتجنباً كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن توفي سنة 1287 / 1870 فخلفه على رأس الزاوية الدرقاوية ابنه عبد الرحمن ثم محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه أبو بكر.

تفرعت عن الطريقة الدرقاوية طرق كثيرة أسسها مريدو الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الأخذون عنه مباشرة أو بواسطة، وأشهرها :

- الطريقة الدرقاوية البدوية بفاس، أسسها الشسيخ أحمد البدوي زويتن الفاسي (انظر البدوي) وتفرعت عنها بدورها زوايا كثيرة، خاصة بتافيلالت كزاوية كوز، وزاوية رحمة الله، وزاوية إماسين دادس، وزاوية فركلة، وزاوية كدارة، وزاوية فضل الله.

- الطريقة الدرقاوية البوزيدية أسسها محمد بن أحمد البوزيدي (انظر البوزيدي) بتيكيست على حدود بني زيات وبني زرع، ببلاد غمارة. ويعتبر محمد البوزيدي أول من تتلمذ للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ولم يخلف ذرية فأوصى قبل وفاته بربع زاويته للزاوية الأم ببويرج، وأشهر أتباعه الشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة من أهل أنجرة وحفيده أحمد بن الحاج عبد القادر بن عجيبة.

- الطريقة الدرقاوية الحراقية أسسها الشيخ محمد بن محمد الحراق بتطوان (انظر الحراق) المشهور بأشعاره

وموشحاته وأزجاله الصوفية التي تنشد بأنغام الطوبوع الموسيقية. ولهذه الطريقة زوايا في كثير من المدن المغربية، ومن أشهر أتباعها محمد العربي الدلائي دفين الدار البيضاء.

• الطريقة الدرقاوية الدباغية بفاس، أسسها الشريف الإدريسي عبد الواحد الدباغ (انظر الدباغ عبد الواحد) من كبار تلامذة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع الدباغ الشيوخ أبو بكر بناني بالرباط وعبد السلام الفكيكي بفاس، ومحمد المهدي بن محمد ابن القاضي.

• الطريقة الدرقاوية الغمارية بالريف، قام بتأسيس هذا الفرع بتوشكان ببلاد بني منصور في غمارة الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري، أحد تلامذة مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع هذه الطريقة أحمد أيوب الفاسي شيخ عبد الواحد بناني الفاسي، والحاج محمد الربيع الفاسي شيخ سيدي أحمد بن الحياط الزكاري ومحمد برادة. وكان لسيدي الحاج أحمد بن عبد المومن ولد هو الحاج الصديق توفي بتوشكان سنة 1334 / 1915 وخلفه ولده الحاج محمد الذي كان مقدما للزاوية الدرقاوية بطنجة إلى أن توفي سنة 1936 وخلفه ابنه أحمد بن محمد الصديق.

• الطريقة الدرقاوية الفاسية أسسها الشيخ محمد الفاسي الذي توفي بمكة المكرمة. وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن الحسن بن حمزة الطافر الذي تتلمذ بدوره على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وأسس الطريقة المدكانية.

• الطريقة الدرقاوية الزرهونية أسسها مالك الزرهوني تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، وأشهر مريديه محمد بن علي كرمات بزرهون، والحسين الزرهوني الذي استقر بدكالة، والعياشي أبو شمامة بمكناس.

• الطريقة الدرقاوية المهاجية بالجزائر، أسسها الشيخ بوعزة المهاجي الذي تكون علي يده الشريف الوكيلني محمد القدور من قبيلة كركر بالمغرب الشرقي : وتتلمذ لهذا الشريف الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمان الهبري من عائلة أولاد بوعزة المرابطية القاطنة بضفة وادي كبسر من قبيلة بني خالد ببني يزناسن. وللهمبري أتباع كثيرون بالجزائر، أشهرهم محمد البودالي مؤسس زاوية العيون بالبرانيس، وحمو البوزيدي شيخ ابن عليوة مؤسس الزاوية الجديدة بناحية وهران زاوية العليويين. ومحمد بن يلكس التلمساني، شيخ الغوتي التلمساني. وتأسست كذلك في الجزائر فروع أخرى للطريقة الدرقاوية، منها :

زاوية بوشنتوف بن عبد الله.
وزاوية غيلان أحمد ولد عدة من أولاد الأكرد بتيارت
وزاوية ابن إبراهيم الحاج مصطفى بن محمد
وزاوية عبد القادر بن علي بكاشرو
وزاوية محمد بن أحمد الحشاوي بتلمسان
وزاوية سليمان بن جنان بسيدي بلعباس.

• الطريقة الدرقاوية السوسية، أسسها الشيوخ سعيد المعدري مقدم زاوية المعدر، والحسن التاموديزتي، والشيخ

علي بن أحمد الدرقاوي والد الشيخ محمد المختار السوسي، ومحمد بن عبد الرحمن الدرقاوي في قبيلته إدأوئغما الحاحية، وغيرهم.

• الطريقة الدرقاوية الشياظمية بدكالة، أسسها المقدم محمد الشياظمي بعد رجوعه من فاس إلى مدينة الجديدة حوالي سنة 1293 / 1876 فكان يجتمع بالفقراء الدرقاويين كل مساء في زاوية درب الطويل، وهي من تأسيس الشيخ محمد الزوين العبدوي (ت. 1281 / 1864) فكانت شخصية المقدم محمد الشياظمي القوية والثقة التامة كان يتمتع بهما لدى شيوخ الطائفة الدرقاوية من العوامل التي ساعدت على النهوض بهذه الطريقة، وجعلتها تنتشر في نواحي دكالة انتشاراً واسعاً لم يسبق له مثيل، حتى دُعيت بالطريقة الدرقاوية الشياظمية.

أ. ابن الحياط الزكاري، تقديم رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ط. حجر فاس 1318؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء 1956؛ سلسلة مدن وقبائل المغرب، الجزء 10، قبائل دكالة : م. الشياظمي، تر. الفقيه المقدم سيدي محمد الشياظمي الحاجي السباعي، مخطوط.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياظمي

دَرْقَة، كتلة جبلية تقع شمال تطوان، وهي منتمية إلى ما كان يعرف بجبال مجسكة الممتدة من جبل موسى شمالا إلى جبل أيشقار أو جبل دَرْسَة المشرف على مدينة تطوان جنوبا، وكتلة الدرقَة على العموم هي القسم الهضبي المرتفع (بين 400 و632 م) المتصل من جهة الشمال بكتلة جبل الفتح المهر.

يعود أول علمنا بهذا الاسم إلى ما ذكره أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) فقد جعل حدوده الجنوبية منتهية بإشراف جبل أيشقار، وهو نفس المكان المعروف حالياً بجبل دَرْسَة (مركز البث لإذاعة تطوان الجهوية). وأشار من جهة أخرى أن جبل درقة متصل ببلاد غمارة، يسكن آخره من غمارة بنو حسين بن نصر. والمسافة بينه وبين مدينة تطواين لا تتجاوز حسب مصطلحات الوقت "السكة الواحدة". وهو في نظره في غاية المناعة، وتنسبط في أعلاه مسارح واسعة ومروج خصبة للماشية. وفي القرن الخامس (11 م) كان جبل درقة قاعدة بني مرزوق بن عون المصامدة، المستقرين بقرية صدينة، الغنية بالمياه والمزارع.

ويمثل جبل الدرقَة القديم على عهد الحماية الفرقة المسماة في السجلات الإدارية بالحوز الصديني، ويبدو أن عدد كواين الحوز بلغ حوالي سنة 1930 نحو 557 كانون، تمثلها تجمعات قرى العلوية، وبني عمران والكدان وترانثت وسمسة وواد أكلا وجعابقي وصدينة. أما في الوقت الراهن فهي محددة بشريا بقرى العلوية والمسحر وسمسة والواديين

ومرزوقة وأسرور ويني عمران وأبو نزال وفندلاوة وصدينة. ولجبل درقة تاريخ في حركة مقاومة الوجود البرتغالي بسبته منذ استقراره بالمدينة، إذ أنه كان مركز الحملات الجهادية المنطلقة نحو سبته خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م)، قبل تجديد مدينة تطوان من لدن الأندلسيين المهاجرين بمساعدة باقي قرى مجسكة العليا. فالجبل كان مستقر رئيس المجاهدين عب (عبد الله) محمد المتزعم لحركة الجهاد بين 1415 و1420، وهو نفس موطن أحمد بن سلام بن مرزوق الصديني المتزعم لغزوات 1429 و1430.

ولجبل الدرقية وأهله فضل أول انتصار بارز على القوات البرتغالية التي قادها العاهل البرتغالي ألفونسو الخامس (1438 . 1483) حين غزا الجبل في مستهل سنة 1464 بنحو ثمانمائة من فرسانه في إطار ما سمي لديهم بحملة بني كوف أو النزعة العسكرية. كان القواد قد أعلنوا للملكهم عن تجمع سكان جبل الدرقية، بمجرد تجاوزهم واد أليلى إلى قرية العلوية، ولا حظوا إثر ذلك تزايد عددهم كلما تقدموا نحو الداخل. وحينما وصلوا إلى قرية صدينة شعروا بخطر الموقف.

ويشير الإخباري كومس إيانس دي زورارا في هذا الصدد إلى الجماعة المغربية التي اقتربت من موكب الملك متظاهرة بالمسالة، وغايتها متركة على استطلاع أحوال القوات الغازية. وحينما عرض عليها الفونسو الخامس

الخضوع أجابت بأنها ستبحث الأمر مع باقي القرى الأخرى. ويستطرد زورارا قائلاً: "وبعد مرور برهة ظهرت جماعة منهم بإزاء قرية صدينة، فقالت أخبروا ملككم أننا لا نريد معه إلا الحرب، ورجالها المرافقون يجذبون شعر لحامهم بأيديهم ثم يضعونها على رؤوسهم، وكأنهم بتلك الإشارة يحلفون بالانتقام في ذلك اليوم لما لحقهم منهم من الظلم وما أصابتهم على أيديهم من أضرار".

ولم ينتظر أهل جبل الدرقية كثيراً، إذ أن الفرصة كانت مواتية حينما بدأ الفرسان البرتغاليون في الانحدار على مسالك السفح الجنوبي سيراً في اتجاه مدينة تطوان لقضاء الليلة هناك. فمن بين ثمانمائة فارس المرافقين للعاهل البرتغالي لم ينج منهم سوى النصف. وكانت اللحظة الحاسمة هي التي أوقعت ضون ضوارتي دي منيسيس، حاكم القصر الصغير في قبضة المغاربة، ومقتله أفرغوا من صدورهم أعظم النقم على البرتغاليين. وفي يوم 21 يناير 1464 عاد الملك إلى سبته متحسراً بنصف القوة التي زحف بها.

أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس، 1965؛ ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالشغور الشمالية المغربية، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة.

Azurara, Cronica de D. Duarte de Meneses ; Geografia de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa, t. 2, Madrid, 1936

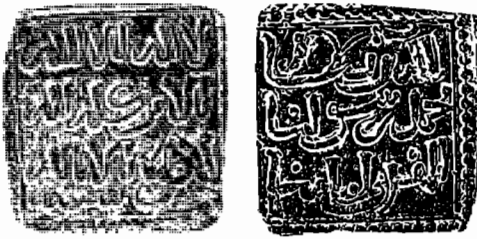
حسن الفكيكي



- جبل درقة المشرف على تطوان وهو من كتلة جبال درقة -

ولما كان وزن القيراط يساوي بين ثلاث حبات وأربع حبات من الشعير مع وجود اختلاف بين أوزان نفس الحبات بسبب اختلاف أحجامها، فقد اتفق جميع فقهاء المذاهب المالكية والحنابلة والشافعية على أن وزن الدرهم الشرعي يساوي خمسين حبة وخُمسي حبة من الشعير الوسط (50.4 ح) والدينار 72 حبة، ويختلف عنهم فقهاء الحنفية الذين يجعلون الدرهم سبعين حبة والدينار 100 حبة فكانت الوحدة الأساسية للوزن هي حبة الشعير في الاستعمالات الفقهية. إلى هذا الحد تعتبر المسألة غير ذات إشكال لأن الفقهاء والتجار وغيرهم وقفوا بالوزن عند حدود استعمال حبات الشعير، واتخذوا عبارات وصنوجا خاصة لمراقبة أوزان الدراهم.

وفي الفترة المعاصرة حينما أراد العالم الإسلامي توظيف وزن الكرام في تحقيق أوزان النقود بدلاً من الاعتماد على وزن حبات الشعير، صادف عسراً شديداً ابتداءً من منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وقد وقفنا على أن البلاد العربية تستعمل أوزاناً مختلفة للدرهم الشرعي على الرغم من أن الضرورة تدعو المجتمع العربي والإسلامي إلى توحيد مثل هذه المقاييس والأوزان، وخاصة تلك التي تتعلق بها الأحكام الشرعية، ففي مصر - مثلاً - حددت لجنة علمية بأمر محمد علي باشا سنة 1845 أي وزن الدرهم الشرعي في 3.0898 جرام، وفي الجزائر شاع استعمال وزن يساوي 3.125 جرام، وفي تونس استعمل وزن 2975 جرام وفي المغرب استعملت عددة أوزان نذكر منها 2931 جرام، وفي خضم هذه الأوزان المتباينة للدرهم الشرعي حاولنا إيجاد حل لهذا التباين والارتباك الحاصل في عدد من الوثائق والوقائع.



درهم موحد مربع الشكل ضرب بسبته

وقبل ذلك قمنا بوزن عينات من الدراهم الشرعية المنتمية لعدة عهود من مجموعات نقدية مختلفة باستعمال أحدث الموازين الإلكترونية، وكانت النتيجة غير ذات قيمة لأن المسكوكات القديمة لم تتوفر لها الدقة المتناهية في الوزن وإن أي قطعة لا تحافظ على وزنها الأصلي بسبب النقص أثناء التداول. كما أخضعنا عدداً من أصناف حبات الشعير للوزن لمجرد الاستثناس.

الدرهم، قطعة فضية معلومة الوزن تسلسل استعمالها في عهود الرومان البيزنطيين والفرس الساسانيين. وفي صدر الإسلام وقع تحقيق وزنها بناءً على إصلاح الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده إصلاح عبد الملك ابن مروان الأموي لوجود نوعين من الدراهم الكبيرة والصغيرة من ثمانية دوانق وأربعة دوانق، واتخذ الدرهم الشرعي أوسطها من ستة دوانق، وتساوي خمسة عشر قيراطاً، وحُد القيراط بعدد من حبات الشعير، كما وقع تحديد العلاقة بين الدرهم الفضي والدينار الذهبي في هذا الإصلاح بكون "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار" ونعود لتوضيح مضمون هذا الإصلاح في إطار الدرهم المغربي لاحقاً.

وقد بدأ المغاربة يستعملون الدرهم وبقية النقود الإسلامية منذ مجيء الطلائع الأولى للفتح الإسلامي في منتصف القرن الأول للهجرة (7 م) سواء منها المسكوكات الأموية المضروبة في الشرق أو المسكوكات التي ضربها ولا تُهم بطنجة والأندلس، ثم بعد ذلك استعملوا الدرهم في مسكوكات الدول المغربية بدءاً من الدولة الإدريسية وسائر الدول المتعاقبة على عرش المغرب إلى اليوم، بما تخلل ذلك من استعمال نقود الدول الأجنبية ومعادلتها بالدرهم والمثقال والدينار.

إن تعدد السكك وتداخلها واختلافها في الوزن والصفة والعيار جعل وزن الدرهم يعرف تضارباً في الزمان والمكان، بالنقص والزيادة في وزنه مما جعل سلاطين الدول المغربية يسعون دائماً إلى إصلاح هذا الوزن وتحسين هيئته وصفاء فضته.

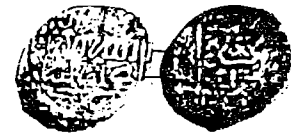
ومعلوم أن ارتباط قيمة النقود المعدنية بوزنها تعتبر قاعدة قديمة للعملة لأن المعادن النفيسة، خاصة الذهب والفضة، تحمل قيمتها في ذاتها. فالوزن أساس في تحديد القيم.

كان تحديد الدرهم والدينار من حيث الوزن مسألة خصصها الفقه الإسلامي باهتمام بالغ نتيجة اتخاذها وسيلة للتبادل من جهة، وارتباطها بالأحكام الشرعية وأداء الحقوق مثل الزكاة والدية والصدقات والكفارة وغيرها، فاستوعب من أجل ذلك مجال الوزن نقاشاً واسعاً بين الباحثين.

وكان تحديد وزن الدرهم - كما أسلفنا - يساوي ستة دوانق أو خمسة عشر قيراطاً، فالدانق من اللغة الفارسية وهو سدس الدرهم، والقيراط من اللغة اليونانية من وحدات الوزن وهو جزء من 24 جزءاً من أي كتلة معدنية. وكانت العلاقة بين الدرهم والدينار بحيث يزن الدرهم 15 قيراطاً والدينار 22 قيراطاً، فالعلاقة بين 15 و22 هي نفسها التي وقع تحديدها من قبل الفقهاء بأن "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار".

ولما كان الأمر يتعلق بالنقود المغربية فقد عمدنا إلى ترجيع وزن الدرهم الشرعي الحسني الذي حققه السلطان مولاي الحسن أثناء إصلاح النقدي سنة 1298 / 1881 حققه بناء على مبدأ الإسناد، حيث اعتمد على الوزن الشرعي المتسلسل بالإسناد عن وزن السلطان مولاي إسماعيل عن إصلاحه لسنة 1766 عن وزن السلطان مولاي إسماعيل عن وزن درهم الشرفاء السعديين عن وزن السلاطين المرينيين وغيرهم من ملوك دول المغرب. ويتأكد هذا في الظهير الحسني الصادر لمحمد برغاش (الإتحاف، ج. 2، ص. 431) وقد صمم المهندسون والصاغة المغاربة بناء على هذا الإسناد "أمثلة" أولى للوزن المحقق، وما أن بدأت دار السكة في باريس تضرب القطع الأولى من النقود المغربية سنة 1881 ووصلت الدفعة الأولى من الدراهم الجديدة حتى اكتشف الأمناء خطأ تقنيا يتعلق بفساد وزن النماذج الأولى لأسباب لم تفصح عنها الوثائق، فتوقف الإصدار فوراً وجمع السلطان العديد من كبار الفقهاء والقضاة والأمناء والصاغة لتصحيح الوزن الشرعي وإصلاح النماذج الفاسدة، فصنعوا الدرهم الشرعي المحقق بكميات كبيرة أرسل منها السلطان 120 نسخة لمحمد برغاش بطنجة وعلى أساسها ضبط وزن الدرهم المغربي بدار السكة بباريس بما توفر له من وسائل ضبط الوزن الحقيقي البالغ : 2.9116 غ، وقد تتبعنا كيف وقع الاعتماد على هذا الوزن والالتزام به بالمغرب بصرامة من خلال مراقبة الأمناء للسكك التي ترد من باريس، وفحص حسابات لوائح المراقبة، وكذلك بفحص القطع المضروبة بدار السكة في مأكينة فاس، وقد التزم بهذا الوزن جميع الكتاب الأوروبيين الذين أرحوا للنقود المغربية، أمثال سيدبون Sidbon وميشوبيلير Michaux-Bellaire ومارتي Marty ودنيل أسطاش D. Eustache.

ولقد تمكنا بفضل الوزن الشرعي للدرهم الحسني وهو (2.9116 غ) من تحديد ثلاثة عناصر أخرى تعتبر ضرورية لمعالجة الجوانب المبهمة من المنظومة النقدية حيث استنتجنا منه بالطرق الرياضية وزن القيراط = 0.1941 غ ووزن حبة

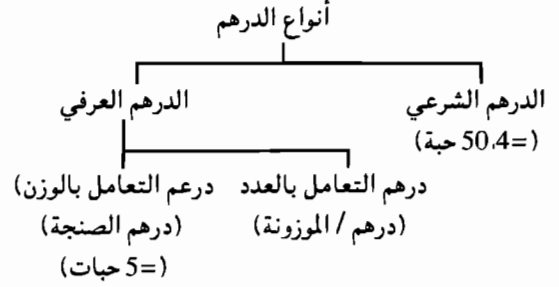


الدرهم الاسماعيلي

الشعير المتوسط = 0.05777، ووزن حبة الشعير المحلية (السوسية) = 0.04412 غ (النقود المغربية في القرن الثامن عشر، ص. 13)، وعلى أساس هذه الأوزان أمكن حل كثير من مبهمات النصوص والوثائق.

ومن الوجهة التاريخية استعمل المغاربة الدرهم وحدة أساسية للعملة المغربية منذ عهد الأدارسة عبر عهود الدول التي تعاقبت على عرش المغرب. وابتدع الموحدون الشكل الهندسي المتميز "الدرهم المربع" كما ابتدعوا أوزاناً نقدية مخالفة للأوزان المعروفة بالغرب الإسلامي، وعرف المغرب منذ هذا العهد، أنواعاً من الدراهم من حيث الوزن، واستمر شكل الدرهم المربع إلى أن ألغاه السلطان مولاي رشيد العلوي في إصلاحه النقدي سنة 1666. أما من حيث الوزن فقد خضع الدرهم لتغييرات كبيرة خلال المراحل التاريخية، ففي العهد المريني عُرِفَت الدراهم الكبيرة والصغيرة أو الدراهم الشرعية والعرفية حتى لم يعد الدرهم وحدة للعملة في مجال الحسابات النقدية الفضية، وتخلف عن العهد السعدي استعمال المثلثات وبالأخص "المثلثات الأحمدي" المنسوب لأحمد المنصور الذهبي من 2000 حبة والدرهم الأحمدي من 5 حبات، ومنذ العهد العلوي، وإن كان الدرهم الشرعي يحظى بإصلاحات أهمها في عهد السلطان مولاي رشيد. 1666 وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله 1766 وفي عهد السلطان مولاي الحسن 1881، فالوحدة الأساسية المستعملة هي المثلث الفضي من عشرة دراهم شرعية، ومنذ إصلاح 1766، لم تعمر سجلات المخزن في مختلف الحسابات إلا هذه المثلثات مصروفة بالأواقي والموزونات والفلوس النحاسية، واستمر استعمال وحدة المثلثات إلى نهاية القرن التاسع عشر. وقد تعرض الدرهم في هذه الحقبة إلى اختلاف هائل في الوزن والصفة والعيار مما جعل التجار والفقهاء والقضاة منذ القرن التاسع (15 م) يعتمدون على الوزن لفض النزاعات بين الناس في جميع السكك، فكان الدرهم يدعى درهم التعامل أو درهم العرف، أو الدرهم الصغير أو درهم الموزونة أو الدرهم المنسوب : مثل الدرهم الأحمدي والدرهم الرحماني وأحياناً يقال درهم تاريخه كل ذلك لأنه أقل وزناً من الدرهم الشرعي الذي يوصف بأنه الدرهم الكبير أحياناً أو درهم الكيل أو درهم السنة وهو قليل. ويلخص عمر الغرسيفي أسباب هذا الاختلاف بقوله "إن درهم التعامل بالبيع والشراء في الأسواق (...) غير محصور بحد، فمنه صغير وكبير ومتوسط، وسبب ذلك اختلاف أغراض الأمراء ومقاصدهم، (...) وضاربي السكة في ذلك" مما يتعلق بعض أسبابه الأخرى بقله المعادن النقدية وخاصة الفضة. وقد عرف المغرب نوعين من الدراهم : الدرهم الشرعي

والدرهم العرفي، وكان الدرهم العرفي أودرهم التعامل ينقسم إلى قسمين درهم التعامل بالعدد ودرهم التعامل بالوزن. كما يوضح الجدول التالي :



وقد استعملت كلمة الموزونة الفضية والقصد منها في الأصل هو ربع الدرهم الشرعي، ثم أصبحت تطلق كل قطعة فضية تنقص عن وزن الدرهم الشرعي، وبقيت كذلك إلى أن قام السلطان مولاي الحسن بجعل الموزونة عبارة عن قطعة نحاسية تساوي جزءاً واحداً من مائة جزء من الفرنك الفرنسي في بداية القرن العشرين في عهد السلطان مولاي عبد العزيز حيث يساوي المثلثال المغربي 500 سنتيماً قياساً على الريال الفرنسي من خمس فرنكات.



الدرهم الحسنى وربعه (الموزونة)

والتطورات الأخرى التي عرفها الدرهم المغربي الذي بقي مستعملاً كوحدة أساسية للعملة بعد الإصلاح الحسنى 1881، وفي عهد الحماية استعملت العملة الفضية التي ضُربت في العهود الحسنية والعزيرية والحفيفية، وكان الدرهم قد غلب عليه اسم "البسيطة الحسنية" في تقدير صرف العملات لدى الأبنك الأجنبية لارتباطه بالريال الإسباني قبل الحماية.

ومند تأسيس البنك المخزني الميثيق عن مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 وقع ربط الدرهم برأسمال البلدان المتمثلة في المؤتمر المذكور، وبما أن إدارة البنك المخزني عهد بتسييرها إلى بنك باريس والبلاد المنخفضة، فأنشأ فروعاً في طنجة والدار البيضاء والصويرة وسك نقوداً سنة 1911. وفي بداية الحماية عرفت الفضة ارتفاعاً حاداً تضاعفت أثمانه نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى مما جعل سلطة الحماية بالمغرب

تسحب العملة الحسنية الفضية من التبادل نهائياً وأصدرت ظهير 19 مارس 1920 بإلغاء الدرهم المغربي وإحلال الفرنك المغربي كله ابتداءً من دجنبر 1921 واستمر خلال فترة الحماية إلى ما بعد الاستقلال حيث تم التصريح لصندوق النقد الدولي بالوحدة النقدية الجديدة وهي الدرهم في أكتوبر سنة 1959. وفي سنة 1960 وعلى أساس الوحدة النقدية "الدرهم" وضع الإطار التأسيسي للسياسة النقدية المغربية المعاصرة. وتعززت سيادة المغرب وخاصة بعد تأسيس دار السكة المباشرة لعمليات الإصدار بضاحية مدينة سلا سنة 1987. وعرف الدرهم المغربي من الناحية الاقتصادية والمالية عدة تطورات خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين.

الكروملي أنسطاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط 2، القاهرة، 1987؛ حلاق حسان علي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، 1978؛ حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 23 سنة 1999، ص. 109 - 230؛ ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، أكادير، 1988؛ النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993؛ ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، الإيضاح والتبيين في معرفة المكيال والميزان، دمشق، 1980؛ ع. الكرسيفي، رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس، ملحق بكتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ ابن جزي، القوانين الفقهية، الرباط، 1962؛ لومبا رموريس، الإسلام في مجده الأول، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, R.M.M., vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat 1884 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes H.T.*, vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa metrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiaie mauretanie*, Paris, 1955 ; Hassane Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue de l'Institut de Cartage, 1932, p. 145.

عمر أفا

الدرهم، أو الدرهم احماذ الباعمراني، يعرف بالسي احماذ الدرهم.

يعود سبب حرصنا على جرد أهم محطات هذه الشخصية المتميزة بسلسلة جبال أيت باعمران و الصحراء الأطلسية إلى سببين أساسيين : أولهما إقرار الفاعلين الدينيين بقيمة السي احماص التاريخية كأكبر وجه للجهاد خلال القرن العشرين بهذه المنطقة بعد الشيخ ماء العينين. ثانيهما تثبيت الفاعلين السياسيين وقدماء جيش التحرير بضرورة اعتباره نموذج المقاومة الذي سخر حياته لمحاربة الوجود الفرنسي والإسباني.

إذا كان مفهوم الجهاد حسب المبادئ الفقهية يختلف شكلا ومضمونا عن مفهوم المقاومة كما تحدده سوسيولوجيا المجابهة السياسية والحربية، فإننا نكون أمام مشكل نظري يزيد من القيمة المختبرية لهذه الشخصية ويجعلها مرجعا للمهتمين بتحديد المفاهيم في هذا المضمار. لقد أوضحنا غير ما مرة أن الجهاد والمقاومة مفهومان يختلفان لفظا ومعنى (م. ناعمي، مفهوما الجهاد والمقاومة، المقاومة المغربية 1904 - 1935، أكادير، 52 - 60). وهو سبب كاف للالتكباب على خصوصيات الأسباب الحقيقية التي جعلت من السي احماص ذاتية متميزة ارتبطت في ممارستها بكل الفاعلين الدينيين والمقاومين على اختلافهم إلى أن خرجت الدولة الإسبانية من الصحراء سنة 1974. فمن يكون السي احماص ؟ وهل استطاع إرساء نهج جديد وأسلوب يجمع بين الجهاد كمرابطة دينية يومية بمعناها ولفظها والمقاومة كمبرر سياسي دنيوي يستهدف التسيير والإدارة بعد طرد الاستعمار ؟

للإجابة عن السؤالين لا بد في البداية من التعريف بالمؤهلات الفطرية التي كونت شخصية السي احماص طفلا وثبتت مساره رجلا. ولكي نبدأ بانعكاسات بيئته ومجتمعه على تربيته الأولى، يجب أن ننطلق بما يكفي من التفصيل من الهيكل المجتمعي أبا مكحول أيت اعلي حيث ولد سنة 1327 (1909).

ما يميز سلسلة جبال أيت باعمران على الساحل الأطلسي شمال الصحراء هو موقعها القريب من جزر كناريا. أهمية الموقع هذه تجعل منه مجالا أصح ما يكون للتحصينات الجبلية المنيعه. هذا ما يفسر تهافت مجاهدي الغور السكاني الجزولي اللمطي الكوشي على التمركز بقمم أيت باعمران، شأنهم في ذلك شأن المد الإسباني الذي سعى منذ القرن التاسع (15 م) لتحسين مواقعه. وبذلك تكون هذه السلسلة الجبلية قد شكلت جبهة متقدمة لاصطدام الجهاد بالمد الصليبي وفي نفس الوقت قاعدة لتسرب الحملات الإسبانية نحو مدن وقري وادي نون وباني وتمنارت. يتجلى بذلك دور مراقبة أيت باعمران في حصر الدلالة الفعلية لفصائل ووحدات سخرت نفسها للمجابهة والجهاد. لا أدل على ذلك من كون جل الأولياء والصالحاء المدفونين على امتداد جبال أيت باعمران والصحراء ينتمون إما إلى أيت إيعزى أهدي (المعلمة، 2 : 517-518) أو إلى

أولاد بو السبع أو رگراگة. هذه القبائل كانت تمثل خلال القرن العاشر (16 م) رموزا للمرابطة الدينية المسلحة انطلاقا من حوز مراكش في اتجاه رياطي أسفي والبريجة وغيرهما من جبهات مواجهة المد الصليبي. كان الفقه التقليدي يعالج يومها موضوع الجهاد كمنهج وسلوك معياريين سائدين يحثان على اتباع أساليب تحالفية لصيقة بمدى تجانس الوحدات والفصائل السلالية. نكون من هذا المنطلق قد وصلنا إلى نوعية العلاقة التي تربط أسلاف السي احماص بمجاهدي أيت باعمران.

إذا نحن حاولنا دراسة السلوك المميز لشخصية السي احماص وجدناه ينتمي إلى فصيلة إيد وارحمان المقيمين بتالوست - ن - أيت أيوب بأيت باعمران. وإذا نحن تساءلنا عن كون احماص وارحمان الجد الفعلي للفصيلة، فإن الوثائق العائلية تكشف عن قدومه من زاوية عبد الله بن ساسي السباعي بحوز مراكش في فترة تنحصر في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري. وسيلتنا الوحيدة للتأكد من صلاحية هذه المقولة هي أقدم وثيقة يتوفر عليها إيد وارحمان المؤرخة بسنة 1077 (1666). نقرأ خلالها أن أفقير عيسى بن احماص وارحمان الأيوبي الباعمراني قد اشترى قطعة أرضية مسقية تدرج في سياق توزيع تركة فاطمة بنت محمد الهشتوكي. فنتساءل إلى أي مدى لعبت هنا قاعدة السكنى مع الأحوال والمصاهرة في تحديد علاقة حفيد احماص وارحمان هذا بأيت أيوب ؟

جواباً على هذا السؤال، تثبت وثيقة مزامنة اقتسام أفقير عيسى وأخويه اللود واحماص وأختهم تركة المسماة فاطمة بنت محمد الهشتوكية. مهما يكن من أمر علاقة هؤلاء الورثة بهذه المورثة، فإننا نتأكد بتلك الوثيقة من قدرة احماص وارحمان وأبنائه على تجنيد قدراتهم التحالفية وإمكاناتهم الذاتية في تحصيل قطع مسقية بعين المكان منذ القرن الحادي عشر (17 م). فنتساءل إلى أي مدى لعبت قاعدة السكنى مع الأصهار في تحديد انتماء أبناء احماص وارحمان إلى فصيلة أيت أيوب ؟ ما يشد الانتباه هنا هو دور قواعد السكنى مع الأصهار في تحديد قواعد الانتماء القبلي. على أن المركز الاجتماعي لأفقير عيسى ونوعية الوظيفة التي كانت تميزه اجتماعيا تبدو أنها سهلت بشكل حاسم اندماجه في أيت أيوب. فما هي هذه الوظيفة ؟

إذا نحن ركزنا على دور زاوية عبد الله بن ساسي على المستويين السياسي والديني وعلى دور السباعيين ورگراگة في مجابهة المد الصليبي بدعم من قطبي سوس سيدي احماص أو موسى وسيدي امحمد أو براهيم الشيخ، نكون قد وصلنا عمليا إلى الأسباب التي هيأت اندماج أفقير عيسى السريع في أيت أيوب. ذلك أن الرواية الشفوية المحلية تنسب أبناء احماص وارحمان إلى هؤلاء السباعيين الذين ما تزال كثرة قبورهم على امتداد سلسلة جبال أيت باعمران مدعاة للتبجيل والاحترام. تفيض الرواية الشفوية في

وجوب اعتبار أفقير عيسى وجهها صوفياً يتجلى دوره الأساسي في كل ما تحيط به الممارسات المحلية من قدسية. فما تزال خلوته وبيته وقبره وموسمه السنوي المصادف لموسم سيدي احماد أو موسى كل صيف بتازروالت، تمثل دلالات واضحة على حجم ممارساته الصوفية. هذا المعطى الوظيفي يكشف بما لا يدع مجالاً للشك أهمية العامل الديني في دمج أبناء احماد وارحمان في فصيلة أيت أبوب.

يصبح بإمكاننا نهج مقارنة استنباطية حول مغزى شراء أفقير عيسى قطعتين أرضيتين مسقيتين بتالوست. من شأن هذا السؤال أن يقودنا إلى العوامل التي أهلت أبناء محمد وعمرو ومحمد وإبراهيم ومريم لتصدر الوظيفتين الدينية والاجتماعية بعد وفاة أبيهم. ذلك أن لدينا ما يكفي من الأدلة الموثقة التي تثبت أن عمرو قد جسد امتداداً فعلياً لموروث أبيه القيمي في مجتمع لم يعد في حاجة ماسة إلى صد الهجمات الإيبيرية. كما أن لدينا ما يكفي من أدلة الإثبات للتأكد من دور إبراهيم ومحمد في توسيع دائرة ممتلكات إيد وارحمان من حيازة للقطع المسقية. من هذا المنطلق تبدو حيازة الأراضي أكثر فاعلية للاستجابة لمتطلبات الانسجام بين الزاوية ومستلزماتها.

إذا ما نحن اقتصرنا على الوثائق العائلية، فإن مسعى أبناء أفقير عيسى وخاصة منهم إبراهيم، يتمثل في استقلالهم بمجال محدد بتراب تالوست. ذلك أن الانطلاق من وحدة مجالية يبدو ضرورياً لتحقيق الانسجام بين الممارسة الدينية ومستلزماتها المادية. فنكون بذلك قد وقفنا على دور العامل الصوفي في تأسيس خلية تتمتع بحياسة قدر من القطع الأرضية موروثية أو مشتراة. هذا ما نستخلصه من وثائق إبراهيم بن أفقير عيسى ابتداء من سنة 1113 / 1701. هذه التعبئة ستجعل من المرباط سيدي علي بن إبراهيم بن أفقير عيسى نموذجاً للسلطة المحلية التي تحولت تدريجياً إلى سلطة تجمع الدين والدنيا. فعلاوة عن امتنانه للقضاء، نجده بمثابة سلطة مرجعية من المنظورين الاقتصادي والاجتماعي. ذلك أن عدد رسوم تملكه الأراضي البورية والمسقية ينضاف إلى مقولة سائدة تجعل منه مشتري الأراضي الشاسعة الممتدة من كدية الحجل بقم فست إلى أساكا. فتتجلى بذلك ممارسته كتمفصل لأشكال مجالية فرعية متزايدة من الهيمنة السياسية والاقتصادية طبعت تاريخ أيت أبوب. من هذا المنطلق تبدو مصاهرة المرباط سيدي علي لكبير إزرغيين حمو سعيد قائد المولى إسماعيل على حامية تكتة المتوجهة يومها إلى إمارة الترارزة قصد حماية علي شندورة بمثابة كشف لأهميته السياسية بجمال أيت باعمران. تزوج المرباط سيدي علي من الزهرة أو سعيد التي كانت تقيم مع باقي أفراك إزرغيين المقيمين يومها بازربولة وأوزرولت وأوربورة قريباً من قم فست وأساكا. وبذلك يكون المرباط سيدي علي قد عمل على ترسيص أسس الصورة الفعلية للعلاقات بين إيد

وارحمان وحلفائهم من تكتة. كانت فصائل إزرغيين تمثل يومها قسماً هاماً من أيت بوليد أزوافيط. وهو ما سهل على المرباط سيدي علي مهمة الظهور بمظهر الخليف الفعلي لجيرانه ووسيطهم لدى أيت باعمران. كان منطلقه في صياغة علاقة التحالف هو مبدأ التعايش والتساكن كما تدل على ذلك وفرة المشاكل التي أسهم في حلها كتابة. فالوثائق تفترض حداً أدنى من الانضباط والتسامح المتبادلة بينه وبين المتداعين لديه.

ذلك كان التزام المرباط سيدي علي أو إبراهيم بمجموعة من الأعراف والاتفاقيات الضمنية التي تنظم وتؤطر الحركة الاجتماعية بتالوست. أما الضوابط التي كانت تتحكم يومها في العلاقات داخل إيد وارحمان، فأهمها نمط السلوك القرابي الذي يقتضي: أ - أفضلية الزواج من ابنة العم أو بنت ابن العم. ب - تمرير الإرث إلى أحد أبناء العم كرئيس متميز لإيدوارحمان.

تتقننا إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ 7 ذي الحجة 1242 / 14 - 7 - 1827 إلى وضعية خاصة تجعل من الفقير احماد مصدراً لبيع الزرع بالسلف. وهي مرحلة جديدة يدخل على إثرها الفقير احماد في توجه يجعل منه مروج السلفات المربحة. هذا التوجه التجاري سيزيد من أهمية الفقير احماد الاجتماعية والسياسية. يؤكد ذلك ما نقرأه في وثيقة مؤرخة بتاريخ 11 ربيع الثاني 1244 / 24 - 11 - 1825. فقد أخذت بعض العائلات تلتجئ إلى الفقير احماد كوكيل لكي يقوم مقامها وبدلاً عنها حتى تسترجع ما ضاع من إرثها معتبرة إياه كتابة بمثابة ولي أمرها. بل وتزيد الوثيقة لتؤكد أن هذه العائلة قد كلفتها "تكلفة صحيحة تامة عامة تجمع أبواب الوكالة كلها على الإطلاق من المخاصمة والمحكمة وعلى الإقرار والإنكار واليمين إن وجب والصلح إن ظهر وقلب اليمين إن أمكن..."

تكمُن أهمية هذه الوثيقة في معالجتها بما يكفي من الوضوح لدور الفقير احماد على المدى الطويل من حيث هو كسلطة مرجعية من المنظورين الاجتماعي والسياسي علاوة عن دوره الاقتصادي. والوثيقة تعكس سعة معارفه القضائية وقدرته على تناول قواعد المعاملات بما فيها الطارئة. إن اعتباره الشخص القيم على الشؤون الشرعية والمسؤول لنصوصها ترسم طريقاً معلوماً يجعل منه القادر الفعلي على تكييف الأحكام الشرعية مع النوازل الطارئة تعامللاً يحكمه التحدي الذي يفرزه الاجتماع البشري في هذه الحقبة بالذات.

توفي أفقير احماد بن عبد الرحمان بن المرباط سيدي علي في حركة (معركة) 1847 بعد أن تزوج عدداً من النساء مخلفاً من اثنتين منهن الجدود الحقيقيين لإدوارحمان الحاليين. فقد استند إلى واقع أسرته المندثرة بفعل الأمراض والأوبئة، مربياً أبنائه انطلاقاً من موروثه الاجتماعي والأخلاقي الذي يقتضي الجمع بين علمي الظاهر والباطن

واكتناز ما تأتي من الأموال. وهي منهجية تترجم فهما صحيحا لما كان يتوخاه المرابط سيدي علي. هذه المنهجية تبدو واقعية بما فيه الكفاية إذ تحقق التوازن بين المطالب الروحية والدينية والمادية وتزكي المرتبة الاجتماعية والسياسية للفصيلة. لم يعد الزواج الداخلي أمراً ممكناً ولا الارتباط بالسلوك القرابي القديم يفلح في تثبيت دعائم الفصيلة وفق المنظومة التطورية المتنامية. الجديد في هذه المرحلة هو ضرورة اعتماد التحالفات المحلية مع مختلف الفصائل كمنهجية لترصيص دعائم البنيان العائلي على جميع الأصعدة والمستويات.

هكذا تكونت من جديد نواة إيدوارحمان مقيمة علاقة عن طريق الزواج والمصاهرة. وجهت اهتمامها إلى سعة معارفها الفقهية والاجتماعية لترسم طرقاً أشبه ما تكون بتلك التي أتقنها أسلافهم بعين المكان. ونكون بذلك قد وصلنا إلى السي احمد كنموذج محلي يلخص تجربة أسلافه البعيدين منهم والقربين. فمن يكون السي احمد بن علي ابن إبراهيم بن أفقير احمد ؟

لا يختلف اثنان من الذين يعرفون السي احمد في أنه من الوجوه التاريخية التي يحق لنا أن نوليها ما تستحقه من العناية والاعتبار. فقد تجلّى السي احمد كرمز من رموز الجهاد ومجابهة الوجود الإسباني بالصحراء وأيت باعمران. وتحديداً فإنه يعد في نظر رجالات التحرير أكبر وجه للجهاد الديني المقدس ضد المد الإسباني خلال فترة ما بعد عشرينيات القرن العشرين.

إذا ما نحن حاولنا التأمل في مواقفه الجهادية من خلال مذكراته الهامة، وجدناه يبدأ مسيرته الذاتية بسرد نوعية الصراعات التي كانت تربطه بالوجود الإسباني. فبدل أن ينطلق من سرد تاريخ أسرته الديني والتجاري والسياسي، نجده ينطلق من استشهادات موثقة حول صراعاته مع الإسبان بترفاية ابتداءً من سنة 1933. فهو يذكرنا بسلسلة أحداث أدت إلى اضطرابات بطلعنا على تفاصيلها وجزئياتها شكلاً ومضموناً. كما نجده حاضراً في جوهر الصراعات التي واجهه من خلالها أيت باعمران الدخول الفرنسي سنة 1934 حين استعمل الطيران لمواجهة المجاهدين برقبة تيزي. يسجل في عبارات أخاذة المآل الذي آلت إليه المنطقة بعد أن قسمتها الجيوش الفرنسية والإسبانية. ينتهي به السرد إلى عبارة تحمل أكثر من دلالة حول منظوره للصراع القائم : "لا أعدى على الإسلام من إسبانيا".

هنا يفيدنا السيد إبراهيم الجماني الزفاطي الذي يعترف له بمجمل رجالات جيش التحرير الذين مارسوا بالمنطقة بدور بطولي حاسم، بأن السي احمد قد تصدر الأحداث السياسية متفرغاً للجهاد بشتى الوسائل التجارية منها والإجرائية المتعددة. وهو ما نستشفه بوضوح تام من مذكرات السي احمد حين يعتبر وصول الضباط الإسبان بتاريخ 6 أبريل 1934 بمثابة تحول نوعي في تاريخ المنطقة

يستلزم ترسيخ مفهوم الجهاد وتكريس كل وسائله الممكنة. يسجل السي احمد أن انخراط أيت باعمران وأهل وادي نون والصحراء في صفوف جيش الجنرال فرانكو سنة 1936 كان لسببين : أ - البحث عن سبيل من سبل العيش في ظرفية تميزت بشدة الأزمات. ب - وضع الجنرال فرانكو أمام التزامات بالخروج من المغرب بعد انتصاره. غير أن اندلاع الحرب الأهلية وبعدها مباشرة الحرب العالمية الثانية قد أسهمت في تعقيد الأمور. فقد تملص الجنرال من وعده بحجة أن الحلفاء قد بدأوا يسجلون الانتصارات تلو الانتصارات. وهنا يبدو السي احمد منشغلاً أشد ما يكون الانشغال بضرورة التأكيد على أهمية الروابط البنوية بين منطقة أيت باعمران ووادي نون والصحراء. فهو يؤكد أن القمع العسكري لن يأتي بأية نتيجة لأن تثبيت الناس بجوهرهم هو الدافع الأساسي إلى ظهور فكرة التحالف مع ما أخذ يعرف يومها بالحركة الوطنية. تسربت هذه الفكرة خاصة عبر أولئك الفقهاء والمتعلمين الذين كانوا يتابعون تفاعلات الحرب العالمية الثانية ويربطون اتصالات ظرفية مع بعض الوطنيين.

اختلقت الرؤى تدريجياً وتجلت صعوبة الفصل بين مفهومي الجهاد والمقاومة في غياب رؤية واضحة لم يعمل منظرو الحركة الوطنية على تلميعها. بل إنهم قد اجتهدوا في الربط بين صورة الزوايا والتحالف مع الاستعمار اعتماداً على بعض الحالات الاستثنائية آنذاك. هذه الإشكالية تعكس قدرة السي احمد على تناول مستجدات الحياة السياسية المعاصرة نظراً لسعة حجم معارفه وقدرته على تتبع أحداث الأربعينيات والخمسينيات.

على أنه ظل خلال هذه الفترة، وبالرغم على حضور والده علي بن إبراهيم بن احمد، القيم الأمين على أمور أسرته الشرعية والمؤهل لنصوصها والراسم لظرفها الاقتصادية والاجتماعية. يبدو ذلك من خلال التزامه الصارم بقواعد علاقات الجوار وقدرته الفعلية على حسم توجهات عائلته نحو مسار صحيح. لا أدل على ذلك من قدرته الفعلية على تصحيح مسار والده. فقد أدى شح موارد العيش المتاحة بسكان تالوست أيت أيوب إلى الرغبة في بيع ممتلكاتهم وأراضيهم المسقية إلى علي والد السي احمد. وإذا كان هذا الأخير قد توجه كلية نحو شراء هذه الأراضي، فإن السي احمد قد تعرض لهذه الممارسة مؤكداً ضرورة عدم سحق الجيران والمحافظة على ممتلكاتهم. ويبدو من خلال تفحص هذه الممارسة أن السي احمد كان منذ صغره يجسد وريثاً شرعياً للمرابط سيدي علي أو إبراهيم القيم على الأمور الشرعية لإيدوارحمان والمكيف لتعاقداتهم المجالية والسياسية. وظل يعتمد في الأساس على تقليد ما درج عليه إيدوارحمان من تحالف مع الجيران ومراعاة دواعيهم واقتضائهم البينة. من هذا المنظور، يمكن أن نستجلي صورة شبه متكاملة

لشخص السي احمد الذي كان يستهدف صيانة إيدوارحمان وأيت أيوب كافة من التصدع والانحلال والتفاسخ إعمالاً لقاعدة سد الذرائع. كما أنه كان يضيف على تكييفه مع تحديات فترته سمتين شرعيتين هما : عمل السلف وتلقي الناس لهذا العمل بالقبول. يمكن إذن أن نتفهم قدرته على الربط بين ممارسته الدينية والدنيوية. فقد كان من بين أول مهنيي السلطان محمد بن يوسف بسلامة العودة من المنفى. وقد اهتم أساساً بتدعيم سلطة الدولة المركزية الفتية خاصة بهذه المناطق البعيدة عن المركز. هذا ما يتضح جلياً من خلال معاينة كنانيشه الكثيرة عن هذه الفترة من تاريخ المغرب. فقد بادر إلى حث الملك على الدفاع عن عودة الصحراء إلى باقي المغرب. ولعل أكثر ما يثير الانتباه في هذا المضمار التماسه من الملك الحرص واليقظة تجاه المخططات الإسبانية مركزاً على ضرورة تحرير شمال البلاد وجنوبها من الوجود الإسباني. تتضح بذلك عناية السي احمد بتدقيق الأخبار في هذا الباب من خلال نشاطه المكثف داخل صفوف أيت باعمران ضد الإسبان.

يدرك المتتبع لأحداث 1956 - 1959 كما يوردها السي احمد، أنها تحدد التوجه الجهادي لهذه الشخصية المتميزة التي عانت بشكل خاص من تأمر الضباط الإسبان. فقد عمل بشكل حاسم على تحسيس الرأي العام المحلي والجهوي على ضرورة الرفع من مستوى المواجهة. فكان طبيعياً أن تتوج هذه الممارسة بنفيه من الصحراء سنة 1965.

هناك أسباب خاصة تحملنا على القول بأن نفي السي احمد ومصادرة ممتلكاته قد أفاده في استخلاص العبرة الأخيرة التي رافقته إلى مثواه الأخير سنة 1982. فقد وثق لكل الأحداث بحيثياتها كمجاهد أراد أن يرفع الحجر التاريخي إلى مستوى وثوق الخبر الشرعي. ولذلك فهو يبدو كمن شيد صروحاً كاملة من الحقائق كشف فيها بما لا يدع مجالاً للشك صلابة عقيدته الدينية والسياسية واستماتته في تأهيل ذويه لغد أفضل.

كانت للسي احمد أدوار لا يمكن لأي كان من المتتبعين أن يستهين بها في توجيه الأحداث قبل وبعد استرجاع الصحراء. وقد تجسدت هذه الأدوار في قدرته الفعلية على تطوير الأحداث وتوجيهها كوجه من أكبر وجوه جيش التحرير. يسجل رجالات هذا الجيش أنه لم يكن يناديهم إلا بلقب المجاهدين وأنه قد سخر داره وأرزاقه في خدمة الجهاد مبرزين حجم تضحياته الفعلية. وإذا كانت إسبانيا قد صادرت ممتلكاته، فإن دوره الفعلي في إنجاح عودة الصحراء إلى المغرب قد أثبتت استرخاؤه لكل نفيس من أجل نصرة البلد والدين.

هل بعد هذا نكون في حاجة إلى تحديد الفوارق التي تميز هنا بين مفهومي المقاومة والجهاد ؟ مهما يكن من أمر فإن شخصية السي احمد الدرهم قد استطاعت الجمع بين تجانس القيم المتداولة بشأن هذين المفهومين.

مصطفى ناعمي

دروود (الجنرال - Drude)، ولد يوم 27 ماي 1853 من أبوين من أصل مرسيليا. دخل ميدان الجندية في 7 نونبر 1872 وترقى بسرعة في سلم الجندية حيث أصبح ملازماً في 1880. ورفي إلى رتبة قبطان في 1886.

في سنة 1907، رقي درود إلى رتبة جنرال فرقة Général de Brigade، وعين قائداً للفرقة العسكرية الثانية للمشاة قسم وهران بالجزائر. وفي 3 غشت 1907 كلف بقيادة الحملة الفرنسية الموجهة للمغرب بهدف احتلال الدار البيضاء والشاوية. كانت حملة الشاوية مهمة صعبة. لأن ميدانها كان هو المغرب، وهو بلد مستقل بضمانة دولية يكفلها ميثاق الجزيرة الخضراء الموقع سنة 1906.

زد على ذلك أن التدخل الفرنسي بالشاوية كان منسقاً مع الإسبان، تبعاً لما ادعته الحكومة الفرنسية من أن عملها يهدف إلى تنظيم البوليس بالدار البيضاء حسبما تقرر في ميثاق الجزيرة.

والواقع أن قوات الاحتلال التي نزلت بالدار البيضاء بقيادة درود في 7 غشت 1907، واجهت منذ البداية مقاومة شديدة. حصرتها بالدار البيضاء، حيث قرر الجنرال درود التخندق بالمدينة. والاعتماد على مدفعية الأسطول الحربي بقيادة الأميرال فيليبير Philibert.

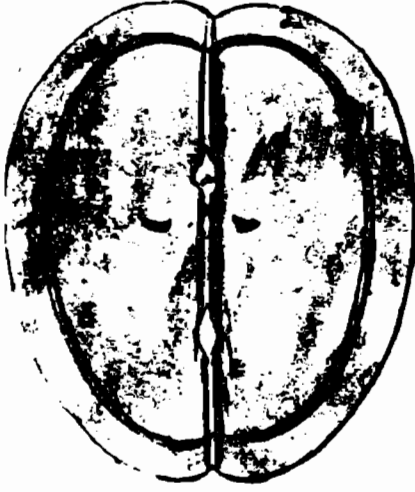
ولقد خاضت قوات الاحتلال بقيادة الجنرال درود معارك شديدة حول الدار البيضاء، مثل معركة سيدي مؤمن ومعركة دار بوعزة، وكانت اشتباكات المجاهدين مع قوات الجنرال درود تحدث يومياً، الأمر الذي جمد قوات درود في خنادق حفرتها حول الدار البيضاء. وجعل الجنرال يطالب باستمرار، بإرسال إمدادات جديدة لما تبين له أن القوات الفرنسية لا تواجه جماعات من "قطاع الطرق" كما أشيع في البداية، بل تواجه شعباً مصمماً على الدفاع عن أرضه وعقيدته مهما بذل من تضحيات.

وعلى الرغم من الإمدادات التي رفعت قوات الجنرال درود من 3000 جندي إلى 7000 رجل، فإنه لم يغامر بالهجوم على قبائل الشاوية بعيداً عن الدار البيضاء الأمر الذي أثار حوله كثيراً من التعليقات.

زد على ذلك أن تكتيك الجنرال درود في مواجهة المجاهدين المغاربة أثار بدوره عدة تعليقات. إذ سلك درود خطة الرمي العشوائي الكثيف وبمختلف الأسلحة. وكان الهدف من ذلك السلوك العسكري هو إبعاد المهاجمين المغاربة والتقليل من خسائر جيش الاحتلال. وقد علق أحد الصحفيين المرافقين لجيش الاحتلال على ذلك الاستهلاك الغريب للذخائر الحربية بقوله : "بالتأكيد إن ذلك لا يرجع لخشية الجنرال من حدوث التحام بين جنوده وبين المغاربة ... ولكن مثل هذا الالتحام سيكون أكثر فتكاً بجنودنا. وهو يفضل اقتصاد الأرواح البشرية بدل اقتصاد الرصاص" (جورج بوردون، ما رأيته في الدار البيضاء).

ظلت خطة درود تعتمد الدفاع، وكانت قواته تتحرك

الساحلي المحادي للمحيط الأطلسي. كانت فصائل لمطة الشمالية تنتقل على امتداد هذا المحور مراقبة تحرك القوافل وأمن وسلامة عاصمتها نول. وهو ما أهل هذه المدينة لتطوير مرافقها التجارية والإنتاجية وبنياتها الدفاعية. ولعل هذا ما ساعدها على أن تصبح عاصمة لإنتاج الدروق المصنوعة من جلود اللمط المتوفرة بكثرة في محيطها.



تعتبر طباء اللمط (اللمث) عينة عاشبة من أصل إثيوبي مرتبطة بالوسط الصحراوي المحادي لضفتي الصحراء الجنوبية والشمالية. فهي عادة ما تضطر للإقامة بمحطات نباتية أو مائية توفر لها الغذاء اللازم مما يجعلها تتجمع على شكل قطعان تسهل مطاردتها. هذا ما يمكن أن نستشفه من كتابات الجغرافيين مؤلفي كتب المسالك كاليعقوبي وابن حوقل والإصطخري والبكري والإدريسي وابن سعيد والعمرى والدمشقي وابن بطوطة وابن خلدون والوزان. فمجمال هؤلاء يركزون على دور نول لمطة كعاصمة متخصصة في إنتاج الدروق نظراً لوفرة طباء اللمط في محيطها القريب والبعيد. على أن المصادر الإيبيرية قد ركزت بدورها على أهمية هذه الأسلحة إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) عندما أصبحت مدينة فاس هي

على شكل مربع. ولكن عدم فعالية خطة درود كانت سبباً في عزله في آخر دجنبر 1907 وتعويضه بالجنرال داماد. وقد بررت الحكومة الفرنسية عزله، بأنه جاء نتيجة لمرض الجنرال. لكن هذه الذريعة لم تنطل على أحد في حينها. والواقع أن عزل درود كان مناسبة لمناقشات وتعليقات في البرلمان والصحافة. حول من يتحمل مسؤولية الفشل لمهمة الجنرال درود بالمغرب. فالمدافعون عن الجنرال قالوا : إنه خضع لتعليمات الحكومة. في حين ردت الحكومة في شخص رئيسها كليمنصو : إن الأوامر صدرت للجنرال في أكثر من "ثلاثين برقية تأمره بالتقدم للإمام".

وبالجملة، إن الحكومة الفرنسية ضحت بالجنرال درود لتبرير فشل خطتها الأولى بالشاوية. وهي خطة كانت تعرض على الرأي العام الدولي وكأنها عملية بوليس بسيطة في الدار البيضاء. أما عندما صمد المغاربة في مواجهة الاحتلال. فقد أصبح لا مفر من تدشين خطة جديدة مع قائد جديد بهدف توسيع الاحتلال ليشمل كل بلاد الشاوية.

ع. الحديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة، الدار البيضاء، 1994.

Arch. G-v., 3H76 ; G. Bourdon, *Ce que j'ai vu à Casablanca*, 1908 ; A. Tardieu, *La conférence d'Algesiras*, 1909 ; *Koumia* n° 108, 1988 ; B.C.A.F., 1908 - 1909.

علال الحديمي

الدروق اللمطية، عبارة عن دروق بيضاوية الشكل

تتميز بصلابتها وقدرتها على رد ضربات السيوف والنبال والحراش. يتكون سمكها من مجموعة من الطبقات الجلدية ملتصمة فيما بينها بتقنية متميزة تجعل منها أداة حربية بالغة الأهمية. وهي تقنية تشهد على التطور الملحوظ لصناعة الجلود بالصفة الشمالية للصحراء حيث تقع مدينة نول لمطة. استعملت هذه الدروق كأسلحة وقائية خلال المعارك بين الجيوش خلال قرون طويلة.

على أن تسميه الدروق اللمطية تطرح إشكالات من حيث تحديد معنى كلمة اللمطية. فهل المقصود بهذه الكلمة انتماء هذه الدروق إلى مدينة نول لمطة التي عرفت بإتقانها لهذه الصناعة ؟ أم المقصود بها جلد اللمط (اللمث) الذي تصنع منه هذه الدروق ؟ مهما يكن من أمر، فإن مدينة لمطة قد عرفت تاريخياً بدورها كعاصمة لبعض فصائل قبيلة لمطة الكبيرة. كما عرفت أيضاً بدورها الريادي المتميز في إنتاج هذه الدروق من جلود طباء اللمط وخاصة منها الإناث المسنة.

تعتبر مدينة نول لمطة رأس المحور التجاري الرابط بينها وبين مدن منطقة أدرار الثمر كآزوكي وأطار وشنقيط أو ملاحا إيجيل جنوب الصحراء. وتُفيض المصادر في وجوب اعتبارها عاصمة الضفة الشمالية للصحراء من حيث إنتاج الدروق ومراقبة التجارة العابرة للصحراء عبر المحور

عاصمة إنتاجها في فترة ما بعد اضمحلال نول لمطة. ما تؤكد عليه حفريات مدينة أودغست بالضفة الجنوبية للصحراء هو أهمية الاصطياد التلقائي لهذه الطياء قصد استهلاك لحومها وتصدير جلودها إلى نول لمطة حيث صناعة الدروق. نفهم من ذلك أن هذه الجلود قد كانت تجمع بمجمل مناطق الصحراء قصد إرسالها إلى المعالجة والتصنيع بمدينة نول لمطة إلى حدود اضمحلال هذه الأخيرة.



تؤكد معلومة واردة لدى ابن عذاري على استعمال كميات كبيرة من هذه الدروق اللطية كهدايا من المعز بن زيري بن عطية إلى عبد الرحمان بن أبي عامر أحد ملوك الأندلس (البيان، 253 : 1) على أن المصادر الإيبيرية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك الاستعمال الكبير لهذه الأسلحة حتى أواخر القرن الحادي عشر (17 م). فقد سجلت معركة وادي المخازن الأهمية الفعلية لهذه الدروق في ترجيح كفة المغاربة. وقد أورد الباحث الفرنسي افرانسوا بيتان وثيقة من المنجد الذي ألفته الأكاديمية الإسبانية سنة 1726 تؤكد الاستعمال المتأخر لهذه الأسلحة. وتعتبر الدراسة الهامة التي قام بها هذا الباحث حول دروق مدينة فاس من أهم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب.

ركزت قبل ذلك جل الإشارات الواردة بالمصادر على دور مدينة نول لمطة في إنتاج مواد أخرى كالسفسريات الغالية الثمن التي هي أثواب من الصوف تميزت بجودتها العالية وكثرة الطلب عليها. وإذا كانت هذه المواد على تنوعها قد زادت من أهمية المدينة مقارنة مع غيرها من المدن التجارية الكبرى، فإن إنتاج الدروق جعل منها إحدى كبريات عواصم التجارة ومنتجات ضفتي الصحراء. ولا شك أن قلة هذه المعطيات التاريخية المجسدة لتاريخ المدينة يدعو إلى كثير من الجهد لاستحضاره وإعادة اكتشافه من جديد.

كتاب الأنساب، مخطوط، خ. ع. رقم ك 1275 : ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح. مصطفى أبو ضيف : أبو عبيد الله البكري، كتاب المسالك : شمس الدين عبد

الله الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، 1923 : ابن أبي زرع، القرطاس : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : م. ابن بطوطة، تحفة النظار، ابن حوقل، صورة الأرض، أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا، أبو إسحاق الفارسي الإصطخري، كتاب المسالك والممالك، 1927 : ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1866 : اليعقوبي، كتاب البلدان، ع. ابن خلدون، العبر، ح. الوزان، وصف إفريقيا.

F. Buttin, *Les adarques de Fès*, H.T., vol. I, Fasc. III, 1960, 409 - 456 ; Aly ben Abderrahman ben Hodeil el Andalusy, *La parure des cavaliers et l'insigne des preux*, traduction Louis Mercier, Paris, 1924 ; H. de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc de 1530 à 1845*, première série - *Dynastie saadienne 1530 - 1660*, t. I, p. 594, n° 2, Paris, 1905 ; P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès 1506 - 1507*, Paris, 1938, I. S. Allouche, "La vie économique et sociale à Grenade au XIV^e siècle", in *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman*, Alger, 1957 ; Napoléon Louis Bonaparte, *Etudes sur le passé et l'avenir de l'artillerie*, Paris, 1845, vol. I ; H. Peres, *La poésie andalouse en arabe classique*, Paris, 1953 ; Demmin, *Guide des amateurs d'armes et armures*, Paris, 1879 ; M. Leloir, *Dictionnaire du Costume et de ses accessoires, des armes et des étoffes des origines à nos jours*, Paris, 1951.

مصطفى ناعمي

الدرويش، أحمد بن الفقيه محند بن عمر الباعمراني، ولد حوالي 1288 / 1871 وأخذ القرآن على يد والده حفظاً ورسمياً، فالتحق مبكراً بالمدرسة العلمية العتيقة سيدي بوعبدلي بقبيلة أيت برايم، فأخذ الأمهات العربية والفقهية حتى ارتوى على يد الأستاذ عبد العزيز الأودزي المشهور (رجال العلم العربي بسوس، ص. 124) ولما أنهى دراسته رجع إلى أيت باعمران يشارط في المدارس العتيقة، وممر في مدرسة بوكرفا لمدة ثلاث سنوات معتكفاً - حسب تعبيره - على تعليم وثقيف ابنه الطيب، كما شارط في مدرسة أيت بوبكر الباعمرانية سنة 1332 / 1913 (عن تلميذه السيد الطاهر عامري من نفس العائلة). ولدنيا نماذج من أحكامه القضائية ترجع إلى سنة 1327 / 1909 ولم تنقطع أحكامه إلا بخروج الإسبان سنة 1934، فنن الاستعمار مهنة القضاء، وذلك بتعيين العدول والقضاة في كل قبيلة، بدلاً من اختيار المتقاضين لمن يروونه شخصياً حسب العرف القديم.

تخرج على يده عدد مهم من الطلبة، ويعد ابنه القاضي الطيب الدرويش نموذجاً من ذلك الجيل الذي يعتمد على الذاكرة ويحفظ كل شيء عن ظهر قلب. وكان أحمد الدرويش هذا معروفاً بالتقوى والعدل، متصوفاً دون أن ينتسب إلى أية طريقة، عاش طويلاً حتى كف بصره وتوفي في 13 رمضان سنة 1376 / 13 أبريل 1957.

جاسوس إيطالي يسمى الحاج يونس المصري عن سلسلة الألف كتاب : معلمة المغرب، ج 6، ص. 2001 : م. المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة، ص. 97 : رجال العلم العربي بسوس، ص. 124 : استجواب مع السيد الطاهر عامري من نفس العائلة. الحسين جهادي

الدريدكة، في شعر الملحن، تطلق على القسم الأخير من أقسام القصيدة، ويتضمن في العادة اسم ناظم القصيدة، كما قد يتضمن تاريخ نظمها. ويطلق أهل مراكش على الدريدكة اسم التريتكة، بتحويل حرف الدال تاء، كما قد يطلقون عليها لفظ "السارحة".

والكلمة من فعل "دردك" في لغة العامة، بمعنى ضرب برجله سريعاً على الأرض. وتأتي أبياتها - في العادة - على بحر عروض المبيّت أحد البحور الأربعة التي يقوم عليها شعر الملحن : المبيّت، ومكسور الجناح، والمشتب، والسوسي.

يتميز إنشاد الدريدكة من الوجهة الموسيقية بكونه حثيثاً توحى حركته السريعة بإشراف الشدادة - وهم مجموعة المنشدين والعازفين - على نهاية القصيدة.

م. الفاسي، معلمة الملحن، القسم الأول من الجزء الأول، ص. 88 : ع. الجارري، القصيدة، ص. 167 : ع. ابن عبد الجليل، مجلة التراث الشعبي، العدد، 10، السنة 1980، ص. 112، العراق.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدريدي، محمد من بني دريد إحدى الفصائل الهلالية العاملة في الجند السعدي. كان رئيساً في قومه في خدمة الدولة إلى حين دخول فاس في طاعة الدلائين، فانخرط الدريدي وقومه في جندهم كفرقة عسكرية مرابطة في فاس وظل على ولائه لهم حتى سنة 1070 / 1660 التي عرفت تمردة على محمد الحاج، متحالفاً بالمصاهرة مع رئيس عدوة الأندلس أحمد بن صالح الليريني، الذي تأمر معه على اغتيال الأمير محمد بن محمد الحاج في نفس السنة. وقد كان الانتقام الشنيع لمحمد الحاج وتصفيته لجماعة من أعيان المدينة، فرصة سانحة للدريدي للاستئثار بحكم فاس الجديد، مؤازراً بصره الليريني في عدوة الأندلس، وابن الصغير في عدوة القرويين، معلنين بذلك خروج فاس عن سلطة الدلائين، وتعزز ذلك بعدم استطاعة الأمير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائي النائب الجديد لمحمد الحاج على فاس المكوث فيها، مما جعل الدريدي يقف حائلاً دون استرجاع الدلائين للمدينة رغم حصارهم لها في رمضان 1072 / 1662.

وقد تميز الدريدي وحلفاؤه بضعف تكوينهم السياسي والعسكري، مما جعلهم غير قادرين على تسيير شؤون

المدينة وضبط أمنها، فدخلت خلال عهدهم في دوامة من الفوضى والاضطراب، سهلت على الدلائين بسط نفوذهم عليها مجدداً سنة 1073 / 1663 إثر زحف محمد الحاج على ضواحيها دون الدخول إليها.

وبمجرد ارتحال محمد الحاج إلى مدينة الدلاء في السنة الموالية، تجددت نكرة الانفصال لدى القائد الدريدي بفاس الجديد، إلا أن حليفه السابق الليريني واجهه رفقة سكان فاس، الأمر الذي دفع بالمتنرد إلى اتباع أسلوب اللصوصية وقطع الطريق مغيراً على قبائل سهل سايس ومداشرها، وبلغت عملياته زهون ومكناس، متاجراً بمغامته في فاس الجديد مستقطباً بذلك سكانها، وسينجم عن ذلك تطور الخلاف بينهم وبين سكان فاس البالي إلى حد الاقتتال الذي لن يتوقف إلا بتدخل جديد لمحمد الحاج وفرسان قبيلة مجاط الذين قضوا على نفوذ الدريدي في بلاد سايس، وحاصروا بقية أتباعه داخل فاس الجديد، التي ظلت معقلاً منيعاً له إلى أن قضى عليه السلطان مولاي الرشيد العلوي عليه حين دخل إلى فاس سنة 1076 / 1666.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4، 1488 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1985.

حسن أميلي

دريس، أو بودريس طائر من الجواثم أو العصفوريات Passeriformes ومن فصيلة Emberizidae المعروفة بالإنجليزية بـ Warblers وهو طائر صغير القد يشبه تبييبت وبألف المزارع والحقول الفلاحية.

اسمه الشائع في شمال إفريقيا هو الدريس وبودريس وبودرس وبودريسة. اسمه العلمي (Miliaria) calandra وبالفرنسية bruant proyer وبالإنجليزية Corn bunting وبالأساسية Triguero وبالإيطالية Strillozzo.



يتميز هذا الطائر بريش بني تتخلله بقع داكنة على شكل خطوط متلاشية وبمنقار قصير وقوي يساعده على أكل الحبوب والديدان. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 17 - 18 سم

ويعتبر من أكبر أنواع طيور جنس الدريس Emberiza ومنه تبييط. تبقى الارجل عمودية ومتدلية أثناء الطيران الشيء الذي يميزه عن باقي الطيور التي تجعلها أفقية خلفها.

يعيش وسط مجموعات صغيرة وأحياناً منعزلاً في الحقول حيث يتغذى غالباً من الحبوب مما يجعله غير مرغوب فيه من طرف المزارعين. يستريح أحياناً فوق الخيوط الكهربائية وعلى الأعمدة الخشبية ويقضي معظم أوقاته بين الأعشاب والنباتات الصغيرة بحثاً عن الأكل.

يتوالد منذ بداية شهر أبريل إلى غاية شهر يونيو وتحضن الإناث بيضها غالباً مرتين في السنة ونادراً ثلاث مرات. ينصب العش على الأرض بين الأعشاب في الحقول والمزارع ويتكون العش من الحشائش اليابسة ومن قطع التبن الصغيرة. تلد الإناث 3-6 بيضات ونادراً 1-2 أو سبعة وهي بيضوية الشكل ملساء وبيضاء تميل أحياناً إلى اللون الأزرق المصفر، تتخللها بقع صغيرة رمادية وخطوط بنية مسودة. يبلغ طول القطر الكبير 13.3 ملم وطول القطر الصغير 17.8 ملم. تدوم مدة الحضانة 12-14 يوماً وذلك من طرف الأم فقط بينما يقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش 9-10 أيام قبل أن تأخذ حريتها تدريجياً بعد أسبوعين على الأكثر.

يوجد هذا النوع في جميع المناطق الزراعية المغربية ويعيش أيضاً في شمال أفريقيا وأوروبا الجنوبية والوسطى وفي بلدان الشرق الأوسط. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب لا تهاجر إلى أوروبا إلا نادراً.

م. رضاني، تبييط، معلمة المغرب، ج. 8، ص. 2655 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : المملوف أمين، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*. 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رضاني

دريش جان إيمانويل Dresch, Jean Emmanuel ولد بباريس يوم 30 نونبر 1905، كان أبوه جوزيف أستاذاً جامعياً، اندرج الطفل جان إيمانويل في سلك التعليم الابتدائي لكنه رحل مع أسرته إلى بوردو، حيث نُقل والده إلى كلية الآداب المحلية. وهناك تابع الشاب التعليم بسلوكه، وكان ميالاً إلى الفلسفة، وقد استهوته بموضوعاتها ومذاهبها الجدلية المتناقضة وأفكارها التي تقبل النقاش مهما كانت اتجاهاتها. إلا أنه رأى في الفلسفة ميداناً للدفاع عن كرامة الإنسان وتفسير العالم. واتفق أن انتقل أبوه مرة أخرى من بوردو إلى تولوز،

فسار الشاب مع أسرته مرة أخرى وكان ذلك عام 1923 وحرب الريف بالمغرب على أشدها والمقاومة المسلحة في أوجها بمناطق أخرى من البلاد - وكانت أصدااء الجهاد المغربي تتردد في كل المحافل الفرنسية وتدعو المعارضة الشيوعية والاشتراكية في فرنسا إلى إجلاء قوات الاحتلال عن المغرب.

تشبّع دريش بهذه الآراء ونزح إلى الشيوعية والماركسية وراح يستعدّ للتسجيل بشعبة الفلسفة. إلا أن بعض أصدقائه صدوه عنها وأفلحوا في توجيه عنايته نحو الجغرافيا والتاريخ. وأدرك أن هذا الميدان هو إلى واقع الإنسان أقرب، فانساق في هذا المنحى وما كاد يتلقّى الدروس الأولى ويعكف على الخرائط وتحليل النصوص حتى اقتنع بأن لهذا الميدان صلات وثيقة بالحياة البشرية فضاء وعملاً.

واتضح له أيضاً أن الجغرافيا لا تدرك في العمق إلا إذا كان للمتعلّم إلمام بعلوم الأرض، أي الجيولوجيا، فانكبّ على تحصيل قدر منها ساعده على فهم تطور طبقات الأرض وسطحها.

وبتولوز استأثرت جبال البرانيس باهتمامه، ففكر في أن يخصص لها كل عنايته مستقبلاً - غير أنه عندما حصل على الإجازة عام 1927، وجهه أحد أساتذته، يدعى دومانجون Demangeon نحو المدرسة العليا للأساتذة قصد تحضير دبلوم الدراسات العليا الذي يسمح بالترشيح بعد عامين إلى مباراة التبريز في الجغرافيا، وقد أخبره دومانجون أن أثرى البلدان معطيات كماً وكيفاً وتنوعاً في الميدان الجغرافي والبشري هو المغرب حسب ما يتوفر من



معلومات، وأشار عليه بربط الاتصال بأحد الجغرافيين الفرنسيين يدعى صيليري (Célérier J.) يوجد في عين المكان حيث يتأسس قسم الجغرافيا في المعهد العلمي الشريف بالرباط.

وأقبل دريش إلى المغرب عام 1926، فنزل بميناء الدار البيضاء. وأول ما شد انتباهه في الحين، ما كان يضرب أهالي المدينة من فقر وفاقة في مقابل ما يتطلع إليه الفرنسيون المعمرون من غنى عن طريق مشاريعهم الاقتصادية والعمرانية، فرأى في مذهبه الشيوعي ما يبرر ويدعم نظريات ماركس وأنصاره.

ولما استقبله صيليري بالرباط واستشعر آراءه العلمية والجغرافية، نبأه بأن مديرية التعليم العمومي خصّصت برسم سنة 1928 - 1927 منحة واحدة لمدة سنة واحدة لباحث فرنسي إذا ترشح للبحث الجغرافي عبر الجبال المغربية، تحت إشراف المعهد العلمي الشريف، فوجدها دريش فرصة ذهبية للتعرف على المغرب من عمق طبيعته وفوض أمره إلى صيليري.

شرع دريش في أبحاثه الأولى بجبل زهون الذي يقارب من بعض الجوانب جبال البرانس الفرنسية، فاستقى منه ومن محيطه مستجدات علمية لم يسبق إلى كشفها أحد من قبله. فصّبها في ما بعد في دبلوم الدراسات العليا المؤهل للترشيح لمباراة التبريز.

وإلى جانب الاستحقاقات العلمية، راح دريش يفضح على صفحات جريدة فرنسية مظاهر الاستغلال البشري عن طريق استغلال المغرب عن طريق ثرواته الطبيعية من طرف المعمّرين، كما مضى يفضح أساليب العسكرية عموماً، ذلك ما دفع بسلطات بلاده إلى اعتباره عنصراً يجب الاحتياط منه.

وعاد دريش إلى فرنسا لاتمام مسيرته في التكوين على أمل أن يرجع إلى المغرب لمواصلة أبحاثه الجغرافية بكيفية أوسع نطاقاً. ولما فاز في مباراة التبريز في الجغرافيا والتاريخ أثر التدريس بالمغرب، فتمّ تعيينه بثانوية مولاي إدريس عام 1931، ثم نقلوه بعد أربعة أعوام إلى ليسى غورو بالرباط (الحسن الثاني حالياً) حيث درس إلى عام 1939. وفيه تعرّف عليه عدد من شبان الرباط منهم المهدي بنبركة.

أثناء هذه الأعوام الثمانية ربطته صداقة متينة مع شخصيات فرنسية متحررة، منها ريجيس بلاشير (R. Blachère) الذي كان يدرس الترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ولوسيان پاي (Lucien Paye) الذي انيطت به مديرية التعليم العمومي بالمغرب، وإيف لاقوست (Yves Lacoste) الباحث الاجتماعي لدى الإقامة العامة، ومهندسين وجيولوجيين من مديرية الطاقة والمعادن، علاوة على أطر ذوي اختصاص عال من مديرية الفلاحة والمياه والغابات، وكانوا كلهم ممن يدينون بالأفكار الاشتراكية.

وأثناء هذه المرحلة الثانية بالمغرب والتي استغرقت ثمانية أعوام، أنفق كل عطلة الفصلية والسبوعية في الأبحاث الجغرافية بجبال الأطلس الكبير من ناحية مراكش، فعرف بتضاريسه وقممه ونجوده وسهوله وأنهاره وجداوله. وترجم ذلك إلى مقالات قيّمة نشرتها كبريات المجلات العلمية الفرنسية والإنكليزية، تارة بتوقيعه الفردي، وتارة بتوقيع مشترك مع كبار الباحثين في الجغرافيا مثل جولي (Joly, F.) وموري (E. Mory) وآخرين. إلى هذه الأعمال أضاف دريش ما هو أهم بالنسبة للمغرب: خرائط الأطلس الكبير بمسالكه، والفلاحة في منحدراته، والمواشي، والسكن، والاقتصاد والاجتماع. وتآلق معه في هذا الميدان ألبير عياش وصيليري وآخرون، وبقي اسمه المهيمن في هذه الكوكبة من الباحثين، إذ كثيراً ما كان ينشر كذلك بعض المقالات ذات الطابع الإنساني والاجتماعي في الجريدة الاشتراكية التي كانت تصدر بالمغرب عنوانها "Espoir" (أمل) وطبعاً فإن أصحابها كانوا فرنسيين، ولم يترددوا في مساندته كلما فضع سياسة الاستعمار التي نجحت في تفجير المغاربة. وكان من دعاة ربط القارة الأفريقية بأوروبا اقتصادياً وعلمياً لتشكيل القارتان وحدة متماسكة يسودها العدل الاجتماعي والرفاه.

إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية عام 1939 استوجب عودته إلى فرنسا لأداء الخدمة العسكرية. وفي أوائل سنة 1941، ناقش أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا بجامعة تورس (Tours)، عنوانها: "أبحاث في تطور تضاريس الكتلة الوسطى بالأطلس الكبير، الحوز وسوس".

ثم عاد إلى المغرب في شهر غشت من نفس السنة لاستئناف عمله التربوي، إلا أن الجنرال نوغيس، المقيم العام وقتها استدعاه ليخبره بأنه غير مرغوب فيه بالمغرب، مما يعني أنه مطرود من هذا البلد.

رجع دريش إلى فرنسا حيث تم تعيينه بليسى فولطير بباريز، واغتنتها فرصة، وانخرط في صفوف المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني، ومنح درجة ضابط، فساهم في تحرير إقليم باريس.

أثناء فترة المقاومة تألق نجمه فعيّن أستاذاً بكلية كان، ثم بكلية ستراسبورج (1946 - 1947)، ثم بكلية السوربون. وموازية مع ذلك، أناط به أندري جوليان (Ch. A. Julien) مهمة التدريس بالمدرسة الوطنية الفرنسية لما وراء البحار (1947 - 1948)، وهي المدرسة التي كانت تسمى من قبل بـ "مدرسة العلوم الاستعمارية"، ثم شغل منصب أستاذ بمعهد الجغرافيا بباريس حيث درّس الجيومورفولوجيا ثم جغرافيا شمال إفريقيا، وهي المادة التي حظيت بإشعاع كبير وقتئذ.

وأثناء هذه الفترة واصل علاقاته بالمغرب وطائفة من النخبة المثقفة المغاربة سواء بفرنسا أو في أقطار شمال إفريقيا، وواصل تعريفه بالمغرب، فألف في هذا الموضوع: الخرائط الطبوغرافية الموجودة حالياً، خرائط الطرق والمياه

دريّنورة، Drinaura جزيرة ذكرها المدعو سكولكس في الرحلة المنسوبة إليه Périple de Scylax، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد حسب إجماع الدارسين. وصاحب الرحلة من أصل فارسي. أشار سكولكس إلى هذه الجزيرة ضمن المواقع التي تتضمنها واجهة البحر المتوسط، من مجال المغرب القديم الذي كان يعرف باسم موروسية Maurusia أو موريطانية Mauretania.

في سرد المواقع التي تندرج فيها جزيرة درينورة، تتبع الكاتب الاتجاه من الشرق إلى الغرب. فبعدما انتهى من إحصاء المواقع التي توجد في نوميدة حتى مدينة سيغة Sige، التي كانت عاصمة الملك الماسيسولي سيفاكس Syphax في القرن الثالث قبل الميلاد، انتقل إلى بعض مواقع المغرب القديم قائلاً: "هناك مدينة هامة وميناء، المدينة تدعى أكروس Akros وكذلك الخليج الذي يحد بها. ثم هناك جزيرة مهجورة تدعى درينورة، ثم العمود البي لهرقل هو أبيلة".

يعتقد شارل تيسو، أن صاحب الرحلة تعرف على هذه الجزيرة، في اختراقه للبحر بين مدينة روسادير Russadir (مليلة) التي لم يذكرها النص، ومضيق جبل طارق الذي كان يدعى بأعمدة هرقل. ويتفق تيسو مع الباحث مولير Müller على اعتبار مدينة أكروس هي روسادير Russadir التي ذكرت مصادر متأخرة في تلك الجهة. ثم اقترح تيسو أن درينورة هي جزيرة "ألبوران" Alboran وهي مهجورة أيضاً كما كانت في القديم حسب الدارس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1978 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Idem, *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 4, 1939.

محمد مجدوب

دريهم أو ابن دريهم، وسماهم في إزالة الالتباس : أولاد بودريهم، من أهل فاس، أصلهم من قبيلة مطاع، أهل معاش وحرفة، وكان لهم مدشر خارج باب عجيصة خاص بهم.

ويوجدون أيضاً بسلا حيث كانوا يشتغلون بالتجارة في العطور ونحوها. منهم الحاج محمد دريهم، ورد اسمه في تقييد من أنعم عليهم الحسن الأول من السلاوين سكان حومة باب سنة بتاريخ خامس حجة عام 1290 / 21 يناير 1874. كان دريهم - حسب التقييد - يكفل ستة أفراد، ونال أوقيتين ومثقالاً.

والغابات خرائط المناخ والسكنة، وخرائط استغللتها مديرية السياحة في عهد الاستعمار، ولاسيما السياحة الجبلية عبر جبال المغرب من الشمال إلى الجنوب، ويرجع له الفضل كذلك في إبراز "مميزات المغرب والعالم البربري - العربي"، هذا زيادة على أطروحته التي جعلت الأطلس الكبير مفتوحاً للمتطلعين إلى معرفة خصائصه وخصايه الطبيعية والاجتماعية، وكتاب جغرافيا المغرب الذي لا يخلو من إشارات رمزية إلى فعل الاستعمار الذي لم يكن "سدّ بين الودان" إلا لتلبية حاجات المعمرين بتادلا وسدوداً ثانوية أخرى لنفس الغاية. وقد صدر هذا الكتاب بباريس عام 1949.

وبالجملة، كتب دريش ما يربو عن 350 مقالاً أو محاضرة أغلبها عن المغرب، من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه، وبعضها عن الجزائر وتونس وبعض أقطار إفريقيا السوداء.

وعارض بشدة الحرب بالهند الصينية كما عارض بعد ذلك الحرب الاستعمارية في الجزائر.

وبعد استقلال المغرب بقليل دُعي إلى الرباط قصد المساهمة في تنظيم شعبة الجغرافيا بكلية الآداب، وساهم في تكوين نخبة من أساتذتها المغاربة الذين يدينون له بالكثير.

وجملة القول، فإن دريش ترك في المغرب وفي موضوع المغرب بصمات خالدة لن تنمحى، شأنه شأن جولي ورنال وقليل من أمثالهم. ذلك لأنهم خلّدوا أسماءهم بأبحاثهم النيرة، فما من معلمة جغرافية في هذا البلد إلا وتحمل أثرهم.

ويقي دريش مناضلاً سياسياً طيلة حياته، فكان من الذين شاركوا في المظاهرة العارمة يوم 8 ماي 1968 بباريس للتعبير عن رفضهم لسياسة الجنرال دوغول الفرنسية وشجب هتك حقوق الإنسان عبر العالم.

توفي جان إيمانويل دريش بباريس يوم 4 مارس 1994.

A. Ayache, *Dictionnaire bibliographique du mouvement ouvrier au Maghreb* - Galissot, Oved, R.O.M.M., n° 41 - 42, France ; Ministère de l'Energie et des Mines, listes bibliographiques d'auteurs et de chercheurs, Rabat.

أحمد بنجلون

دريتاويا، هو الاسم القديم الذي عرفت به جزيرة البرهان (Ile d'Alboran) (انظر/المعلمة، 4: 1203) وقد أشار إليها سكيلاكس الزائف في رحلته المعروفة (P pseudo - scylax).

هي جزيرة خلاء توجد في البحر المتوسط، ويرى الباحث "تيسو" أن الرحلة تشير إلى الجزيرة بعد الإشارة إلى الأعمدة. وهذا الترتيب هو نفسه الذي يصادفه البحارة المتجهون إلى قادس حيث نرى على التتابع مليلة. جزيرة البرهان ثم جبل هاكسو الذي يشكل المدخل إلى المضيق.

ابن ذريحهم أحمد الفاسي، قال عنه في سلوة الأنفاس
 "من أخذ عن الشيخ سيدي مسعود الدراوي المترجم في مرآة
 المحاسن، وانتفع به.
 توفي عام 1044 / 1634 ودفن بروضة شيخه المذكور
 القريبة من روضة الشيخ المحاسن الفاسي خارج باب
 الفتوح.

ابن ذريحهم، علي الفاسي، شيخ صوفي صالح ترجم له
 كذلك صاحب السلوة والتنبية، وذكره المدرع في منظومة
 المتعلقة بصلحاء فاس. لم يذكر تاريخ وفاته وإنما أشار إلى
 وجود ضريحه بدرب بن بوحاج.

م. الكتاني، سلوة، 2: 236، 3: 331؛ ع. ابن سودة، رغب
 الالتباس، مرقون؛ م. بوشعراء، التعريف بني سعد السلويين، 2:
 138.

محمد حجي

الدريوش، إحدى الدوائر الأربع التي تُكوّن إقليم
 الناظور حالياً وإحدى الجماعات السبع التي يضمها تراب
 الدائرة. ظهرت هذه الدائرة كوحدة إدارية على مستوى إقليم
 الناظور سنة 1979. تغطي مساحتها حوالي 1602 كلم².
 تتقاسمها سبع جماعات قروية هي حسب أهمية مساحاتها :
 الدريوش، أولاد بويكر، عين الزهرة، أمجاو، أيت مايت،
 دار الكبداني، تازغين.

يبلغ عدد سكان الدائرة 7.508 نسمة حسب إحصاء
 1994 أي حوالي 11٪ من مجموع سكان إقليم الناظور. أما
 كثافة السكان فتصل في الدائرة إلى حوالي 47 نسمة في
 الكلم². ويستفاد من مقارنة نتائج هذا الإحصاء بنتائج
 إحصاء 1982 أن عدد سكان الدائرة عرف تراجعاً يقدر
 بحوالي 10٪ بسبب النزوح القروي والهجرة الدولية. وتعد
 الجماعات التي تتوفر على مؤهلات طبيعية محدودة أكثر
 عرضة لهذه الظاهرة.

ينتمي تراب الدائرة إلى منطقة انتقالية تفصل بين
 مرتفعات وأحواض الريف الشرقي وحوض ملوية. يتميز
 سطحها بتنوع تضاريسه التي تتكون من جبال ذات تركيب
 بنيوي معقد في بعض الأحيان، وسهول وهضاب واسعة
 الأفاق تحتل المنخفضات الممتدة بين المناطق المرتفعة. تتخلل
 هذا السطح مجموعة من الأودية الموسمية الجريان يشكل واد
 كرت أهم محور فيها.

يتميز مناخ الدائرة بالجفاف حيث تقل الكميات المطرية
 المسجلة في بعض محطاته عن 300 ملم، الشيء الذي يؤثر
 سلباً على طبيعة الغطاء النباتي الذي يتكون في أغلب
 الأحيان من أنواع متأقلمة مع الجفاف كالحلفاء، كما تحد
 هذه الظروف المناخية القاسية من ممارسة النشاط الزراعي،

الشيء الذي يفسر تعاظم السكان للرعي وتربية الماشية
 منذ أمد طويل.

تمتد الجماعة القروية لدار الدريوش على مساحة تقدر
 بحوالي 432 كلم² أي 27٪ من مجموع تراب الدائرة التي
 تنتمي إليها، وهي بذلك أكبر جماعات دائرة الدريوش
 مساحة.

يتكون سطح الجماعة من جبال وهضاب وسهول. تمتد
 الجبال على مساحة محدودة من تراب الجماعة تمثل حوالي
 23٪ من المساحة الإجمالية وتنتشر بشكل رئيسي في
 أطرافها الجنوبية، وهي عبارة عن مجموعة من خطوط
 أعراف تأخذ اتجاهها عاماً من الشرق إلى الغرب تتميز
 بتقطعها وبضعف علوها الذي لا يتجاوز متوسطه 600 م إلا
 نادراً. كما تتخللها مجموعة من الفجاج والمنخفضات التي
 تكون ممرات تسهل عملية الاتصال بين أطراف الجماعة من
 جهة وبينها وبين العالم الخارجي من جهة أخرى. أما
 السهول والهضاب فتغطي أغلب مساحة الجماعة، وهي
 أراضي منبسطة تتخللها مجموعة من الأودية الموسمية
 الجريان.

ترتبط هذه التضاريس بتطورات جيولوجية
 وجيومورفولوجية معقدة شهدتها المنطقة، فالوحدة الجبلية
 تنتمي إلى سلسلة الدريوش Sierra de Driuch التي تكون
 جزءاً من الهوامش الشرقية للمجال الريف وتتميز على
 مستوى التركيب الصخري بسيادة مواد حثية شستية
 وكلس - طفلية ترجع في مجملها إلى الزمن الثاني. أما
 الأجزاء المنبسطة فإن توزيعها يوافق توزيع مجموعة من
 المنخفضات التي امتلأت بالمواد الرسوبية عبر فترات
 الزمنين الثالث والرابع. ويتمثل أهم هذه المواد في الطفل
 النيوجيني وفي الرصيص والكلس البحيري الرابعين.
 ويكوّن الكلس البحيري خزاناً مائياً مهماً في المنطقة
 حيث يحتوي على مستويات غنية بالماء يتراوح عمقها بين
 15 م و 70 م.

خلال فترات الرباعي تعرضت المنطقة لتطورات مختلفة
 أدت إلى ظهور مجموعة من الأشكال تطبع سطح تراب
 الجماعة ويتمثل أهمها في المستويات الرباعية (مصطبات
 نهريّة) وفي أشكال أقدام الجبال، كما تخلّفت عن هذه
 الفترات عدة أجيال من المواد المختلفة كالكشترات الكلسية
 التي تغلف بعض السطوح بالإضافة إلى أترية متنوعة.
 وتلعب هذه المواد دوراً مهماً في حياة السكان.

أما على المستوى المناخي فإن الجماعة تعرف مناخاً
 جافاً نظراً لموقعها القاري ولوقوعها خلف مجموعة من
 المرتفعات التي تحجب عنها وصول التأثيرات البحرية
 الرطبة. يصل المتوسط السنوي للتساقطات إلى حوالي 281
 ملم في محطة الدريوش وهي إلى جانب ضعفها تتميز بعدم
 انتظام توزيعها داخل السنة الواحدة ومن سنة لأخرى. أما
 الحرارة فيصل متوسطها السنوي إلى 17° في حين تبلغ

J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le néogène supérieur. Etudes méditerranéennes*. Fasc. N° 13, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador*. Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani*.

حسن العباسي

الدستور، كلمة فارسية مركبة من "دس" وتعني القاعدة، ومن كلمة "ور" بمعنى صاحب، فيكون معناها صاحب القاعدة. كما تعني في مجموعها أيضاً القاعدة التي يعمل بمقتضاها، أو الدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك وضوابطه (محيط المحيط، ج. 1، ص. 650 : أقرب الموارد في فصح لعربية والشوارد، ج. 1، ص. 392).

وإذا كان الأصل اللغوي لكلمة الدستور فارسي الأصل والمنبت، وكان معناها يفيد الأساس أو القاعدة، فالراجع أنها قد دخلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة التركية، ثم شاعت في اللغة العربية (القاموس السياسي، ص. 521).

وجل الدساتير العربية تطلق على وثائقها الأساسية تسمية الدستور، من ذلك : دستور موريتانيا لسنة 1991 - دستور المغرب لسنة 1996 - دستور الجزائر لسنة 1996 - دستور تونس لسنة 1959 - دستور مصر لسنة 1971 - دستور الأردن لسنة 1952 - دستور سوريا لسنة 1973 - دستور الكويت لسنة 1962 - دستور الإمارات العربية المتحدة لسنة 1971 - دستور قطر لسنة 1972.

ويقابل اصطلاح الدستور في اللغة الانجليزية والفرنسية Constitution وفي الإسبانية Constitución.

الدستور في الاصطلاح القانوني تعبير يراد به معنيان متغايران أحدهما موضوعي والآخر شكلي :

فوفق المعنى الموضوعي يقصد بالدستور مجموعة القواعد التي تعتبر في جوهرها دستورية، كالقواعد التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها وسلطانها وما إلى ذلك من المواضيع التي لها علاقة بنظام الحكم في الدولة من الناحية السياسية، بصرف النظر عما إذا كانت هذه القواعد مدونة في وثيقة دستورية أو تقررت أحكامها في قوانين عادية أو بمقتضى العرف الدستوري. وينجم عن هذا المعنى لمؤدى الدستور أن يكون لكل دولة بلا استثناء دستور يبين الأسس العامة التي تسير عليها من أجل القيام بمهامها وتأدية وظائفها، يستوي في ذلك أن يكون الدستور مكتوباً أو عرفياً.

ومن مجموع المواضيع التي تعتبر دستورية بطبيعتها وجوهرها تشكل مادة القانون الدستوري التي تدرس في كليات الحقوق باعتبارها فرعاً من فروع القانون العام الداخلي.

المتوسطات السنوية للحرارات العليا 24.9° و 10.9° بالنسبة للحرارات الدنيا، وتصل كميات المياه المتبخرة إلى حوالي 735 ملم. هذه الظروف المناخية القاسية تؤثر سلباً على الحياة الاقتصادية في المنطقة، خاصة على النشاط الفلاحي الذي يلعب دوراً مهماً في حياة السكان.

عرفت المنطقة استقراراً بشرياً قديماً. ويبلغ عدد سكان الجماعة حسب إحصاء 1994 حوالي 26.329 فرداً، منهم 19.445 قروياً. ويمثل هذا العدد حوالي 35٪ من مجموع سكان الدائرة، الشيء الذي يجعل من الجماعة أكثر جماعات الدائرة سكاناً، أما الكثافة السكانية على مستوى الجماعة فتصل إلى حوالي 61 نسمة / كلم². كما يستفاد من مقارنة إحصائي 1982 و 1994 أن مجموع سكان الجماعة عرف نمواً تقدر نسبته بـ 26٪.

تعتمد هذه الساكنة في حياتها على أنشطة مختلفة كالزراعة والهجرة الدولية.

تشير تقديرات مركز الأشغال الفلاحية بدريوش إلى أن استعمال أراضي الجماعة يتم على النحو التالي :

- الأراضي الفلاحية 30.000 هكتار. منها 27.360 هكتار بورية و 2.640 هكتار مسقية.

- المراعي 1.430 هكتار.

- الغابات 8.500 هكتار.

- أراضي غير قابلة للاستغلال 3.270 هكتار.

كما تشير هذه التقديرات إلى أن مجموع الفلاحين بالجماعة يصل إلى حوالي 3.800 فلاح يملك حوالي 55٪ منهم أقل من 5 هكتارات. إلا أن الظروف المناخية القاسية ووجود مساحات غير صالحة للاستغلال (سطوح مكسوة بالقرشات الكلسية وأخرى معرارة من المواد السطحية) وغير القابلة للحرق يحدان بشكل كبير من أهمية النشاط الزراعي. وفي محاولاتهم للتغلب على هذه الصعاب، وبصفة خاصة على ندرة الماء، يعتمد الفلاحون على استغلال المياه الجوفية عن طريق حفر الآبار التي يصل عددها في الجماعة إلى 1.400 بئر حسب تقديرات مركز الأشغال الفلاحية. وقد بدأت ظاهرة استغلال المياه الجوفية مع دخول الاستعمار إلى المنطقة وحصول المعمرين على أجود أراضيها. وتتوفر الجماعة على عدد مهم من رؤوس الماشية خاصة الأغنام والماعز وهو ما يعكس استمرار السكان في التعاطي للنشاط الرعوي الذي كونه لمدة طويلة عماد حياتهم الاقتصادية.

إلى جانب الفلاحة تعرف الجماعة كباقي المناطق المجاورة هجرة دولية مهمة، غير أن هذه الظاهرة أقل أهمية مما هي عليه في الجماعات المجاورة، خاصة تلك التي تنتمي إلى دائرة الريف. وقد قدرت نسبة المهاجرين في الجماعة بين 4 و 8٪ من مجموع السكان (Bossard, 78). ويقوم هؤلاء بتحويل مبالغ مالية مهمة نحو ذويهم، الشيء الذي يعمل على الرفع من مستوى العيش وعلى تطور الجماعة خاصة مركزها الحضري. (انظر دار الدريوش).

أما الدستور وفق المعنى الشكلي فيراد به الوثيقة المدونة المتضمنة لمجموعة من المقتضيات والأحكام الصادرة من السلطة المختصة، وهي السلطة التأسيسية الأصلية التي يختلف تكوينها باختلاف الدساتير. وتبعاً لهذا المعنى فإن الدستور لا يكون له وجود إلا بالنسبة للدول التي تأخذ بفكرة الدساتير المكتوبة، أما الدول التي لا تعرف الدستور المكتوب كإنجلترا فإنه لا يتصور أن يوجد بها دستور ما دام هذا الأخير وفق المدلول الشكلي لمعنى الدستور يصدر فقط عن السلطة التأسيسية.

وينصرف مصطلح الدستور أساساً إلى الوثيقة الدستورية التي تتضمن القواعد الأساسية المتعلقة بنظام الحكم في الدولة كالدستور الفرنسي والإسباني والمغربي الخ... وذلك من حيث تنظيم السلطات العامة وتحديد اختصاصاتها وبيان الحقوق والحريات المقررة للأفراد وكذلك الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع اختلاف الدساتير فيما تتضمنها من مقتضيات وأحكام.

والوثيقة الدستورية التي تشكل المصدر الهام للقانون الدستوري قد تكون واحدة وهذه هي القاعدة والأصل ؛ وقد تكون متعددة كما هو الحال بالنسبة لدستور الجمهورية الثالثة في فرنسا، حيث صدرت ثلاثة قوانين دستورية : الأول صدر بتاريخ 24 فبراير 1875 من أجل تنظيم مجلس الشيوخ، ويتضمن إحدى عشرة مادة، والثاني صدر في 25 فبراير 1875 وهو متعلق بتنظيم السلطات العامة ويتضمن تسع مواد، والثالث صدر في 16 يوليو 1875 ويحتوي على أربع عشرة مادة متعلقة بتنظيم العلاقة بين السلطات. وهذه القوانين الثلاثة هي التي تشكل في مجموعها دستور 1875 أو ما يسمى بدستور الجمهورية الثالثة الذي ظل قائماً إلى تاريخ اندحار فرنسا أمام ألمانيا النازية سنة 1940.

كما أن الوثيقة الدستورية من حيث عدد فصولها قد تكون طويلة مثل دستور الهند لسنة 1949 الذي يتضمن 395 مادة بالإضافة إلى جداول مرفقة بالدستور، ودستور يوغوسلافيا لسنة 1963 الذي كان يحتوي على 259 مادة، ودستور المملكة الليبية لسنة 1951 الذي كان يحتوي على 204 مادة. وعلى خلاف ما سبق، توجد دساتير عدد موادها ليس بالكثير كما هو الحال بالنسبة لدستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان وقت صدوره سنة 1787 متضمناً لسبع مواد فقط، وكذلك الأمر بالنسبة لدستور فرنسا لسنة 1875 الذي كان يتضمن 34 مادة. أما الدساتير المغربية المتعاقبة فتتضمن مجموعة من الفصول محددة تبعاً لتسلسل الدساتير من الناحية الزمنية على النحو التالي : دستور 1962 : 110 فصل، دستور 1970 : 101 فصل، دستور 1972 : 103 فصل، دستور 1992 : 102 فصل، دستور 1996 : 108 فصل.

تنقسم الدساتير من حيث مصدر القاعدة الدستورية إلى دساتير مكتوبة ودساتير عرفية :

- الدستور المكتوب هو الذي يضع أحكامه المشرع الدستوري ويدون قواعده في وثيقة رسمية واحدة أو عدة وثائق. وأول الدساتير المكتوبة هي التي وضعتها لنفسها المستعمرات الإنجليزية بأمريكا الشمالية وقت أن أعلنت انفصالها عن التاج البريطاني سنة 1776، ثم تلا ذلك في سنة 1781 صدور دستور الاتحاد التعاهدي، وفي سنة 1787 صدر الدستور الاتحادي للولايات المتحدة الأمريكية الذي لا يزال ساري النفاذ مع ما أدخل عليه من تعديلات وصلت إلى 26 تعديلاً.

ثم انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة من أمريكا الشمالية إلى فرنسا التي وضعت أول دستور مكتوب لها سنة 1791 في عهد الملك لويس السادس عشر. ثم توالى بعد ذلك صدور بقية الدساتير المكتوبة (1793 - 1795 - 1799 - 1814 - 1830 - 1848 - 1852 - 1875 - 1946) والذي كان آخرها دستور 1958 (دستور ديغول أو دستور الجمهورية الخامسة) مع ما أدخل عليه من تعديلات وخاصة التعديل الذي تم سنة 1962.

ومن فرنسا انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة إلى بقية دول العالم، حيث تم وضع دستور بلجيكا سنة 1831 وإيطاليا سنة 1848 وفنلندا سنة 1919 وتركيا سنة 1924 والعراق 1925 والأردن سنة 1928 والمغرب سنة 1962 الخ...

وفكرة الدساتير المكتوبة أصبحت تشكل جزءاً من كيان الدولة الحديثة بحيث أصبح من المتعذر العدول عن هذه الوسيلة والرجوع إلى فكرة الدساتير العرفية التي آل مصيرها إلى الزوال والأفول.

- الدستور العرفي هو ذلك الدستور الذي يستمد أحكامه عن غير طريق التشريع، أي ذلك الذي تتكون أحكامه وقواعده ومقتضياته عن طريق العرف الذي ينشأ تلقائياً من أجل معالجة أمور ومسائل تتعلق بنظام الحكم، دون تدخل من المشرع الوضعي.

ويثبت التاريخ الدستوري أن دساتير الدول القديمة بدأت في شكل قواعد عرفية وظلت كذلك إلى ما بعد منتصف القرن الثامن عشر، حيث افتتحت الثورتان : الأمريكية والفرنسية عهد الدساتير المكتوبة.

والمثال التقليدي للدساتير العرفية هو دستور المملكة المتحدة. فإنجلترا لا تملك وثيقة مكتوبة تسمى الدستور الإنجليزي تحوي بين دفتيها القواعد الدستورية. ذلك أن جل القواعد المتعلقة بنظام الحكم تكونت في هذا القطر على مر الزمن بالعادة والتكرار حتى استقر في ذهن الجماعة وجوب احترامها والعمل بمقتضياتها.

وإذا كانت المملكة المتحدة ذات دستور عرفي، فإنه توجد بها وثائق مكتوبة تشكل جانباً هاماً من مصادر النظام الدستوري الإنجليزي في الوقت الحاضر، من غير أن يترتب عن ذلك إخراج بريطانيا من إطار الدول ذات الدساتير العرفية.

ومن أمثلة هذه الوثائق المكتوبة في إنجلترا ما يلي :
العهد الأعظم - ملتمس الحقوق - وثيقة الهابياس كوربوس -
قرار التثبيت أو قانون توارث العرش - قانون البرلمان.
وإذا كان الدستور العرفي يرتبط بالدول التي لا تأخذ
بفكرة الدساتير المكتوبة، فإن العرف الدستوري كمصطلح
يطلق على القواعد العرفية التي تنشأ في إطار دولة لها
دستور مكتوب. فإسبانيا والمغرب والجزائر وسائر الدول
ذات الدساتير المكتوبة لا توجد بها دساتير عرفية، ولكنها
تعرف قواعد عرفية تظهر بجوار الدستور المكتوب من أجل
تفسير نص دستوري أو تكملة أو تعديله، بل وحتى إيجاد
قواعد دستورية غير منصوص عليها في الوثيقة
الدستورية.

وتنقسم الدساتير بالنظر إلى كيفية تعديلها إلى دساتير
مرنة ودساتير جامدة.

الدستور المرن : هو ذلك الدستور الذي يمكن تعديله
بقانون عادي تصدره السلطة التشريعية، دون حاجة إلى
اتباع أي إجراء آخر يختلف عن الإجراء المتبع في وضع
وتعديل القانون العادي ؛ أي أن الدستور المرن تعدل
أحكامه بواسطة السلطة المختصة بالتشريع.

وفي إطار هذا النمط من الدساتير تتساوى القوانين
الدستورية مع القوانين العادية، وتحتل نفس المرتبة والدرجة.
وإذا حدث تعارض بين نص دستوري ونص عادي، فإن
اللاحق يلغي السابق، دون أن تثار مسألة الرقابة على
دستورية القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير العرفية المرنة، دستور إنجلترا، حيث
يستطيع البرلمان أن يغير القواعد الدستورية بنفس الطريقة
التي يعدل بها القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير المكتوبة المرنة : دستور فرنسا
لسنة 1814 و1830، دستور إيطاليا لسنة 1848، دستور
قطر لسنة 1972. وكون هذه الدساتير المكتوبة اتصفت
بالمرونة، فمرد ذلك خلو الوثيقة الدستورية من الإجراءات
المتعلقة بالتعديل، الأمر الذي جعل هذا النمط من الدساتير
يندرج في إطار الدساتير المرنة.

- الدستور الجامد هو ذلك الذي لا يمكن تعديله وتغييره
بقانون عادي، وإنما يتحتم من أجل تعديله اتباع الإجراءات
التي حددها الدستور وبينها في نصوصه.

والإجراءات المتبعة لتعديل الدساتير الجامدة ليست
واحدة، نظراً لاختلاف الدساتير في هذا المضمار. فقد
يشترط الدستور اجتماع مجلسي البرلمان في هيئة مؤتمر
عندما يكون البرلمان مكوناً من مجلسين، وقد يشترط
إسناد التعديل إلى جمعية يختار أعضاؤها خصيصاً لهذا
الغرض، وقد يشترط لإتمام التعديل أغلبية موصوفة، وقد
يشترط موافقة الشعب على التعديل.

والهدف من تقرير جمود الدستور، هو إعطاؤه نوعاً من
الثبات والاستقرار. ولتحقيق هذه الغاية فإن قواعده
ومقتضياته تحاط بسياج متين يضمن لها قدراً من السمو
والعلو، للحيلولة دون التغييرات التي تتم دون روية وتدبر

وتفكير. ولهذا، فإن جمود الدستور لا يعني مطلقاً عدم
المساس به، لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الأشياء ويتجافى
مع سنة الحياة التي لا تقبل الجمود المطلق.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه إذا كان الدستور المرن
يتميز بإمكان تعديله باتباع ذات الإجراءات المتطلبية لتعديل
القوانين العادية، فإن الدستور الجامد ليس كذلك. ولهذا
حينما تختلف الإجراءات المتبعة في تعديل القوانين
الدستورية عن تلك المتطلبية لتعديل القوانين العادية، فإن
الدستور يكون جامداً، مهما بلغت درجة هذا الاختلاف من
الضآلة، كأن يشترط في تعديل القواعد الدستورية توافر
أغلبية الثلثين، ويتطلب في تعديل القوانين العادية تحقق
الأغلبية المطلقة.

ويرتب على اتصاف الدستور بصفة الجمود سريان هذا
الجمود على كل المقتضيات التي تتضمنها الوثيقة
الدستورية، بما في ذلك تلك المقتضيات التي تعالج بأداة
قانونية أدنى من الدستور، والتي تعتبر دستورية من
الناحية الشكلية دون الناحية الموضوعية، الأمر الذي يجعل
الوثيقة الدستورية لا تعدل إلا بعد اتباع الإجراءات .
المنصوص عليها في الدستور ذاته. وإذا حدث تعارض بين
نص دستوري ونص عادي، فإنه في هذه الحالة تثار مسألة
الرقابة على دستورية القوانين.

مظاهر جمود الدستور : يلجأ واضعو الدساتير الجامدة
للحيلولة دون تعديل أحكام الوثيقة الدستورية إلى منع
التعديل خلال فترة زمنية (الحظر الزمني)، أو منع تعديل
بعض النصوص بصفة دائمة (الحظر الموضوعي).

أ - الحظر الزمني القصد من هذا الحظر هو حماية
الدستور فترة من الزمن لا يجوز خلالها اقتراح تعديل
أحكامه، بهدف ضمان نفاذ قواعده فترة تكفي لتثبيتها
وترسيخها قبل أن يسمح باقتراح تعديلها، ومن ذلك
دستور الكويت (المادة 174)، البحرين (المادة الأولى، بند
"و")، المغرب (الفصل 21، الفقرة الأولى).

ب - الحظر الموضوعي يتوخى هذا الحظر حماية أحكام
معينة في الدستور على نحو يحول دون إمكانية تعديلها،
نظراً لكونها تشكل الحجر الأساسي في النظام السياسي
الذي يقيمه الدستور. ومن أمثلة الدساتير التي نصت على
الحظر الموضوعي المؤبد لبعض النصوص، دستور فرنسا
لسنة 1958 (المادة 89، الفقرة الثانية)، دستور ألمانيا
الاتحادية (المادة 79، الفقرة الأخيرة)، دستور الكويت
(المادة 175)، دستور المغرب لسنة 1996 (الفصل 106).

تختلف طرق وضع الدساتير المكتوبة باختلاف الدول،
وتباين أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية،
وتفاوتها في مضمار الحضارة والمدينة، ومدى النضج
السياسي لدى الرأي العام فيها ؛ كما تتأثر طريقة الوضع
بنوعية نظام الحكم الذي يراد الأخذ به.

والطرق المتبعة في وضع الدساتير هي التالية :

- أسلوب المنحه وفق هذا الأسلوب ينفرد الحاكم بوضع الوثيقة الدستورية دون مشاركة أو مساهمة من الشعب. لهذا يعتبر الدستور الممنوح هبة أو منحة من طرف الحاكم الذي تكرم وتفضل بالتنازل عن جزء من اختصاصاته المطلقة لصالح المحكومين من أفراد رعيته.

ويمثل هذا الأسلوب في وضع الدساتير الانتقال من الحكم المطلق الذي تتجسد فيه السيادة في شخص الحاكم إلى الحكم المقيد الذي من خصائصه تقييد سلطات الحاكم، نتيجة تحديد الدستور لسلطات الدولة واختصاصاتها وبيان ما يتمتع به الشعب من حقوق وحريات.

من أمثلة الدساتير الممنوحة دستور فرنسا لسنة 1814 ودستور إيطاليا لسنة 1848 ودستور اليابان لسنة 1889 ودستور مصر لسنة 1923 ودستور قطر لسنة 1972 ودستور السعودية لسنة 1992 الذي جاء فيه ما يلي :

"بعون الله تعالى : نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة ونظراً لتطور الدولة في مختلف المجالات ورغبة في تحقيق الأهداف التي نسعى إليها. أمرنا بما هوأت..."

- أسلوب التعاقد بمقتضى هذه الوسيلة ينشأ الدستور باتفاق بين الحاكم وممثلي الشعب، حيث يتعذر على أي طرف أن يستأثر بعملية إقرار الدستور إلا بعد تلاقي إرادة كل من رئيس الدولة وأعضاء البرلمان الذين يمثلون الشعب. ويتبين من هذا الأسلوب في وضع الوثيقة الدستورية أن نظام الحكم الفردي بدأ في الضعف وسائر إلى الأقول والزوال، وأن إرادة الشعب أخذت في الظهور والصعود، وفارضة وجودها عبر من يمثلها في البرلمان. ولهذا تعتبر هذه الوسيلة خطوة إلى الأمام في طريق الديمقراطية، مما يجعلها أفضل من أسلوب المنحة.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت بأسلوب التعاقد ما يلي : دستور فرنسا لسنة 1830 - دستور العراق لسنة 1925 - دستور الأردن لسنة 1946 و1952 - دستور الكويت لسنة 1962 - دستور البحرين لسنة 1973.

- أسلوب الجمعية التأسيسية المنتخبة وفق هذا الأسلوب يتولى الشعب وضع الوثيقة الدستورية بطريق غير مباشر عبر ممثلين ينتخبهم من أجل ممارسة السلطة التأسيسية ووضع دستور للبلاد.

وترجع هذه الوسيلة في أصلها وبداية ظهورها إلى أمريكا، حيث تم بواسطتها وضع دساتير أغلب الولايات الأمريكية عقب إعلان استقلالها عن إنجلترا سنة 1776، وبذات الوسيلة صدر الدستور الاتحادي سنة 1787.

ومن أمريكا انتقلت هذه الوسيلة إلى فرنسا، حيث وضعت دساتير 1791 و1848 و1875 عن طريق جمعية نيابية منتخبة.

ومن فرنسا انتقلت هذه الوسيلة إلى دول عديدة منها :

- دستور ألمانيا لسنة 1919 - دستور إسبانيا لسنة 1931 - دستور تركيا لسنة 1924 - دستور سوريا لسنة 1950 - دستور تونس لسنة 1959 - دستور البرتغال لسنة 1976.

والدستور الصادر وفق هذا الأسلوب يصبح نافذاً من تلقاء ذاته بمجرد إقراره من طرف الجمعية المنتخبة دون حاجة إلى عرضه على الشعب للحصول على موافقته ومن غير حاجة أيضاً إلى موافقة جهة من الجهات بما في ذلك رئيس الدولة.

- أسلوب الاستفتاء الدستوري قد يتم إعداد الدستور من طرف جمعية منتخبة أو لجنة حكومية وقد ينفرد رئيس الدولة بإعداد صياغته، ومع ذلك يعتبر الدستور صادراً وفق أسلوب الاستفتاء الدستوري، ما دام الدستور لا يمكن إصداره إلا بعد موافقة الشعب عليه عن طريق الاستفتاء.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت من طرف جمعية منتخبة ووافق عليها الشعب دستور فرنسا لسنة 1946. ومن أمثلة الدساتير التي أعدت من طرف لجنة حكومية وأقرها الشعب دستور مصر لسنة 1956 ودستور فرنسا لسنة 1958.

ومن أمثلة الدساتير التي انفرد رئيس الدولة بصياغتها ووافق عليها الشعب في استفتاء عام دساتير المغرب لسنة 1962، 1970، 1972، 1992، 1996.

ويعد أسلوب الاستفتاء الدستوري تطبيقاً لفكرة الديمقراطية المباشرة، لأن الشعب هو الذي يختار دستوره بنفسه دون إنابة أو تفويض.

ولما كان أسلوب الاستفتاء الدستوري في وضع الوثائق الدستورية يمكن الشعب بصورة مباشرة من الاستئثار بعملية الإقرار النهائي للدستور، فإنه من أجل ذلك يعتبر من أكثر الوسائل ديمقراطية، لكونه يأخذ من الديمقراطية بأكبر نصيب ويبلغ منها أقصى درجة وأبعد مدى.

وقد اتبعت طريقة الاستفتاء الدستوري العديد من الدساتير منها : دستور فرنسا لسنة 1793 - 1795 - 1946. 1958. دستور مصر لسنة 1956 و1971، دستور إسبانيا لسنة 1978، دساتير المغرب (1962 - 1970 - 1972 - 1992. 1996)، وإذا كان أسلوب الاستفتاء الدستوري يفضل الأساليب السابقة، فإنه من الناحية الواقعية والفعالية لا يعتبر كذلك، إلا إذا كان الشعب على درجة من الوعي السياسي، وكان في إمكانه رفض الدستور إذا تبين له أنه لا يساير روح العصر أولاً يستجيب لآماله وتطلعاته في كيفية تدبير الشأن العام.

تعديل الدساتير : إن الدستور في واقع أمره حقيقة حاله هو تخطيط للنظام السياسي في بلد معين. ونتيجة لذلك فهو يظهر إلى حيز الوجود متضمناً للقواعد الأساسية للدولة وفق أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة وقت صدوره.

ولما كانت الحياة الاجتماعية متغيرة، على خلاف الوضع

بالنسبة للدستور الذي يتسم بالسكون، فإنه كان لزاماً من أجل مساهمة الحياة المتغيرة، أن يتطور الدستور حتى يواكب هذه المتغيرات ويغطي المستجدات التي تطرأ على حياة الدولة لكي لا تظهر الفجوة بين التنظيم القانوني القائم وبين الواقع الفعلي.

ولتحقيق هذه الغاية قد يقتصر الأمر على تعديل بعض النصوص الدستورية، وقد يتطلب الأمر إلغاء الوثيقة الدستورية برمتها وإستبدالها بغيرها.

والقاعدة في جل الدساتير الجامدة أنها لا تنظم إلا طريقة تعديلها تعديلاً جزئياً، في حين أن البعض الآخر يتصدى لبيان طريقة التعديل الجزئي ويحدد في ذات الوقت كيفية التعديل الكلي للوثيقة الدستورية، من ذلك دستور إسبانيا لسنة 1978 الذي أفرد المادة 166 و167 للتعديل الجزئي وخصص المادة 168 للتعديل الشامل للوثيقة الدستورية والمسائل أخرى. وهذه المادة تقرر ما يلي :

- وقت اقترح المراجعة الشاملة للدستور أو مراجعة قسم الباب التمهيدي أو الفصل الثاني أو الفرع الأول من الباب الأول أو الباب الثاني، سيتم اللجوء إلى الموافقة على المبدأ بأغلبية ثلثي أعضاء كل مجلس ثم يحل الكورتس مباشرة.

- يتوجب على المجلسين المنتخبين التصديق على قرار المراجعة والشروع في دراسة النص الدستوري الجديد ويتحتم التصديق عليه بأغلبية الثلثين في كل مجلس

- بعد مصادقة الكورتس تعرض المراجعة على الاستفتاء لإقراره".

فتعديل الدستور بأكمله يراد به انتهاء العمل بالوثيقة الدستورية برمتها، في حين أن التعديل الجزئي يراد به تعديل بعض أحكام الدستور فقط، وهو ما تخصص له جميع الدساتير الجامدة عنواناً مستقلاً توضح فيه الإجراءات الواجب إتباعها من أجل تغيير بعض مواد الدستور.

وفي النظام الدستوري المغربي حينما يتم انتهاء سريان الدستور بأكمله ويصدر دستور جديد، فإن هذا الأخير قد يخصص فصلاً خاصاً يشير فيه إلى انتهاء العمل بالدستور السابق. وهذا ما نجده في الدستور الثالث لسنة 1972 الذي ينص في الفصل 103 منه على ما يلي : "يلغى الدستور الصادر الأمر بتنفيذه بمقتضى الظهير الشريف رقم 170.177 بتاريخ 31 يوليوز 1970". بيد أن عدم ورود نص مماثل في أي دستور جديد (1992 - 1996) لا يعني أن الدستور القديم يظل قائماً ومنتجا لآثاره. ذلك أن الدولة لا يمكن أن يكون لها في ذات الوقت سوى دستور واحد يتم العمل بمقتضياته. وعلى هذا الأساس فإن الدستور اللاحق والصادر الأمر بتنفيذه يؤدي بصفة تلقائية إلى إلغاء الدستور السابق عليه.

والوضع يختلف حينما يكون الأمر متعلقاً بالتعديل الجزئي، حيث إن الذي يلغى أو يعدل في هذه الحالة ليس هو الدستور بأكمله، وإنما بعض المقتضيات التي تتضمنها

الوثيقة الدستورية، دون إلغاء للدستور الذي يبقى ساري النفاذ مادام التعديل قد انصب على بعض الفصول فقط.

والمثال على التعديل الجزئي ما حدث في المغرب سنة 1980، حيث تم في 21 و30 ماي ذات السنة تعديل الفصل 21 و43 و95، من غير أن يترتب على ذلك أي مساس بباقي فصول الوثيقة الدستورية. ذلك أنه بالرغم من المراجعة التي تمت في ظل دستور 1972، فإن هذا الدستور ظل قائماً ومطبقاً إلى أن ألغى بمقتضى الدستور الرابع لسنة 1992. وكذلك الأمر بالنسبة للمراجعة الجزئية التي تمت في 15 سبتمبر 1995 بغاية تعديل الفقرة الثالثة من الفصل 49 من دستور 1992، حيث تمخض عن الاستفتاء مجرد تعديل تلك الفقرة، مع بقاء الدستور منتجا لآثاره إلى أن ألغى بمقتضى الدستور الخامس لسنة 1996.

والدستور المغربي لسنة 1996 نظم موضوع تعديل الوثيقة الدستورية من حيث إجراءاته ونطاقه على النحو التالي :

الفصل 103 : "للملك والمجلس النواب والمجلس المستشارين حق اتخاذ المبادرة قصد مراجعة الدستور. للملك أن يستفتي شعبه مباشرة في شأن المشروع الذي يستهدف به مراجعة الدستور.

الفصل 104 : "إن اقترح مراجعة الدستور الذي يتقدم به عضو أو أكثر من أعضاء مجلس النواب أو مجلس المستشارين لا تصح الموافقة عليه إلا بتصويت ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم المجلس المعروض عليه الاقتراح، ويحال الاقتراح بعد ذلك إلى المجلس الآخر ولا تصح موافقته عليه إلا بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم".

الفصل 105 : "تعرض مشاريع واقتراحات مراجعة الدستور بمقتضى ظهير شريف على الشعب قصد الاستفتاء.

تصير المراجعة نهائية بعد إقرارها بالاستفتاء".

الفصل 106 : "النظام الملكي للدولة وكذلك النصوص المتعلقة بالدين الإسلامي لا يمكن أن تتناولها المراجعة".

بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، السعيد سعيد الحوري الشرتوفي، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد : أ. عطية، القاموس السياسي، بيروت، 1974 : الدساتير الدولية المشار إليها في النص أعلاه : الدساتير المغربية الخمسة.

مصطفى قلوش

دستور جماعة لسان المغرب (1908) : إنه مشروع دستور نشرته جريدة "لسان المغرب" التي كان يحررها في طنجة ما بين 1907 و1909 الأخوان الشاميان المسيحيان فرج الله نمور وارتون نمور. ظهرت منه ثلاث وتسعون مادة في أربعة أعداد متتالية من الجريدة وهي مؤرخة في 11 و18 و25 أكتوبر وفاتح نونبر 1908. وتعتبر هذه المواد التي

تم الفراغ من تحريرها يوم الأحد 15 رمضان 1326 / 11 أكتوبر 1908 بمثابة الفصل الأول من المشروع، وهو "الدستور الأساسي المغربي"، وأعلن أنه سيتبع لاحقا بفصلين آخرين واحد منهما يبحث في "نظام منتدى الشورى الداخلي"، والثاني يتناول كيفية "الانتخابات العمومية". غير أن هذين الفصلين لم يريا النور.

تتوزع مواد الفصل الأول المنشور بين المواضيع التالية :
- الدولة والدين والسلطان (من المادة 1 حتى المادة 11).
- أبناء الدولة الشريفة : حقوقهم وواجباتهم العامة (من المادة 12 حتى المادة 50).

- مجلس الشرفاء (من المادة 51 حتى المادة 56).

- كبار الموظفين (من المادة 57 إلى المادة 66).

- مالية الدولة (من المادة 67 إلى المادة 70).

- رواتب الموظفين (من المادة 71 إلى المادة 74).

- الحماية الأجنبية (من المادة 75 إلى المادة 82).

- المدارس الوطنية (من المادة 83 إلى المادة 90).

- ملحق وهو عبارة عن تحديد لصلاحيات منتدى الشورى (من المادة 91 إلى المادة 93).

تضع مقتضيات هذا المشروع لبنات نظام ملكي دستوري متطور جاءت في وقت حفلت فيه الساحة السياسية المغربية بمبادرات إصلاحية تصب في نفس الاتجاه تقريبا (مذكرة عبد الله بن سعيد - مذكرة علي زنيبر - بيعة أهل فاس المشروطة لمولاي عبد الحفيظ - مذكرة عبد الكريم مراد...) وفي زمن اشرأت فيه الأعناق إلى التجربة العثمانية في مجال الحركة الدستورية. لكن "دستور لسان المغرب" يتميز عن غيره من التجارب التي عرفت الساحة المغربية بكونه قد نشر على الملأ على أعمدة جريدة ليطلع عليها السلطان والرعية على السواء. وهذه الجراة هي التي تفسر أن واضعيه الحقيقيين فضلوا عدم الكشف عن أسمائهم ريثما يتبين مآل مشروعهم. وقد أشار بعض الكتاب، خاصة منهم علال الفاسي، إلى أسماء بعض المغاربة المنتمين إلى "جريدة الاتحاد والترقي" في فاس والذين قد يكونون ساهموا في وضع مواد هذا الدستور. وهم : المهدي بن الطالب الفاسي، وسعيد الفاسي، وعبد الحفيظ الفاسي، وأحمد بن المواز، وأحمد الزبيدي (الحركات الاستقلالية، ص. 97).

غير أن من يمعن النظر في الأسلوب اللغوي وفي المفردات والمصطلحات المستعملة في تحرير مواد هذا المشروع تساوره شكوك في نسبته إلى أقلام مغربية. لذا دأب الباحثون على نسبته إلى "جماعة لسان المغرب" التي ربما ضمت في صفوفها، بالإضافة إلى نخبة متنورة من المغاربة، بعض المشاركة نزلاء المغرب وفي مقدمتهم الأخوان نمور. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذين الصحفيين كانا في نزاع مع المخزن في شأن نفقات الجريدة التي يحررانها، وكان من مصلحتهما العمل على إحراج السلطان المولى عبد

الحفيظ بنشر مشروع دستور يقيد سلطاته الأوطوقراطية ويفرض عليه الاحتكام إلى "منتدى الشورى" في سياسته. وتأتي هذه المبادرة بعد سلسلة من "الرسائل المفتوحة" وجهها الشاميان إلى السلطان على أعمدة جريدتهما قصد فضح عورات المخزن.

تعوزنا الوثائق لتبيان رد فعل المخزن والسلطان على مشروع دستور جماعة "لسان المغرب". ولكن، على العكس من ذلك، نعلم أن المخزن الحفيظي ضاق ذرعا بانتقادات الجريدة، فبادر إلى إصدار أوامره إلى النائب محمد الجباص بتوقيفها وطرد صاحبها من المغرب. وفعلا، توقفت الجريدة بعد صدور عددها الرابع والثمانين المؤرخ في 2 ماي 1909، ورُحل الشاميان عن البلاد ليستقر بهما المقام في البرازيل. إذا كان الستار قد أسدل على مشروع دستور جماعة لسان المغرب بتوقف الجريدة الطنجوية في ماي 1909 ثم بدخول البلاد تحت الهيمنة الاستعمارية في مارس 1912، فإن الحركة الوطنية قد حاولت أن تعيد إليه الاعتبار ابتداء من الثلاثينيات وتبنيته كجزء من تراثها. وكان الهدف من ذلك هو إبراز كون المغاربة قد اعتنقوا الفكر الدستوري قبل أن يجهض الاستعمار طموحاتهم. ومن الوطنيين الذين دافعوا عن وجهة النظر هذه كل من محمد المكي الناصري وعلال الفاسي.

أبو الفداء [المكي الناصري]، "الدستور المغربي، آخر مشروع قومي قبل الاستقلال" في المغرب الجديد، تطوان، العدد 6، 1935، ص. 81 : علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ط. 4، الرباط، 1980، ص. 97 - 101 : علال الفاسي، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، نشر مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 1990، ص. 29. 38 : محمد بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد : التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، ج. 1 : طور المخاض والنشوء، بيروت، 1982، ص. 75 - 116 : محمد المنوني، مظاهر بقطعة المغرب الحديث، ط. 2، الرباط، 1985، ج. 2، ص. 283. 292 : صور من تطلع المغرب للحياة الدستورية، في المناهل، العدد 41، الرباط، فبراير، 1993، 115 - 139 : ع. الكريم غلاب، التطور الدستوري والنيابي بالمغرب : 1908 - 1992، 1993، البيضاء، ص. 120، 126.

J. Cagne, *Nation et nationalisme au Maroc. Aux racines de la nation marocaine*, Rabat, 1988.

جامع بيضا

الدسة، أحمد، مطرب طنجي، نسب إليه ابتكار أسلوب في العزف على العود والكمان يعرف بالدسة، وهو إعادة الجملة اللحنية في الجوابات على الأوكتاف الأعلى مع الميل إلى ضغط النغمات وتعمير الفراغات المديدة.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, Fasc. 1, *Nouba de Ouchchâk*, p. 17, Paris, 1931 - 1932, 2 vol.

عبد العزيز بن عبد الجليل

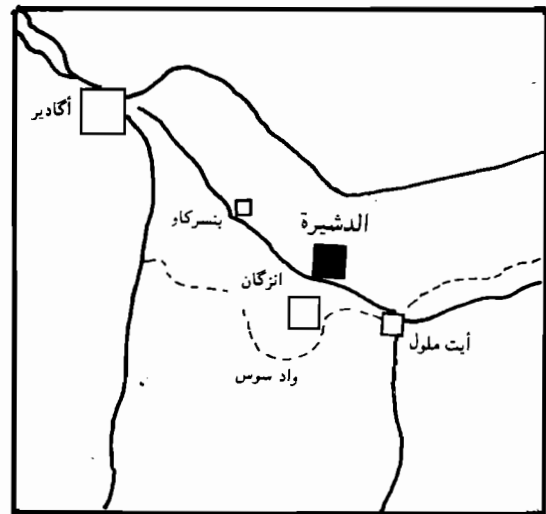
الدشيرة ← الدوآر

الدشيرة وتسمى منذ سنة 1992، "الدشيرة الجهادية"

مدينة تحتضن عند منتصف سنة 2000 حوالي 97395 نسمة وتتوسط الكوكبة الحضرية لأغادير الكبير حيث تشكل أحد أهم مراكزه التجارية والصناعية.

كانت في الأصل عبارة عن مجموعة من الدواوير الصغرى المتقاربة (الدشيرة، تغمي أو فلا، إرحال، تبارين، إكي إفرضن)، المتناثرة على طول الضفة اليمنى لواد سوس قبالة مدينة إنزكان في اتجاه الشمال، والتي كانت تمتد على طول تنوء ضخري، مستفيدة في ذلك من المميزات التي يوفرها هذا الموضع حيث الأراضي الواسعة التي تكونها المصطبات النهرية العليا لسوس ووفرة المياه التي تأتي بها ساقية الجهاد.

شهدت الدشيرة بعد زلزال أغادير إقبالا سكانيا كبيرا على غرار إنزكان، ارتبط في البداية باستقرار جزء من الأسر المنكوبة والذين أقيم لهم مخيم في عين المكان، ويقدم أعداد هامة من المغاربة فيما بعد من مختلف جهات البلاد وخاصة منهم الجنود نظراً لقربها من القاعدة العسكرية، والذين غالبا ما يختارون الإقامة بها نهائيا بعد إحالتهم على التقاعد، إضافة للتجار الصغار والعاملين بسوق الجملة ومتهني الحرف المختلفة الغير المهيكلة والذين يفضلون الاستقرار بها نظراً لموقعها المركزي بأغادير الكبير ولما توفره من فرص الحصول على مسكن بضمن زهيد، ونفس الشيء بالنسبة لأسر المتقاعدين من عناصر الجالية المغربية العاملة بالخارج والمنحدرين من منطقة سوس.



وقد أسفر هذا الإقبال عن توسع مجالي هام، اقترن في الستينيات بظهور مجموعة من الدواوير (المرس، أيت داود، لمعلم إبراهيم، لجديد، إكرو معي ...) على جوانب النوى

الأصلية، وانعكس فيما بعد منذ منتصف السبعينيات في نشوء حي البرغولا وانطلاقة البناء بالحي الصناعي تسيلاً وتجهيز حي الجهادية منذ نهاية الثمانينيات.

تزايد عدد سكان الدشيرة بشكل سريع جداً منذ الثلاثينيات حيث مر عددهم من 1818 سنة 1936 إلى قرابة 100000 نسمة اليوم، كما يبرز ذلك الجدول أسفله.

تطور عدد السكان الدشيرة ووزنها الديمغرافي بأغادير الكبير ما بين 1936 و2000.

السكان	1936	1960	1971	1982
العدد	1818	6589	18960	41009
% التزايد السنوي	-	5.51	10.09	7.27
الوزن بأغادير الكبير	4.08	5.87	8.32	9.21

السكان	1994	2000
العدد	72409	97365
% التزايد السنوي	4.85	5.06
الوزن بأغادير الكبير	9.19	9.79

ويقدر معدل نسبة التزايد السنوي ب 6.56% ما بين 1936 و2000 وذلك في مقابل 3.81% المعدل الحضري المسجل على الصعيد الوطني بالنسبة لنفس الفترة. وقد تميز إيقاع التزايد بنوع من التفاوت من فترة إلى أخرى. فإذا كانت وتيرته قد سجلت تصاعدا قويا ما بين 1960 و1971، فإنها أخذت في التراجع خلال العقود التالية، وإن كانت قيمتها قد بقيت مع ذلك أعلى من المعدل الحضري الوطني. ولم يؤثر ذلك على وزنها الديمغرافي بأغادير الكبير الذي ما فتئ يتعزز من عشرية لأخرى، إذ مر من 40.8% سنة 1936 إلى 83.2% سنة 1982 ثم إلى حوالي 10% اليوم عند منتصف سنة 2000.

وتعزز زيادة السكان أساساً إلى التوافد الذي ساهم بقسط وافر في تكوين السكان الحضريين بالدشيرة. فقد بلغ عدد الوافدين على المدينة إلى حدود سنة 1994 ما يعادل 44081 نسمة أي ما يمثل 60.82% من مجموع السكان. وهذا يعني أن نسبة المولودين بعين المكان لم تكن تتجاوز 39.19%. وكان عدد الوافدين لا يتجاوز 15126 نسمة سنة 1982، 36.88%. وتعتبر بذلك ثالث مدينة بأغادير الكبير من حيث حجم الوافدين بعد مدينتي أغادير وأيت ملول بعدما كانت تحتل المرتبة الثانية سنة 1982.

وينحدر معظم المهاجرين الذين وفدوا على الدشيرة منذ نشأتها إلى حدود سنة 1994 من خارج سوس، وذلك بنسبة 57.43% في مقابل 42.57% بالنسبة للمنحدرين من داخل سوس. وتجدر الإشارة إلى أن غالبية الوافدين من المولودين

بالوسط الحضري، وذلك بنسبة 76.12٪ من مجموع المهاجرين.

أعداد الوافدين بمدينة الدشيرة حسب مكان الولادة

الوافدون	الحضريون	القرويون	المجموع
من داخل سوس	5400	13363	18763
من خارج سوس	17212	8106	25318
المجموع	22612	27949	44081

وقد أثر هذا التوافد بشكل كبير على البنية الديمغرافية للمدينة والأوضاع المهنية للسكان وظروف سكنهم وكذا على تكوين النسيج الحضري للمدينة، وخاصة أنها إلى حدود 1992 كانت من الناحية الإدارية عبارة عن مركز تابع للجماعة القروية لأيت ملول، ولم تحظ بأية تهيئة مجالية تؤهلها لاستقبال الحشود البشرية التي وفدت عليها وخاصة ما بين 1960 و1982.

هكذا نلاحظ من خلال نتائج إحصاء 1994، وجود عدة اختلالات في البنية الديمغرافية للمدينة، تظهر أولاً في ارتفاع نسبة الذكورة بالمدينة حيث يستأثر عنصر الذكور بحصة الأسد في المجتمع الدشيري، وذلك بنسبة 52.09٪ في مقابل 47.91٪ بالنسبة للإناث. وتتجلى ثانياً في نسبة العزوبة التي تبلغ 41٪ من المجموع، 26.05 أزيد من ربعهم ذكور. وتمثل ثالثاً في نسبة التمدرس التي لم تتعد بعد 87.21٪ من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة (94.13٪ لدى الذكور و80.46٪ فقط لدى الإناث، ونفس الشيء أيضاً بالنسبة للأمية التي ما زالت نسبتها مرتفعة

حيث تبلغ 39.06٪ من مجموع السكان الذين يزيد عمرهم عن عشر سنوات، وخاصة لدى الإناث حيث تقدر ب 52٪. وتتجلى مظاهر الاختلال بالمدينة في الظروف السكنية للأسر حيث نجد أن 48٪ منهم يقطنون بمنازل من غرفة إلى غرفتين فقط، إضافة إلى ارتفاع نسبة الكراء التي تهم قرابة نصف الأسر (49٪)، والنقص الملاحظ على مستوى التجهيز المنزلي حيث إن نسبة المنازل المرتبطة بشبكة الماء الشروب والكهرباء لا تتعدى على التوالي 71٪ و86.12٪ من مجموع المنازل بالمدينة.

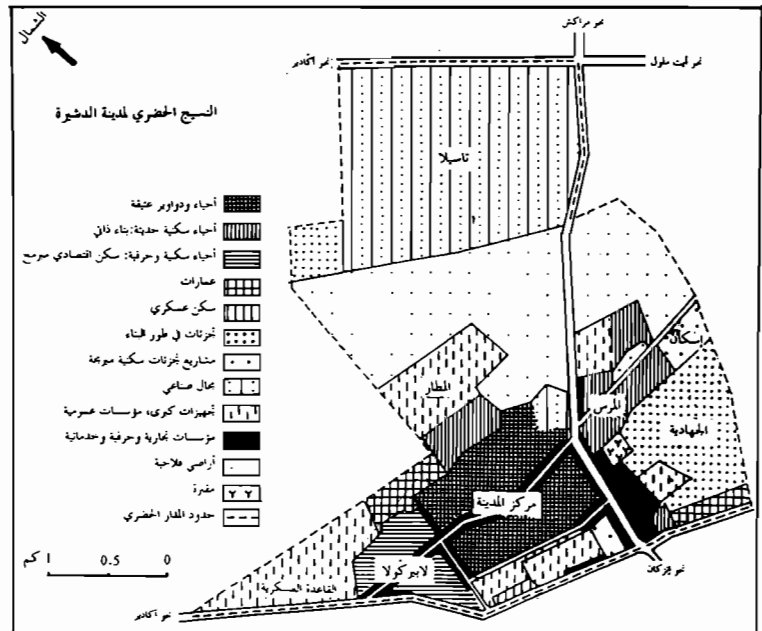
ولم تحلُ كيفية تكوين سكان الدشيرة من تأثير أيضاً على بنية النشاط بالمدينة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نسبة النشاط بها تقدر سنة 1994 ب 34.10٪ في مقابل 24.6٪ سنة 1982 و22.6٪ سنة 1971. والمثير هنا أن هذه النسبة ترتفع لدى الذكور إلى 55.26٪ من مجموعهم، بينما لا تتجاوز لدى الإناث 11.15٪. ونفس الشيء بالنسبة للبطالة التي وإن كانت دون المعدل الحضري الوطني لسنة 1994 (20.3٪) فإنها تبقى مع ذلك مرتفعة تقدر ب 17٪.

لقد مر عدد النشطين المشتغلين بالدشيرة من 3632 فرد سنة 1971 إلى 9932 سنة 1982 ثم إلى 20519 فرد سنة 1994. وتتميز البنية المهنية لهؤلاء النشطين بتضخم أنشطة القطاع الثالث الذي سجل تقدماً كبيراً منذ بداية السبعينيات، إذ مر من 44.77٪ سنة 1971 إلى 62.08٪ سنة 1994. وهذا في وقت غمت فيه أيضاً قطاعات الصيد البحري والبناء والأشغال العمومية. كما ينفرد بضعف الفلاحة والقطاع الصناعي والحرفي وتراجعت فيه بشكل ملموس من حيث نسبة المساهمة في التشغيل الفلاحة والشناعة والحرف.

توزيع السكان النشيطين حسب فروع النشاط الاقتصادي (٪)

السنة	1971	1982	1994
القطاع الأول	9.17	5.34	7.41
القطاع الثاني	42.51	34.69	29.02
القطاع الثالث	48.32	59.97	63.57
المجموع	100	100	100

وتعتبر الصناعة والتجارة أهم الوظائف الحضرية بالمدينة. فمن حيث الصناعة يحتضن المجال الحضري إحدى أقدم الوحدات الصناعية بأكادير الكبير وتمثل في معمل فتنازبا الموجود بالمركز القديم والمتخصص في إنتاج الصناديق الخشبية الموجهة لقطاع التلفيف والتصبير والذي يشغل حوالي 350 عاملاً. يضاف إلى ذلك الوحدات الصناعية الأخرى المستحدثة بالحلي الصناعي تاسيلا الذي



علي البطوئي، حيث وصف بالتصوف والزهد والورع، وقال غيره.

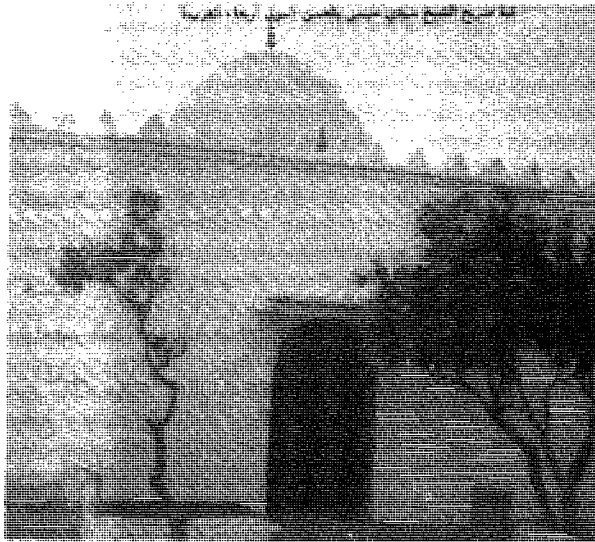
أخذ عن سيدي رضوان الجنوي وانتفع به، كما أخذ عن غيره. وأخذ عنه سيدي أحمد بن علي بن يوسف الفاسي وغيره. وتوفي بفاس عام 1612/1021.

م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 3: 196: ع. الرحمان ابن زيدان، إنحاف، 5: 455.

رقية بلمقدم

الدعاع أو الدعدة. (يسهل الغرب) اسم ارتبط في النصوص العربية بمكان دفن الولي الصالح الحسن بن عيسى المصباحي وابنه عيسى بن الحسن، وهو في وقتنا هذا اسم يدل على مقبرة سيدي عيسى والأرض المنخفضة شمالها وتقعان شمال مدينة سوق أربعاء الغرب أو سوق أربعاء سيدي عيسى نسبة إلى قبة سيدي عيسى بن الحسن المصباحي. وتقع المدينة على الطريق الرئيسية الرابطة بين الرباط وطنجة: 117 كلم و164 كلم.

اشتق اسم الدعاع من صفه سطح الأرض أي السطح غير القار الذي تقع به زعزعة، وحول حرف الزاي في الكلمة إلى حرف الدال فأصبحت دعدة، ودعاع. ويُوافق هذا التفسير طبيعة الأرض المنخفضة التي يشرف عليها من جهة الجنوب موقع قبة سيدي عيسى. وهي عبارة عن أرض فارغة تغطيها تربة "الترس" السوداء. وتذكر ساكنة الدعاع أن هذا السطح كان مرجة يغطيها الماء شتاءً ولا يمكن المرور فوقه صيفاً فهو سطح غير ثابت مادام سمك التربة المكتنزة للماء كبيراً جداً.



أما قبة سيدي عيسى المرتبطة بهذا الاسم فتقع بالجزء الشمالي من المقبرة المحاطة بسور، فوق ارتفاع خفيف عن أرض الدعاع المنخفضة. وهي قبة ثمانية الأضلاع تتركز على قاعة مربعة الشكل تحيط بها القبور وتحتض وسطها قبر سيدي عيسى وقبر أبيه الحسن وأخيه، مجهول الاسم،

تم إلحاقه إدارياً بالدشيرة سنة 1992، والتي بلغ عددها اليوم 28 وتشغل 2508 من العمال: 5 وحدات منها متخصصة في الصناعة الغذائية و7 في الصناعة الميكانيكية والكهربائية و10 في مواد البناء، 2 منها في صناعة الرخام، والباقي يتوزع ما بين الصناعة الكيماوية والشبه كيماوية والنسيج والجلد والخشب...

أما بالنسبة للتجارة، فتمتاز بكونها تشغل 23.52٪ من النشاطين 1994 ويوجد حوالي 1250 محلاً تجارياً متخصصاً في مختلف الفروع التجارية وخاصة منها المواد الغذائية والألبسة والتجهيز المنزلي. إلا أن أهم ما يميز الوظيفة التجارية للمدينة هو احتضانها لـ 110 مؤسسة متخصصة في التجهيز الحرفي الموجه أساساً لقطاعي النجارة والبناء والتي يمتد نفوذها على نطاق واسع من منطقة سوس.

وبالنسبة لمورفولوجية المدينة فتتميز بوجود نسيج حضري يتكون أساساً من وجود نواتين منعزلتين يفصل بينهما من جهة أراضي فارغة ومن جهة ثانية المطار العسكري، وهما المدينة الأصلية والمنطقة الصناعية تاسيلاً. وتقع هذه الأخيرة شمال المدينة، وتمتد على مساحة 261 هكتار. وقد أعدت من طرف الدولة منذ أواخر الثمانينيات. استقبلت إلى حد اليوم حوالي 44 وحدة صناعية وخدماتية من مجموع 326 مؤسسة المقررة في هذا المشروع، بمعنى أن نسبة تامين الأراضي لم تتجاوز بعد 13.5٪ بهذه التجزئة الصناعية.

أما النواة الأصلية فتوجد في الجنوب وتتكون من المركز القديم الذي هو عبارة عن مجموعة من الدواوير المتجاورة والتي تلاحت فيما بينها مؤخراً، بالإضافة إلى الأحياء الحديثة لايبركولا غرباً بجوار الثكنة العسكرية والمرس والجهادية شرقاً على الضفة اليمنى لوادي سوس، واللذين لازالا في طور البناء.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم أحياء مركز المدينة ولايبركولا والمرس كذلك تتميز بوجود شوارع وأزقة مكتظة بالمحلات المهنية حيث تتداخل على مستوى الزقاق الواحد الأنشطة التجارية الراقية والحرفية والخدمات الملوثة الشيء الذي ينتج مشاهد حضرية جد متدهورة.

التصميم التوجيهي للمجموعة الحضرية لأكادير الكبير: بحوث شخصية.

A. Hnaka, Taoudant et Ouled Teima, bipôle urbain du Souss, Agadir, 1995; B. Kidou, Contribution à l'étude démographique de la population urbaine du Grand-Agadir, Thèse de doctorat, Université des Sciences et Technologies de Lille, 1994.

عثمان هناك

الدشيش، سيدي علي بن محمد الزرهوني، صالح له ضريح شهير يزقاق الرمان بفاس، لا تعرف له ترجمة عدا ما ذكره محمد بن الطيب القادري في نشر الثاني، نقلاً عن

حسب الرواية الشفوية، وهناك قبور أخرى لبعض أعلام منطقة الغرب ومدينة سوق أربعاء الغرب.

م. ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، تح. م. حجي، الرباط، 1977، ص. 85؛ بن الطيب القادري، نشر الثاني، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، ج. I : 151 و III : 194؛ محمد المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، تح. ع. الحوي العمري وعبد الكريم مراد، فاس، 1989، ص. 126 - 127؛ عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، سلا، 1989، ص. 191.

E. Michaux-Bellaire et G. Salmon, *El-Qçar el-Kebir, une ville de province du Maroc septentrional*, A.M., Vol. I, n° 2, 1904.

أحمد أشعبان

الدعابجي محمد، مَعْنُ ولد حوالي سنة 1910 بدوار الدعابجة بمنطقة الحصبة. (بلاد عبدة) تتلمذ على يد الشيخ إدريس بندحان الذي لم يحترف الغناء. يعد من فحول وشيوخ الحصبة. فقد كان يدعى أبا العبيطة القديمة الحسباوية خلال مطلع القرن العشرين. ولا يمكن حاليا الحديث عن أي شخص له دراية بعيوط الحصبة وموازينها دون ذكر الشيخ الدعابجي. أقام حفلات وسهرات بعيوط الحصبة في حوز أسفي وناحية مراكش والشاوية ودكالة. لقد انقطع نشاطه الفني منذ حوالي عشر سنوات بسبب مرضه. ويرجع له الفضل في تسجيل عيوط الحصبة على الأشرطة باستثناء عبطتي - كاسي فريد ه - و - واليني واليني.

للدعابجي أسلوب خاص في العزف والأداء يعتمد الطرق القديمة التي تعزف على وترين دون هرمونيا. وتركز على الأصوات الحشنة والعالية. ومازالت الخزانات الخاصة تزخر بهذا اللون من العيوط.

رافق هذا الفنان طاقم قديم جدا مثل أصحاب التعارج كعبد السلام الذي توفي حوالي 1972 وكالشهب الذي توفي سنة 1978. وبوفاة هؤلاء ورحيل جيله بدأ نشاطه يقل شيئا فشيئا. أما عن الشيوخ فشيخات الدعابجي من أحسن وأمهـر الشيخات بحيث يتقن الحصبة والمرسى والزعري وأغلبهن الآن لهن فرق خاصة مثل عيدة. وشامة اسكندرية، الخ.

وبوفاة هذا الشيخ حوالي سنة 1415 / 1995 جُمِدَت مجموعة من عيوط الحصبة مثل عيطة سيدي حسان وغيرها.

ع. رگوگ، الحدث التاريخي من خلال النصوص الشفاهية المقاومة وبعض أوجه التاريخ الاجتماعي 1890 - 1956، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، 1998؛ الرواية الشفوية من منطقة عبدة.

علال رگوگ

دَعْنُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Danon؛ وهي نفس الأسرة التي ظل بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Danun - Danon.

وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 676.

محمد ابن عزوز حكيم

الدغالي، سعيد بن فرج الأندلسي، قائد أصله من قرية نطيش (بالجبل المطل على غرناطة) حسب الفشتالي، أو من أورخيفا Orgiva حسب مارمول كابخال Marmol Carvajal أو من مطريل Motril حسب رسالة الجاسوس الإسباني لويس دي هريرا Luis de Herrera الذي كان يوجد بتطوان في دجنبر 1573.

غادر سعيد الدغالي بلدته صجة ابن أخيه محمد واستقر بتطوان حيث تعاطى الجهاد البحري إلى أن اتصل بالسلطان عبد الله الغالب بالله الذي أوكل إليه مهمة تنظيم فرقة من الجيش مكونة من الأندلسيين سنة 1562/970.

وهو الذي قضى صجة القائد ابن خليفة على حكم آل المنظري بتطوان سنة 1567/975 حيث أصبحت المدينة تحت حكم السلطان عبد الله الغالب السعدي.

ويستفاد مما جاء به مارمول أن الدغالي هو الذي سن سنة الجهاد البحري بمدينة سلا حيث كان ينطلق منها لمهاجمة الجزر الخالدات ابتداء من سنة 1571 حيث تمكن من احتلال جزيرة لانروطي Lanzarote من يوم 21 سبتمبر إلى يوم 7 أكتوبر من السنة المذكورة وعاد إلى سلا يحمل في سفنه 115 من الأسرى النصارى.

وفي يوم 28 نوفمبر 1573 وانطلاقا من تطوان قام بهجوم على مدينة كوفاس دي المنصورة Cuevas de Almanazora بمقاطعة المريّة حيث تمكن من أخذ 200 أسير نصراني.

وفي يوم 11 ذي الحجة 983/17 مارس 1576 جرت معركة الركن بالقرب من فاس، كان الدغالي بجانب السلطان المتوكل لكنه فر إلى معسكر عبد الملك فانتصر هذا الأخير على ابن أخيه المتوكل.

وبجانب عبد الملك شارك الدغالي في معركة خندق الريحان التي جرت بالقرب من وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984/9 يوليو 1576، كما شارك مع أحمد المنصور في جميع المعارك التي جرت بناحية سوس وانهزم فيها المتوكل سنتي 984 و 985/1576 - 1577.

وعندما غادر عبد الملك مدينة مراكش متوجها إلى

قبائل الرقيبات في الأقاليم الجنوبية المغربية. وتعتمد صناعة هذه الآلة على نبات القرع، وطريقة ذلك أن تؤخذ القرعة من فصيلة اليقطين، فتجفف ويفرغ ما في جوفها، ثم تحدث فتحة بكل من طرفيها.

وطريقة استخدام هذه الآلة أن يوجه الناقر بيده اليسرى طرفها الأسفل المنتفخ، فيصدمه بشحمة فخذه أو ربله ساقه، بينما تقوم اليد اليمنى بضرب الثقب الأعلى من القرعة بواسطة راحة الكف، وهي تناوب بين إغلاقه وفتحه. ونتيجة ذلك تنبعث من الآلة أصوات صماء تمتزج بها جلجلة الخواتم والأساور التي تحملها يد الناقر.

A. Leriche, Bul. de l'Institut Français, Juillet 1950, p. 747, B.G., Rabat, J 13.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دَغْمُوس، أنواع نباتية عصارية لحمية تشبه الصباريات وتكاد تنعدم أوراقها الصغيرة جدا. وتنتمي إلى جنسين على الأقل : جنس *Euphorbia* وبالصبط أنواعه الصبارية، وهي من فصيلة الفربيونيات *Euphorbiaceae*. وجنس *Caralluma* الذي ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات *Asclepiadaceae*.

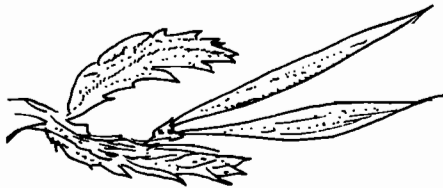
1 - أنواع جنس الفربيون :

يصادف بالمغرب ثلاثة أنواع قسبية من جنس الفربيون، وهي كلها صبارية، ولهذا سميت *تيكيوت* بالأمازيغية، وينسب لها كذلك اسم الزقوم المذكور في القرآن ! وجود هذه الأنواع يدل على ظروف مناخية شبه مدارية لكنها توجد حاليا بالمنطقة المتوسطية المغربية.

والأنواع الثلاثة صبارية الشكل، يتراوح علوها ما بين 40 أو 60 سم، مشوكة بكثافة، وتحتوي على عصارة لبنية مؤلمة للإنسان عند لمسها. أوراقها صغيرة جدا، ونفضية. أزهارها صفراء عديمة العنق.

والأنواع الثلاث هي :

- *Euphorbia resinifera*، المصادفة تشكيلاتها في السفوح المنخفضة وقدم الجبل لمنطقة الأطلس الكبير المتواجدة بين بني ملال ودمنات، وذلك في



الدغموس

الشمال بعث القائد الدغالي إلى رأس غير ليحول دون تمكن الأسطول البرتغالي من احتلاله.

وهناك من يشك فيما جاء به بعض المصادر البرتغالية التي تقول إن الدغالي كان يقود جيش الخيالة الأندلسيين في معركة وادي المخازن ؛ ومن المؤكد أنه قتل بأمر من السلطان أحمد المنصور الذهبي في شهر رجب عام 1578 / 986 شتنبر - أكتوبر.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص. 33 و 41
43 : م. الأفراني، *نزهة الحادي*، ط 2، الرباط، د.ت، ص. 62.

Archivo General de Simancas, España ; Ojeda, L. de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France I*, pp. 575 - 627 ; Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del Suceso y muerte del Rey Don Sebastian*, Codoin, t. 100, p. 411 - 458 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugal à la Couronne de Castille, S.I.H.M., France*, pp. 506 - 574 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica del Rey Don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903, vol. 30, 31, 32 et 34 ; Rumen de Armas, *España en el Africa Atlantica*. Madrid, 1957, t. I ; B. Vincent, *Un ejemplo de corso berberisco - morisco : el ataque de Cuevas de Almazora (1573). En Andalucia en la Edad Moderna*. 1985.

الدغالي، محمد قائد أصله من الأندلس هاجر إلى

تطوان صحبة عمه القائد سعيد بن فرج الدغالي. سابق الترجمة وتقول بعض المصادر إنه كان مع عمه بجانب المتوكل في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 17 مارس 1576. وفر إلى معسكر عبد الملك، وشارك بجانب عمه في جميع المعارك التي جرت ضد المتوكل بناحية سوس. ويبدو أنه قتل في نفس اليوم الذي اغتيل فيه عمه في شهر رجب 986 / سبتمبر - أكتوبر 1578.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص. 44 و 43 ؛ الزباني، *الترجمان المغرب*، الترجمة الفرنسية، ص. 26.

Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del suceso y muert del Rey Don Sebastian*. Codoin, t. 100, p. 411 - 458 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

الدَغَاي، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الهبط وقد

انقرضت بتطوان وإلى غاية سنة 1841 / 1257 كانت توجد بحومة الطرانكات دار الدغاي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1617.

محمد ابن عزوز حكيم

الدَغَمَّة، آلة نقرية صحراوية ذات شكل مستطيل، يبلغ طولها حوالي 50 سم. يستخدمها الزوج المقيمون ضمن

البيومناخ شبه الجاف والطابقين النباتيين لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

- إوفوربيا بوميريانا Euphorbia beaumeriana. التي تكون تشكيلا تصادف منتشرة على السفوح وقدم الجبل وفي السهول الموجودة في أقصى الجهة الغربية من الأطلس الكبير، شمال مدينة أكادير. تعيش في البيومناخين شبه الجاف واستثنائيا الجاف وفي الطابق النباتي تحت المتوسطي.

- إوفوربيا إيكينوس Euphorbia echinus. التي تغطي مساحات شاسعة ابتداء من مدينة تيزنيت إلى منطقة الساقية الحمراء مرورا بالقسط الكبير من سفوح الجهة الغربية من الأطلس الصغير. من حيث الظروف البيئية يعيش هذا النوع في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية.

الاستعمالات الشعبية لهذه الأنواع الثلاثة كثيرة، إذ تستخدم ضد السموم والاكزيما، والبرد وأمراض الكلتيين، وفي حالة أمراض الجمال. وكذلك لإنتاج العسل ذي المذاق الحار والمستعمل في التطبيب التقليدي.

كما أجريت محاولات في الماضي لاستخدام العصارة اللبنة في صناعة المطاط.

أنواع جنس كاراتومما : أنواع هذا الجنس بالمغرب أربعة، منها القبسية الخاصة بالمغرب والبعض الآخر موجود في بلدان أخرى من المنطقة المتوسطية. يتراوح علو هذه الأنواع ما بين 10 20 سم، منعدمة الأشواك، ولها جلد أملس ناعم. وهي لا تكون تشكيلات كأنواع الجنس الأول بل تصادف بصفة منفردة في غابات العرعر البربري أو العرعر الأحمر أو أركان وغيرها، خاصة في بيومناخات شبه جافة وجافة. بعض هذه الأنواع تؤكل من طرف الإنسان. أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الدغمي، عبد الرزاق السلوي. أصله من قبيلة

دغمة العربية المستقرة بضواحي العدوتين، دبلوماسي عصامي من مواليد مدينة سلا في 22 صفر عام 1355 / 15 ماي 1936 حيث نشأ ودرس في المدارس الحديثية



بالعدوتين، والتحق مبكراً بوزارة الخارجية سنة / 1957 وتقلد عدة مهام داخل الوزارة وفي الخارج، ومات وهو سفير للمغرب في الجزائر. وقد أثنى عليه الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة في برقية التعزية التي بعث بها إلى جلالة الملك محمد السادس. وقال : "إن فقدان سفير من طراز المرحوم الدغمي خسارة للمغرب وللجزائر بل ولكل المغرب العربي... كان نعم السفير متقانيا في أداء مهمته النبيلة أحسن أداء، ولم نره إلا وهو يمثل ملكه وبلاده أحسن تمثيل، وبدلي بدلوه مخلصاً في سبيل إعادة بناء العلاقات الأخوية المثمرة التي يصبو إليها البلدان الشقيقان المغرب والجزائر". توفي بالرباط بعد مرض عضال، يوم الجمعة 24 جمادى الأولى عام 1421 / 25 غشت 2000.

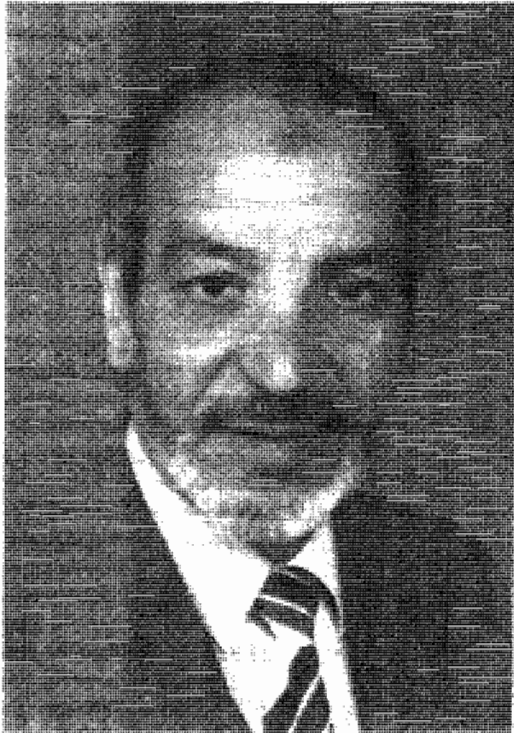
رواية شفوية، جريدة العلم، في 28 - 8 - 2000 ؛ جريد سلا الغد

العد

A. Stouky, Un pro de la diplomatie, Le Matin du Sahara, 28 - 8 - 2000.

الدغمي، العربي بن المفضل. ولد بالرباط سنة

1350 / 1931 حفظ القرآن الكريم في صغره ودرس في بعض المدارس الحرة. ثم انخرط في سلك التعليم بالمدرسة المحمدية الحرة بالرباط، وفي سنة 1948 بدأت حياته الفنية بمزاولة هوايته المسرحية في أوقات معينة مع فرقة المسرح



الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول، دعوة الحق 1395 / 1975، العدد 10، ص. 88-89 : ع. العزيز بن عبد الله، سلا أولى حاضرتي أبي رقرق، سلا، 1989، ص. 20.

محمد السعديين

الدغوشي، أبو إبراهيم، جد آل تانوت الوجانيين، من قبيلة إيداعيقيل، صوفي زاهد، عاش خلال القرن السادس (12 م).

أسس أبو إبراهيم زاويته بقرية تانوت على بعد خمسة كلمترات من إيغرم الموطن الأصلي لأسرة الدغوشيين، فعاش، كما يظهر من خلال شهادة الرسموكي، عيشة الزاهد الورع، وذاع صيته وشهرته، كما أقبل عليه الوفود من جميع الآفاق. وما زالت زاويته تحافظ على أدوارها داخل مجال إيداعيقيل.

وعلى الرغم من التضارب حول مكان وفاته، فمن المرجح أنه مدفون بويجان حسب شهادات كتب المناقب السوسية.

م. الرسموكي، وفيات الرسموكي، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1988، ص. 50 : داود بن علي الكرامي، بشارة الزائرين، مخطوط : م. الحضيكي، كتاب الطبقات، تح. أ. بومزكو، الرباط، 1994، رقم الترجمة 120 : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 11 : 91 : رجال العلم، ص. 11.

الدغوشي، أحمد الزرهوني. لم تحدد المصادر التي اطلعنا عليها مكان ولادته، وتبدأ حديثها عنه عندما ظهر أمره بزهرهون باعتباره من الصلحاء. وفي هذا الصدد يجعله بعض أصحاب السير ضمن طائفة الأولياء الكبار والشيخو الكاملين (روض الأنفاس، 264)، بينما يصنفه بعضهم الآخر في لائحة العوام من أولئك الأولياء (إتحاف أعلام، 5 : 460).

والمتفق عليه بينهم جميعا هو أن أحمد الدغوشي دخل عالم التصوف على يد الشيخ الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن عمران العلمي العروسي المدعو بسبيدي علي بن حمدوش، دفين زاويته بجبل زرهون (روض الأنفاس، 265، إتحاف، 5 : 474). مما يعني أن الدغوشي حمدوشي السند. وإذا علمنا أن ابن حمدوش من أتباع الطائفة الشرقاوية، فمن تحصيل الحاصل القول بأن أحمد الدغوشي شرقاوي في سنده كذلك، مثل شيخه، فهو أخذ عن ابن حمدوش، وهذا أخذ عن محمد الحفيان بن المفضل بن أحمد المرسي بن بوعبيد الشرقي، دفين أبي الجعد (سلوة الأنفاس، 1 : 354).

والظاهر أن الشيخ الدغوشي لم يكن حمدوشياً أو شرقاوي السند فحسب، بل كان كذلك في النحلة أيضاً. ونعني هنا اعتماد أحمد الدغوشي في حياته الروحية أساساً

المغربي برأسة المرحوم عبد الكريم الفلوس. والتحق سنة 1952 بمعهد الأبحاث المسرحية بالرباط التابع للشبيبة والرياضة، وفي السنة التالية دخل فرقة المسرح الوطني المغربي، وشارك في أربع مسرحيات مثل دور البطل في اثنتين منها : مسرحية سكابان (جحا)، ومسرحية "عمي الزلط". ثم التحق سنة 1954 بفرقة الإذاعة المغربية للتمثيل بطلب من عبد الله شقرون. وفي السنة الموالية انتقل مع بعض الممثلين بالإذاعة إلى التدريب بمعهد الميم (الإيماء) بباريز. وبعد رجوعه إلى المغرب شارك في شريط سينمائي بالسكوب والألوان تحت عنوان الطبيب بالعافية، مقتبس عن الطبيب رغم أنفه لمولير.

توالى أعمال العربي الدغمي الفنية بفرقة الشبيبة والرياضة وفرقة الإذاعة ثم التلفزة المغربية، والسينما العالمية بصفة عامة. وآخر عمل مسرحي للمترجم مشاركته مع عدد من الممثلين المغاربة والأجانب سنة 1990 في شريط فرنسي جيل بيهات.

توفي بداره في حي السلام بمدينة سلا صباح يوم الجمعة 22 جمادى الأولى عام 1415 / 28 أكتوبر 1994 على إثر مرض لم ينفع فيه علاج.

جماعة من الكتاب والفنانين، كتاب العربي الدغمي إبداع مغربي أصيل، الرباط، 1996.

محمد حجي

الدغمي، موسى بن محمد الراحل السلوي، فقيه مشارك نوازي. كان قاضيا بتالغت وبني مسكين ثم أصبح خليفة للقضاة بسلا.

تتلمذ على يد شيخو كبار أبرزهم أحمد بن عبد القادر التستاوتي، وعنه أخذ طريق التصوف. وقد دارت بينه وبين شيخه هذا مساجلات شعرية وردت في كتاب نزهة الناظر لهذا الأخير، وفي فهرس أحمد بن عاشر الحافني السلوي.

ألّف الدغمي عدة مؤلفات منها المسلك السديد، في تفسير القرآن المجيد وحاشية على شفا عياض جمعها من طرر شيخه مسعود جموع الفاسي وعدة نوازل وغيرها. تخرج على يده عدد من الطلبة السلويين وغيرهم.

توفي موسى الدغمي في 7 ربيع الثاني عام 1140 / 22 نونبر 1727، ودفن بزواية سيدي أحمد حجي بسلا.

أ. بن عبد القادر التستاوتي، نزهة الناظر، مخطوط، خ. ع، 1302 د، ص. 130 و 230 : أ، ابن عاشر الحافني، الفهرس، تح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90-1991، ص. 243 : علي العكاري (الحفيد)، البدور الضاوية، في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، خ. ع، 88 د، ص. 13 : م. ابن علي الدكالي، إتحاف الوجيز، تح. م. بوشعراء، 1986، ص. 112 : إتحاف أشراف الملا، مخطوط. خ. ع، 11 د، ص. 67 : م. ابن أبي بكر التظواني، كناشة، خ. ص، رقم 407، ص. 27 : م. المنوني،

على ما يعرف عند الصوفية بالترقية الروحية. بل لقد بلغ في روحانيته مدى قصياً جداً تجاوز مدى سائر أتباع الطريقة الحمدوشية، وكل تيارات الطريقة الشرقاوية نفسها. ولنا دلائل وعلامات واضحة على هذا الغلو، رغم ندرتها. وأوضحها وصفه بالجذب الكامل والغيبة المطلقة (روض الأنفاس، 265، إتحاف، 5: 461)، من جهة، واعتماده الحضرة الصاخبة، عكس سائر حمادشة، من جهة أخرى، وذلك بحكم الإضافات التي أدخلها على شعائر حلقة الحضرة. وفي هذا الصدد كتب عبد الكبير الكتاني، قائلاً: "تابع (أحمد الدغوشي) شيخه (علي بن حمدوش) في ... اعتماد الحلقة بالآلة المسماة بأگوال والتعريجة، ... والفرق بينه وبين أتباع شيخه في حالة اعتماد الحلقة هو زيادة آلات من حديد وغيره، وهي كرات من حديد، منها ذات خرصة وسلسلة ومنها بدونها، وشاقورات من حديد، متنوعة على أصناف، وزرورات ذات مسامير وبدونها، وغير ما ذكر، وكل من هذه الآلات في حال اعتمادهم في الحلقة يضرئون بها رؤوسهم (روض الأنفاس، 265).

وهذا يعني أن الحضرة شكلت عنصراً أساسياً في سلوك الشيخ أحمد الدغوشي وأتباعه، على غرار سائر شرقاوة وحمادشة، لكن الشيخ أحمد الدغوشي بلغ في حضرته مستوى قصياً في الغلو، أدى به وبأتباعه إلى استعمال الأدوات الحديدية الحادة في شخ الرأس، وإسالة الدماء. نريد القول بأن هذه السلوكات لم يكن معمولاً بها لدى حمادشة زمن شيخهم ابن حمدوش المتوفى عام 1135 / 1722، وأن مبتدعها هو تلميذه أحمد الدغوشي. وقد ساق عبد الرحمن بن زيدان بهذه المناسبة رواية تشرح سبب تعاطي الدغوشي ومن تبعه تلك السلوكات، وقال: إن هذا الأخير، وكان "... من العوام الصرف، لم يحضر وفاة متبوعه (علي بن حمدوش)، فلما أب من سفره، وعلم بوفاته، صار يضرب رأسه مع الجدران وبالأحجار أسفاً على فقد شيخه، وتحسراً على عدم حضوره لوفاته، واغتنامه صالح دعواته، فاتخذ الأخلط من أصحابه ذلك عادة" (إتحاف، 5: 460).

وسواء كان الدغوشي صدر عنه ذلك الفعل بحال اعتراه، وصاحب الحال، عند الصوفية، يُسلم له حاله، لأنه فاقد التكليف، أو أنه تعمد ذلك الفعل، فالمهم بالنسبة لنا أنه سن في الحضرة الحمدوشية "سنة" جديدة، هي التي جعلت طائفته الدغوشية متميزة عن غيرها من الطوائف الحمدوشية الأخرى خصوصاً والشرقاوية عموماً.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ الدغوشي توفي يزرهون بعد سنة 1135 / 1722 ودفن قرب شيخه علي بن حمدوش (إتحاف، 5: 474). ويعد المرباط الفقير بوعزة الحسناوي الفاسي من كبار شيوخ الطائفة، بعد وفاة شيخه أحمد الدغوشي (سلوك الطريق، ص. 358).

ع. الرحمن بن زيان، إتحاف، الجزء الخامس، ع. الكبير الكتاني،

روض الأنفاس العالية في بعض الزاوية الفاسية، مخطوط، ع. الرباط، رقم 1264 ك: م. بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، طبعة حجرية بفاس، 1318: م. بن علي المنالي الزبدي، سلوك الطريق الوارية في التلميز والشيخ والزاوية، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 247 ك.

أحمد الوارث

الدغوشي، أحمد من موالى الدلائين - حسب تعبير الإفرائي - نشأ فيهم فبرع في الأدب، وقيل إن أصله من القصر الكبير، وكان هجاءً لا يكاد يسلم من هجوه أحد يقال إنه كان يجلس عند موضع معد لطرح الكناسات خارج زاوية الدلاء فلا يمر به ذكر ولا أنثى إلا هجاه شعراً أو نثراً. وهجا عدداً من الشعراء فتحاموه، ولم يفحمه إلا رجل إسلامي برع في الأدب بالزاوية الدلائية فقال فيه بيتين جسدا بشاعة خلفه وحُلَقه.

كان أحمد الدغوشي ينظم مولديات يلقيها بانتظام في الحفلات المشهودة التي تقام في الزاوية الدلائية ليالي سابع المولد النبوي الشريف ويذيلها بمدح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي والدعاء له فيرتاح الشيخ لذلك وتطيب نفسه. وبعد قيام الإمارة الدلائية انقطع أحمد الدغوشي عن زاوية الدلاء، وهجا محمداً الحاج هجاءً مقذعاً (نزهة، 253) ثم رثي المجاهد العياشي لما اغتاله أعراب الخلط أيضاً ومحمد الحاج الدلائي.

كم شاد كم ساد كم سد الثغور وكم

أودى وأعدى غياث الغيث مقتصد

(الوافي، 3: 734).

م. الإفرائي، نزهة، ط. حجر فاس، د. ت: م. ابن تاويت التطواني، الوافي بالأدب العربي، الدار البيضاء، 1984، ج 3: 734 735: م. ججي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988، ص. 49-50.

محمد ججي

الدغوشي، داود بن عبد المنعم القصري ينتسب إلى الأسرة الدغوشية الشهيرة بمدينة القصر الكبير. ويظهر أن هذا الشاعر عايش وشارك في معركة وادي المخازن الشهيرة لأنه وصفها وصفاً دقيقاً، وربما كان من الشعراء القلائل الذين سجلوا هذه المعركة (القصر الكبير، أعلام: 103). وابن تاويت في الوافي يشير إلى تلك القصيدة الرائعة التي قالها داود بن عبد المنعم بمناسبة الظفر العظيم الذي أحرزه المغاربة على الصليبية في وقعة وادي المخازن، كما يشير ابن تاويت، بل يجزم أن قصائد غيرها قد قبلت في موضوعها ولكن التاريخ لم يحتفظ لنا بها، وربما كان ذلك نتيجة إهمال أو ضياع، كما يرى صاحب الوافي أن

الأسرة الدغوغية القصرية قد عرفت بالجهد (الوافي، 3 : 670).

م. بن تساوت، الوافي بالأدب العربي بالمغرب الأقصى، الجزء الثالث، 1981 : م. بن عبد الرحمان بن خليفة، القصر الكبير أعلام فكرية، أدبية وتاريخية، مطبعة طنجة، ش. م. 1994. الحسين البعاوي

الدغوفي، عبد الله بن داود، صالح متنسك، وعلامة مشارك، تصدر للتعليم والإرشاد، أقبل عليه الطلبة، وغدت مدرسته قبلة للزيارة. تخرج عليه كثير من العلماء، وكان ذا عناية بالتصوف، مكثراً من زيارة متصوفة عصره خاصة الشيخ سعيد بن عبد المنعم الحاحي، توفي أواخر القرن العاشر (16 م).

م. البعقلي، مناقب البعقلي، تح. المختار السوسي، الرباط، 1987 : م. الحضيكي، كتاب الطبقات، رقم الترجمة 584 : رجال العلم، ص. 18 : م. حجي، الحركة الفكرية، ص. 590. أحمد بومزكو

الدغوغية (طائفة صوفية) تتكون من أتباع الولي الصالح أحمد الدغوفي دفين جبل زرهون سابق الترجمة. يقيم الدغوغيون في كل سنة موسماً بمناسبة المولد النبوي، وذلك في موازاة موسم أتباع الطائفة الحمدوشية في موقع يعرف اليوم بـ "سيدي علي" على مقربة من مدينة زرهون، كما يقيمون موسمهم في زاويتهم بمدينة فاس، حيث تختلط الطقوس الصوفية بالموسيقى والرقص.

فإذا اجتمع أتباع الطائفتين حول ضريح سيدي علي بن حمدوش تصدر الساحة حمادشة وأمامهم ثور تغطيه مناديل ملونة، ثم انبرى الغياطون وضاربو التعارج، وتحلق الأتباع في دوائر يرقصون على إيقاع الطبول وهم يرددون : الله، دايم الله، المعبود الله، وبعد ذلك تبدو أعلام الدغوغيين قادمة نحو الساحة، فينسحب حمادشة تحت غطاء زغاريد النساء وهم يرددون : يا محمد، قدمنا يارسول الله، تاركين الساحة لأتباع أحمد الدغوفي، فينخرط هؤلاء بدورهم في الرقص والغناء على أصوات الغيطات، ثم يمتطون البغال ويغادرون موقع الحفل مثنى مثنى متوجهين نحو المدينة ومن حولهم جموع الزائرين. فإذا بلغوا باب الحجر توقفوا هنيئة وأمامهم حمادشة ثم انطلقوا جميعاً في مسيرة احتفالية كبرى تخترق مدينة زرهون نحو بني راشد وبني وراد.

والعادة أن الرجال هم الذين يمارسون الرقص في الساحة العامة. أما النساء فلا يشاركن إلا نادراً. ومن هذا النادر أن تقوم إحداهن بالرقص في بني راشد بالقرب من القبة وشعرها مرسل، وهي في رقصها لا تفتأ تحرك رأسها بشكل لا يخلو من عنف.

يعتبر الدغوغيون من الفرق المتفرعة عن طائفة حمادشة، ولذلك ارتبطت ممارساتهم الفنية الخاصة بممارسات أتباع الزاوية الحمدوشية، بل هي بمثابة حلقة من حلقاتها. وتقوم هذه الممارسات على برنامج يحتوي على الذكر وتلاوة حزب سيدي علي بن حمدوش. ويقتصر فيهما على الإنشاد والسطح، يتلو ذلك الحضرة. وبها يختم العرض. وتشكل المرحلة الفنية المتميزة في البرنامج بتدخل الآلات الموسيقية : الغيطة والتعريجة والهراز والطبل.

تستمد ألحان حمادشة والدغوغيين طبيعتها ونسبها من ألحان وطبوع الموسيقى الأندلسية، وخاصة طبع الحجاز الذي يبرز في إنشاد الذكر.

أما الإيقاعات فتخضع لأنساق جد معقدة أبرزها ثلاثة : 1 - الوزن الخماسي الضربات 4/5. وتتضافر من أجل إحداثه آلات الطبل والهراز والتعريجة. وهو يشبه ميزان الكباحي في الملحون مع اختلاف مواقع النقرات القوية والضعيفة.

2 - الوزن الثنائي ويشبه ميزان القاسم ونصف في موسيقى الآلة 4/8.

3 - الوزن الثلاثي : ويشبه ميزان القدام في موسيقى الآلة أيضاً 4/3.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 5، ص. 459. 460 : دراسة ميدانية. J. Herber, *Les Hmadcha et les Dghoughiyyin*, Hespérès, T. III, 1923, 2e trim., pp. 217 - 236. Rabat. عبد العزيز بن عبد الجليل

الدغوغيون أو بني دغوغ إحدى القبائل المصمودية الخمس التي كانت توجد بدكالة الكبرى قبل الفتح الإسلامي. ورد ذكرها عند كثير من المؤلفين، وعلى الخصوص عند ابن الزيات الذي أشار إلى أعلامها وبعض قراها دون أن يحدد موقعها. ونحن نجد اليوم جزءاً من هذه القبيلة مستقراً شمال شرقي سهل قبيلة سحييم، كما نجد جزءاً آخر قد أصبح مندمجاً في قبيلة أولاد عمران تحت اسم بني دغوغ تامة وبني دغوغ المرجة.

لقد تعربت هذه القبيلة تعريباً تاماً وأنجبت عدداً كثيراً من العلماء والشيوخ المرشدين الذين أنشأوا رباطات ومدارس لتلقين العلوم الدينية، ومن هؤلاء العلماء والشيوخ : الإمام أبو حفص عمر الدغوفي والشيخ الواعظ الخطيب أبو محمد تليجي ابن موسى الدغوفي والشيخ أبو مهدي الدغوفي والشيخ أبو الأنوار والشيخ الفقيه الإمام أبو محمد عبد الخالق بن ياسين وكلهم من القرن السادس (12 م).

وتوجد اليوم مجموعة مرابطية صغيرة بالقرب من بلدة أمطّل بدكالة تعيش حول زاوية تحمل اسم زاوية بني دغوغ.

ع. ابن خلدون، العبر، ج 6 : ابن عذاري، البيان، ل. ابن الخطيب،

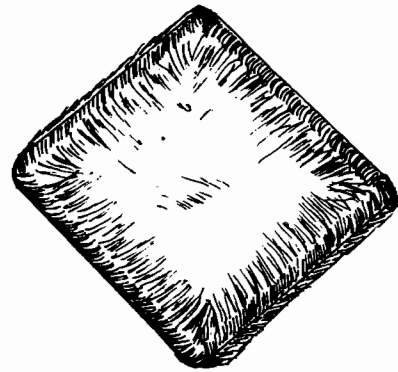
المعيار : أ. بوشرب، دكالة، ي. ابن الزيات، التشوف، مدن وقبائل المغرب، دكالة، ج10، تر. م. الشباطي، مخطوط.
Répertoire alphabétique des tribus et confédérations du Maroc, Rabat, 1939.
محمد الشباطي

الدغيمر، أسرة رباطية شريفة أصلها من سجلماصة، انتقلوا إلى الرباط بعد تجديدها من طرف الأندلسيين المهاجرين في القرن الحادي عشر (17 م) منهم :
الدغيمر، محمد الحسيني الرباطي فقيه صالح، أخذ عن الشيخ علي العكاري لما انتقل من الزاوية الدلائية إلى سلا الرباط، ولازمه في جملة طلبة العدوتين. وكان متميزاً في العلوم العقلية. وكانت وفاته في أوائل القرن الثاني عشر (18 م).
م. العكاري، البدور الضاوية، مخطوط : م. بوجندار، الاغتباط، الرباط، 1987، ص. 100.

محمد حجي

الدف، آلة إيقاعية تعتقد بعض الجماعات الدينية في المشرق أنها وجدت منذ أن خلق الإنسان. وقد نقل أن أول من ضرب بها في الإسلام فتيات بني النجار حينما استقبلن الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته من مكة إلى المدينة.

تعددت أسماء هذه الآلة : فقبل المزهري، والمربع، والدف المكن. وقد حفلت كثير من المصادر المغربية بذكر الدف ووصفه : ففي بغية الرائد أنه مربع بوجهين ؛ وهو عند ابن الدراج من آلات النقر التي كانت على عهده شائعة، فهو العربي المدور بوجه واحد، ويسميه الناس الطار. أما الشقندي المتوفى سنة 629 فقد حصر استخدامه في عدوة المغرب دون الأندلس، وأما أبو الحسن الخزاعي أنه كان يستعمل على عهده في الأعراس، وقد ركبت في جوانبه قطع من الصفر مستديرة يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضاً تصويت وجلجلة.



الدف

ويستفاد من هذه التعريفات أن الدف عند القدماء كان يتأرجح بين مفهوم "الطر" ذي الوجه الواحد و "المربع" ذي الوجهين.

والدف في الاصطلاح المغربي الحديث عبارة عن مربع صغير مغلق ومغلف بالجلد من جهتيه. ويبدو أن أشياخ الملحون كانوا يستخدمون الدف في مصاحبة الإنشاد، وذلك لتأكيد الطابع الإيقاعي الذي واكب الابتكارات المنجزة في مجال أوزان الشعر الملحون.

ومن جهة أخرى ظل استخدامه حتى عهد قريب شائعاً بين "الشيخات" في أجواق النساء الحضرية، ثم انحصر تداوله اليوم في بعض المجموعات الأمازيغية الممارسة لرقصات أحواش. ومما يدل على سابق استعماله في الأوساط الشعبية إشارة الفقيه عبد الله بن محمد الهبطي المتوفى سنة 963 في ألفيته الشهيرة حيث ذكره تحت اسم "المزهر" وهو بصدد الرد على ما كان يصنعه الناس في حفلات الأعراس وأعمال الزفاف قال :

قد جَوَّزُوا الكفوف والمزهارا والشطح والغنا إذن جهاراً وتلتحق بشهادة الفقيه الهبطي شهادة معاينة سجلها في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) المؤرخ البرتغالي مارمول في كتابه إفريقيا عندما ذكر "أن أعراب منطقة نوميديا ... كانوا يتغنون بقصائدهم المقفاة الموزونة على أنواع الدف والعود".
وتتميز طريقة استخدام الدف بأن يمسكه الناقر بيديه معا بين راحتي كفيه في وضع مواز لصدره، ثم يحرك أنامله التي تنقر على الجانبين دون أن يتفصل الكفان عن الآلة.

شهر زاد قاسم حسن، دور الآلات الموسيقية في المجتمع التقليدي في العراق، ص. 334 : القاضي عياض، غنية الرائد، ص. 114 : الإمتاع والانتفاع، تح. محمد ابن شقرون، ص. 33 : أ. المقرئ، نفع الطيب، الجزء الثاني، ص. 151، المطبعة الأزهرية بمصر : علي الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، تح. إحسان عباس، بيروت، 1985 : مجلة التراث الشعبي العراقية، السنة 11 ع. 10، ص. 138 : م. الهبطي، الألفية السنية، مخطوط : ، مارمول كربخال، إفريقيا، تر. م. حجي وآخرين، 1 : 110.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدفلة أو الدفلى أو أليلي بالأمازيغية أسماء تطلق على نوع نباتي يسمى علمياً نيريوم أولياندير Nerium oleander وهو من فصيلة الدفليات Apocynaceae.

الدفلة شجرة صغيرة أو شجيرة مستديرة الخضرة. أوراقها حلقية متجمعة ثلاثة بثلاثة، رمحية الشكل قصيرة العنق أزهارها كبيرة وردية اللون في الصنف البري، أو مختلفة الألوان في الأصناف المنزوعة للزينة. ثمارها عليية الشكل طويلة جداً (حتى 15سم)، ومنتهية بمنقار طويل ومحتوية على بذور مكسوة بزغب طويل يسهل لها الانتشار بواسطة الرياح أو المجاري المائية.

تتوطن الدفلة حوض البحر المتوسط. أما في المغرب فإنها تعيش على ضفاف الأودية وفي الأماكن الرطبة في جميع المناطق البيومناخية ابتداء من سطح البحر إلى حوالي 2000م.



تستعمل الدفلة كنبات زينة، يغرس في الحدائق والبساتين وبجوانب الشوارع والطرق. ولهذا الغرض استنبطت من الصنف البري عدة أصناف ذات أزهار مختلفة الألوان، وردية أو حمراء أو بيضاء أو صفراء أو مختلطة هذه الألوان.

تعتبر الدفلة من النباتات السامة. تدخل في بعض التحضيرات للتطبيب التقليدي. كما يُستعمل خشبها لصناعة بعض الأثاث الخفيف مثل الكراسي ...

أبحاث شخصية.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris.

عبد الملك بنعبيد

الدفينة ← الزراعة المغطاة

الدقاق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية بناحية أصيلا وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1618.

محمد ابن عزوز حكيم

الدقاق، أحمد السبتي من صلحاء سبتة ومتصوفتها المشهورين، صاحب المكاشفات والكرامات. اشتهر في الوسط السبتي بالزاهد المتعبد، صاحب بركة لا تنضب وتنبؤ لا يخطئ وبعد مماته تحول قبره الكائن في المقبرة الكبرى من أسفل جبل المينا إلى مزار يقصده كل ذوي مطلب أو حاجة (اختصار، 15) لا نجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن عبد الملك من أن المسمى أحمد بن إبراهيم بن مسلم الدقاق

المعروف بأبي العباس الإشبيلي الأصل أخذ عن أبي عبد الله بن شريح الرعيني المتوفى عام 563 / 1168 (الذيل، 63) لذا لا يمكن أن يكون أحمد الدقاق السبتي المتوفى في حدود سنة 748 / 1348 (اختصار، 15).

م. ابن عبد الملك *الذيل والتكملة*، القسم الأول من السفر الأول، تج. محمد بن شريفة، بيروت : ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1403 / 1983، ط. الثانية.

زليخة بن رمضان

الدقاق، محمد بن محمد الدغمي السلوي فقيه أديب وشاعر فصيح. كان والده عدلاً بمدينة سلا. لازم الدقاق مجالس الشيخ علي العكاري، وكان يرفع إليه نوازل ومعضلاته، كما قرأ على شيوخ مدينة فاس كمحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن أحمد القسطيني الكماد، والعربي بن أحمد بردلة وغيرهم. وأخذ طريق التصوف عن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي، وكان يتمتع بمكانة علمية مرموقة بالمجتمع السلوي. تخرج على يده عدد وافر من الطلبة السلويين، أبرزهم أحمد بن عاشر الحافي السلوي الذي قرأ عليه مختصر خليل، وبعض تلخيص المفتاح وغيرها. سافر الدقاق لحج الفريضة وقام بتدريس الحديث بالمسجد النبوي في المدينة المنورة أكثر من عشر سنين. وكان السلطان العثماني محمود الأول يصرف له كل سنة جائزة سنوية، الأمر الذي يبرز مكانة هذا العالم السلوي بالشرق. ولصاحب الترجمة مراسلات بينه وبين طلبته السلويين.

توفي بالمدينة المنورة، ودفن بها عام 1158 / 1746. ع. العكاري، (الحفيد)، *البذور الضاربة الزاوية*، خ. ع. 88، د. ص. 27.26 : أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تج. م. السعديين، د. د. ع. الرباط، 1991. ص. 230 : م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 106 - 110 : م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تج. م. بوشعرا 1986، ص. 113، *إتحاف أشراف الملأ*، مخ. خ. ع. 11، د. ص. 63، 64 : العباس ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، 6 : 60 : ع. بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقرق*، سلا، 1989، ص. 87.

محمد السعديين

الدقة المراكشية، المعلومات المتداولة عن أصل "الدقة المراكشية" تتسم بكثير من التناقض، وتفتقر للوثائق والحجج : فمن قائل بالأصول الإفريقية للدقة لمجرد وجود "القراقب" الحديدية ضمن آلاتها، إلى قائل بأصولها البربرية لوجود بعض العبارات الأمازيغية مثل "افوس" اعراج و"اگوال" ويدعم هذا الرأي وجود فن شعبي شبيه بالدقة في مدينة تارودانت. أما تاريخ الدقة فمن الصعب تحديده لأنه كباقي الفنون

الشعبية يرتبط وجوده بوجود الإنسان نفسه، إلا أنه على أي حال فن إسلامي، لارتباطه زمنياً بمناسبة دينية إسلامية وهي الاحتفال بعاشوراء. ومن هنا جاءت فكرة نشأته في ظل حكم يعادي الشيعة (يبدون الحزن الشديد في هذه المناسبة).

إضافة إلى أن في زجله دعوة إلى التوسل بالأولياء واحترامهم واتباع الطريق السوي.

وترد كثير من الأقوال تاريخ الدقة إلى عصر المنصور السعدي، ولعل السبب في ذلك عائد إلى ما عُرف عن هذا السلطان من تشجيع للألعاب في المناسبات الدينية تخليداً لانتصاره في معركة وادي المخازن فقد تحدث المؤرخون عن احتفالاته بموكب الشموع الذي شاهده أثناء زيارته لإسطنبول. وإقامته لحفلات الذكر والأمداح النبوية بهذه المناسبة. (مناهل الصفا، 235، 238؛ روضة الآس، 13، 14).

إلا أن انعدام الوثائق يجعلنا غير مطمئنين لهذا الرأي وحتى "العيط" (الزجل المعتمد في الدقة) لا يساعدنا على ذلك لأنه كما سنرى، غير قار، يتغير بتغير العصور فلا يبقى إلا جوهره.

وللدقة زمان : هو ليلة عاشوراء، ومكان : هو كافة أحياء المدينة، وتقوم على ترديد زجل شعبي يسمى "العيط".

وتنقسم الجوقة المرددة إلى قسمين : يردد الأول الشطر من البيت والثاني الشطر الثاني منه. مع النقر على "التعاريج" وينسق بين القسمين شخص يدعى "العراج" في حين يقود الجوقة حامل "البندير" ويتبعه في تحركاته وإيقاعه حامل "القراقب الحديدية".

ولإيقاع الدقة أربعة موازين :

(1) ميزان رباعي، توحى دقاته الأربع بعدم استقامته مع تجاوب القراقب والبندير.

(2) ميزان رباعي متعادل الضرب تتداخل فيه نقرات

البندير والقراقب، جماعة تضرب إيقاعاً رباعياً معتدلاً، وأخرى تحدث إيقاعاً ثلاثياً سريعاً، وثالثة تحدث إيقاعاً ثنائياً مؤجل النبر.

(3) ميزان ثلاثي ذو إيقاع سريع حثيث.

(4) ميزان رباعي تشتد حماته من فرط سرعته،

وتصحب إيقاعاته الصاخبة تهليلات وصيحات من طرف العازفين (الموسيقى الشعبية المغربية، الفنون، 8، 1978، ص. 48-71).

وتكون الدقة ناجحة في مرحلة "افوس" (كلمة أمازيغية معناها "اليد" ولليد الفضل الأول في حدوث الانسجام، أي الانتقال إلى الميزان السريع، والمفروض أن يقع الانسجام في الانتقال بين كافة المشاركين : صاحب البندير، والقراقب وأصحاب التعاريج. وهو أمر يحتاج إلى دربة وممارسة، إذ أن بقاء تعريجة واحدة في الميزان الثقيل أو خروجها قبل الوقت المناسب إلى السريع يفسد "افوس".

بعد هذا التقديم الضروري نركز حديثنا على أهم شيء في الدقة وهو الزجل الشعبي الذي تردده الفرقة في مرحلة الضرب الثقيل، ويسمى لذلك "العيط" (من عَيْطَ القوم أي صاحوا وأجلبوا). وتكون لهم بالفعل صيحات وجلبة، سواء أثناء الترديد المزدوج أو عند الإعلان عن نجاح "افوس". ويسمح لنا التدبر في نصوص "العيط" ورواياته بإبداء الملاحظات التالية : (الحركة الصوفية بمراكش، ج3، 70 : 78) :

(1) أنه تراث شعبي أصيل لا يُعرف قائله أو ناظمه، وإنما هو منسوب للفتات الشعبية بكاملها على امتداد زمن وجود هذا الفن.

(2) نص العيط طويل يختلف من راو إلى آخر، ويتفق الرواة على أن أغلبه ضاع وأنه أطول مما يحفظون ويتناقلون، وقد قدمت لنا تقديرات في الموضوع أقلها مائة وعشرون بيتاً وأقصاها أربعمائة بيت غير أن المتداول حالياً أقل من ذلك بكثير، ويمكن رد هذا الاختلاف إلى الفترة



التي يُذكر فيها الأولياء فإنها تطول أو تقصر بحسب الأسماء الواردة فيها.

وتكون الجوقة بأسماء الحاجة إلى العيط الطويل حتى لا يحدث السأم بالاستمرار في ترديد نفس البيت زمناً طويلاً، فالمفروض أن يستمر "جر العيط" حسب اصطلاحهم من بدء الدقة (بعد صلاة العشاء) إلى "دخول أفوس" (قبيل الصبح) وخاصة إذا صادفت المناسبة فصل الشتاء.

(3) عيط الدقة مفتوح ومرنٌ يزداد فيه وينقص منه بحسب الظروف والأحوال، تتغير ألفرة المخصصة للسلطان بتغيره، ويسجل الأحداث التي تعرفها المدينة أو التي تعرفها البلاد، ويتم تناسي فقرات لم تعد لها أهمية لفائدة المضاف ذي الأهمية. فقد روى لنا الشيخ أبياتاً في ذم الاستعمار ومساندة الوطنيين أثناء الحماية، كانت الفرق تدخلها بين سطور التوسل داعية الأولياء أن يخففوا عن البلاد مصابها.

كما يحفظون أبياتاً في الغزل بالذكر، حذفها الفرق من مرددتها لأن الذوق العام لا يستسيغها، من مثل قولهم :

يشير اصغير — خويا خويا واعطيه درهمو
مجدول احري — خويا خويا دلا اكمايمو

(4) عيط متغير كذلك أي أنه لا يحتفظ بنفس التسلسل : تقدم وتؤخر الأقسام بحسب الحومات والأحياء كل واحدة تقدم الأولياء المدفونين فيها وتخصص لهم فقرة أطول، وتهتم باستعراض أسماء أعلام الدقة بها، ثم تأتي على ذكر باقي أسماء الأولياء المشاهير وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الحومة والمدينة على العموم.

ويلاحظ التغير في النطق ببعض اللفاظ وفي مواقعها داخل البيت وهذا راجع إلى الاعتماد في العيط على الرواية الشفوية وإهمال كتابته، وهذا ما تسبب كذلك في ضياع أغلبه.

أما الأقسام الثابتة في العيط فهي :

(1) المقدمة : في ذكر اسم الله والصلاة والسلام على

نبيه المرسل الشفيق :

نبذو باسم الرحمن * باسم العالسي
الصلاة على زين الزين * طه وباسين
الشفاعة يا سيد المرسلين يانينا * سعدي بالشافع فينا

(2) الدخول في الدعوة إلى التمتع بمشاهدة هذا الفن

وما يواكبه من فرحة وسرور، مع ذكر أعلامه المشاهير :

يا الله أو اتشوف بساط لفراجا * نبكي وننوح على فراق سيدي ماجا
شوف الدقة وصوتها معلي * غابوا ناسها ما حضرو شي ليهها
ويبدو أن الفرق كانت تقوم بتمثيل بعض الأدوار المسرحية كما يبدو من البيت الأول (بساط فراجا، وبداية القصة في الشطر الثاني) قبل الشروع في "جر العيط" ومن أعلام الدقة الذين تذكرهم الأحياء كلها بإجلال "ولد اسميرس" ولا يعرف العصر الذي عاش فيه وتضيف بعض

الأحياء أعلامها مثل : بحير بابا...

ويتم تنبيه المبتدئين أو "العشرين" (الذين لا يستطيعون الضرب والإنشاد معا) إلى ترك الكور (أي دائرة المتشددين) لما سترتب عن مشاركتهم من نتائج قد يكون ثمنها الضرب المبرح.

ويسمون العسري "بالفزع" أي العديم التجربة الثقيل الظل. ويكون المشاركون في الدقة من كبار السن ذوي التجربة. أما دقة الأطفال والأحداث فلمهم مجال أرحب يبتدئ من مطلع محرم إلى ما بعد عاشوراء كل يوم.

(3) القسم الأول في ذكر الأولياء والتوسل بهم : يدعو زجل العيط إلى زيارة أشهر أولياء المدينة والتوسل بهم والدخول في حماهم وتعطي سبعة رجال الأسبقية :

للغزواني جيت انزور * الولي مول القصور ...
وهذا القسم مفتوح ومتغير - أكثر من غيره - فمن خلاله يمكن أن يطول العيط حتى يبلغ الأرقام التي يسوقها الرواة، خاصة وان تركيب الأبيات مرن وطيع ومتكرر فبدل البيت :

ارواح اتزور شيخ الحضرا * مولاي بوعمر
نجد روايات مثل :

ارواح اتزور شيخ الحضرا * مولاي الكامل
وهكذا يمكن توظيف هذه الصيغ والتراكيب لذكر كاف أو معظم أولياء المدينة والتوسل بهم، ولما كان عددهم كبيراً (كل قدم بولي) فإن نص العيط سيطول لا محالة وفي هذا مساعدة على قضاء الليل الطويل دون ترديد نفس الأبيات.

(4) يتناول القسم الثاني من العيط الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة وبعض عادات سكانها والدعاء للسلطان الحاكم.

يبدأ الحديث عن هذه المظاهر من "الحضار" أو السيد الذي يحفظ فيه الأطفال القرآن الكريم، ويتعلمون القراءة والكتابة، فهو الأساس وعليه الاعتماد في تكوين العلماء ويرتبط السيد بحي الزاوية زاوية الحضر، رمز التمدن والعطاء، والفهم والأناقة عند سكان المدينة حيث المساجد والزوايا والمدارس وعلى رأسها جامع ابن يوسف ومدرسته :

أهل الزاوية جيت انزور * تلقى حرش العينين
فم باب احضارو * أو عدي تا يعرض أسوارو
ولا ينسى المراكشي عادة من العادات التي جُبِل عليها وهي الخروج إلى النزهة في الحدائق والعرصات التي تزخر بها المدينة وضواحيها وما أكثر أسماء العراصي التي يذكرها العيط. فلكل حي عرصته المفضلة القريبة من بابهِ الرئيسي. ويذكر العيط بساط سليمان وعرصه احريلي (معجم عراصي مدينة مراكش، 5: 1981، ص. 79-98).

الشبان را العام أزيان * نمشيو للزها ونغمو
فباط سليمان

والدعاء للحوز بالخصب له دلالة عند المراكشيين، فبه

تنخفض أثمان الحبوب، ويعم الرخاء وتنشط التجارة بالمدينة وتزدهر لأنها سوق قبائل الحوز، ومنها يتزودون بحاجاتهم.

وفي العبط الإشادة بالجمال وذكر معاناة الحب :

وهناك أبيات تتحدث في ظاهرها عن اللقاء والفرق والحب، ولكنها في العمق ترمز للحياة والموت وحتميته (وقت الرواح ما فيه أمقالات) وللزمان وغدره وتقلبه، لذا فعلى الإنسان أن يتشبث بالدين ويلتزم بأحكام الباري تعالى وشريعته، وأن يقدم الخير ويسعى في سبيله، ومما احتفظ به العبط من هذه الحكم :

راحت راحت شمس لعشي * راحت فحكام الباري تعالى
قال الزين أنا بيت نمشي * وقت الرواح هذا ما فيه مقالا
اللي ماسار يسير غير نمشي * ليام فايتا والسوايح بدالا

وهذه الأبيات كثيرة التردد على لسان الصناع التقليديين بالمدينة يترغنون بها في أورشهم ومعاملهم، وبخاصة "الخصاصين" أثناء تخصيص سقوف المنازل وفي البيت الثاني منها كلمة خاصة بأهل مراكش وهي "بيت" التي تستعمل عندهم بدل "انغيت" أي أردت.

وأخر فقرات هذا القسم الدعاء للسلطان الحاكم بالنصر والتوفيق والإعلان عن رخاء المدينة وازدهارها تحت ظل حكمه، والقالب المستعمل في هذه الفقرة هو :

سيدي ربي نرجاك يا العالي * تكون في عون (السلطان الحاكم)
شف البهجا الحمراكا تشالي * بعتات الهمام (السلطان الحاكم)
(5) الخاتمة : يشير العبط إلى النهاية (امشينا) ويؤكد التوسل بالأولياء والاحتماء بالزاوية زاوية المؤمنين، ثم يدخل مباشرة في الإيقاع السريع ليخلص إلى "أفوس" والنهاية.

عيشا عيشا يا بودلال * تلقاي الخير امشينا
أنا في عار الزاوية * زاوية المؤمنين
ع. الفشتالي، مناهل الصفا، د. ت : أ. المقرئ، روضة الآس : ع.
العزیز بن عبد الله، الموسيقى الشعبية المغربية، مجلة الفنون، غشت،
1978 : ح. جلاب، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب، ج
3، ط. مراكش، 1994 : معجم عراصي مدينة مراكش، مجلة
التراث الشعبي، 5 : 1981.

حسن جلاب

الدقون ويكتب أيضاً الدقون أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وكان من بين أفرادها عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرزاق الذي تولى مهنة خبير في الفلاحة سنة 1217 (1802/).

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 680.

محمد ابن عزوز حكيم

الدقون، أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي

الأندلسي الفاسي. ولد ونشأ بغرناطة ودرس بها قبل أن يحتلها الإسبان، ثم انتقل مع أبيه إلى فاس، أخذ عن جماعة من علمائها منهم محمد المواق والأستاذ الصغير، وأخذ عنه جماعة من طلبة المدينة الإدريسية الفقه وقواعد اللغة. أخذ عنه منهم : أبو القاسم بن إبراهيم، وأحمد التسولي وأبو عبد الله بن شريف، وشقرون بن أبي جمعة المغراوي.

كان الدقون فقيهاً شاعراً، أديباً نحويّاً، محدثاً وراويّاً، كثير المرح. روى عنه تلامذته كتابه *بداية التعريف* بشرح شواهد الشريف (مخطوط).

تولى خطابة جامع القرويين وبعد وفاته خلفه محمد بن محمد ابن غازي.

توفي بفاس في مهل شعبان عام واحد وعشرين وتسعمائة 921 / 1515.

د. القرافي، توشيح، بيروت، 1983، 64 : أ. ابن القاضي، جذوة، 132، دة، 1 : 92 : أ. بابا، نيل، ص. 88 : ع. الفاسي، ابتهاج، 384 : م. القادري، نشر، 711، الإكليل، ص. 136 (د. د. د. ع. مرقون) : م. الكتاني، سلوة، 3 : 248 : م. مخلوف، شجرة، 1 : 276، خ. الزركلي، الإعلام، 1 : 232 : م. حجي، الحركة، 2 : 348 : م. ابن تاويت، الوافي بالأدب المغربي، ص. 287.

مارية دادي

الدك، أسرة رباطية صاحبة مال وسعة، ينتسب إليها المسجد الذي يحمل اسمها والكائن بين سقاية القاضي البربري ودرب الجراي. عرفت هذه الأسرة بالجاء ولذلك حملت إحدى الأزقة اسمها أيضاً. فنزقة الدك هي الموجودة بين الخرازين ونزقة وقاصة جوار درب البرناني. م. الأمين بلگناوي، رواية شفوية، في 30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

دكالة، كانت بلاد دكالة إلى حدود القرن الثاني عشر (18 م) تشمل مساحة أكبر مما هي عليه الآن، إذ كانت تمتد من أم الربيع شمالاً إلى ما وراء نهر تانسيفت جنوباً، أي ما يعرف اليوم بمنطقتي دكالة وعبدية والشياطمة. وقد تغير استعمال الاسم كثيراً خلال القرون الوسطى، إذ كان يطلق أحياناً على مجموع القبائل البربرية التي كانت تقطن الرقعة المذكورة، وكان يطلق في أحيان أخرى على المنطقة نفسها. وقد نجد الاستعماليين معاً عند المؤلف الواحد.

لا نعرف للفظ "دكالة" معنى، ونجهل بداية استعماله. ولعله لفظ بربري طراً عليه، على غرار ألفاظ كثيرة (مشتزاية مثلاً) تحوير وتعريب لاحق. فمن الأكيد أن الاسم

لم يكن يطلق لا على السكان ولا على المنطقة قبل الإسلام، ولم يرد بين الأسماء التي ذكرها المؤلفون الإغريق والرومان. ولم يذكر البكري هذا الاسم، بينما جعل ابن خلدون المنطقة إلى حدود أسفي تابعة لبرغواطة. وأعطى آخرون لتامسنا حدوداً تشمل ما يعرف اليوم بدكالة وعيدة. ويفهم من إشارة أخرى لابن خلدون - وللإدرسي كذلك - أن انتشار القبائل الدكالية كان يشمل الرقعة التي غطتها المنطقة حتى بداية العصور الحديثة، أي فيما بين أم الربيع وتانسيفت.

ومن جهة أخرى، أطلق الاسم على المنطقة وسكانها، إلى حد أننا نجد عند المؤلف الواحد الاستعماليين معا. ويتجلى ذلك بوضوح في عبر ابن خلدون الذي يطلق "دكالة" على قبائل مصمودة السهل مرة، وعلى إقليم مرة أخرى. ونفس الازدواجية نقف عليها في كتابات من تعرض للمنطقة قبل القرن العاشر (16م). إلا أن تتبع إشارات تلك المؤلفات، واعتبار التطورات التي عرفتها المنطقة، خصوصاً بعد دخول القبائل العربية إليها، قد يكتنان من تصور مراحل تحول استعمال الاسم.

نقرأ في بهجة الناظرين أن أحد الأمغارين بقي بتيط إلى أن اندلعت حرب برغواطة "فخرج بأمه إلى بلاد دكالة". ثم أشار المؤلف في محل آخر إلى أن "أبير بساحة دكالة". وبذلك يجعل تيط، التي كانت تابعة لـ "صنهاجة أزموور"، خارج دكالة.

وقد نحا ابن قنفذ - الذي زار المنطقة سنة 769 نحو ابن عبد العظيم الأزموري. فحين تكلم عن الأمغارين، نعتهم بـ "الصنهاجيين"، وحين أشار إلى "الماجرين"، قال: "وهم طائفة أبي محمد صالح، ومنهم الدكاليون". وما يؤكد هذا التقسيم إلى جزئين لدى ابن قنفذ، أنه حين يتحدث عن اجتماع الصوفيين والفقهاء بإحدى قرى ساحل المحيط قال عن المكان: إنه "جوف إقليم دكالة، بين أسفي وبلد تيط نفطر". وبذلك تكون "دكالة" هي ما يناسب مصمودة السهل، وبلاد "صنهاجة أزموور" ما يناسب هذه القبيلة وهو ما نقف عليه كذلك عند ابن الزيات الذي يستثني من دكالة قبيلة صنهاجة، ويعني بدكالة ما لاحظناه عند ابن عبد العظيم الأزموري وابن قنفذ.

وقام ابن خلدون، بدوره، بنفس التمييز وإن أدمج صنهاجة أزموور في أماكن مختلفة من العبر ضمن قبائل دكالة.

وقد اختلف استعمال اللفظ للدلالة على القبائل تدريجياً، خصوصاً بعد الغزو البرتغالي للمنطقة، وما نتج عنه من تقلبات واضطرابات وتحركات اضطرابية للسكان. وبذلك عوضت المنطقة القبائل في حمل الاسم، خصوصاً وأن قبائل جديدة ظهرت بها: غربية، عيدة وشرقية بغروعا الكثيرة. وهكذا، وابتداء من القرن العاشر (19 م)، لم يعد للفظ إلا استعمال واحد، ويعني المنطقة التي كانت تقطنها القبائل البربرية الست. وهكذا لم أقف في المصادر

البرتغالية إلا على استعمالين اثنين للدلالة على القبائل، فيهما إشارة لقبيلة دكالة، مع ذكر عبدة ورجاجة ورتانة.

وهكذا استعمل كل من الوزان ومارمول والإخباري البرتغالي (دو كويش) اللفظ للدلالة على الاقليم. فقد كتب هذا الأخير وهو يتحدث عن أسفي بأنها توجد "بالإقليم الذي نسميه بطريقة غير دقيقة إقليم دكالة".

واختلط الأمر على الوزان في ضبط حدود المنطقة، إذ جعلها تحد بوادي العبيد جنوباً وتانسيفت غرباً. وعلى كل، تجمع المصادر أن منطقتنا كانت تحد في بداية القرن العاشر (16 م) شمالاً بأم الربيع، وجنوباً بتانسيفت، وغرباً بالمحيط، وشرقاً بالمرتفعات: الجبل الأخضر وجبال بني ماغر، ومرتفعات الكنتور.

وضمن الحدود المشار إليها أعلاه، كانت المنطقة مقسمة باستمرار إلى قسمين متميزين. فقبل دخول القبائل العربية إليها، كانت النصوص تميز بين بلاد "صنهاجة" وبلاد المصامدة. وخلال الغزو البرتغالي قسمت إلى "شرقية" و "غربية". وابتداء من القرن الثاني عشر (18 م)، قسمت إلى "دكالة حمراء"، وهي عبدة الحالية، و"دكالة بيضاء"، وهي ما يناسب دكالة الحالية. وقد بدأت ملامح قبائل القسم الشمالي للاسم تتعزز تدريجياً خلال الغزو البرتغالي. وبذلك يصبح الاسم الذي كان حكراً على قبائل القسم الجنوبي خاصاً هذه المرة بسكان قسمها الشمالي، وذلك بعد أن تعزز وجود قبيلة عبدة بالمنطقة، بعد تحرير أسفي. وبهذا نفهم التقسيم الذي خص به القنصل الفرنسي شونبي دكالة حين كتب: "كانت هذه المنطقة تمتد قديماً من ضفة تانسيفت، إلا أن منطقة عبدة اقتطعت منها ليتم التقسيم بين أخوين متنافسين على حكمها". وأضاف "أن دكالة كانت تمتد إلى أبواب أسفي"، وأن "إقليم عبدة، الذي كان يكون قسماً من دكالة، يبدأ من أسفي ويمتد إلى نهر تانسيفت". وبذلك أعطى القنصل المذكور منطقة دكالة الحدود الجديدة التالية: من ناحية الشرق: هسكورة والرحامنة، من ناحية الجنوب: عبدة، ومن الشمال: تامسنا.

وهكذا أصبح إقليم دكالة ابتداء من القرن الثاني عشر (18م) يشمل رقعة أضيق مما كان عليه من قبل، ولم تعد المنطقة التي استوطنتها عبدة تنسب إليها، وأصبحت تشكل إقليماً خاصاً بها.

اعتاد الجغرافيون تقسيم دكالة إلى ثلاث وحدات طغرافية: الساحل، السهل، المرتفعات. وتختلف الوحدات المذكورة عن بعضها البعض من ناحية الأشكال الطبيعية، والغطاء الطبيعي ونوعية الاستغلال الزراعي. وعلى الرغم من هذا الاختلاف، يغلب على دكالة طابع الانبساط الذي يجعل منها سهلاً من أكبر وأغنى سهول المغرب. غير أن المنطقة كانت تعاني من قلة المياه بشكل كبير ودائم نظراً لقلة الأنهار والعيون بداخلها، ولحدودية استفادتها من النهرين اللذين يحدها. لذا كاد السكان يقتصرون في

شربهم على ما كانوا يدخرونه من مياه المطر. وقد أثر هذا المشكل على نوعية الاستغلال الزراعي وعلى نمط عيش السكان، وكانت له في بعض المناسبات انعكاسات سياسية خطيرة عليهم.

فإذا كانت كمية التساقطات تسمح للمنطقة بزراعة بورية في حالة توزيع منتظم للتساقطات خلال السنة الفلاحية، فإن المشكل الذي عانى منه الدكاليون كثيراً تمثل في ندرة المياه الصالحة للشرب، وهو المشكل الذي أكدته المصادر. وتكاد تنعدم الآبار في أجزاء كثيرة من المنطقة، الأمر الذي حتم على السكان اعتماد ما يدخرونه في النطاقي من مياه المطر. فقد ذكر ابن الخطيب عن جبال بني ماكر بشرق أسفي: "سقيه من نطاف عذبة تُخزن بها بركات الأمطار فيقع بها أمنهم والاجتزأء إلى زمن المطر". وكانت مدينة أسفي لا تعتمد في شربها إلا على النطاقي. لذا كان الجفاف يكتسي بدكالة طابع الكارثة بالنسبة للسكان ومواشيهم. فكلما تأخر نزول المطر أو انعدم إلا واضطر السكان إلى الرحيل نحو المناطق المتوفرة على الآبار والعيون كما ورد ذلك في التشوف حين الحديث عن أبي وكيل الدكالي. وقد تركت لنا المصادر البرتغالية صورة واضحة عن خطورة قلة هذه المادة على السكان إلى حد أنها استعملت كسلاح لإرغامهم على الرضوخ لمشيئة الغزاة. وذكر الإخباري (دو سوزا) أن الملك البرتغالي اضطّر مرة إلى إرسال سفينة محملة ماء إلى أسفي لتفادي موت حاميتها من العطش بسبب حصار المغاربة للمدينة. وكاد أحد النبلاء البرتغاليين "أن يغرق نفسه في ذلك الماء، لأننا إذا كنا هنا (البرتغال) لا نغير أي اهتمام لذلك [الماء]، فإنه كان في أسفي كثير الفائدة".

تجمع النصوص على أن قبائل دكالة كانت تضم ست مجموعات، واحدة صنهاجية، توجد حول مدينة أزموور، وسائرهما مصمودية، مكونة من مشنزاية وبني دغوغ وركراغة وبني ماكر وهزميرة.

كانت صنهاجة "تسغيرت" على الضفة الجنوبية لأم الربيع وحول أزموور. وبلغ انتشارها جنوباً إلى منطقة أبيض التي كانت بالتأكيد مصمودية. أما في اتجاه الشرق، فكانت تنتشر على طول أم الربيع حيث بقيت منها مجموعات صغيرة في قرى محصنة إلى حدود القرن العاشر (16 م) على الأقل.

واعتماداً على رواية ابن الزيات، كان انتشار مشنزاية حول قرية إلسكاون والجبل الأخضر، بسهل سيدي بنور، ولا يستبعد أن يكون الامتداد وصل إلى الساحل، وهو الملجأ الذي احتمت به بعد دخول القبائل العربية إلى المنطقة. فقد كانت المدينة الغربية في مطلع القرن العاشر الهجري تابعة لها.

وكانت قبيلة بني ماكر مستقرة بين أسفي، التي نسبها ابن خلدون إليها، والمرتفعات التي تحمل اسمها. أما

ركراغة، فكانت تمتد من وادي شيشاوة شرقاً، إلى قرية كوز غرباً.

وإذا كان ابن الزيات قد ذكر قبيلة بني دغوغ عدة مرات، وأشار إلى أعلامها وبعض قراها، فإن تلك الإشارات لا تسمح بتحديد دقيق لمكان استقرارها. ويبدو أنها كانت تنتشر فيما بين قبيلتي بني ماكر ومشنزاية، أي فيما يعرف اليوم بسهل سحيم، وهو الموقع الذي بقيت فيه إلى اليوم - مع تقلص كبير - بعد اندماجها ضمن أولاد عمران العربية.

ولم نعرش في المصادر التي اعتمدناها على ما يسمع بتحديد موقع انتشار هزميرة داخل الحدود التي ذكرناها لدكالة.

وكانت دكالة خلال المرحلة البربرية تابعة لمراكش، يشرف عليها عامل، وكانت لركراغة إدارة خاصة، وكانت عاصمتها كوز، على نهر تانسيفت. وفي العهد المرابطي، تقلص النفوذ البرغواطي، وانتزعت دكالة من أيديهم. وبخلاف باقي المصامدة، واجه الدكاليون الدولة الموحدية الناشئة بمقاومة عنيفة ردت عليها مراكش بقمع شديد نتج عنه فراغ بشري كبير دعيت القبائل العربية ملته.

ففي مطلع القرن السابع (13 م) عرفت المنطقة زحفاً للقبائل العربية انطلاقاً من تامسنا بهدف الاستقرار. وكان هؤلاء الهالليون ينقسمون إلى قسمين: خلط وسفيان. وإذا كان لسفيان السبق في الدخول، فإنهم اضطروا إثر حروب كثيرة مع أعدائهم الخلط إلى الانسحاب من المنطقة بعد أن لم ينفعهم تراجعهم صوب الجنوب، ولم يبق منها إلا قسم احتفى بنهر تانسيفت، مكون من قبيلة الحرث أو الحارث التي تفرعت عنها قبيلة أولاد مطاع.

وانعكس دخول القبائل العربية على وزن المنطقة السياسي وعلى ساكنتها وتوزيعهم ونمط عيشهم.

فمن الناحية السياسية، نلاحظ تزايد الاضطرابات داخل المنطقة بسبب العداء بين الخلط وسفيان من جهة، وموقف كل واحدة منهما من الدولة الموحدية المنهارة من جهة ثانية. كما أن الدولة المنهارة اعتادت ضرب الفريق الثائر عليها بالفريق الآخر. ثم إن تلك الدولة لم تحرك ساكناً وهي تراهم "يعيثون في الناس يمينا وشمالاً" (ابن الزيات). وقد أصبح للقبائل العربية وزن سياسي كبير، إلى حد أن شيوخها أصبحوا يتطاولون على السلاطين. ومع ذلك، نتج عن تلك الحروب المستمرة، وعن انتقام الملوك من القبيلتين بالتتالي، إضعاف كل من الخلط وسفيان واضطرابهم إلى مغادرة المنطقة. ويبدو أن قبائل عربية أخرى حلت محلهم، نزحت من الشرق، واحتفظت بتلك الصفة التي كانت تميزها عن غيرها من قبائل المنطقة: الغربية، عبدة، مشنزاية.

وعلى إثر دخول القبائل العربية إلى المنطقة اندمجت قبائل بربرية ضمن النازحين الجدد، كما هو الشأن بالنسبة لصنهاجة أزموور أو بني دغوغ، أو انسحبت إلى الهوامش والأطراف كما هو الشأن بالنسبة لمشنزاية وركراغة وبني

ماغر. وبذلك تشير المصادر البرتغالية في مطلع القرن العاشر (16 م) إلى وجود العنصرين معاً، مع اختلاف واضح في الموقع وغط العيش. فهي تذكر أن القبائل العربية كانت تعيش في دواوير وتتبنى الترحال، في حين استقر البرابرة في قرى محصنة.

ويمكن تقسيم القبائل العربية المستقرة بدكالة في مطلع القرن العاشر (16 م) إلى ثلاث مجموعات :

- الشرقية التي كانت تتفرع عنها ست قبائل مستقرة بشرق المنطقة : أولاد فرج، أولاد عمران إلسكان، أولاد سبيطة، أولاد بوعزيز، أولاد عمران التحتية، أولاد يعقوب.

- الغربية

- عبدة

أما القبائل البربرية فكانت ثلاثاً : مشنزاية ويني ماغر وركراكة.

ومما لا شك فيه أن الفتن والحروب التي عرفتها المنطقة، وهجرة سفيان والخلط أدت إلى تراجع أعداد الدكاليين. إلا أن إمكانيات المنطقة وقدرتها على الانتعاش جعلتها حتى في فترة الأزمات التي عرفها المغرب تشهد كثافة سكانية مهمة أثارت انتباه المؤلفين. فقد شدد ابن الخطيب على كثافة ساكنة بني ماكر، ووصف عمران السهل الممتد بين أسفي وأزمور بقوله : "هذا الوطن المتكاثف العمارة، أجم الماشية، المنبت الحلل، الغاص على انفساح مده بالراعية والثاغية"، وهو ما شدد عليه ابن قنفذ بدوره. وذكر الوزان أن دكالة كانت في بداية القرن العاشر الهجري كثيرة السكان إلى حد أنهم تجمروا على رفض دفع الضرائب للوطاسيين، وأشار إلى أن محاربيهم بلغوا حوالي مائة ألف، علماً بأنه لم يخص بالذكر إلا العناصر العربية.

غير أن ساكنة دكالة عرفت تراجعاً كبيراً بسبب الحروب التي أشعلها البرتغاليون بالمنطقة، وما نتج عنها من ردود فعل وطبائسة، وكذا بسبب النزوح الاضطرابي لبعض قبائلها، خصوصاً بعد المجاعة الكبرى التي عرفتها المنطقة سنة 1521 والتي اضطرت فيها الدكاليون إلى بيع ذويهم قبل بيع أنفسهم لتجار الرقيق البرتغاليين والإسبان بأثمان بخسة إلى حد أن بعضهم أعطى نفسه مقابل تعهد المشتري بضمان القوت. ومع ذلك كانت دكالة دوماً من أكثر مناطق المغرب كثافة، وكانت باستمرار منطقة هجرة في اتجاه المناطق المغربية الأخرى.

لم تزدهر حركة العمران بدكالة التي بقيت لمدة طويلة منطقة رعي وزراعة. ولم تعرف دكالة إلا ثلاث حواضر : أسفي، أزمور، والمدينة الغربية. وتوجد كل المدن على الساحل، أو على مقربة منه. فكانت القرى قليلة، لم يذكر الوزان منها إلا ثمانين، كانت اثنتان منها توجدان خارج حدودها : مرايمر بالشيظمة، وتمركوش بالشاوية، وكان من القرى الباقية ما كان مخرباً (تيط) أو صغيراً (مائة بئر

ويثر). وبقيت مازيغن خربة لقرون طويلة، ولم تنتعش بعد احتلال البرتغاليين لها سنة 1514، وبقيت مجرد ثكنة ثانوية إلى حين إخلاء أزمور وأسفي سنة 1541 واحتفاظ البرتغاليين بها إلى سنة 1769.

وظهرت بدكالة أولى الزوايا المنظمة في المغرب. فمن الطوائف الست التي عدها ابن قنفذ، كانت ثلاث بمنطقتنا : الشيعبيون المنتسبون إلى أبي شعيب أيوب السارية دفين أزمور، والأمغارون المستقرون بتيط، والذين كان رئيس طائفتهم هو أبو عبد الله أغمار، والماجريون بأسفي المنتسبون إلى أبي محمد صالح. وكثر الأولياء والفقراء ومريدوهم، وكانوا يجتمعون بالمئات برباط شاكراً أو بساحل المحيط، بين تيط وأسفي حسب شهادة ابن قنفذ. وباستثناء طائفة أبي شعيب الذي لم يخلف من يرث طريقته، عرفت طائفتا أبي محمد صالح والأمغارين انتشاراً واسعاً وسريعاً. فقد وصل نفوذ الزاوية الأولى إلى السوس وورزازات، إلى حد أن فتوحها كانت كلها من خارج أسفي حسب شهادة أبي محمد صالح نفسه. وينطبق الشيء نفسه على الأمغارين الذين راكموا الثروات وظهائر التقدير والاحترام وكثر مريدوهم والمنتسبون إليهم.

تسيطر بدكالة زراعة الحبوب وتربية المواشي. وتفتقر المنطقة للزراعات السقوية ذات المردود العالي التي كانت منتشرة بجاراتها (السوس وهسكورة مثلاً)، فقد بقيت دكالة قليلة الاهتمام بالجنات والبساتين إلى حد أن الوزان اعتبر ذلك دليلاً على كسل سكانها.

كانت المنطقة كثيرة الإنتاج للحبوب التي اعتادت تصديرها للأندلس حتى أن هذه الأخيرة اعتمدت عليها اعتماداً كبيراً كما يدل على ذلك مثل من أمثالها العامة. وكانت كثرة الحبوب في المنطقة، واحتياج البرتغال الدائم لها من أهم عوامل اهتمام ذلك البلد بالمنطقة، وحرصه المبكر على التحكم فيها واحتكار إنتاجها وأسواقها. فقد أصبح البرتغال يجلب من دكالة كميات كبيرة من الحبوب بـيـنـاً أهميتها في محل آخر، وطرق ووسائل الحصول عليها. وحافظت المنطقة على صفتها هذه وبقيت إلى يومنا هذا من أكثر المناطق المغربية إنتاجاً للحبوب.

اعتاد الدكاليون، حسب إشارات لابن الزيات، احترام التجارة ونقل فائض منتجات منطقتهم بحراً إلى مالقة والبرتغال. وكانوا يعرضون القمح على الخصوص ويجلبون الفواكه. وسرعان ما أصبحت أزمور أولاً، وتيط وأسفي ثانياً، محج التجار الإيطاليين والفرنسيين والكطالين والبرتغاليين، وهو ما جعل تلك المرافئ تستفيد من الطرق التجارية الداخلية، وأصبحت نهاية إحدى الطرق المرتبطة بتجارة السودان. ونتج عن تزايد المبادلات، وتراكم التجارب والثروات، بروز كل خصائص الطبقة التجارية من تسابق نحو السلع واحتكار، ومحاولة تنحية المنافسين كما عاينها ابن الخطيب بأزمور. كما وصف المؤلف نفسه

التحسن الذي طرأ على مستوى عيش سكانها. وقد تعززت هذه العلقية وتقوت أكثر بعد تزايد أعداد التجار الأوربيين خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م). فقد ذكر الإخباري البرتغالي (دو كوش) أن الأزمويين أصبحوا يقلدون البرتغاليين في اللباس وبناء الدور. وأشار الوزان إلى انعكاس الاتجار مع البرتغاليين على مستوى عيش الأزمويين وسكان تيط مع أنها كانت خربة.

وتعرضت دكالة لغزو برتغالي كان له الأثر السيء على تطورها اللاحق. وقد مر تحكم البرتغاليين في المنطقة عبر مرحلتين : مرحلة ولاء أولاً، ثم احتلال مباشر لأهم حواضرها ثانياً.

تمت المرحلة الأولى خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) : أسفي قبل موت الملك البرتغالي ألفونسو الخامس (28 غشت 1481)، أزمو : 1486. وكادت المدينة الغربية أن تعرف نفس المصير في مطلع القرن العاشر (16 م). وتميزت هذه المرحلة باقتصار البرتغاليين على ولاء اسمي لحكام المحاضرتين، واحتفاظهم بالهيكل السياسية القائمة. وكانت الغاية من هذا النوع من التحكم الذي لم يعتمد بالثغور المغربية الشمالية إبعاد العسكريين عن أسواق المحاضرتين الدكالية وعن المناطق الدكالية المرتبطة بها حفاظاً على رواج أسواقها و ما كانت دكالة توفره للبرتغال ومراكزه التجارية بغرب أفريقيا من سلع.

أما المرحلة الثانية فتحت سنة 1508 بالنسبة لأسفي، و1513 بالنسبة لأزمو، و1514 بالنسبة لمازيغن وتيط. ونتج عن احتلال تلك الثغور انطلاق عمليات عسكرية استهدفت القرى والدواوير الدكالية. وعرف النفوذ البرتغالي بالمنطقة إشعاعاً سياسياً وعسكرياً لم تعرفه أية منطقة مغربية أخرى، وذلك لاستفادة الغزاة من عدة عوامل : سهولة التضاريس وانسائها، ضعف الدولة الوطاسية وبعدها عن المنطقة، تناحر الشيوخ والأعيان والمساعدة الكبيرة التي قدمها بعضهم — كبحي أو تعفوفت — للمسيحيين. وبذلك وصلت الغارات المنطلقة من أسفي إلى مشارف السوس جنوباً، وإلى منابع تانسيفت ومنطقة زمران الحالية شرقاً. وعرضت حامية أزمو منطقة الشاوية لغارات متتالية وصل مداها أحياناً إلى ضواحي الرباط. ونتج عن تلك العمليات العسكرية، وعن ردود فعل الوطاسيين، خراب المنطقة وتحطيم بنياتها الأساسية كالأبار مثلاً. وتقدر بعض الدراسات النتائج الديموغرافية للغزو بدكالة بنسبة تتراوح بين 34 و44٪ من الساكنة.

ولم تستطع المنطقة الانتعاش بعد تحرير أسفي وأزمو سنة 1541 لبقاء البرتغاليين كعنصر اضطراب وفتنة استمرارهم في احتلال مازيغن حتى سنة 1769 وكذا لعجز الدولة السعيدية عن ضمان استقرار دائم للمنطقة. لذلك استمرت دكالة في معاناتها من المجاعات والأوبئة كما يؤكد ذلك تقييد يخص أسفي سنوات 1060 / 1062 هـ.

ويتوالي سنوات الاضطراب والفتن، سيطر نمط الترحال على الاستقرار في سهل من أغنى سهول البلاد.

أ. بوشرب، دكالة والغزو البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمو، الدار البيضاء، 1984 : المصادر والمراجع المذكورة في آخر الكتاب.

أحمد بوشرب

دكالة - عبدة (جهة -) تقع جهة دكالة - عبدة في

المنطقة الاطلنتية الوسطى للمغرب. يحدها شمالاً وغرباً المحيط الاطلنتي. ويحدها شرقاً، إقليم قلعة السراغنة ووسطات ومن الجنوب والجنوب الشرقي ولاية مراكش. ومن الجنوب والجنوب الغربي إقليم الصويرة. تمتد جهة دكالة - عبدة على مساحة 13285 كيلو متر مربع، مما يمثل 1.86 بالمائة من المساحة الاجمالية للتراب الوطني، وتتكون من إقليمين هما : إقليم الجديدة بالشمال وإقليم أسفي بالجنوب. يصل عدد الجماعات الحضرية والقروية بجهة دكالة - عبدة إلى 89 جماعة، يوجد 37 منها بإقليم أسفي و52 بإقليم الجديدة، وتعتبر مدينة أسفي مقر الجهة.

تطور التنظيم الترابي لهجة دكالة عبدة. عرف التنظيم الترابي لجهة دكالة - عبدة، تطوراً يمكن إجماله في ثلاثة أنماط، هي التنظيم المتجانس، والتنظيم الإستراتيجي، والتنظيم السياسي.

أولاً : التنظيم المتجانس قبل التدخل الاستعماري (قبل سنة 1912) لم تعرف جهة دكالة - عبدة تنظيماً جوهرياً بالمفهوم الحديث، كان التنظيم الترابي يستند على الانتشار المجالي للقبائل وهي قبيلة دكالة شمالاً وقبيلة عبدة في الجنوب الغربي وقبيلة احمر في الجنوب الشرقي. وعرف المجال الذي انتشرت فيه هذه القبائل إجمالاً بدكالة وذلك إلى حدود بداية القرن لعاشر (16 م) حيث استقرت قبيلتا عبدة وأحمر في الجهات التي توجد بها حالياً. كانت القبيلة وحدة ترابية واقتصادية أيضاً، لأن مبدأ التماسك لدى أفرادها ساهم في الدفاع عن المجال الرعي - زراعي والحفاظ على الحدود الترابية المتعارف عليها. ولا بد من الإشارة إلى أن دكالة - عبدة كانت تنتمي قبل التدخل الاستعماري إلى جهة مراكش التي كانت تمثل إحدى الجهات الكبرى لبلاد المخزن.

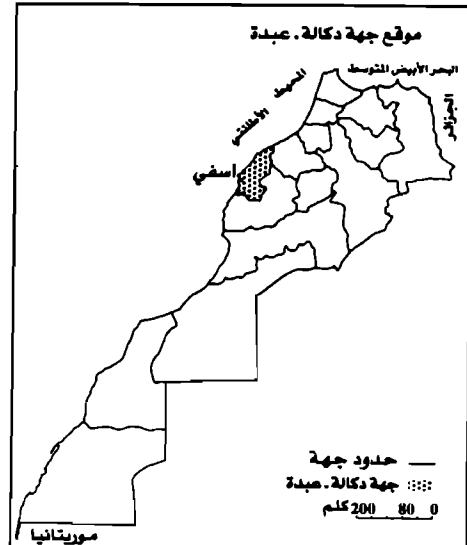
ثانياً : التنظيم الاستراتيجي لمنطقة دكالة - عبدة في العهد الاستعماري (1912 - 1956). خضع التنظيم الترابي لمنطقة دكالة - عبدة في هذا العهد إلى نفوذ جهتين : الأولى عسكرية والثانية مدنية. أما الجهة العسكرية فهي جهة مراكش التي كانت تشمل تراب قبيلتي عبدة واحمر (إقليم أسفي حالياً). أما الجهة المدنية فهي جهة الدار البيضاء التي ضمت إليها تراب قبيلة دكالة (إقليم الجديدة حالياً). كان هاجس الأمن والمراقبة هو الدافع إلى التنظيم الجهوي في العهد الاستعماري. لهذا عمد المستعمر إلى تفتيت جهة

دكالة - عبدة.

ثالثاً : التنظيم السياسي في عهد الاستقلال (منذ سنة 1971). عرف التنظيم الترابي لمنطقة دكالة - عبدة تطوراً متبايناً يمكن إجماله في فترتين :

الفترة الأولى : 1971 - 1996 : أصبحت منطقة دكالة - عبدة تنتمي إلى جهتين اقتصاديتين. أصبح إقليم الجديدة منذ سنة 1971 ينتمي إلى الجهة الاقتصادية الوسطى التي يوجد مركزها بمدينة الدار البيضاء. أما إقليم أسفي فأصبح ينتمي إلى الجهة الاقتصادية لتانسيفت. يلاحظ أنه لم يطرأ تحول في التنظيم الترابي بالنظر إلى الفترة الاستعمارية إذ أن الجهة الوسطى حلت محل جهة الدار البيضاء المدنية. كما أن جهة تانسيفت حلت محل جهة مراكش العسكرية. وقد ظل التنظيم الجهوي لدكالة - عبدة في هذه الفترة جامداً، إذ انحصر التنظيم في ترسيم الوحدات الترابية، في حين ظلت الهياكل السياسية جامدة.

الفترة الثانية : منذ سنة 1997 : أصبحت جهة دكالة - عبدة إحدى الجهات الست عشرة التي أحدثت بظهير شرف صدر بالجرادة الرسمية في شهر أبريل 1997 تحت عدد 4470. اعتماداً على مقاييس محددة، وأصبحت هذه الجهة تحمل اسم جهة دكالة - عبدة (مرسوم 9 أبريل 1997). وقد خضع منطق تقسيم جهة دكالة - عبدة إلى مقاييس تاريخية وجغرافية. استندت المقاييس التاريخية إلى التاريخ الجهوي المشترك، إذ كانت الجهة قبل القرن العاشر (16 م)، مجالا لنفوذ قبيلة دكالة، وهو المجال الذي كان يوجد بين نهري أم الربيع وتانسيفت. كما خضعت معظم المدن الساحلية لهذه المنطقة للاحتلال البرتغالي وخاصة مدن أسفي ومازاغان (الجديدة حالياً) وأزمور. أما المقاييس الجغرافية للتقسيم الترابي للجهة فاستندت على البعد الأطلنتي، إذ تحظى الجهة بواجهة بحرية على المحيط الأطلنتي، يبلغ طولها ثلاثمائة كيلومتر من السواحل، وهو ما يمثل زهاء 12٪ من سواحل المملكة.



2. المؤهلات والاختلالات الكبرى :

أولاً : مؤهلات جهة دكالة - عبدة يبلغ عدد السكان بجهة دكالة - عبدة، مليوناً وثمانمائة ألف نسمة (1.793458 نسمة) حسب إحصاء 1994 مما يمثل سبعة بالمائة (7٪) من سكان المغرب. وتصل الكثافة السكانية بالجهة إلى 135 نسمة في الكيلومتر المربع. يمثل السكان القرويون 65.6٪ من سكان الجهة بينما يتوزع الباقي على الحواضر، وأهمها مدينة أسفي الحاضرة الأولى بالجهة ومركزها الإداري، حيث يصل عدد سكانها إلى أزيد من 260 ألف نسمة، متنوعة بمدينة الجديدة، إذ لا يتعدى عدد سكانها 120 ألف نسمة. أما باقي الحواضر فهي إما متوسطة أو صغيرة وهي اليوسفية وجمعة سحيم والشماعية وسبت جزولة بإقليم أسفي ؛ ومدن أزمور والبئر الجديد وسيدي بنور وخميس الزمامرة بإقليم الجديدة. يستفيد سكان جهة دكالة - عبدة من المؤهلات التي تزخر بها وخاصة الفلاحة والصيد البحري والموارد المنجمية والتجهيزات الأساسية والأنشطة الصناعية.

تتوفر الجهة على زهاء مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة وهو ما يمثل 70٪ من تراب الجهة. وتزيد المساحات المسقية على 87 ألف هكتار. تحتل الحبوب 70 بالمائة من الإنتاج الفلاحي. أما المزروعات المروية فأهمها الشمندر السكري والبواكر، زيادة على إنتاج الكروم. يعتمد النشاط الفلاحي على تربية الماشية أيضاً (غنم وبقر ومعز) علماً بأن الغطاء الغابي لا يتعدى 40 ألف هكتار. تعد الفلاحة عصب الحياة لدى السكان القرويين إذ يشتغل بها زهاء 59٪ من السكان النشيطين بالجهة. أما الصيد البحري فيعد نشاطاً أساسياً إذ تتوفر الجهة على زهاء 300 كيلومتر من السواحل أهمها سواحل أسفي التي اشتهرت بصيد السردين، إذ كانت أول منتج له بالمغرب.

تتوفر جهة دكالة - عبدة على موارد منجمية خاصة منها الفوسفات الموجود بمنجم الكتور قرب مدينة اليوسفية شرق مدينة أسفي، علاوة على توفر مدخرات هامة من الجبس شرق وجنوب شرق مدينة أسفي، وإنتاج الملح بكل من بحيرة زمة شرق مدينة أسفي وبالسواحل الجنوبية لمدينة الجديدة.

تحتل الجهة بصناعات تحويلية هامة على الصعيد الوطني وهي الصناعات الكيماوية والفوسفورية بكل من مدينة أسفي وميناء الجرف الأصفر جنوب مدينة الجديدة. هذا علاوة على صناعات كهربائية وإلكترونية وغذائية. ويفوق عدد الوحدات الصناعية بها 240 وحدة، زيادة على الصناعة التقليدية التي تشتهر بها الجهة وخاصة صناعة الجلاباب بإقليم الجديدة وصناعة الخزف بمدينة أسفي.

وتحظى جهة دكالة - عبدة بتجهيزات أساسية مساعدة على ازدهار النشاط الاقتصادي إذ تتوفر على موانئ هامة على الصعيد الوطني مثل ميناء الجرف الأصفر جنوب

مدينة الجديدة وميناء أسفي، الذي يختص في تصدير المواد الفوسفاتية الخام أو المحولة. وترتبط هذه الموانئ بشبكة السكك الحديدية الوطنية بخطين : خط الدار البيضاء الجرف الأصفر وخط ابن جرير اليوسفية أسفي.

ثانياً : الاختلالات الكبرى بجهة دكالة - عبدة. تعاني هذه الجهة دكالة - عبدة من عدة اختلالات تؤثر على مستقبل التنمية الجهوية، يمكن إجمالها في ثلاثة أصناف كبرى هي : اختلالات بيئية واختلالات في التجهيزات الأساسية واختلالات في التنمية البشرية.

أ - تتمثل الاختلالات البيئية الكبرى في ظاهرة الجفاف والضغط على السدم المائية والتلوث الصناعي : يتمثل الاختلال الأول في ظاهرة الجفاف وخاصة بإقليم أسفي بالجزء الجنوبي من الجهة، حيث تبين من رصد محطة أسفي لمدة تزيد عن خمسين سنة أن كمية التساقط المطرية تتناقص كل سنة بمعدل يفوق 1,5 (دراسة شخصية). والاختلال الثاني يتمثل في الضغط على السدم المائية ولا سيما بساحل جهة دكالة - عبدة مما تسبب في تزايد نسبة ملوحتها. أما الاختلال البيئي الثالث فهو التلوث الصناعي وخاصة بمدينة أسفي والجرف الأصفر حيث تتسبب المركبات الصناعية لتحويل الفوسفات (مركبات كيماوية وفوسفورية) في قذف النفايات الصناعية السامة في البحر علاوة على الانبعاثات الكيماوية في الجو.

ب - الاختلالات في التجهيزات الأساسية، وتتمثل أساساً في تعثر تجهيز الأراضي السقوية وسوء وضعية الطرق وانعدام المطارات. إن برمجة سقي 64 ألف هكتار بقطاع دكالة - عبدة لم يكتمل، إذ من شأنه التخفيف من آثار الجفاف وخاصة بسهل عبدة. وقد شرع هذه السنة في تجهيز الشطر الأول الذي يقدر بحوالي 17300 ألف هكتار (استراتيجية تنمية الري). أما وضعية الطرق بجهة دكالة - عبدة فهي سيئة ؛ ومازال تنفيذ مشروع الطريق السيار الرابط بين مدينتي الدار البيضاء والجرف الأصفر قيد الانتظار رغم كثافة مرور السيارات بالطريق الرابطة بينهما. وأما الاختلال الثالث في التجهيزات الأساسية فهو انعدام المطارات بالجهة وخاصة بمدينتي أسفي والجديدة باعتبارهما مركزين صناعيين.

ج - الاختلالات في التنمية البشرية : تعاني جهة دكالة - عبدة من اختلالات اجتماعية تعبر عنها بضعف مستوى التنمية البشرية وخاصة على مستوى التمدرس والامية ومستوى الصحة. فتمدرس الأطفال في سن (8 - 13 سنة) تقل نسبة عن 45٪ مع تفاوتات بين الذكور والإناث. ومازالت الأمية متفشية تصل إلى 46,4٪ حسب إحصاء 1994، بل تصل بالوسط القروي إلى 80 بالمائة. أما الصحة بجهة دكالة - عبدة، فتعاني من خلل في توزيع التجهيزات بين الوسط القروي والحضري، علماً بأن المعدل العام للجهة هو مستوصف لكل 15 ألف نسمة (الحوار الوطني حول إعداد التراب).

م. الأسعد، 2000، تكون الشخصية المجالية لإقليم أسفي، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، نشر في كتاب تاريخ إقليم أسفي، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، إعداد محمد الأسعد، دفاثر دكالة - عبدة، رقم 1، سلسلة بحوث ودراسات منشورات مؤسسة دكالة - عبدة للثقافة والتنمية، ص. 17 - 33، الدار البيضاء، مرسوم 9 أبريل من سنة 1997 حددت فيه مقاييس تقسيم الجهات وكذا أسماؤها النهائية ؛ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري، استراتيجية تنمية الري في أفق 2020، المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، 19 و 20 يوليوز 2000 سلا ؛ وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والسكان، جهة دكالة - عبدة، الحوار الوطني حول إعداد التراب، عناصر تمهيدية، ص. 27، فبراير، 2000.

محمد الأسعد

باب دكالة بمراكش، يقع وسط الواجهة الغربية من سوق مراكش، يحده شمالاً باب الرخا وجنوباً باب مسوفة (مسالك الأبصار، 134) يرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن حكم المرابطين، حيث ورد ذكره في سياق أحداث تعود إلى هذه الفترة. فمنه دخل علي بن يوسف عقب تراجع جيوشه أمام قوات الموحدين أثناء عمليات البحيرة (نظم الجمال : 166). ومنه تمكن جيش عبد المومن خلال حصار 541 / 1147 من اقتحام المدينة من جهة الغرب (أخبار المهدي : 63). وفي زمن حكم الموحدين كان منه الخروج الرسمي للجيش من العاصمة من أجل الجواز إلى الأندلس (المن بالامامة : 349 - البيان : ق. م. 157). وعُلقت عليه رؤوس بعض زعماء عرب الخلط عام 659 / 1260 (البيان : ق. م. 427).

لتسمية الباب علاقة بالاتجاه الذي يؤدي إليه خارج مراكش، وهو جهة دكالة. ومن المرجح أن الموطن الجغرافي لهذه الباب جعل منه بوابة المدينة المؤدية إلى المحيط، ونهاية مسلك تجاري بينها وجهة دكالة. فهذه الأخيرة كانت تؤمن حاجيات مراكش من الجنوب (أخبار المهدي : 63 - البيان، 4 / 19)، وشكلت واجهتها البحرية منفذاً للمدينة على الأطلس عبر مازيغان (البيان : ق. م. 344) وأزمور (البيان : ق. م. 46) إلى جانب أسفي (البيان : ق. م. 465) وأغوز (التشوف : 355 ومقدمة المحقق : 24).

يتكون باب دكالة من باب خارجي وآخر داخلي، بينهما منعرجان وفضاء مكشوف. يحيط بالباب الخارجي برجان غير متساويين (Les portes, 107)، الزخارف محدودة، منعومة في الباب الخارجي، وبسيطة في الباب الداخلي.

كان يوجد بالقرب من باب دكالة مسجد درس فيه العالم اللغوي أبو موسى الجزولي في بداية إقامته بمراكش (الذيل والتكملة، 8 / 1 / 249)، ومنذ عهد السعديين أصبح أقرب باب إلى حارة الجنداء بعد ما تحولت من

خارج باب اغمات إلى خارج باب دكالة : 1 (Marrakech, 590 - 589).

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 : ابن الزيات السادلي، *التشويق*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 : البيهقي، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971 : ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 : ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة، السفر الثامن*، تح. م. بنشريف، الرباط، 1984 : ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبيصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 : ابن عذاري، *البيان، الجزء الرابع*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 : ابن عذاري، *البيان، ق. م. تح. الكشاني، زبير، ابن تاويت، زماعة، الدار البيضاء، 1985*.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech, Hesp.*, T. XLIV, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

الدكالي، الرباطي مصطفى بن الجيلالي، وردت

إشارات عديدة في وثائق القرن الثالث عشر (19م)، وبالمخصوص التي ترجع إلى عهدي السلطانين : مولاي عبد الرحمن بن هشام (1822 - 1859)، وخلفه سيدي محمد (1859 - 1873)، إلى أسرة الدكالي الرباطية، وعلى رأسها المصطفى بن الجيلالي الدكالي الذي يعتبر بحق نموذج رجل الأعمال المغربي الذي عرف كيف يستفيد من دور الوسيط بين المغرب وأوروبا للإثراء، والتدرج في الهرم الاجتماعي.

ولئن ورد كذلك ذكر أفراد آخرين من هذه الأسرة في مصادرنا الوطنية والأجنبية، كابنه محمد بن مصطفى الذي آل إليه أمر تسيير شؤون وأعمال والده التجارية، بعد وفاته أواخر شهر دجنبر 1863، وأخيه أحمد بن الجيلالي الدكالي، فلا أحد من الرجلين استطاع تبوأ المكانة الرفيعة والتميز التي كانت لمصطفى الدكالي لدى العاهلين المذكورين، بل إنهما لم يقتديا بسلوكه وتعقله وورصاته، إذ انغمسا في مغامرات وحك دسائس ضد الغير والسطو على مملكاته، وهو ما أفقدهما كل مصداقية وحرمة من ثقة السلطان إلى درجة صدرت الأوامر، في آخر المطاف بإلقاء القبض عليهما، ومن ثم تعرض المخزن وأعوانه الكبار إلى ضغوط وانتقادات عديدة من طرف رؤساء بعض المفوضيات الأوربية بطنججة، وبالمخصوص الإيطالية والألمانية، حيث كان محمد الدكالي المذكور حاملاً للحماية الإيطالية، قبل أن يحصل على الجنسية الإيطالية فيما بعد، بينما جئنا عمه أحمد إلى الاحتماء بألمانيا أول الأمر، ثم بأمریکا فيما بعد، علماً بأن مصطفى الدكالي نفسه كان قد دلهم على الطريق باتخاذ الحماية الإيطالية.

ومعلوم أنه كان من شأن نجاح الدكالي وأمثاله في عالم التجارة والمال وتبوئهم مكانة مرموقة و متميزة في المجتمع،

والاضطلاع بمهما سامية في الجهاد المخزني، أن استلقت أنظار معاصريه، واستأثر باهتمامهم، بل أذكى مشاعر الحسرة والأسف والحقد والامتناع في نفس بعض الكتاب والفقهاء وأعوان المخزن. ونلن ذلك بوضوح من كلام صاحب كتاب *الاعتباط بتراجم أعلام الرباط في سياق حديثه عن عهد السلطان المولى الحسن (1873 - 1894)*، حيث كتب يقول :

... ومع ذلك ففي عهده تأكدت المواصلات بدول أوروبا، وعظمت التجارة، وكثرت الأموال بين الناس، فتأنقوا في المصانع والأبنية، وبلغ أهل المغرب من الرفاهية مبلغاً لم يبلغه أسلافهم. وكانت تلك الأيام على ما فيها من كثرة الغزوات والحركات كلها خيرات ومبرات وبركات، لم يكدر صفوها إلا تسرب أقوام من التجار للمناصب السامية والمرتبات العالية، فارتفعت منزلتهم، ونفذت كلمتهم، وصار بيدهم الحل والعقد، والأخذ والرد...

ويرامى لنا من هذه الوثائق كذلك أن ازدهار أعمال مصطفى الدكالي، قد اقترن أساساً بسياسة الاحتكارات التي كان ينهجها المولى عبد الرحمن بن هشام، في مجال تجارة المغرب الخارجية، وبالمخصوص في فترة ما قبل سنة 1856 أي تاريخ إبرام معاهدة السلم والصداقة، المشفوعة باتفاقية تجارية وبحرية، والتي اضطر السلطان المذكور إلى عقدها مع بريطانيا العظمى، تحت ضغوط وتهديدات مختلفة. ومما ينبغي ذكره هنا، أن جان لوي ميج (Jean-Louis Miège) أفرد في مؤلفه *أوروبا والمغرب، 1830 - 1994*، صفحات للحديث عن سياسة المولى عبد الرحمن الاقتصادية هذه، وعمن كان يستفيد منها من أفراد حاشيته، كالوزير المختار بن عبد المالك الجامعي مثلاً، وكذلك عن شخصية التاجر مصطفى الدكالي اللامعة، وما كان يمثله هذا الرجل ويرمز إليه اجتماعياً واقتصادياً، في مغرب أواسط القرن الماضي، مسهباً القول في الجوانب والعواقب السلبية لهذه السياسة، بالنسبة لعموم المغاربة من جهة، وللتجار الأوربيين وشركائهم ومخاطبيهم من المغاربة من جهة أخرى، متغافلاً عن ذكر المرامي الحقيقية للمخزن التي كان يسعى إلى تحقيقها، وتمثل قبل كل شيء، في ضمان موارد قارة ومنظمة لبيت المال بهدف تمويل الخطط والمشاريع التي كان المولى عبد الرحمن بن هشام، ثم ولده سيدي محمد، قد عقدا العزم على إنجازها في عدد من الميادين، وبالمخصوص في قطاعات الجيش والإدارة والتجهيزات التحتية.

وأما مجال نشاط كل من مصطفى الدكالي وابنه محمد على الخصوص، فكان يشمل قطاع المناجم، وتصدير مواد أولية وفلاحية : كالعلف، والفرشي، والديبج، والجلود، والأصواف، والحبوب... وكان يتم لهما الاتجار في هذه المواد كلها أو في بعضها، بعد الحصول على ترخيص خاص من السلطان طبعاً، علاوة على ما كانا يستفيدانه من

وأما مجال نشاط كل من مصطفى الدكالي وابنه محمد على الخصوص، فكان يشمل قطاع المناجم، وتصدير مواد أولية وفلاحية : كالعلف، والفرشي، والديبج، والجلود، والأصواف، والحبوب... وكان يتم لهما الاتجار في هذه المواد كلها أو في بعضها، بعد الحصول على ترخيص خاص من السلطان طبعاً، علاوة على ما كانا يستفيدانه من

التسهيلات والمساعدات التي تُقدم إلى مجموعة من التجار الكبار مسلمين وهو كإسقاط أداء بعض الواجبات على عددهم صادراتهم، أو التوسعة عليهم في أداء ما يكون قد ترتب عليهم من الضرائب، والسماح لهم بتقسيط مبلغها على عدد من الشهور.

وحول هذا الجانب، تُحدثنا رسالة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامل العرائش وطنجة، بوسلهام بن علي أزطوط، بتاريخ 21 مايو 1847، عن السماح للتاجر مصطفى الدكالي وشريكه المكي بن عبد الرحمن القباچ، باستغلال منجمين كانت تكتنزهما جبال غُمارة : الأول بتراب قبيلة وادراس، والثاني بقبيلة أنجرة، قرب مدينة تطوان، مُدة عشرين سنة، مع الإعفاء من أداء الرسوم الجمركية على كميات المعدن المستخرجة عند تصديرها، على أن يتسلم المخزن قيمة رُبع الإنتاج، ويحتفظان بالثلاثة أرباع الباقية. وفي هذا الصدد، تفيد رسالة ماثلة للسابقة، وجهها العاهل المذكور إلى نفس العامل، مفادها أنه بعد مُضي سنة ونصف بالتقريب على هذا التاريخ، كان المنجمان المذكوران قد دخلا مرحلة الإنتاج منذ مدة، حيث ورد فيها ما يلي :

"... ثم إن خديمنا أشعاش كتب لنا بأنه ورد على الأمين الذي أمرناه بتعيينه مع مخزنيين، للوقوف على وسق حجر معدن مصطفى والقباچ أمين من طنجة، ومخزني من الجيش الريفي، وخليفة شيخ أنجرة..."

وذكرت وثيقة حُررت في آخر شهر شعبان من سنة 1271، الموافق 17 مايو 1855، أي أياماً معدودات بعد وفاة التاجر المكي القباچ المذكور، أن الديون المترتبة عليه وعلى شريكه مصطفى الدكالي، في الفترة المتراوحة ما بين رجب 1262 وشعبان 1271، أي خلال تسع سنوات ونصف، وذلك مما سبق أن اشترى به "كنطرة العلف، والبقر، ودار الضرب، والديغ، والدجاج، والأعشار..." قد بلغت ما قدره 758846 مثقال في مرسى طنجة وحدها، دون اعتبار ما كان بذمتها من مثل هذه الديون لفائدة المخزن، في مراسي ومدن أخرى، كتطوان، والعرائش والعُدوتين الرباط وسلا، والدار البيضاء، والجديدة.... الشيء الذي يعطينا فكرة ولو تقريبية عن حجم وأهمية مدى اتساع تجارة وأعمال هذين الرجلين.

على أن وثيقة ماثلة لهذه قد تضمنت مجموعة من الملاحظات السلبية، أبدّاها مهندس إنجليزي استفد منه المخزن من مدينة جبل طارق على يد التاجر سعيد جسوس، قنصل المغرب بها، لإجراء خبرة على أجزاء وآلات معمل السكر الذي كان السلطان سيدي مُحمد بن عبد الرحمن قد عهد بإنشائه بجوار القصر السلطاني بمراكش، إلى التاجر محمد الدكالي، حيث أثبت في تقريره عيوباً ونقائص عدة في أجزائه وقطعه، وفي طريقة تركيبها وتشغيلها. وهذا يعني أمرين اثنين لا ثالث لهما : فإما أن تكون الشركة الأوربية

التي زودت الدكالي المذكور قد سلمته آلات وتجهيزات مُعيبة وغير متقنة الصنع، وأنه لم يكن على بينة من المسألة، وإما أن يكون هو نفسه قد شارك وخاض في الغش والتدليس.

وأياً كان الأمر، فإنه من الواضح والمُحقق أن المصطفى الدكالي، وابنه محمد، وأخاه أحمد، قد عرفوا كيف يستغلون الظروف والمناسبات التي أتاحتها لهم ولأمثالهم من التجار انفتاح البلاد تدريجياً على الخارج، على امتداد القرن التاسع عشر، وكيف يتكيفون مع الأوضاع المستجدة للإثراء من جهة، وللاضطلاع بدور نشيط وبارز في مساعي ومشاريع المخزن الرامية إلى تجهيز البلاد بمنشآت صناعية حديثة : مدينة وعسكرية من جهة أخرى علماً أن هؤلاء الدكاليين لم ينخرطوا في الوظائف المخزنية، إذ ظلوا بمعزل عنها، مكتفين بدور الوسيط التجاري النشط وغيره مما كان يكلفهم به السلطان من مهام وأغراض من حين لآخر، خلافاً لما حدث لعدد كبير من أقرانهم : كآل الزبيدي، وبرگاش، وفرج، وبريشة، والطرس مثلاً والذين زاوجوا بين المنصب المخزني والعمل التجاري.

خ، ح، محفظة مولاي عبد الرحمن بن هشام، رقم 21 / 20 45 :

م. و. م. ر، محفظة طنجة : م. داود، تاريخ تطوان، ج. 3، ص

313.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris, 1963, t. 2.

مصطفى الشابي

الدكالي، سالم باشا، من عبيد البخاري، يحتل صدارة الأحداث بعد موت المولى إسماعيل ويخوض مغامرات سياسية ومعارك دموية مغيرة لولاه من أمير إلى آخر، فاستغل بذلك مركزه القيادي لاثنتين وعشرين ألف فارس من العبيد ليحوك دسائسه إرضاء لمزاجه ورغبته في الاستحواذ على السلطة الفعلية باحثاً عن سلطان ضعيف لا يترك له إلا الاسم والخطبة ويجعله ينفذ مخططة السياسي وما يحمله من وبال وهلاك للبلاد والعباد. وما كادت تمضي سنتان على وفاة المولى إسماعيل حتى نراه يقوم بالوساطة بين السلطان أحمد الذهبي وأخيه المخلوع عبد المالك المحتمي بضريح المولى إدريس بفاس وذلك بتاريخ 21 جمادى الأولى عام 1141 وفي هذا الموضوع يروي المؤرخ أحمد الناصري الحدث التالي : "فقدم عليه الباشا سالم الدكالي في خمسين من القواد وعاهدوه بالحرم الإدريسي أن لا يصيبه مكروه فخرجوا به حتى قدموا به على أخيه" ...

والغريب في الأمر أنه بعد لقاء الأخوين بمدة وجيزة لقي كل منهما حتفه. فالأول كما قيل مات مسموماً ولما اشتد به المرض أوصى بقتل أخيه عبد المالك وهذا ما تم فعلاً بعد يومين من وفاة أحمد الذهبي وبعد وفاة هذين الأميرين ببيع لأخيهما، المولى عبد الله، غير أن سالم الدكالي تجرأ على

الدكالي السلوي ← ابن علي (أحمد ومحمد)

الدكالي، السبتي يحيى أبو زكرياء من كبار فقهاء سبته خلال النصف الأول من القرن الثامن (14 م). كان حافظاً ناقداً ذكياً عالماً بالأصول ذاكراً للمسائل الفقهية واشتهر أيضاً بجمال خطه ورواقه إلى درجة أنه لا يحتاج لمقابلة ولا لتصحيح. يعتقد أنه استمر على قيد الحياة حتى سنة 723 / 1323.

أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، ص. 543 - 544 : درة المجال، تع. م. الأحمدى أبو النور، 1971، القاهرة، 1971، الجزء الثالث، ص. 332 - 333 : أ. بَابُ التنبؤ، نيل الابتهاج، بدون تاريخ، ص. 356.

رشيد السلامي

الدكالي السلوي ← ابن علي الدكالي (أحمد ومحمد)

الدكالي السلوي، أبو موسى، من كبار أولياء مدينة سلا اشتهر بزهده وكراماته المتعددة، كان يسكن بفندق الزيت المعروف بفندق أسكور بحومة باب حساين وهو المحل الذي سيتخذهُ أبو عنان المريني ماستانا - المحكمة الشرعية حالياً - . كان أبو موسى الدكالي (سيدي موسى) مثال الاستقامة والنزاهة لكل السلويين. ومن كراماته اختصار الطريق وطبها. فكان إذا أقبلت أيام الحج تغيب عن الناس متعللاً بزيارة أهله، وبقي على هذا الحال اثنتي عشرة سنة احتل خلالها مكانة متميزة عند أتباعه وعند السلويين عموماً. وتجلّى ذلك عند موته حيث ازدحم الناس على نعشه، وتنافست الطوائف فيما بينها من أجل الظفر بدفنه. وهكذا دفن أولاً بروضة بني القاسم بن عشرة ثم نقل منها بعد سبعة أيام لقبره الحالي، نقلته امرأة موسرة تدعى ملالة بنت زيادة الله، وبنت عليه قبة. وقد جددها المولى إسماعيل بعد بناء قبة عسكرية بجوارها عام 1742، وهي المعروفة بقصبة اكنانة وفي عام 1159 / 1746 نظم أحمد بن عاشر الحافي قصيدة نونية نقش في دربوز الشيخ الدكالي، وكناه بأبي عمران، وجعل اسمه موسى كما هو مشهور كان لسان عامة أهل المدينة. ونشير إلى أن السلويين وقبائل بني حسن، والسهول وغيرهم كانوا يقيمون في صيف كل سنة موسماً كثيراً بإزاء ضريح أبي موسى، يحضره جمهور التجار ووفود القبائل المجاورة طوائف حمادشة واكنانة وعيساوة. وقد كتب أحمد التوفيق قبل سنتين رواية ناجحة استوحاها من بعض مواقف هذا الشيخ بعنوان : **جارات أبي موسى**.

توفي أبو موسى الدكالي بعد عام 550 / 1156.

التمرد وأعلن خلع السلطان والمناداة بعلي الأعرج بن إسماعيل ملكاً على البلاد في ربيع الثاني سنة 1147 ولما عزم السلطان الجديد على محاصرة فاس في رمضان من نفس السنة أشار عليه سالم الدكالي بأن حصار فاس سيسفر عن نتائج سلبية وينبغي العدول عنه. وهذا ما ذكره القادري في **نشر الثاني** : "وقال له رئيسهم سالم الدكالي : إن حصار فاس ينهض الفتن بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل فتقطع الطرق ويشد الغلاء وتكون الكرة لأخيك مولانا عبد الله فرجع عن ذلك" ...

ودسائس سالم الدكالي متعددة لم تسلم منها حتى السيدة الحرة خنثة بنت بكار زوجة المولى إسماعيل والدة السلطان المولى عبد الله فقد زين للسلطان علي الأعرج إساءة معاملتها والتضييق على حفيدها محمد بن عبد الله وأوهمه بأنها تحتزن الأموال.

وفي ربيع الأول سنة 1148 ترأس سالم الدكالي حركة من عبيد البخاري لمحاربة السلطان المخلوع المولى عبد الله المقيم بتارودانت عقب عودته من وادي نون غير أنه أوقف حركته لما وصل إلى حاحا ولم يجرؤ على اقتحام تارودانت. وفي أواخر سنة 1148 وصل المولى عبد الله إلى تادلا فانقلب ميزان القوى لصالحه وتخلّى العبيد عن سالم الدكالي ففر المولى علي ولجا الباشا إلى ضريح المولى إدريس بزرهون. ومن هنا سولت له نفسه رغم هزيمته الاستمرار في بث الفتنة وإعلان البيعة غير الشرعية ومخالفة الجماعة. ومن هذه المدينة كتب إلى أهل فاس باسم الديوان يخبرهم ببيعة السلطان محمد بن إسماعيل المعروف بولد عربية ويقول لهم بأن المشورة لعلمائهم. فأجابوه بأنهم تبع للديوان معتقدين بأن كتابه لهم صحيح ولما علم قادة الديوان كذبة سالم الدكالي عليهم بأنهم بايعوا محمداً دخلوا عليه الضريح وأخرجوه مكبلاً مع صحبه ووجهوهم إلى تادلا مع ألف من الوصفان ليقضي السلطان المولى عبد الله في أمرهم، فاستفتى فيه القاضي أبا عنان فأصدر في حقهم حكم الموت.

ويحكي الضعيف أن حكم الإعدام نفذ فيهم بالطريقة التالية : وضع كل معتقل في كيس من الكتان وشُد وثاقه وألقي في نهر أم الربيع في شهر محرم 1149 / ماي - جوان 1736. ولكن موت سالم الدكالي وجماعته لم يضع حداً للفتن ولم يحد من مغامرات باشاوات العبيد والصراع على الحكم زهاء عقدين من الزمن.

م. القادري، **نشر الثاني**، ج 3، م. القادري، تع. م. حجي وأ. التوفيق، م. الضعيف **تاريخ الدولة السعيدة**، تع. أ. العماري : م. أكنسوس، **الجيش العرمرم لأبي عبد الله محمد**، ج 1، تع. أحمد الكنسوسي : أ. الناصري، **الاستقصا**، ج 7 : ع. الرحمان بن زيدان، **الإتحاف**، ج 3 و 4 و 5.

محمد ماگان

ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1404 / 1984؛ ابن علي الدكالي السلوي، الإتحاف الوجيز، تح. م. بوشعراء، 1406 / 1986 / ص. 84 : أ. الصبيحي، أنموذج في تاريخ سلا، مخ. ص. خ. بسلا، رقم 435 ص. 22.
I. Alaoui [et al...], *Salé cité millénaire*, 1997 ; N. G Salmon, *Notes sur Salé*, A. M. III, 1905.
محمد السعديين

الدكالي الصديقي، أبو شعيب بن عبد الرحمان،
شيخ السلفية بالمغرب يعرف في دكالة بيته بالصدقات، وهو من أولاد عمرو والمستوطنين قرب مدينة الغربية المعروفة قديماً بمدينة مشنزاية، كثر فيهم العلم والصلاح ومن بين علماء هذا البيت جد أبي شعيب، أبو فارس عبد العزيز وعماه أبو شعيب ومحمد ابنا عبد العزيز وغيرهم.
ولد المترجم في رجب 1295 / 1876 بالصدقات، وتلقى تعليمه الأول بقبيلته على يد عدد من العلماء أمثال ابن عزوز ومحمد الصديقي ومحمد الطاهر الصديقي قاضي مراكش. انتقل إلى الريف وطنجة حيث أقبل على دروس الفقه والحديث والقراءات. وقد أظهر في طفولته نبوغاً مبكراً، وكان السلطان الحسن الأول قد أدخله إلى حضرته وهو لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره وأجرى له اختباراً لما سمع عن حفظه وذكائه، سنة 1308 / 1891، وقد أعجب به وأجزل له العطاء وأمضى له توقيعاً مع صلتين وكسوتين هذا نصه : "يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه".



في سنة 1315 / 1897 رحل إلى مصر ودرس على علماء الأزهر أمثال سليم البشري ومحمد بخيت ومحمد محمود الشنجيطي، وأحمد الرفاعي وغيرهم. وقصد مكة المكرمة بطلب من أميرها وأخذ عن جل علمائها واستجاز هناك كثيراً من شيوخ العلم ومن بعض البلاد العربية الأخرى من : مبنين وعراقيين وشاميين وهنود، وأحرز هناك على مكانة هامة عند أمير مكة الشريف عون الرفيق الذي كان يقدمه في مجالس العلماء وتولى هناك وظيفة الخطابة في الحرم المكي والإفتاء على المذاهب الأربعة.
وفي سنة 1325 / 1907 رجع الشيخ أبو شعيب إلى

المغرب وفي العاصمة فاس حظي بإكرام السلطان المولى عبد الحفيظ وتهافت عليه العلماء والطلبة في الوقت الذي أخذ على نفسه الشروع في محاربة البدع ونصر السنة ومقاومة الخرافات والباطيل السائدة في ذلك الوقت. وفي سنة 1328 / 1910 أرسله السلطان المولى عبد الحفيظ إلى الحجاز ليشتري أملاكاً تحبس على الحرمين فقام بذلك وأحرز على شهرة كبيرة في مجموع البلاد العربية، ولما عاد إلى المغرب ولاه المولى عبد الحفيظ قضاء مراكش فبرهن عن كفاءة وصدق وأمانة مما أهله لأن يتقلد منصب وزير العدل والمعارف في الوقت الذي أنشئت هذه الوزارة في أولى سنوات الحماية سنة 1331 / 1912، ثم أضيف إليه الاستئناف فيما بعد.

وكان ليوطى قد انتدبه لإعطاء دروس دينية في الحديث والفقه يلقنها لفئة من الطلبة النجباء الذين تكونوا في اللغة الفرنسية كجعفر ومحمد الناصري وأحمد بن عبد الرحمان برقاش وإدريس بن الجيلاني.

وعندما عين الشيخ أبو شعيب وزيراً للعدل أظهر مراقب صارمة في الحق سواء إزاء بعض أعضاء المخزن أو ضد سلطات الحماية، وكان اعتراضه على التوقيع على قرار وزاري مضمونه إحداث مكان للبعثاء بمدينة القنيطرة سبباً في فصله عن وظيفته.

أحرز على الرياسة العلمية في الدروس التي كانت تلقى أمام السلطان مولاي يوسف وأخيه من قبله المولى عبد الحفيظ، وكذلك محمد بن يوسف في السنوات الأولى من ملكه، وقد أنعم عليه هذا الأخير بوسام علوي من درجة ضابط كبير.

اشتهرت دروسه الحديثية سواء في فاس التي ندر من علمائها من لم يحضرها. وكانت دروساً تشهد على طاقة وإطلاع نادرين، وفي الجامعات التي ألقاها فيها كالأزهر والزيتونة حيث كان لدروسه وقع كبير. وظل يلقى دروسه السلفية بالرباط مدة خمس وعشرين سنة، في الزاوية الناصرية وفي المسجد الأعظم وضريح سيدي فاتح ومسجد القبة فانتشرت أفكار السلفية بين الشبان وانفتح الصراع بين الشباب والشيخ، امتد ذلك التأثير إلى الجزائر أثناء العشرينيات الميلادية وأخذ الشبان الملتفون حوله يوزعون الكتب التي كان يطبعها السلفيون بمصر ويطوفون معه لقطع الأشجار المتبرك بها وإزالة الأحجار المعتقد فيها.

كانت الأفكار السلفية من العوامل الفكرية الأساسية التي أدت إلى نشوء الحركة الوطنية المغربية إذ تأثر الوطنيون بها ولم تلبث أن طعمت وتقوت بظهور شخصية سلفية أخرى هي شخصية الشيخ محمد بن العربي العلوي.

عانى الشيخ أبو شعيب الدكالي من داء شديد لزمه مدة طويلة إلى أن توفي ليلة السبت 8 جمادى الأولى 1356 / 17 يوليوز 1937 بالرباط، ودفن بضريح مولاي المكي.

ع. الله الجارري، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، الرباط، 1969 : المحدث المحافظ أبو شعيب الدكالي، سلسلة شخصيات مغربية، طبعة، 1396 / 1976، الدار البيضاء : ع. الفاسي، الحركات الاحتجاجية في المغرب، الرباط، 1980، الطبعة الرابعة. عبد الإله الفاسي

الدكالي الصديقي، عبد الرحمن ابن الشيخ أبي

شعيب الدكالي سابق الترجمة. وُلد حوالي سنة 1327 / 1909 بمكة المكرمة من أم من الجزيرة العربية، وتربى ونشأ في أحضان والده الشيخ أبي شعيب وتلقى تعليمه الأول على يده، فأخذ عنه علوم اللغة العربية وآدابها والشعر والخطابة وعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان أنجب تلاميذه. ثم تتلمذ على علماء مدينة الرباط قبل أن ينتقل إلى مصر ليدرس في كلية دار العلوم. وقد حرر المترجم له يوم كان طالباً بمصر نداءً موجهاً للعالم الإسلامي للتنديد بالظهير البربري (1930) نشرته الصحف الشرقية في ذلك الوقت ونقله في تفسيره الشيخ طنطاوي الجوهري. انحاز عبد الرحمان الدكالي منذ صباه إلى الحركة الوطنية. ويقول عنه عبد العزيز بن عبد الله : "أشهد الله أنني عرفت الشيخ عبد الرحمان الدكالي معرفة وثوق وخبرة



منذ الصبا وأيام الطلب يوم كان الشعب المغربي يقصد هذا البيت الريحبي بيت أبي شعيب الدكالي الذي كان معقلاً للوطنية الصادقة أيام الاستعمار وخصوصاً أيام الاحتفال بعيد العرش يوم 18 نونبر، فكانت قصائد الأستاذ عبد الرحمان النارية بهذه المناسبة الوطنية الكبرى تلهب الحماس وتثير كوامن الوطنية الصادقة في النفوس". لقد كافح الاستعمار بلسانه وقلمه ولا سيما بشعره البليغ المؤثر وسائر ركب الحركة الوطنية فناله من الأذى مال لم ينج منه مغربي آمن بالحرية (عبد الله غنون).

ولما أنهى عبد الرحمن الدكالي دراسته ببلاد الكنانة وعاد إلى المغرب كان من أوائل الشبان المغاربة الذين تم تعيينهم في سلك القضاء داخل دار المخزن بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى، كما عين قاضياً بمنطقة الغرب. وبالإضافة إلى ذلك أصبح يقوم بتلقين علوم اللغة

العربية وآدابها من شعر ونثر وخطابة وعلوم القرآن والحديث بمدينة الرباط في جامع مولاي سليمان وفي مسجد السنة، وبمدينة مراكش بمسجد المومنين ومسجد باب دكالة وجامع ابن يوسف، فاستفاد من تلك الدروس عدد كثير من الطلاب الذين كانوا يترددون على تلك المساجد فقد كان رحمه الله فصيح اللسان قوي البيان.

ولم يلبث الشاب عبد الرحمان الدكالي أن حظي بإعجاب المغفور له محمد الخامس فضمه إلى مجلس الحديث العالي الذي كان ينعقد تحت رئاسته داخل القصر بحضور علماء العدوتين وموظفي دار المخزن، بحيث أصبح أصغر المتحدثين في ذلك المجلس إلى جانب الشيوخ الكبار. وبعد الاستقلال، عينه محمد الخامس تقديراً لموقفه من العرش أثناء المنفى، مرشداً عاماً للقوات الملكية المسلحة، ووضع تحت تصرفه جهازاً خاصاً للإرشاد يقوم بإصدار نشرة دورية لتوجيه الجيش وإرشاده، ومنحه بتلك الصفة درجة رائد في سلك الجيش مع ما يترتب على ذلك من زى عسكري وامتيازات خاصة وخدمات إضافية (المكي الناصري، دعوة الحق).

وبالإضافة إلى ذلك تم تعيينه مديراً لديوان وزير الأوقاف، ثم كاتباً عاماً للشؤون الإسلامية بنفس الوزارة. ولما اعتلى العرش الحسن الثاني أقره في المنصب الذي كان يحتله في الجيش كمرشد عام وفي المنصب الذي كان يحتله في وزارة الأوقاف ككاتب عام للشؤون الإسلامية.

وعندما أسست الدروس الحسنية، كان عبد الرحمان الدكالي في طليعة المتحدثين في تلك المجالس، وفي نفس الوقت أصبح شاعر العرش يسجل مآثره ويصف مفاخره ويحضر الاستقبالات التي تخصص لضيوف القصر الكبار من الملوك والرؤساء العرب فيلقي القصائد للترحيب بهم، كما يلقي القصائد الحماسية في المناسبات التاريخية والوطنية.

ولما بعث المغرب، لتلبية لطلب الأمم المتحدة، فرقة من القوات الملكية لنصرة الكونغو، كان المرشد العام عبد الرحمان الدكالي بجانب الجنرال الكتاني. وكافأته الأمم المتحدة على الخدمات التي أداها بوسامها العسكري وبوسام الشجاعة والتضحية، كما أنعم عليه الحسن الثاني بوسام العرش وترقيته إلى رتبة عقيد.

وأخر منصب شغله عبد الرحمن الدكالي قبل وفاته رئيس المجلس العلمي بالجديدة، فقام بتحسيس مكتبته الغنية على هذا المجلس.

توفي بالمدينة المنورة فجر يوم الأربعاء 15 جمادى الثانية عام 1403 / 30 مارس سنة 1983 ودفن في البقيع كما كان يتمنى.

الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ عبد الرحمان الدكالي، دعوة الحق،

العدد 230.

محمد الشياظمي

الدكالي العوني، عبد الرحمان بن أبي شعيب
الفرجاني الأصل، المراكشي سكنا ومدفنا. لقب زين
العابدين واشتهر بالدكالي.

ولد عام 1321 / 1903 بالرحامنة الوسطى، مركز ابن
جرير وبه نشأ وتعلم على يد والده أبي شعيب الذي كان
إماماً بهذا المركز فحفظ على يده القرآن الكريم، ودرس
عليه مجموعة من المتون مثل : الشيخ خليل، وابن عاشر
بشرح ميارة، والاجرومية بشرح الأزهرى، وألفية ابن مالك
بشرح المكودي وغير ذلك من المتون.

ثم انتقل إلى مدرسة الفقيه السيد محمد بن الحاج
ابريك العوني اليوسفي بالعونات، ومكث عنده نحو
العامين، فتوسع في دراسة : النحو والفقه والفرائض.

وفي سنة 1341 / 1922 رحل إلى مدينة مراكش فسكن
بالمدرسة اليوسفية، ولزم حلقات شيوخ العلم بالجامعة
اليوسفية فدرس على السادة : محمد بن عمر السمرغيني
السملاي، محمد بن التاودي السمرغيني، المعطي السمرغيني
السملاي، الحاج العربي الرحمانى البربوشي، أحمد ولد
الحاج المحجوب، وأحمد أكرام.

وفي ثامن محرم الحرام عام 1358 تولى وظيفة العدالة
بقبيلة الرحامنة بتوصية من الشيخ أبي شعيب الدكالي
الصدقي، وقضى في هذه الوظيفة ثماني عشرة سنة. انتقل
بعدها إلى مراكش الثلاث حيث تابع نفس لعمل في القيام
بالشهادات. وفي سنة انخرط في سلك المدرسين بجامعة ابن
يوسف بمراكش في أقسامه النظامية إلى أن أحيل على
المعاش. وكان في نفس يمارس مهنة الإفتاء.

توفي يوم 12 ربيع الأول عام 1396 / 14 مارس 1976.
واقبر بمقبرة الشيخ أبي العباس السبتي تاركا مجموعة
من الفتاوى الشرعية، اسمها : الفتاوى الشرعية على
النوازل القضائية بالإيالة المغربية.
أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

الدكالي الفرجي، محمد بن عبد الصادق فقيه
متضلّع اشتغل بالتدريس والإفتاء مدة ثلاثين سنة وكان من
المقرين إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان
يستشيرهم في شؤون الرعية والسياسة المالية للدولة، كما
كان يجالسهم للبحث في القضايا الدينية. وفي هذا الصدد
يقول عبد الرحمان بن زيدان : "وانتقى من أعيان فحول
دولته لسهره ومجالسته فكان يملئ عليهم الحديث النبوي
ويؤلفون على مقتضى ما يشير به عليهم منهم : الحجة أبو
عبد الله محمد الغربي وأبو عبد الله محمد بن المير
السللاوي وأبو زيد عبد الرحمان المنجرة وأبو محمد التهامي
ابن عمرو الرباطي وأبو عبد الله محمد بن عبد الصادق...
ولما فرض السلطان المكس على أبواب المدن استفتى

كبار علماء البلاد وكان من ضمنهم محمد بن عبد الصادق
الدكالي فافتوا بجوازه في حالة افتقار بيت مال المسلمين
وأجازوا للسلطان أن يقبض من الرعية ما يستخدم به
الجند.

وفي ترجمته نبه ابن زيدان إلى نسبة المترجم لقبيلة
دكالة ومن فخذة أولاد فرج فهو دكالي فرجي وليست له
نسبة لمدينة طرابلس كما ورد في كتاب الاستقصا للمؤرخ
أحمد الناصري. وأما الطرابلسي معاصره فهو علي بن عبد
الصادق شارح صغرى السنوسي والمرشد المعين. وقد اعتبر
نسبه الطرابلسي سبق قلم من الناصري.

وأما محمد بن الطيب القادري فقد قال عن المترجم :
بأنه ذو سيرة حسنة وأخلاق مستحسنة ولا بأس بهديه
ومروءته ودينه.

ويعتبر محمد بن عبد الصادق من تلاميذ الشيخ الحسن
بن رحال المعدني. وهكذا قضى حياته بين التدريس
والفتاوى إلى حين وفاته في 2 شعبان 1175 /

م. الطيب القادري، نشر الثاني، ج 4 / 143، تح. م. حجي وأ.
التوفيق : ع. بن زيدان، الإتحاف، ج 8 / 156 184 : أ.
الناصرى، الاستقصا، 8 / 7 : م. اكسسوس، الجيش العروم، تح.
أ. الكنسوسي، ص. 222 : م. مخلوف، شجرة النور الزكية : ع.
رضى كحالة، معجم المؤلفين، ج 10 / 172 : إ. باشا، هدية
العارفين، 2 / 333 : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون،
450 / 2.

الدكالي، محمد المكي فقيه ومقرئ وهو شيخ
السيدة الحرة خنثانة بنت بكار زوج السلطان المولى
إسماعيل، أخذت عنه رسم المصحف حيث كانت تسلك
عليه اللوح الذي تقرأ فيه القرآن فترسله له مع إحدى
جواربها لتصحيحه لأنها كانت تكتبه بنفسها. ولما عزم
على أداء فريضة الحج سنة 1143 كان محمد المكي من بين
أعضاء الوفد المرافق لها في حجتها. وسرعان ما تدرج في
خدمة الدولة ليصبح أحد كتّاب المخزن في عهد السلطان
محمد بن عبد الله إلى أن أدركته الوفاة حوالي 1180 /
1766. وقد حلاه المؤرخ محمد القادري في نشر الثاني
بقوله :

"الفقيه الأستاذ المقرئ الكاتب ثقة الكتاب وأمينهم."
م. القادري، نشر الثاني، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 4 / 219.
محمد ماكامان

الدكالي المشنزاني ← ابن إبراهيم

الدكالية، مينة بنت ميمون، مشهورة عند عامة
المراكشين بميمونة تاكنوت. مكناسية الأصل لا يُعرف متى

للمقاومة، وقد شارك في 16 معركة ؛ وتقول عنه الوثائق الإسبانية إنه كان من أعداء النصارى فكان يذبح الأسرى الإسبان الذين يسقطون بالمكان الذي كان يوجد ابن دغون به.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, Cabecillas de Gonara, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

الدلاء، اسم للمنطقة الجبلية التي أسس فيها المجاطيون الصنهاجيون زوايتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادالا. ولفظ الدلاء عربي (جمع دلو) استعمله بهذا المعنى مقصوراً ومحدوداً كتاب عاشوا في الزاوية الدلالية مثل محمد المرابط الدلاني والحسن اليوسي. وهو أمر مستغرب أن يطلق اسم عربي على بقعة تقع في وسط أمازيغي قح إلا ما يبدو من تقارب لفظي بين الدلا وتادالا البسيط الأفيح الذي تقطنه قبائل عربية. (يُبربر) المؤرخ أبو القاسم الزباني لفظ الدلا فيكتبه "يدلاً" وذلك ما نجده جارياً على السنة سكان تلك الناحية حتى اليوم. ويغلب على هذه المنطقة اسم الزاوية الدلالية.

تقع الزاوية الدلالية، وتدعى أيضاً الزاوية البكرية نسبة لمؤسسها الشيخ أبي بكر بن محمد بن سعيد الدلاني، بناها بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلبي المراكشي حوالي سنة 974 / 1566 على ريو في سفح جبل بوتور بينه وبين جبل تاغوليت، وتنحدر في شريقها أفا إيزم أي شعبة الأسد، بالسفح الجنوبي الغربي للأطلس المتوسط. وتنفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيق في الشعاب.

يرى زائر أطلال الزاوية الدلالية اليوم بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلاني : صفين من السواري والحنايا قائمين بجهة القبلة، والمنار المتهدم الذي لم يبق منه سوى الجدار الداخلي الذي تلفت حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدردان القبتين المشيدتين على ضريحي الشيخين الدلاتيين أبي بكر وابنه محمد، وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك وتشابكت في جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل في رحابه متعذراً.

اجتهد الشيخ أبو بكر كثيراً في تكثير العمارة من حول زوايته حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكاناً وأشهرها ذكراً، يقصدها الناس من مختلف الجهات. بعدما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبي وانقطعت السبل وكثر السلب والنهب وتعطلت الدروس أو كادت في فاس ومراكش وسائر الحواضر، فكانت الدلاء المنطقة الآمنة التي يباوي إليها العلماء والطلبة من مختلف أنحاء البلاد فينالون من التعظيم والإكرام ما يحبب إليهم المقام فيها. وقد حرص أبو بكر على تربية أبنائه الكثيرين وتعليمهم

ولم رحلت إلى مراكش، حيث نزلت في الجانب الشرقي منها. ولية صالحة زاهدة كثيرة التعبد، قال عنها صاحب التشوف : "كانت من الأفراد، زرتها ورأيتها عجوزاً قد اسودت من الاجتهاد، ولصق جلدتها بعظمها :"

وقفت مينة بنت ميمون نفسها على الدعوة لإصلاح المجتمع ومناهضة السلوك غير الشرعي في سبيل جمع الثروة، وعلى الحث على القناعة والزهد في المال. وجاء أيضاً في التشوف عن محمد بن يحيى بن علي : "وكانت مينة تحدثني قالت : دعاني رجل من التجار إلى طعام فأجبتة كارهة، فلما قدم القصعة بالطعام كلمني الطعام وقال لي لا تأكليني فإني حرام، فاستحييت من صاحبها ورفعت بضعة لحم إلى فمي ثم وضعتها، فخرمت أورادي والنوافل ثلاثة أيام، والهواتف تهتف بي عن يميني وعن شمالي هكذا يفعل بالكلاب على بطونهم يهجون. قالت : وصلت الضحى يوماً إلى أن رأيت الحصار الذي أصلى عليه كأنه يرفعه شيء من تحته، فقلت في نفسي لعله حيوان، فلما سلمت رفعتة فإذا الذي تحته دراهم طرية، فخررت ساجدة أبكي وأقول : أنت مطلوب لا سواك، فأقل عثرتي، إلى أن عاد الحصار كما كان، فرفعتة فلم أجد شيئاً".

توفيت مينة بنت ميمون عام 595 / 1198 ودفنت خارج باب الدباغين بمراكش.

ي. ابن الزيات، التشوف، تج. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 316-315 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، 7 : 332-333.

رقية بلعقدم

ابن دغون، عبد السلام قائد ملقب بـ "ولد الفار" كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته الأخماس انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة. بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 وفي عين الدالية يوم 11 ماي من نفس السنة بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش ويوم 20-7-1913 حيث انتخب عضواً بالقيادة المركزية للثورة. شارك في 23 معركة واستشهد في معركة تاگزات بقبيلة بني عروس يوم 15 أبريل 1915.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة، الرباط، 1981.

ابن دغون، محمد بن أحمد شيخ الجماعة بقبيلة الأخماس، كان إلى جانب علمه يرأس جماعة مجاهدي قبيلته. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وشارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري

في الدلاء وخارجها فنشأوا علماء صلحاء انقطعوا بعد تكوينهم للتدريس في زاويتهم فنفتت فيها سوق العلم. وكان الدلائيون يملكون من حقول الحبوب وقطعان الغنم والبقر ما لا يكاد يحصى، يحرقونها ويرعاها مريدو الزاوية في جبال الأطلس وسهول واحات تافيلالت، فكانوا - لكرمهم الواسع - يصرفونها جملة وتفصيلاً لإطعام ساكنة زاويتهم من علماء وطلبة وعامة الناس، وهي ظاهرة لم يعرف لها نظير في تاريخ المغرب. وقد حاول محمد الحاج عندما آل إليه أمر زاوية الدلاء أن يستأثر بحكم المغرب بعد أن انحلت دولة السعديين وقام أمراء الزويا في مختلف الجهات باقتطاع السلطة في مناطقهم. ولما ضاقت رحاب الزاوية القديمة بالفوفود بنى في السهل المجاور للدلاء سنة 1638 / 1048 مدينة دعت الزاوية الدلائية الحديثة ومدينة محمد الحاج وهي التي تقوم على أنقاضها زاوية أيت إسحاق الحالية على الطريق التي تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا، بعيدة عن الأولى بنحو 35 كلم، وعن الثانية بنحو 64 كلم.

امتد نفوذ إمارة الدلائين على شمال المغرب وثغوره، من وادي أم الربيع إلى تطوان وكان عبد الله ينوب عن والده محمد الحاج في قيادة مدن سلا (سلا والرباط والقصبة) والاتصال بأسطول الجهاد البحري (القرصنة) وممثلي الدول الأوربية التي تتردد أساطيلها التجارية والمحربية على مرسى العدوتين كفرنسا وإنجلترا وهولندا، إلى أن بدأت الأطراف تنتفض على الدلائين بثورة الحضر غيلان في الشمال. وكانت نهاية الزاوية الدلائية على يد السلطان الرشيد بن الشريف العلوي الذي هزم الدلائين في معركة بطن الرمان واقتحم عليهم زاويتهم الحديثة فخرها ثم خرب الزاوية القديمة وغرب سكانها إلى فاس وتلمسان سنة 1669 / 1079. وبغض النظر عن الدور السياسي الذي قام به محمد الحاج يتفق المؤرخون على أن زاوية الدلاء قامت خلال القرن الحادي عشر (17م) بدور عظيم في احتضان العلوم الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية وقواعدها وآدابها، وبقي طابع الدلائين ظاهراً على هذه العلوم والآداب خلال القرون التالية.

الدلائي، أسرة عالمة ماجدة، أصلها من مجاط جذم من قبيلة لمتونة الصنهاجية، لهم علاقة قرابة باللمثمين المرابطين، وفصيلتهم القريبى هي بنو الطالب، ولسان قومهم (أيت يتيدر) في عداد قبائل الأطلس المتوسط. وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم إلى الدلاء، على ضفاف نهر ملوية العليا فيما بين تونفيت وميدلت. وأول من استوطن منهم أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر مؤسس الزاوية الدلائية، وذلك في حدود نهاية القرن الثامن (14م). ولا يعرف للشيخ

عمر المجاطي ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة. أما سفيث بن أحمد بن عمر فقد كان حياً عام 953 / 1546 وذكر في حقه القادري في *نزهة الفكر* أنه "كان طالباً قارناً فاضلاً خيراً ديناً فائقاً مكثراً للصلاة على النبي (ص) مولعاً بها... وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام. والتوقير الكثير والاجترام، لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين، وما سلف من العلوم والصلاح في آبائه الأقدمين" وهناك ظهير للسلطان محمد المهدي الشيخ السعدي يوصى بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائي، ويشير إلى وجود ظواهر قديمة عنده ويقره على التصرف في إقطاعاته. ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد المدعو حمى إلا أنه كان موسر الحال سنياً تقياً خلف ولدين هما إبراهيم وأبو بكر مؤسس الزاوية.

تكاثر عدد الدلائين من أبناء الشيخ أبي بكر وأحفاده في زاويتهم التي أصبحت مدينة كبيرة كما رأينا، وعمرها طوال ثلاثة أجيال متعاقبة. ثم انتقلوا إلى فاس ومراكش وتلمسان حين خربت زاويتهم. فازداد إشعاع الدلائين الفكري، وشغلوا وظائف دينية سامية من قضاء وإمامة وخطابة وتدريس، وبقي العلم والأدب والصلاح متوارثاً فيهم حتى أواخر القرن الثالث عشر (19م). وألفوا عشرات الكتب في مختلف الفنون، وألف الناس كتباً في فضائلهم ومناقبهم وتراجم أعيانهم وأسانيدهم العلمية والصوفية. وبالجملة تعتبر الأسرة الدلائية من أكبر الأسر العلمية بالمغرب في القرون الأربعة الأخيرة وأكثرها إنتاجاً فكرياً. اشتهر منهم نحو أربعين عالماً وأديباً. ولكن لم يبق منها اليوم إلا أسر قليلة في فاس والرباط لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

ح. اليوسي، فهرس الشيوخ، مخطوط : القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية : وشروحها للدلائين وابن سودة : المحاضرات، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، جزآن : أ. الولالي، مباحث الأنوار، مخطوط : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجر فاس، 1906 : ع. الله العياشي، الإحيا والانتعاش، مخطوط : س. الحوات، البذور الضاوية، مخطوط : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2. الدار البيضاء، 1988 والمصادر المذكورة في آخرها.

R. Henry. Où se trouvait la Zaouia de Dilœ ?, Hesp., T. 36, 1944 ; G. Drague, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris, 1951.

الدلائي، أحمد السحارثي بن أبي بكر. ولد بالدلاء وبها نشأ وتعلم على يد علماء قومهم والوافديت على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضي وأبي حامد العربي الفاسي الذي أجازه إجازة عامة. من أول المتصدرين للتدريس بزاوية الدلاء. "وكانت له اليد الطولى في التاريخ والحساب واللغة والبيان والأدب والأصول والفقه والحديث" (البذور، 102 /

ب) غير أن النحو واللغة غلبا عليه فكان يُسقى كتاب سيبويه، مع الإشارة أن هذا الكتاب لم يدرّس في القرويين منذ القرن الثامن الهجري إذ كان عبد الرحمن المكودي (ت. 807 / 1405) آخر من درسه بفاس.

ألف أحمد الدلائي في الأصول شرحا على مختصر ابن الحاجب، وخلف تقايد كثيرة في التفسير والحديث.

توفي بالدلاء عام 1051 / 1641.

س. الحوات، البدور الضاوية، مخطوط : م. السقادي : نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج، آخر أبطال الدلاء وفرسانها الشجعان. بدت كفايته الحربية في وقت مبكر من عمره فولاه جده السلطان محمد الحاج أمر فاس. وتقول بعض الروايات إنه الذي قاد الدلائين في معركة بطن الرمان الحاسمة ضد جيوش المولى الرشيد بن الشريف.

كان أحمد الدلائي في نفس الوقت عالما كبيرا وأديبا ممتازا ويطلا مغوارا، أشجع الدلائين وأشعرهم على الإطلاق. قارنته بأبي فراس الحمداني، ووجدت في قصائده التلمسانيات ما يضاهي روميات أبي فراس.

بعد إخلاء الزاوية سبق أحمد أهله إلى تلمسان فمهد لهم سبل المقام بها، ولم يلتحق بالدلائين الذين دخلوا إلى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال أبيه المتغيب في الشرق. ولما بدأت الشائعات تتحدث عن الثورة خاف أحمد الدلائي على أهله المقيمين بفاس فكتب إلى السلطان إسماعيل رسالة بليغة يطربه ويظمنه. وقد أكدت الأحداث أن أحمد الدلائي لم يكن صادقا في اعتذاره وإنما رام ربح الوقت اللازم لتهيء شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أترك الجزائر.

استغل أحمد الدلائي فرصة خروج المولى إسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز في مراكش، فدخل إلى المغرب في أوائل عام 1088 / 1677 وقصد الدلاء، فالتف حوله براهة الأطلس المتوسط وملكو بلاد تادلا، وهزموا ثلاثة جيوش بعث بها المولى إسماعيل متوالية لقتالهم "ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر، مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير ولجؤوا إلى مدينة مكناس، وحدث الخوف بأحوازها" (البدور، 215 / ب).

رأى المولى إسماعيل حينئذ أن ينازل خصمه بنفسه فهباً حركة كبرى دام تجهيزها ستة أشهر ثم زحف إلى تادلا في 5 صفر 1089 / 30 مارس 1678، فوجد أحمد الدلائي ينتظره على الضفة الجنوبية لواد العبيد "فكانت الحرب بينهما سجالا، وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد، ووقعت حروب بين الفريقين لم يُسمع بمثلهما في المغرب، ولا

خبر بها من ورخ من أمره كل أمر عجيب" (الدر المنتخب، ج. 6، ورقة 43 / أ).

وأخيراً انتصر المولى إسماعيل، والتجأ أحمد الدلائي إلى جبال أيت يسري الوعرة في الأطلس المتوسط، وبقي بين أظهرهم مسموع الكلمة فيهم إلى أن توفي يوم الخميس 21 محرن عام 1091 / 23 فبراير 1680. ويقال إنه مات مسموما من قبل بعض رؤساء قبائل جبال هسكورة.

س. الحوات، البدور الضاوية، 215 : أ. ابن الحاج، الدر المنتخب المستحسن، مخطوط، ج. 6 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2. ص. 261، 263.

الدلائي، أبو بكر بن محمد المدعو حمي بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي، الجد الأعلى الجامع للدلائين، ولد بالدلاء في حدود عام 943 / 1536. وهو عام "بوعقبة" لوقعة حربية فاصلة بين السعديين والوطاسيين على مشرع بوعقبة من وادي العبيد بتادلا.

حفظ القرآن في كتاب قريته، وارتحل إلى مدشر بوعبيد - بين الدلاء - ليوجد - لتعلم المتون والمبادئ العلمية، ثم طلب العلم في مكناس وفاس "حتى بلغ في أقصر مدة أقصى الأمانة، فتضلع في قواعد الشريعة وتبحر في موارد الحقيقة" (البدور، 9 / أ). ولم يكن إقباله على علم الظاهر يوازي شغفه بعلم الباطن، وكان اتصاله بالشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي (ت. 974 / 66 - 1567) نقطة تحول في حياته، انصرف بعدها عن الاشتغال بالثروة الطائلة التي خلفها له والده منقطعا إلى الدعوة إلى الله.

أخذ أبو بكر عهد الشاذلية عن الشيخ أبي عمر القسطلي الذي أمره ببناء زاوية الدلاء، يسير فيها على نهجه في تربية المريدين وإطعام الطعام للفقراء والطلبة والزائرين. أسس أبو بكر زاوية الدلاء حوالي سنة 974 / 1566، وأخذ يعقد فيها مجالس للوعظ والإرشاد يفتتحها بقوله : "روى الحسن عن أبيه الحسن عن جده الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن"، وقد اتفق مترجموه على أنه كان نقي الظاهر والباطن، نظيف الملابس، شديد بياض الثياب جميل الهدى كثير السلام، خافض الطرف قليل الكلام، حسن العشرة شديد المحافظة على العهد، كريم الأخلاق داعيا إلى المحبة والتسامح والتصافي.

رزق أبو بكر ستة أولاد سهر على تربيتهم وتعليمهم وكان يستدعي العلماء من مراكش وفاس للتدريس في زاويته ليأخذ عنهم أبناؤه وغيرهم من الطلبة المجاورين. وبذلك تخرج في الدلاء عدد من الفقهاء على رأسهم محمد بن أبي بكر الدلائي آتي الترجمة الذي سيعد من كبار علماء المغرب ومحدثيه عمرما ويتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه.

كانت وفاة الشيخ أبي بكر الدلائي يوم السبت ثالث

شعبان عام واحد وعشرين وألف / 29 شتنبر 1612 ودفن في مسجده بالدلاء.

ع. السلام القادري، نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيد محمد ووالده سيد أبي بكر، مخطوط : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، فاس 1906 : أبو سالم العياشي، اقتفاء الاثر، تح. ن. الذهبي، الدار البيضاء، 1996 : م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس، د. ت : نزهة الحادي، ط. حجر فاس، د. ت : م. المكلاتي، المقاومة الزهرية في مدح المكارم البكرية، النبوغ المغربي، ط. 2، ج. 2 : م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، ط. حجر فاس، د. ت : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، 3 : بيروت، 1996، ج. 3 : س. الحوات، البدور الضاوية، مخطوط : م. ابن عجينة، أزهار البستان، مخطوط : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2. الدار البيضاء، 1988 : الحركة الفكرية، المحمدية، 1977، ج. 2.

الدلائي، الطيب بن المساوي بن محمد بن أبي بكر. ولد بالدلاء ونشأ بها وتعلم على يد أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية : ثم شد الرحلة إلى فاس وهي يومئذ خاضعة لنفوذ الدلائين، فأقام فيها سنوات يأخذ عن شيخ الجماعة بها عبد القادر الفاسي وغيره.

رجع الطيب الدلائي إلى مسقط رأسه وتصدر للتدريس إلى جانب بني عمه. ولم تقتصر براعته على الجانب الفقهي، وإنما كان إلى ذلك أديبا متمكنا جيد الإنشاء طويل النفس في الشعر، تبلغ إحدى قصائده خمسة وسبعين ومائة بيت، مع متانة لغة، وسلامة تعبير.

توفي الطيب بالدلاء عام 1077 / 1666، ورثاه رفيقه أحمد بن عبد القادر التستراوي بقصيدة مطلعها :

اليوم أن لدمعي أن يهema * ولمهجلي بالوجد أن تنقطعا
س. الحوات، البدور الضاوية، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، عبد الله بن محمد الحاج، أحد الأدباء الشجعان. ولد في الدلاء ونشأ وتعلم على يد أعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية. وبعد ثاني شخصية سياسية في الإمارة الدلائية، عينه والده وهو ما يزال في مقتبل العمر نائباً عنه في مدن سلا والرباط والقصبة أهم ثغر عند الدلائين، فكان حاكم منطقة الغرب الممتدة إلى تطوان يقوم مقام وزير الخارجية للإمارة الدلائية.

استقر عبد الله الدلائي في قصر الإمارة بالقصبة، وقرب إليه العامل السابق سعيد الجنوي وجعله خليفته وأمين سرده، وأخذ يرجع في مهام الأمور إلى أعيان العدوتين لا يقطع أمراً دون مشورتهم، واتخذ الفقيه الأديب

عبد المالك التاجموني كاتباً خاصاً له، فكان يحبر الرسائل البليغة الصادرة عن أمير سلا إلى الدلاء وغيرها، بل حتى المراسلات الموجهة إلى الأعاجم في أوروبا لم تخل من جناس وسجع وغير ذلك من المحسنات البديعية. وكان مجلس عبد الله لا يخلو من علماء يذكرونهم على نحو ما درج عليه في الدلاء، ويساجل إخوانه وأقرانه نثراً وشعراً بحيث لم تنقطع صلاته بالعلم والأدب بالرغم على أشغاله السياسية والحربية.

كان عبد الله يستقبل ممثلي الدول الأجنبية ويعقد معهم المعاهدات التجارية وغيرها، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى خطاباتهم، فكانت المصادر الأوربية تلقبه أمير سلا أو سيد سلا .

كما كان يتولى قيادة الجيوش في تحركاتها بمختلف الأقاليم الخاضعة للدلائين، فينوب عنه عندما يتغيب عن سلا خليفته الأمين سعيد الجنوي. وكان عبد الله مفرط الرزانة كثير التآني والترث، يبطئ بالجواب عن المراسلات الإخوانية والرسمية. وقد أثبه على ذلك والده، ورماه بعض أهله بالترفع والتكبر، وكاد هذا التريث الغريب يجر عليه شروا كثيرة في علاقاته مع ممثلي الدول الأجنبية.

واشتهر عبد الله أيضاً بالغيرة الدينية، فكان يزن أعماله بميزان الشرع ولا يتساهل في شيء خالف أصول الدين. من ذلك رفضه معاهدة أبرمها رؤساء مدن سلا قبل مجيئه إليها مع هولاندا لأن الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين (الأتراك)، وظلت المخابرات جارية بشأنها نحو سبع سنوات فلم يمضها حتى خذف هذا الفصل.

بدأ انتقاض الأطراف على الدلائين في الشمال بزعماء الخضر غيلان الذي استولى على مدينة القصر الكبير سنة 1052 / 1652 وهزم جيوش الدلائين بقيادة محمد الحاج بالقرب من المرجة الزرقاء عام 1070 / 1660 ثم هاجم غيلان عبد الله وأخذت مدافع العدوتين تقصف القصبة من الشمال والجنوب، ودام حصار عبد الله ومن معه من الجنود ثمانية عشر شهراً، تمكن عبد الله بعدها من مغادرة القصبة خلصة إلى تامسنا على ظهر سفينة أنجليزية بعد أن أسند القيادة إلى أحمد الجنوي الذي ظل يقاوم الحصار إلى فصل الربيع من عام 1074 / 1664 حيث فُتحت القصبة صلحا للخضر غيلان.

التحق عبد الله بالدلاء، وقاد سنة 1078 / 1668 جيوش أبيه في معركة بطن الرمان الحاسمة. فانهزموا أمام قوات المولى الرشيد بن الشريف الذي قضى بإخراج الدلائين إلى فاس وتلمسان، وخرَّب الزاويتين القديمة والحديثة.

صحب عبد الله أباه محمداً الحاج إلى تلمسان، وساكنه فيها خمس سنين إلى أن توفي محمد الحاج، فخرج إلى الشرق وحج ثم رجع إلى تلمسان. وفيها أدركته الوفاة أواخر عام 1086 / أوائل 1676 ودفن بالعباد إلى جانب والده.

س. الحوات، المبدور الضاوية، مخطوط : م. حجي، الزاوية
الدلائية، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

De Castries, *Les Sources Inédites*, France, 1,
Pays-Bas, 5 et 6.

الدلائي، محمد بن أبي بكر، واسطة عقد هذه الأسرة
الماجدة. ولد في الدلاء حوالي عام 967 / 1559 وحفظ القرآن
الكريم وأتقن رسمه وتجويده في العقد الأول من عمره، وقرأ
على والده مبادئ العربية والدين، ثم أخذ عن العلماء
الوافدين على الزاوية البكرية، كأحمد بن القاضي، أخذ عنه
الحساب والفلك والأدب، والحسن الدرعي (الدرابي) أخذ
عنه الفقه والأصول والمنطق والبيان. وأخذ في فاس عن
محمد بن قاسم القصار التفسير والحديث وأجازته إجازة
عامة، وعن أبي المحاسن يوسف الفاسي عهد الشاذلية.
وقام برحلة صوفية طويلة لقي خلالها الشيوخ عبد الله ابن
حسون بسلا، وعبد الله الملواني في تاغيا، وأبا عبيد محمد
الشرقي بأبي الجعد. ولما حج عام 1005 / 96 - 1597 لقي
بالقاهرة الشيخ محمد زين العابدين البكري ولازمه مدة،
وأخذ عنه فيما أخذ صلاة الفاتح.

رجع محمد بن أبي بكر إلى الدلاء عام 1012 / 1604.
مكتمل التربية والتكوين في علمي الظاهر والباطن،
وتصدر للتدريس إلى جانب إخوته الخمسة وغيرهم من
العلماء الوافدين، ثم خلف أباه بعد موته عام 1021 / 1612
في القيام بشؤون الزاوية، فسار على نهجه في إطعام
الطعام وإكرام العلماء والمتعلمين، وسعى مثله في تهذيب
الأخلاق، وترقية الأذواق، مجتهدا في إصلاح الأحوال
والانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته، فلقى من الظلمة
عنتاً كبيراً، وظل يستعمل طرق الترغيب والترهيب،
ملتجئاً إلى حد السيف أحياناً، إلى أن سادت الطمأنينة
منطقة تادلا والأطلس المتوسط.

إذا كان محمد بن أبي بكر عالماً مشاركاً فإنه برز في
التفسير والحديث حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر
عليهما. وكان يحفظ صحيح البخاري ومسلم وكتب
السنن ويعرف الروايات المختلفة ورجال الأسانيد، مع كثير
من الضبط والتحري، ويمتاز بفصاحة العبارة والاستمرار في
الإملاء والتقرير حتى كان درسه أحياناً يستغرق نصف يوم
دون كلل أو ملل، ويحضر هذه الدروس ويستفيد منها
علماء كبار أمثال أحمد المقرئ، ومحمد العربي الفاسي
وعبد الواحد ابن عاشر، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري
ومحمد المرباط الدلائي.

ولعل أوجز عبارة تشخص صفات الشيخ محمد بن أبي
بكر الخلقة والعلمية ما قاله عنه تلميذه محمد العربي
الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص. 225) : "خاتمة مشايخ
المغرب انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا، واستقل سياسة
الأمر الجلييلة والرتب العليا، عالم حافظ دراك متوسع في

علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة
فيها وفي غيرها، رصين العقل شديد الرأي جميل المعاشرة
مراعٍ لحقوق الصحبة كريم النفس عالي الهمة فيأض العطا
واسع المعروف، لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان
مستقل، لم يجمع منها إلا ما يندر ويقل، ولو صنف من
أنواعها أصنافاً، وألف من أعدادها آلافاً".

ورغم سعة علم المترجم لم يؤلف سوى أربعين حديثاً،
ذكر بعد كل حديث قصة مناسبة له مما سمعه من شيوخه،
وفهرس مختصر لشيوخه.

توفي محمد بن أبي بكر في الدلاء يوم الأربعاء حادي
عشر رجب عام ستة وأربعين وألف 9/ دجنبر 1636 عن نحو
ثمانين سنة، ودفن ضحى الغد قرب روضة والده، وبني
عليهما محمد الشيخ بن زيدان السعدي قيتين حسنتين لم
يبق قائماً منها اليوم غير المجدران. وقد قيل الكثير في
مدح المترجم وراثته نثراً وشعراً.

أ. الفاسي الحافظ، تأليف في أسانيد الشيخ محمد بن أبي
الدلائي، مخطوط : م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. الحجر
بفاس، 1324 : أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط : أبو سالم
العباشي، *اقتفاء الأثر*، تح. ن. الذهبي، الدار البيضاء، 1996 :
مجهول، *ديوان في أمداح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي*،
مخطوط : م. الإفرائي، *صفوة*، ط. حجر فاس د. ت : نزهة الحادي،
ط. حجر فاس، د. ت : س. الحوات، *المبدور الضاوية*، مخطوط :
م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996،
ج. 3 : م. ابن أحمد الفاسي، *شرح درة التيجان*، مخطوط : ع.
الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، ج. 1 : م. حجي،
الزاوية الدلائية، ط. 2، 1988.

الدلائي، محمد البكري بن محمد بن الشاذلي.
ولد بفاس في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وبها نشأ
وتعلم على يد ابن عمه محمد السنواي الدلائي شيخ
الجماعة بفاس أتى الترجمة. وعلى الحسن بن رحال
المعداني، ومحمد الكندوز وغيرهم، وقد حلاه تلميذه
القادري في *نشر المثاني* بـ "الفقيه النجيب، القاضي العالم
المفتي الخطيب، النوازلي الأديب الأريب، شيخنا أبو عبد
الله. له سجية في صناعة الإنشاء، وبراعة وإتقان ناظماً
ناثراً، يقال في شعره إنه كمن ينظم الياقوت والجوهر والدر
والعقيان. وله لسان طلق ومعرفة بسياسة العامة والخاصة
عجب العجاب في ذلك، فقصد بذلك في تلقي الشهادات
وحصل منها مالا وأصولاً.

انتصب محمد البكري للشهادة في سباط العدول بفاس
مدة، كان يقوم خلالها بالتدريس في القرويين، ثم ولي
قضاء الجماعة بها، وخطبة جامع القرويين، وولي قبل ذلك
الخطبة بمسجد الشرفاء (الضريح الإدريسي). ولما أخرج عن
القضاء اشتغل بالإفتاء، فطالت يده في الفتوى وأدرك
فيها شهرة واسعة، وكانت فتاواه محررة بالنقل الصحيح،

والنص الصريح، وامتلك خزانة كتب عامرة، اقتناها عام المسغبة إذ كانت الكتب تباع بثمان بخص، وكان هو من أهل المال فاشتراها.

ألف عدة كتب في الفقه والقضاء والنوادر والآداب، منها :

- شرح رائية اليوسي في الحنين إلى الزاوية الدلالية، وهي طويلة بدأ شرحها قبله ابن عمه محمد بن أحمد بن الشادلي، وأتمها محمد البكري في جزءين وطرزها بما يناسبها من النحو واللغة والأمثال والحكم والأدب.

- واضح الدليل في اشتراط التبريز في التجريح والتعديل.

- القول المنشور ببيع الحبس في المسغبة ليس بمشهور.

- إثم العنين في بعض مسائل ذات الولين.

- إسقاط النصف على وجه المعرفة والتعريف.

- التقاط زهر الفضا من رياض عين القضا.

- الرياض الزاهر في عيون مسائل التصيير.

- منتهى سؤلي وأشواقي في مسامرة الشريف العراقي.

- تقاييد في نوازل الأحكام.

توفي بفاس ليلة الخميس سابع عشر رجب عام أربعة ومائة وألف 9 / يونيه، ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996.

ج 6 : 2171.2170 ؛ س. الحوات، البدور الضاوية، مخطوط ؛ م.

حجي، الزاوية الدلالية، ط 2، الدار البيضاء، 1988، ص. 266.

الدلاني، محمد الحاج أكبر أبناء الشيخ محمد بن

أبي بكر سابق الترجمة. ولد في الدلاء عام 997 / 88 . 1589، ونشأ فيها كسائر إخوته وبني عمه مكبا على الدرس والتحصيل فنال إجازات عامة من شيوخه أحمد بن القاضي وأحمد بن عمر السلاسي والعربي بن يوسف الفاسي، "وكان ذا وجه حسن، وذلاقة لسان، حسن الشارة، بارع الفهم والعبارة، موصوفا بالرجولة والمروءة الفائقة" (البدور، 109 ب).

حج عام 1041 / 31 - 1632 في موكب حافل ضم كثيراً من رجال العلم والفضل والدين من جهات مختلفة حتى من بلاد توات، ولقي في رحلته كثيراً من مظاهر العناية، فخطب الناس في عرفات، ودرّس في المدينة المنورة، وقُدّم فيها إماماً وخطيباً، ولقي بالقاهرة أحمد المقرئ فأقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر علي الاجهوري مدة كان يلقي خلالها دروساً بالأزهر في التفسير والحديث.

ظهرت كفاية محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده، فكان يرسله على رأس جيش الدلاء إلى ما وراء نهر ملوية وإلى منطقة الغرب فيرجع ظافراً منتصراً. وقد شذ أبو القاسم الزباني فذكر أخباراً غريبة عن نشأة محمد الحاج

وأنه كان صعلوكاً فطرده والده لاشتغاله بما لا يعنيه. زعم أنه نقل ذلك عن الحسن اليوسي. لكن كتب اليوسي خالية من ذلك، بل خصص اليوسي له فصلاً طويلاً في المحاضرات روى عنه أخباراً علمية وأدبية وتحدث عنه بكامل التعظيم والتقدير.

لما طمح محمد الحاج إلى الاستئثار بالسلطة وأسس الزاوية الدلالية الحديثة أسكن معه فيها خمس قبائل من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبية وحمية، فتكونت لديه أهم قوة حربية بالبلاد سيصول بها ويجول ويمتلك عدداً من الأقاليم مدة تنيف عن ثلث قرن.

تبع محمد الحاج كثيراً من قبائل المغرب ومدنه وقراه، "وبايعه أهل فاس الإدريسية والعليا بالخلافة، وكتبوا له البيعة بجامع القرويين وحضرها من هو أهل لذلك من الأعيان، والجم الغفير من أهل السديوان، في مهل ربيع الثاني عام 1061 وقدموا عليه بها للزاوية الدلالية فقرئت على منبر مسجدتها ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات أهل نواحي المغرب" (البدور الضاوية، 111 / ب).

وقام محمد الحاج بأعمال حربية لتوطيد الأمن في المناطق الخاضعة له وكان في البداية يساعد المجاهد العياشي السلاوي ثم انقلب عليه ودبر اغتياله، وغزا شرفاء سجلماسة في تافيلالت، وحاصر البرتغاليين في المهديّة. وامتلات خزينته بمدخل أعشار مرسي مصب أبي رقرق وغنائم الجهاد البحري.

خارت قوى محمد الحاج في آخر ولايته وضعف بصره بداء السادة فلم يستطع مواجهة جيش الرشيد بن الشريف في معركة بطن الرمان حتى إذا اقتحم عليه الرشيد حاضرتة سلم إليه مقاليد الأمور قائلاً : "الملك اليوم في محله". ورحل إلى تلمسان وبقي فيها مجاوراً بالعباد حرم الشيخ أبي مدين الغوث سنين إلى أن أدركته الوفاة يوم الخميس خامس محرم عام 1082 / 14 ماي 1671 ودفن بالعباد قرب صريح الإمام محمد السنوسي.

ح. اليوسي، المحاضرات، ط. 2، تج. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، ج. 1 : أ. السوالي، مباحث الأنوار، مخطوط ؛ م. الإفراني، نزهة، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1956، ج. 4 ؛ س. الحوات، البدور الضاوية، مخطوط ؛ ع. الودود التازي، نزهة الأخيار المرضيين، مخطوط ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955، ج. 6 ؛ م. حجي، الزاوية الدلالية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلاني، محمد الشرقي بن أبي بكر. أستاذ فقيه أديب مشارك درّس في زاوية أبيه ودرّس بها، واختص من بين علماء قومه بتدريس علم القراءات والتجويد، وكان يتقن إلى ذلك الحديث والسير، والفقه وأصوله، واللغة

والنحو والبلاغة والأدب، وله عارضة قوية في النظم والنثر، ومنها مساجلة أدبية رفيعة مع شيخه أبي حامد العربي الفاسي (موسوعة، 4: 1713-1715).

ألف محمد الشرقي كتاباً في الأصول وشرح الشفا للقاضي عياض وحاشية على المطول في البلاغة.

توفي بالزاوية الدلانية قبيل سقوطها في أوائل عام 1079 / 1668.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996،

ج. 4 : س. الحوات، الدور الضاوية، مخطوط : م. حجي، الزاوية الدلانية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلاني، محمد بن عبد الرحمن ينتسب إلى جده

عبد الرحمن بن أبي بكر، واسمه الكامل محمد بن محمد ابن محمد (ثلاث مرات) بن عبد الرحمن. ولد ونشأ في فاس، حلاه معاصره القادري في نشر الثاني بـ "الفقيه العالم العلامة الشهير، الخطيب البليغ الواعظ المحقق الكبير، الفصيح البليغ الحافظ المؤرخ النسابة الأثير... أحد أعلام الزمان علماً وديانة، وعلو شأن ومنزلة في اللغة ومكانة، ممن يحرر العلم ويفيده، ويحسن النظم والنثر ويجيده. ومن إليه المرجع وعليه في وقته التعويل، في علوم الإنشاء والبلاغة والترسيل..." (موسوعة، 5: 2015).

أخذ عن ابن عمه محمد المسناوي، وغيره من علماء فاس، وتخزج فقيهاً كبيراً وأديباً متمكناً. اشتغل بالتدريس في القرويين وتخرج على يده عدد من فقهاء المدينة وأدائها. وكان إلى جانب التدريس يقدم للخطابة والإمامة في أهم مساجد المدينة، لفصاحته وبلاغته أسلوبه وجهورية صوته. خطب أولاً في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بحي الطالعة، ثم خطب في مسجد الشرفاء (ضريح المولى إدريس) بعد موت خطيبه محمد المسناوي الدلاني وبقي به خطيباً إلى آخر حياته.

ألف عدة تأليف في موضوعات مختلفة، منها :

- درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان. وهي منظومة ذكر فيها مشاهير شرفاء المغرب، أثنى الناس عليها كثيراً واعتمدها النقباء وعلماء الأنساب.

- حاشية على الكلاعي في السيرة.

- زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من تحفة سيرة سيد الخلائق.

- الزهر الندي، في الخلق المحمدي.

- شرح الشفا للقاضي عياض.

- فخر الثري بسيد الوري.

- مجموعة خطب منبرية.

- تحريك الساكن، ومهيج الشوق الكامن إلى زيارة

طيبة ومن بها ساكن (رحلة حجازية منظومة).

- رسالتان إلى المجاهدين المحاضرين لسببته عام 1132

(بالاشتراك مع شيخه محمد المسناوي الدلاني).

- كواعب الحسان في جوارح الإنسان. منظومة في 500

بيت.

- منظومة في مناسك الحج (نحو 200 بيت).

ولما دنا أجله أزعجه الشوق فرحل من المغرب يقصد الحج وياع داره بسرعة وخرج مع الركب، فأدركته الوفاة بغور طواف الوداع. امتنع لونه وجعل يدعو ويقول : اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه. اللهم احسنني عنده أو اقض روعي معه. وقد حمله أهل عشيرته على الدابة لإزعاج الركب بالخروج، فلم يفصل عن البيت الحرام حتى قبضت روحه في ذي الحجة عام 1141 / يوليو 1729 ودفن بوادي فاطمة.

م. الفاسي، المنح البادية، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني :

ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / موسوعة أعلام المغرب،

بيروت 1996، ج. 5 : س. الحوات، الدور الضاوية، مخطوط :

م. حجي، الزاوية الدلانية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

تنبه : هناك عالم دلاني آخر بنفس الاسم تأخرت

وفاته إلى عام 1197. يختلف عن المترجم أعلاه بأنه محمد بن مَحمد - بفتح الميم - بن محمد بن عبد الرحمن. وهو أيضاً له اليد الطولى في التدريس. دفن بروضة الدلائين بباب الحمراء بفاس. انظر عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع.

الدلاني، محمد بن العربي الرباطي، آخر الأدباء

المتصوفة من الأسرة الدلانية، ويظن أن أباه أو أحد جدوده انتقل في أواسط القرن الثالث عشر (19م) إلى السكنى برباط الفتح، فولد فيه المترجم ونشأ ودرس على أعلامه مثل الشيخ أحمد دنية. كان يحضر مجالسه الحديثية والفقهية ويشغل في نفس الوقت بالتجارة في سوق العطارين، وقد مدح محمد بن العربي الشيخ دنية بقصيدتين، إحداهما عينية لما ختم صحيح البخاري، والأخرى ثانية عند ختمه مختصر الشيخ خليل، مطلعها :

خليلي حدثني حديث أجبتني * فذكرهم أنس لأهل المحبة

وصحب محمد العربي الدلاني بعد ذلك الشيخين

الشهيرين العربي الدرقاوي ومحمد الحراق، وسلك على

يدهما طريق القوم إلى أن بلغ درجة المشيخة فأسس فرع

الطريقة الحراقية بالرباط.

وبرع في معرفة الطبوع الموسيقية الأندلسية وحفظ

الأشعار والأزجال المتعلقة بالأمجاد النبوية التي تنشأ وفق

هذه الطبوع، ونظم هو أزجالاً كثيرة عرفت شهرة إلى جانب

أزجال شيخه الحراق. ألف محمد بن العربي الدلاني

كتابين :

- فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار،

وهو عبارة عن أمجاد نبوية بطريقة السماع والألحان

الموسيقية، ذكر فيها أن أركان "السماع" ثلاثة : الشعر

المغنى به، والطبع المترنم بلحنه، والوزن المفروق ذلك الترنم في قالبه. ثم أتى بالبحور الشعرية وتفاعيلها مختصرة، والطبوع الموسيقية مجملة ثم مفصلة.

— ترجمة الشيخ محمد الحراق. ذكر نسب الشيخ ومشاركته في العلوم ولا سيما علم الباطن، ورسائله إلى إخوانه ومريديه، وخصص في الأخير باباً لقصائد الحراق وموشحاته ومقطعاته مرتبة على البحور، مبتدئاً بالطويل :

أطلب ليلى وهي فيك تجلّت * وتحسبها غيراً وغيرك ليست وأخيراً انتقل الشيخ محمد العربي الدلائي إلى الدر البيضاء وأسس فيها زاويته المشهورة على بقعة أرضية كانت وهبت للشيخ الحراق غير بعيدة عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن في المدينة القديمة، وأخذ يلقي فيها الأوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع، والدار البيضاء يومئذ تكاد تكون خالية، فتزوج هناك وبقي على حاله من العبادة وتربية المريدين إلى أن توفي في صبيحة يوم الجمعة خامس عشر شوال عام 1285 / 29 يناير 1869، ودفن بركن الصحن الأول عن يمين المستقبل داخل زاويته في الدار البيضاء.

وخلفه في القيام بشؤون الزاوية ابنه الصالح عبد السلام الدلائي إلى أن توفي عام 1310 / 92 — 1893 ودفن بجوار أبيه. ولا يعرف له عقب إلا أقرباء يعرفون بنسبتهم الدلائية في الرباط والدار البيضاء.

م. دنية، النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية، الرباط، 1355 : م. بوجندار، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، الرباط، 1987 : أ. المكناسي، أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب، تطوان، 1963 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد المرباط بن محمد بن أبي بكر. ولد بالدلاء عام أحد عشر وألف. ودرس في زاويتهم على والده وأعمامه وإخوته والعلماء الوافدين على الزاوية كأبي حامد محمد العربي الفاسي وأحمد بن عمران السلاسي إلى أن تخرج فقيها محدثاً نحويًا أديباً مشاركاً في مختلف العلوم، واشتغل في الدلاء بالتدريس إلى جانب أهله. وكانت مجالسه النحوية العالية ملتقى نجباء الطلبة أمثال الحسن اليوسي. وغلب عليه لقب المرباط لتقشفه في الملبس وزهده في مباحج الحياة التي كان ينعم بها إخوانه الرؤساء.

كان محمد لمرباط إمام المسجد الكبير بالدلاء وخطيبه ومدرسه واشتهر بفصاحته وامتانة مادة خطبه. ذكره تلميذه الحسن اليوسي في فهرس شيوخه، وفي عدة مواضع من كتابه المحاضرات، ونقل عنه مناظرات لغوية وأدبية، وقال : "كان إماماً في علم النحو ومشاركاً في كل الفنون... وله القلم البارع في الإنشاء نظماً ونثراً، مع سمت ونزاهة وحلم ومروءة". وقد أجاز المرباط الحسن اليوسي إجازة عامة، بين فيها روايته لما اشتملت عليه فهرسة ابن غازي : التعليل

برسوم الاسناد، وفهرسة أحمد المنجور عن شيوخه من طرق عديدة.

ألف محمد المرباط عدة كتب في النحو وغيره منها :
- فتح اللطيف بشرح البسط والتعريف في علم التصريف لعبد الرحمان المكودي.

- المعارج المرتقاة إلى معاني الورقات، شرح به ورقات إمام الحرمين في الأصول.
- شرح ألفية ابن مالك في جزئين.

- نتائج التحصيل في شرح التسهيل لابن مالك، في أربعة أجزاء، طارت شهرته بالمغرب والمشرق وتغالى الناس في أثنائه.

- البركة البكرية في الخطب الوعظية، نحا فيها منحى ابن نباته.

- الدرة الدرية، في محاسن الشعر وغرائب العربية.
- ديوان شعر (كان موضوع رسالة جامعة في العقد الأخير).

- زهرة الوسائل في المدح والرسائل.

خرج المرباط مع قومه من الدلاء إلى فاس بعد تخريب زاويتهم، وتابع رسالته العلمية والأدبية بحاضرة المولى إدريس مقبلاً على التدريس والخطابة في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) ثم توجه إلى الحج وأقام مدة في مصر لقي فيها كثيراً من مظاهر الإعزاز والإكرام، ومدحه أديباؤها بقصائد تنم عن إعجابهم بهذا العالم المغربي الكبير الذي سبق أن عرفوه عن طريق مؤلفاته.

توفي محمد المرباط بفاس يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأخيرة عام 1089 / 13 غشت 1678. ودفن بروضة أهل بصفة وادي الزيتون من عدوة فاس الأندلس.

ح. اليوسي، فهرس، مخطوط : المحاضرات، ط. 2، تج. م. حجي وأ. الشراقي إقبال، بيروت، 1982، الجزءان معاً : م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس. د. ت : نزهة الحادي، ط. حجر فاس. د. ت : م. الصغير الفاسي، المنح البادية، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. الفاسي، المورد الهني، مخطوط : م. المحبي، خلاصة الأثر، مصر، 1284، ج. 4 : م. الحضيكي، طبقات، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط : أ. الزباني، الروضة السليمانية، مخطوط : م. الكتاني، سلوة، ط. حجرية فاس، 1300 : أ. النميشي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، فاس، 1924 : إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : سرركيس، معجم المطبوعات، مصر، 1928، ج. 2 : خ. الدين الزركلي، الأعلام، ط. 4، بيروت، 1979، ج. 7 : كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1957، ج. 11 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد المسناوي بن أحمد بن محمد
المسناوي بن محمد بن أبي بكر. ولد في الدلاء عام

1072 / 61 - 1662، وخرج به والده إلى فاس وهو ابن سبع سنين، فدرس بها على علماء قومه المَغْرِبِينَ وغيرهم من القادريين والفاسيين، كما أخذ عن الإمامين الحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي إلى أن تخرج عالماً مشاركاً بارعاً "وقد أعطي ملكة التدريس والفتيا، وسلم له أعيان عصره مرتبتهم العليا، ولم يزل منذ بلغ ذلك مقصوداً للمشكلات، ومعتمداً في النوازل والمعضلات. تتلمذ له جميع أهل عصره، وانفرد برأسه العلم في وقته وعصره" (موسوعة، 5: 1980).

أخذ محمد السنائي عن نحو عشرين من كبار علماء فاس، وأجازه منهم إجازة عامة الشيخ عبد القادر الفاسي، وعبد المالك التجموعتي. واشتغل بالتدريس في القرويين وغيره من مساجد المدينة. ولما تم بناء مسجد المولى إدريس أمر السلطان أن تعاد إليه صلاة الجمعة، وولى محمد السنائي الإمامة والخطابة والتدريس فيه. ولم يكد يوجد في عصره عالم كبير إلا أخذ عن السنائي وعد من تلاميذه.

كان "نظيف الثياب، جميل المعاشرة، حسن الأخلاق، عالي الهمة، لا يستطيع الكلام في مجلسه الأكابر لهيبته وعظيم سمته. يحب آل البيت ويعظمهم ويبحث في أنسابهم أصولها وفروعها. وكان في تدريسه إذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على وجوه احتمالاتها... مع اختصار في العبارة، وسرعة في بيان الإشارة، يفهمه الحاضر والبادي ومن هو مغبون، وجميع من بالمغرب من اللسان" (موسوعة، 5: 1986) ولعل الجملة الأخيرة تعني أنه كان يشرح أحيانا للأمازيغيين بلسانهم.

كاد الإمام السنائي يتعرض لمحنة شديدة على يد السلطان إسماعيل لولا تدخل بعض رجال الدولة لصالحه. إذ كان محمد العالم ابن إسماعيل الذي ثار على أبيه في سوس من أخص تلاميذ السنائي، فأوغر خصومه قلب السلطان عليه، واتهّمه بالتواطؤ معه. وكان مما اطلع عليه السلطان قطعة شعرية للسنائي كان بعث بها لمحمد العالم ينهائه عن الخروج، منها :

فالبدر ليس يلوح ساطع نوره * والشمس ظاهرة السنافي الحال
ألف السنائي عددا من الكتب في غاية التحقيق والتدقيق منها :

• صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة، استعرض فيه تعاريف الفقهاء المالكية للذمة وناقشها، ثم بين شروط الذمة والفرق بينها وبين أهلية المعاملة والتصرف قبل أن يحلل عناصر السؤال المرفوع إليه في الموضوع.

• القول الكاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف، بين فيه ما تصح فيه النيابة وما لا تصح، والفرق بين النيابة والاستنابة والوكالة، وخصص المبحث الثاني للمقصود بالذات من حكم الاستنابة في الوظائف التي عليها مرتب معلوم، وختم بمقارنة كلام فقهاء المذاهب الأخرى غير

المالكية في موضوع الاستنابة.

• كتاب نصره القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض، خالف فيه مذهب مالك وانتقده دون أن يراعي أن جميع أهل فاس بل المغرب كله مالكيون يسدلون.

• جهد المقل القاصر في نصره الشيخ عبد القادر، بين فيه مكانة الشيخ عبد القادر الجيلالي وأنه كان من المجتهدين.

• رسالة في كتب الحديث التي تجوز الرواية منها والتي لا تجوز.

• نوازل فقهية جمعها بعض تلاميذه في مجلد كبير، طبعت على الحجر بفاس وظلت مرجعا أساسيا لرجال القضاء والفتيا إلى الوقت الحاضر.

• نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق، طبع بتونس ثم بفاس.

• ديوان شعر في المديح النبوي والإشادة بآل البيت.
• المقامة الفكرية في محاسن الزاوية البكرية (الدلائلية).

• مناقب الشيخ عبد الله الحياض دفين زرهون.
• التعريف بالأشراف الأدارسة الجوطيين.
• التعريف بالشيخ أبي العباس اليماني.
• تعليق على القاموس المحيط، استفاد منه الشيخ مرتضى الزبيدي في شرحه الكبير.

• تقييد في الأشراف الذين لهم شهرة بفاس.
• تقييد مشتمل على فروع بني عمران الأدارسة.
• وله رسائل أخرى عديدة في مواضيع متنوعة.

توفي بفاس يوم السبت سادس عشر شوال عام 1136 / 8 يوليوز 1724، فكان موته مأتما للمدينة كلها، وشيعه جميع السكان إلى مدفنه في قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح، ألقت عدة كتب في ترجمته ومناقبه ورثاه تلميذه وابن عمه محمد البكري بقصيدة مطلعها :

أبي القلب أن يسلو ودمني تحمدا * فكفكفته أبغي بذاك تسترا
م. حمزة العياشي، تأليف في ترجمة محمد السنائي الدلائلي، مخطوط : مؤلف مجهول، بغية الراوي في مناقب السنائي، مخطوط : الحسن بن رجال المعدني، تأليف ثالث في ترجمة السنائي، مخطوط : أ. ابن عبد الوهاب الوزير الفساني، رسالة في التعريف بالشيخ محمد السنائي، مخطوط : م. بن الطيب العلمي، الأتيس المطرب، ط. حجر فاس، 1315 : م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس، د. ت : نزهة، ط. حجر فاس، د. ت : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 5 : س. الحوات، البدر الضاوية، مخطوط : م. اليازغي، حقائق الأزهار الندية، مخطوط : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : أ. الفضيلي، الدرر البهية، ط. حجر فاس، ج. 2 : ل. بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تر. ع. القادر الخلاوي : م. حجي، الزاوية الدلائلية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد بن محمد المكي من الدلائين الذين ولدوا ونشأوا في فاس. درس أكثر ما درس على والده الفقيه الأديب الصوفي محمد المكي وسار على نهجه في كفاف العيش عن طريق الاشتغال بالعدالة والإمامة والتدريس. ولا يعرف من إنتاجه الفكري سوى كتاب **بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي**، أسلوبه فيه سليم شيق غير مثقل بالمحسنات البديعية اللفظية.

توفي بفاس عام 1264 / 1848.

م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : ع. ابن سودة، **إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب**، بيروت، 1996، ج. 7 : م. حجي، **الزاوية الدلائية**، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد المكي بن محمد (مرتين) بن أحمد

ابن الشاذلي. ولد في فاس أوائل ربيع الثاني عام 1200 / أوائل فبراير 1788. ودرس على أبناء عمه وهم يومئذ كثيرون بفاس، كما درس على غيرهم من أعلام المدينة أمثال الطبيب ابن كيران وسليمان الحوات. قال عنه ولده وتلميذ محمد : "كان إماماً في المعقول والمنقول، محصلاً من العلوم ما تقصر عنه المدارك والعقول... ذا قدم راسخ في الإنشاء نظماً ونثراً".

كان منتصباً لتقلي الشهادات في سباط العدول بفاس، ينوب عن قضائتها في الأحكام، ويقول إلى جانب ذلك بالإمام والتدريس في جامع زقاق الرواح، وكان مسنداً إليه بظهير سليمان مؤرخ في ثالث صغر عام 1221 / 22 أبريل 1806 وفيه إشارة إلى ظهائر سابقة بيد المترجم للتوقيع والاحترام.

أخذ محمد المكي الدلائي الطريقة الشاذلية عن الشيخ الشهير أحمد بن سالم التجاني، ولازمه طوال حياته. وفي اتصال محمد المكي الدلائي بالشيخ أحمد التجاني جانب لم تشر إليه كتب التراجم والتصوف، وهو جانب التأثير والتأثير، فالورد التجاني هو نفس الورد الذي كان يلقيه الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي إلى المريدين في الزاوية الدلائية. مع العلم أن "صلاة الفاتح لما أغلق" أخذها الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي عن الشيخ محمد البكري الصديقي في مصر. ويذكر أن الشيخ أحمد التجاني أخذها أيضاً عن حفيد الشيخ البكري. ومع هذا يبقى السؤال مطروحا : هل أخذ الشيخ التجاني عن تلميذه الدلائي بقية عناصر الورد : مائة من الاستغفار، ومائة من الهيلة ؟

وبعد وفاة الشيخ التجاني أصبح محمد المكي على صلة وثيقة بعلماء زاوية بجعد، وبخاصة الشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي مؤلف **الذخيرة**، وله معهم مراسلات عديدة أثبتتها ولده في **بغية الرائي**، كما أورد له أشعاراً في موضوعات شتى.

توفي محمد المكي الدلائي بفاس عشية يوم الخميس سابع صفر 1247 / 14 يوليوز 1831 ودفن بروضة الشيخ العايدي.

م. بن محمد المكي، **بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي**، مخطوط : أ. العياشي، كشف الحجاب، ط. حجر فاس 1325 : ع. ابن سودة، **إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب**، بيروت، 1996، ج. 7 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : م. حجي، **الزاوية الدلائية**، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

الدلاح أو الدليج أو الكوآر بالمغرب العربي، أو البطيخ بالمشرق العربي، أسماء لنبات يسمى علمياً *Citrullus vulgaris* وهو ينتمي إلى فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل الخيار والقرعة وما يسمى بالبطيخ في المغرب أو الشام بالمشرق العربي.

إنه نبات حولي عشبي زاحف، يمكنه أن يمتد امتداداً كبيراً، وقد يغطي مساحات كبيرة من الحقل. أوراقه كبيرة مفصصة أو مقسمة. ثماره كبيرة قد يبلغ أو يتجاوز وزنها 20 كلف للوحدة. تختلف أشكالها وألوانها حسب الأصناف. فهي إما كروية وإما مستطيلة، خضراء داكنة أو خضراء مزركشة بالأبيض أو ذات لون أخضر فاتح يميل إلى البياض. لحمها أحمر أو قرمزي حلو جداً وعصيري، وبذورها سوداء.

يقال إن الموطن الأصلي للدلاح هو المناطق الحارة من إفريقيا ربما في جنوبها وشرقها. لكن زراعته عرفت منذ أماد طويلة حيث وصلت إلى مصر والهند قديماً جداً في فجر التاريخ. ويدل على ذلك التصويرات والنقوش الحجرية لقدماء المصريين.

ولا يزال الدلاح حتى اليوم ذا أهمية كبيرة في هذه الدول ودول جنوب وشمالي إفريقيا وجنوب أوروبا وأمريكا الحارة والمعتدلة، وآسيا. أما في المغرب فتخصص لزراعته مساحات شاسعة في جميع السهول المنخفضة كتريفة. وسائس والغرب والشاوية ودكالة وتادلة وعبدية والشاظمة وسوس، حيث يحتاج النبات إلى تربة ذات قوام رملي أو طميي أو قليل الطين، وشمس وفيرة. يزرع الدلاح في أواسط فصل الربيع مسقياً أو بورياً، وتنضج ثماره في الصيف. ففي هذا الفصل يكثر إنتاج الدلاح ليسود الأسواق وجوانب الطرق التي تشق السهول التي يزرع بها. تستعمل ثمار الدلاح للاستهلاك الآدمي كفاكهة مائدة جد محببة عند المغاربة وذلك بعد تناول الطعام أو في أي وقت من النهار.

أبحاث شخصية : ألبيرت هيل، **النبات الاقتصادي**، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

الدليرو، أسرة أندلسية استوطنت تطوان قديماً وما زالت وافرة العدد، وربما قيل لهم : أولاد المسوس الذين كانوا بقبيلة بني سعيد القريبة من تطوان. نبغ منهم أفراد منهم أطباء وأدباء وأساتذة وأمناء وغيرهم :

اشتهر منهم الحاج عبد الله الدليرو الذي استخدمه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام أميناً على صائره مدة ثم أميناً وعاملاً بشعر الصويرة سنة 1256/1840. وعاد إلى تطوان وبها توفي بعد عام 1300/82 - 1883 وأبوه الحاج محمد كان يتجر إلى الشام. ومنهم السيد العربي الذي ناب عن عامل تطوان مدة وغيرهم.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، ج. 3، حرف د، مخطوط : م. داود، عائلات تطوان، نسخة المؤلف بخطه في خزائنه : حواشي الأثير شكيب أرسلان على حاضر العالم الإسلامي، 2 : 47، ط. مصر. محمد الأمين بوبخزة

الدليل في الأسفار، مهنة أساسية في ميدان المواصلات منذ التاريخ القديم يحترفها الأشخاص المؤهلون من ذوي الخبرات المتعددة للقيام بهذا الدور : وهذه المهمة التي كان يتوقف عليها سفر الأفراد والجماعات، وتنقلهم عبر المسالك والطرق سواء في المسافات البعيدة أو المتوسطة، وكانت توكل إلى أشخاص وعائلات مشهورة وموثوق بها، وتصبح مهمة الدليل مصيرية خاصة في المسالك العابرة للقارات والطرق المخترقة للجبال الوعرة، فوجود الدليل في المحطات الكبرى وصحبة المحلات والركبان وفي المنازل والمدن ضروري : ويمكن اعتباره أهم تجهيز كان يجب أن تتوفر عليه الطرق في العصور الوسطى وما بعدها.

عمل المخزن الموحد على ضبط هذه الحرفة وتنظيمها وجعل المتعاطين لها رهن إشارة المسافرين، فالدليل يستأجر عادة من المدن الكبرى مثل فاس ومراكش وغيرها وأيضاً في المدن المتاخمة للصحراء مثل سجلماسة وتامدولت ونول : وحتى من بعض القرى : وفي الطرق والمسالك القليلة النشاط والحركة يصبح الدليل المحلي ضرورياً لاجتيازها (المغرب، 48)، فالمسافر العادي وكذا الأسفار الجماعية لا يمكنها أن تتم إلا بالاعتماد على الدليل والتكشيف ولذلك كانت القوافل العابرة للصحراء الكبرى تستأجر الدليل من المدن المتاخمة للصحراء.

كانت حرفة الدليل في العصر الوسيط شبه متوارثة في عائلات شهيرة وتختص بها قبائل معينة تكونت لديها خبرة بالمجال ومتطلباته : وغالباً ما كانت الأسفار البعيدة تحتاج إلى أكثر من دليل بسبب تعدد المجالات وتنوعها : وأهم مركز لوجود الأدلاء بالنسبة للمتجهين إلى السودان في ذلك العهد هو مدينة سجلماسة (رحلة ابن بطوطة، 661).

وفي غير هذا المحور يتم استئجار أدلاء لمسافة معينة

يتم استبدالهم بعدها، أو كلما دعت الضرورة إلى ذلك : ولا يعود اختيار الدليل إلى المسافر بل يعود إلى الأعراف المنظمة للمهنة، فقبيلة مسوفة المستوطنة بوسط الصحراء الكبرى كان لها احتكار هذه المهنة في المحاور العابرة لأراضيها، وفي المسالك والسبل العابرة لمجالات قبائل أخرى تشترط بعضها أن يكون الدليل منها خاصة عندما لا تكون هذه القبائل في توافق مع جيرانها أولاً تربطها بها اتفاقيات أو تحالفات وأعراف، ويجد هذا الموقف مبرره في كون القبيلة تريد الاستفادة من المسالك المارة بها : ولتتعريف على حركة السير والبضائع وتلتقط بواسطة الدليل المعلومات والأخبار التي تستثمرها عند الحاجة من جهة، ومن جهة ثانية فالدليل المحلي أكثر دراية بالمنطقة من غيره.

الدليل شخصية معروفة تحظى بثقة المخزن أو القبيلة، وثيقة المسافرين ويستعين في عمله بمجموعة من الأعوان والخدم والعبيد وأهم أعوانه في المسالك العابرة للصحراء باتجاه السودان التكشيف، ولهل النظام الكشفي الذي ابتدعه الإنجليز بادن باول والذي من أعلى رتبة : *Les éclaireurs et les guides* راجع إلى تقليد العرب والبربر في هذا الميدان (46 Route nouvelle n°)، ومهنة التكشيف ودوره أساسي فهو يسبق الركب أو القافلة أو المسافر بصفة عامة يتحرى الطريق ويتفقد أماكن المياه والمراعي والخطب والأماكن الملائمة للنزول والاستراحة أو للمبيت : ويهتم كذلك بسلامة الطريق والسير عليها إلى غير ذلك من المهام التي تدخل في التعاقد وضمان السفر وتأمين المسافرين وطمأننته (رحلة ابن بطوطة، 661 : المغرب، 48 R. Mauny, Tableau).

يعتبر الدليل - بعد عملية التكشيف - صاحب القرار في اختيار الطريق وتغيير الاتجاه أو التوقف عن السير، ويقدم رأيه ونصحه للمسافر أو لقائد القافلة أو أمير الركب فالتكشيف - كما ذكرت - مهمة بسيطة، تقنية يقوم بها أشخاص عاديون مدبرون : أما الدليل فليس شخصاً عادياً، بل له تكوين علمي ومعرفي عام إضافة إلى الحنكة والتجربة، فله إلمام بوسائل الاهتداء بالليل والنهار، وله دراية باقتفاء الأثر وتمييزه ومعرفة بالمناخ وأحوال الطقس وتقلباته والتنبيه به ومعرفة بالنجوم، إضافة إلى اطلاعه على أحوال القبائل وأخبارها وتحركاتها إلى غير ذلك من المعارف التي يحتاجها في مهنته، وهي متشعبة ومعقدة وذات مسؤولية، وهذا ما يفسر غلاء أجر الدليل من سجلماسة إلى السودان مثلاً، ويفسر كذلك إعجاب ابن بطوطة بأحد أدلائه الذي كان أعور (الرحلة 659 660 661، صورة الأرض، 98 و99).

يطلب الدليل في الغالب أجرة مرتفعة مقابل خدماته لكن الثمن خاضع لتقلبات الظروف وفي العادة تختلف أجرته باختلاف الطرق واختلاف حجم القوافل أو الركب،

وأيضاً باختلاف أوقات السفر وفصولها وظروفها، وحتى حسب البضائع والسلع المحمولة، فالمسافر المستعجل مثلاً قد يضطر لتأجير دليل خاص، وهذا ما وقع للرحالة ابن بطوطة عند توجهه للسودان، ومن جهة ثانية فالاتفاق مع الدليل يكون موضوع عقد مكتوب أو شفوي عرفي. في المحلات الرسمية والمواكب السلطانية والتحركات المخزنية بصفة عامة يكون للخليفة أو السلطان أو الأمير موظفون يشق فيهم مكلفون بمهمة الدليل والتكشيف؛ وتندرج هذه الوظيفة تحت خطة الراية أو العلم في بعض الدول (البيان، 158، إفريقيا، 171)، وقد يلجأ المخزن في بعض أسفاره وتحركاته إلى الاستعانة بالادلاء المحليين عند اجتياز مناطق وعرة.

البكري، المغرب، الجزائر، 1911؛ م. ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، د. ت. ابن حوقل، صورة الأرض، لندن، 1938؛ ابن عذاري، البيان المغرب القسم المحقق؛ مازمول، إفريقيا، الرباط، 1984؛ ح. السوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980؛ م. حجاج الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط (أطروحة) مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

R. Mauny, *Tableau géographique*, Dakar, 1966 ; J. Meunier, *Le Maroc Saharien*, Paris, 1982.

محمد حجاج الطويل

الدليمي، أسرة هشتوكية أصلها من قبيلة أولاد الدليم (الديلم) الصحراوية. لا نعرف وقت استقرار الأسرة بتراب أشتوكن، كما نجعل كيف انتقلت إليها زعامة القبيلة. اشتهر آل الدليمي بالرياسة، وكان لهم نفوذ كبير داخل قبيلتهم، وتوالى أفرادها على تسيير الأمور التنظيمية للقبيلة بإيعاز من المخزن.

الدليمي، إبراهيم تولى قيادة بعض وحدات قبيلة اشتوكن (هشتوكية) بظهير حسني 1299 / 1882. لم يكن نفوذه يقتصر على المجالات التي عين عليها سابقاً فحسب وإنما يمتد حتى حدود أيت بوالطيب وأيت بلفاع وأيت أوكران، مما يؤدي إلى تجدد الصراع والخلاف. فباستثناء علاقته السيئة مع تاسيلا ضمن قبيلة ماسة، فإنه كان على صلة حسنة مع أعيان القبائل المجاورة (تامجلوجت، ماسة، أيت جرار، كسيسة) ونهج تجاههم سياسة المصاهرة، مما سهل له الاستمرار في مهمته، وكانت حجابا لإيالاته، وجعلته يحافظ على مركزه بين هؤلاء.

اكتسب القائد إبراهيم حسن الاطلاع بشؤون قبيلته، وكان يتمتع بخصال حربية وقدرة خارقة في التأثير على الجماعة. مما مكنه من جمع شمل قبيلة اشتوكن من أجل الحد من الانقسامات التي تنخر جسم وحدتها، وسبيله في ذلك استعماله سياسة اللبونة تارة والعنف تارة أخرى حسب

الظروف. وكان ذلك سبباً في استفحال أمره واتساع نفوذه، وتحصلت لديه عدة أملاك، كما تمكن من مراكمة ثروات مهمة. ويبدو أن هذا التصرف كان حافزاً لبعض وحدات قبيلته (أيت بلفاع، أيت بوالطيب) لتهديم داره مما جعلها مثار انتقام الجيش المخزني.

توفي القائد إبراهيم سنة 1307 / 1889 عن سن تناهز أكثر من 70 سنة.

الدليمي، أحمد مقاوم ولد سنة 1930 بوادي الذهب. انضم إلى فرقة جيش التحرير سنة 1951 تحت قيادة الخطاط محمد فاضل بالمقاطعة التاسعة مركز تافودارت. وشارك في عدة هجومات ضد الاستعمار الإسباني نذكر منها معركة : المسيد ومعركة الشاطئ بالعيون إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 3 نوفمبر 1957.

المنادية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الدليمي، الحسين بن إبراهيم القائد سابق الترجمة، ورث عن والده شؤون قبيلة اشتوكن في ظروف تتميز بالتعقيد، وحدثت متغيرات جديدة، فكان عليه أن يشارك في البعض منها. فعلى سبيل المثال : لما ثارت القبائل على قوادها عقب وفاة السلطان الحسن الأول 1894، اضطر إلى الجلاء عن قبيلته بعد تهديم داره، واستقر به المقام بقرية أيت أورميريط بأرض قبيلة المعدر المجاورة إلا أن جلاءه لم يدم طويلاً، بحيث تمكن من العودة إلى قيادة القبيلة بعد تدخل أعيان لف تاغوزولت. وفي سنة 1896، عندما تحرك القائد المخزني سعيد الكيلولي نحو منطقة سوس بإيعاز من الوزير أحمد بن موسى، تم القبض على القائد الحسين وأرسل إلى الكدير. فمما لا شك فيه أن ما أوجب عزله هي علاقته المتميزة مع إيليج. وكذا تماطله في القدوم على محلة الكيلولي بقرية تبوحنايكت. مهما يكن من أمر، بادر الهشتوكيون إلى الهجوم على محلة الكيلولي للمطالبة بعودة قائدهم، مما يؤكد عزمهم على استرجاع مجد الأسرة. انحاز القائد الحسين إلى حيدة بن ميس في حربه ضد أحمد الهيبة بعد نكسة سيدي بوعثمان، وكانت نهاية حياته ثمناً لهذا الموقف، حيث قُتل في معركة ويجان ضد البعقيليين 1332 / 1913.

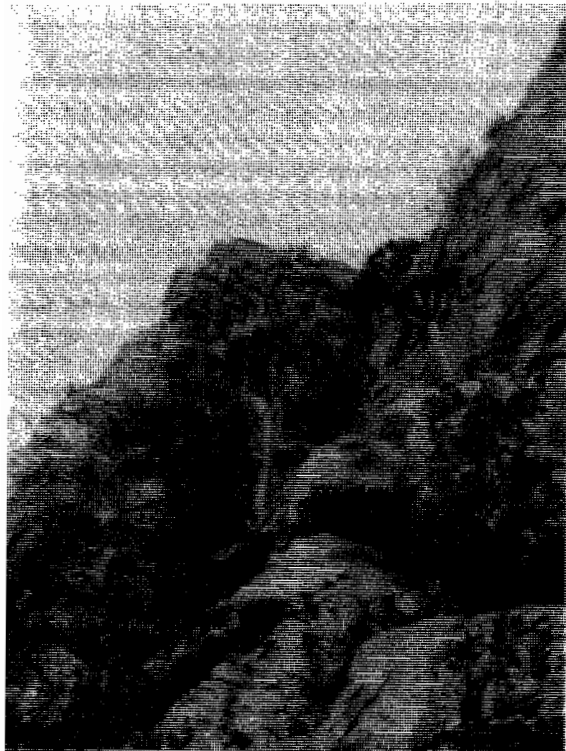
الدليمي، محمد بن أحمد أول زعيم لأسرة الدليمي تذكره المصادر، كان مضرب الأمثال في الشجاعة. ويبدو أن شهرته ونفوذه داخل القبيلة، جعلته يحظى بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ويظهر أن قيادته كانت ممتدة من كسيسة إلى جنوب وادي والغاس، وذلك رغبة من المخزن

وهكذا يتم التفرع تدريجياً مع التقدم في العمر. تاجها المخضري مظلي الشكل. تنمو الأوراق متزاحمة على أطراف الغصون. الأوراق سيفية الشكل، طولها يبلغ حوالي 60 سم، وعرضها 3 سم. أزهارها صغيرة الحجم بيضاء مصفرة، توجد في نورات طرفية وكثيرة التفرع وطويلة إذ يبلغ طولها 50 سم أو يتعداها. ثمارها طرية مستديرة الشكل، قطرها حوالي 8 أو 10 مم.

ينحصر وجود تشكيلات أجغال في الجهة الغربية للأطلس الصغير شرق مدينة تيزنيت، وبالضبط في منطقة يقطعها أسيف أو مغوز الذي هو في الواقع وادي ماسة عند خروجه من المضائق الجبلية وخاصة تلك التي يشرف عليها جبلا إيمزي وأضاض مدني اللذان يأويان على أجرافهما العالية النظام البيئي المشكل من طرف أجغال، هذا الصنف الشجري الفريد الذي مازال ممثلاً ببضعة آلاف من الأفراد. وتتميز هذه الأجراف العالية بمناظرها الخلابة وبوعورتها إذ لا يمكن للإنسان أن يتسلقها. الشيء الذي حال دون تدهور هذه التشكيلات الثمينة، التي تضم عدة أنواع نباتية أخرى جد نادرة قيسية أو غير قيسية.

تصادف تشكيلات أجغال في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب الدافئين، ما بين 250 و1500م فوق سطح البحر أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. وهي تغطي مساحة أفقية تقدر بـ 500 هكتار.

دم الأخوين مادة رانتجية حمراء اللون يفرزها جدع الشجرة عند جرحه. تستخدم المادة على نطاق واسع في العالم كصبغة حمراء في تلوين الورنيشات وفي صناعة



تشكيلة كنفية لشجرة دم الأخوين على التاجية الشمالية لجبل إيمزي

في تدعيم وجوده بالبسيط ومراقبة الممرات الجبلية وخاصة الطريق التجارية المارة بأرض إشتوكن نحو الصويرة. وفي هذا الإطار تسجل الوثائق المحلية هيمنة القائد محمد بن أحمد الدليمي على أزغار تيزنيت، بإيعاز من خليفة السلطان عبد السلام بتارودانت. وقد استعمل بلدة تيزنيت كقاعدة لتوجيه واستقبال الحملات التي كان يبعث بها "لقبائل جزولة من هلتيتة وآيت باعمران ومجاطة وأولاد جرار وآيت برايم" والمعروف عن القائد أنه كثيراً ما "يكلف القبائل بكثرة المطالب المخزنية في لوطاً والجبال حتى ترك الناس مهموسين" لذا أبدت القبائل معارضتها وامتناعها من "امتثال أمره حتى لا يعطوه شيئاً من مؤونة جيشه فضلاً عن ضيافتهم ولو ليلة واحدة" (وثيقة خاصة).

ولما ظهرت حركة بوحلايس انحاز إلي الفقيه محمد بن أحمد التاسكاتي، ولعب دوراً كبيراً في عملية احتواء الحركة. ويبدو أن قساوته وتعسفه تجاه القبائل حدت بالسلطان سليمان إلى إعفائه من مهامه، وبالتالي سجنه بالصويرة.

م. الأگاري، روضة الأفنان، تح. ح. أنوش، بحث لنيل د. د. ع. الرباط، 1989، ص. 62، 63؛ م. المختار السوسي، المعول، ج 14 : 108؛ وثيقة خاصة عن حركة القائد محمد بن أحمد.

أحمد بومزكو

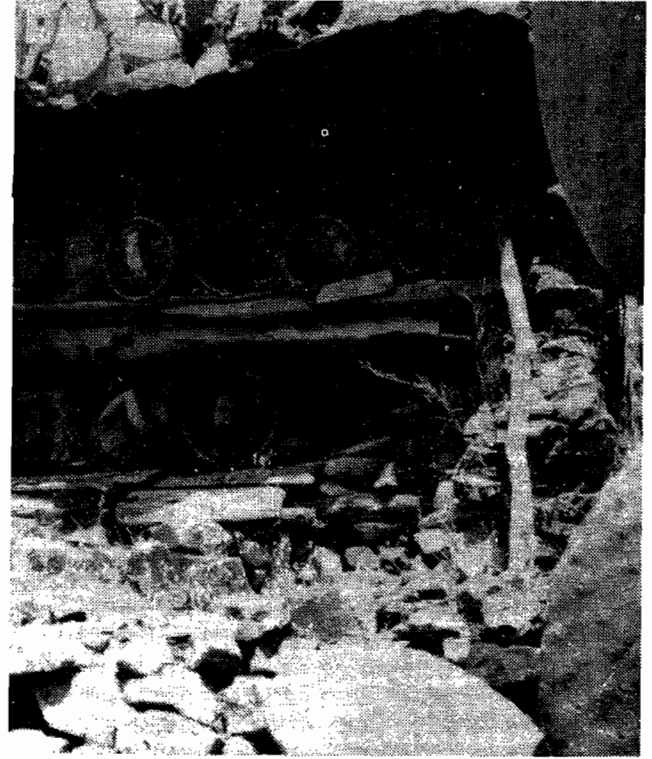
دم الأخوين، (نبات) أو دم التسنينية أو التينية أو Dragonnier بالفرنسية أو Dragon blood tree بالإنجليزية أنواع شجرية تسمى علمياً "دراسينا" Dracaena، وتنتمي إلى الفصيلة المحدثة مؤخراً التينيات Dracaenaceae، وهي من فرع وحيدة الفلقة.

تصادف هذه الأنواع على العموم في مناطق مدارية أو شبه مدارية خاصة مثل المنطقة الماكرونيزية (جنوب غرب المغرب والجزر الخالدات وجزيرة ماديرا وجزر الرأس الأخضر) ومنطقة القرن الإفريقي وجنوب شبه الجزيرة العربية، وجزيرة سومطرة، وجنوب إفريقيا وجنوب شرق آسيا.

عرف وجود نوع دراسينا دراكو Dracaena draco بالجزر الخالدات منذ أقدم العصور نظراً لكونه كان يستعمل لعدة أغراض منها مادة دم الأخوين المعروفة عالمياً. أدخل هذا الصنف الكاناري إلى عدة بلدان دافنة كشجرة زينة، ومنها المغرب حيث زينت به حدائق المدن الساحلية. ولم يكن معروفاً وجوده الطبيعي بالمغرب حتى اكتشافه بالأطلس الصغير سنة 1996، فصنفناه تحت نوع قبسي جديد سميناه علمياً باسمه المحلي الأمازيغي "أجغال" دراسينا دراكو تحت نوع أجغال Dracaena draco ssp ajgal.

أجغال شجرة معمرة يتراوح علوها ما بين 5 و15م. لها جذع واحد مستقيم. وضخم، يتفرع من الأعلى إلى ثلاثة أفرع أو أكثر. وكل فرع يتفرع إلى فرعين أو ثلاثة أفرع.

الأصباغ والألوان المستعملة في الرسوم وزخرفة المصنوعات الفخارية وواجهات المنازل، كما هو الشأن في اليمن. كما تستعمل كمادة قابضة لإيقاف نزيف الجروح.



أما الاستعمالات المحلية لأجگال في المغرب فهي تنحصر في استخدام سيقان الشجرة بعد قطعها وتجويفها كأجباح لتربية النحل. كما تستعمل المادة الراتنجية والثمار في التطبيب التقليدي. وكانت المادة قد استخدمت في ما قبل التاريخ من طرف سكان المنطقة الموجودين بها - آنذاك - لإنجاز بعض الرسوم الصباغية للأنواع الحيوانية. وما زالت هذه الرسوم بارزة بوضوح للزائر على صخور الأجراف الملساء.

A. Benabid et F. Cuzin, *Population de dragonniers (Dracaena draco ssp ajgal, Benabid et Cuzin) au Maroc, valeurs taxinomique, biogéographique et phytosociologique*, C.R. Académie des Sciences de Paris, Sciences de la vie, 1997.

عبد المالك بنعييد

دمنات، نطقها بتسكين الدال والميم والتاء. مدينة تاريخية عند قدم الأطلس الكبير الأوسط على بعد 120 كلم، شرقي مدينة مراكش، على ارتفاع 960 كلم، وسط بساتين أكثر مغروساتها الزيتون. يفهم موقعها ويُدرك دورها التاريخي من وجودها وسط كتلة قبلية كبيرة كانت تحمل اسما جامعا هو هسكورة، وفروعها القريبة من دمنات اليوم، قبيلة إينولتان التي توجد في وسطها دمنات، وقبيلة فطواكة وقبيلة عجدامة على يسارها، وكلاهما مذكورتان

عند ابن خلدون مثل هسكورة، ثم قبيلة إمفران في السفح الآخر الذي يطل إلى جهات وادي درعة والصحراء. أما شمالي دمنات، فالسهل قد استوطنته قبائل عربية ابتداء من القرن السابع (13 م). تقع في الخريطة اللغوية بين مجال تاشلحيت غربا ومجال تامزيغت شرقا.

قدمنات بين السهل والجبل وبين العرب والبربر وعلى طريق تاريخية تعبر ممرات جبلية إلى ما وراء الأطلس أشهرها ممر فدعات الواقع شرق ممر تلوات، وعبر فدعات كان تبادل تجارة الصحراء مع الداخل لا سيما إذا كان المر الآخر مأمونا أو كان عليه مراقبون مستبدون أو مغالون أو كانت القبائل المجاورة له تأثرة على المخزن (الدولة).

يذكر أهل دمنات أن مدينتهم تأسست قبل تأسيس مراكش بأربعمئة سنة. ولا يخلو من فائدة ربط هذه الذاكرة بأمرين : أولهما تسمية فرقة من أهم الفرقتين المكونتين للمدينة وهم أيت يحيى الذين يرتبطون في الرواية الشفوية بيحيى بن إدريس صاحب تادالا، والأمر الثاني هو تسمية الفرقة المجاورة لدمنات : تاونوست، وهي فرقة لعلها من اللاجئين الأندلسيين في فتنة ريش قرطبة. ويذكر البكري ريشيين آخرين في جهات بزو وغيرها. وأيت يحيى وأيت تاونوست هما المتقاسمتان لمياه الري للساقية المشتقة من وادي أمهاصر، فهما عتيقتان.

ورد أول ذكر في الكتب لدمنات عند البيهقي، مؤرخ الموحدين، وهو يتحدث عن تعقب عبد المومن لتاشفين بن علي. ولم تذكر بعد ذلك إلا في كتب مناقب صلاح العصر المريني التي كُتبت حول أبي محمد صالح أو أبي يعزى، وكان لهما أتباع حول دمنات، كسيدي واكران أو سيدي أبي يخلف. ولكن دمنات تنطبق على ما يبدو على حصن هسكورة المذكور تكراراً في صراع تني واقاريض الهسكرة مع بني هلال أو تحالفهم معهم في بعض الأحيان. يرتبط الموقع الذي أشرنا إليه بالنسبة لدمنات بالتجارة مع كتل قبلية مهمة متكاملة الإنتاج، وقيام صناعات ولا سيما صناعة الجلود، ووجود طائفة يهودية نشطة في التجارة والصناعة، وبطامع المخزن في استعمال دمنات كمركز لحكم القبائل المجاورة، وكمكان لجباية ما يجب على المعاملات الجارية في عين المكان. لهذه الاعتبارات وفي سياق الأحداث المرتبطة بها قامت بالمدينة سوق وبنيت قصبة مخزنية قديمة يظهر من خندق مليء بالماء يحميها أنها من فكرة أندلسية قديمة، والأندلسيون بها مذكورون كما أشرنا. وقد نزل بها الحسن الوزان عند غرناطي مثله حرفته الخفارة لأهل التجارة والأموال والأعيان. وفي هذا السياق أيضاً هاجمتها القبائل وخربتها غير مرة واضطرت إلى إعادة عمارتها.

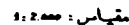
ذكر الوزان أن تعداد سكان دمنات ألفان من الكوانيين وهي بالحساب ما بين ستة آلاف وعشرة آلاف شخص. وذكر أنها عامرة بالصناع والتجار من المسلمين واليهود. وأن

وقد تدخل المولى سليمان في نزاع على الماء بين أهل دمنات وتادنونست. عندما وضعت الحوالة الحبسية لدمنات في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان ظهر منها عمارة خربة وفنادق معطلة، وكان كراير دي همسو قبل ذلك قد ذكر أن سكانها ثمانية آلاف نسمة.

أرسل المولى عبد الرحمان قائده علاّ الإيموري لضمان طاعة دمنات والقبائل المجاورة فهزمه أهلها. ولما تدخل الإيموري في عملية ضد بومهدى في تارودانت عاد من

كان لمدينة دمنات في عهد غياب المخزن الوطاسي مجلس أعيان يجبي الرسوم ويصرفها في حاجات الجماعة، وهذا التقليد تكرر في ظروف ماثلة، إلى غاية بداية القرن العشرين.

كان للسعديين عمال في دمنات منهم كبير الدولة في عهد المنصور إبراهيم السفيناني. ومرُّ بها المولى الرشيد العلوي قبل حلوله بالدلاء، وجمع منها المولى إسماعيل عبيداً بواسطة عماله، وبعض جدران القصة إسماعيلية، وكان غازي بوحفرة نائب أحمد الذهبي العامل في تادلا أنزل بأهلها عقوبات فادحة في ظروف غامضة بالنسبة لنا. ووصفها الرحالون الأجانب في نهاية القرن الثاني عشر



هنالك وفي ركابه عدل من عدول عسكر السلطان يسمى علي أوحّدو، كانت أسرته قد هاجرت من تيغرمين قرب دمنات قبل ذلك بعشرين سنة وكان جده إمام مسجد.

قرر السلطان عبد الرحمان أن يعين أوحّدو عاملاً على دمنات لأنه ليس أجنبياً كالإيموري وليس بشخص يُخاف استبداده كالشيوخ المحليين، كان ذلك التعيين على يد الخليفة سيدي محمد سنة 1848.

ظلت لدمنات أهمية خاصة في القرن الثالث عشر (19 م) فيما يتعلق بتطويع قبائل الأطلس المجاور وفي ضمان وصول بريد تافيلالت وتكوين الدار السلطانية هناك نظراً لعدم أمن الطريق المارة بالأطلس المتوسط.

في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان صدر الأمر ببناء سور لمجموع دمنات، وكان من قبل يحيط بالقصبة وحدها، وفي هذا العهد أيضاً عين على دمنات قاضي مستقل من قبل السلطان وهو محمد بن حمو كرداس وذلك باقتراح من القائد علي أوحّدو سنة 1866. وفي هذا العهد أيضاً وبتحريض من منظمات أجنبية كانت على اتصال بيهود دمنات توترت العلاقات بين هؤلاء وبين السكان المسلمين، فوافق السلطان على طلب الأعيان المسلمين بنقل اليهود من وسط أحياء المسلمين حيث عاشوا طوال قرون، وتخصيص ملاح لهم. ولكن اليهود أعطوا رشوة للعامل فلم ينفذ الأمر السلطاني. وفي أوصاف الرحالين الذين زاروا دمنات من أمثال الوزان ولوي دي مارمول ودجاكسون وهوك وطمسون ودوفوكو ودوتي أوصاف لهذا الملاح ولعيش سكانه. وفي التسلي للغجدامي سرد وقائع هذا النزاع، وفي كتاب فلامان Flamand، ظواهر تتعلق بنقل الملاح.

في عهد السلطان مولاي الحسن تم بناء الملاح الخاص باليهود قرب باب العرب، وأصدر هذا السلطان ظهيراً برفع دمنات إلى مصاف المدن وذلك بإعفاء مَنْ بداخل أسوارها مما يُطالب به أهل القبائل، وازدحم عليها من أجل ذلك السكان، وكان مولاي الحسن قد عرج في طريقه بين فاس ومراكش فزار دمنات ووقف على مشاكلها ولا سيما قضية ملاح اليهود الذين تدخلت لهم جهات أجنبية للضغط على المخزن.

بعد وفاة القائد علي أوحّدو تولى القيادة ابنه الحاج الجيلاني (انظر الدمناتي الجيلاني) وكان من كبار قواد المخزن، ولم تقف سلطته عند حدود ولاية أبيه وهي ولتاتة وفطواكة وغجدامة، بل امتدت إلى دادس وعدد من قبائل شرقي إينولتان الذين تجتذبهم تجارة دمنات. لكن بالغ في التعلق بالهيئة المخزنية وجمع الأموال وتحويل محكوميه إلى رعية ورعاة. فقامت ضده ثورة عند وفاة مولاي الحسن والتجأ إلى حرم زاوية تانغمت، وبعد المصالحة مع إينولتان حاول الانتقام فدبر بعض الأعيان اغتياله، ودخلت دمنات

في حكم أشياخ بالتناوب، ثم حكمها محمد أبلّاغ إلى أن امتد إليها حكم الأگلاوين بتواطؤ بعض أعيانها، وتزامن ذلك مع وصول الفرنسيين إليها.

م. الغجدامي، التسلي عن الآفات بذكر الأحوال ومافات، مخطوط عند أسرة المؤلف بمراكش؛ نجيب الدمناتي، الحاج أحمد، القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع، مخطوط، خ. ع؛ أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان، الدار البيضاء، 1978.

S. Boulifa, *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1909 ; P. Flamand, *Demnat, un mellah en pays berbère*, Paris, 1952.

أحمد التوفيق

الدمناتي، أحمد (مؤلف) ← نجيب

الدمناتي، أحمد بن الحسين بوفلوس، ولد بسلا سنة 1926/1344 وبعد ثلاث سنوات انتقل مع أسرته إلى مدينة القنيطرة حيث اشتغل والده بالتجارة حتى أصبح من أبرز تجار الأثواب بها.

ولقد انطلقت حياته وفكرته النضالية من المدرسة الوطنية التي كان من أول التلاميذ فيها وعرفت مدينة القنيطرة على غرار المدن المغربية الأخرى مظاهرات صاخبة في أكتوبر 1937. وشارك أطفال المدرسة في هذه المظاهرة. فقامت سلطات الحماية بالمدينة بإغلاق مدرسة الوطنيين وتم الزج بمعلميها في السجن ونفيهم عن مدينة القنيطرة. ودفع معظم تلاميذ المدرسة إلى الالتحاق بمدرسة "كوجي" الاستعمارية التي يتلقون التعليم المهني إلى جانب التعليم العام، وحصل أحمد الدمناتي على الشهادة الابتدائية سنة 1943. سعى "كوجي" إلى إبعاده عن العمل الوطني بأن وظفه في إدارة البريد - إلا أنه بحلول سنة 1944 وانتقال الحركة الوطنية إلى المطالبة بالاستقلال غادر أحمد الدمناتي الوظيفة في البريد بايعاز من والده والتحق بالوطني محمد الديبوري الذي وظفه في إدارة أعماله التجارية. وأصبح عضواً نشيطاً في تنظيمات حزب الاستقلال ولعب دوراً في تكوين اللجن الفرعية للحزب كلجنة المسيرين ولجنة الاسعافات ولجنة الشعب الخ..

شارك أحمد الدمناتي في الإعداد للمظاهرة الاحتجاجية التي نظمت بمدينة القنيطرة أمام الباشوية يوم 15 غشت 1953 احتجاجاً ضد النوايا العدوانية للاستعمار إزاء السلطان وأسرته - وبعد هذه المظاهرة انطلقت الاعتقالات التي امتدت إلى السيد أحمد الدمناتي (غشت 1953)، وبعد خروجه من السجن شارك في أعمال المقاومة والفداء.

توفي في حدود سنة 1417 / 1996.

مصطفى مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية، 1913 - 1937، منشورات مؤسسة سيدي مشيش العلمي،

التاريخ كان الدمناتي يتردد على المغرب بين الفنية والأخرى حتى إن أغلب المعارض التي شارك فيها سواء مع المجموعات أو بمفرده كانت تقام بالأساس في الرباط وباريس، أكثر من الدار البيضاء أو بعض البلدان، مثل إسبانيا وألمانيا والدانمارك والسويد والأرجنتين والولايات المتحدة. كان المغرب يمثل بالنسبة إليه المرجعية الأولى والأكيدة التي يستلهم منها ومن خلالها جوهر القيمة الإبداعية ومادتها الخام، وهو المغرب الذي كانت مراكش، مع ساحاتها جامع الفنا، تمثل في رأيه صورة مصغرة له ونموذجاً لفضائه.



لذلك يمكن اعتبار أمين الدمناتي فنان الحزن والشوق إلى بلد ومدينة أنجباه وغادرهما مبكراً، ولكنهما ظلاً حاضرين بدون انقطاع في مخيلته وفي ريشته. كما يمكن اعتباره فنان الحزن المتأثر بمشاهد الفقر والبؤس التي يحفل بها الواقع المغربي والتي صارت تمثل لازمة رسمه وتصويره. إلا أنه بفضل وعيه الجمالي يتحاشى التعبير عنها مثلما هي، ويحسن امتصاصها - بعيداً عن العنف - بقيمة تعبيرية قوامها التناقض والشفافية، مراعيّاً في ذلك شعار "الحب والجمال هما غاية الفن". بل كان نفسه واثقاً من قدراته ومؤمناً برسائله بكثير من الحماس، لكنه كان يتحلى بالريانة والتواضع والكلام القليل والاعتدال في المطالب. على أن تجربته الفنية تنقسم إلى شطرين متدرجين من حيث الأسلوب التقني وتصور المضمين، نوجزهما كالتالي :

القيظرة، 1998 : جون جيمس دافيسن، حركة المدارس الحرة بالمغرب، 1919 - 1970، الدار البيضاء، 1991 : ع. القادر بوراس، مجلة جسر تربية، أكاديمية وزارة التربية الوطنية القنيطرة، العدد 1، 1996، ص. 100 - 106 : أ. الدمناتي بوقلوس، جريدة القنيطرة المحلية، العدد، 14 مارس 1996، ص. 2 - 3، عبد القادر بوراس

الدمناتي، إدريس بن الهاشمي، من مواليد مدينة مكناس في أوائل القرن. التحق بدار الجامعي عام 1937، وهو في مقتبل عمره حيث أخذ مستعلمات الموسيقى الأندلسية : صنعة وعزفاً عن الفنانين الفاسيين الذين كانوا يلقيون بها هذا الفن، وهؤلاء هم على التوالي : محمد الأمين دادي، وعزوز بناني، وعبد السلام بن عزوز بناني. وكان إلى معرفته بموسيقى الآلة يمارس طرب الملحنون : إنشاداً وعزفاً. وفي سنة 1956 كلف بتدريس العزف على الكمنجة بدار الجامعي، وظل يضطلع بهذه المهمة إلى أن وافته المنية يوم 21 جمادى الأولى عام 1391 / 15 يوليوز 1971.

وثائق المعهد الموسيقي بدار الباشاوات بمكناس : معرفة شخصية ورواية شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدمناتي، أمين فنان تشكيلي يعتبر من بين الفنانين الشباب المتميزين في الستينيات وبداية السبعينيات، ولد بمراكش سنة 1323 / 1942 من أسرة موسرة، وتوفي وهو في ريعان شبابه أثناء أحداث الصخيرات المأساوية. لقد كان مساره الفني قصيراً لكنه كان واعداً بالتأكيد، مراعاة لتكريس حياة كلها إبداع وعطاء وللإسهام الفعلي بجانب أقرانه والذين سبقوه في تطوير الحركة التشكيلية الحديثة المعهد بالمغرب، متجنباً في ذلك أي إكراه وظيفي وأية ارتباطات تصرفه عما أخذ على نفسه تحقيقه في الميدان الذي ولع به. لم يشغفه هوى خارج الرسم سوى القراءة وتتبع بعض روائع الأعمال الأدبية والفنية سواء أثناء دراسته أو في حياته العملية.

مع بداية فترة الاستقلال وفي بيئة اجتماعية وثقافية مختلفة عن سابقتها، ظهر جيل جديد من الفنانين الشباب أصبح بإمكانهم الاستفادة من المنح التي دأبت بعض البلدان الأوروبية على تخصيصها للطلبة المغاربة قصد الدراسة بالخارج. فكان أمين الدمناتي في عداد الفوج الثاني من الذين اختاروا وجهة فرنسا، بعد أن قضى طفولته ومراهقته في الدار البيضاء، حيث تلقى تعليمه الفني الأول بمدرسة الفنون التطبيقية. فقصده بعزم باريس سنة 1961، وهي السنة التي شرع يعرض فيها، للالتحاق أولاً بمدرسة حرف الفن، ثم مدرسة الفنون الزخرفية ومدرسة اللوفر. وعلى الرغم من استقراره بفرنسا نهائياً منذ ذلك

في بداية مساره الفني كان الدمناطي ينهج أسلوباً تجسدياً يتصف بالتسجيل المباشر للحياة اليومية في شتى تجلياتها وجزئياتها وزخارفها، من طبيعة ميتة وعُريّة ثيران وأبحاث حول المنظور والألوان إلى الوجوه (الأطلسية في الغالب) ثم بعض المناظر الطبيعية وبخاصة المشاهد الحضرية. وكان يستخدم لترجمة ذلك صيغاً وتقنيات بسيطة أساسها الفرشاة والصباغة المائية، الغواش. غير أنه كثيراً ما كان يتعامل مع إنجازاته بتعميم متقدم لمضامينها وللملامح المميزة للأشياء والناس والحيوانات، وبالاكتفاء بخطوطها العريضة، إلى درجة تحولت معها الشخصيات إلى أشباح والجدران إلى مساحات ملونة محفوفة بخطوط غليظة داكنة. وفي ظروف معينة كان بمجرد توزيعه الألوان يغطس اللوحة في الماء بحثاً عن آثار تشكيلية محتملة.

أخيراً وتحت تأثير أحمد الشرقاوي في أواسط الستينيات، ولعله هو الفنان المغربي الوحيد الذي كانت تربطه وإياه علاقة حميمة، انسلخ الدمناطي عن نظريته الحكائية وتخلّى عن مسعاه التشخيصي الصرف، لينتقل من ترجمة العالم الخارجي كما هو وكذا تصوير ما يرى إلى التعبير عما يحس به نتيجة التوغل في دواخل ذلك الواقع. لقد ظل بالتأكيد وفيّاً لعامله الحضري ومتشبهاً بمرجعياته التي لا محيد له عنها، حتى إنه ما فتىء يعيد إنتاج ما بقي عالقاً بذاكرته من وطن بناسه وحشود شبابه وفقرائه... ومراكش على وجه الخصوص، بفضاءاتها وأزقتها وساحتها وألوانها وحرارتها وجموعها المتحركة أو الهامدة... بالمقابل، أخذ يعمق رؤيته الموضوعية إلى حد بعيد، ليفضي في النهاية إلى نوع من الإيحاء الذي يشبه التجريد الوجداني. ذلك هو المنحى الأسلوبى الجديد الذي نبع من اختزال أشباح الدمناطي ومن طمس معالمها، لفسح المجال أمام كائنات متلاشية ويقع كثيفة متطابقة صيغت ألوانها الموحدة تارة بلون الرسم وتارة أخرى بطريقة الرسم.

توفي أمين الدمناطي في أحداث الصخيرات يوم السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز 1971.

ع. السلام ابن سرودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6، ص. 3434؛ معلومات شفوية؛ م. أ. السباعي، برنامج شخصيات من بلادي، الإذاعة الوطنية، الرباط، بداية يوليوز 1971، نشر بالفنون، عدد 1، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، أبريل، يوليوز، 1976، ص. 75-76.

Z. Daoud, Amine Demnati, *Lamalif*, n° 18, mars, 1968, pp. 52 - 55 ; K. M'rabet, *Peinture et identité, l'expérience marocaine*, Paris, 1987 ; M. Sijelmassi, *L'art contemporain au Maroc*, Paris, 1989 ; T. Maraini, *Ecrits sur l'art*, Rabat, 1990, p. 96.

مصطفى عياد

الدمناطي، الجيلالي بن علي أوحّدو قائد دمناط
المسمى أيضاً في الرسائل المخزنية بالعامل وذلك في المدة

(1292 / 1875 - 1322 / 1904). خلف والده في حكم دمناط والقبائل المجاورة بالجيل نياطة عن المخزن، وكان من أهم عمال السلطان مولاي الحسن. كان الجيلالي بخلاف أبيه حريصاً على تكثير الأملاك والأموال بكل الوسائل، صادف حكمه رواجاً متزايداً في دمناط بسبب ازدياد رواج البضائع الأجنبية وازدياد استعمال النقود وقوة مخزن مولاي الحسن. عند وفاة علي أوحّدو سار أعيان إينولتان مع الجيلالي حتى طلبوا له القيادة ووافق عليها السلطان. أمسك أمرهم بيد من حديد وعدّد الشيوخ واصطنع معاونين في فطواكة ووسع سجنه، فكان المالك الأول والتاجر الأول في المنطقة. جدد رياض أبيه في القصة وزخرفها واتخذ أبهة تُقلد أبهة الملوك وكثّر الحريم من الحرائر والإماء، وكانت له مراسيم للخروج والدخول والتحية. استخلص من محكوميه كل ما طولب به من طرف المخزن أو احتاج إليه لنفسه وشد عضد أمناء السلطان القائمين على أخذ مستفاد أسواق دمناط والقبائل المجاورة.

كان له متعلمون من المسلمين ومن اليهود، وكان له صراع مع هذه الطائفة وقع فيه الاحتكام إلى السلطان ولعبت في عهده دمناط دور منطلق لتطويع قبائل لم تخضع قبل للمخزن في الأطلس وأذن له في مد اليد إلى قبائل سائبة في آيت بوگماز وتدغة وآيت عطة وإمغران ودادس، وقد شارك في عدد من الحركات السلطانية في العهدين الحسني والعزيزي.

كان السلطان مولاي الحسن خرج سنة 1312 / 1894 لغزو قبائل ثائرة في فازاز، وكان في ركبهم عمّال الحوز، ومنهم الجيلالي الدمناطي. وقد وافت المنية السلطان بدار ولد زيدوح، ولما دفن بالرباط عاد العمال ووجد عدد منهم القبائل قد ثارت ضدهم، ومنها إبالة الجيلالي الدمناطي، وقد نهبت داره وتشتت عياله.

لجأ الجيلالي إلى زاوية تانغملت الواقعة بين هنتيفة وآيت عتاب، وعمل بالوسائل المختلفة من أجل الرجوع وإحداث الخلاف بين الفوار الذين نصبوا مشيخة بالتناوب على دمناط وأفلح في ذلك، ودفع له المخزن عدة حربية يستعين بها، وجدد له السلطان الجديد تعييناً مؤرخاً بسابع عشر رمضان 1313 / 2 مارس 1896 على إينولتان وفطواكة لا غير، بينما دخلت تگانة وغجدامة في حكم الأگلاوين.

عمل الجيلالي بعد رجوعه على الانتقام من الثوار. ولكن إصلاحات مولاي عبد العزيز التي أسقطت الفروض والعطاءات وضعت حداً لتعسفاته وصار الفارون من دمناط خوفاً يرجعون إليها. وفي ذلك الجو دبّر اغتياله بعض الأعيان الذين جردهم من أملاكهم وأهانهم، وكان لهم ذلك باغتياله في صلاة الجمعة ساجداً، وذلك في شهر ربيع عام 1322 / يونيو 1904.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان، 1850. 1912، الدار البيضاء، 1978.

سهل سوس، وإقامة المزارع الأولى للخضر وإنتاج الموز في الضيعات المسيجة. ثم ركز أنشطته على إنتاج الخضروات وساهم في اهتمام المستثمرين بهذا القطاع وتطوره. وبما أن أكادير هي المنفذ الطبيعي لمنتجاته، فقد ساهم الدمناتي بنشاط كبير في تشييد الميناء.

وساهم أيضاً في ولوج العديد من مواطنيه ميدان الأعمال. ولهذا الغرض أسس في نهاية الأربعينيات شركة مساهمة داخل شركات (هولنيج) سماها أيت سوس، التي يمكن اعتبارها مدرسة تخرج فيها العديد من رجال الأعمال السوسيين، بعضهم أسس العديد من المقاولات بعد ذلك.

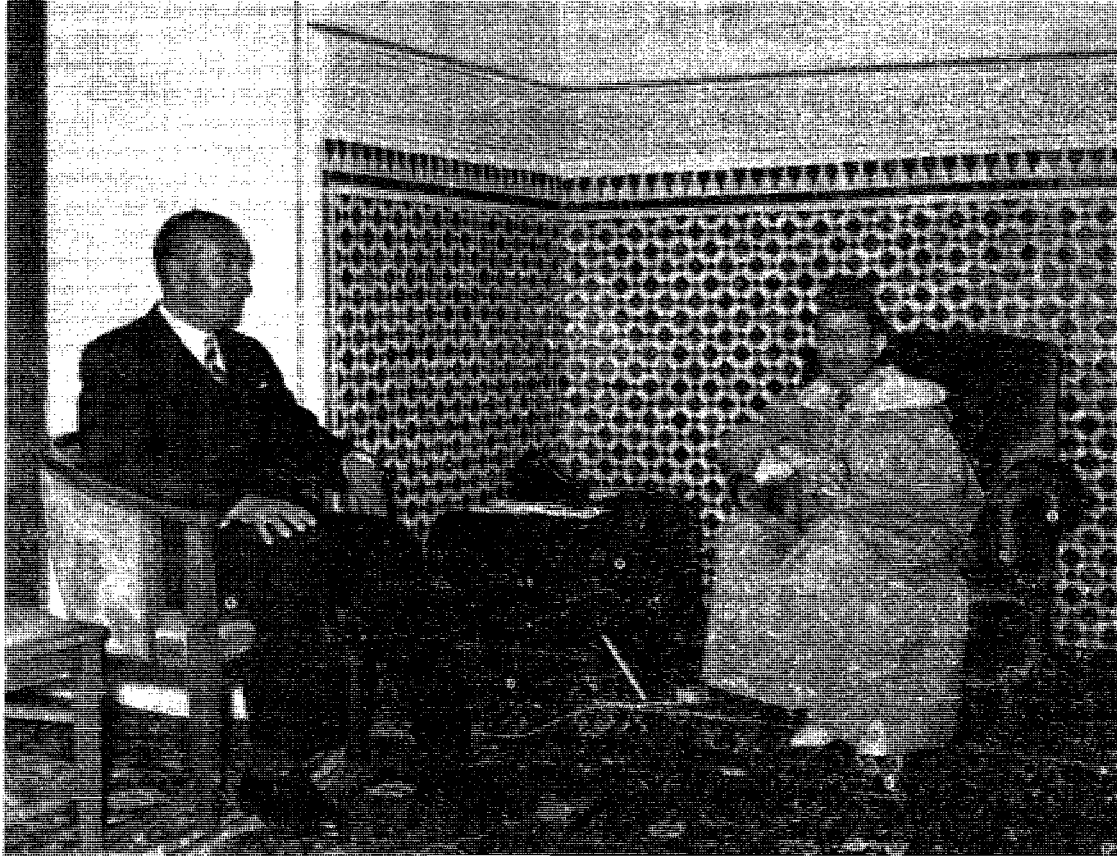
ووعيا من الحسين الدمناتي بأهمية القطاع البنكي في التنمية والاستقلال الاقتصادي للمغاربة، فكر في تأسيس بنك وطني ابتداءً من عام 1936، لكنه لم ير النور آنذاك بسبب العديد من العوائق، وأعاد الكرة من جديد في منتصف الأربعينيات، خلال انتداب إريك لابون في الإقامة العامة بالمغرب الذي لم يدم طويلاً، مما حدا بالدمناتي إلى نسيان مشروعه. ولم يتمكن من إظهار فكرته من جديد إلا في بداية الاستقلال بدعم من رجال المقاومة. وقد تمكن الدمناتي من جمع المساهمين المغاربة، لكن لم يتمكن من الحصول على حصص مساهمين أجانب، بسبب معارضة البنوك الموجودة في المغرب وتحرك حكوماتها تجاه الدول

الدمناتي، الحسين رجل أعمال عصامي ولد حوالي 1895 / 1318 بدمنات (دار بوجلو) كانت عائلته معروفة بدمنات بلقب أيت الحسين. عندما كان صغيراً شارك صحة أبيه وأعمامه إلى جانب الدمناتيين لذين كانوا يناصرون السلطان المولى عبد العزيز، في الحروب ضد أغلاوة المناصرين لأخيه المولى عبد الحفيظ، وبعد هزيمة الدمناتيين نُفي أبوه إلى جزيرة الصويرة وصودرت أملاكه.

ولمّا بلغ الحسين نحو عشرين سنة من عمره، ذهب إلى فرنسا وهناك تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها. وعاد إلى المغرب ليستقر بمراكش ويتعاطى فيها التجارة. ثم اتجه نحو ميدان التنقيب عن المعادن (الرصاص، المنغنيز...).

ويرجع له الفضل في اكتشاف منجم الكوبالط في بوازار، وبسببه ذلك تصادم مع القائد حمّو الأغلوي، شقيق الحاج التهامي الأغلوي، إذ رفضت إدارة الحماية الترخيص له باستغلال المنجم بدعوى أن المنطقة مازالت غير خاضعة، فهي غير مفتوحة للاستكشافات المعدنية.

اكتفى الحسين الدمناتي بأخذ أسهم في شركة المناجم التي أسستها شركة "أونا". ونتيجة لهذا الصراع الجديد مع حكام أغلاوة، اتجه الحسين الدمناتي إلى سهل سوس واستقر به في سنة 1932. ونظراً للروابط التي عقدها مع ج. إيبنا صاحب شركة أونا، اهتم الحسين الدمناتي بالاستثمار في



المفترض مساهمة رأساليها في بنك الدمناتي. ويوصل عبد الرحيم بوعبيد إلى الحكومة كوزير للاقتصاد، تمكن الدمناتي من تحقيق مشروعه بخلق البنك الوطني للإئماء الاقتصادي.

خلال مرحلة النضال من أجل الاستقلال، لم يتخلف الحسين الدمناتي عن دعم المقاومين الذين كان على اتصال مباشر بهم، وساهم أيضاً في هذا العمل من خلال علاقاته المتعددة الأشكال مع الليبراليين الفرنسيين. في هذا السياق نشر الدمناتي مقالا في جريدة لوموند وفي المجلة السياسية والبرلمانية (L. Demnati, *Esquisse d'une politique franco-marocaine. - la double nationalité* -, *Revue Politique et Parlementaire*, 56ème année, n° 639, juin 1954) فكرة الجنسية المزدوجة، أي أن الفرنسيين المقيمين في المغرب (المستقل) لهم الحق في الجنسية المغربية، والمغاربة المقيمين في فرنسا لهم الحق في الجنسية الفرنسية، وهذا بدون فقدان الجنسية الأصلية. هذه الرؤيا تنطبق بعد مضي أربعين سنة على فكرة طلب المغرب الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وهذا ما يدل على الرؤيا العولمية التي تتماشى والرؤيا الاقتصادية عند الدمناتي.

لم يتردد أندري آدم الذي ألف كتاباً عن الدار البيضاء، في تشبيه الحسين الدمناتي بروكفلير في أفكاره (كان الدمناتي بعيداً عن أن يساوي ثروة روكفلير) وكان لمحمد الخامس الكثير من العطف على الحسين الدمناتي. ففي سنة 1947، عند زيارة محمد الخامس لتارودانت نزل ضيفاً هو وأفراد عائلته عند الحسين الدمناتي بدل باشا المدينة، وبعد الاستقلال كان محمد الخامس يستقبله باستمرار في القصر الملكي، وكان أيضاً على وشك النظر في ملف البنك الوطني، عندما فاجأت الدمناتي نوبة قلبية توفي على إثرها في 22 ربيع الأول عام 1380 / 14 شتنبر 1960 بالدار البيضاء.

الدمناتي، علي أوحْدُو قائد دمنات (1264 / 1848 -

1292 - 1875) أصله من قرية تعمرين القريبة من دمنات، هاجرت أسرته إلى جهات تارودانت وكان عليّ ملماً بنصيب من التعليم أهله لأن يكون عدلاً في عسكر السلطان مولاي عبد الرحمان المرابط في تلك الجهات. تعرف عليه أحد قواد السلطان المذكور وهو علي الإيموري وكان مكلفاً بمهمة إخماد فتن هناك.

قبل السلطان تولية عليّ أوحْدُو على دمنات بعد استقلالها عن قيادة السراغنة التي ثارت عليها قبائل دمنات عدة مرات، وذلك لأن القائد الجديد ليس غريباً عن المنطقة وليس من شيوخها المياليين إلى الاستبداد.

امتد حكمه على إنيولتان المحيطة بدمنات وعلى القبائل المجاورة ولكنه تجنب التدخل العنيف وآثر اجتذاب فلاحي تلك الجبال إلى إمبرغان ودرعة نحو سوق دمنات بدل

الاستيلاء عليهم وتنفيرهم.

قضى عليّ أوحْدُو شيئاً فشيئاً على رؤوس الفتنة في الجبال الخاضعة له وكانوا استضعفوه في البداية. قام عليه أحماد أو سالم الفطواكي فقمعه بمساعدة الخليفة السلطاني مولاي الحسن سنة 1862. وثار عليه كطيوة وأحمد فتنهم عند وفاة محمد ابن عبد الرحمان. وسبب هذه الفتن أن القبائل لم تتعود على قرب شديد لممثلي المخزن ومطالبة ملحة بالواجبات. وثار عليه الحاج إبراهيم شيخ تودنوست فقبض عليه وأهله وأرسلوا إلى سجن العرائش والصويرة.

في عهد عليّ أوحْدُو بُني سور دمنات من أوقاف المسجد وإسهام السكان. وبالإضافة إلى تركيز سلطة المخزن في ولتانة وفطواكة وغجدامة فإن أوحْدُو أوقف أو أخرج تنفيذ أطماع قواد اكلاوة في دمنات.

أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع

عشر، إنيولتان، الدار البيضاء، 1978.

أحمد التوفيق

الدمناتي علي بن سليمان ← البُوجمعي

الدمناتي، محمد بن عبد الكبير، يعرف بابن كبور رجل دولة اشتهر في عهد مولاي عبد العزيز (1894 - 1908) وفي عهد أخيه مولاي عبد الحفيظ (1908 - 1912). وقد ترقى في خدمة المخزن إلى أن عين وزيراً أكبر.

ينتمي محمد بن عبد الكبير إلى أسرة من مدينة دمنات، حيث كان أبوه متولياً لخطبة الحسبة. ويظهر أنه انتقل إلى مراكش بعد وفاة والده في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873). وبمدينة مراكش خطا ابن كبور كما كان يلقب خطواته الأولى في ميدان الحياة السياسية والثقافية.

كانت لابن كبور معرفة كافية بالعربية وآدابها، كما تميز بحسن الخط وإتقان فن الكتابة والترسل؛ زيادة على ما وعاه من ثقافة عامة. الأمر الذي أهله لدخول خدمة المخزن التي ظل فيها إلى وفاته سنة 1911.

كانت أولى خطوات ابن كبور نحو الخدمة المخزنية، على يد القائد إبراهيم الأجرأوي باشا قصبة مراكش. فقد عينه الباشا أولاً ضمن حرسه، ثم ما لبث أن رقيه إلى كتابته الخاصة. ويبدو أن ثقافة ابن كبور التي طعمها بمعرفة صوفية كافية وحدقه لمهنة الكتابة الديوانية، قد ألهته ليزوجه الباشا ربيته الباتول، ثم بنته بعد وفاتها.

وبعد وفاة الباشا إبراهيم الأجرأوي، خدم ابن كبور مع الحاجب أحمد بن موسى البخاري في الكتابة ثم في أمانة الصائر على مطبخ السلطان. وسرعان ما رقيه إلى الكتابة في بنيقة الصدارة ثم في كتابة وزارة الحربية.

ثم عين محمد بن عبد الكبير على باشوية القصبة وأعمالها وبذلك عاد للعث الذي شهد فيه أيام عزه الأولى. وبذلك كسب الرجل ثروة عريضة. وبفضل الوظائف التي تولاه، تدرب على أمور السياسة المخزنية ودسائس البلاط، وأصبح من أهل الحل والعقد، الذين عليهم مدار سياسة مراكش وأحوالها. بعد أن كان قد جاءها هارباً من دمنات خانفاً يترقب.

وبما أن مراكش كانت هي العاصمة الثانية ومقر حكم خليفة السلطان بالجنوب. وبما أن باشا القصبة كان مكلفاً بمراقبة الخليفة، حسبما جرت به العادة المخزنية "من أن الباشا يكون على الخليفة عيناً وأذنًا. ولا يساعده فيما لم يعط فيه" رخصة وإذنًا فإن علاقة ابن كبور لم تكن على ما يرام مع الخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ الذي تولى الخلافة عن أخيه بين 1902 . 1907.

كان الخليفة عالماً وأديباً وشاعراً وسياسياً ذا طموح كبير، وقد اصطدم مع ابن كبور الذي رفض مسيرته، خاصة لما ساءت علاقات الخليفة مع السلطان، وبدأت عقارب الوشايات والدسائس تتمشى بين الطرفين.

والواقع أن باشا القصبة التي تحوى القصور السلطانية، ومخازن السلاح وثكنات الجند، لم يكن غريباً عن توصيل الأخبار التي لا ترضي الخليفة إلى بلاط فاس، ولا عن معاكسة سياسته. والملاحظ أن الخليفة - بالرغم من ذلك - لم يبادر إلى مقاطعة الباشا، بل صمم على سلوك كل السبل التي توقعه في حياته والتي تجره إلى جانبه وولائه.

وهكذا ففي الوقت الذي أحكم فيه عبد الحفيظ سلطته على الحوز وروابطه مع زعمائه. وتأكد تطلعه للملك بتأييد كبار القواد، نجد محمد بن عبد الكبير يميل مع التيار وينحاز للجانب الحفيظي ويقبل التعاون معه.

ويدون شك، فقد حرص الخليفة على كسب ولاء الرجل، لمعرفته بشؤون المخزن ولاتطاعه على عوائده. ولأنه كان القائد الأعلى لجيوش المخزن بمراكش. كما يبدو أن حالة الاضطراب والفوضى التي أصبح عليها المغرب دلت على عجز السلطان بفاس وأقنعت ابن كبور بالبحث عن سند داخل السلطة الجديدة.

بائع ابن كبور مثله مثل غيره من أهل الحل والعقد بمراكش عبد الحفيظ بالملك سنة 1907. وفي مقابل هذا الانحياز عين وزيراً أول في المخزن الجديد كما عين ابنه في حجابة السلطان الجديد.

ونظراً للشروط التي تحكمت في موالاته ابن كبور للسلطان الجديد، ونظراً كذلك، لعدم وجود عصبية يستند إليها، لم يكن لابن كبور من الوزارة إلا الاسم. إذ اكتفى بالأمور البروتوكولية وبأموال المراسلات مع الرعية ومع الخارج. وتؤكد مراسلاته - بالفعل - ما ذكرناه من امتلاك الرجل لنصاية الإنشاء والترسل ومعرفته بقواعد الملك وعوائده.

ولقد بدأ نفوذ محمد بن عبد الكبير في التراجع، ونجمه في الأفول، حالما حل المخزن الجديد بفاس في أواسط 1908. إذ سرعان ما أخرج ابن كبور إلى وزارة الشكايات، ثم نزلت رتبته إلى أمانة الصائر، حيث تجرع المرائر. فاستعفى من المنصب متعللاً بالشيخوخة والعجز فسوعد على طلبه سنة 1910.

ويظهر أن نزاهة الرجل أو قل ورعه، ساعده على حيافة ظهير سلطاني طويل. نوه فيه عبد الحفيظ بخدمات ابن كبور ومنحه التوقيع والاحترام لشخصه ولمن تعلق به وفي 13 محرم عام 1329 / 14 يناير 1911 وافاه الأجل المحتوم بمدينة مراكش موطن استقراره.

ع، بن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، ج 7 : م. غريب، خواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، 1346.

Archives diplomatiques de Nantes (France).

علال الخديبي

الدمناتي، محمد بن علي المسفيوي ولد بمدينة أسفي حوالي سنة 1280 / 1863 في بيت لم تكن له علاقة بالذكر أو المحلون، إذ كان أبوه حداداً. ابتداءً بحفظ القرآن ثم أخذ مبادئ اللغة والدين. كان ملازماً لحلقات الذكر العيساوية فحفظ قصائد كثيرة من هذا النوع وانطلق ينظم قصائد في الذكر تحت رعاية شيخه المبدع الطالب بنسعيد الروداني. أثناء أدائه لفريضة الحج اتصل بشخصيات راقية من الدولة التركية. رافقهم إلى بلدهم قصد معالجة مصابة بمرض الأعصاب نجح في مهمته فذاع صيته وأصبح يعرف عندهم بالطبيب النفساني.

عاد الدمناتي إلى المغرب حاملاً معه توصية باسم رجال الدولة التركية لسفارة إنجلترا بطنجة. فدخل في عداد رعايا الأتراك. وبذلك استفاد من الامتيازات الأجنبية. ولما عاد إلى أسفي احترف التجارة. غير أن علاقته بالسلطات الفرنسية لم تكن علاقة طيبة. فمع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914. بدأ الفرنسيون يلغون القبض على رعايا الألمان والأتراك. ولما وصل الخبر إلى الدمناتي فر خفية إلى مراكش. ورغم جهود سلطات الحماية لم يتمكنوا من القبض عليه، فألقوا القبض على صهره وعائلته مقابل استسلامه، فسلم نفسه إلى حاكم مراكش وجيء به إلى أسفي ومثل أمام محكمة عسكرية. حكمت عليه بالسجن مدى الحياة. فنقل على إثر ذلك إلى سجن العاد بالجديدة حيث ذاق العذاب الشديد.

ولما علم بأن المارشال ليوطي المقيم العام آنذاك سيزور السجن نظم قصيدة يمدح فيها الجنرال ويرجو عفوّه. وفعلاً أطلق الجنرال سراحه شريطة الإقامة الإجبارية في الرباط وسلا وعدم العودة إلى أسفي.

استقر الدمناتي بسلا وأقام بدار شيخ شيوخ الملحون الحاج إبراهيم الطرابلسي. الذي كان له ناد يلتقي فيه

الأعضاء لمناقشة أمور الدين والملحون والقضية الوطنية وغيرها.

عاد إلى أسفي سنة 1928 لزيارة أهله وأصدقائه ثم رجع إلى سلا متابعاً مسيرته الإبداعية وسط تلاميذه ورفقائه إلى أن توفي سنة 1350/31. 1932 عن سن تناهز 70 سنة. اشتهر الدمناتي بنظمه لقصائد فريدة أدخلت الجديد إلى فن الملحون وذلك بطرقه لأبواب ومواضيع لم تكن متداولة بين رجالات الملحون. تميزت بدقة في فن التصوير وبالإجادة فيه. وأصبحت لشاعرنا مكانة خاصة عند رجال سلا. إذ كثر حفاظه وتلاميذه مثل الشيخ أحمد بن غانم الذي كان ينعت بديوان المسفيوي المتنقل، والمعلم بن عيسى وغيرهم. أما آثاره فهي غزيرة ومتميزة منها قصائد كثيرة خالدة في الذكر العيساوي، وقصائد غنية في الملحون تعد نوعاً جديداً في الإبداع والتجديد وأهمها قصيدة الطومويل التي مطلعها :

سعدي زارتنى خليلتي الغزال أم دلال

وزهينا بعد الفراق وركبنا طومويل

وتسارينا بالجميع فالدينا عرض وطول

طاف بهذه القصيدة القارات الخمس ؟ وزار قبة النبي ومناطق أخرى من العالم.

ومن قصائده الجميلة، قصيدة خدوج المنارة والخال وغيرها.

أ. معنينو، الشيخ الدمناتي المجدد المبدع في فن الملحون، مجلة البحث العلمي، عدد 28، 1977، ص. 346-365.

علال رگوگ

الدندون (بلاد -)، تعني كلمة "الدندون" بالعامية المغربية، الأرض الثقيلة، أي الأرض المرتفعة الأطراف مع ما جاورها من أشكال تضاريسية. ومن مميزات الانبساط وسمك التربة وخصوبتها، وهي إما سوداء اللون "التيرس" أو بيضاء "بياضي". كما تتميز بكثرة الأوحال خلال فصل الشتاء المططر. وتسمى كذلك في بعض الجهات بـ "الكعدة". إلا أن هذا المصطلح يتعدى هذا المفهوم ليعني منطقة معينة وساكنة بذاتها.

فبلاد الدندون، تجمع سكني صغير، تابع لجماعة سيدي الطيبي، إقليم القنيطرة، وهي مركز غابوي، بلغ عدد سكانه سنة 1936 : 14 ساكناً، 8 منهم فرنسيين و6 مسلمين.

وأورد الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا، ج 1، وصفاً لمدينة أددندون، "مدينة صغيرة، مبنية بين تلال على بعد نحو خمسة عشر ميلاً من الأطلس وخمسة وعشرين ميلاً من (مدينة النخيلة)، كل هذه التلال صالحة لزراعة القمح، وتنبت من سور المدينة عين ماء في غاية الجودة [...] وغير ماء العين بين صخور ليجري في واد يقال إن فيه مناجم كان يستخرج منها الحديد بكثرة [...] وإذا كانت هذه

المدينة غير معروفة الآن فهناك من يعتقد أنها آيت عمار الحالية باعتبار وجود عين ماء ومنجم حديد ؟ !.

وجاء في يتيمة العقود الوسطى... لمحمد بن عبد الكريم العبدوي (المتوفي سنة 1187 / 1775) عن أبي العباس أحمد بن القاسم التادلي الصومعي : "إن دكالة دار صلاح وولاية وأن الأجداد أول ما نزلوا بها في المغرب واستوطنوا أرضها [...] وأما وطن هؤلاء السادات الذين نزلوا من تادلا فاستوطنوه وقرعوا في تربته وسكنوه فهو أددندون ببلد ورديفة". ويقصد بذلك الجزء الشمالي من تادلة العليا أو ما عرف بتادلة الرسمية. ويعني قبيلة بني خيران الشرقية ومجموعة بني منصور ومجموعة شرفاء آيت عمار. وقد عدد سكان هذا الإقليم إبان التدخل الفرنسي بـ 1316 خيمة موزعة على الشكل التالي :

أولاد بوغادي	700 خيمة	
أولاد فتاتة	20 خيمة	بني خيران الشرقية
بني منصور	256 خيمة	
شرفاء آيت عمار	160 خيمة	

وشكلت هذه المنطقة خلال فترة الحماية قيادة قائمة بذاتها، تابعة لدائرة وادي زم. مجاورة لقبيلة "السماعلة" شرقاً ولزعير شمالاً ولورديفة من الجنوب أما من الغرب فامتدت بنو خيران الغربية والشاوية، واشتهرت المنطقة بزراعة الحبوب وتربية الأغنام واستغلال منجم الحديد بآيت عمار.

ح. بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1 : م. بن عبد الكريم العبدوني، يتيمة العقود الوسطى... مخطوط.

R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas, Alger*, 1923.

صالح شكاك

الدندون، (في الموسيقى) طبل كبير الحجم تستخدمه فئة الحراطين الذين يستوطنون مناطق من الأقاليم المغربية الجنوبية، خاصة منها منطقة تكنة التي تمتد من الهضاب السفلى لجنوب الأطلس الصغير وحتى الحدود الجنوبية للساقية الحمراء.

يعرف الدندون أيضاً بطبل الكونتا ويجري استخدامه كآلة إيقاعية في مصاحبة العروض الموسيقية ومرافقة رقصات الحراطين كرقصة "تاونة" التي يحيونها في تامگروت عند غروب اليوم الذي يختم فيه سرد "سيدي البخاري" بالزاوية انناصرية.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مجلة المناهل، عدد خاص بالأقاليم المغربية الجنوبية، رقم 58 مارس 1998، ص. 416 و423.

Odette de Pigadeau, H. T., vol. IX, Fas. 3, p. 347, 1968.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن الدنيا، أسرة تطوانية أصلها من مدينة دانية Denia بالأندلس وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان؛ غير أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد بحومة الطرانكات دار تعرف بدار ابن الدنيا.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسما - عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999. والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1571.

محمد ابن عزوز حكيم

دنيان (سيدي -)، قبر كبير يبلغ طوله أزيد من عشرة أمتار ويعرف كذلك تحت اسم "قبر النبي". موقعه بالقرب من شاطئ المحيط جنوب مدينة أسفي بالمكان المعروف بجرف اليهودي. تروى حكايات غريبة حول دفينه العملاق الذي يعتقد سكان المنطقة أنه نبي الله "دنيال"... ويتفق جل الباحثين على أن هذا القبر (أو ما يشبه القبر) قديم جدا وربما شكل بقايا أحد معابد أهل المنطقة قبل اعتناقهم الدين الإسلامي. ويدعم هذا الافتراض أنه يوجد بجواره عدد من الأحجار الضخمة التي ربما كانت قطعاً من بنايات بعض المعابد... وكان بعض الباحثين الفرنسيين قد اكتشفوا بالقبر بقايا تمثال حجري في شكل إنسان، ربما كان تمثالا لأحد الآلهة في هذه الناحية قبل انتشار الإسلام بها.

وحسب ما يمكن استنتاجه من مختلف الروايات الشفوية فإن تاريخ "سيدي دنيان" يعود إلى عهد البرغواطيين الذين ينعتون في جميع الحكايات باليهود. فحسب بعض هذه الروايات "إن سكان هذه المنطقة كانوا يدينون باليهودية، وكان معبدهم الرئيسي يوجد بجرف اليهودي". ولما طغى كبير كهنتهم ونشر في الأرض الفساد أرسل الله من مكة نبيه "دنيال" وكان عملاقا. فجاء لمحاربه... ولقد استطاع بالفعل القضاء عليه ونشر الدين الإسلامي في هذه الربوع...

وبما لا شك فيه أن هذه المنطقة عرفت في القديم تعاقب عدة حضارات وديانات وأنها كانت مسرحا لكثير من الأحداث المهمة... غير أن تاريخها يبقى مجهولا. وتبقى المراجع تنحصر في عدد من الخرافات والحكايات المستعنة والعجيبة... ولن يعرف ماضي هذه الناحية إلا باللجوء إلى وسائل أخرى للبحث كالتنقيب الأركيولوجي مثلا...

بحث ميداني، روايات شفوية.

E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914.

عبد الرحيم العطاوي

دنيمة، أو دنيمة أسرة رباطية أصلها من الأندلس من مدينة دانية، وأول من ذكر منها حسب المصادر المتوفرة هو محمد دنيمة الذي عاش أوائل القرن الثاني عشر أواخر (17 م) الذي تفرعت عنه أسرة برز منها العديد من العلماء.

والفقهاء تقلدوا خطة القضاء والإمامة والعدالة، وكان منهم أهل صلاح ومتصوفة. ولم تذكر المصادر ذاتها أفراداً آخرين غير محمد المذكور إما لأنهم لم يبرزوا بعلم أو بوظيفة هامة وإما لأنهم لم يوجدوا أصلاً. فيكون محمد حينئذ هو الجد الوحيد لهذه الأسرة بالرباط، وقد عاصر المولى إسماعيل وربما عاصر من قبله ومن بعده إذ لا تعرف سنة وفاته.

ويسر من أسرة دنيمة بعد ذلك بالإضافة إلى من سيذكرون عدد من الفقهاء والأمناء أمثال: محمد الياوربي بن المختار دنيمة المتوفى عام 1363/1944 والذي تردد على دروس العلم وحلقاته في المساجد والمدارس وتعاطى الموسيقى الأندلسية والعزف على بعض آلاتها. وتولى الكتابة والأمانة في مرسى أسفي وانتقل إلى الصويرة كأمين بها وإلى أكادير كناظر.

ومثل التاجر العدل عبد العزيز بن عمر دنيمة المتوفى سنة 1373/1956؛ والمعطي بن محمد دنيمة، المتوفى سنة 1351/1932 وكان من نبغاء الطلبة، ومثل العباس بن التهامي دنيمة وهو من فقهاء الرباط وعدوله الموثقين وقد توفي بالدار البيضاء سنة 1350/1931 ودفن بالزاوية الفتحية التي كان من فقراء طائفتها.

م. بوجندار، الاغنياء، ص. 98 - 51 - 50 - 232 - 372؛ ع. الله الجباري، من أعلام الفكر المعاصر بالمعدين، ص. 429. 454 - 468 - 463 - 182؛ م. بن علي دنيمة، مجالس الانبساط، ص. 93 - 184 - 234 - 253 - 260 - 269 - 273 - 287 - 301 - 306 - 322.

دنيمة، أبو بكر بن أحمد، عم صاحب مجالس الأنسبات تعاطى في أول أمره للتجارة واستخدم أمينا بمرسى الصويرة فأمينا بمراكش - كان درقاوي الطريقة، توفي في 13 ربيع الأول 1331/20 فبراير 1913 ودفن بضريح مولاي المكّي بالرباط.

دنيمة، أحمد بن علي آتي الترجمة: ولد بالرباط وبه نشأ وحفظ القرآن، ودرس مبادئ العلوم، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها مثل عبد الرحمان السجلماسي وعبد القادر الكوهن بالقرويين. اشتغل بالتدريس وكانت له دروس بمسجد القبة في الأشهر الحرم بأمر من الخليفة السلطاني مولاي أحمد العلوي الذي كان يحضرها والخليفة من بعده مولاي رشيد. وكان أيضاً مفتياً وأسندت إليه الخطبة بجامع السوق - وانخرط في الطريقة المختارية، وكان في بدايته بتعيش من نساخة الكتب، وكان يفضل في عدة قضايا تصله من المخزن بأمر سلطاني مما كان يغيظ القاضي عبد الرحمان البربري. عمل مستشاراً لعامل الرباط محمد السويسي ثم كابته عبد السلام السويسي وترك عدة تأليف، منها ختمة على مختصر خليل وشرح همزية المديح،

وفتاوي. وفيه ألف حفيده محمد بن علي بن أحمد دنية
كتاب النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد
دنية.

توفي يوم الجمعة 6 صفر 1282 / 30 يونيو 1865.

دنية، علي بن أحمد والد مؤلف كتاب مجالس
الانبساط، وأعلم شخصيات هذه الأسرة. كان مدرساً خطيباً
متضلعا في علوم وقته من نحو ولغة وحساب وحديث وفقه.
أخذ العلم عن أحمد بن العربي الغربي وأحمد بن الغازي
والطاهر ضاكة وغيرهم. ومن تلامذته أخوه محمد والجيلاني
بن إبراهيم وأحمد جسوس وأحمد الزعيمي وعبد القادر
لبريس وأحمد القادري والحاج محمد بن عبد الله قديرة
وغيرهم كثير.

كان ولوعا بالنسخة تعيش منها في البداية كذلك.
تقلد الخطابة بجامع السوق، رشح للكتابة مع القائد عبد
السلام السويسي عوض والده وعدلاً بالمرسى، كما اشتغل
بالشهادة والتوثيق. وترك تأليف عديدة، مثل شرح على
الهمزية، وختمة للألفية، ورحلته الأندلسية، ومجموعة خطب
جمعية، لم يرغب في إعطاء الفتوى في أول أمره، ولم
يتعاطأ إلا بأمر سلطاني. سافر مع القائد عبد السلام
السويسي الذي توجه سفيراً إلى إسبانيا سنة 1294 / 877
ويعد رجوعه رشح بعد وفاة القائد عدلاً بمرسى طنجة. وفي
سنة 1316 / 1899 تولى القضاء بالرباط فكان يخرج
لمقصورة الأحكام مرتين في اليوم.
توفي بالرباط سنة 1325 / 1907 ودفن بالزاوية
الدرقاوية.

دنية، محمد الصوفي العالم، درس في مسقط رأسه
على الشيوخ إبراهيم التادلي وعمر عاشور وعلي دينية
والمكي البطاوري وزين العابدين بناني، ثم رحل إلى فاس
وأخذ عن علمائها قبل أن يشتغل بالتدريس. ويتعاطى
الشهادة مدة طويلة.

رشح عدلاً بمرسى الجديدة، ثم انتقل في آخر عمره إلى
الدار البيضاء وتوفي بها في أوائل ربيع الأول 1332 /
أوائل فبراير 1914. ونقل إلى الرباط حيث دفن خارج باب
لعلو بمقبرة سيدي الخطاب. وله تأليف منها حاشية على
بعض شروح شيخه إبراهيم التادلي، تأليف في سيرة النبي
(ص) ختم على الأجرومية.

دنية، محمد بن علي أشهر أفراد هذه الأسرة، تلقى
تعليمه الأولي على يد والده ثم على يد مشايخ الرباط
أمثال: المكي البطاوري ومحمد بريش والمهدي متجينوش
والجيلاني بن أحمد بن إبراهيم وأحمد بن قاسم جسوس
والهاشمي الحجوي وغيرهم. وحج سنة 1327 / 1909 وسنة

1335 / 1917 فالتقى بشخصيات علمية بالحجاز ومصر
وبلدان عربية أخرى فأخذ عن البعض أمثال الشيخ فاتح بن
محمد الطاهر.

وعندما أنس منه والده مقدرة ودراية وسنه لم يتجاوز
الثامنة عشرة، عام 1317 / 1899 دفعه إلى مزاولة
التدريس، وفي سنة 1323 / 1905 رشح لخطة العدالة
والتوثيق بموافق شيخه القاضي البطاوري. وكلف بخطه
الجمعة بجامع السوق، فبرهن على فصاحة وشجاعة أدبية
وبيان مما جعل أحد أغنياء الرباط من أصدقاء أبيه يهب له
عقاراً مكافأة له. في سنة 1333 / 1314 رشح لمزاولة العمل
بالمجلس الجنائي بصفة نائب عضو تم عضواً في المحكمة
العليا بقسم الاستئناف تم نائباً عن الرئيس بها. عرف
بالتواضع في اللباس وبالإحسان إلى الضعفاء، وقد رزى
بوفاة ابنه المعطي الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنة
1933 مما أثر فيه غاية التأثير فضعف بدنه وزاد في ذلك
فقدانه زوجته القائمة على خدمته وذلك بعد أربع سنوات
فقط على فجيعة الأولى فازداد أسىً وانهاراً.

له مؤلفات عديدة طبع معظمها في حياته :
- اختصار القول المحرر التام في الكلام على سنة
السلام، الرباط، 1355 هـ.

- الاسرار الممتزجة بمغاية المنفرة، الرباط، 1347 هـ.
- الأقوال الحسان الراقية في الأجوبة المختارة السامية،
الرباط، 1356 هـ.

- بهجة الأرواح بذكر خطاب النكاح، الرباط، 1955 هـ.
- تحرير المناط والمسالك في أن التصوف بالمعنى
المصطلح عليه كان زمن الإمام مالك، الرباط، 1355 هـ.
- تحفة ذوي الاختصاص في مواقع الباء بعد مادة
الاختصاص، الرباط، 1347 هـ.

- الذخر الأخروي في الكلام على السهو النبوي،
الرباط، د. ت.

- ذرة المجد ومنهل الورد ودليل السعد لمن يريد تحقيق
التكاملين في المهد، الرباط، د. ت.

- السر الساري من ثلاثيات صحيح الإمام البخاري،
الرباط، 1350 هـ.

- السلسلة الذهبية من الحديث المسلسل بالأولية،
الرباط، 1356 هـ.

- العقد المنظم في ذكر اسم الله الأعظم، الرباط، د. ت.

- القول المحمود في المسائل التي تنعقد فيه الركعة
بالسجود، الرباط، 1348 هـ.

- كمال العطية بإعراب كلمات من العربية، الرباط،
د. ت.

- من المتعال في ختم لامية الأفعال، الرباط، 1349 هـ.
- النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد

دنية، الرباط، 1355 هـ.
- النور المستبين من أحاديث سيد المرسلين، الرباط،
1354 هـ.

- واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد،
الرباط، 1347 هـ.

وترك مؤلفات أخرى مخطوطة في اللغة والنحو والرحلات، منها : "تشر الأعلام بإتمام المرام في ذكر مراحلنا إلى مصر والحجاز والشام" و"التحفة العنبرية في اللغاز الفرضية"... وأوصى بطبع كتابه مجالس الانبساط في تراجم علماء الرباط وخصص لطبعه مبلغاً من المال، لكن طبع هذا الكتاب تعذر بسبب قلة الورق وقت الحرب العالمية الثانية إلى أن تحقق مؤخراً سنة 1986 على يد قريبه مصطفى الغربي.

توفي زوال يوم الأربعاء 16 شوال 1358 / 29 نونبر 1939 ودفن بالزاوية الدرقاوية بمنحدر الحرارين.

دنية، محمد الفقيه الخطيب الشاعر، اشتغل في البداية بالنسخة ليتعيش منها، ثم تعاطى للتجارة بعد ذلك وأصبح عدلاً أيام نائب القاضي محمد بن إبراهيم الذي ألزمه بعدها بالتدريس، وهو أستاذ الشيخ محمد المكي البطاوري. تولى الخطابة بجامع مولاي سليمان. وله اشعار ومقطعات وكان العلامة الصوفي فتح الله بناني يسرد بين يديه صحيح البخاري بالمسجد الأعظم بين الظهريين. اشتغل عدلاً بمرسى الدار البيضاء وطنجة والرباط ودار عدل بفاس. وكان يرافق غالباً في هذه الخدمات القاضي العلامة عبد الله بن خضراء السلاوي.

توفي في فاتح محرم عام 1326 / فبراير 1908 ودفن بالزاوية المختارية :

الإدرسي، إدريس بن الماحي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 3070، وقد سماه - خطأ - محمد بن أحمد.

عبد الإله الفاسي

الدّهري، عبد السلام بن عبد الرحمان التطواني، الفقيه العلامة العدل المقرئ المجدد الخطيب الميقاتي الموسيقي. ولد بتطوان حوالي عام 1247 ونشأ في حفظ وصون، وحفظ القرآن والمتون المعتادة وأخذ عن أشهر علماء بلده : كالفقيه القاضي الشهير محمد بن علي عزيما، والعلامة المفتي أحمد بن محمد السلاوي، والعلامة الورع محمد النجار، والعلامة الشريف أحمد البقالي، وكان يحب المترجم له كثيراً، وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن شيخه السلاوي أخذ عنه فن القراءات.

ولما استشار شيخه في السفر إلى فاس للمزيد من طلب العلم، أشاروا عليه بالتخلي عن السفر، وقال له شيخه السلاوي : لقد أدركت من العلم ما كان لك أن تدركه، وخير لك أن تتزوج وتنقطع للإقراء، فاشترى داره

المعروفة بوطية ابن قريش بحي العيون، وتزوج امرأة من عائلة (الطرمو) الجزائرية كانت قدمت مع قومها مهاجرة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتولى الخطابة والإمامة بجامع الباشا بتطوان، والتدريس بمدرسة القاضي ابن قريش القريبة من دار سكناه (وهي ثاني مدرسة بتطوان) فأخذ عنه كثيرون خصوصاً القراءات والتجويد والنحو والصرف والتوقيت.

ولما ورد تطوان السيد أحمد الخضر السلاوي عاملا عليها عام 1283 اختار المترجم له لمجالسته وسرد الحديث بين يديه، وظل معه على الوسم المذكور إلى أن توفي، ثم صحب ولده كذلك القائد محمد السلاوي إلى أن سافر من تطوان عام 1315 وخلفه القائد إدريس بن يعيش فاختره مؤدياً لأولاده إلى أن سافر عام 1319 ثم خلفه القائد قدور بن الغازي فصار معه كذلك، وهو مع هذا عدل رضى يتعاطى الشهادة إلى أن عجز عن القيام بتلك المهام كلها بعد أن ابتلي بمرض التهاب البروستات فقضى حميدا طيب الذكر، لما كان يمتاز به علاوة على ما ذكر من خفة الروح، وطيب النكتة وحلو النادرة مازال الناس يتناقلون نوادره.

كانت وفاته في شهر شوال عام 1322 / دجنبر 1904 .
يناير 1905 وخلف ولدين وبنيتين. أحد الولدين شيخنا الفقيه المجدد السيد الحاج أحمد. رحم الله الجميع.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 6 : 15 - 147 : معلومات خاصة من حفيده الأستاذ عبد السلام الدهري.

محمد الأمين بوخيرة

الدهس، نوع من أنواع التربة حسب التصنيف الأهلي المغربي للأتربة. لا يوجد له مقابل يميزه بالذات في التصنيف العلمية الرائجة رغم أنه من أجود الأتربة في سياقه المجالي، يقدم خدمات نوعية تامة التكامل مع الأتربة المرافقة له. وهو في ذلك، شأنه شأن التيرس مثلاً، يؤكد حاجة البلاد المغاربية إلى تصنيف ترابي علمي خاص بها يضمن مقوماتها المتميزة.

الدهس معروف على الخصوص في سهل الغرب. يدخل في المتوالية الترابية التي تنطلق من محاور الأنهار إلى عمق السهول البيهرية. حيث إنه، في وضعه النموذجي، يشكل الشريط الموازي للمجاري. يزيد عرضه بقدر أهمية النهر ونشاطه في تحريك الغرين.

يتميز عن باقي الأتربة المجاورة بخشونته النسبية، حيث إن غالبية قوامه النسيجي تتكون من الطمي، وكذلك باللون الرمادي المصفر الذي يطبع مجالاته الواسعة ويسهل عملية التعرف عليها بمجرد المعاينة البسيطة.

يقدر الابتعاد عن المجاري المائية والاقتراب من جوف المنخفضات البيهرية، تصبح عناصر القوام النسيجي أكثر دقة، ويزيد الطين، وتدن الألووان إلى الرمادي ثم إلى الأسود، ويتحول الدهس، بتدرج بطيء، إلى دهس متزايد

التترس، ثم إلى تيرس حقيقية وأخيرا إلى المروج الغدقة ذات الأثرية الميعة.

يمثل سهل الغرب الوضعية النموذجية لهذا النوع من المتواليات الترابية المرتبطة بحركية المجاري النهرية داخل السهول الفيضية التي يحكمها التهدل.

فمعلوم أن الأراضي من حول مركز التهدل، في وسط المنخفضات، تغلب عليها الميعة التي تتحكم في تطورها فتجعلها صالحة لاستنبات الكلا، توفر العلف للمجترات الكبيرة.

أما المجالات التيرسية البينية، الواسعة الامتداد، فهي بامتياز أراضي الزروع الخصبة.

ولو لم تكن الدهوس في عالية هاذين المجالين، لبقيت السهول الفيضية فضاءات عراء صرف، لا شجر فيها، متخصصة في إنتاج الحبوب وفي تربية الماشية الكبيرة.

الدهس وحده يسمح بقطع الآفاق وتنوع المشاهد الزراعية، حيث يعطي النباتات الشجرية والبخيليات الكبيرة ذات التجذر العميق ومن ضمنها حقول قصب السكر فوق أنواع الدهوس المختلطة. أما في صيغته النموذجية الصافية، فإن الدهس يحمل جنان الأشجار من حوامض وزياتين وورديات.

في صيغته الصافية، المخففة من الأطيان، يتميز الدهس بنسبة طينية تقل عن الثلث، ونسبة كلس بمقدار العشر تقريبا، وهو طمي في ما عدا ذلك قليل الترمل.

لكن على طول الأنهار، تصير المسكات العلوية من الدهس أكثر غنى بالرمال. يتزايد نصيب هذا الدهس الأخشن في الأطناف المرافقة لضفاف نهر سبو وكذلك في وسط السهل حيث يُصطلح على وجود الدلتا الداخلية لنهر بهت.

محاولة التصنيف العلمي، حسب النموذج الفرنسي مثلا، لن تعطي أكثر من أنها أثرية ضعيفة التطور ذات أصل ثقيل غريني. وهي كناية باهتة لا تعبر عن القيمة الحقيقية للدهس.

والواقع أن الدهس مادة جيومرفولوجية أكثر من أنها مادة ترابية تخضع لمقاييس التطور الترابي المتعارف عليها. فهي نتاج تغرين وتحديد مستمرين للقطاعات. تحملها الأنهار من الجبال المكتنفة، وخاصة من الريف الأوسط، تنشئ بواسطتها سلاسل للأنهار العابرة للسهل الفيضي. ونظرا للتواكب الحاصل بين تهدل السهل وغزارة المنقولات التي تستوردها الأنهار إليه، فإن سلاسل الأنهار جاءت معلقة بالمقارنة مع المنخفضات البينهرية الرحبة.

يشكل الدهس مادة التراكم الأساسية التي تسند الأنهار وتجعلها، على خلاف الأوضاع المورفولوجية المتعارف عليها، تجري في أسرة غرينية توجد على ارتفاع أعلى من السهول التي تعبرها. من ذلك ضراوة الفيضانات التي تغمر

البيأنهار، ولا تستطيع العودة إلى مجاريها بعد انقطاع أسبابها نظرا لهذا التشكيل الذي يبدو شاذا.

التشكيل هنا ليس شاذا بقدر ما هو نوعي يخص السهول الفيضية النشطة، ويسمح في الواقع بتطورها تطورا إيجابيا. فلولاها لأفضى التهدل البنائي إلى هبوط مستمر للسهل من شأنه أن يحول منطقة الغرب الغنية إلى أراضي وطينة، أدنى من مستوى سطح البحر، مؤذنة بغمر بحري يأتي على السهل ليجعل منه أعمق وأوسع خليج في الساحل المغربي.

حدث أمر كهذا ليس في الواقع إلا رجوعا للوضع الأصلي للمنطقة قبل أن تقوم الأنهار بعمليات الإطار الغريني، التي عبأت الخليج البحري وحولته إلى مجال قاري سهلي ذي نزعة تهدلية بشيطة. وفي الوضع الراهن. عملية التعشة الغرينية لازالت مستمرة، هي التي تسمح بتعويض الهبوط البنائي. وهي بالذات آليات تلتيم السهل الفيضي بواسطة المواد الدهسية التي تحملها الأنهار.

إطماء السلاسل النهرية وتعليقها هو السر في أهمية الفيضانات وعموميتها واتساع رقعتها إلى حد ظهورها بمظهر البحار المتوسطة للقارة. هذه الفيضانات، المتفاوتة الأهمية، تحمل دائما مقادير هائلة من الطمي ترسيبها في المنخفضات البينهرية معوضة النقص في الارتفاع الذي يحدثه التهدل.

الآلية العامة الموصوفة هي آلية الرأب الغريني للتهدل، المنطقة من سرير الأنهار والمتجلية في التزويد المتواصل لأطنافها بمواد الدهس والدهس الرملي، والعاملة على التطعيم الواسع لسطوح المنخفضات.

ومع ذلك، فإن المنخفضات، التي تستفيد من أطماء الفيضان في تدارك التهدل البنائي، لا تتحول إلى مجالات طميية دهسية، بل تبقى في معظمها أراضي التيرس.

ومرد الأمر لاشك إلى عمليات التحريك والتحويل الدائبة التي تصوغ السهول الفيضية. فبعد كل فيضان وحسب أهميته، تصفر سطوح التيرس بالدهس المغلف لها. لكن عمليات القلب التي تميز أراضي التيرس تسمح بقلب القطاعات وهضم الطمي واستيعابه من ضمن التربة التي كانت تحمله.

من ذلك أن النشور الدهسية ليست فقط من أهم عناصر آليات التوازن البنائي - الرسوبي التي تحافظ على سلامة المنطقة. ولكنها كذلك أساس التطعيم الترابي الذي يسمح بتنوع الأنشطة الزراعية والاقتصادية إجمالا بإعطاء أثرية نوعية، هي الدهس النموذجي، وتخفيف الأثرية الطينية الأخرى حسب موقعها الطبوغرافي من المجال العام. إذ تتعدد أنواع الأثرية وكفاءتها بالتدرج من الدهس الرملي إلى النموذجي إلى الترسي وغيروها.

واضح إذن أن مادة الدهس هي رسوبية، جيومرفولوجية بالأساس، ناتجة عن الإزالة في العاليات والتركيم والتطعيم

في الأسافل. وأنها أحدث مادة حملتها الأنهار تُخَوَّلُ التغليف الواسع المنتشر في سهول الفيض التهديدية. إنها بالتالي نتائج الدور الأحداث والأخير للترايطة الرسوبية للحُقب الرابع القاري المغربي. ومادامت تعرف أبهى وأوسع تجلياتها في سهل الغرب فإن كناية "الغربي".

أصبحت تسمية تقنية تعني في التصنيف السُداسي للستراتغرافية القارية المغربية آخر أدوارها على الإطلاق.

لكن بقدر ما يُعتبر كل دهس، بمواصفاته السالفة، مادة غريبة، بمعنى أنها منتمة للدور الغربي من الترابية الرباعية، بقدر ما أصبح "الغربي" في مضمونه المرفلوجي والتأريخي أوسع وأشمل، يعني كل توضع أو تشكيل أو تطور حديث مختتم للرباعي.

الدهس كغيره من مصطلحات "العلوم الشعبية الموهوبة"، يضرب جذوره في قواعد الأصالة الطبيعية والحضارية للبلاد. لا يوجد أي تصنيف أكاديمي يستطيع أن يوفيه حقه بما يكفي من الشمولية. بل هو معلمة من معالم بيتتنا، يُمثِّلُ التعريف الرصين بها إغناء مستمراً للتراث العلمي العالمي.

تحريرات ميدانية.

إدريس الفاسي

ابن دَهَّاق، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر انقضت بالمدينة سنة 1308 (1890).

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 238.

محمد ابن عزوز حكيم

الدواجن ← اللحوم البيضاء

الدوالي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Dalias وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 683.

محمد ابن عزوز حكيم

الدوايري، عبد العزيز (الحاج -)، مقاوم ولد سنة 1880 بدوار الزاوية ملحقه اجدير دائرة اكنول إقليم تازا، انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بمركز اسويل تحت قيادة اشتاتو عمر. وقد عرف بين رفاقه بالشجاعة والإقدام، نشيطا في عمله، متحمسا

في إيمانه. شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن رغم كبر سنه إلى أن استشهد في معركة إخوانا بضواحي بوزيد وذلك بتاريخ 20 أكتوبر 1955.

المنودية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 4: 70.

الدويلالي، مبارك بن علي، أصله من قبيلة إدا وبلال المنتجة بجنيات وادي درعة الأوسط، جنوب شرق أكادير نتيسنت. وهو من الراسخين في الخدمة المخزنية العسكرية بقصبة فاس، ومنها تم اختياره ونقله إلى قبيلة قلعية.

عين الدويلالي على رأس إدالة قصبة جنادة بفرخانة يوم 21 شوال 1300 / 24 غشت 1883، خلفا لسابقه الطالب حميدة الشرقي، للسهر على ضبط الحدود الفاصلة بين المساحة الممنوحة لحماية مليلة وأراضي خمسي بني شكر ومزوجة، وليكون من جهة أخرى واسطة بين أهل قلعية وجنود مليلة فيما يرجع لأمر الحدود ومشاكلها، ويضاف إلى ذلك العمل على مكافحة التهريب، وقد كلف أيضاً بتسيير أملاك المخزن المرتبطة بكل من جنادة وفرخانة وقصبة سلوان.

ويعود سبب انتدابه لجنادة ليكون كبير العسكر بها إلى الأزمة التي كانت تعاني منها الحدود من جراء تجاسر الإسبان للاقترب من الحدود والتصرف في جناباتها بالزرع والرعي، مما لم يمكن لأهل الحدود من مزوجة وبني شكر السكوت عنه.

اصطدم مبارك الدويلالي بعدة دعاوي معلقة بين الإسبان والمخزن وقد سبق الأمر السلطاني إلى أمين الديوانة الطالب محمد العسكري لتبصيره بالدعاوي القائمة المتمثلة في عدة نقط معجلة، منها دعوى المدعو حم بن الطاهر النصراني، المتهم بقتل جندي إسباني، ودعوى سرقة أهل خمس مزوجة الحلايف والزروع، إلى جانب دعوى قتل الإسبان لأحد الشكرين، انتهى الفصل فيها بالنسبة للخسائر المادية بغرامة مالية قدرت بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على بني شكر (70 ريالاً)، تكلف القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي بجمعها وتسديدها. ووجب مثلها على مزوجة وعلى قائدها لحسن المزوجي، أما الباقي وهو 130 ريالاً فقد وقع أدائه على المقبوض عليهم بالحدود. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك الدويلالي. بينما بقي ملف الجنائيات معلقاً إلى ما بعد ذلك.

وأهم حدث تصدى له الدويلالي خلال شهري ربيع الأول والثاني من سنة 1301 هو الاضطراب الذي أحدثه الإسبان أثناء مواجهة القائد لحسن المزوجي مع حاكم مليلة بالاقتتال

- **الدَّوْدَارُ عَلِي** بن محمد الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1269 (1853).

- **الدَّوْدَارُ قاسم** بن سعيد من وجهاء مدينة تطوان الذين وقعوا شهادة بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في 22 شوال 1078 (مارس 1668) ؛

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 684.

محمد ابن عزوز حكيم

دودة القز من الحيوانات اللافقرية تصنف إلى طائفة الحشرات ورتبة الفراشات — حرشفيات الأجنحة - Lepidoptera وفصيلة القزيات Bombycidae التي تشمل على دود الحرير المعروف بدود القز والمسمى باليونانية Bombyx. ويتكون جنس قزية Bombyx من عدة أنواع تصنع صلجات أو أكياسا حريرية cocons أشهرها وأحسنها جودة في إنتاج الحرير قزية التوت Bombyx mori (= Sericaria mori) تسمى بالفرنسية magnan وBombyx de mûrier وبالإنجليزية Silkwarm.

ودودة القز اسم شائع يطلق على يرقات الفراشات المنتجة للحرير بواسطة لوزتي الرضاب - الغدد اللعابية - تسمى الغدد القزية (glandes séricigènes) التي تفرز سائلا صافياً ولزجاً يخرج من أنابيب الفم، وعند احتكاكه بالهواء يصبح صلباً على شكل خيط حريري تصنع به الصلجات لتعيش بداخلها الحوريات (Chrysalides). يتعلق سمك قطر خيط الحرير بفتحة الأنابيب المكونة لأعضاء فم الدودة وقد يتعدى أحياناً طول كل خيط 1000 متر.

الموطن الأصلي لقزية التوت هو الصين وبعض المناطق

على الحدود، مما أدى أخيراً إلى القبض على القائد المذكور وبعض رجاله وإيداع الجميع سجن العرائش.

ومن الصعوبات التي واجهها مبارك الدويلالي محاولة التوفيق في النزاعات المحلية القائمة بين قواد قلعية، كان منها نزاع محمد بن العربي البوكافري مع أهل إيسالته، والمختار ألغم قائد الكعدة مع جاره محمد بن الخضر قائد بني سيدال، وحמידة، قائد بني بوفروور المنازع للأمين محمد المحرق، وذلك ما بين صفر ورجب 1301.

ولما كانت حراسة السواحل من مهام مبارك الدويلالي فإن حمايتها من التهريب كان من أوجب واجباته التي يظهر أنه لم يكن منها على بال، أو أنها كانت مهمة جسيمة، لا سيما وأنه كان مكلفاً بمراقبة كافة ساحل الريف، بدءاً من قبيلة كبدانة شرقاً إلى ناحية بادس غرباً. وقد تعرض لغضب السلطان الحسن الأول حينما تبين له أنه لم يحسن المراقبة أثناء تهريب أحد الفرنسيين سنة 1303 نبات الحلفا من مرسى كبدانة.

وعلى الرغم من أن مبارك الدويلالي احتفظ بمنصبه بجنادة فرخانة أو بقصبة سلوان طوال سنة 1305 فإن اسمه لم يظهر في مراسلات 1306، وإذا كان هذا ليس بحجة على انتهاء مهمته، إلا أننا وجدنا اسم مبارك بن الطاهر الرحماني بقلعية على رأس المحلة المخزنية مستقراً بقصبة سلوان، ومنها بعث بأول مراسلة له يوم 5 ربيع الثاني 1306، تحدث فيها عن طاعة أهل قلعية، وعن تكليفه بها وليست هناك إشارة إلى مبارك الدويلالي، ثم ثبت لنا أنه كان قد أعفي من مهمته، إما لكبر سنه أو لمرضه الذي توفي منه في مدينة فاس، حسبما أعلنته مراسلة أحمد بن موسى بن أحمد إلى سعيد فرجي بتاريخ 13 جمادى الثانية 1306/14 فبراير 1889.

وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية ما بين سنوات 1301

و1306 ؛ كنانيش الخزانة الحسنية في نفس الفترة ؛ كناش خ. ح. ر. ك رقم 117 ؛ أ. التوفيق، إد ويلال، معلمة المغرب، 1: 212 ؛ ح. الفكيكي، محمد بن العربي البوكافري، معلمة المغرب، 6: 1833 ؛ جنادة قصبة فرخانة، معلمة المغرب، 10: 3096 ؛ الجسواوي المختار ألغم، البوفرووري، معلمة المغرب، 10: 3192 ؛ ح. بنشلال، والبوفرووري، محمد المحرق، معلمة المغرب، 6: 1906. حسن الفكيكي

الدَّوْدَارُ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، وتجدر الإشارة إلى أنه كانت بأحواز غرناطة المسلمة قرية اسمها دودر وأطلق عليها الإسبان اسم وإلى هذه الأسرة ينتمي ؛



المجاورة لها. ومن المحتمل أن الصينيين عرفوا صناعة الحرير عن طريق تربية دودة التوت خلال العصور الممتدة ما بين 3000 - 4000 سنة ق. م (Gomez Bustillo & Mendez 1985, Viola Sylvestre n° 55, p. 170-179). وقد تطورت هذه التربية خلال العصور وانتشرت في شمال أفريقيا وأوروبا منذ القرن السادس بعد الميلاد. ومن بين المراكز المغربية التي عرفت ازدهاراً لإنتاج الحرير بواسطة تربية دودة القز نذكر مدينة تطوان والشاون ونواحي جباله ومكناس وفاس والرباط وسلا ومنطقة مفسية وبعض الجهات المسقية في الحوز وفي عرصات مراكش وضواحيها. وقد ازدهرت القزازة بالخصوص في تطوان وفاس أكثر من غيرهما، وساد الاعتناء بها لعدة قرون من طرف القزازين إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) (معلمة المغرب، ج. 10 ص. 3389-3390).

عرفت دودة التوت تربية مكثفة عبر قرون عديدة ولا توجد منها حالياً وحدات تطبيق في الطبيعة. وقد فكر المربون في فرز واختيار أجود الضروب عن طريق التجانس، أشهرها الضرب الذي يعطي ثلاثة أجيال في السنة. تتميز الفراشة بلون أبيض مصفر وأحياناً أصفر ويحجم أشعث وأهلب، قصير ومكثف. تبلغ بسطة الجناحين حوالي 4 سم. يتكون الفم من أعضاء فطرية وتدوم مدة مرحلة الفراشة بضعة أيام فقط لا تتغذى خلالها، وغالباً ما تموت الإناث مباشرة بعد وضع البيض. تبيض الأنثى ما بين 300 - 400 بيضة زرقاء اللون وغالباً ما توضع في أماكن مسطحة مرتبطة ما بينها بمادة لزجة. تخرج الدودة من البيضة بعد عشرة أيام بطول لا يتعدى 6 ملمترات وتتغذى من أوراق شجر التوت وشجر الليمون ومن أوراق الخوص. إلا أن الديدان التي تقدم إليها أوراق التوت تعطي أجود خيوط الحرير. تدوم مرحلة الدود حوالي ستة أسابيع ويبلغ طولها حوالي 75 ملم ولونها رمادي مصفر وأحياناً رمادي مسود. بعد ذلك تتوقف الديدان عن الأكل وتشرع في إفراز خيط الحرير لتلفه حولها ثم تتحول إلى حورية (Chrysalide). تفرز كل دودة خيطاً واحداً يتراوح طوله في الغالب ما بين 300 - 900 متر. تدوم مدة مرحلة الحورية أسبوعين لتتحول إلى فراشة بعد تقطيع الخيط الملتهب حول الصلجة مما يجعل هذا الحرير غير صالح لصناعة النسيج. ولهذا السبب يلتجئ المربون إلى قتل الحوريات بداخل الصلجات وذلك بوضعها في الماء الساخن أو تحفظ بداخل الفرن. يحتفظ المربون بعدد قليل من الحوريات لتكتمل دورتها الحويوية وتعطي فراشات تبيض ثم تموت.

تشتغرق مدة القزازة Sériciculture - إنتاج الحرير الخام بتربية دود القز - حوالي شهرين تتطلب حضانة البيض بداخل خص وهي عبارة عن سقيفة من قصب (Magnanerie) لمدة أسبوعين تحت حرارة ترتفع تدريجياً وبانتظام خلال هذه المدة من 6 درجات مئوية إلى 25 درجة، وبعد التفقيس تقدم

للديدان أوراق التوت بصفة متواصلة طيلة شهر تقريباً. بعد ذلك تصبح الديدان مستعدة لفرز خيوط الحرير فيضع المربون بداخل الخوص أغصاناً وبراعم من الأشجار لتصعد عليها الديدان وتتخذ مكاناً لها لتنسج خيوطها وتصنع الكيس الحريري لمدة لا تتعدى أسبوعاً واحداً. من أجل تحقيق كلفم واحد من الحرير الخام يجب 5500 دودة.

يتطلب استخراج خيط الحرير من الأكياس (cocons) مهارة قوية. بعد تسخين الأكياس لقتل الحوريات وتحليل المادة اللزجة التي تجمع لفات الخيط حول الصلجات، غالباً ما تجمع 4 - 8 صلجات لإدماجها في خيط واحد يلف باعتناء كبير. ويعتبر قتل الحرير من التقنيات المتطورة، إذ تقسم طريقة القتل إلى أربعة أنواع: الكريب حريري رقيق (crêpe) ويتميز بقتل مكثف بمعدل يتراوح بين 16 - 32 دورة في كل سم، المفتول الحريري organsin، الخيط الوحيد الملتوي (fil unique tordue) والحبيكة أو النيرة (trame).

يقدر منتوج الحرير على الصعيد الدولي بـ 59.000 طن سنة 1940 و 19.000 طن سنة 1950 و 68.000 خلال الثمانينيات.

م. بوسلام، معلمة المغرب، ج. 10، ص. 3389 - 3390 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988.

Encarta 79, Encyclopédie Microsoft, 1997 ; G. Bustillo & M. Garnica, El gusano que fabrica la seda. Viola Sylvestre n° 55, (1985).

محمد خربوعة ومحمد رمضان

* * ارتبط بتربية دودة القز إنتاج الحرير الطبيعي كما ارتبط بغراسة شجر التوت، وارتبط إنتاج الحرير أساساً بارتفاع الطلب عليه من قبل فئة الأعيان ورجال المخزن وبعد ارتفاع المستوى المعيشي للسكان. بصفة عامة ابتداءً من العصر المرابطي والموحدي. وقد وردت في المصادر التاريخية إشارات مفادها أن مادة الحرير انتشر استهلاكها والإقبال عليها أكثر في العهد الموحد الذي اعتبر شطره الأول بحق عهد ارتفاع في المستوى المعيشي للسكان. ومن أبرز مؤشرات هذا الارتفاع تنوع الملابس والمنسوجات لدرجة أن الخليفة الموحد أبو يعقوب يوسف وابنه من بعده منع التمادي في لباس الحرير وغيره من مظاهر التأنق والبذخ بالنسبة للرجال (البيان، 3: 144 و 145).

منع الخليفة ذاك جاء على المستوى الرسمي بإصدار المراسيم والتعليمات، وعلى المستوى المباشر بتوبيخ وزجر المترددين على بلاطه من الرجال المتأنقين الرافلين في ثياب الحرير، ولعله أراد بذلك تحقيق هدفين: أولهما الحد من الفوارق بين الناس على الأقل على مستوى المظهر، وثانيهما وقف العبء المالي المكلف لبيت المال وللإقتصاد المغربي. فقد كان الحرير يستورد بالعملة الصعبة (دنانير الذهب)، ولم يكن المغرب في هذه الفترة منتجاً للحرير ولم

الرباط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980؛ ابن البناء المراكشي، رسالة في الأنواء، نشر وتصحيح Renaud Baris، 1948؛ م. حجاج الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

دودوم، Dudum مدينة مندثرة تكتب في الاغريقية تحت شكل Dou Thoum أو Dou Doum. هي إحدى مدن موريطانيا الطنجية، يحددها بطليموس حسب الإحداثيات التالية : خط عرض 15 وخط طول 31، وهذه الأخيرة تمكنا من تحديد موقعها بالتقريب.

حسب الباحث MC. Cathy قد يكون موقعها في إقليم نظيفة حيث قبائل "أيت مدجدين" قرب وادي لخضر أحد روافد تساوت الذي هو أيضاً من روافد أم الربيع. ويبقى موقعها مع ذلك مجهولاً لدينا ونجهل أيضاً ما إذا كانت قد تركت بقايا أثرية.

Mc. Carthy. *Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique*. R.A., 1887, p. 257.

عبد العزيز بلفايدة

الدَّوْرُ، (مصطلح صوفي) جماعة من الخدام والمريدين يجتمعون مرة كل سنتين لزبارة أضرحة وزوايا أوليائهم. ولعل أهم دور مازال مستمراً في المغرب هو دور رجراجة بمنطقة الشياظمة، حيث توجد بالمنطقة مدافن الرجال الرجراجيين السبعة وعدد كبير من الزوايا سواء الكبرى منها أو الصغرى.

يستمر هذا الدور قرابة أربعين يوماً، وبالضبط تسعة وثلاثين يوماً، انطلاقاً من مدينة (أسفي) ومروراً بمنطقة (الشياظمة)، إلى (الصويرة) ثم العودة إلى نقطة الانطلاقة.

لكل يوم من هذه الأيام محطته، أي زاويته أو ضريحه، ولكل زاويته أو ضريح مظاهر احتفالية خاصة ومتنقلة عبر أربع عشرة زاوية وخمسة وعشرين ولياً.

ويكون اليوم الذي يحل به الدور عبارة عن ملتقى للفرجة واللقاء بين أفراد القبائل الذين يأتون من خارج هذه القبائل وكذلك فرصة للتبرك من الشرفاء.

وإذا رجعنا إلى الأصول، نجد أن هذه الطائفة، أي (رجراجة)، كانت سباقة إلى نشر الإسلام. بل هناك من المصادر ما يذهب أبعد من ذلك ويؤكد أنه حين ظهر الإسلام بالمشرق سافر رجال رجراجة إلى الرسول ﷺ وأمرهم بنشر الإسلام وحمايته بالمغرب.

ومن أهم رجالهم نجد سبعة رجال، ولا نعني بذلك سبعة رجال الموجودين بمراكش، المنتسبين أصلاً إلى أربعة

يكن المخزن الموحيدي صاحب المبادرات الفلاحية مهتماً بالموضوع إذ لم تكن له معامل رسمية للنسيج (دور الطراز) (ابن خلدون، العبر، 1 : 266 و 267)، فالمنسوجات والأثواب الحريرية كانت تستورد من المشرق ومن الأندلس وإفريقية.

لما جاء بنو مرين واستولوا على السلطة في المغرب، تأثروا كثيراً بإمارة غرناطة، فأحدثوا معملًا للنسيج المخزني (دار الطراز)، واعتمدوا في كثير من المواد المستعملة في المشعل ومنها الحرير على الخارج؛ أما دخول غراسة شجر التوت وتربية دودة القز فلم تدخل المغرب إلا في القرن التاسع الهجري (15 الميلادي)، وقد أثار دخولها كثيراً من المشاكل والمنازعات بين المزارعين والمنتجين للحرير سجلتها كتب النوازل الفقهية (المعيار، 5 : 36-37-59-60-62-238.241 وج. 6 : 73 و 178 : 7 : 150 : 8 : 130).

تركزت غراسة أشجار التوت وتربية دود القز في ضواحي مدينة فاس. وقد تحدث الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا عن مدينة خميس مطغرة التي خربت في الحروب المرينية فأعاد الغرناطيون النازحون إلى المغرب تعميرها؛ فغرسوا التوت الأبيض لإنتاج الحرير، ونفس التجربة جرت في جبل أزگان (وصف إفريقيا، 1 : 281)، ونظراً لمحدودية الأشجار وقتلتها، كانت أوراق شجرة التوت تباع في الأسواق المحلية (المعيار، 5 : 238 و 241 : 6 : 73)، ووجد أشخاص يمتلكون أشجار التوت وليست لهم خبرة بدودة القز ويطلبون الشراكة فيه (المعيار، م. س.). وجاء عند ابن البناء في رسالة في الأنواء ص. 5 قوله : "وفي شهر فبراير تبدأ النساء بتحضير بيض دود الحرير في نحورهن"، وهي عادة معروفة عند البلدان ذات التقاليد العريقة في هذه الفلاحة. ويظهر النص إحدى التقنيات الدقيقة والمعقدة التي كانت تربية دودة القز تتطلبها، ولعل ذلك التعقيد هو الذي جعلها لا تنتشر في المغرب منذئذ، فأشجار التوت انتشرت بشكل كبير ونجدها في كل جهات المغرب اليوم، لكن هذا الانتشار لم يواز انتشار تربية دودة القز ولا في إنتاج الحرير بل ولم يواز حتى انتشار استهلاك فاكهة التوت الشجري.

إضافة إلى هذه العوائق، نشير إلى عائق أساسي كان أكثر تحكماً في الإنتاج أو عدمه، وهو الاستهلاك، الطلب والعرض. فهذا القانون الاقتصادي تحكمت فيه بصفة خاصة حياة الأعيان من رجال المخزن وعلية القوم، وبمستوى عيش مرتفع، وهذه شروط اقتطعها المغرب منذ نهاية الفترة الوسيطة الثانية. وتجدر الإشارة إلى أن تربية دودة القز وتصنيع الحرير ونسجه كان من اختصاص النساء (المعيار، الأنوار م. س.).

ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،

بيروت، 1948 وتطوان 1960؛ ع. الرحمن بن خلدون، العبر، ج. 1

و 6 و 7 (المقدمة) دار البيان بيروت بدون تاريخ؛ الونشريسي،

المعيار المغرب، الطبعة الحجرية، فاس، طبعة وزارة الأوقاف

من رجالات "رگراگه" الذين قدموا إلى حاحة من الأندلس، وهم "أضح" و"عقلمة" و"أردون" و"أرثون". وقد تناسل من هؤلاء الأربعة سبعة رجال وهم :

"سيدي واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة" (سلطان رجاجة).

"سيدي أبو بكر المسمى إشماس بن عكرمة بن غيب بن أبي خابية بن أمج"

"سيدي صالح بن أبي بكر إسماس".

"سيدي عبد الله الملقب بأدناس بن عامر بن دائم بن مجاهد بن أردن".

"سيدي عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرثن"

"سيدي يعلا بن واصل بن إسماعيل بن مروان بن علقمة"

ولعل هذا ما يذهب إليه الكانوني حين يقول : "وهذه القبيلة كانت لها فضيلة السبق لتلقي الإسلام بالمغرب. نبغ فيها رجال سبعة لهم ذكر في اعتناق الإسلام والدفاع عن حوزته. رئيسهم السيد واسمين دفين جبل الحديد..."

إجمالاً تكون الأضرحة خمسة وعشرين والزوايا أربع عشرة وهي : (إكراث) (تالمست) (أقرمود) (وتنانة) (أيت بوطريطش) (توريرت) (أيت بوالاعلام أغيسى) (مرامر) (تكتنت) (مرزوق) (أمزيلات) (سكياط) (أيت ياغزي).

أما عن الأضرحة، فنجد من أهمها ضريح "سيدي عبد الجليل" أو ما يسمونه (مول الواد الأخضر) الذي يوجد في (سبت تالمست) ويمر به واد يقصده الناس للتبرك والسياحة نظراً لموقعه في مناطق جبلية تجذب إليها الزوار. ويكون موسم مناسب كذلك لتلاقي أبناء المنطقة وحضور طريقي وطني وما يرافقهما من طقوس احتفالية ودينية معينة. نجد كذلك من أهم الأضرحة، ضريح سيدي أحسين مول الباب الذي عاش في القرن العاشر (16 م)، وإليه يرجع الفضل في تحرير مدينة أكويز من يد البرتغال، ويوجد هذا الضريح عند مصب واد تانسيفت.

مجمال القول فإن معظم أصحاب هذه الأضرحة هم أولياء وعلماء ومجاهدون ساهموا في حركات الجهاد ضد التسلط المسيحي. ولعل ما يلفت الانتباه في هذا الدور هو التبرك أو اقتناء "الباروك" الذي قد يكون عبارة عن شراء بعض المقتنيات، أو زيارة الشرفاء والشيوخ في خيمتهم وتقديم الهدية أو الفتوح أو "المرفودة" ثم بعد الدعاء، يتسلم "الباروك" الذي هو عبارة عن قر أو سكر...

وبعد خمسة وثلاثين يوماً من التنقل، يعود الدور إلى مرحلة انطلاقه لاقتسام الفتوحات والدعوات للجميع من أجل الحضور في الدور المقبل في ظروف جيدة.

مراحل الدور : يبدأ الدور "بسيدي علي بن أبي علي" غالباً يوم الخميس، حيث تلتقي الطائفة بالمقدمين، وكذا يوم الجمعة. أما ليلة السبت فيكون الدور بزاوية (كرات) ويوم

الأحد بسيدي "محمد بن عبد الجليل". أما الاثنين فينتقل الدور إلى "سيدي إبراهيم"، ويوم الثلاثاء يحط الدور بزاوية سيدي "عيسى أبي خابية". ثم يقصدون "سيدي أبي القاسم" يوم الأربعاء وبيبتون بدار "القائد الحاجي" أما يوم الخميس فيقصدون زاوية (رتنانة) ويزورون سيدي "إسحاق". أما يوم الأحد فيكون دور "سيدي منصور"، ويوم الاثنين "سيدي عبد البطاش" والمبيت يكون بزاوية "أقرمود" التي يكون دورها يوم الثلاثاء. وبيبتون يوم الأربعاء "بالجامع الأبيض". ثم يقصدون مدينة (الصورة) يوم الخميس، حيث يزورون "سيدي مكحول" ويمكثون يوم الجمعة والسبت. أما يوم الأحد فيصل الدور إلى سيدي "محمد واسمين" بقبيلة (الخنشان) ويصل يوم الاثنين إلى (لا لا توريدت) وأختها (لا لا البهية).

أما يوم الثلاثاء فيكون "سيدي أبي الامان" و"سيدي عبد الرحمان بن سعيد" و"سيدي سعيد بوغنبور" و"سيدي يعلى بن واطل". ثم يصل يوم الخميس إلى "سيدي عيسى مول التود". ويوم الجمعة يكون موعد الدور عند "أبي العلم" ويوم السبت (بزاوية مرزوق). ويوم الأحد رباط (سكياط) المعروف بلا لا بيت الله. أما يوم الاثنين فيزورون "لا مزلات". ويوم الثلاثاء يصلون إلى سيدي "أحمد الشنتوف". ويوم الأربعاء يصل الدور إلى (صورة أمرام) بقبيلة الحارث. أما يوم الخميس فيصل الدور إلى سيدي عبد الله "مول الغيران" بقبيلة (المدارعة). ويقصد يوم الجمعة سيدي "محمد بن إبراهيم". ويوم السبت "سيدي العربي". ويوم الأحد يصل إلى سيدي "سعيد" السابق. ويوم الاثنين يذهبون إلى (مسكالة) ومنها يقصدون "سيدي عبد الله بن سعيد" يوم الثلاثاء، ثم إلى "سيدي عبد الله بن واسمين". ويصلون يوم الجمعة إلى "سيدي علي المعاش" بسوق الأحد وفيه تلتقي الجموع وتتوزع الفتوحات.

البشير عبد الله بن محمد، السيف السلولى فيمن أنكر على الرگراگين صحة الرسول #، مطبوعات معهد الشعب الإسلامى، الصورة، 1987 : محمد الصديقي، إيقاظ السرية بتاريخ الصورة : أحمد الرجراجي، الشمس المنظيرة في أخبار مدينة الصورة : محمد بن أحمد العبدى الكانوني، أسفى وما إليه قديماً وحديثاً.

علال رگوگ

الدور (في الموسيقى)، مجموعة من النقرات الموقعة بالكف أو بإحدى الآلات النقدية، تلتزم على نحو متين لتشكل وحدة زمانية أساسية للهيكل الإيقاعي الذي تقوم عليه الجملة الموسيقية في طرب الآلة، يتوالى أداؤها وفق أنساق تتعدد وتختلف بتعدد الميازين واختلافها، فتأتي منفصلة أو متصلة أو ساكنة، كما تأتي قوية أنا وضعيفة أنا آخر، بطيئة طورا وسريعة آخر، ومن توالي الأدوار تستقيم الجملة الموسيقية الواحدة.

ولأهمية الأدوار في أداء الحان الموسيقى الأندلسية وضبط ميازينها عمد محمد بن الحسين الحايك في كتابه إلى وضع أرقام في مستهل كل بيت من أبيات الضمات يرمز إلى عدد أدواره، فكانت ترى الموسيقيين إذا تنازعوا في عدد أدوار شغل - مثلاً - ترافعوا لذلك الكتاب حكماً بينهم، على حد تعبير عالم الرباط سيدي إبراهيم التادلي. وعناصر الدور ثلاثة تختلف أسماؤها باختلاف الأداة المستعملة لإحداثها. فهي بالنسبة للدربوكة : الدمة والتكة والسكتة، وهذه مصطلحات شرقية أصبح تداولها شائعاً بين أرباب طرب الآلة في السنين الأخيرة، وهي بالنسبة للطراندة والزنج والفاصلة، وبالنسبة للتوسيد اليدوي الندفة والندفة والفاصلة. وتعني على التوالي : النقرة القدية، والنقرة في حاشية الطر باليمن، والنقرة في حاشيته باليسرى.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، سلسلة عالم المعرفة، 1983، ص. 212، الكويت : معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الرباط، ص. 22.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دُوراث Dorath، إحدى المدن الداخلية بموريطانيا الطنجية، يوطنها بطليموس (IV, 1, 15) بين خطي عرض 31°15' وخط طول 1°9'. وبالتالي فهي توجد بين وادي أم الربيع وتانسيفت. ويبقى مكانها مجهولاً بالنسبة إلينا وإذا كانت قد تركت بعض البقايا الأثرية فيجب البحث عنها في هذا الاتجاه.

Ptolemée, *Géographie*, IV, 1, 15 ; Denau, *Dorath*, R.E., col. 1551 ; R. Roget, *PSAM*, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, *Africa Antiqua, Lexique de géographie comparée de l'Afrique ancienne*, R.A., 1887, p. 255.

عبد العزيز بلقايده

الدُّوراث (سد -)، شُيِّد ما بين سنتي 1946 و1950 على نهر أم الربيع الذي يعد أطول وأهم الأنهار المغربية انتظاماً وتهيئة، ويقع بين سد إمفوت (1939 - 1944) الذي يبعد عنه بخمسين كيلو متر، وسد سيدي سعيد معاشو (1925 - 1929) في السافلة، أي عند نقطة التقاء أربع وحدات طبيعية، وهي سهل دكالة وكتلة الرحامنة وسهل الشاوية وهضبة الفوسفاط.

تمثل أهم خصائص سد الدوات في كونه مبنياً بالخرسانة ومجهزاً بثلاثة أسكار لتفريغ 3500 م³ كحد أقصى، وكذا في امتداده على مسافة 125 م طولاً و40 م ارتفاعاً، واتساع بحيرته على مساحة 28 كلم². ويتميز موقع الدوراث بانعدام أي رافد يذكر أو أي فرشة مائية لها أهمية على نطاق واسع. بل يتعلق الوادي وتساوثر

منعطفاته (دوراته) على مسافات طويلة. كما أن وجوده في وسط المجرى الأدنى من النهر لم يؤهله لري سهل دكالة الذي استأثر به سد إمفوت في الأول ثم سد المسيرة فيما بعد.

لقد كان الهدف من بناء سد الدوراث إمداد الجديدة على الخصوص بالماء الصالح للشرب، ولا سيما إنتاج الكهرباء، طبقاً لسياسة التصنيع وعقب التمددين السريع الذي شهدته الأقاليم المجاورة بعد الحرب العالمية الثانية. فكان يحظى بمكانة أكيدة وسط السدود المغربية وفي حوض أم الربيع، لكنه ابتداءً من نهاية السبعينيات أخذ يفقد أهميته، حيث نزل إنتاج الكهرباء من حوالي 100 مليون كيلواط في الساعة سنوياً إلى حجم متواضع يقل عن 10 ملايين كيلواط. بذلك فرق كبير بينه وبين إنتاج سدّي إمفوت والقصة الزيدانية، حتى إن التصميم المديرى لنهر أم الربيع (1976) جعل منه بالأساس مصدر تزويد ساحل الجديدة بالماء المنزلي والصناعي.

ومنذ أواسط الثمانينيات تم بالفعل مد قناة من طرف المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، قطرها 800 ملم تربط بحيرة السد بالجرف الأصفر لسد حاجيات الميناء والمركب الصناعي ثم بعض القرى الموجودة في الطريق وكذا مولاي عبد الله ثم سيدي بوزيد والجديدة.

م. عساد، أم الربيع (نهر -)، إمفوت (سد -)، معلمة المغرب، جزء 3، 1991.

J. Coup, *L'Oum ErRbia*, Trav. Ins. Sci. Cher., N° 9, Rabat, 1960 ; A.N.A.F.I.D., *Spécificités de l'aménagement hydro-agricole au Maroc*, Rabat, 1979 ; SDAR du Groupement du Grand El Jadida, *Rapport de synthèse*, 1983.

مصطفى عياد

دوردوس Dourdous جبل ذكره الجغرافي بطليموس : Ptolémée, 4, 1, 6. واعتبره من بين الجبال الهامة في موريطانية الطنجية، قائلاً : "ويوجد فيها القسم الغربي من دوردوس حسب الإحداثيات التالية : الطول 10 درجة والعرض 29 درجة و30".

ظن شارل تيسو أن الأمر يتعلق بالقسم الشرقي من سلسلة جبال الأطلس المتوسط، حيث ينبع نهر ملوية. ولا حظ أن هذه المرتفعات تمتد في غرب الجزائر، حسب ما يوحى به وصف بطليموس لجبل دوردوس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

محمد مجدوب

الدورو Duro، كلمة إسبانية تدل في الاستعمال الإسباني في مجال العملة على القطعة الفضية الكبيرة من خمس بسيطات، بينما يطلقون اسم الريال على قطعة

صغيرة هي البليون، وهو جزء واحد من عشرين جزءاً من الدورو، فالريال يساوي عشرين بليوناً، لكن في الاستعمال المغربي لا يوجد فرق بين الدورو والريال، ونتيجة لهذا الفرق في الاستعمال وقعت مناقشة هذا الاختلاف أثناء تحديد غرامة حرب تطوان سنة 1860 وقد نُص في معاهدة الصلح على مختلف المصطلحات لتحديد قيمة الدورو، فجاء في البند التاسع "أن عشرين مليون دورو هي أربعمائة مليون من الريال البليون" وما يزال المغاربة إلى اليوم يستعملون كلمة الدورو لقطعة خمس سنتيمات في مناطق الريف والمغرب الشرقي، بينما يستعملون كلمة الريال في مختلف جهات المغرب بعد استعمال الدرهم كوحدة أساسية للعملة المغربية.

م. داود، تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، تطوان، 1964، ج. 12، ص. 284؛ ع. أفا، مسألة النقود في القرن التاسع عشر، ص. 138 و402.

F. Mateu Y Llopis, Nota para estudio de los orígenes del sistema monetario Español, Numisma, Madrid, ano. 14, nº 67, Marzo - Abril, 1964.

عمر أفا

دوري، Paul Doury، ضابط فرنسي كانت له أدوار ريادية في غزو المغرب من جهة واحات الجنوب الشرقي، ولد سنة 1867 وتخرج من مدرسة سانسير العسكرية سنة 1889 وحصل على رتبة ملازم سنة 1891. ثم التحق بمصلحة الشؤون الأهلية بالجزائر فاشتغل في جلفة والعريشة وأولاد جلال ابتداء من 1895. وفي سنة 1897 أسندت إليه قيادة فرقة من الكوم على الحدود الجزائرية المغربية. وفي أبريل 1902 حصل على رتبة قبطان وحرر مقالا عن المغرب أثار انتباه الأوساط المعنية. ثم إنه اشتغل مع ليوطي ابتداء من سنة 1904 فكلفه بقيادة ملحقة بني عباس مع قيادة الفرقة الصحراوية لوادي الساور، ثم عينه على رأس مكتب بشار مع المسؤولية عن نفس الفرقة العسكرية التي أصبحت بمثابة سن الرمح في غزو التراب المغربي من تلك الجهات، فكانت هي المسؤولة عن هجوم غارة الضويفة (31 دجنبر 1904) وغزوة تافلات (نونبر 1906) ومعركة المنابهة (16 أبريل 1908) والجرف (7 شتنبر 1908) والهجوم على بني جيل (دجنبر 1908) مما أنال دوري ترقية سريعة وأكسبه معرفة موثقة بتضاريس المنطقة وشؤونها. وتجلى ذلك في ما نشر له في مجلة لجنة إفريقيا الفرنسية عن سكان ناحية بشار، وفي المقال الذي كتبه عن المسالك من "جير إلى موريطانيا" بناء على ما كان قد استقى من المعلومات من رُحال أولاد جرير وذوي منيع. وكان ذلك إشارة إلى ما كانت الجيوش الفرنسية تروم إليه من تطويق المغرب من جهة الجنوب.

ثم إن دوري عين قائدا على دائرة مشرية في مارس

1914 إلى أن ألح ليوطي ليلحق بالمغرب فأسند إليه قيادة منطقة بوذنيب في 11 يونيو 1915 وبعد ذلك بقليل حصل دوري على رتبة ليوطان كولونيل (أبريل 1916). ومنذ أن أمسك بزمام الأمور هناك وهولا يفكر إلا في أمرين: الربط بين بوذنيب ومكناس عبر الأطلس المتوسط واحتلال واحة تافلات بكاملها. فبخصوص الأمر الأول، استطاع دوري أن يحدث مراكز احتلالية ثابتة في بني تاجيت وتالسينت والريش وقصر السوق، مما مكنه من ربط الاتصال بجيوش مكناس التي زحفت في اتجاهه بقيادة الجنرال پويميرو (Poemyreau) فأحدث مركز ميدلت بالمناسبة. وسهر على ربط الاتصال أيضا بمنطقة وجدة عبر ميسور والنجد الشرقية، وكل ذلك في غضون 1917 أما بخصوص تافلات فإنه بادر إلى مهاجمتها، لكن المجاهدين الفيلاليين تصدوا له بكل قوة في معركتي مسكي (9 يوليوز 1916). والمعاضيد (16 نونبر 1916) ولما تم الربط مع مكناس ظن دوري أن تافلات هان أمرها فأقام مركزا ثابتا بتيغمارت غير بعيد عن الريصاني وأسند مهمة التجسس فيه للترجمان أوسطري (Oustry)، إلا أن المقاومة سرعان ما تصدت لذلك حيث قتل أوسطري وانتظمت صفوف الجهاد بقيادة مُحَا نيفروتين وبلقاسم النكادي، وكيلت ضربات موجعة لجيوش الاحتلال في معركتي الكاور (9 غشت 1918) والدار البيضاء قرب تيغمارت (دجنبر 1918) فلما علم ليوطي بتلك الهزائم أدرك أن تحركات دوري كان من شأنها أن تنتهي بالحماية الفتية إلى ما لا تحمد عقباه فقرر الجلاء عن تافلات، وأبعد دوري عن المسؤولية في المغرب. وهكذا عاد هذا الضابط إلى الجزائر حيث عين قائدا لبعض فرق الرماة الجزائريين بمستغانم ثم بعد حين من ذلك فضل التقاعد المبكر وأقام في الجزائر يشتغل بالكتابة عن عمليات التمهد.

Bulletin de Comité de l'Afrique Française (B.C.A.F.), 1916 - 1917 - 1918 - 1919 ; Les opérations militaires au Maroc, Paris, 1931 ; R. Peyronnet, Livre d'or des officiers des affaires indigènes, Alger, 1930.

إبراهيم بوطالب

دوريزة Douriza، اسم مرجة Lac أو Lacum في اللغة اللاتينية. إن مرجة دوريزة هي من بين الأسماء القليلة التي تعرفنا على المعالم الجغرافية في المغرب القديم، الذي كان يدعى مورويسية Maurusia عند الكتاب الإغريقين، أو موريطانية Mauretania عند اللاتينيين.

إن الشاعر هوميروس Homère في القرن التاسع قبل الميلاد، وبعده الشاعر هيسودوس Hésiode في القرن الثامن أو بداية القرن السابع قبل الميلاد، قد تحدثا في روايات أسطورية عن الأطلس كمعلمة جغرافية أو على أنه كائن بشري. لكن المواقع الجغرافية الدقيقة التي وردت ضمنها مرجة دوريزة، مثل تينغي Thingué (طنجة

Scylax, 112. وفي ظني أن هذه المرجة التي ذكرها سكولكس، والمرجة الأولى التي ذكرها حنون قبل واد لكسوس، كلاهما ينطبق مع مرجة دوريزة.

تصدى تيسو في تحرياته الميدانية، لفكرة كُتاب سبقوه ظنوا أن مرجة كيفسياس هي مرجة رأس الداورة. واعتبر أن الوصف الجغرافي في رحلة سكولكس جد دقيق، لكونه حصر موقع المرجة بين رأس سبارطيل وواد لكسوس. ولذلك اقترح أن المرجة تتكون من أحواض المجاري المائية بين تاهدارت ولمحرر : Tissot, *Recherches*, p. 193 - 200. إن الباحث غراس : (Gras, *La Mémoire de Lixus*, p. 39) اهتدى مؤخراً برأي تيسو، فجعل المرجة في مصب واد تاهدارت والمنخفضات المتصلة بها، ثم اعتبر واد أنيديس هو واد غاريفة، مؤيدا في ذلك رأي ديزانج في الكتاب الذي خصه لدراسة مصادر الرحلات القديمة حول إفريقيا : (Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique). أما الجغرافي سترابون، فقد أشار إلى أن موروسية تكثر فيها المراتج، دون ذكر أسمائها : 4, 3, 17. Strabon. ثم تحدث بلينيوس الشيخ بدوره عن مرجة كيفسياس قرب المحيط، مبينا أن المورين يدعونها باسم Electrum، وهي مادة تتكون طبيعيا وتتجمع فوق مياه المرجة حسب الكاتب : Plin l'Ancien, 37, 78.

خلاصة القول، إن التساقطات المطرية الغزيرة التي اشتهرت بها موريطانية، كانت تتجمع في أحواض الوديان بالشمال الغربي من المغرب، خاصة بين مصب تاهدارت وسيو. ولقد لفت ذلك نظر القدماء المهتمين بجغرافية المغرب القديم. ويتضح أن العلم بمرجة دوريزة منذ القرن السادس قبل الميلاد، يدل على أن للمغرب القديم حضوراً في الحقل المعرفي، للحضارات التي تكونت في بلدان البحر الأبيض المتوسط.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Desanges, *Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978 ; Idem, *Commentaire de Plin l'Ancien*, Livre 5, Paris, 1980 ; *Lixus dans les sources grecques et latines*, 1992 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le bassin du Sébou, 2, le Périple d'Hannon*, B.A.M. 16, 1985 - 6 ; M. Gras, *La mémoire de Lixus, de la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens*, Rome, 1992.

محمد مجدوب

دوشلار، پ - پ Du Chalars (Priam - P.) وُلد سنة

1590 بإحدى القرى بضاحية بورردو الفرنسية، من والدين كانا ذوي صلة بالأسرة الملكية الحاكمة وقتئذ، مما جعلهما يتبوأن مكانة شرف ونيل وتقدير بفرنسا - ذلك ما أتاح للابن بريام - بترس ولوج المدرسة الابتدائية التي كانت الكنيسة تهيمن عليها، ثم بعد ذلك اندرج في سلك التكوين العسكري الذي لم يكن مفتوحاً إلا في وجه أبناء

الحالية)، فجدّها عند الكاتب الإغريقي هيكتاتي الميلتي Hécateé de Milet الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. ينتسب إلى مدينة ميليتة الواقعة في إقليم إيونية Ionia في آسيا الصغرى، حيث تستوطن جاليات إغريقية. حسب هذا الكاتب إن مرجة دوريزة تقع في ليبية (الاسم القديم لقارة أفريقية)، بجوار نهر لكسوس Lixos وهو واد للكوس حاليا.

إن الباحث ديزانج في إحدى مقالاته الأخيرة (Desanges, *Lixus*, p. 3) يرى تطابقاً بين كلمة دوريزة وأسماء قديمة لمعالم جغرافية وردت عند بعض الكتاب المتأخرين عن هيكتاتي الميلتي. يتعلق الأمر باسم "ديريس" Dyris أو "دورين" Durin أو "أديريس" Addiris أو "ديور" Diour. (انظر مادة ديرييس Dyris). ويرى الباحث نفسه، في تعاليقه وشروحه للكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بتحقيقه وترجمته، أن هناك تقارباً بين هذه الأسماء القديمة، وكلمة "أدرار" التي تجمع على "إدرارن" ومعناها الجبل Desanges, *Commentaire de Plin*, p. 133.

بعد هيكتاتي الميلتي تواترت الأخبار عن عدة مرجات بأسماء أخرى في المغرب القديم، في مجال يتضمن الجهة التي ذكرت فيها مرجة دوريزة، وذلك بين رأس صوليس Soleis (رأس سبارطيل) وحوض واد سيو. أغلب المعلومات حول هذه المراتج تجعلها في مصبات الوديان حيث تتحول إلى مرجات، أو هي مرجات تخترقها الوديان أو تنطلق منها في المتبع.

إن حانون القرطاجي في رحلته حول السواحل الأطلسية من المغرب القديم، تحدث عن مرجة لم يذكر اسمها قائلاً : "بعد رأس صوليس، حيث أقمنا مذبحاً لبوسدونوس Poseidonius، أبحرنا مدة نصف يوم حتى وصلنا إلى مرجة قريبة من البحر، بغمرها قصب كثير وشديد العلو". وفي سياق آخر ذكر ما يلي : "انطلاقاً من جزيرة كيرني Kerné أبحرنا بسفننا في نهر يدعى خرّيس Chrétis، ثم وصلنا إلى مرجة تطل عليها مرتفعات يجوها أناس متوحشون، كانوا يضربوننا بالحجارة لمنعنا من الرسو" Périple d'Hannon, 4 et 9.

حسب إحدى الدراسات الأخيرة حول جزيرة كيرني، يرى رويوفا أن واد خرّيس هو سيو، وأن المرجة المشار إليها تتكون من فيضانات واد سيو، التي كانت تغمر مجراه قديماً في سهل الغرب قبل مصبه. Rebuffat, *Recherches*, p. 263 - 66.

وفي رحلة أخرى ذكرت مرجة تدعى كيفسياس Kêphésias بجوار مدينة بونتيون Pontion، فيها أعشاب من بينها القصب، وتعيش فيها طيور تدعى Méléagrides وهي لا توجد في أية بقعة أخرى من العالم حسب الكاتب. وفي ذكر صاحب الرحلة لواد أنيديس Anides، قال إنه يصب في مرجة كبيرة وذلك قبل واد لكسوس، Périple de

أعيان البلد من المصطفين ممن يحظون بعطف الحكام. وتخرج دوشلار ضابطاً في البحرية الحربية سنة 1626، فأُسندت له قيادة سفينة تابعة للأسطول الفرنسي الذي كان بدوره تحت القيادة العامة للأخوين : إسحاق وجبريل رازيلي.

كانت العلاقات يومئذ متوترة للغاية بين النظام المغربي الرسمي وبين فرنسا بسبب أعمال القرصنة في مياه سلا من جهة، وأسر العديد من الفرنسيين، ومن بينهم أفراد من كبريات العائلات الفرنسية - الذين تمّ اعتقالهم على اثر "اختطاف" السفينة الفرنسية التي كانت تحمل خزانة زيدان من أسفي إلى أكادير من جهة أخرى.

واتفق أن قرّر الوزير الأول الفرنسي، المطران ريشوليو (Richilien) - في عهد الملك لويس 13 - إرسال أسطول بحري حربي إلى المغرب للضغط على القراصنة السلاويين وعلى عبد المالك السعدي - الذي تولّى الحكم بعد وفاة والده زيدان - في يونيو 1629، وكانت ضمن الأسطول سفينة "لارونومي" تحت قيادة الضابط دوشلار (بريام - بترس).

ووصل الأسطول إلى سلا يوم 20 يوليو، فبعث رازيلي بإنذار شديد اللهجة إلى العياشي الذي لما يمض على تأسيس ديوانه الحاكم بحوض أبي رقراق وتامسنة إلا عام ونيف - قرّر العياشي على الانذار بخطاب توعد فيه النصارى بالويل والثبور، وذلك ما دفع قائد الأسطول الفرنسي إلى ضرب الحصار البحري على سلا، ثم ابتعد عن المكان متوجّهاً إلى المعصورة التي كانت وقتئذ تحت الاحتلال الإسباني، وأوفد دوشلار إلى أسفي حيث يقيم عبد المالك بن زيدان خلال الصيف، وكان الهدف من هذه البعثة مفاوضة السلطان في تبادل الاسرى بين الجانبين وعقد معاهدة سلم.

غير أن عبد المالك لم يبد أية رغبة في التفاوض والحصار مضروب على سلا، فراح ينتهج سياسة التسويف إلى أن عرّض على ديوان سلا هدنة ستة أشهر ابتداء من مستهل أكتوبر من نفس السنة واقلعت السفن الفرنسية راجعة إلى فرنسا خوفاً من مغبة تمديد رسوها بالمياه المغربية علماً أن أصعب الفصول ملاحه كان الخريف والشتاء وقبل أن يرحل دوشلار عن أسفي أبى إلا أن يقدم هدايا إلى عبد المالك بن زيدان فقبلها على مضض.

وبالفعل، عاد دوشلار إلى المغرب في مهمة ثانية حيث رست سفينته الحربية "لارونومي" يوم 23 يوليو 1630 أمام سلا ضمن أسطول حربي تمكّن بسرعة من الاستيلاء على ثلاثة مراكب في ملك مجاهدي سلا، وذلك ما حملهم على التفاوض، وكان دوشلار هو الذي يقود المفاوضات من جانب الطرف الفرنسي. وقد أحرز تقدماً كبيراً وتوصّل الجانبان إلى اتفاق في عدة قضايا وأبرما معاهدة هدنة بينهما لمدة سنتين، وذلك بدءاً من 3 شتنبر 1630.

بعد ذلك، رحل دوشلار إلى أسفي آملاً في التوصل

إلى اتفاق حول الأسرى الفرنسيين. لكن عبد المالك كان يماطل، فأقدم الأسطول الفرنسي على حجز سفينة كانت في ملك اليهود أولاد بلياش (انظر بلياش، معلمة المغرب، ج 4، ص. ص 1372 - 1373). وأذكر أنه كان لهذه الأسرة اليهودية حظوة كبرى لدى الملوك السعديين، انطلاقاً من زيدان بن أحمد المنصور.

قام أولاد بلياش بمساع كبرى لدى عبد المالك الذي تنازل للتفاوض بدون مقابل في موضوع الأسرى الفرنسيين. واستغرقت المفاوضات عدة أسابيع لم تسفر معها على نتائج ترضى الجانب الفرنسي. وكان الخريف على الأبواب، فقرّر قائد الأسطول الفرنسي العودة إلى قواعده. إلا أن عبد المالك أطلق سراح هؤلاء الأسرى الذين قادهم من مراكش إلى أسفي القائد يحيى الجناتي، الذي لما وصل إلى أسفي، وجد أن سفن البعثة الفرنسية قد أبحرت قبل ذلك بثلاثة أيام.

واغتاز عبد المالك وهو يحصّل المسؤولية دوشلار وقائد الأسطول الفرنسي وأعرب عن احتجاجه وسخطه إلى ملك فرنسا ملتصماً منه اتخاذ الإجراءات الضرورية ضدّ الذين "لم يقيموا وزناً لملك المغرب وزاغوا عن أوامر ملك فرنسا". وفي مستهل صيف عام 1631 أوفد لويس 13 بعثة ثالثة لتهنئة الوليد الذي اعتلى عرش المغرب خلفاً لشقيقه عبد المالك الذي قُتل قبل ذلك بأشهر - ولمواصلة المفاوضات حول الأسرى وإبرام معاهدة صلح بين البلدين. وضمت البعثة مرّة ثالثة دوشلار ودومولير الذي كانت له تجارب وخبرة في الحقل الدبلوماسي.

وتوصل دوشلار ورفيقه إلى حلول مرضية مع الوليد، حيث تمّ تسليم الاسرى المغاربة الذين كان الفرنسيون يشغلونهم عبيداً في التجديف لسفنهم، وتسلم دوشلار الأسرى الفرنسيين الذين أخذ الوليد يشغلهم عبيداً في ورش قصر له بأيير التي حملت فيما بعد اسم "الوليديّة" إضافة إلى ذلك، أبرم الطرفان معاهدة صلح وحسن المعاملة بينهما.

واغتتم دوشلار هذه الرحلة فأنزل كمّيات هامة من البضائع، باتفاق مع داود بلياش الذي سلّمه وثيقة ترخّص بترويج تلك البضائع. وللتذكير فإن داود بلياش كان وكيل الملك في التجارة ومديراً لشؤون الميناء والديوانة علماً أن التجارة الخارجة كانت حكرّاً على الملوك. ومن يريد من الأجانب أن يتجرّ في المغرب، لم يكن له غنى عن إذن الملك. أمّا دوشلار فإنه أمّن قنصل فرنسا بأسفي بترس مازي (P. Mazet) على متابعة ترويج البضائع واختزان ريعها إلى أن يوفد له مبعوثاً لاستخلاصه.

وبالفعل، في غضون سنة 1632 حل بأسفي المبعوث لهذه الغاية وطالب أو وطلب من القنصل الفرنسي أن يسلمه ما حصل من المبيعات وقد نفدت البضائع كلها. هنالك وقع خلاف بين المبعوث الفرنسي المسمى Du Puy

وبين بلياش من جهة - لأن اليهودي لم يستخلص نصيبه من الصفقة مقابل الترخيص - وبين القنصل الفرنسي من جهة أخرى الذي لم يكن على علم بارتشاء اليهودي بلياش - وبلغ صدى هذا الخلاف إلى الوليد الذي اكتشف أن داود بلياش زور الترخيص وانتحل إمضاءه، واتَّهم القنصل الفرنسي بالخيانة لأمانته ومهمته وتجاوز اختصاصاته والتلاعب بالأوراق الدولية. مشيراً إلى ما تنص عليه الاتفاقية المبرمة قبل سنة بين المغرب وفرنسا والتي ساهم دوشلار في صياغتها وتوقيعها.

ويسبب هذه الاتهامات أمر الوليد باعتقال القنصل الفرنسي ومبعوث دوشلار وإيداعهما السجن، فحبساً بمنزل كبير داخل المدينة العتيقة بأسفي بزقاق أخذ يسمّى منذ ذلك العهد إلي يومنا بـ "درب الحبس" كما أن المنزل المذكور تحوّل إلى سجن قام بوظيفة الحبس إلى أن استرجع المغرب استقلاله إلا أن البناء هرم واهترى وانهارت جدرانه ولا تزال ركاماً حيث وقعت. وزيادة على اعتقال الفرنسيين المذكورين، رخص الوليد باستئناف أعمال القرصنة ضد المراكب الفرنسية. أمّا داود بلياش فإنه اختفى.

إلا أن الحكومة الفرنسية لم تطلق هذه الأوضاع الجديدة فأرسلت إلى الوليد سنة 1634 سفارة أخرى برئاسة دوشلار الذي اكتسب خبرة في العلاقات الدولية خصوصاً مع المغرب. فحمل هدايا إلى الملك وفوجاً من الأسرى المغاربة كان بحارة فرنسيون - وغيرهم - يختطفونهم من الشواطئ، كما حمل في حقائبه أموالاً لاقتداء فرنسيين آخرين كانوا في قبضة تجار سلاويين وفاسيين، وسمّحت له حكومته باقتراض أموال أخرى بالمغرب عند الضرورة لتحرير كل الفرنسيين حتى لا يبقى منهم أحد عبداً أو أسيراً.

وطالت المفاوضات لأن الجانب المغربي لم يكن راغباً في التعجيل بانهاؤها لا سيما وأن الظروف السياسية والاقتصادية المحلية كانت تمرّ بمرحلة صعبة ذلك لأن الانفصاليين، على اختلاف مذاهبهم ومقاصدهم، انفردوا بالسلطة هنا وهناك عبر التراب المغربي وكأني بالوليد الذي كان يمثل السلطة الشرعية داخلياً وخارجياً، لم يكن يتوقّر على كامل الصلاحيات للتفاوض مع النصارى والتنازل لهم عن شيء.

وأطل عام 1635 على دوشلار وهو يتنقل بين أسفي ومراكش وسلا. وفي شهر يونيو من هذه السنة، رسّت سفينة انجليزية بأسفي وبقيت رايتها مرفوعة ترفرف على الميناء. عندها تدخل دوشلار وطالب "القبطان" الانجليزي بانزال رايته فأبى، فبعث إليه بإنذار فرفضه. عندئذ قصف دوشلار السفينة الانجليزية، فألحق بها أضراراً وقتل ربابها. ربما كان لهذا العمل تأثير على الوليد. وما من أحد يتذكر أن معركة بحرية بين أجانب وقعت في المياه المغربية. واستؤنفت المفاوضات ونجح دوشلار في اقتداء الأسرى الفرنسيين، وتساهل الدلايون والسلاويون، وكل طرف حقق

مقصده وعادت الأمور إلى حالة هادئة بين المغرب وفرنسا، وذاع صيت دوشلار في الأوساط الأوربية الرسمية ولدى أصحاب المراكب التجارية.

اهتمت بريطانيا العظمى بموضوع دوشلار، فغفرت له ما صنعه بأسفي ضد إحدى سفنها، واستدرجته لتحرير رعاياها الأسرى المحتجزين لدى الدلايين وأصحاب العياشي بسلا، ووعدت بأنها ستوافيه بعشرة آلاف ابرة من الذهب لصرفها في اقتداء الأسرى، إلا أن ذلك لن يتم قبل موافقة مجلس اللوردات على هذا المبلغ، وأن عليه، إن شاء، أن يقدم تسبيحاً من خزانته ريثما يتوصّل بالمال الموعود.

وأسكرت نشوة الفوز والشهرة الضابط - الدبلوماسي دوشلار، فاقترض المال الضروري من إحدى المؤسسات الفرنسية وحرّر الأسرى الانجليز في غضون أربعة أشهر من المفاوضات والمزايدات حتى إن السلاويين وغيرهم ظنوا أن صاحبهم يتوقّر على ما كان لقارون من الكنوز، وكان صاحبهم هذا، يتباهى بحظوته لدى ملك فرنسا وبلاط بريطانيا العظمى.

غير أن دوشلار لم يتوصّل بشيء من الحكومة البريطانية لأن تركيبها تغيّرت أثناء عمليات الاقتداء ولم يصوت مجلس اللوردات على المشروع.

وولّى دوشلار عائداً إلى فرنسا في نونبر 1635، فتقدّم إلى البلاط الفرنسي بتقرير عن رحلاته كلها، مطالباً باسترداد الأموال التي اقترضها بالمغرب، طبقاً لتعليمات الحكومة الفرنسية، قصد اقتداء كل الأسرى الفرنسيين. فما كان جواب لويس : 13 إلا أن وجّه إليه تهمة خطيرتين، الأولى أنه انتهك سيادة المغرب عندما هاجم سفينة أجنبية في أحد موانئه (أسفي)، وحيثما كانت المهمة التي أنيطت به هي تحرير الأسرى الفرنسيين لا غير وتطبيع العلاقات بين القطرين. أما اللجنة الثانية فانها تتجسّم في تعاونه مع بلد بينه وبين فرنسا عداوة تقليدية متجذّرة في الزمان. من أجل ذلك اقتضى أمر الملك أن يُودع دوشلار في السجن لمدة غير محدودة.

وعلى إثر تدخلات لدى الملك نظرت محكمة في أمره بعد شهرين من السجن، وحكمت عليه بعدم الإقامة في باريس وما جاورها لمدة سنة، ووجوب أداء ما عليه من ديون مقدّرة بأربعين ألف ابرة ذهب لمستحقيها من التجار الذين أقرضوه هذه الأموال لتحرير الأسرى الفرنسيين والبريطانيين معاً لأنه ارتكب تجاوزات وخروقات.

أ. الناصري، الاستقصا، ج 6 : م. حجي، الزاوية الدلانية : أ. بنجلون، من تاريخ أسفي، مخطوط.

Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, France - Saâdiens, T. III ; H. Terrasse, Histoire du Maroc, T. 2 : A. Cour, L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc.

أحمد بنجلون

دوطي أو دوتي إدمون E. Doulté من أبرز من تخرج من "المدرسة الإدارية الجزائرية" فهو واضع هذه العبارة التي تشير إلى كل أولئك الذين التحقوا بإدارة الجزائر المحتلة من الموظفين الفرنسيين فتعلموا العربية والأمازيغية وخبروا شؤون المجتمع الإسلامي هنالك حتى إذا جاء دور المغرب ليلحق بالامبراطورية الفرنسية أندس عدد منهم عبر البلاد يستخبر ويجمع المعلومات ويقترح ويقترح الخطط التوسعية على المسؤولين في تقارير مستفيضة تنقع فيما بعد فتتشر على صفحات الدوريات أو تصدر في كتب ضخمة. وكان إدمون دوطي خير مثال عن هذا الصنف من المتجسسين الذين رفعتهم الخبرة الميدانية إلى مستوى العلم والتنظير.

فإنه ولد سنة 1867 في فرنسا واتجه أول الأمر إلى دراسة العلوم الطبيعية إلى أن كتب له أن يزور الجزائر فاستقر بها ودخل سلك الإدارة المحلية فاشتغل كاهية مدير القرى المختلطة شمال مقاطعة قسنطينة فتعلم العربية وتعود على سبر أغوار المجتمع القروي الجزائري، ثم لما أيقن العربية انتقل إلى سلك التعليم في مدرسة تلمسان حيث تعرف على موليراس (Moulière) صاحب كتاب "المغرب المجهول" وصار من ثم فصاعداً يهتم بالمغرب فزار بعض جهاته بأمر من والي الجزائر ويتجهز من "لجنة المغرب" حيث طاف عبر البلاد في أربع رحلات سنة 1900 ثم سنة 1904 ثم 1906 ثم 1907 وجمع من المعلومات والارتسامات ما يوأه مركز الصدارة من بين الخبراء بشؤون المغرب إلى جانب لي شاطليه (Le Châtelier) وميشولير (Michaux-Bellaire) ودي سيكونزاك (De Segonzac) وآخرين وكتب بذلك التقارير المتعددة ونشر بعضها في المجلات أو في مؤلفات منفصلة مما جعله جديراً بأن ينضم إلى هيئة التدريس في كلية الآداب بالجزائر العاصمة ويلحق بهيئة تحرير "المجلة الافريقية" (La Revue Africaine) الصادرة هنالك فكان نموذجاً لتوظيف العلم لصالح الاستعمار.

وكان من أشد المتحمسين لإسناد أمر احتلال المغرب للمسؤولين الفرنسيين عن الجزائر بحكم الجوار وطول الخبرة بشؤون الإسلام والمسلمين. ولقد رفع في هذا الصدد تقريراً مطولاً لوالي الجزائر نشره سنة 1900 تحت عنوان "أسباب النهوض بالنفوذ الفرنسي في المغرب" جعله على ثمانية أبواب :

الباب الأول عن ضرورة انتقاء الموظفين الفرنسيين المكلفين بالمصالح الفرنسية في المغرب ليكونوا من سلك القناصل وأيضاً من سلك الشؤون الأهلية الجزائرية على أن يتعاونوا فيما بينهم ويكونوا يتكلمون بالعربية.

والباب الثاني عن كيفية ممارسة التأثير السياسي الفرنسي على المغرب باستعمال الحماية القنصلية وتوزيع الهبات المرتبة على كبار المسؤولين والشخصيات المرموقة وتمتين الروابط بأرباب الزوايا وإظهار القوة الفرنسية بممارسة حق المطاردة على الحدود المغربية وإبداء الأساطيل

الفرنسية على الشواطئ المغربية وإلحاق ما يمكن إلحاقه من التراب المغربي بالممتلكات الفرنسية ومعاكسة ذلك كلما حصل من جهات أخرى (إسبانيا مثلاً) وتوظيف الصحافة للتنويه بكل ما تقوم به فرنسا.

والباب الثالث في كيفية التدخل في شؤون المغرب مباشرة بواسطة البعثات العسكرية وطقومة الأساطيل السلطانية والمجلس الصحي واللجن الصحية على اعتبار أنها نواة المجالس البلدية يوم يتم الاستعمار وإدخال موظفين فرنسيين في جهاز المخزن نفسه.

والباب الرابع عن الوسطاء بين فرنسا والمجتمع المغربي فهم اليهود المغاربة أو الجزائريون والمسلمون الجزائريون والعلوج والمهاجرة من مسلمي الجزائر الذين مضت عقود على إقامتهم في المغرب.

والباب الخامس عن تكتيف الوجود العددي الفرنسي في البلاد وتشجيع المهاجرين ومساعدتهم على امتلاك العقار والنهوض باستغلال الأرض والباب السادس عن وسائل إثبات الوجود الفرنسي بتشجيع المقاولات الصناعية وتنمية التجارة بتنمية الخطوط الملاحية واجتذاب الطرق التجارية نحو الجزائر وتمديد الشبكة البريدية والتلغرافية والحث على بناء السكة الحديدية وفرض العملة الفرنسية وإحداث المصارف والأبنك الفرنسية.

والباب السابع عن كيفية تقوية الغزو المعنوي بالنهوض بالأعمال الصحية والخيرية ومساعدة البعثات الدينية والتربوية مع إحداث مدارس فرنسية عربية واجتذاب الطلبة المغاربة إلى المدارس الجزائرية ونشر الكتب والصحافة العربية من الطابع الفرنسية واستقدام أكثر ما يمكن من المغاربة للجزائر ليطلعوا على محاسن الحكم الفرنسي.

أما الباب الثامن والأخير فإن دوطي ألع فيه على لزوم النهوض بأعمال المسح العلمي للمغرب والاكثار من البعثات العلمية مع نشر نتائجها والترويج لها من خلال الدوريات والمحاضرات.

وقد استفاد هو من ذلك فتنتقل عبر المغرب ونتج عن ذلك أجدود ما كان من تأليفه ومنشوراته، فإنه جمع ملاحظاته وارتساماته في مجلدين ضخمين أولهما نشره تحت عنوان "مراكش" وهو ما رأى وما التقط من الأخبار في رحلة من الدار البيضاء إلى مراكش عبر الجديدة وأسفي ثم بلاد عبدة والرحامنة، والثاني نشر تحت عنوان "من خلال القبائل" وهو رحلة من مراكش إلى الدار البيضاء عبر قبائل گندافة وسفوح الأطلس الغربي الشمالية والأودية الخارجة منها. بما في ذلك أغصات وزاوية سيدي رحال وقبيلة أبي السبع وقبيلة حاحة فالصورة ثم نحو أسفي والدار البيضاء ومنها إلى الرباط ثم ذهب إلى مكناس وفاس وعاد ليغادر البلاد وفي هذين الكتابين يتجاوز دوطي مستويات المتجسس الاستعماري الراغب في كشف الستار عن

عورات البلاد ليرقى إلى مستويات العالم السوسيولوجي الذي يروم الترفع عن الأغراض الآنية ليسبر أغوار الأمور بشيء من الموضوعية فقيما تجده يتبنى بعض الأوهام الاستعمارية مثل الظن بأن البربر هم مستقبل الإستعمار في المغرب أو أو ابداء منتهى التقزز من القبائل العربية لشيء إلا لأنها راحلية فإنك تجده من جهة أخرى يتناول بعض الأمور بتمام الحبيطة والموضوعية فيقارن مثلاً ما وقف عليه من الخرافات والظقوس في المغرب بما كان يوجد منها في أوروبا عامة وفي بادية فرنسا على وجه التخصيص كما ينوه بنيل المغاربة وحسن سيرتهم على بساطة عيشهم ويتأسف سلفاً على ما قد يتلاشى من ذلك يوم تدخل عليه المدينة الصناعية فله في هذا الباب فقرات كأنها مستوحاة من الفيلسوف روسو (Rousseau) مباشرة.

ومن أفيد ما جاء به ما كتبه عن البنيات الاجتماعية والسياسية للقبائل التي زارها كأوصافه لقبيلة الرحامنة في كتاب "مراكش" وأوصافه لقبيلة حاحة في مقال أصدره سنة 1905 في مجلة "الاستعلامات الاستعمارية" وأيضاً وصفه للسلطنة المغربية في مجلة "السياسة البرلمانية" (سنتبر 1909) ففي هذه الأبحاث يبدو دوطي عالماً بكل ما في الكلمة من معنى. وله إشارات واستخلاصات تدل على أنه أحسن استكناه المجتمع المغربي وأدرك منه ما لم يدركه آخرون فمن ذلك قوله عن الملكية في المغرب إنها "ليست مؤسسة سطحية أو مما يمكن عدم أخذه بعين الاعتبار" وترتبط هذه الملاحظة بأخرى أعم منها وهي أن النظام السياسي المغربي يختلف كل الاختلاف عن الفيدرالية لأن الملك فيه أمير للمؤمنين مبيع له من قبل ممثلي الأمة، وهو في آن واحد شريف بركة يتبرك بشرف نسبه، والقواد إذا لا يتميزون عن باقي الخدم والحشم. وقال عن النظام الحكومي المحلي بأنه قائم على الروابط القبلية العريقة أكثر مما هو قائم على الوجود المخزني قال: "ينحصر التمثيل المخزني محلياً في القواد وفي عدد من المخازنية والفرسان [...] ولذلك لا غرابة أن لا يقع الإقليم في القوضى إذا هم انسحبوا وتلك هي المفارقة السوسيولوجية التي تعترض أنظار الملاحظ في أكثر من جهة من جهات المغرب وبخاصة في الجهة التي تشغلنا منذ ما يقرب من أربع سنوات (حاحة) فمنذ ما يقرب من أربع سنوات ومنذ وضع الترتيب الشهير لم يعد أحد يؤدي الضرائب وأضحى عدد القواد يتقلص يوماً عن يوم [...] وحيث إن السلطة قد اختفت فالمنتظر أن نجد البلاد في فوضى رهيبة والأسواق خالية والتجارة متوقفة والطرق غير مأمونة والحقول غير مزروعة [...] لكن العكس هو الذي حصل الفلاحة أزهى من أي وقت مضى والمبادلات مزدهرة والسبل سالكة، على المسلمين على الأقل، والسكان مغتبطون وفي بحبوحة من العيش" مما ينفي ما كانت تروج له الدعاية الاستعمارية من أن القوضى هي ما كان يطبع الحكم في المغرب ولذلك ألح دوطي على

ضرورة التعامل مع الواقع المغربي بمنتهى الحذر وبأكثر ما يمكن من التجرد فقال: "من الصعب على المسيحي أن يقوم المسلم حق قيمته وذلك لأن الخواطر العنصرية تعمينا رغماً عنا فنجعل ورعهم تعصباً وزهدهم كسلاً وتعاضدهم عصبية [...] وهكذا فإننا كثيراً ما لا نرى لدى المسلمين ما في بساطة عيشهم من الروعة وما في كلامهم من التمييز وما في وسواسهم من الحشمة وهو ما يطلقون عليه اسماً لا سبيل إلى ترجمته وهو "الحياء" [...] وإن الحضارة الإسلامية في المغرب تخفي تحت غطاء التوحش ملاطفات لا نظير لها..." ثم ذهب دوطي بعد ذلك لتسأل عن مصير كل تلك الفضائل بعد الغزو الفرنسي مستنياً أن لا ينحصر هذا الغزو عند إقحام المغرب في مدينت الصناعة والتصنيع واضعاً بذلك معنى الاستعمار في ميزان التاريخ. أما آخر ما صدر من أهم مؤلفاته فهو كتابه عن "السكر والعقيدة في إفريقيا الشمالية" ذكر فيه كل ما وقف عليه مما كان يشوب العقيدة الإسلامية يومئذ في البلاد من الشوائب في مختلف الميادين وميدياً مدى ما كان من التفاعل بين المعنويات والمستويات المادية التي كان يوجد عليها المجتمع المغربي في طليعة هذا القرن. توفي دوطي سنة 1926.

J. Berque, *Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrébine*, Annales, Economie - Société, Civilisations, Juillet-Septembre, 1956 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat*, T. 1, Paris, 1988 ; E. Douffé, *L'Islam algérien en l'an 1900*, Alger, 1900 ; *Notes sur l'Islam Maghrébin : les Murabbits*, Paris, 1900 ; *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie*, Alger, 1913 ; *Les Djebels du Maroc d'après les travaux de M. A. Moulières*, Oran, 1899 ; *Des moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900 ; *Marrakech*, Paris, 1905 ; *En l'an 1900*, Paris, 1914 ; *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1900

ترجم بوطالب

دوفوكو، فد. شارل Charles De Foucauld رحالة

مستكشف ومبشر فرنسي ولد بمدينة ستراسبورغ Strasbourg بفرنسا سنة 1858 تلقى تربية دينية في وسط مسيحي محافظ.

قام برحلات استكشافية في بلدان عربية منها فلسطين وسوريا والجزائر التي أقام بها مدة طويلة، كما قام برحلة إلى المغرب استغرقت سنة كاملة استطاع خلالها أن يتعرف على المناطق الشمالية والجنوبية من البلاد رغم صعوبة مسالكها وخطورة أوضاعها.

ففي سنة 1883 انطلق دوفوكو من مدينة طنجة قادماً من الجزائر ومتنكراً في زي يهودي، ورغم قصر المدة التي قضاها بالمغرب فإنه استطاع أن يصف مجالاته الجغرافية والطبيعية من جبال وهضاب وسهول وأنهار كما خص حيزاً وافراً لوصف المدن والقرى والسكان وأنشطتهم وإنتاجهم

وعاداتهم وتقاليدهم واعرافهم ولهجاتهم وقد أتى هذا الوصف في غاية الدقة والاتقان والموضوعية.



كان اهتمام دوفوكو بالدرجة الأولى في هذه الرحلة هو الوقوف والتعرف على المناطق التي لم يحظ سابقوه من الأوربيين باستكشافها، فقد تحدى وعورة ومخاطر هذه المناطق حيث سلكها مشياً على الأقدام أو ممتطياً الدواب مصحوباً بخفر من الأهالي ووحيداً في المناطق الآمنة. زار دوفوكو في رحلته علاوة على المناطق الشمالية بلاد تادلا وسوس ودرعة والصحراء المغربية وتعرف على معالمها الطبيعية والعمرانية والبشرية، كما رسم خرائط للمسالك التي اجتازها والمواقع التي شاهدها، ولم يكن بحوزته طوال هذه الرحلة سوى دفتر صغير الحجم وقلم رصاص لا يتعدى طول الأصبع بالإضافة إلى آلة دقيقة لرصد وقياس المرتفعات التي رسمها بدقة متناهية.

انتهت رحلة دوفوكو إلى المغرب يوم 23 ماي 1884 حيث غادر مدينة وجدة عائداً إلى للامغنية بالجزائر. وفي سنة 1901 انضم دوفوكو إلى الكنيسة وأصبح قسا واعتكف بالصحراء بمنطقة بني عباس. ثم بعد ذلك بتمانراست. وتعرض لمحاولة اغتيال سنة 1905 من طرف السنوسيين إلا أنه نجا باعجوبة وظل في خلوته بتمانراست إلى سنة 1916 حيث قتل هناك.

خلف دوفوكو عدة مؤلفات من أهمها رحلته إلى المغرب التي دونها وطبعها في فرنسا بمساعدة دوفيري Duverier والتي سماها *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884* والتعرف على المغرب. كما ألف قاموساً باللغة الفرنسية في لهجة الطوارق وكذا ديوان شعر بلهجة الطوارق.

Ch. Eugene, Vicomte de Foucauld, Robert II, p. 670 ;
Ch. de Foucauld, *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884*,
p. 140 - 142.

محمد بلعربي

الدوقات، أو الدوقات اسم للدينار الذهبي المضروب بإيطاليا في القرن الرابع عشر للميلاد واسمه Ducat أت من لقب الملك وهو "دوق" وقد استعملت الدوقات في المغرب بكثرة في القرن العاشر (16 م) أواخر العهد السعدي، وفي عهد الإمارة السملالية بسوس. وتعتبر سكة الدوقات من الذهب الخالص، ويقابل وزن الدينار منها 15 قيراطاً من التبر يساوي 2.9 غ. وكانت هذه الدوقات تصرف في المعاملات التجارية بأوقيتين وثمان الأوقية للدينار إلى غشت سنة 1561 فأصبحت بعشرين قيراطاً من التبر وتزن 3.88 غ، وكان الدينار منها يروج بسعر ثلاث أواقي، وتطور سعر سكة الدوقات هذا كان على حساب الدينار المغربي، فلم يبلغ سعر الدينار العشري بسبب بخس عياره إلا 16 قيراطاً ووزنه 3 غ والدينار السباعي لم يبلغ إلا 15 قيراطاً ووزنه 2.9 غ. وقد بلغ دينار الدوقات أقصى ما بلغه في الارتفاع في يوليوز 1588 حيث بلغ رواجه ست أواق وكان ذلك أوائل عهد السلطان أحمد المنصور، ثم تناقص في عهد الإمارة السملالية فاستعمل بدله ميزان التبر، ولكن استعمال الدوقات ظل موجوداً في المعاملات التجارية مع الأوربيين إلى جانب قطعة البندقي والدبلون إلى نهاية القرن الثاني عشر (18 م).

ع. أفا، مسألة النقود في القرن التاسع عشر، ص. 402 : النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الرباط، ص. 46 : الكرمللي أسطاش، النقود العربية وعلم النميات، ص. 111 : النقود في العهد السعدي، نماذج جيلوغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7. 8 سنة 1998، ص. 30. 35.

عمر أفا

دوكاستر ← دي كاستر

دوكور أنطوان A. Ducors تسميه الوثائق المغربية نينُو - بنون ممدودة أو دون مدّ : نينُ صيغة مختصرة لأنطوان. وهو تاجر فرنسي استوطن الرباط منذ ما قبل 1280 / 1864 حتى توفي فيه في صدر القرن العشرين. ولي النيابة القنصلية عن بلاده وعن إيطاليا في أول الأمر. وكان من جملة نشاطه الوكالة عن السفن التجارية القادمة أو الراحلة من مرسى العدوتين، ولا سيما مراكب المُساحلة التي كانت تنقل البضائع والنتوجات من مختلف المراسي إليها.

وقد اتخذ بوصفه وكيلاً قنصلياً محميين وسماسرة وخطباء بالمدن والبوادي المحيطة بسلا شمالاً مثل قبائل بني أحسن وسفيان وبني مالك أو المجاورة للرباط جنوباً كزغبر وعرب الصبّاح والحوزية والأوداية وحتى زمور والشاوية. كان في كل ذلك يدافع عن مصالحه ومصالح بلاده في شيء غير يسير من الحدة والتعسف أحياناً.

وإضافة إلى ذلك أسند إليه تسيير البريد الفرنسي بالرباط والنواحي. وكان في بعض الأوقات ولاسيما سنة 1311 / 1893 يشتكي من بعض النهاب بناحية الغرب الذين سطوا على حقائب البريد (رسالة إلي أحمد الطالب في 29 صفر 1311 / 11 شتنبر 1893، وثائق بنسعيد). وقد فكر سنة 1317 / 1899 في إنشاء مركز للبريد بسلا وكلف أبا محمد بن الحاج محمد بن دحمان السلاوي بأن يتخذ متجره مقراً له، لكن السلطة المحلية لم تساعد في ذلك الوقت (م. بوشعراء، التعريف، ج. 2، ص. 254).

تردد ذكره في الوثائق المغربية طيلة ثلث قرن، وكانت مراسلاته في أواخر القرن الماضي مختومة بطابع مستدير وصغير وبداخله نقش ما يلي فيه : "أنطوان دكور الفرنسي، لطف الله به". ولربما كان يعرف العربية أو الدارجة على الأقل لطول مقامه. كانت له مع السلطات الإدارية والمحسبية والقضائية والمالية مشاكل متنوعة، وكانت له مع السكان معاملات مختلفة.

ففي سنة 1280 / 1864 استرعت السلطات المغربية على خروجه إلى البوادي للصيد وغيره وحملته هو وقنصل الانجليز بالرباط وهو جيمس دراموند هي شقيق سفير انجلترا بطنجة مغبة هاته المغامرة.

وسمع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عنه الكثير فقال سنة 1285 / 1868 إن دكور "يحاول أن يكون نائباً عن جنسه هناك، وهو معروف بالطيش والتعدي، كما هو معروف بالعدوتين".

وفي سنة 1884 / 1301 كتب عنه العامل السويسي إلى محمد برقاش قائلاً : "فقد أجبك عن شكوى بولنوار في غير هذا، ولم نبالغ في الجواب اتقاء لشرّين".

واستمر في هاته المعاملة مع محمد بن الحاج محمد السويسي الذي خلف أخاه بعد وفاته في الولاية على الرباط فقال عنه سنة 1306 / 1889 : "خليفة نائب الفرانصيص هنا المسمى أنطوان دكور المعروف نينو قد ضيق بنا غاية الضيق، وحاد عن سلوك القوانين، وطال ما ساعدنا وباششنا، وأمره كل يوم يتزايد"، ثم عدد أمثلة من تصرفاته.

وحتى مع السلطات المحلية الأخرى في البوادي كان يشتكي ويحتج. ومن ذلك مثلاً ما قاله سنة 1870 في رسالة بعث بها إلى فرانك وولدريدج F. Wooldridge قنصل انجلترا وفرنسا بالرباط : إن محمد بن العربي ابن خدة الثوري الصفاعي الذي كان أحد قواد بني حسن حتى سنة 1872 (قبيلة بني أحسن) سجن خماسيه وورعته أكثر من 15 يوماً حتى تعطلت أشغاله، ثم طالب بتعويض عن الخسارة التي لحقت من ذلك (الاستيطان، ج. 2، ص. 791).

ولئن كانت هاته التصرفات من لدن القواد إزاء إخوانهم مذمومة فإن ذلك لا يعني أن دكور كان مبالغاً.

وفي هذا الصدد وقفت في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية على نص رسالة وجهها نينو إلى أوغوست ده فيرنويي A. de Vernouillet الوزير المفوض لفرنسا بطنجة مؤرخة في 11 ماي 1880 يتهم فيها أحد قواد التوازيط الذين هم فرقة من أولاد نعيم من قبيلة بني حسن وهو العربي بن محمد التازرطي.

وكان دكور على أسوأ حال مع قاضي الرباط ملين سنة 1302 / 1885، فقد نسبت له الوثائق "سبه القاضي في محل حكمه، وهجومه على السجن "قورصة"، وإخراج مسجون من رعية هذه الإيالة لاحماية له، وكان مسجوناً في قضية شرعية" (الاستيطان، ج. 2، ص. 793).

وقد تبرأ دكور من هاته التهمة الواردة في رسالة محمد برقاش إلى الطريس فقال الوكيل القنصلي المذكور : إنه وقع لنا كلام مع القاضي السيد أحمد ملين في شأن رجل غرباوي كنا وجهناه له مع رجل آخر غرباوي أيضاً، وكلهم أصحاب الحمايةات ليعمل لهم الشرع ويحكم عليهم بما أنزله الله، وفشت من ذلك أخبار بروايات مختلفة لا أصل لها : يريدون بذلك التخليط والخوض بين الناس. ومقامك لا بدله من التحقيق للدعوى ليقف على تصحيحها ويكون على بال منها (المصدر نفسه).

وتكذيباً لدكور وضعت مواجب عدلية تشهد بأنه هجم عنوة على السجن، وشهد بذلك القائمان عليه وهما : الحاج محمد رودياس والحاج إلتهمي بن الزباني (أيضاً، الصفحة نفسها).

أما أمينا مرسى العدوتين فقد ذكرا عنه ما هو أفظع. ذلك أنه في سنة 1304 / 1887 وجه دكور عونه محمد بن الشرقي الأودي "ليخرج صندرقاً، زاعماً أن بداخله مكنة آلة الخياطة، فوجدنا مكتوباً على ظهر الصندوق : أحمد فرج" فامتنع الأمينان من تسليمه للمخزني "بدون قانون، فتلاحى مع حمال عاب عليه الشتم الصادر منه". وفي ذلك الوقت أتى نينو "وبيده عصي فجعل يضرب الحمال المذكور بباب الديوانة" وختم الأمينان وهما : الصديق برقاش وعبد السلام بن يحيى رسالتهم إلى الطريس منددين بـ "طيش هذا النصراني باليد واللسان" (المصدر المذكور، ص. 793 - 794).

وقد أكد محمد السويسي في رسالة إلى الطريس في اليوم ذاته ما وقع من دكور الذي "تشاجر مع خدمة المرسى" وضرب أحدهم "ضرباً بالغاً على ملا من الناس، وما قصر من الشتم والسب على الأمناء ومن القول الخارج على الموضوع" (نفسه).

وإلى جانب العامل والقاضي والامينين كان ناظر الأحياس قد اشتكى بأنه امتنع من أداء واجب 46 شهراً آخرها غشت 1890 عن كراء ثلاثة أمكنة حبسية بالرباط معلقاً بلاريب تسديد الواجب على فصال دعاويه. أولاً : وعلى ذكر ذلك كان الأمناء قد بنوا له بسوق الغزل مطحنة سنة 1292 وأكروه أياها لمدة 16 سنة.

وهاته الماطلة كانت تحصل له مع الناس أيضاً فقبل سنة 1302 / 1885 اشترى دوكور من الحاج محمد بن علي الدكالي (عمّ المؤرخ السلاوي محمد بن علي) عدداً من جزات الصوف بـ 1300 ريال، لكن المشتري لم يؤد لسبب ما المبلغ المذكور، فضايق به الحال وتوجه مشتكياً إلى سلطات طنجة مرتين دون جدوى. فتدخل عامل سلا في حقه لدى برغاش النائب السلطاني قائلاً: إن الدكالي "اشتكى على نائبك الحاج محمد الطريس، وكلم الباشدور الذي سافر، وكتب لقونصو الدار البيضاء، وجاوب الباشدور، وهو أخير الحاج محمد الطريس بأن أنطوان المذكور سيفلس.

"وما صح لابن علي الدور وسط الغرما، وأنطوان غاني (= غني) بالقدر الذي يذمته. فالمروم من سيادتك : خذ بيده، وكن له واسطة خير حتى يتوصل بحقه. وتعلم : وأن القضايا التي تكون لرعيته - ولو كانت لا حقيقة لها - يقبضونها. وهذا الرجل حقه ظاهر لا ريب فيه.. (أيضاً).

ومرت سنتان على هذا حتى مات الدكالي ولما يقبض ورثته ماناهم في موروثهم (وثائق بنسعيد).

ولم يكن دوكور خليطاً مع عامة الناس، فقد عقد مخالطة مع أحد قواد آيت علي والأحسن من قبيلة زمور الشمالية وهو حمادي والأحسن المقرط المهطمي (الذي كان سنة 1294 / 1877 قائداً على هاته العشيرة) وهكذا وضع دوكور عدداً من رؤوس البقر عند حمادي المذكور سنة 1299 / 1882، فقام أفراد من فرقة عامر من قبيلة بني أحسن بالسطو على ثلاثة عشر رأساً منها من دوار المقرط الزموري، وذلك ردّاً للثأر مما كان بين زمور وبني أحسن من الصراع على المراعي وعلى الأراضي (م. بوشعرا، قبيلة بني حسن، 1860، 1912، مخطوط).

وأخيراً في باب المعاملات أشير إلى أن دوكور كان شبه محام ووكيل في قبض ديون الناس مقابل أدائهم 10٪ منها له. (وثائق الخزانة الصبيحية 28 رمضان 1313).

ومهما يكن من أمره مع الناس فقد لبث بعضهم مصراً على مناعة أديانهم في ذلك ضرر عليهم. إذ في سنة 1886 مثلاً لما بنى مكاناً يحيى اللويسرة من رباط الفتح وأراد جعل ذلك من ممتلكاته ليعطيه له قام جيرانه بوضع مطالبته بالضرر والصوت (الاستيطان، ج. 2، ص. 794).

ولا ينبغي أن ننسى أن جميع ما تقدم ذكره أنه كان عدواً لدوداً للمغاربة، فما كانت فيه جرأة وجسارة، لكن مصالحه وحالة الإدارة المغربية دفعته إلى اتخاذ موقف مما كان يواجهه من مصاعب. ولا يخامرني شك في أن بعض الرباطيين كانوا على أحسن علاقة معه مثل آل برغاش الذين تزوج أحدهم وهو الحاج المكي نجل النائب السلطاني محمد بن عبد الرحمان بنت دوكور واسمها إيميلي، Emilie، وذلك سنة 1890. وقد أسفر هذا الزواج عن ولد واحد وبنتين. ولما مات الحاج المكي المذكور حوالي 1324 / 1906 طلبت حقها في متروك زوجها، فامتنع القاضي من ذلك ما

لم يثبت لديه إسلامها. فكتبت رسالة إلى الحاج محمد الطريس تخبره فيها بأنها أسلمت قبل ذلك بست عشرة سنة وأنها صامت، وختمتها بأنها "أمة رها فاطمة الممنون عليها يدين الاسلام" وبنت القونصول الفرانصاوي الذي كان بالرباط (رسالتها مؤرخة بـ 24 رمضان 1324 / 11 نونبر 1906، م. و). فما كان من النائب السلطاني إلا أن أحال الأمر على القاضي المكي البطاوري الذي أجابه بأنها حضرت لدى عدلين وأسلمت وأنها بعد مدة يسيرة تزوجت بنصراني وصارت تخرج معه سافرة ويدها في يده وأنها بعد مدة أخرى رجعت إلى الإسلام وليست ثياب المسلمين. فتوقف القاضي عند الإشكالية المطروحة : هل هي مسلمة فعلاً أم أنها ارتدت، وفي هاته الحالة تحب استنابتها ثم إقامة الحد عليها. غير أنها لما أسلمت ثانية بدون استنابة خففت شيئاً ما من الموقف الحرج. وختم رسالته إلى الطريس ذاكراً أنه سلمها الصك المبرهن عن إسلامها.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن حفيدة دوكور تزوجت بالفقيه محمد بن إبراهيم بلگناوي المعروف بالبيضاوي والمتوفى سنة 1380 / 1960 حسبما رواه لي المرحوم الفقيه الحاج العربي بنسعيد. وهذا يبدو لي قريباً من الصواب، وهو على كل حال خلاف ما ورد في معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1359. 1360 من أن بلگناوي المذكور تزوج بنت دوكور، وذلك لوجود فارق كبير في السن بين المرأة بنت النائب القنصلي وبين بلگناوي. ولا يجوز قبوله إلا إذا كان هذا الزوج قد عقد على امرأة أكبر منه سناً وتزوجت به بعد برغاش وبعد النصراني المومل إليه في رسالة القاضي البطاوري.

ويظهر لي أنه في سنة 1326 / 1908 كان دوكور قد عجز وشاخ أو أنه مات حوالي ذلك الوقت فعين لوي لريش قنصلاً لفرنسا بالرباط خلفاً له (رسالة القنصل إلى الحاج الطيب الصبيحي في 28 قعدة 1326 / 23 دجنبر 1908، خ. ص. 804، السلسلة الأولى).

هذا ولم يكن دوكور بدمعاً بين هؤلاء المستوطنين المتصلين، إذ كانت هناك أمثلة أخرى لهم في نواح شتى من المغرب.

م. بوشعرا، الاستيطان، ج. 2، لدى ترجمة دوكور، ص. 789 - 795؛ والتعريف بنسعيد، ج. 2، ص. 64 و 254؛ وقبيلة بني أحسن، 1860، 1912، مخطوط ومحمد حجي، معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1359، ووثائق آل بنسعيد ووثائق الخزانة الصبيحية ومستندات مديرية الوثائق الملكية ووثائق مكتبة تطوان ووثائق الخزانة العامة بالرباط ووثائق آل برغاش ورواية المرحوم الحاج العربي بن عبد الله بنسعيد السلاوي.

مصطفى بوشعرا.

دوگول (الجنرال) ـــ دي گول

ومن أشهر لوحاته نزهة قنص - العرس اليهودي - سلطان المغرب - نساء الجزائر.



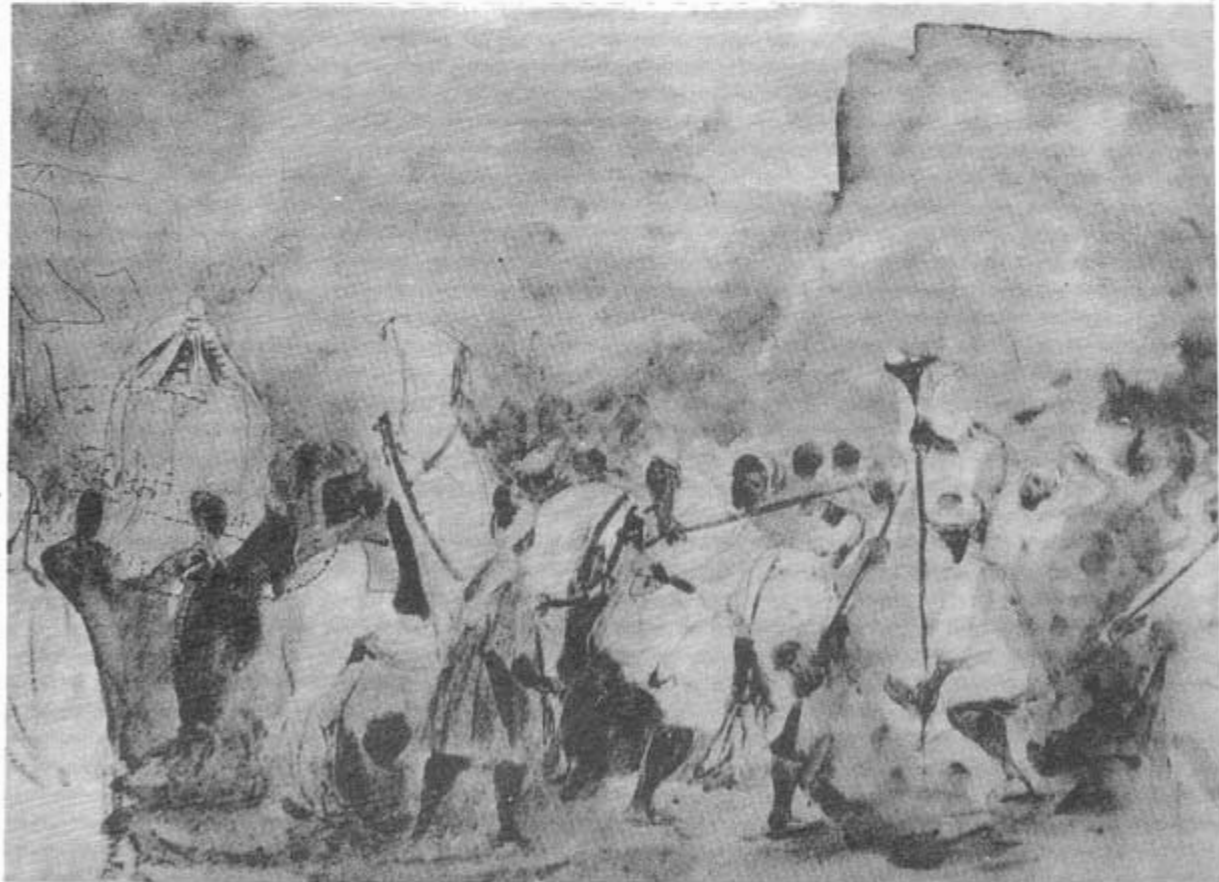
استفاد دولاكروا من رحلته إلى المغرب ليعبر عن روحه إلى فرنسا غير أسلوبه التشكيلي حيث تأثر بما شاهده وعاشه بالمغرب. وقد بدأ ذلك واضحا في لوحاته التي رسمها بعد رجوعه إلى فرنسا والتي كانت تحمل نفحة استشراقية.

دولاكروا، أوجين Delacroix Eugène رسام تشكيلي

فرنسي ولد سنة 1798 بسان موريس قرب باريس ونشأ في عائلة جل أفرادها يستهويهم عالم الإبداع فتأثر منذ صغره بأفكار وأعمال فنانيين وأدباء كبار أمثال بيرون Byron وشكسبير Shakespeare وغوته Goth وغيرهم. وبارشاد من طرف أحد أقاربه التحق برسم جيران Gerin حيث اكتسب تجربة كبيرة مكنته من ولوج باب الشهرة.

وفي سنة 1832 حل بالمغرب مرافقا للدوق شارل دومارناي Ch. De Marnays في سفارة للسلطان المولى عبد الرحمان.

خلد دولاكروا رحلته إلى المغرب في لوحاته وتقاييده وقد استغرقت الرحلة ستة أشهر وامتدت من طنجة إلى مكناس، أعجب دولاكروا بالمغرب وبساطة أهله التي تتجلى في ملابسهم ومأكلاتهم ومجالسهم وخاصة سكان البوادي، كما استهوت به ألوان الطبيعة العذراء التي لم تدنسها المدنية حسب تعبيره. طيلة الستة أشهر التي قضها دولاكروا بالمغرب رسم العديد من اللوحات تشخص الطبيعة والحيول التي كان مولعا برسمها، وكذا وجوه الأشخاص وبعض المراسيم والاحتفالات الملكية كما رسم العديد من اللوحات الخاصة بالسلطان المولى عبد الرحمان.



توفي دولاكروا بفرنسا سنة 1863.

ومناسبة تنظيم مهرجان سنة المغرب بفرنسا في نهاية القرن العشرين أقيم معرض لهذا الفنان عرضت فيه كل اللوحات التي شخصها حول المغرب.

B. Rouget, *Voyages à travers l'histoire du Maroc*, p. 92 - 93 - 95 ; *Petit Robert*, p. 517.

محمد بلعربي

دولانوي كي (Guy Delanoë) طبيب فرنسي ولد

بالجديدة في غضون 1916، بمنزل مغربي بحادي المسجد الملقب "بالدخاني"، أي داخل الحي البرتغالي الذي كان يسمى إلى سنوات قليلة بالملاح.

تلقى تعليمه الابتدائي بالجديدة والثانوي بليسي غورو بالرباط، ثم التحق بمدينة استراسبورغ بفرنسا حيث تخرج هناك في كلية الطب بعد سبع سنوات، ثم ذهب إلى باريس للتخصص في أمراض القلب.

رجع الدكتور كي دولانوي إلى المغرب عام 1951 فتم تعيينه طبيبا بمؤسسة تابعة لميناء الدار البيضاء "الناولة المغربية" التي كانت تشغل وقتئذ ما يزيد عن 1800 عامل يفتقرون إلى العناية الصحية. لاحظ دولانوي الفوارق الكثيرة التي ظلت في عهد الحماية تميز العمال المغاربة عن "الأطر" الأوروبية العاملة بالميناء، ذلك أن الأجور والتعويضات التي كانت تمنح لهذه الطائفة الأخيرة تفوق بكثير أجور المغاربة الزهيدة.

وبعد مظاهرات دجنبر 1952 بالدار البيضاء والاعتداء على محمد الخامس في 20 غشت 1953، شكل جماعة من المغاربة الوطنيين والفرنسيين الأحرار جمعية سموها "الصداقات المغربية وشكل فرنسيون متطرفون وإرهابيون جمعية سموها "الحضور الفرنسي" (Présence française) فرد عليهم أحرار آخرون، كان عددهم خمسة وسبعين من بينهم أرباب مصانع. وصحافيون وأساتذة، بتحرير عريضة "ال 75" من الاقطاب الفرنسيين مطالبين الحكومة الفرنسية بإلغاء كل الاجراءات التي اتخذتها الإقامة العامة منذ 1950، والغاء حالة الطوارئ المفروضة على المغرب منذ 1912، ثم شكّلوا جمعية سموها "الضمير الفرنسي" (Conscience française) وانتخبوا كي دولانوي رئيسا لها.

فراح دولانوي يدعو إلى السلم بين الفرنسيين والمغاربة ويحث الأولين على التحلي بسمو الاخلاق والفضيلة المسيحية التي تلتقي الفضيلة الإسلامية وتدعو هي الأخرى، كما صرح بذلك إلى التسامح. وأخذ ينتقل بين الحين والآخر إلى كبريات المدن المغربية، يجتمع فيها بعض الفرنسيين المتحررين، وأذكر على سبيل المثال كيلكوم (Guillaume) أستاذ الفلسفة بمراكش، ودونيز ماسون (Denis Masson) المستعربة التي ترجمت القرآن، وبأكاير الدكتور

دوماكون (Demacon) والدكتور شارل بوقري (Ch. Bouveret) بالصورة وغيرهم بالرباط وفاس، إلى آخره وامتدت دعوة دولانوي إلى أصحاب القرار وأصحاب النفوذ في الميادين الاجتماعية دون إغفال رجال الكنيسة بفرنسا - فهذا فرنسوا موريك (F. Mauriac) يسخر قلمه على أعمدة الفيجارو (le Figaro)، وهذا جان دانييل (J. Daniel) يشري القراء بمقالاته على أعمدة لوفيل ابسرفتو (Le Nouvel Observateur) ثم رويس بارا على صفحات تيمواناج كريتيان (Témoignage Chrétien) ويوف ميري (Hubert Beuve-Méry) صاحب جريدة لوموند (Le Monde) كلهم تجندوا وجعلوا من الكلمة سلاحاً لتقويم السياسة الفرنسية تجاه المغرب.

ورغم هذا السند المعنوي والمادي لما صار يسمى في الدوائر السياسية الفرنسية والعلمية بـ "القضية المغربية" فان كي دولانوي بات يتعرّض للمضايقات حيناً ومحاولات الاغتيال أحياناً أخرى بالدار البيضاء على ايدي جماعات ارهابية فرنسية أجبرمت في مقتل أقطاب من المواطنين المغاربة مثل عمر السبتي، وآخرين فرنسيين مثل لومر ديبروي J. Ch. Le Maigre - Dubreuil في أواخر يونيو 1955. وقد تمت هذه الاغتيالات في عهد المقيم الفرنسي لأكوست (Francis Lacoste).

وتظافرت الجهود لإقناع الحكومة الفرنسية - التي كان يرأسها حينئذ الراحل إدغار فور، أحد أصدقاء المغرب - فنحت ف. لأكوست وعموضته بالجندال جيلبير گرانثال، المتحرر بأفكاره وسلوكه تجاه قادة الاستعمار، فحل بالدار البيضاء يوم 7 يوليوز 1955 في جو من الاضطرابات والاعتقالات وانفجار القنابل. فلم يجد في استقباله إلا عدداً قليلاً من المسؤولين الرسميين وعدداً كبيراً من أنصار "الصداقات المغربية" و "الضمير الفرنسي" ذلك لأن "الحضور الفرنسي" سبق إلى معاداته من أجل أفكاره ومن أجل أصوله اليهودية.

وعندما استقرّ گرانثال في مكاتبه بالرباط، شرع في اجراء مشاورات مع "أصحاب الرأي العام" المحليين بدون استثناء، فكان كي دولانوي من بين الذين أدلوا بما يفرضه الضمير المتفتّح على آفاق مستقبلية، ملحاً على ضرورة إصلاح ما أفسدته سياسة الإقامة العامة.

إلا أن الأمور أخذت تتفاقم داخليا، بين اشتداد التطرف الفرنسي وبين اشتداد أعمال المقاومة في مجموع التراب الوطني، وأخذت رياح عاصفة تهز أركان الحكومة الفرنسية. وتعلت أصوات الأحرار من الفرنسيين لتحذر من عواقب التصادم في سياسة الاستعمار، وكان كي دولانوي يواصل الجهود مع أصدقائه المغاربة للتعبيل برحيل ابن عرفة. وقدم گرانثال استقالته احتجاجا على غموض السياسة الفرنسية وذلك في تمّ غشت 1955، مما جعل ولايته اقصر ولاية في عهد الحماية إذ لم تعمّر إلا سبعة

دولة البقر، اصطلاح فلاحي يعني جماعة البقر،

وتقال كذلك عن الغنم والماعز ولا تستعمل في الإبل والدواب، ولا علاقة لها بما يقال عن النحل أو النمل مملكة النحل وجمهورية النمل، فتلك خصائص طبيعية منحها الله لهذه المخلوقات وميزها عن غيرها من حيث دقة التنظيم وتوزيع العمل والأدوار التراتبية.

لاشك أن عبارة "دولة البقر" ارتبطت بفترة الأزدهار الفلاحي عامة والرعي وتربية المواشي خاصة سواء في الأندلس أو المغرب (الفلاحة المغربية، 108، 124) ؛ فكلمة دولة تعني المناوبة والتداول سواء في الكلام أو الأدوار وتعني كذلك تحول الشيء وانتقاله من يد إلى يد ومن حال إلى حال، جاء في القرآن الكريم : ("ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم") (سورة الحشر آية 6).

أما علاقة هذا كله بالبقر فترجع كما أسلفنا إلى فترة تطورت فيها الفلاحة وتربية المواشي والأبقار منها بصفة خاصة (التشوف، 80، 115 وما بعدها) (البكري، المغرب، 153) وصاحب هذا الأزدهار تطور في أساليب الرعي وتقنياته ومصطلحاته التي سجلت المصادر بعضها مثل : دولة البقر - مجمع الدول - راعي الدولة - (المعيار، 7 : 138 - 139، 8 : 176، 179، 186).

وتعكس هذه المصطلحات والتعابير تقاليد وأعراف نشأت وتطورت مع تطور تربية المواشي والأزدهار الفلاحي خاصة في العصر الوسيط الأوسط ؛ فرعي الأبقار والأغنام والماعز والدواب كان يتم وفق نظام خاص سواء في المدن أو في البوادي والقرى، فإذا كان الكساب ميسوراً وله قطعان من المواشي فإنه في الغالب مستقل بنفسه ويشغل رعاة لحسابه، أما إذا لم يكن كذلك وخاصة في المدن والقرى حيث لا يتعدي ما يكسبه الشخص بقرة أو بضع بقرات، أو شياهاً معدودة فإنه يعهد بمهمة الرعي إلى راع مشترك مأجور من قبل مجموعة من الكساب أو يكون لكل واحد منهم راع خاص لكنه يتولى بالتناوب رعي أبقار وأغنام الآخرين يسمى راعي الدولة أي يكون متخصصاً إما في رعي الأغنام أو الأبقار أو الماعز فيكون راعي دولة البقر وراعي الغنم وهكذا (الفلاحة).

تخصص داخل المدن الكبيرة مثل مدينة فاس أمكنة لتجميع الأبقار أو الأغنام قبل انطلاقها في الصباح نحو المراعي أو لتوزيعها وتسليمها إلى أصحابها المنتظرين عند العودة مساءً وعرف هذا المكان في المصادر الوسيطية بمجمع الدول وغالباً ما يكون رحبة المواشي في السوق الأسبوعية

أسابيع، وهو ما بدا في وقته مؤشراً لبداية النهاية.

استمرّ دولانوي في عمله المهني بعد الاستقلال وقد توّطدت علاقاته الوثيقة بالمغاربة وأصبح المغرب همّة الوحيد واعتبر أنه أنهى مرحلة وعليه أن يشرع في انجاز عمل آخر، يتطلب التفرغ الكامل، فأرجأه إلى حين موآت.

وما كانت هذه الانشغالات لتنسيه مسقط رأسه، الجديدة إذ كتب على نفسه وجوب الحج إليها لإحياء الذاكرة، فيترحم على والديه وعلى من توفي هناك من أصدقاء أسرته، ثم يعرج على المستشفى المركزي حيث اشتغل والده بعد أن قامت أمه بالإشراف على تشييده، ثم يطل على زقاق يحاذيه فيرى الصفيحة الرصاصية التي ألصقت عليه وهي تحمل اسم "زنقة الدكتور ماري دولانوي" ولا زالت قائمة إلى الآن. وقبل أن يبرح المدينة يختم حجه إليها بزيارة إلى الحي البرتغالي، ويقف لحظات أمام المنزل الذي ولد فيه فيتذكر أسرته وجيرانها ويتذكر أذان المؤذن في صمت وخشوع.

وعندما حصل على التقاعد بقي فترة في الدار البيضاء يخطط لعمل تألوفي يضمّنه من المعلومات ما غاب عن الأذهان. وشرع يبحث وينقب في وثائق الحماية من بدايتها إلى نهايتها. وحظي باستقبال من طرف جلالة الملك الحسن الثاني - رحمه الله - الذي أعرب له عن شكره وشكر الشعب المغربي لما أسداه هو ووالده من قبل لهذا البلد من خدمات، ثم وشح صدره بالوسام العلوي من درجة ضابط، ورخص له بالبحث عما يريد في ذخائر الخزنة الحسنية.

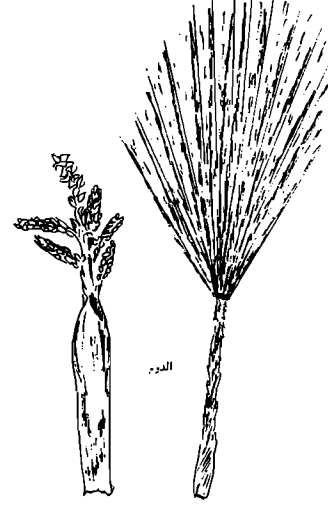
ورغبة منه في تعميق البحث عن أسرار الأسرار للوقوف على ما يفسّر بعض سلوكيات المسؤولين بالإقامة العامة ومن لف لفهم، لم يجد دولانوي ما يغنيه عن التوجّه إلى باريس. فطرق أبواب الخزائن المدنية الخاصة والعمومية، المدنية والعسكرية، فتارة يفوز بغنيمة ما وتارة توصل الأبواب في وجهه وكأنهم ضربوا عليها أسواراً من حديد. فيمنعوا الوصول إلى مكنوناتها رغم تقادمها الذي يرفع عنها الحظر بحكم القانون.

وظل خلال ذلك يتردد على المغرب لتكملة مبتغاه، فمضى يبحث في كثير من الخزائن العامة والخاصة. وبعد عشر سنوات من التنقيب والفحص والتحليل، جمع ما استقاه من معلومات نفيسة في كتاب قيّم عنوانه : "ليوطي، جوان ومحمد الخامس"، كتاب صدر عام 1993، بالمغرب، بعد ثلاثة أعوام من وفاة المؤلف بفرنسا.

وفي ربيع 1994، تذكّرت نلسية وصية أبيها، فجاءت إلى المغرب برفات أبيها، فوضعت في مشواه بتربة الجديدة مسقط رأسه، ليرقد الراحل دولانوي كجي بجانب والديه. وحضر مراسيم الدفن ممثلون عن سلطات المدينة فأبّنه في عين المكان أحد أصدقائه المغاربة عبد السلام الحراق وطني وسفير سابق.

ذكريات خاصة.

وقطر جذعها خمسة وعشرين سنمترا. وتظهر هذه الأشجار من الدوم في الأضرحة حيث تحترم النباتات ولا تقطع. لكن عادة ما يُصادف الدوم على هيئة أجسام أو شجيرات صغيرة قزمية لا يتعدى ارتفاعها أربعين سنمترا، ومتجمعة على شكل باقات.



أسباب وجود الدوم على هذا الشكل الشجيري ترجع إلى الرعي المتواصل والقطع من طرق الإنسان لأكل قلب النبات أو استعمال الأوراق لصناعة الحبال والكرينة النباتية. أوراقه كبيرة، مطوية على شكل مروحية. في فصل الربيع تخرج الازهارارات من أغشية بيضوية الشكل صفراء أو تميل إلى الاحمرار.

يوجد الدوم طبيعيا بالجزء الغربي لحوض البحر المتوسط إنه يكثر بشمال إفريقيا وخاصة بالمغرب حيث يصادف في المناطق البيومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة وفي الطوابق النباتية للمتوسطى الدافئ والمتوسطى واستثنائيا تحت المتوسطى إنه لا يتحمل أقصى البرودة ولا أقصى الجفاف. ويتطلب أترية حمراء غنية بالطين.

كانت أوراق الدوم في الماضي القريب جداً، تقطع على مساحات شاسعة في المناطق التي يوجد بها لتستعمل لإنتاج الكرينة النباتية وهي ألياف تستخدم في صناعة الحبال والأفرشة وبعض المنسوجات. وكانت توجد بالمغرب معامل عديدة لإنتاج هذه الكرينة الناجمة عن أدق أوراق الدوم. فكانت تصدر كميات هائلة لأوروبا وأمريكا من هذا المنتج الطبيعي الذي كان يلعب دوراً مهماً في اقتصاد البلاد. وربما يرجع سبب اندثار هذه الصناعة إلى مزاحمتها بضاعة المواد القطنية والبلاستيكية.

أنبحاث شخصية.

Emberger. *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*. Paris, 1938.

عبد المالك بنعبد

دوماكون، هنري Henré Demacon من مواليد سنة 1900 بفرنسا، قدم هنري دوماكون إلى المغرب واستقر بأكادير في مطلع الثلاثينيات. كان له اختصاص بأمراض

القم والأسنان، علاوة على تخصصه في العلاج النفسي. إلى جانب ذلك كان يتقن كثيراً من فنون الموسيقى مما أهله في وقته لقيادة الجوق السامفوني بأكادير وجوق الغناء الجماعي (la chorale) بالمعبد البروتستانتي بنفس المدينة، وامتاز أيضاً بثقافته الكلاسيكية الموسوعية حيث كان يتقن بعض اللغات الأوربية واللاتينية واليونانية. ويحفظ عن ظهر قلب بعض المؤلفات الكبرى.

أخذ دوماكون يكنّ العطف والتقدير للمواطنين المغاربة، يشجب من يعاديهم ومن يتجاوز حدود اللباقة معهم، فاختار السكن بجوارهم ووسطهم، كيعض الفرنسيين يحي "تالبورجت"، وسيكون له إعجاب بمقدسات الإسلام وهو يسمع، حسب قوله، المؤذن ينادي للصلاة، فيصغى إلى عبارات لم يكن في بداية الأمر يفهمها ولكن يدرك معناها ومعناها، وهو المتشبع بالروح الدينية المفتحة، كما أنه بات يفعل بنغمات التهليل والتشجيع، وهو الشغوف والممارس لفنون الموسيقى الدينية وغير الدينية ويصرّح علانية بأن للإسلام، دين التوحيد، مكانة كبيرة في عقله وقلبه، مبرزاً ما يقرب الديانات الثلاث وخصوصاً ما يقرب المذهب البروتستانتي من الإسلام. كان يكره الأنظمة الجمهورية ويفضل عليها الأنظمة الملكية، ولم يكن يتردد في القول إنه فرنسي من رعايا سلطان المغرب.

ظل المغاربة على مختلف مستوياتهم، يترددون على عيادته قصد العلاج، فيسدي النصائح، بل يرفض اقتلاع الأسنان السليمة واستبدالها بأسنان اصطناعية مغطاة بالذهب، لا سيما بعد ظهور هذه "الموضة" لدى النساء بالخصوص غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية. كان يعالج الفقراء يوم الجمعة بالمجان، ويتساهل في استخلاص مستحقاته من المغاربة الموظفين. زد على ذلك أنه اعتنى اجتماعياً بمساعدة المغربي، الحسن آيت تروما، فبنى له غرفتين في حديقة منزله بعدما انتقل إلى السكن بشارع باستور، بل أكثر من ذلك أوصى له بملكية المنزل كله بعد وفاته، وعند مدخل هذا المنزل نصب جارية للماء الظهور، كتب عليها بالعربية "ماء للسبيل" و"الله يشوف"، وكان المساعد المذكور يجدد الماء كل يوم.

شجب دوماكون بشدة الأحداث الدامية التي كانت الرباط مسرحاً لها في يناير 1944 غداة الإعلان عن عريضة الاستقلال، واستنكر بدون هوادة تمرّد القياد والباشوات عام 1952 وعام 1953 على السلطان، وانضم إلى "جماعة 75" التي شكلت جمعية فرنسية اسمها "الضمير الفرنسي" برئاسة طبيب آخر اسمه غي دولانوي (Guy Delanoyé) اطلبه وشكل دوماكون خلية بأكادير لهذه الجمعية.

وبعدما أقدمت فرنسا على خلع السلطان محمد بن يوسف كتب دوماكون رسائل احتجاج إلى قادة الدول الخمس العظمى بمن فيهم الرئيس الفرنسي فانسان أوريول (Vincent Auriol) ورئيس حكومته غي مولتي وإلى شخصيات عالمية أخرى.

كان لهذا الحدث أثر عميق في نفسه فوطد العزم على مناصرة الحق، معلنا موقفه من عملية 20 غشت 1953. وكسب عطف المواطنين المغاربة بأكادير وراح يعمل، في إطار صداقاته على إقرار حوار مع من كانوا يسمون بـ "الأحرار والمعتدلين" في المجتمع المغربي المحلي ومراكش والدار البيضاء. وعن طريق فرنسي شاب يُسمى كوفيل (J.P. Koffel) كان وقتئذ يقيم بمراكش. ويعد نفسه مواطناً مغربياً ولا يزال يقيم بالمغرب - دعاني دوماكون إلى الإقامة عنده بضعة أيام للاجتماع بنفر من الفرنسيين ممن يساندون المشروع ويرغبون في إقامة الجسور مع مختلف شرائح المجتمع المغربي.

كان دوماكون وهؤلاء الفرنسيون يمثلون القيم الفرنسية يؤمنون بالرسالة الحضارية الانسانية مهما كان البلد الذي يحمل لواءها، بعيدة عن الامبريالية والظلم والقهر، يعبرون عن تقديرهم للمغاربة عموماً - وهم أصحاب حضارة - وخاصة الشباب الذي تلقى تكوينه بالمعاهد الفرنسية والذي أضحى مثلهم متشبعاً بروح "البيان العالمي لحقوق الانسان" الذي أعلنت عنه ثورة 1789 الفرنسية التي فتحت آفاقاً جديدة في تطور الأفكار.

ظل دوماكون وفيما للمبادئ والقيم السامية ولصداقاته المغربية، ولم ينفك عن الحفاظ على علاقاته الودية مع فئة من "الوطنيين" خصوصاً الشوريين منهم، إلى أن اختطفته المنية عام 1958 على إثر نزيف دموي في الدماغ أصابه وهو بفرنسا - أما زوجته فإنها رحلت إلى انكلترا وتركت المنزل بما فيه إلى "لحسن آيت تروما"، ومازال شيوخ أكادير يذكرون دوماكون بخير ويتذكرون أعماله الإنسانية والسياسية.

مراسلات خاصة، شهادات شفوية، جريدة "La Gazette d'Agadir" التي كانت تصدر أيام الاستعمار بأكادير.

أحمد بنجلون

دوميرك غاستون Gaston Doumergue رئيس

الجمهورية الفرنسية من 1924 إلى 1931 وثاني من زار المغرب زيارة رسمية من رؤسائها إبان الحماية وذلك من 15 إلى 22 أكتوبر 1930، ولد وتوفي بإقليم الكار (Gard) وكان من رجالات الجمهورية الثالثة المرموقين حيث تقلب على كراسي الوزارة عدة مرات فكان وزيراً للشؤون الاستعمارية من 1902 إلى 1905 ثم مرة أخرى من 1914 إلى 1917 وكان وزيراً للتجارة والصناعة والشغل بضعة شهور سنة 1906 ووزيراً للتجارة والصناعة من 1906 إلى 1908 ووزيراً للتربية العمومية والفنون الجميلة من 1908 إلى 1910 ووزيراً للخارجية بضعة أسابيع في غشت 1914 ورئيساً للحكومة مكلفاً بالشؤون الخارجية من دجنبر 1913 إلى يونيه 1914 ومن فبراير إلى نونبر 1934. فكان مساره

السياسي حافلاً بالمسؤوليات وكان له عناية خاصة بقضايا الاستعمار لأنه كان من القضاة أول الأمر فعمل قاضياً في الهند الصينية وفي الجزائر، ولما انتخب نائباً في البرلمان سنة 1893 انخرط في التيار الراديكالي الاشتراكي، وكان حريصاً على عظمة فرنسا من خلال مستعمراتها كما كان شديد التمسك بالسياسة العلمانية وله أدوار في تحرير التعليم الفرنسي من هيمنة الكهنوت وكان باختصار من تلك الشخصيات التي قام نظام الجمهورية الثالثة على كاهلها ولذلك انتخب رئيساً للجمهورية سنة 1924 وحتى لما انتهت رئاسته سنة 1931 لم تجد البلاد الفرنسية غنى عنه حيث تحمل رئاسة الحكومة من جديد سنة 1934 بقصد فك أسباب الأزمة الخانقة التي صار النظام يعاني منها، لكن الأمور كانت قد استفحلت فتجاوزت قدرات أمثال دوميرك ممن كانوا يمثلون العهد الزاهر من الجمهورية الثالثة.

والذي يعني المغرب من هذه الشخصية أن أوساط الإقامة بالرباط بعد أن أقدمت على إصدار الظهير البربري يوم 16 ماي 1930 وترتب عليه ما ترتب من احتجاجات الشعب المغربي، فإنها ظنت أن زيارة رسمية لرئيس الجمهورية قد تجعل حداً للغضب المغربي أو إن لم تفلح في ذلك فإنها تغطي عليه وتؤهده حيال الرأي العام الدولي وهكذا جاء غاستون دوميرك إلى المغرب رفقة بعض الوزراء كوزير الدفاع أندري ماجينو (A. Maginot) ووزير الملاحة جاك ضوميل (J. D'Auménil) ووزير الملاحة التجارية لويس رولان (L. Rollin) ونزل الوفد في الدار البيضاء حيث استقبله السلطان سيدي محمد بن يوسف ثم زار العاصمة الرباط ومن الرباط توجه إلى فاس عبر القنيطرة ومكناس وفي فاس أقيمت له ضيافة رسمية في غابة الأرز بالأطلس المتوسط لدى القبائل البربرية، ثم بعد ذلك انتقل إلى مراكش فالتقى بباشاها التهامي الكلاوي ومن هناك كانت العودة إلى الدار البيضاء عبر فضالة (المحمدية) للابحار منها. وامتدت الزيارة من 15 أكتوبر إلى 22 منه سنة 1930 ولم تختلف عن الجولة التي كان ليوطي قد نظمها لسلف دوميرك في الرئاسة وهو الكسندر ميران (A. Millerand) في ربيع سنة 1922.

وغني عن البيان أن الزيارة لم تغير شيئاً من مجرى أحداث الحماية لا من جهة السلطات الحاكمة ولا من جهة الحركة الوطنية بالأحرى التي لم تكن لتنبهر بذلك، على أنها لا تخلو من فوائد من جهة ما كانت عليه "السياسة الأهلية" في ظل الحماية، فقد جاء في جريدة السعادة يوم السبت 4 أكتوبر 1930 قولها مفردة: "ما أجدر هذا الشهر أن يسمى شهر الاحتفال الأكبر والجلال وحلول اليمن والاسعاد في برج الاقبال وما أجدره أن يشمخ بأنفه فخراً على بقية شهور عامة مواسم أيامه بالأفراح والمسرات وإقامة الزينات والمهرجانات [...] يوم النصف من أكتوبر إنك ليوم في التاريخ عظيم شأنه جليل ومكانه راجع في

كفة الميزان لأنك أرحمت أمة بأسرها وأطلقت السنة المدائح من أسرها وحظيت بالوصال وحقت الآمال وجمعت في المغرب وبالرباط والبلاط بين رئيس الرؤساء وسيد الأمراء [...] حضرة رئيس الجمهورية الفرنسية والدولة وبطل الحول والوصول والوصول الذي لا يرد أحد قوله ولا تحوم الشكوك والريب حوله المسيو غاسطون دوميرك دامت فخامته وضخامته".

وجاء في رسالة للجنرال نوجيس وهو يومئذ رئيس الديوان العسكري للمقيم ومدير الشؤون الأهلية بعث بها للمراقبين المدنيين قوله : "مما لاشك فيه أن الزيارة المرتقبة لرئيس الدولة الفرنسية سيكون لها وقع كبير في الأوساط الأهلية التي ستجد فيها برهاناً على ما لفرنسا من العناية بالأمّة المحمية، وحتى يكون دليل هذه العناية الكريمة أكثر جلاء فمن المصلح أن تتبلور بإشارات ملموسة يتأثر بها ذهن المغاربة وفي هذا الصدد يبدو من المفيد أن يتقدم السيد رئيس الجمهورية ببعض الهبات لبعض الأعمال الخيرية مما يعتني به محميونا بوجه خاص كديار الشرفيات [...] والطلبة المدرسين في المدارس القرآنية وطلبة جامعة القرويين والجمعيات الخيرية الأهلية والأيتام الأهليين في الدار البيضاء وفاس. ولاشك أن هذه الانعامات وهي تصدر من مثل الأمّة الفرنسية الأعلى سيكون لها صدى كبير ولاشك أن استقبال سكان المدن سيزداد حرارة إذا ما أبلغت الهبات إلى أصحابها يوماً أو يومين قبل دخول الوفد الرئاسي لكل مدينة".

وتشير وثائق الرحلة إلى أن المراقب المدني للدار البيضاء اقترح 3000 فرنك هبة للجمعية الخيرية وذلك لأن السلطان كان قد وهبها قبل ذلك 2000 فرنك، لكن رسالة للمقيم العام لوسيان سان (L. Saint) بتاريخ 30 نوفمبر 1930 تثبت أن الهبة لم تتجاوز 2000 فرنك.

جريدة السعادة يوم السبت 4 أكتوبر 1930 : وثائق الخزنة العامة: ملف رحلة كاستون دوميرك.

B. Yvert, *Dictionnaire des Ministres 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

دون بيدرو الرابع Don Pedro IV أو Don Petri IV ،

هكذا تسمية المصادر الإسبانية التي تنعته أيضاً بـ "Don Pedro El Ceremonioso أي دون بيدرو العادل، أما المصادر العربية فتشير إليه باسم دون بطرّه. ولد سنة 1320 تم تولى حكم منطقة كطلونيا - أرغون في سن مبكرة لا تتجاوز السادسة عشرة من عمره ولفترة تمتد من سنة 1336 / 1387. وهي فترة طويلة جعلت من هذا الملك عنصراً بارزاً في الأحداث التي عرفتتها منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الشيء الذي سمح له بربط اتصالات وعلاقات هامة مع كبار ملوك المغرب من

بني مرين : كأبي الحسن وأبي عنان وأبي سالم. وتجمع المصادر الإسبانية على أن علاقة الكتلان مع ملوك المغرب وغرناطة كانت تعرف في عهد دون بيدرو تحسناً ملموساً لم تشهده المنطقة من قبل. ولعل ما يشهد على ذلك تعدد الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين الطرفين والتي تركز على ضرورة تطوير العلاقات السياسية والتجارية وتنظيمها، كما تبين الرسائل والبعثات والسفارات حرص الطرفين على توفير السلم والأمن واستمرار التشاور والحوار لتعزيز العلاقات وخلق الظروف الملائمة لإنجاحها. ومن حسن الحظ فإن نصوص هذه الوثائق في أصولها العربية والكتلانية مازالت موجودة ومحفوظة في أرشيف أرغون بمدينة برشلونة ويمكن رصد الخطوط العريضة للعلاقات بين بيدرو الرابع وبعض ملوك بني مرين من خلال متابعة مواضيع هذه الوثائق :

- اتفاقية سلام بين دون بيدرو الرابع ومبعوثين عن كل من ملك المغرب أبي الحسن المريني وملك غرناطة أبي الحجاج يوسف، عُقدت هذه الاتفاقية بقصر بيرينيان Pèrignan في 27 رمضان 745 الموافق لـ 1 فبراير 1345 وتدوم صلاحيتها مدة عشر سنوات.

- رسالة من أبي الحسن المريني إلى دون بيدرو يؤكد فيها موافقته بالامضاء والمصادقة على الاتفاقية التي عقدها ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف مع نظيره الأرغوني دون بيدرو، والرسالة مؤرخة في 15 صفر 746 الموافق لـ 17 يونيو 1345 (Los documentos..., pp. 194 - 195).

- رسالة لأبي الحسن بعثها من تلمسان إلى ملك أرغون يخبره فيها بوصول مبعوث عن هذا الأخير وهو التاجر أرناودي قادراس Arnaud de Cadiras وناقش معه مجموعة من القضايا التي تهم العلاقات بين المغرب وأرغون والرسالة مؤرخة في يوم 24 ذي الحجة من عام 746 الموافق ليوم 17 أبريل من عام 1346 (Los documentos..., pp. 191 - 192).

- رسالة من أبي الحسن إلى دون بيدرو كُتبت بظاهر مليانه (المغرب الأوسط) في الوقت الذي فقد فيه أبو الحسن عرشه بعد انقلاب ابنه أبي عنان عليه. وفي هذه الرسالة يحيط السلطان المريني ملك أرغون علماً بما تعرضت له سفينة مغربية من قرصنة ونهب لمحتوياتها وأسر لركابها المغاربة على يد رعايا دون بيدرو من أهل ميورقة. الرسالة مؤرخة في 29 رجب من سنة 751 الموافق 14 شتنبر 1350 (Los documentos..., pp. 196 - 198).

- رسالة من أبي عنان المريني إلى دون بيدرو الرابع يشير فيها إلى تحركات سفراء الطرفين ونشاط البعثات الدبلوماسية في إطار التفاوض حول إمكانية عقد معاهدة سلام بين المغرب وأرغون. ومن أعضاء هذه البعثات في الجانب المغربي منصور بن علي بن سليمان الياباني وإبراهيم ابن محفوظ وفي الجانب الأرغوني مكييل الكتلاني Miguel

El Catalan وجيل ألبيرط Gil Albert. والرسالة مؤرخة في 28 ذي القعدة من عام 750 الموافق لـ 27 دجنبر 1349 (Los documentos..., pp. 205 - 206).

- رسالة من السلطان أبي عنان إلى دون بيدرو وتعلق باستمرار المفاوضات التي تمت الإشارة إليها في الرسالة السابقة وذلك من أجل عقد معاهدة سلام بين الطرفين الرسالة مؤرخة في 11 ربيع الثاني من عام 751 الموافق لـ 18 يونيو من عام 1350 (Los documentos..., p. 208).

- معاهدة سلم وتجارة بين أبي عنان المريني ودون بيدرو الرابع وقد جاءت نتيجة لمفاوضات مكثفة وطويلة كما ورد في الرسلتين السابقتين. تنص بنود هذه المعاهدة المبرمة لمدة أربعة عشر شهراً، على المهادنة والأمان في جميع المناطق التي توجد تحت نفوذ الملكين وعلى أن لا يتعرض للرعايا المقيمين والمسافرين من البلدين : المغرب وأرغون، وأن لا يُطلب منهم الوظائف والتكاليف باستثناء الجباية المعلومة. تم توقيع هذه المعاهدة في 25 رمضان 751 الموافق لـ 26 نونبر 1350 (Los documentos..., p. 216).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتضمن الإشارة إلى إمضاء ومصادقة الملكين على بنود المعاهدة المذكورة آنفاً. والرسالة مؤرخة في يوم 7 شوال من عام 751 الموافق ليوم 8 دجنبر من عام 1350 (Los documentos..., pp. 212 - 213).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو يدور موضوعها حول القرصنة البحرية التي تطال رعايا الملكين من المغاربة والكطالانيين في عرض البحر الأبيض المتوسط، ويؤكد الطرفان على أن المعاهدة المتعقدة بين الطرفين مازالت سارية المفعول بالرغم من المشاكل المذكورة. الرسالة مؤرخة في 28 رجب من عام 752 الموافق لـ 20 شتنبر من عام 1351 (Los documentos..., p. 210).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتابع تناول موضوع الرسالة السابقة وتقدم تفاصيل حول ما خلفته عمليات القراصنة المسيحيين من انعكاسات سلبية على رعايا ملك المغرب الذي لازال يعتبر نفسه ملتزماً بتنفيذ بنود المعاهدة السابقة بالرغم من تصرفات القراصنة الكطلان الرسالة مؤرخة في 3 شعبان 752 الموافق لـ 25 شتنبر 1351 (Los documentos..., p. 214).

- رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان يعرب فيها عن رغبته في تجديد اتفاقية سلام وصداقة كانت قد عُقدت بين الطرفين حوالي سنة 753 / 1352. والأمر هنا يتعلق بتمديد الاتفاقية لخمس سنوات أخرى. الرسالة مؤرخة في 22 شعبان من سنة 758 الموافق لـ 10 غشت 1357 (Traité..., pp. 325 - 326).

- اتفاقية سلام وصداقة بين دون بيدرو ملك أركون. ملك أرغون وأبي عنان سلطان المغرب، اتفق الطرفان على تنفيذ مقتضيات بنودها مدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ

التوقيع وهو 20 يوليوز 1357. ويلاحظ أن تاريخ هذه الاتفاقية سابق على تاريخ الرسالة الآتفة الذكر والتي تشير إلى استعدادات الطرفين لعقد اتفاقية تؤكد المعطيات أنها هي المنو بها هنا.

وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بوقوع خطأ في تحديد إما تاريخ الرسالة أو تاريخ توقيع الاتفاقية خاصة وأن هذه الأخيرة خالية من ذكر التاريخ الهجري (Antiguos..., pp. 18 - 25).

- رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان تتضمن معلومات عن إرساله سفارة أرغونية إلى ملك المغرب في مهمة سياسية تتعلق بحيداد المغرب في الحرب الدائرة بين أرغون وقشتالة. الرسالة مؤرخة في 22 جمادى الثانية من عام 759 الموافق لفتح يونيو من عام 1358 (Traité..., pp. 327 - 329).

- مرسوم ملكي يمنح مجوبه دون بيدرو الرابع مجموعة من الصلاحيات للفرانس برنات دي كابريرا Bernard de Cabrera وكذلك لمستشاره من أجل عقد معاهدة سلام مع ملك المغرب لفترة محددة ومتفق عليها (Traité..., pp. 329 - 330).

- رسالة من السلطان المريني أبي سالم إلى دون بيدرو يطلعه فيها على أخبار فتحه لعاصمة بني عبد الواد تلمسان وكذلك عملية القرصنة البحرية التي تعرض لها أحد خدام أبي سالم وهو أبو عمران موسى بن إبراهيم وغيره من رعايا المسلمين. وقد طالب ملك المغرب صاحب أرغون بالعمل على إطلاق سراح الأسرى المغاربة والالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات التي سبق أن أبرمت مع السلطان أبي عنان الرسالة مؤرخة في 7 شعبان 761 الموافق لـ 24 يونيو 1360 (Los documentos..., pp. 224 - 225).

- رسالة من أبي سالم إلى برنات دي كابريرا مستشار ملك أرغون يعلمه فيها بتوجه بعثة رسمية مغربية بقيادة يعقوب الرقاني في مأمورية محددة إلى دون بيدرو داعياً إياه لمساعدته وتسهيل مهمته. الرسالة مؤرخة في 10 شعبان 761 الموافق لـ 27 يونيو 1360 (Los documentos..., p. 231).

- مجموعة هامة من الوثائق رسائل واتفاقيات، تخص العلاقات بين ملك أرغون دون بيدرو الرابع وبعض ملوك المغرب الذين حكموا الفترة ما بين 1361 و1386 وهم أبو سالم وأبو زيان محمد الثاني وعبد العزيز بن أبي الحسن وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأبو العباس أحمد وأبو فارس موسى. وتتناول هذه الوثائق التي كتبت جميعها باللغة الكطالانية، مواضيع وقضايا شتى مثل : عمليات القرصنة البحرية وما ينتج عنها من أسر للرعايا المسيحيين والمسلمين الشيء الذي يحتم على الطرفين اللجوء إلى العمل الدبلوماسي ومباشرة المفاوضات وتنشيط حركة تنقل السفراء والمبعوثين لحل تلك المشاكل. وتعكس هذه الوثائق

دوناس بن حمامة المغراوي، عندما مات حمامة تولى الحكم من بعده ولده دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي فورث جميع ما كان بيد أبيه من مناطق المغرب ومدنه واستقر بالعاصمة فاس، ولكنه سيقى عنتا من ابن عمه معنصر المسمى حماد. حيث خرج عن طاعته وجمع لقتاله منافسا له في الحكم ودامت الحرب بينهما إلى أن بدأ ملك دوناس يتقلص حتى أصبح محصورا في العاصمة وحدها ؛ ولم يمنع معنصر من دخولها إلا الخندق الذي حفره حولها دوناس وأسماء سياج حماد. ومن أخطر وسائل الحصار التي استعملها حماد هي قطعه لما الوادي عن عدوة القرويين، ولولا موت حماد سنة 435، وهو مشدد الخناق على دوناس لسقطت المدينة، ولكن الحصار فك مباشرة بعد موت حماد وانفسح الأمل أمام دوناس، وعاد إلى الحكم مرفوع الرأس، وعمل على الدفع بالعاصمة نحو الرفاهية والازدهار. فبنى المصانع والفنادق والحمامات والمساجد وأدار بها السور، وكثر عمران المدينة وقصدها التجار من جميع النواحي لرواج التجارة بها. وعرف عن دوناس طول اشتغاله بالبناء والتعمير إلى أن مات سنة 451. فولي من بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الأندلس ولكن أخاه الصغير عجيسة تحصى بعدوة القرويين، وطالب بحقه في الحكم. وهكذا افتقرت مملكة مغراوة بافتراقهما وضعفت بفعل الحروب والخطوب الجارية بينهما.

ابن عذاري، البيان، 1 : 254 ؛ ابن خلدون، العبر، 7 : 48 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص. 111.

العربي الحمدي

الدوار، أحمد بن علي الصنهاجي ثم الفاسي، انطبعت صفة هذا الشيخ في ذاكرة الفاسيين رداً طويلاً، وعلى الرغم من وفاته خلال العقد الخامس من القرن العاشر (16 م)، فإن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096 / 1685) الذي عاش إلى أواخر القرن الحادي عشر (17 م) يصفه كما لو كان ينظر إليه : معتدل القامة، كبير الرأس، مدور الوجه، دقيق الساقين، حلو الكلام، حسن اللون. وتواتر حرص الفاسيين على ادخار لياثسه، ودأبهم على التبرك بها والتوسل بها في الملمات. ويخبرنا محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) الذي عاش إلى أواخر القرن الثاني عشر (18 م) أن نعل الدوار مازال مدخراً عند بعض بلدييه، وأنه وقف عليه، واستدل بسواد لونه على لباس المغاربة للنعال السود قبل دخول الإspanيين إلى العرائش عام 1019/1610.

وتتصل هذه العناية بذكرى الشيخ الدوار بالأثر العميق الذي كان له في الحياة الروحية بفاس، في حياته وبعد

أيضاً الإلحاح المستمر الذي كان يبديه الطرف الارغوني للضغط على ملوك المغرب بهدف السماح للرعايا الكطلان بالتجارة في الموانئ المغربية وتمتعهم بالحماية اللازمة لهم أثناء تنقلهم خاصة في المناطق الداخلية. ثم رغبة دون بيدرو في عقد تحالفات مع بني مرين لمواجهة الخصم اللدود ملك قشتالة.

- رسالة من الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن إلى دون بيدرو الرابع يطعنه فيها على حركته إلى فاس وحصاره للبلد الجديد ويعبر له كذلك عن رغبته في تحسين وضعية تجار مملكته في المغرب. الرسالة مؤرخة في 21 ذي الحجة من عام 775 الموافق لـ3 يونيو 1374 (Los documentos..., pp. 201 - 202).

ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973 - 1975، ج. 1، ص. 531 ؛ نفسه، أعمال الاعلام فيمن يبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تح. ليفي بروفنسال، دار الكشف، ط. 2، بيروت، 1956، القسم الثاني، ص. 337 ؛ نفسه، اللوحة البديرة في الدولة النصرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 119 ؛ نفسه، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربي، الدار البيضاء، الجزء الثاني، ص. 184 - 185 ؛ النيمري، فيض العباب وافاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزباب، تح. محمد بن شقرون، الرباط، 1984، ص. 31. 34 ؛ ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 542. 546 و628 و633 ؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر ألفرد بيل، مطبعة فونطانا، الجزائر، 1903. 1910، ج. 2، ص. 37 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، بدون تاريخ، ج. 5، ص. 270 ؛ ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطابع فضالة، المحمدية 1988، ج. 7، ص. 133. 135. 137. 139. 141. 143 - 151 - 183 - 185 ؛ ر. السلامي، وثائق مربية، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا نوقشت بالرباط سنة 1989، ص. 171 - 214 وص. 257. 268 وص. 310. 318 وص. 385. 392.

A. Capmany y de Montpalau, *Antiguos tratados de Paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII Hasta el XV*, Madrid, 1974 ; L. de Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-âge*, Paris, 1866 ; S.M. Alarcón, L.R. García, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la corona de Aragón*, Madrid - Granada, 1940; *Crónica de Don Pedro IV de Aragón*, éd. Amédée Pagès, Toulouse - Paris, 1942 ; V. Salavert y Raca, *La corona de Aragón en el mundo mediterráneo del siglo XIV*, Valencia, 1967 ; Ch.-E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragón*, intitulé *Guerre Sarracenorum 1367 - 1386 in Miscelánea de Textos Medievales*, T. 2, Barcelona, 1974 ; L. Perez, *La corona de Aragón y el Maghreb en el siglo*

مات. وقد استقطبت مشيخته جل العناصر الفاعلة في تاريخ الحركة الصوفية بالحاضرة الوطاسية، خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م)، من الانتساب للزروقية الداعمة للأمراء الوطاسيين، وموافقة البهل والحال والجذب والملازمة، والظهور بالمكاشفة والأخبار بالمغيبات، مما يتعشقه الناس ويدعن له الجمهور.

وينحو مترجموه المتأخرون إلى القول بسبق الولاية والصلاح في سلفه بصنهاجة الحجر، ويذكرون من أجداده الشيخ أحمد بن عبد الرحمان الصنهاجي. ويجعلون خروجه من بلده إبان حدثه، ودخوله فاس بعد مدة، وبقائه بها إلى أن مات. ويمكن حصر الخصائص التي ميزت مشيخته بها، وكمنت وراء خطورة شأنه حيا وميتا في ثلاث، وهي :

1 - التفرد بسند الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 1520/926) صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الأخذين عن الشيخ أحمد زروق (ت. 899/1493) على عهد استقراره بفاس في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريق الثاني والكبير في الزروقية إلى جانب الطريقة الراشدية، إذ لا يعرف من الأخذين عن الشيخ أفحام سواه. ويعد الدور بذلك الوسطة الوحيدة في السلسلة الزروقية - الأفحامية، والعلم الوحيد المعروف من أعلامها في الطبقة الزروقية الثانية. ويمكن ترجمة هذا التفرد على مستوى السند إلى مشيخة الطريقة الزروقية - الأفحامية بعد وفاة الشيخ أفحام في العام المذكور، وزعامة القوة الصوفية الداعمة للدولة الوطاسية في صراعها مع الحركة السعدية التي اكتمل العقد على انطلاقها في جنوب البلاد. ويؤيد هذا الزعم المكانة الرفيعة التي كانت للشيخ الدور لدى الوطاسيين، الذين كان يدخل ديارهم فيتلقاه النساء والأولاد ويقبلون يديه وقدميه ويدفعون إليه الحوائج النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه. وقد نقل صاحب ابتهاج القلوب خبراً منسوباً إلى المؤرخ أحمد ابن القاضي (ت. 1616/1025) مفاده أن الشيخ الدور وقف يوماً بقطرة الصباغين وهو ينادي : "اخرجوا بني مرين والله ما نترككم ببلادنا، وكان ذلك آخر انقراض دولتهم". ويتصل هذا الخبر بتحول موقف مشايخ الملامتية من الصراع الدائر على الرئاسة بين الوطاسيين والسعديين، وانحيازهم إلى صف الأخيرين. لكن حضور السلطان الوطاسي وأرباب دولته جنازة الدور، كما سيأتي ذلك، يفيد تأخر طرؤه الفساد بين الملامتية والوطاسيين إلى ما بعد وفاته.

2 - الظهور بالاتجاه الصوفي للزروقية - الأفحامية التي اقتفت أثر المدرسة الصوفية الملامتية التي نشأت بخراسان خلال القرن الثالث (9 م)، وبالضبط بنيسابور على يد حمدون بن أحمد القصار (ت. 884/271). وإذا كانت ملامتية الشيخ أفحام أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي الذي قصد به مشايخه الأوائل إلى مجاهدة النفس ورياضتها، والحرص على ألا ينم الظاهر عن الباطن، وألا

تظهر الأسرار في الأقوال والأفعال، وكتمان المعاملة مع الخالق.

وجاءت ترجمته عاطلة بالمرّة مما يفيد ظهوره بما يجلب عليه الملازمة من الغير أ وبأخذه النفس باللوم واليخع والتأنيب. بل إن مترجميه يجعلون طريقته محمديّة، ويقولون إنه كان قد رأى الرسول ﷺ في النوم ففتح له على يده الكرميّة وأخذ عنه ﷺ، ثم انضاف إلى الشيخ زروق وصحبه وانتسب إليه بقصد التربية والتهديب. فإنه مع تلميذه الأوحّد صاحب الترجمة ستخرج الملامتية من طور الحمول والكتمان إلى طور الظهور والإعلان، ويعتمد أتباعها الظهور في الناس بالأُمور الموحشة التي تجلب لومهم وتؤدي إلى تنافرهم عنهم. بل إن الشيخ الدور سينفلت من باب ترك التزين للخلق وترك طلب رضاهم إلى ضروب البهل والجذب والحال، ويؤكد الصلة بينها وبين الملازمة. ويوافق ضروباً من السلوك غير جارية على الشروط الشرعية، ويخرج في العبادات والعبادات عما هو معروف من ظاهر الشريعة. وهكذا اشتهر بإراقة الزيت على نفسه، واتخاذة خديماً من محصنات الحاضرة الفاسية، واقتحام البيوت من غير استئذان أهلها، وإمعانه في عدم الالتفات إلى أحد، وإعراضه عن الحظوظ الدنيوية، وزهده في الأهل والمأوى، وعدم الركون إلى قرار.

3 - تصدر المشايخ الذين انتسب إليهم الشيخ عبد الرحمان بن عياد المشهور بالمجذوب (ت. 8/976 - 1569)، إذ كان الدور أول من اعتمد عليه المجذوب وانتسب إليه في الطريق. وقد عني بهذه الصدارة مصنفو التراجم من أهل الزاوية الفاسية غاية العناية، رعيّاً لمكانة المجذوب الذي خدمه ولازمه جدهم أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013/1604) وعده عمدته في الطريق واعترف له بالمنة فيما حصل له من فتح. فأعلوا درجة الدور في التراتبية الصوفية، ورأوا في بعض كلامه ما يدل على أنه كان من الأبدال.

وأولوا لقب الدور الذي كان يكره اللقب به على وجه يجعله من أهل الخصوصية ومن أوتي القدرة على سلب الأحوال، والتصرف في المريدن بالنفع والضرر. وإذا كان محمد بن عسكر (ت. 1578/986) قد أشار في الترجمة التي أفردها له من فهرسته دوحة الناشر إلى كثرة دورانه في الأماكن والأسواق، وصراخه باسم الجلالة، دون أن يصرح بأنه لقب بالدور لذلك. فإن التراجم الفاسية تقول إن تسمية الدور قد جرت عليه أولاً لذلك، وأنه قد حدث بعدها تأويل من قبل أرباب البصائر والخبرة، وتوجيه بالندم في العطية للأسرار والأحوال، وأنه كان يدور في عطيته فيستردها، وأنه كثيراً ما كان يسلب الأحوال الخارجة على يديه لأدنى سبب يقع من المريد أو دونه. ولا يخلو هذا المعنى الثاني من اشكال لاختصاص الشاذلية بالتأمين من

سلب الموهوب، وأن من وصل منهم على طريقهم لا يحصل له رجوع، ومن حصلت له نعمة على أيديهم لا يخشى عليها زوالاً ولا نقصاً. وقد كانت للشيخ عبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1680/ 1091) عناية بهذا الاشكال، ويسطه نجله عبد الرحمان في الفصل الذي عقده لمشايخ المجذوب من كتابه "ابتهاج القلوب". وجاء بالمقالات الشاذلية التي يقوم عليها، واجتهد في التأويلات التي يحتملها، ومثل بحالات سلب وقعت لبعض مشايخ القرن العاشر.

ويبقى مزام بني الجد اكساب زاويتهم من جاه الدوار الذي لا تزيده كتاباتهم إلا تواتراً، وقد سبقهم ابن عسكر إلى ذكر الاعتقاد الكبير الذي كان لأهل فاس في هذا الشيخ، وأن ولايته كانت عندهم قطعة كفلق الصبح، كما كان شأنه عندهم عظيماً. وإذا كنا قد اهتمنا بتفرد الشيخ الدوار بالسند الزروقي - الأفحامي، واعتنى أهل الزاوية الفاسية بتصدره لمشايخ المجذوب، فإن محمد بن عيشون الشراط (ت. 1697/ 1109) قد توسع في سنده، ويسطه في صفحات عديدة ختم بها الترجمة التي أفردا له من كتابه الروض العطر الأنفاس، ورفعها إلى كبار التابعين والصحابة والرسول ﷺ.

ولم ينافس المجذوب في الأخذ والإراثة عن الدوار سوى السيدة أمينة بنت أحمد بن علي بن القاضي المتوفى عام 1548/ 955، جد المؤرخ أحمد بن القاضي المذكور، ومتولي خطة القضاء والتدريس بمكناس. وإذا كان انتقال أبيها إلى فاس بأهله واتخاذها داراً يفسر باللاحاق بأستاذه الإمام محمد بن غازي (ت. 1513/ 919) الذي أبعده بنو وطاس عن مكناس، فإن شيخها الدوار كان يقول إنه ما جيء بأولاد ابن القاضي كلهم من مكناس إلى فاس إلا لأجلها. وكانت تخدمه وتتبعه ولا تفارقها آنية الزيت، إذا أتاها وجدها عندها ليريقها على نفسه، لأنه كان يحب ذلك. وتذكر كتب التراجم أن الشيخ المجذوب اقتسم معها الإراثة الروحية لشيخها الدوار على الوجه الشرعي للذكر مثل خط الأنثيين، وأنه لم تكتمل له هذه الإراثة إلا بعد وفاتها التي حدثت عام 1556/ 963، وقد دفنت بروضه شيخها وراء ظهره. ومن اشتهر من أتباع الدوار أيضا الشيخ محمد بن منصور (ت. 1589/ 997) دفين فاس الجديد على مقربة من وادي فاس، وقد كان له كلام في الإشارات والمعاني على لسان القوم.

وعلى الرغم من سكوت مترجمي الدوار عما إذا كان قد أوتي حظاً من العلم أم لا، إلا أنهم يذكرون أبياتاً تنسب إليه، وهي :

الموت أفنى من مضى والموت يفني من بقي
والموت يجمع في الثرى بين المنعم والشقي
يا من أساء فيما مضى كن محسناً فيما بقي
وقد سمع صاحب ابتهاج القلوب والده ينشدها، وسأله

عن نسبتها إليه، فأكد له أنه سمع الناس ينسبونها إليه. كما وجد بخط الشيخ عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت. 1626/ 1036) كلاماً معزواً إلى الدوار في معاني حروف الهجاء وأسرارها. ولا يتسع المقام لجلبه، ويشهد لصاحبه بعلو الكعب في العلم ظاهره وباطنه، ويراجع في ابتهاج القلوب و"الروض العطر الأنفاس" لابن عيشون. وقد اختلف في تحديد تاريخ وفاة الشيخ الدوار، فجعلها ابن عسكر في آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر، وهذا يتفق مع ما قيده بعضهم من أنه توفي في جمادى الثانية عام 947/ أكتوبر 1540، وهو التاريخ الذي اعتمده ابن عيشون. في حين يعود عبد الرحمان الفاسي بتاريخ هذه الوفاة إلى بداية هذه العشرة، ويقول إن الأقرب: الذي يصح أنه توفي في أول سنة 941/ 1534، أو في تمام السنة التي قبلها. وقد حضر السلطان وخاصة دولته وفقهاء الحاضرة الفاسية جنازته، وتساقط الناس عليها، وتقاسموا أعواد نعشه وسجاده ولباسه. ودفن خارج باب الفتوح من فاس، وبني عليه بناء حسن، وجدد عليه البناء عام 1067/ 1657. الفقيه الصغير ابن القاضي (ت. 1678/ 1089) بمال ورثه، ثم جدد البناء عليه السلطان المولى الحسن الأول (1290/ 1312/ 1873. 1894).

م. ابن عسكر، دوحه الناشر، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 2 : 865 : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرة، 190. 191 : ع. الفاسي، ابتهاج القلوب، تج. ح. الداوي، 124 - 139 : م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، تج. ع. العمرادي وع. مراد، 110. 113 : تحفة أهل الصديقية، مخ. خ. ع. 76 ج، 69، 72 : م. ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس، تج. ز. النظام، 73. 85. 86. 87، 323 - 324 : م. الصغير الإفرائي، نزهة الحادي، تج. ع. الشاذلي، 71 : م. القادري، نشر الثاني، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 5 : 1795 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجرة، 2 : 219. 223 : ع. نجمي، من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري : الملامية، مجلة تاريخ المغرب، السنة الأولى، 1401/ 1981، العدد الأول، 15. 57.

عبد الله نجمي

الدوار أو الدشر وحدة الاجتماعية والإدارية الأساسية في المجتمع القروي. (ويسمى كذا - حسب المناطق - الحروية أو القصر أوتيجمي أو أشون)، ويتعلق الأمر بجماعة بشرية تتكون من مجموعة من الخيم (انظر مادة خيمة) أو الكواوين (20 إلى 30 حسب دراسة روبر مونتاني لسوس)، ينحدر أعضاؤها، مبدئياً، من نفس الجد. ورغم هذه القرابة العصبية، التي تلعب دوراً أساسياً في التحام أفراد الدوار، فإن هذا الأخير يضم أحياناً أشخاصاً يلجؤون إليه هروباً من ثأر أو غيره، ويتم تبنيهم عادة عبر مؤسسة الزواج.

بالإضافة إلى هذا العنصر السوسيولوجي، يتميز الدوار

بسبب السلبية من سنة 1919 إلى أن توفاه الله سنة 1934 .
م. ابن عزوز حكيم، الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة في شمال
المغرب، الرباط، 481.

محمد ابن عزوز حكيم

دينية (أسرة رباطية) ← دنية

دووس Duous واد انفراد بذكره الجغرافي بطليموس :
Ptolémée, 4, 1, 2. وقد رتبته بين مدينة سلا ومكان سماه
بالأطلس الصغير. وحدد للسوادي المذكور الإحداثيات
التالية : الطول 6 درجة و 10، العرض 33 درجة و 20.
ظن شارل تيسو أنه هو وادي المالح الذي يصب جنوب
مدينة فضالة - المحمدية حالياً - وقد وافقه روجي والأستاذ
مولاي رشيد في هذا الرأي.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Index de topographie ancienne du Maroc*, Rabat, 1939 ; E.M Moulay Rchid, *Le Maroc septentrional selon Claude Ptolémée*, R.G.M., Nouvelle série, 3, 1979.

محمد مجدوب

الدويري، أسرة فاسية تشتمل حسب رفع الالتباس
على فرقتين : فرقة شرفاء من جبل العلم لهم شهرة أهل
معاش حرفة وجاه ؛ وفرقة من سجلماصة من محل هناك
يقال له الدويرة، وهم أمويون من نسل أمير المؤمنين عثمان
بن عفان كما رأيت ذلك في حجج بيدهم" منهم : الحاج
المدني الدويري الذي كان أميناً بمرسى الدر البيضاء أيام
الحسن الأول. والحاج قاسم الدويري من أمناء بيت المال
(الأقواس) بمكناس أعوام 1305 . 1308.

الدويري، محمد بن عبد الواحد العثماني
الفاسي. كان فقيهاً مشاركاً مطلعاً، تولى قضاء صفرو ثم
نقل إلى قضاء مراكش وبعده أعفي من منصبه، وكان قد
قُضي عليه أيام السلطان محمد بن عبد الرحمن بالسجن
والذعيرة ثم عفي عنه. وولاه الحسن الأول قضاء مدينة
أسفي.

مرض محمد الدويري بأسفي فرجع إلى فاس وبها
أدركته منيته في ثامن ربيع الأول عام 1302 / 28 دجنبر
1884 ودفن بزاوية بدرب الحرة.

الدويري، محمد بن محمد بن عبد الواحد
العثماني ولد بفاس عام 1273 / 56 . 1857 وبها نشأ ودرس
على والده وعلماء عصره، فتخرج فقيهاً متمكناً في
الأصول والفروع. أسند إليه قضاء مدينة صفرو ثم القصر
الكبير فالدار البيضاء فالجديدة فأسفي.

باحتلاله مجالا جغرافيا معيناً ذا حدود قارة، ويوجد نشاط
اقتصادي يعتمد أساساً على الفلاحة والرعي (وبعض
الصناعات الحرفية المحلية)، الشيء الذي يفرز تمايزاً سوسيو
- اقتصادياً رغم التجانس الذي تتسم به مظهرها ساكنة
الدوار.

وعلى مستوى الملكية العقارية، نجد إلى جانب الملكية
العائلية ملكية جماعية تتعلق بالمراعي والغابات
والطرق، وذلك في إطار الانتماء إلى وحدة أكبر (الفخدة
أو الفرقة، انظر هاتين المادتين).

يمثل الدوار كذلك وحدة ثقافية لها عاداتها وتقاليدها
وقوانينها، التي تكون تارة مكتوبة وتارة عبارة عن أعراف
شفوية، وتعتمد لتدبير ما هو محلي. وفي هذا الصدد يعين
أو ينتخب الدوار جماعة تفتله وتسهر على تسيير شؤونه.
هذه الجماعة التي يفترض فيها أن تمثل كل أفراد المجتمع
المحلي، لا يشارك فيها فعلاً إلا الرجال المتزوجون والقادرون
على حمل السلاح، مما يقضي العزاب والخماسة والعييد (إن
وجدوا) ؛ كما توجد عملياً بين أيدي الأعيان الذين
يتناوبون على إدارة مجلس الجماعة.

من الناحية الإدارية، يوجد على رأس الدوار مقدم يسهر
على تنفيذ قرارات الجماعة، أو القرارات الصادرة عن
السلطات المخزنية.

تحت تأثير تنفيذ الحياة الاقتصادية، ونزع الأراضي من
أصحابها وتكديدهم - أثناء الفترة الاستعمارية - سيفقد
الدوار وحدته، إذ سيضطّر عدد من أفرادها إلى الهجرة
(داخل المغرب أو خارجه)، وستحل الفردانية، الناجمة عن
تحول عدد من القرويين إلى عمال زراعيين، محل التأزر
الذي كان يطبع المجتمع التقليدي، كما سيفقد الدوار كذلك
وحدته القروية إذ سيزداد عدد الغرباء الذين سيصبحون من
المالكين العقاريين. وستتفاقم هذه الوضعية بعد الاستقلال،
خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار التقطيعات الجديدة
المرتبطة برهانات انتخابية وتتدخل الدولة في إطار التحديث
الزراعي وما ينتج عن كل هذا بالنسبة للدوار الذي يصبح
مجرد تجمع سكني آخذ في فقدان هويته الاجتماعية
والثقافية.

عبد الجليل حليم

الدوأس، الحاج محمد بن أحمد قائد كان يرأس
جماعة من المجاهدين من قبيلة بني غرفط أنظم إلى حركة
المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد
الرسوني ؛ وقد مثل قبيلته في مؤتمر الثورة المنعقد بضريح
مولاي عبد السلام يوم 20 يوليوز 1913 حيث عين عضو في
القيادة المركزية للثورة كما شارك في 11 معركة، وعلى إثر
جروحه في معركة بني صالح يوم 25 مارس 1919 وقع أسيراً
بيد الجيش الإسباني ومكث بسجن "الهاشو" El Hacho

توفي بفاس عشية يوم السبت ثامن وعشري رجب عام 1349 / 20 دجنبر 1930.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، الرباط 1933، ج. 2 : 460 - 461، ج. 3 : 462، ج. 5 : 368، ع. السلام ابن سودة، رفع الالتباس، مرقون : إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2763 و 2996.

محمد حجي

الدويمالنيون من الأسر السوسية الرگراكية موطنها قرية دُويمالال (تحت الرمال) بقبيلة أملن شمال تفراوت. اشتهرت في خطط القضاء والفتوى والتدريس، إذ تولى أفراد الأسرة قضاء تفراوت منذ القرن العاشر الهجري، وشارطوا في مدارس أملن. بالإضافة إلى ذلك، منهم من كان مقصوداً للتربية الصوفية، بل منهم من نسبت لهم كرامات.

استطاع المختار السوسي بعد مناقشة نسب الرگراكيين بسوس وما يطرحه من شكوك، أن يحصي أربعة عشر علماً من أعلام الأسرة، وذكر أن لهم اتصالاً بالشيوخ الإلغيين والجشيميين والتمكدشتيين مما كان له تأثير في صقل معارف الأسرة وتهذيب سلوك أفرادها الصوفي.

م. بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تح. أ. بومزكو، بحث لنيل د. د. ع. الرباط، 1994، التراجم 54. 404. 760. 761. 819. 820 م. المختار السوسي، رجالات العلم العربي، 1989، ص. 22. 45. 111 : المعسول، 1 : 369، 3 : 110. 112، 4 : 25. 5 : 194. 198. 255. 303. 317، 9 : 150. 212 : داود بن علي الكرامي، بشارة الزائر، مخطوط خزانة الإگراي : وفيات الرسومي، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1988، ص. 26. 27. 30. 33. 42.

شفيق أرفاگ

الدوق دي براگاش بحار برتغالي عين قائداً للحملة البرتغالية الثانية لاحتلال أزمو، على رأس أسطول يتألف من مائتي سفينة ولم يطلع ضباطه على هذه الحملة إلا يوم 20 غشت 1513. وبعدما بلغت الحملة قبالة أزمو يوم 25 غشت وجه المراكب للجوء إلى منطقة مازگان نتيجة رداءة أحوال الطقس ولم يتعرض لها سكان المنطقة، مما شجع الدوق على نصب المخيم بالساحل من يوم 27 غشت إلى فاتح شتنبر وهي في حالة استنفار، ولم يحل ذلك دون تعرضها لاغتيال بعض رجالها (اثني أو ثلاثة) وفقدان بضعة خيول من طرف بعض الأهالي المناوئين للاحتلال البرتغالي وأنصاره من المحليين.

وفي صباح يوم الخميس فاتح سبتمبر انطلقت الحملة نحو أزمو التي بلغت في المساء، والتحم أحد قواد الدوق دوبراگاس جواودي مينيسيس Joao de Meneses مع فرقة من الأهالي الذين أظهروا قوة في الصراع معاً دفع بالكريت

دي بوربا Le Comte de Borba إلى أمر القوات البرتغالية بالتراجع. ولم يتم نصب المخيم على مشارف أزمو إلا ليلاً.

وفي يوم الجمعة سبتمبر تم انزال المدفعية، وبعد الزوال ظهرت قوات مغربية مكونة من حوالي أربعة إلى خمسة آلاف فارس. وقد توجه بعض البرتغاليين نحو أسوار المدينة مصحوبين بواقيتين خفيفتين يقود إحدهما جورج بارتر Jorge Barreto، واجههم المدافعون عن المدينة برشقهم من أعلى الأسوار بجياح النحل والناار الذي أحرق الواقيتين، وبالسهم، وبطلقات نارية ضعيفة.

وفي المقابل كانت قوات الفرسان المغربية تتقدم بانتظام وكأنها تستعد للمواجهة، مما دفع البرتغاليين إلى الاستعداد من جهتهم ؛ وأمام توقف المغاربة فكر الكونت دي بوربا في أخذ مبادرة الهجوم لكن انسداد الظلام حال دون ذلك، حيث تظاهرت المسلمون بالانسحاب ثم كروا فجأة حاملين على البرتغاليين مستغلين انسحابهم، ملتحمين معهم في معارك لم تتوقف إلا مع حلول الليل.

وخلال الليل انشغل السكان في مغادرة المدينة وقام بعض اليهود إلى المعسكر البرتغالي لإخبار الدوق دي براگاس بذلك وفي صباح اليوم الموالي دخل الغزاة، وقد عين حامل روي بارطو دخلت قوابة برتغالية النهر بستين زورقاً لإحراق منجنيقات الأهالي التي حاولوا بها إتلاف الأسطول البرتغالي.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الجزء 1، ص. 158.

S.I.H.M., Portugal, T. I, p. 405 - 09.

حسن أميلي

دي جوانفيل (François Ferdinand Philippe) هو الابن الثالث للملك الفرنسي لويس فيليب، ولد عام 1818 في نويي - سور - سين (Neuilly - Sur - Seine). وبعد إتمام دراسته في المدرسة البحرية عين قبطانا لبارجة. وقد حضر احتلال مدينة قسنطينة عام 1837 بعد غزو الجزائر.

وفي المغرب ارتبط اسم الأمير دي جوانفيل بقبيلة الأسطول الفرنسي لمدينتي طنجة والصويرة، وعقد معاهدة طنجة عام 1844. فعلى إثر الاشتباكات التي شهدتها منطقة الحدود الشرقية في نهاية شهر مايو 1844 بين المغاربة والفرنسيين، والتي نتجت عن إقدام القوات الفرنسية على إقامة مركز في لالة مغنية غرب نهر تافتا - وكان المغرب يعتبره حداً بينه وبين الجزائر - ؛ تحركت فرنسا للضغط على المغرب دبلوماسياً وعسكرياً.

وفي هذا الإطار قررت الحكومة الفرنسية بتاريخ 11 يونيو 1844 إرسال أسطول حربي إلى شواطئ المغرب، وأسندت قيادته إلى الأمير دي جوانفيل. وكانت غاية

الحكومة الفرنسية من اختياره، هي "تأكيد الأهمية التي كانت تعلقها على مهمته". وقد زودته بتعليمات تقضي باستعمال الضغط أو بتوجيه ضربة عسكرية "حاسمة وسريعة"، من أجل إجبار المغرب على قبول الشروط الفرنسية، التي يمكن إجمالها في أربعة رئيسية :

1 - معاقبة المسؤولين المغاربة في ناحية وجدة.

2 - إخلاء المنطقة الشرقية من الجيش المغربي.

3 - طرد الأمير عبد القادر الجزائري من المغرب.

4 - عقد معاهدة جديدة لرسم الحدود بين المغرب والجزائر.

وقد أُلْعِقَ الأسطول الفرنسي من طولون (Toulon)، ووصل إلى وهران في أوائل شهر يوليو، حيث كان على دي جوانفيل أن يضع نفسه تحت إمرة الجنرال بوجو (Bugeaud) وينسق معه.

وفي يوم 9 يوليو وصل الأمير إلى شاطئ طنجة، حيث كان القنصل الفرنسي دي نيون (de Nyon) قد حصل من باشا العرائش بوسلهام بن علي على الإذن بالصعود إلى سفينة دي جوانفيل، الذي وجه إنذاراً إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، يطلب الموافقة العاجلة على الشروط الفرنسية. وفي انتظار الجواب، قرر إبقاء أسطوليه في قادس، غير بعيد عن الأسطول الذي أرسلته الحكومة البريطانية لمراقبة تحركات السفن الفرنسية، بينما كان القنصل الأنجليزي دراموند هاي (D. Hay). يحاول إيجاد تسوية للنزاع تحول دون وقوع أعمال حربية.

وكان الجنرال بوجو يبحث دي جوانفيل على الشروع في القتال دون انتظار، مبرراً ذلك بأنه - وهو في داخل المغرب - لا يستطيع البقاء في مكانه أكثر من عشرة أيام. وقد أبلغ دي جوانفيل إلى القنصل دي نيون، أنه رغم عدم اتفاقه مع بوجو، فهو مضطر إلى النزول عند رغبته وبدء القتال. وقد توجه فعلاً إلى شاطئ طنجة يوم 23 يوليو ؛ غير أن قائد هذه المدينة ابن عبو، الذي لاحظ الاستعدادات الجارية في القنصلية الفرنسية لمغادرة المدينة ؛ منع الأجانب من الخروج باستثناء قنصلي بريطانيا وناپولي، فاضطر دي جوانفيل إلى تأخير بدء القتال، خاصة وأن القنصل دي نيون كان مقتنعاً بنجاح مهمة هاي لدى السلطان. ولتبرير هذا التأخير، وجه الأمير إنذاراً جديداً وأخيراً إلى باشا العرائش، اشترط فيه السماح للفرنسيين بمغادرة طنجة، إضافة إلى الشروط المذكورة أعلاه، ومنحه مهلة ثمانية أيام تنتهي يوم 2 غشت.

وقد وافق باشا العرائش على خروج الفرنسيين من طنجة، لكن الجواب على الإنذار لم يأت في اليوم المحدد. وقد أنذر الأنجليز دي جوانفيل بتحمل عواقب مقتل قنصلهم إذا بدأوا القتال قبل عودته. فاضطر الأمير إلى الانتظار مرة أخرى حتى وصل جواب الإنذار يوم 4 غشت.

وقد أثار هذا الجواب خلافاً حاداً بين دي جوانفيل والقنصل دي نيون. فقد اعتبره الأول غير مرض، لأنه

يطالب بمعاقبة الجنرال بوجو في مقابل معاقبة عامل وجدة، ولا يقدم شيئاً بالنسبة لبقية المطالب. أما دي نيون، فقد رأى أن مضمون جواب السلطان يخالف ما فهمه دي جوانفيل، واعتبره مستجيباً للمطالب الفرنسية. وقد تدخلت الحكومة الفرنسية في هذا الخلاف لصالح الأمير، وأمرته يوم 5 غشت ببدا القتال إذا لم يكن هو راضياً عن جواب المغاربة. فقرر بدء الأعمال الحربية في اليوم التالي، وكان القنصل الأنجليزي قد غادر الصورة في تلك الأثناء.

مهاجمة طنجة : ورد في يوميات ترجمان الأسطول الفرنسي فارني (Warnier)، أن دي جوانفيل أعطى الأوامر للشروع في قبلة مدينة طنجة في الساعة السابعة من صباح يوم 6 غشت، وأكد أن قذائف المدافع انطلقت في نفس الوقت من الأسطول الفرنسي، ومن أسوار وأبراج طنجة. ولاحظ أن المغاربة أظهروا استماتة في القتال، حيث كانوا "يموتون فوق مدافعهم" وأنهم ركزوا قصفهم على سفينة القيادة التي كان فيها دي جوانفيل، وقد سقطت عليها تسع وأربعون قذيفة. وذكر فارني أن القصف توقف عند الساعة الثانية عشرة زوالاً، بعد أن تم تدمير أغلبية مدافع طنجة. وقدر خسائر الفرنسيين بقتيلين وخمسة عشر جريحاً. أما خسائر المغاربة فقد قدرها ربان مركب إسباني بمائتي قتيل وأربعمئة جريح، ودمر الحى المجاور للأسوار، وكان دي جوانفيل يزعم أن الهجوم كان مركزاً على التحصينات وحدها.

وقد شارك في قصف طنجة حوالي ثمانية وعشرين مركباً فرنسياً يحضرون مراكب أنجليزية وسويدية ودانماركية وإسبانية كانت تراقب العمليات الحربية. أما معلومات الإنجليز التي أبلغوها للسلطان، فقد أفادت بأن الفرنسيين خسروا ستة وعشرين قتيلاً وسبعة وثلاثين جريحاً، مع إصابة عدة مراكب فرنسية. وأكد المولى سليمان، ابن السلطان، في إحدى رسائله، أن إصلاح ما دمره القصف "متيسر في وقت قريب... لأن رمي العدو لم يعم جميعها". وأخبر كذلك بأنه تم جمع ثلاثة آلاف قذيفة مدفع داخل المدينة صالحة لإعادة استعمالها، وذكر بعض القناصل أن مجموع ما ألقى على المدينة من القذائف يزيد عن ستة آلاف.

وبعد انتهاء القصف، أُلْعِقَ الأسطول الفرنسي في اتجاه الجنوب، نحو الصورة يوم 9 غشت، وقد سبقته إلى هناك سفينة أنجليزية لتحذير المغاربة.

مهاجمة الصورة : وصل الأسطول الفرنسي المكون من سبع عشرة سفينة إلى شاطئ الصورة يوم 11 غشت. إلا أن هيجان البحر أجبر الأمير دي جوانفيل على تأخير الهجوم.

وقد جاء في مذكراته : إن اختيار الصورة كهدف للضرب، كان ناتجاً عن أهمية مداخلها بالنسبة لسلطان المغرب، وقال : "لقد بددنا أوهامه في طنجة، في حين سيقوم الجنرال (بوجو) بإسقاط كبرائه في ساحة معركة إيسلي، وأقوم أنا بفتح ثغرة في خزينته". ولاحظ ترجمانه

قارني، أن المؤسسات التجارية الفرنسية في السنغال تستفيد من تدمير الصورة.

وفي يوم 15 غشت بعد الظهر بدأ قصف المدينة بمدافع الأسطول، واستمر ذلك أربع ساعات. وقد لاحظ دي جوانفيل أن دفاع الصورة كان أكثر جدية من دفاع طنجة. وبعد إسكات مدافع المدينة، أمر بإنزال خمسمائة جندي إلى الجزيرة لاحتلالها. لكنهم وجدوا مقاومة شديدة من حاميتها التي كانت تتكون من أربعمائة مقاتل، واستمرت المقاومة إلى اليوم التالي، حيث تم للفرنسيين الاستيلاء على الجزيرة فأسروا حوالي مائة وخمسين من المدافعين المغاربة، نقل مائة وسبعة وعشرون منهم بعد ذلك إلى وهران، أما الباقون، فقد قتل أغلبهم وفر قليل منهم سباحة إلى المدينة. وقدر الفرنسيون خسائرهم بأحد عشر قتيلًا واثنين وخمسين جريحًا مع إعطاب بعض السفن. وفي اليوم نفسه (16 غشت)، بعث دي جوانفيل إنذارًا إلى باشا الصورة، عبد الله الرزيني، أبلغه فيه بأنه سيقوم بإعدام الأسرى المغاربة إذا لم يسمح للقنصل الإنجليزي بالصورة وللأوربيين بها، بمغادرتها. وبعد خروج القنصل الإنجليزي وصعوده إلى سفينة إنجليزية كانت تراقب الأحداث؛ بعث دي جوانفيل بقوة تتشكل من ستمائة رجل إلى المدينة لإتمام تخريب ما بقي صالحًا بها من المدافع؛ واعتقد السكان أن غايته كانت احتلال المدينة، ففروا ومعهم الباشا إلى خارجها فعمت حالة الفوضى.

وفي 23 غشت غادرت أكثرية سفن الأسطول الفرنسي شواطئ الصورة في اتجاه قادس، بعد أن ترك دي جوانفيل حامية بالجزيرة مع مؤن تكفي لمدة شهرين، وبعض السفن الحربية لإحكام الحصار حول المرسى. غير أن نيران المدافع أطلقت من المدينة على الأسطول الفرنسي عند إقلاعه، فعاد دي جوانفيل وأنزل قوة لتدمير المدافع المهاجمة قبل أن يتابع سفره.

وقد اعتبر الفرنسيون أن حملة دي جوانفيل البحرية على طنجة والصورة، كانت أكثر تأثيراً على السلطان من هزيمة إيسلي، لأنها حرمت من موارده الأساسية: مداخيل ديوانة طنجة والصورة.

معاهدة 10 شتنبر: وبسبب سوء التفاهم المشار إليه أعلاه، بين دي جوانفيل والقنصل دي نيون، عينت الحكومة الفرنسية الدوق غلو كسبورغ وهو كاتب السفارة الفرنسية بمدير، لقيادة المفاوضات بين الفرنسيين والمغاربة، عقب انتهاء الأعمال الحربية.

وفي هذه المفاوضات، تخلى دي جوانفيل عن رغبته في فرض غرامة حربية على المغرب مقدارها عشرة ملايين فرنك، مبرراً ذلك في رسالة منه إلى وزير الحرب، بالحاجة إلى الوصول إلى صلح سريع، ويعجز قوات الجنرال بوجو عن التقدم إلى فاس، ونفاد موارد الأسطول بعد معارك طنجة وتطوان، هذا إضافة إلى أن القنصل دي نيون كان يعارض

هذه الغرامة.

وبعد أن تأكد المفاوضون الفرنسيون من أن الباشا بوسلهام بن علي يحمل التفويض اللازم من السلطان للتباحث حول معاهدة الصلح والتوقيع عليها؛ توجهت ثمانى سفن إلى طنجة مع دي جوانفيل وكلو كسبورغ ودي نيون، حاملين معهم نص معاهدة صلح لكي يوقع عليها بوسلهام دون تعديل أو يرفضها. وبعد أن تلقى دي جوانفيل إشارة من قنصل نابولي - الذي كان يقوم بتمثيل مصالح فرنسا في طنجة بعد خروج القنصل الفرنسي منها - بأن الباشا قد وافق على المعاهدة المقترحة؛ نزل الثلاثة إلى طنجة، وتوجهوا لمقابلة بوسلهام بن علي الذي وضع خط يده على الوثيقة يوم 10 شتنبر بعد أن "حصل على عدد من التوضيحات وأجرى عدداً من التدقيقات". وقد وقعت نسختان بالعربية ونسختان بالفرنسية، واحتفظ كل طرف بنسخة عربية وأخرى فرنسية.

وبعد إتمام التوقيع كتب دي جوانفيل إلى وزير الحرب الفرنسي معبراً له عن تقييمه للمعاهدة قائلاً: "في هذا اليوم حصلت الحكومة على أكثر مما كانت تطلبه، وأكثر مما لم تكن قد حصلنا عليه في أي يوم من المغرب. كل هذا بدون مساعدة أي نفوذ أجنبي وفي ظل مدافع سفننا".

وفي يوم 11 شتنبر تلقى بوسلهام هدياً من دي جوانفيل رداً على ما كان بعثه إليه من مؤن لسفنه في صباح نفس اليوم. وقد التحق القنصل الفرنسي بقنصليته ورفع العلم الفرنسي عليها وتم تبادل التحية بطلقات المدفعية من أبراج المدينة والأسطول الفرنسي، وأرسل الأمر برفع الحصار عن الصورة وإخلاء جزيرتها ثم كان تسريح الأسرى المغاربة المحتجزين بوهران.

وقد استفاد دي جوانفيل من تلك العمليات إذ ذاع صيته فشارك في الحياة السياسية الفرنسية بنشاط، إلى حدوث ثورة 1848 التي أجبرته على الهجرة مع أسرته إلى إنجلترا ثم إلى الولايات المتحدة. وفي عام 1870 عاد إلى فرنسا وشارك في الحرب ضد بروسيا، وفي عام 1871 انتخب عضواً في الجمعية الوطنية، ثم أعيدت له رتبة "نائب أميرال" عام 1872 وقد توفي عام 1900.

وثائق من الخزنة الحسنية بالرباط؛ وثنائق من أرشيف وزارة الخارجية بباريس.

Ph. De Cossé-Brissac, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie*; De Joinville, *Vieux souvenirs*; *Histoire générale de la marine*; M. Emerit, *Le conflit franco-marocain de 1844*; Guizot, *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, T. 7; L. Roches, *32 ans à travers l'Islam*, T. 2; A. H. Warnier, *Compagne du Maroc*; Le Robert. *Dictionnaire universel des noms propres*, T. 2, 1995 - 9 - 18.

إبراهيم ياسين

الدوكي دي ريبيردا El Duque de Ripperda سياسي

هولاندي مغامر من عائلة نبيلة تحمل لقب بارون. ولد بهولندا سنة 1091 / 1680 وبها نشأ وتعلم وعُيِّن سفيراً لبلاط بيلاط مدريد، ثم شغل عدة وزارات إلى وظيف سكرتير الدولة للملك فلب الخامس من آل إسبانيا. ونال بذلك دنيا عريضة وجاها كبيرا وصيتا جميلا.



لجأ الدوكي إلى المغرب بعد أن سقطت مكانته في البلاط الإسباني ولاكت الألسن سمعته واكتسب بنار العنصرية والتعصب الديني لأنه أجنبي لا يحسن أن يتولى رئاسة الوزارة بإسبانيا كما أنه حديث عهد بالكاثوليكية، وانتهى به المطاف إلى السجن، فهرب منه بوسائله الخاصة ولجأ إلى لندن فأقام بها مكرما من ملكها ونبلاتها، لكن سرعان ما تحركت دسائس خصومه فشعر بالخطر وذهب إلى بلده هولندا، فتابعه خصومه ولا سيما سفراء إسبانيا لم يكفوا عن تتبع حركاته وإشاعة السوء عنه، وعرف أن هناك مساومات لتسليمه إلى إسبانيا التي تطالب بحاكمته، فتأكد أنه لم يبق له مكان بأوروبا، وانتهاز وجود سفير مولاي عبد الله بن إسماعيل ملك المغرب بلاهاي فاتصل به وأبدى رغبته في الالتجاء إلى المغرب بشرط المحافظة على دينه وماله وأن يمنح حرية التنقل والتصرف، فسوعد على ذلك بعد الاستشارة، وقدم إلى المغرب مع السفير راكباً إحدى قطع الأسطول المغربي ونزل مينا طنجة في جمادى الأولى عام 1144/نوفمبر 1731.

زار الدوكي السلطان بمكناس فأكرمه واستمر اتصاله به سراً وعمل بنصائحه وإشاراته في أمور شتى، وكان الدوكي جلب من أوروبا أسلحة حديثة ساعد بها السلطان فكان لها أثر ملموس في انتصاره على خصومه، ثم عاد إلى طنجة فأكرمه عاملها بأمر السلطان، وبعد مدة استأذن في الانتقال إلى تطوان التي كانت وقته من أجمل مدن المغرب فسكنها وأقطعها حاكمها الحاج عمر لوقش داراً وروضاً وأراضي اعتنى بها الدوكي وغرس بها أنواعاً من أشجار الفواكه والأزهار والورود وأنقها على الطراز الأوربي، وتوطدت الصلة بينه وبين أعيان البلد فأجبههم وامتزج بهم وتعلم العربية، لكنه ما لبث أن استدعي من طرف السلطان للقيام بمهمة سياسية إلى تونس، فسافر إليها واتصل بالباي

ورجال دولته غير أنه لم ينجح في مهمته وعاد إلى المغرب، فوجد الإشاعات والدسائس عادت إلى الالتفاف حوله فاستأذن في السفر إلى أوروبا فلم يؤذن له، وعاد إلى الاستئذان وانتظر وطال انتظاره، فأخبره الحاكم بأن لديه أمراً سلطانيا بعدم السماح له بمغادرة البلد فأدرك أنه سجين.

أمضى الدوكي سنوات من أجمل أيام حياته في تطوان، وتأثّل بها دوراً وعقاراً حبس منها أملاكاً على ضريح الشيخ سيدي السعيد حتى ذكرت مصادر إفريقية أنه أسلم وتسمى بعثمان، ولكي يبرهن على حسن إسلامه حبس أملاكاً على ضريح ولي يقدره أهل تطوان ويُعتبر حاميه. وقد استبعد الشيخ داود إسلامه بحجة أن العدول وصفوه في صكوك شهاداتهم بأنه فلان النصراني قال : ولو كان اعتنق الإسلام لما وصفوه بالنصراني خصوصاً في شهادة وقعت عليه قبل وفاته بشهر واحد.

توفي الدوكي بتطوان مفلوجاً في 14 رجب عام 1150 / 5 نونبر 1737 وحيداً غرباً عن 57 سنة.

, Madrid, El Duque de Ripera Don Luciano de Taxonera, 1945 : ترجمة وتلخيص التهامي الوزاني، تطوان : م. داود، تاريخ تطوان، تطوان، د. ت. ج. 3، 41-35 : مختصر تاريخ تطوان، ص. 285.

محمد الأمين بوخيزة

دي كاستر الكونت هانري C. H. De Castries ينتمي إلى بيت من أكبر البيوتات النبيلة في فرنسا. انخرط باكراً في الجيش الفرنسي إذ دخل صفوف القتال في الحرب بين فرنسا وبروسيا (أو ألمانيا الناشئة) سنة 1870، ليلج بعد الحرب مدرسة سانسير ويتخرج منها برتبة ملازم سنة 1873 ويلتحق بجيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، فهو نموذج آخر من غاذج شباب الطبقة النبيلة الفرنسية التي التزمت يومئذ بخدمة النظام الجمهوري المنتصر في فرنسا على أن يكون ذلك بعيداً عن التراب الفرنسي فيما وراء البحار، مثله في ذلك مثل شارل دي فوكو وهوبير ليوطي على سبيل المثال لا الحصر.

اشتغل هانري دي كاستر في الجنوب الجزائري. وتأثر بما يهيمن في المناطق الصحراوية من أجواء الفطرة الأولى فتعلم العربية، وصار يشتغل برسم الخرائط وضبط التضاريس عن طريق الاستعمالات. وهكذا استطاع أن يرسم خريطة أولى عن منطقة درعة وأخرى عن واحة فجيج بمجرد استقصاء كل من كان يلتقي بهم من أبناء تلك الجهات لدى تنقلهم عبر الجزائر. واجتمع لديه من المعلومات الطوبوغرافية عن المغرب ما مكّنه من وضع أول خريطة عن البلاد رسمها باللغة العربية أجمل رسم وزينها بما يليق من التزيين، وجاء المغرب لإهدائها إلى السلطان المولى حسن الأول سنة 1887، فكان ذلك أول ما وطئت قدماه تراب

البلاد. وانتهاز الفرصة ليرسم تضاريس الطريق من الدار البيضاء إلى مراكش عبر سطات. وهذا الرسم الطبوغرافي، هو الذي اعتمده الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال مانجان للزحف نحو مراكش واقتحامها في صيف سنة 1912.

استقال دي كاستر من الوظيفة العسكرية غداة رحلته إلى المغرب، ذلك بأنه كان قد تزوج بنت الجنرال لامورسيير Lamoricière منذ سنة 1880، وفضل العودة إلى الحياة المدنية والاشتغال بتدبير شؤون ضيعاته والشؤون السياسية المحلية في أقاليم أنجو Anjou ومصب نهر اللوار Loire. بيد أنه لم يتغافل عن قضايا التوسع الاستعماري الفرنسي، إذ انخرط في جل الجمعيات التي كانت تعنى بها، مثل الجمعية الجغرافية والجمعية الآسيوية والاتحاد الاستعماري ولجنة إفريقيا الفرنسية وآسيا الفرنسية ولجنة المغرب التي كان من الأعضاء المتحمسين لتأسيسها. وصار المغرب شيئاً فشيئاً يستقطب باهتمامه، فأصبح من دعاة إلحاقه بالمستعمرات الفرنسية. وانكب على سبر أغوار تاريخه بعد أن كان قد تطلع في دراسة جغرافية. وصار ينقب عن المخطوطات وعن كتب التاريخ العربية. مما أوقفه على ما كان مودعا من الوثائق الغميسة ومن المراسلات والرحلات والتقارير الرسمية وغير الرسمية في مختلف ربائد الدول الأوربية. فاكشف من الكنوز الوثائقية ما لم يكن أحد يلتفت إليه. وقرر من توه إصدار كل ذلك في سلسلة تحت عنوان *Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc* أو الوثائق غير المنشورة من تاريخ المغرب، صدر أول مجلد منها سنة 1905 على نفقته وصدرت المجلدات اللاحقة بمنح من الجمعيات الاستعمارية.

ويوم أبرم عقد الحماية على المغرب، جاء دي كاستر إلى طنجة ودخل فاساً إلى جانب ليوطي الذي يعتبر من جيله. وقد اعتمد عليه ليوطي لينهض بتنظيم شؤون لخزانات المغربية وترتيب أرشيف الإدارة الفرنسية الناشئة في المغرب وخزانة الحماية. وانتهى التعاون بين الرجلين بإحداث القسم التاريخي الملحق بمكتب السياحة المغربي في باريس سنة 1919، الذي تكفل من ثم فصاعداً بنشر باقي مجلدات الوثائق غير المنشورة. وتأتى بذلك متابعة نشرها بعد وفاة الكونت هانري دي كاستر على يد بيير دي سينفال (Pierre de Cénival) ثم روبري ريكار (Robert Ricard) ثم فيليب دي كوسي بريسك (Philippe de Cossé-Brissac) ثم شانطال دي لافرون (Chantal de la Véronne)، فهي مجموعة من سبعة وعشرين مجلداً، عشرة منها تحتوي ما يوجد في الرائد الفرنسية من الوثائق المغربية (ثلاثة مجلدات عن الدولة السعدية وسبعة عن الدولة العلوية)، وستة مجلدات تحتوي ما هو مودع منها في الرائد الهولندية، وثلاثة مجلدات ما هو مودع في الرائد الانجليزية، وثلاثة ما في الرائد الاسبانية، وخمسة ما في الرائد البرتغالية. والسلسلة كنز مرجعي لا غنى عنه لمن

يريد استكناه تاريخ المغرب منذ منتصف القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر، في العصر الذي مهد لتقهقر الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط منذراً بتفوق الضفة الشمالية عليها، وصار الأوربيون يتشوفون إلى إماطة اللثام عن أسرار الخصم الإسلامي وعوراتها، وإلى تعميم الفائدة من ذلك في صفوفهم، مستفيدين مما عم بينهم من انتشار الطباعة وسرعة التواصل العلمي والاعلامي.

وللكونت دي كاستر العديد من المؤلفات فضلاً عن السلسلة المذكورة من بين كتب مطولة وكراسات ومقالات عن قضايا الإسلام ومشاكل الاستعمار، أورد جل عناوينها بيير دي سينفال في المقال الرثائي الذي خص به صديقه الراحل بعد وفاته في العاشر من شهر ماي سنة 1927.

Pierre de Cénival, *Le Comte Henry de Castries, 1851 - 1927*, Hesp., T. VIII, 3e trim., pp. 267 - 285.

إبراهيم بوطالب

دي گول والمغرب DE GAULLE، ولد شارل دي گول

في ليل (Lille) إحدى حواضر الشمال الفرنسي يوم 22 نونبر 1890 من أسرة بورجوازية على جانب كبير من روح المحافظة استقرت في باريس حيث كان والده أستاذاً في التعليم الكاثوليكي الحر وكانت والدته شديدة التمسك بعقيدتها وبالتقاليد. فنشأ شارل دي گول في وسط متميز بحب الوطن وبروح الاستقامة محدود الإمكانات مترفع عن الماديات. نشأ شغوفاً بتاريخ فرنسا معتزلاً بأمجادها. ولذلك مال إلى الوظيفة العسكرية فتخرج ضابطاً من مدرسة سانسير (Saint-Cyr) سنة 1912. وكان أول قاداته في الجيش الكولونيل بيطان (Pétain) الذي رعاه برعايته الخاصة إلى أن وقع النزاع بينهما أواخر الثلاثينيات، فإن بيطان بعد أن أصبح مارشالاً غداة الحرب العالمية الأولى تدخل ليلقي دي گول محاضرات في المدرسة العليا للحرب



سنة 1927، كما أنه أذن بالتحاقه كاتباً للمجلس الأعلى للدفاع سنة 1933 مما أتاح له فرصة التفكير في أساليب الجيش الفرنسي. فأصدر كتابه الأول سنة 1932 بعنوان "حد السيف" وهو سلسلة من المحاضرات عن تاريخ فرنسا العسكري. ثم أصدر كتابه الثاني سنة 1934 بعنوان "من أجل جيش محترف" ألح فيه على وجوب مراجعة الاستراتيجية الفرنسية لاعتماد الآليات الجديدة كالدبابات والمصفحات والطائرات لسرعتها في التنقل وقوتها على كسر شوكة العدو، مما أثار انتباه بعض رجال السياسة والصحافة إليه وأثار عليه نقمة الأوساط العسكرية المسؤولة التي كانت ماتزال متمسكة بالأساليب السابقة، ولكن دي غول أعاد الكرة بإصدار كتابه الثالث سنة 1938 تحت عنوان "فرنسا وجيشها" يدعو إلى نفس الاتجاه فكان ذلك من أسباب فساد العلاقة بينه وبين بيطان.

ثم اندلعت الحرب، وانهزمت الجيوش الفرنسية شر هزيمة أمام المدرعات الألمانية في ربيع 1940. وكان دي غول من القلة القليلة من الضباط الفرنسيين الذين أبدوا شيئاً من القدرة على الصمود والمناورة. ولذلك ألحق بالحكومة الجديدة التي تشكلت لتدارك الموقف إذ أسندت إليه كتابة الدولة في الدفاع، لكن المعركة كانت قد خسرت جملة وتفصيلاً ولم يبق من سبل لجعل حد للنكسة إلا سبيلان، اقتسم الرأي العام الفرنسي بشأنهما إلى حزين، أولهما يدعو إلى التفاوض مع الألمان لجعل حدّ لمآسي الشعب وإيقاف الزحف الألماني قبل أن يكتسح مجموع التراب الفرنسي فيمتد إلى المستعمرات، وذلك ما كان يدعو إليه بيطان ومال إليه يومئذ الأغلبية الساحقة من مواطنيه فأسندت إليه مهام رئاسة الدولة بعد انقلاب أبيض، أما السبيل الثاني فهو سبيل متابعة المقاومة إلى جانب إنجلترا إما من ترابها وإما من تراب المستعمرات الفرنسية التي كان من الصعب على الألمان أن ينالوا منها شيئاً، وهو ما دعا إليه دي غول حيث لجأ إلى لندن وأذاع إعلانه الشهير ليوم 18 يونيو 1940 منبها فيه إلى أن الهزيمة في المعركة الواحدة لا يعني الهزيمة في الحرب كلها، وأن فرنسا لها من الخيرات والرجال في مستعمراتها ولها في إنجلترا من السند ما يمكنها من تحمّل من الانتقام من الخصم ورد الاعتبار لسلحها. ولكن هذه الدعوة لم تقنع يومئذ سوى ثلثة محصورة من الوطنيين الفرنسيين، على أن فرنسا أصبحت من جراء ذلك في حالة حرب أهلية داخل الحرب العالمية، مما كان له أثر مباشر على مصير المستعمرات عامة وعلى مصير المغرب خاصة الذي كان تحت الحماية الفرنسية فوجب التساؤل عن تأثير دي غول على بلادنا من يوم تزعم حزب "فرنسا الحرة" إلى أن اعتزل الحكم سنة 1946، ثم عن علاقته مع المغرب بعد أن عاد إلى الحكم سنة 1958، وكان المغرب قد استرجع استقلاله إلى أن اعتزل الحكم بصفة نهائية سنة 1969 وقد وافاه الأجل المحتوم في خريف 1970.

- دي غول والمغرب من 1940 إلى 1946 : لم يكن لدى غول أي خبرة بشؤون المستعمرات يوم دفعت به الأحداث إلى الصدارة فباستثناء زيارة خاطفة لسوريا ولبنان سنة 1929 لم يكن يعرف عن الامبراطورية الفرنسية إلا ما كان يمكن أن يدركه كل مسؤول فرنسي له غيرة حادة على مصالح وطنه وهو أن فرنسا بلا مستعمرات كالجسد بلا أعضاء. ولذلك كان مصير تلك الممتلكات في صلب النزاع بينه وبين بيطان، إذ كان بيطان يزعم أن سعيه في الهدنة مع الألمان كان بدافع الحرص على الحيلولة بينهم وبين الوصول إلى أراضي فرنسا ما وراء البحار وأن انحياز دي غول إلى إنجلترا كان ينذر بتسليم تلك المستعمرات إليها، بينما كان دي غول يرى أن الامبراطورية الفرنسية بما تزخر به من الممكنات والمقدرات هي خير قاعدة لمتابعة الحرب وعدم الاستسلام وأن الهدنة تفتح أبواب ما وراء البحار لفرنسا أمام التوسع الألماني وذلك في رأيه منتهى الخذلان والخيانة، وكان لا ينوي إطالة المقام في لندن وسعى من توه لاستقطاب ولاية المستعمرات لمتابعة القتال من هناك وأول من فاتح بذلك الجنرال نوغيس (Noguès) المقيم العام بالمغرب الذي كان أعلى رتبة عسكرية منه، وكان قد أسندت إليه منذ اللحظات الأولى من الحرب القيادة العليا للعمليات الحربية في مجموع الشمال الأفريقي، فإن دي غول أبرق إليه مرتين في أواخر شهر يونيو 1940 يعرض عليه تزعم المقاومة الفرنسية من مقر مسؤوليته، ولكن نوغيس لم يكن ليمثل لاقتراحات ضابط مغمر متواضع مثل دي غول يخاطبه من إنجلترا، واشتد التنافر بينهما بعد إقدام الأسطول الإنجليزي على تحطيم الأسطول الفرنسي الذي كان منزويا في المرسى الكبير غربي الجزائر حتى لا يقع في قبضة الألمان، لكن جمهور الضباط الفرنسيين لم يغفروا ذلك في حينه لا لإنجلترا ولا لدى غول الذي كان يبدو لهم مجرد صنيعة من صنائعها. وهكذا كان الصراع على المستعمرات سبب تعميق الهوة بين الحزبين، ولما فشل دي غول من جهة المغرب حاول النزول على شواطئ السينغال بمساعدة الإنجليز (سبتمبر 1940) مما جاء دليلاً آخر في أعين أنصار بيطان على ميله لتسليم ممتلكات فرنسا لخصومها، ثم في ربيع 1941 كان الصراع بين الحزبين بشأن سوريا ولبنان حيث سمح بيطان للطيران الألماني باستعمال القواعد الجوية هنالك فتدخلت إنجلترا للحيلولة دون ذلك وأبى دي غول إلا أن يتدخل إلى جانبها بعض جيوش "فرنسا الحرة" على قلتها وضعفها، وأبدى من الغيرة على حماية مستعمرات فرنسا ما كان سبباً متجدداً لتوتير العلاقات بينه وبين حلفائه. فأما إنجلترا بزعامة ونسطن تشورشيل (Winston Churchill) فإنها كانت تتغاضى عن ذلك ولم تواخذ دي غول على ما أبدى حيالها من الحدة في الحيلولة بينهما وبين احتلال مدغشقر مثلاً، وأما الرئيس الأميركي فرانكلين روزفيلت Franklin

(Roosevelt)، فإنه بعد دخوله الحرب ظل متخفظاً بل وناظراً من دى گول ومن عناده وعجرفته لدرجة أنه كتم عنه خبر عملية النزول على شواطئ المغرب يوم 8 نونبر 1942. ولما سمع دى گول بها وبلغه ما أبداه الجنرال نوگيس من المقاومة أمام الجيوش الأميركية لم يتمالك أن صرح قائلاً: "نعم المقاومة، فإن أراضي فرنسا لا تُدخل نقياً" وذهب الحال بتحفظ الأميركيين من دى گول إلى حد البحث عن رجل ثالث لرئاسة فرنسا فمالوا جهة الاميرال درلان (Darlan) وزير بيطان في الملاحة لكنه اغتيل في نونبر 1942 ثم فكروا في الجنرال جيرو (Giraud) الذي كان سجيناً في ألمانيا إلى أن استطاع الفرار فلما انعقد مؤتمر أنفا (يناير 1943) حضر من الجانب الفرنسي كل من دى گول وجيرو لكن تنافسهما على الحكم أو قفهما في المؤتمر موقف التهميش، على أن المؤتمر كان أول مناسبة يتصل فيها دى گول مباشرة بالمغرب ولسلطانه سيدي محمد بن يوسف ولعله أدرك منذ ذلك الحين أن عاهل المغرب كان يتزعم معركة شبيهة بالمعركة التي كان هو يتزعمها لفائدة فرنسا ولكن الكبرياء الاستعمارية والمصالح الملموسة ما كانت إلا لتحول بينه وبين أن يعترف للمغرب بمثل ما كان يسعى في أن يعترف به لفرنسا، ودليل ذلك أنه لما توحدت صفوف المقاومة الفرنسية حول قيادته في ربيع 1943 وتحتى له عملياً جيرو عن الحكم فإن بادر إلى إقالة نوگيس من الرقابة العامة وجعل مكانه غابرييل پووه (Gabriel Puaux) الذي كان سابقاً مندوب فرنسا السامي في سوريا ولبنان وظل مخلصاً لبيطان إلى أن سمح بيطان لألمانيا باستعمال مطارات القطرين فعندئذ استقال ولجأ إلى تونس (1941) ولذلك اختاره دى گول للإشراف على المغرب علماً منه بأنه سيكون خير صائن للوجود الفرنسي فيه لأن الذي كان يعني دى گول من المغرب هو مصلحة فرنسا. ومنذ نداء يونيه 1940 لم يسجل في أقواله ولا فيما كانت تذيعه "فرنسا الحرة" أي خطاب مباشر للشعب المغربي. ويوم جاء في أول زيارة رسمية للبلاد (غشت 1943) فإن طاف في أقاليمها واجتمع بالسلطان وحيته الجماهير من فرنسيين ومغاربة، إلا أنه اكتفى في خطاب الدار البيضاء (7 غشت بذكر المغرب ليس كأمة قائمة الذات ولكن كمجرد جزء لا يتجزأ من الامبراطورية الفرنسية "ملحق بمصير بلادنا (فرنسا) منذ خمس وثلاثين سنة فقط ومرتبطة معنا بقيود لا شيء استطاع أو يستطيع أن يكسرها"، كما أنه لما ألقى خطابه الشهير في قسنطينة في الجزائر يوم 13 دجنبر 1943 لحث إفريقيا الشمالية على بذل مزيد من الجهد لانتزاع التراب الفرنسي من الألمان فإنه قال: "إن فرنسا بعد الاتفاق مع عاهل المغرب وتونس من خلال المعاهدات المبرمة معها أتاحت أبواب النمو أمامهما وعليها أن تيسر في ذلك بإشراك المزيد من أعضاء النخبة الاجتماعية المحلية في تسيير الأمور" وهذا أقصى ما كان دى گول مستعداً للتسير

فيه جزاء للمغاربة على ما أبدوه من الإخلاص لفرنسا يوم نكبتها الكبرى وهي الخطة التي سار فيها المقيم غابرييل پووه وكل ما سوى ذلك كان يبدو لدى گول تطاولاً على حقوق بلاده إن لم يعتبره خيانه صارخة. ولذلك لما صدر بيان المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944) ظن دى گول أن المبادرة ربما كانت بإيعاز من الحلفاء وبلورة للقاء عاهل المغرب بالرئيس الأمريكي في مؤتمر أنفا، فأبى إلا أن يتأكد من الأمر بنفسه فجاء من الجزائر وقد أصبحت مقر حكومة فرنسا الحرة إلى مراكش للاقابلة تشورشيل الذي كان يقضي بها أياماً من الراحة ولما تأكد أن لا دخل لا لإنجلترا ولا للولايات المتحدة في ما أقدمت عليه الحركة الوطنية بقيادة سلطان البلاد أطلق العنان لسلطات الحماية لتقمع بمنتهى الشراسة تلك الخطوة فألزم العاهل بإقالة وزيرين من وزرائه متهمين بمعاوضة الوطنيين وهما أحمد بركاش وعبد السلام الفاسي كما اضطر إلى إصدار بلاغ ينفي فيه أي مشاركة في بيان المطالبة بالاستقلال وألقي القبض على من ألقى عليه القبض واستشهد من استشهد من الوطنيين بتهمة ملفقة رمتهم بالتعامل مع الألمان ويطعن فرنسا من الخلف. وفي الوقت الذي كانت تجرى فيه هذه الأحداث في المغرب كان دى گول يترأس ملتقى برازيل في الكونغو بين كبار المسؤولين الفرنسيين عن شؤون المستعمرات بقصد إعداد ما كان يراه ضرورياً من الإصلاح لفائدتها وقال في خطاب الافتتاح: "للأمة الفرنسية ولها دون سواها أن تشرع في الوقت المناسب في الإصلاحات الامبريالية البنوية التي سوف تقرها بمحض سيادتها". وذلك اعتراف بضرورة الانتقال إلى طور آخر من العلاقات بين فرنسا ومستعمراتها على أن يكون الإصلاح من إملاء فرنسا وبدون أدنى ضغط عليها، ويصور لهذه السياسة أن المغرب كان ممثلاً في لقاء برازيل بالمراقب المدني جاك بيرك بينما كان علال الفاسي منغياً في الكابون بل اشتدت ظروف نفيه لمجرد أن الحلفاء تدخلوا لدى دى گول لإطلاق سراحه، مما يدل على أن زعيم فرنسا الحرة لم يكن مستعداً يومئذ للاعتراف للمغرب بأدنى حق من حقوقه وكل ما طاب له أن يتنازل عنه هو ما أدرجه المقيم العام پووه في مقترحات الإصلاح التي عرضها على السلطان غداة قمع مظاهرات يناير 1944 وكانت كلها متجاوزة في نظر الوطنيين. ولم يفت دى گول مع ذلك أن يعترف علانية للمغرب بما قدم لفرنسا من المساعدات في محنتها، فاستدعى السلطان لزيارة فرنسا زيارة رسمية في يونيه 1945 فكان أول رئيس دولة أجنبية يزور البلاد غداه تحريراً ومنحه وسام رفيق التحرير الذي لم يمنح إلا له ولونسطن تشورشيل من الأجانب كما أمر بأن يمد المغرب بما كان في أشد الحاجة إليه من المساعدات الغذائية والطبية نظراً لما كانت عليه تلك السنة من القحط والجفاف والوباء. وانتهز السلطان الفرصة لمطالبة دى گول بتعويض غابرييل پووه بمقيم أكثر أدباً

ولباقسة فلبى ذلك وعين السفير إيريك لابون (Erik Labonne) قبل أن يعتزل الحكم في طليعة سنة 1946 لما اشتد بينه وبين الأحزاب من الخلاف حول مشروع الدستور الفرنسي الجديد المؤسس للجمهورية الرابعة.

وكان اعتزال دي غول مجرد مناورة إذ كان على يقين من أن الأحزاب سرعان ما سيؤدي التطاحن بينها إلى الاحتكام إلى سلطته، إلا أن رجال السياسة الفرنسية كانوا قد سئموا كبرياءه وميولاته للاستبداد بالقرار. هذا مع العلم أن فرنسا خرجت شيئاً فشيئاً من الوضعية التي كانت تضطرها إلى من ينقذها فعادت إلى سابق عهدها من الرخاء والطمانينة. ومرت الأيام والشهور ثم السنوات ولم يناد أحد على دي غول فأسس هو بدوره حزبا من أنصاره تحت اسم "تجمع الشعب الفرنسي". وانحصرت مهامه في إبداء رأيه فيما كان يتخذ من القرارات وأيضاً في تدوين مذكراته وفي تلك المذكرات قال عن الملك محمد الخامس : "هذا العاهل الشاب الأبي النفس القوي الشخصية كان لا يخفي ما يطمح إليه من قيادة شعبه على درب الرقي والاستقلال في يوم من الأيام وعندما ينظر المرء إليه وبُصغي وهو تارة مشتعل حماساً وتارة في تمام الحذر وإن كان دائماً في تمام اللباقة فإنه يدرك أنه كان مستعداً للتفاهم مع كل من يساعده على القيام بتلك الأدوار قادراً في ذات الوقت على إبداء منتهى الإصرار حيال كل من يروم معاكسته في ذلك" وقد استنكر دي غول عزله سنة 1953 وعندما تجددت التهمة على لسان بعض الملقين بأن سيدي محمد كان قد اتصل بالألمان سنة 1941 وسئل دي غول في الأمر في ندوة صحفية (يونيه 1955) أجاب مستهزئاً : "اسمحوا بأن أهر كتفي فإن ذلك قد التمس من السلطان كما التمس مثله من العديد من الفرنسيين، لكنه امتنع عنه امتناعاً"، ثم أضاف قائلاً : "هذا مع العلم أنه رفيق التحرير" مما يوحي بأن امتحانات الحرب كانت قد وطدت الصداقة بين الرجلين على أساس من التقدير المتبادل وتفاني كل واحد منهما في خدمة مصالح وطنه. وكان لاشيء ينذر سنة 1955 وقد استرجع المغرب استقلاله باحتمال عودة دي غول إلى الحكم حتى إذا تأججت حرب التحرير في الجزائر عندئذ تزعت أركان الدولة الفرنسية من جراء ذلك فأصبحت من جديد في حاجة إلى من ينقذها سنة 1958.

دي غول والمغرب 1958 - 1969 : ما أن تربع دي غول على كرسي الحكم حتى بعث له محمد الخامس ببرقية جاء فيها : "لنا اليقين بأن وجودكم على رأس الجمهورية الفرنسية سيساعد على توثيق أواصر الصداقة التي تجمع بلدينا وسيمكن من إيجاد حلول لمشاكلنا تستجيب لمصالحنا" وفي هذه العبارة إشارة مجملية لطيفة لما كانت عليه العلاقات بين المغرب ودي غول خلال الفترة التي قضاها على رأس الدولة الفرنسية وهي علاقات الند للند والصديق مع الصديق أساسها الاحترام والتمسك بالمصالح

الوطنية، وقد أشار دي غول من جهته إلى ذلك في خطاب تلفزي ألقاه يوم 4 نونبر 1961 حيث قال : "مثير لي تونس والمغرب : "لقد استرجعت هاتين الدولتين بعد لاتفاق معنا كامل سيادتهما ونرجو أن نتصرف به خير شعبيهما ونأمل أن تستعملها للمشروع في تعاون مع فرنسا ضروري لنموهما على ما يبدو من طبيعة الأمور، علي أنه من هنا فصاعداً لا تعني قضاياهما إلا إياهما" وفي هذه العبارات مع ما فيها مما يثبت مواقف دي غول في السابق واللاحق ويوحى بما اعترض صلات المغرب بدي غول من العقبات نظراً لما كان في طور الانتقال من طور التبعية الاستعمارية إلى طور التعاون الثنائي على أساس المساواة من الصعوبة، ولذلك يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل في هذه الحقبة على قصرها.

فمن 1958 إلى 1962 كانت العلاقات مهذبة لكنها متوترة وذلك لأن صداقة دي غول ومحمد الخامس لم تكن لتلغي تعارض المصالح الوطنية لكل واحد منهما. ومن القضايا الشائكة قضية جلاء الجيوش الفرنسية من التراب المغربي، فكان الملك يلح بشأنها وكان دي غول لا يقترح إلا تخفيض أعدادها فكاتبه الملك قائلاً : "استغرينا كل الاستغراب أن تعرض فخامتكم علينا تخفيض عدد القوات الفرنسية المرباطة بترابنا في حين أن جلاء هذه القوات هو الحل الوحيد الذي يمكن قبوله من طرفنا"، وكان لهذه القضية ارتباط بقضايا أخرى لاتقل عنها خطورة، وهي قضية التجارب النووية الفرنسية في الصحراء، وقضية مصير الجزائر المناضلة عن استقلالها، وقضية استقلال موريطانيا. أما بخصوص التجارب النووية فإن محمد الخامس لم يفتأ يطالب دي غول بالكف عنها مع العلم أن الأمر كان من الأهمية بمكان في نظر الجنرال لسعيه الحثيث في تمكين فرنسا من سلاح نووي يبوؤها مركز المساواة مع روسيا والولايات المتحدة، وقد جاء في رسالة من الملك إليه يوم 19 أبريل 1960 : "ومهما كانت قوة التجارب المجرة والدولة التي تقوم بها فإننا نستنكرها سيما إذا أجريت في ناحية مأهولة وفي أرض نعتبرها جزءاً لا يتجزأ من مملكتنا". أما قضية الجزائر فإنها ما كانت إلا لتظهر تعارض مصالح المغرب وفرنسا، وذهب الحال بدي غول إلى عرض صريح سنة 1960 برد ما كان قد انتزع من صحراء المغرب الشرقية شريطة الكف عن مساعدة المجاهدين الجزائريين، ولكن محمد الخامس لم يكن ليتخلى عن ذلك، كما أن دي غول لم يقبل أي مساومة في أمر موريطانيا لأن التراب الموريطاني كان بمثابة الدرع الواقى لإفريقيا السوداء الغربية مما قد يلحقها من الأخطار من جهة الشمال. لكن المغرب من جهته لم يبال بمصالح فرنسا عندما أقدم على إخراج عملته من منطقة الفرنك الفرنسي سنة 1959 وعندما شرع في استرجاع أراضي المعمرين ابتداء من سنة 1960 مما جعل أسباب الجدل تطفئ في تلك الحقبة حتى بات من غير

الممكن عقد لقاء رسمي بين دي غول ومحمد الخامس. وسئل دي غول في هذا الصدد فأجاب : "حالما تنتهي القضية الجزائرية إلى التسوية، وسوف تنتهي، إنني أكون سعيداً بملاقاة ملك المغرب"، لكن الأقدار حالت دون ذلك بما كان من وفاة محمد الخامس فجأة في فبراير 1961 وترجع الحسن الثاني على العرش فافتتحت مرحلة جديدة تمتد من 1962 إلى 1965.

إن استقلال الجزائر سنة 1962 وما ترتب عليه من جلاء الجيوش الفرنسية عن المغرب واعتراف المجتمع الدولي بالدولة الموريطانية كل ذلك مهد السبيل لإقامة العلاقات بين دي غول والمغرب على أسس جديدة. وجاءت زيارة الحسن الثاني الرسمية إلى فرنسا في يونيو 1963 خير مؤشر عن حسن الاستعداد من الجانبين، فقد قال الملك في بعض خطبه بالمناسبة : "لقد أردتم يا فخامة رئيس الجمهورية أن تشيدوا بالدولة المغربية والشعب المغربي وإنه لتكريم ثمين لأنه يصدر عن رجل جعل مدلول الدولة واستمرار تقاليدها وخلود مؤسساتها فوق جميع الاعتبارات، لذلك يسرنا كثيراً أن نعبر لكم باسم شعبنا وباسمنا الخاص بمنتهى الخشوع والصدق لا عن شكراتنا لكلمات التبريل والود التي عبرتم لنا عنها فحسب بل أيضاً عن الاستقبال الذي خصصتم به منذ الآن إقامتنا، ذلك الاستقبال الذي لاحظنا ولاحظ شعبنا فيه استثناءات خارجة عن الأعراف المتبعة والتي هي مصداق آخر للصداقة والتقدير والاحترام الذي تولونه للمغرب...". وسعى القائدان يومئذ في التخفيف من كل ما من شأنه أن يفسد تلك الأجواء من الصداقة، وخير ما يمكن الاستدلال به على ما كان من التفاهم والوئام مقارنة دستور فرنسا لسنة 1958 ودستور المغرب لسنة 1962، فلا مبالغة إذا قلنا إن الدستور الفرنسي المؤسس للجمهورية الخامسة قد استلهم شيئاً من النظام الملكي بما جعل لرئيس الجمهورية من التفوذ ومن سلطات التحكيم بين الهيئات والأحزاب سيما بعد أن تقرر انتخابه بالاقتراع العام وذلك على إثر استفتاء أجري سنة 1962. كما أن الدستور المغربي لسنة 1962 المؤسس لقواعد الملكية الدستورية قد استلهم من الجمهورية الخامسة عدداً من المقتضيات كسيادة الشعب وممارستها من خلال المجالس المنتخبة بالاقتراع العام وفصل السلط وكل ما يتقوى به استبداد الأشخاص من سلطان القانون.

ثم حلت المرحلة الثالثة ابتداء من خريف 1965 على إثر اختطاف الزعيم المهدي ابن بركة وسط باريس واختفائه بما أبدى أنه قد اغتيل في ظروف غامضة، فترتب على ذلك تبادل التهم بين الجانبين وانسحب سفير المغرب من فرنسا لتصريح دي غول بأن العملية كانت من تدبير مدير الشرطة المغربية يومئذ وهو الجنرال أحمد الدليمي وأمره بأن يتابع أمام المحاكم. فما كان من هذا الضابط إلا أن سلم نفسه

للقضاء الفرنسي الذي لم يلبث أن برأ ساحته لانعدام الحجج، مما أفسد العلاقات بين دي غول والملك إلى أن اعتزل الحكم نهائياً سنة 1969 ووافاه الأجل المحتوم سنة 1970. والواقع أن نازلة اختطاف الشهيد المهدي ابن بركة لم تكن سوى مؤشر على طبيعة العلاقات التي كان من شأن دي غول أن يقيمها مع مستعمرات فرنسا السابقة، فإنه ككل الدهاء في السياسة كان لا يعتبر إلا بالمصالح الملموسة. فإذا ما أقيمت المقارنة بين علاقات فرنسا وكل من المغرب والجزائر في تلك الحقبة تبين أن العلاقات الفرنسية الجزائرية كانت يومئذ أغزر وأرقى من العلاقات الفرنسية المغربية، وسبب ذلك يتبادر إلى الذهن إذ كان لدى الجزائر ما تحتاج إليه فرنسا من الغاز والنفط ولم يكن للمغرب نصيب من ذلك.

ع. الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب، نشر عبد السلام جوس، طنجة بدون تاريخ : م. بن الحسن الوزاني، حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، مؤسسة محمد حسن الوزاني، بيروت، 1982، 6 مجلدات : انبعث أمة، محمد الخامس ملك المغرب، الجزء الخامس، 1959-1960 : الحسن الثاني ملك المغرب، الجزء الثامن، 1963، مطبوعات القصر الملكي : الحسن الثاني، التحدي، المطبعة الملكية، 1983.

C. de Gaulle, *Mémoires de guerre*, Paris, 1958 - 1959; J. Lacouture, *Cinq hommes et la France*, Paris, 1961 ; C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; *Colloque de Gaulle et le tiers-monde*, Paris, 1984 ; W. Hoisington, *The Casablanca connection, French colonial policy 1936 - 1943*, The University of North Carolina Press, 1984 ; *Actes du colloque de Brazzaville, Janvier - Février 1944, aux sources de la colonisation*, Paris, 1988 ; *De Gaulle et le Maroc*, ouvrage collectif, Textes recueillis par M. Seimi, Paris - Rabat, 1990.

إبراهيم بوطالب

الديابات، قرية تقع جنوب الصورة لا تبعد عنها إلا بنحو ثلاثة كيلو مترات تطل على البحر المحيط ولا تبعد عن الشاطئ إلا بمسافة ثلاثمائة متر على وجه التقريب وتكاد تحادي مصب واد القصب. تحيط بها أشجار الليموزا وغيرها من جانب، فتقيها سوء الرياح التي تهب باستمرار على المنطقة وشرّ الرمال الزاحفة من الغرب. إنه موقع طبيعي هادئ. إلا أنه لا أحد يعرف أصل كلمة "الديابات". وإذا تجرأ عليه أحد من أهل الصورة فإنه يؤوَّكه "بكثرة الذئاب" التي قد تكون وجدت في وقت ما بهذه الجهة، مع الإشارة إلى أن الثعلب أو ابن أوى يسمى الذئب على العموم، والفرق بين الاثنين شاسع - وهناك كلام آخر يفترق هو أيضاً إلى ما يؤيده من برهان، علاوة على أن تحديد تأسيس هذه القرية وظروفه، أمر غير مضبوط. هناك مع ذلك روايتان في موضوع إنشاء القرية وتعميرها :

تقول الرواية الأولى إن أحد الملوك السعديين - ولربما كان عبد المالك بن زيدان (1627 - 1630) الذي كان يقيم بين الحين والآخر في القلعة البرتغالية التي كانت قائمة بالجزيرة الصغيرة المحاذية لميناء الصورة حالياً وعلى يمينه - وانتبه الملك إلى النهر القريب الذي كان صبيبه مهماً في ذلك الوقت، فأمر باستغلال مياهه وضافه لإنتاج قصب السكر، ومن ثم صار النهر يسمى "وادي القصب"، تسمية غير واردة في الكتابات العربية وغيرها التي يرجع تاريخها إلى ما قبل عهد السعديين. وفي هذه الحال يكون العمال الفلاحيون هم الذين انشأوا التجمع السكني المسمى "الديابات".

أما الرواية الثانية فإنها ترجع تأسيس القرية إلى باني الصورة سيدي محمد بن عبد الله، عام 1768، أي بعد مضي مائة وثلاثين سنة على عهد عبد المالك بن زيدان السعدي. ذلك أن السلطان العلوي بنى أيضاً قصرًا له خارج الصورة على مقربة من مصب وادي القصب مازال أثره قائماً، وجله تحت الرمال التي تزحف عليه، في غياب أي انتباه أو اهتمام بمن وكل لهم أمر صيانة الآثار - وقد يرجع إليه تأسيس قرية "الديابات" لإسكان العاملين بالقصر وحراسه. والجدير بالذكر أن "الديابات" تتوفر على مسجد عتيق بمنارته التي تشبه إلى حد كبير المنارات الصغرى بالصورة.

ظلت قرية "الديابات" معزولة عن الصورة خلال الأجيال ولو أن نظام الحماية ألحقها إدارياً بالمدينة تاركا بينهما حاجزاً رملياً وإنسانياً وحضارياً واجتماعياً : لا ماء ولا كهرباء ولا مدرسة ولا شيء ينبّه الزائر إلى أنه في مكان يلتقط ولو ذرات من التقدم الحضاري الذي أصبح يغزو المغرب منذ عقود.

كانت القرية تأوي في الأربعينيات أقل من عشرين كانوناً يشتغل رجالها في المهام الرعوية أو في الغابة مع حارسها الملقب محلباً "عروك" وهو أجني بالطبع. أما النساء، فقد كان شغل بعضهن جمع الأغصان اليابسة فيذهبن بها إلى الصورة لبيعها حطباً ويبقى الأطفال في القرية، يذهب الذكور إلى الكتاب بمسجد القرية، وتشتغل البنات برعي عدد قليل من البقر أو المعز.

وظلت الأمور على هذه الحال خلال ثلاثين سنة بعد الاستقلال، وكان "الديابات" في معزل عن العالم في منأى عن كل شيء، لولا أن ظهور الحركة الهيبية في الغرب جعلت أفواجا وأفواجا من الشبان والشابات الأجانب يتقاطرون على الصورة، فاكسحوا الأماكن الفارغة وبعض سطوح المنازل في حين أن معظمهم لجأوا إلى الديابات، منهم من نصب خيمة في فضاءها ومنهم من فضل الإقامة بالعراء تحت الشجر. والجدير بالملاحظة أن هؤلاء الذين أحسوا بالاشمئزاز من الحضارة المادية في أوطانهم وجدوا السكنية في الديابات والأمن والصداقة لدى سكانها وسكان

الصورة. واستفادت منهم المدينة والديابات إذ ارتفع استهلاك المواد الغذائية وارتفعت الأكرية وتدعمت الحركة التجارية وتضاعف دخل أصحاب المقاهي والمطاعم الشعبية.

وتراجع بعد ذلك تدفق الهيبين إلى أن ولّى نهائياً مع انتهاء نزعتهم في العالم الغربي. وعادت الصورة إلى كسادها والديابات إلى هدوئها. إلا أن أصواتاً أخذت ترتفع وتدعو إلى تغيير أوضاع الديابات، فأعارتها جماعة الصورة الحضرية بعض الاهتمام، خصوصاً في بداية هذا العقد الأخير من القرن العشرين، فمدت إليها الأسلاك الكهربائية وقنوات الماء الصالح للشرب وبنت زهاء ثلاثين منزلاً حديثاً لبعض موظفي الجماعة وطريقاً ثانوياً معبداً متفرعاً عن الطريق الوطنية الرابطة بين الصورة وأكادير، ثم شيدت مدرسة ابتدائية. وفكّت عزلتها جزئياً بإدخالها في شبكة النقل الحضري إلى تلك المنازل أضيفت أخرى لكن مجالها الفضائي لا يمكنه أن يتوسّع أكثر لأسباب بيئية خصوصاً وأن الخنزير الوحشي موجود في المنطقة ويتكاثر بدرجة تضرّ بالفلاحة، ولا يمكن قتله لأنه يحظى بالحصانة الإيكولوجية والبيئية ولو كان ذلك على حساب هؤلاء الفلاحين. ما عدا هذا التطور الطفيف، فلم تخرج الديابات من تخلفها الذي يتعمّق مع تعاقب السنوات رغم إمكاناتها السياحية ولربما أريد لها أن تبقى نموذجاً حياً للمجتمع المتوغّل في العصور الماضية.

أبحاث ميدانية غير منشورة.

أحمد بنجلون

ديانا (Diana) تطابق الربة ديانا الرومانية الربة

ارتميس (Artemis) عند الإغريق، فهي ابنة جوبيتر ولاطون واخت الإله أبولون.

لها وظائف متعددة عندهم، فهي ربة النور وربة الطبيعة بالإضافة إلى كونها ربة القنص والغابة التي هي من خاصياتها الرسمية.

وهذه الخاصية نجدها حاضرة في كثير من الأشكال الفنية (لوحات فسيفساء، نقاش..) حيث يرمز لها بأدوات القنص كالسهم وجعبة الكنانة.

ويبدو أنها كانت أكثر شعبية من أخيها أبولون في العالم الروماني، فليس هناك شك في كون ديانا عند الإغريق هي ربة الغابة Nemorum Comes وهي قاهرة الوحوش (Victrix Ferrarum) كما بينت ذلك إحدى النقائش التي عثر عليها بمدينة ألتا في موريطانيا القيصرية (CIL VIII, 9831) وأضيفت عليها ألقاباً أخرى مثل المنتصرة (Victrix) (CIL VIII, 9790) وربة النور (Lucifera) (AE, 1957, 73) وديانا النورية (Diana Nemorensis) أي من مواليد (Nemi) (AE, 1932, 31).

يضاف إلى كل هذه الألقاب، لقبها الكلاسيكي ألو هو

ديانا الأوغسطية Diana Augusta وإذا كانت ديانا بالنسبة للمتعبدين هي غالباً ربة الغابة فان هذا لا يعني أنها لم تنفرد بخصايص أخرى، يكفيها ذكر لقب ربة النور الذي يجعلها تتشابه مع الربة القمرية Luna.

إن كل هذه الألقاب تطابق صورتها الكلاسيكية كربة إغريقية لاتينية ولكن حينما نصادف ألقاباً أخرى مثل ديانا السماوية "Diana caelestis" أو ديانا ربة الماورين Diana Maurorum فإن ذلك يدل على أن الربة ديانا تمت مطابقتها بربة محلية كما تشهد على ذلك النقائش التي عثر عليها بكل من قرطاج (CIL VIII, 999) وسطيف (CIL VIII, 8436). يبدو أن عبادتها لم تنتشر بشكل واسع في مختلف الولايات الرومانية ففي إفريقيا كانت أقل شعبية، ونفس الأمر ينطبق على المغرب القديم حيث لم يعثر لحد الآن إلا على نقيشه واحدة بوليلي وهي عبارة عن مقدمة على شرف الربة، أهداها أحد العبيد المعتقين (IAM, 2, 345).

إلى جانب هذه المقدمة عثر أيضاً على تمثال صغير بنفس الموقع، وبالضبط في (منزل الفتى الجميل) وهو نموذج كلاسيكي يطابق النماذج الإغريقية التي أنجزها النحات الإغريقي خلال القرن الرابع قبل الميلاد، وبالتالي فهذا التمثال يجب أن يضاف إلى الفسيفساء الوليلية التي تجسد الربة في الحمام وقد باعتهما اكتيون (Actéon) إن هذا المشهد ألهم عدداً من الكتاب الإغريق والرومان وعدداً من الفنانين خلال الفترة الرومانية.

الخلاصة التي يمكن أن نكونها على ضوء هذا الجرد لبعض الآثار المادية التي احتوت صورة الربة ديانا، هي أننا أمام ربة ظهرت بصورتين : الصورة الأولى مستوردة من روما ولا يشوبها أي تأثير من الولايات. والصورة الثانية ذات مصدر محلي وأولت على الطريقة الرومانية.

L'année épigraphique ; Corpus des inscriptions latines (CIL) ; Inscriptions antiques du Maroc (IAM) ; M. Euzennat, Volubilis, nouveaux documents, BAM II, R. Rebuffat, La mosaïque du bain de Diana à Volubilis ; J. Toutain, Les cultes païens dans l'empire romain, I.

عبد العزيز بل الفايذة

ابن ديبان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Benadiva ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. والشخص الوحيد الذي تذكره الوثائق هو :

ابن ديبان، عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي كان أسيراً بفرنسا ويحمل رقم 7193 وقد أطلق سراحه يوم 6 ذي القعدة 1123 (16 ديسمبر 1711) بطلب من قائد تطوان علي بن عبد الله الحمامي.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 239.

ابن ديبية ويكتب أيضاً بَنْدِييَّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Valdivia ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 237.

محمد ابن عزوز حكيم

الدية. قدر المال الذي يجب إعطاؤه على من قتل غيره ظلماً، فهي تعويض حل محل الثأر، تطلبها التنظيم الاجتماعي لقبائل العرب قبل الإسلام حيث لا سلطة سياسية عليها ولكن نظام يتم فيه الاحتكام المتفق عليه بالتراضي، وكان يحدد تعويض القتل وهو الدية داخل كل قبيلة بعدد من رؤوس الإبل. وكان هذا التضامن يقتضي التضامن في دفع الدية.

أقر الإسلام الدية في حالة القتل غير العمد وأوجها وأوجب قبولها في هذه الحالة. وقد حدد قدرها حسب نوع الضرر : القتل أو إلحاق الضرر الجسدي الموجب للقصاص، ولا تجب إلا للمسلم وتختلف بين الرجل والمرأة. وقد جاز فيما بعد أداؤها بماشية عدا الإبل وجاز أداؤها بالمال. وتتلقاها الضحية في حالة الأعطاب وورثته في حالة القتل، وكانت تتلقاها من قبل قبيلة الضحية.

لم تلتزم كل القبائل بالتوجيهات الشرعية في مجال الدية ولم تصرف عنها النظر حتى بعد غلبة الدولة التي تفرض أنواعاً أخرى من العقوبات. يتبين من بعض أعراف القبائل المدروسة مثل زمور وقصور تافيلالت أن دية القتل تفرضها جماعة القبيلة على شكل مال يدفع منه قدر للجماعة وقدر لأهل القتل، ويميزون في بعض الحالات بين دية المقتول الذي من أهل البلد والمقتول الطارئ على البلد، فقد جاء في نص من نصوص هذه الأعراف : "وأما من قتل أحداً من أهل البلد، يعطي ثلاثين مثقالاً (في آخر القرن الثالث عشر (19 م)) للشيخ، ولعائلة المقتول خمسين مثقالاً، ويُرحل عن البلد". وينص العرف على الضمانات التي تجب لمن يعطي الدية وعلى الحدود الترابية التي يمكن أن يتحرك فيها وعلى ما يجب على من غدره في العافية أي أثناء تمتيعه بالضمانات قبل الرحيل. وقاتل البركاني يعطي للقبيلة مائة مثقال وإن قُتل براني برانيا يعطي خمسين مثقالاً. وقد تزيد المرأة عن دية الرجل في العرف إلى ثمانية أضعاف. ويتعامل العرف مع الجراحات بمنطق تعويضي مماثل.

أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، الدار البيضاء 1978.

W. Marcy, Droit coutumier zemmour ; L. Mezzine, Le Tafilalet, Rabat, 1987.

أحمد التوفيق

الديديبان، كلمة دخيلة في اللغة العربية، ولعلها من أصل فارسي انتقلت إلى اللهجة العامية في المغرب فهي منطوقة إلى اليوم ومتداولة في لهجة الشاوية والريف، ويقصد بها تلك العشة المنصوبة وسط البحائر والبساتين والفدادين قصد حراستها خاصة إبان صلاحها ونضج غلاتها حتى لا تتعرض للسرقة والنهب من قبل اللصوص، أو التخريب والتدمير من قبل الحيوانات.

ذكر البادسي حواراً بين بعض صلحاء الريف كان أحدهم يحرس فدانه بنفسه : "... قال له وما شغلك ؟ فقلت له إن لي فدانا من قمح قد أضرنني فيه الخنزير فأنا أبيت فيه في ديدبان صنعتته أطرده منه..." (المقصد، 123) ؛ وللديديبان وظيفة أخرى كحراسة الطرق لمعرفة القادم منها عن بعد وحراسة المحلات والمعسكرات حتى لا تفاجأ بالغرباء عنها أو بهجمات مباغتة، وتتخذ لاتقاء مخاطر الحيوانات المداهمة ليلاً أو مخافة مداهمة الأعداء لشخصية بارزة "لما انهزم الجند الذين أرسلهم كلثوم لغزو البربر ليلاً وهو على وادي سبو رجعوا إليه "فأمر ديدبان فنُصب له وقعد عليه، ثم نشب القتال، وقعدت البربر تحت الدرق" (البيان، ج 551).

والديديبان اليوم أنواع، منها النوع المشار إليه في المصادر والذي يبنى فوق قوائم طويلة حتى يشرف منه الشخص المكلف بالحراسة على البستان أو الفدان وحتى يمكنه أن يرى القادم عن بعد، ويصلح هذا النوع كما بينا أنفاً للابتعاد عن خطر المداهمة والمباغتة، ويوضع هذا النوع في مكان استراتيجي ويبنى من أعواد وقوائم وقش أو من أغصان الأشجار والحشائش ويصعد إليه بسلم بسيط من حبال أو من أعواد يتم سحبها وإنزالها عند الصعود والهبوط. وفي بعض الأحيان ينصب الديديبان وسط البساتين أو الحقول وليس بداخله أحد فيعتقد المهاجم أنه مأهول. وبذلك يقوم الديديبان في هذه الحالة مقام الفزاعة بالنسبة للطيور.

وهناك نوع من الديديبان بدون قوائم ينصب عادة وسط البحائر المكشوفة للخضر والفواكه الصيفية مثل البطيخ والدلاح والفقوس وما شابهها فيقوم بالدور نفسه وبالتمويه المشار إليه.

ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 ؛ ابن عذاري

المراكشي، البيان المغرب، بيروت، 1948.

محمد حجاج الطويل

الدير، اسم جغرافي متداول عند سكان الحوز بالمغرب للحديث عن قدم جبال الأطلس الكبير، وعند سكان تادلا للحديث عن قدم الأطلس المتوسط أطلس بني ملال، وعند سكان الواجهة الشمالية للأطلس المتوسط للحديث عن منطقة اتصال هذه الجبال بالهضبة الوسطى وبالسّاس،

وعند مجموعة بني علام بإقليم صفرو وللحديث عن إحدى فرقهم الثلاثة حيث يميزون بين بني علام الدير وبني علام الواد وبني علام الجبل، وعند سكان ممر تاويرت - وجدة وسلسلة الهُورست للحديث عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسهول الممر المذكور... وأخيراً نجد المصطلح متداولاً عند بني يزناسن للحديث عن منطقة اتصال جبلهم بسهول ملوية السفلى.

وهكذا يظهر بأن الدير يعني مناطق اتصال الجبال بمناطق مجاورة غالباً ما تكون سهولاً أو هضاباً أقل ارتفاعاً. لكن لا يبدو أن كل مناطق الاتصال هذه تحمل اسم الدير وإن كانت كثيرة ومتنوعة (الشكل 1). بل يبقى المفهوم إلى حدّ ما خاصاً بمقدمات الجبال الواقعة بالشمال والشمال الغربي بالنسبة للوحدات الجبلية وعلى وجه الخصوص مقدمة الأطلس الكبير جنوب مراكش ومقدمة الأطلس المتوسط من دمنات في الجنوب الغربي إلى تازا في الشمال الشرقي مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأغوراي وصفرو.

ورد مصطلحا الدير والديارة أو الديرة (سكان الدير) عند عدد كثير من الدارسين والباحثين.

وتبقى الإشكالية في تناولنا لهذا الموضوع في معرفة ما يميز هذا المجال عن غيره لدرجة استثناؤه بتسمية متميزة، وهل هناك في الوقت الراهن ما يبرر الإبقاء على هذا المفهوم خاصة وأن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية التي يعيشها كل من السهل ومن الجبل والدير نفسه قد غيرت الأوضاع وأزالت لهذا المجال ما كان يُميزه ؟

نستنتج من الأدبيات التي وردت بها معلومات حول الموضوع وكذلك من ملاحظات الميدانية أن الدير اسم يُطلق على المقدمات الشمالية الغربية للسلاسل والكتل الجبلية التي تتوفر بها مجموعة من الشروط الطبيعية والبشرية تجعل منها أحزمة أو سيبحات فاصلة واصله بين مجالين مختلفين طبيعياً وبشرياً لكنهما متعاملان ومتفاعلان : الجبل و"السهل".

- الدير كمفهوم طبيعي ؛

لا يوجد تشابه تام بين "الأديار" فيما يخص معطياتها الطبيعية ورسم حدودها.

فالاختلافات وأردة من دير لدير بل داخل الدير الواحد فيما يخص الارتفاعات وأشكال التضاريس وطبيعة السحنات وأهمية وطبيعة التشكيلة النباتية وأهمية وطبيعة الموارد المائية.

فإذا كان دير الأطلس الكبير يتميز بانتشار كبير لمخاريط الانصباب وبأهمية كبيرة لمياه الوديان الآتية من داخل الجبل، فدير بني ملال تضعف به أهمية هذه المخاريط وتزداد به أهمية مياه العيون.

أما الدير المتقطع Dir égrené فلا وجود لمخاريط

الانصباب به وتكاد كل المياه الدائمة على السطح تكون من مصدر عيون.

وسيديهي أن تكون هناك اختلافات لأن الخصائص الطبيعية للمناطق التي تشكل الإطار الطبيعي للدير متباينة.

ومما يساهم في هذا التباين نجد ضبابية رسم حدود هذا المجال لا من جهة الجبل ولا من جهة "السهل". فلا أحد يمكنه وضع هذه الحدود لأن "الدير" إذا كان يعني حزاماً فهذا لا يعني أن هذا الحزام متواصل وعمقه واحد وموحد بين الأديار.

إن الاختلافات بين الأديار وبين أجزاء الدير الواحد لا تمنع وجود قواسم مشتركة بين هذه المجالات نذكر منها :

- صباية رسم الحدود

- التدرج في الارتفاعات من حوالي 600 م كحد أسفل إلى حوالي 1500 م كحد أعلى

- التنوع في التضاريس والأشكال والسحنات الصخرية... (فالانصال يأتي على طرق مختلفة على شكل سفح خارجي، أو حافة أي بشكل مفاجئ وقد يأتي على شكل تلال ومتون تتخللها حوضات أو على شكل درجات وأحياناً مخاريط انصباب تنتهي بحادورات...)

- وجود نقط مائية دائمة الجريان بكثافة أكبر على شكل عيون أو مجاري تزودها مياه الجبل المتجه نحو "السهل".

- انتشار كبير للرصاصة مرتبط بمياه عيون جفت أو لازالت موجودة (بني ملال، إيموزاركندر، صفرو، تازا...)

- انتشار واسع للكلس بالجبل مما يساعد على تسرب وخرن مياه الأمطار

- مناخ أكثر رطوبة من "السهل" وأقل حرارة منه في الصيف والطف من الجبل شتاء (350 مم إلى 700 مم سنوياً)

- تربة غنية لكنها محصورة الانتشار

- ضيق الأراضي المكسوة بالغابة بالمقارنة مع الأراضي ذات التشكيلات النباتية غير الغابية (الدوم، الوزال والضرو والزبرج والخروب والععرع)

- تنوع في الموارد الرعيزراعية بفضل التنوع في الظروف الطبيعية أفقياً وحسب الارتفاع

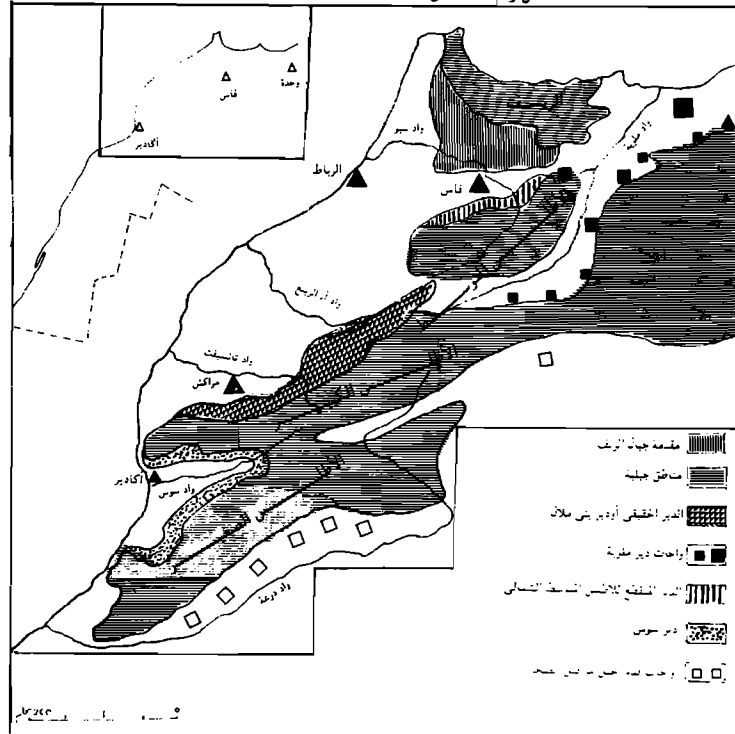
- منطقة اتصال وانتقال لأنها تربط بين وحدات تضاريسية مختلفة ولأنها محطة عبور لعناصر طبيعية قادمة من الجبل ومتجهة نحو السهل (مثل التربة والمياه والبذور...) ولكونها طابقاً بيومناخياً بين طوابق السهل والجبل.

عملت كل هذه الخصائص الطبيعية لمناطق الدير منذ القديم على توفير ظروف عيش أسهل وأوفر أمنياً للمجموعات البشرية التي لم تكن تتوفر على وسائل للصدود في الجبال وللبقاء في السهول. ومع الاستقرار واستغلال هذه الظروف الطبيعية وما نتج عن ذلك من تنظيم متميز للمجال برز الدير كمجال جغرافي مستقل. وهذا ما جعل الدير مفهوماً بشرياً.

الدير : مفهوم بشري أكثر مما هو طبيعي

إن ما يتميز به الدير من معطيات وموارد طبيعية تحتاج إليها حياة الإنسان جعلته مجال استيطان واستقرار لمجموعات بشرية منذ زمن بعيد من دون شك. وإذا كنا لا نعرف الكثير عن السكان القدامى بالأديار وعن ظروف

شكل رقم 1 - مناطق مقدمات الجبال بالمغرب



(1983) حول المجتمع المغربي في القرن الثالث عشر (19 م)
(إينولتان..)

تعايش مع هذه المجموعات القبلية مجموعات بشرية أخرى متميزة بحدودية عدد سكانها وبأنشطتها ووضعها الاجتماعي مثل الزوايا و القصبات والقصور... وهي التي كان لها الدور الكبير في بروز الدير كمجال متميز عن السهل وعن الجبل.

اتخذت التجمعات السكنية لهذا الصنف من المجموعات مواضع لها عند الأقدام وعلى الطرق الرابطة بين الجبل والسهل والمؤدية أحيانا إلى الصحراء وبالقرب من العيون، وهذا ما جعلها تقوم بأدوار مختلفة يتعدى مفعولها الدير. منها الإشعاع الثقافي الذي كان من اختصاص الزوايا، ومنها تنشيط التجارة والصناعة التقليدية؛ فعدد كبير من هذه التجمعات كان يمثل سوقاً يشمل إشعاعه أكثر من قبيلة مجاورة، أو كان محطة على طريق القوافل بين العاصمتين فاس ومراكش والصحراء. ونقطة تجمع عدد من الصنائع التقليدية والحرفيين.

ومن هنا الدور العسكري، بحيث علاوة على ضرورة ضمان أمن السكان المتجمعين كان دور عدد من التجمعات هو السهر على سلامة وأمن الطرق ومنع نزول بعض القبائل الجبلية بالقوة نحو السهل.

نشأت هذه الأدوار وتطورت لكن بمعية تطوير النشاط الرعيزراعي. وساهم الجمع بين هذه الأنشطة أو البعض منها في تطور بعض التجمعات من قرى عادية إلى حواضر مثل ما هو الحال بالنسبة لدمنات ولبنى ملال (داي) ولصفرو ولتازا.

وبفضل هذه الأدوار يمكن نعت الدير بأنه مجال اتصال بين أهل الجبل وأهل السهل تجسده الأسواق وبأنه مجال انتقال (مراكزه تمثل نقاط ربط على الطرق)، وهو حدود بين "القبائل المخزنة بالسهل والقبائل "الضعيفة المخزن" بالجبل تجسدها سبيحات القصبات المخزنية.

أن توالي هذه التجمعات على طول منطقة اتصال الجبل بالسهل في وقت لم توجد به مراكز بالجبل ولا بالسهل (باستثناء العواصم الكبرى) أعطى ميزة أخرى لهذا المجال خاصة وأنه علاوة على منظر السبيحة سيساهم ذلك في وجود كثافة سكانية مرتفعة نسبيا وهي خاصية أخرى للدير أثارتها كل الدراسات.

لا يكفي كل ما ورد من مميزات لاكتمال صورة الدير من دون تقديم لنظامه الرعيزراعي والتنظيم المجالي المرتبط به.

فتساقط كميات كبيرة من الأمطار كافية لقيام زراعة بعالية وتوفر مياه سطحية وباطنية يمكن تعبئتها بسهولة للري، علاوة على الامتداد الكبير للمراعي إما على شكل أراضي عارية أو على شكل غابات جعل مجال الدير يوفر إمكانيات متنوعة للاستغلال الرعيزراعي كيفيتها

استقرارهم وعيشهم بها، فمنذ القرون الوسطى الأولى بدأنا نعث عن طريق الأدبيات التي تركها المؤرخون والجغرافيون والحالة والمكتشفون والمبشرون على معلومات تزداد كماً وكيفاً مع القرون تفيدنا في فهم الجانب البشري. وسنقتصر فيما يأتي على حالتها الدير الحقيقي للأطلس الكبير ولأطلس بني ملال والدير المتقطع.

اهتمت هذه المصادر بالمجموعات البشرية ومواطنها وبالتجمعات السكنية، وبموارد وظروف عيش السكان. وإذا كان من الصعب علينا ضبط هوية المجموعات البشرية التي عاشت بالديرين وتتبع حركتها عبر التاريخ بحيث كانت هناك قبائل تظهر ثم تختفي لتخلفها قبائل أخرى... بعد صراعات أو مجاعات وأوبئة، فلا بأس من الإشارة إلى بعض هذه القبائل التي كانت بالمكان في مطلع القرن العشرين وما زالت به إلى يومنا. فبالنسبة لدير الأطلس الكبير من إيمي ننانوت إلى دمنات تستوطن المنطقة مجموعات تنتسب بصفة عامة إلى البرابرة المصامدة وهم عموماً سكان مستقرون؛ نذكر منهم: النتيفة، سقفاوة، كدميسو، وزكيتة، سكتانة، مسفيوة، أكلولة، فطواكة، ولتانة، أيت عتاب.

يوجد الجزء الأكبر من "محاطات" هذه المجموعات بالجبل وتتخذ هذه المحاطات شكلاً ممدداً في اتجاه ج - ش أي من الأجزاء العليا نحو السهل (الحوز) وهو ما يدل على وجود حركة بين الجبل والسهل على الأقل في الماضي.

أما بالنسبة لدير الأطلس المتوسط من دمنات إلى تازا مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأزررو وأكوراوي وصفرو، فالمجموعات البشرية كثيرة العدد نذكر أهمها وهي: بني ملال، أيت سري زيان، أيت سكوغو، بني مكيلد، بني مطير، أيت سفروشن كندر، البهاليل، أيت يوسي أمكلا، بني يازغة، أيت سفروشن حريرة، بني وراين، غياتة.

وعلى خلاف مجموعات دير الأطلس الكبير التي استوطنت المنطقة قديماً، فمجموعات دير الأطلس المتوسط تبقى متباعدة في أصولها وتاريخ استيطانها. فمن جهة نجد مجموعات قد تكون من أصل زناتي مثل غياتة وبني يازغة والبهاليل وربما بعض بني وراين أو الذين ورينو، وهي الأقدم استقراراً بالمنطقة (قبل القرن العاشر). وينتشر بالأساس بين البهاليل غرباً وتازا شرقاً.

ثم هناك مجموعات كثيرة من أصل صنهاجي وتشكل من القبائل التي وصلت إلى الأطلس المتوسط منذ القرن العاشر (16 م) والتي كانت تنتمي لإحدى الاتحاديتين: أيت إدراسن وأيت أومالو.

ويتعلق الأمر هنا بقبائل ظلت معتمدة في حياتها على تربية الماشية والانتجاع إلى القرن العشرين الشيء الذي كان يتسبب لها في نزاعات مع سكان السهل ويجر تدخّل المخزن. وهذا وضع عرفته كذلك قبائل دير الأطلس الكبير قبل استقرارها، كما تؤكد ذلك دراسة أحمد التوفيق

المجموعات البشرية مع غط عيشها في إطار تضامني واقتصاد قليل الانفتاح على الخارج.

فالأدبيات التي اطلعنا عليها تتفق على الغنى الزراعي للدير مشيرة إلى التنوع في الإنتاج وإلى أهمية الأشجار والسقي.

لكن إذا كانت أوصاف ومعلومات هذه المصادر مفيدة فهي قد تكون مضللة بسبب إيحائها بأن الدير مجال متجانس استغلالاً وغنى (كله أرض مسقية وأشجار...) وهو شيء مغاير للواقع لأسباب طبيعية أولاً وأخرى ثقافية؛ وما تميز جولي F. Joly بين الدير الحقيقي (Le vrai dir) والدير المتقطع (Le dir haché) باعتبار كثافة وتواصل الاستغلال والسكان إلا إشارة إلى تجنب الوقوع في هذا التصور الخاطئ.

فالدير سواء تعلق الأمر بدير الأطلس الكبير أو بدير الأطلس المتوسط يبقى مختلفاً على مستوى ظروف استغلال أراضيها كما هو مختلف على مستوى مقوماته الطبيعية وذلك بارتباط واضح مع هذه المقومات ومع تاريخ وتنظيم المجموعات البشرية التي تسكنه كما ورد أعلاه.

ونظراً لكون هذه المجموعات متباينة فيما يخص : أصولها وتاريخ استيطانها للمنطقة وغط عيشها، فطبيعة استعمال الأرض والماء... وتنظيم المجال سيخضعان لإطارين : سميناً أولهما بإطار التنظيم المتراكمات النطاقات وثانيهما بإطار التنظيم المتدرج النطاقات (محمد كربوط، 1987) (أنظر الشكل رقم 2).

أما التنظيم الأول فهي بصفة خاصة المجموعات البشرية التي يعود استقرارها إلى ما قبل القرن الحادي عشر (17 م) والتي أصبح سلوكها وإحساسها سلوك ما يصطلح على تسميته بجماعات المكان (Groupements de localité). وتدخل التجمعات السكانية قرى كانت أو مدناً بصفة عامة في هذا الصنف.

يتميز النظام الزراعي في هذا الإطار بكونه يُشرك بين الزراعة بقطاعيها : السقوي والبوري من جهة وبين تربية الماشية من جهة ثانية في إطار نسق يتوخى التوازن وإذا كانت الأراضي المسقية تصلح لمزروعات متنوعة حولية وشجرية يتعذر القيام بها بالقطاع البوري وتبقى بفضل المياه مخضرة على مدار السنة، فإن أراضي البور التي غالباً ما تأتي بجوار القطاع المسقي وتكون أوسع مساحة منه لا تؤمن سوى محصول واحد في السنة يتمثل في الحبوب أو القطناني وجزء ضيق منها كان مغروساً بالزيتون أو اللوز أساساً. وكثيراً ما كان جزء منها يترك للراحة ويفتح أمام الماشية، كما كانت تفتح الأراضي الأخرى أمامها بعد جمع المحاصيل.

خارج الأراضي المتروكة - بورية كانت أم سقوية - والتي يسميها البعض بالمرعة تنتشر الأراضي الرعوية التي تتخذ أشكالاً مختلفة من حيث غطاؤها النباتي طبيعة وتشكيله.

وهي أراضي مفتوحة للجميع لكن دخولها قد يكون منظماً من طرف الجماعة - نظام أگدال - أو حرراً.

وأما التنظيم الثاني

فكان ينطبق أكثر على الجماعات ذات الاستيطان المتأخر وغط العيش المطبوع بنصف الترحال. وهو نظام يشرك كذلك بين تربية الماشية والزراعة مع مكانة أكبر للقطاع الأول. وكان ذلك يتم في إطار نظام نصف ترحال مرتبط بالفصلية داخل السنة الفلاحية وباختلاف المعطيات البيومناخية بين السهل والجبل والدير الفاصل بينهما.

فمحطات هذه المجموعات كانت متميزة إما بتمدها بين الجبل والسهل. وإما بتفككها إلى رُستاقين : واحد جبلي والثاني سهلي أو بالدير. وكيفما كان الأمر، كان النزول إلى السهل (أزغار) أو إلى الدير يتم تدريجياً عبر محطات في منتصف الخريف ويتم الصعود منهما تدريجياً كذلك ابتداء من الربيع. وعند الصعود أو النزول بالقطيع كانت تتم عملية حرث بعض الأراضي وجمع بعض المحاصيل بها. وهي أراضي غالباً ما كانت ضيقة وتستغل في زراعة الحبوب بالأساس وعلى رأسها الذرة في القطاعات المسقية. أما الأشجار فكانت نادرة جداً.

نتج عن هذا النظام تنظيم مجالي على شكل محطات متدرجة من السهل إلى الجبل يستعملها السكان حسب فصول السنة وبارتباط مع الحركتين : الصاعدة خلال الربيع والصيف والنازلة خلال الخريف والشتاء. طبق هذا النظام عند المستويات الانقسامية السفلى (الدوار والفخدة (تيغست) لكن وجوده واستمراره كانا في حاجة إلى إطار تنظيمي أوسع (القبيلة أو اتحادية قبائل) كعمق استراتيجي يؤمن حركة الانتجاع.

اكتسب الدير شخصيته الجغرافية ليس بمقوماته الطبيعية فحسب بل بمقوماته البشرية كذلك. وإذا كانت الأولى ثابتة نسبياً، فإن الثانية في تحول متواصل ناتج عن تفاعل عوامل محلية وأخرى خارجية صاحبه تحول في كل ما ميزه عن الجبل وعن السهل لدرجة لم تعد صورة الدير الراهنة معبرة عن مضمون المفهوم.

فمجال الدير لم تعش بمعزل عن التحولات التي عاشتها البوادي المغربية خلال القرن العشرين والمرتبطة بالسياسات المتبعة منذ دخول الاستعمار إلى اليوم إزاء الجماعات الريفية وفي ميدان تنمية الأرياف.

فقد خضعت هذه المجالات للاستعمار مبكراً (قبل 1916) وهو ما ساهم في عزلها عن الجبل الذي كانت دائماً جزءاً منه. واتخذت مراكزها كثكنات أو تم خلق ثكنات جديدة تحولت إلى مراكز إدارية، وهو ما ساهم في تركيز السكان والتمدين. وما لاشك فيه أن استتباب الأمن بهذه المجالات قبل الجبل الذي قاوم طويلاً قد ساهم في النمو الديموغرافي على غرار ما حدث بالسهل.

أما فتح الطرق فتأثيره وارد في تقوية الروابط بين

الدير والسهل وتشجيع الحركة وفي الاستغناء عن وظائف كانت تقوم بها مراكز الدير مثل تجميع السلع ونقلها وتنقل الأشخاص ونقط عبور لها وللأشخاص.

وفي الميدان الرعيزراعي عمل استيلاء المعمرين على الأراضي بالسهل (بل حتى بالدير نفسه) على تطوير الزراعة وإدماجها منذ البداية. فقد لجأ هؤلاء المعمرين إلى تعبئة المياه (من مصادر بالدير أو من الفرشة الباطنية وأكثر من ذلك عن طريق السدود كما حدث بسهل تادلا) من أجل ذلك.

ونج عن ذلك انتشار زراعة مغلالاة ومتنوعة المحاصيل ليس بالسهل فقط بل بجوار المساحات المسقية بالدير، وهو ما شوه شخصية الدير على هذا المستوى وذلك بالمساهمة في إفقاده إحدى مميزاته.

تكرست كل هذه النزعات بعد الاستقلال كنتيجة لانتشار الأمن، وتحسن التأطير الصحي وتراجع الآثار السلبية للمجاعات، وهو ما ساهم في زيادة عدد السكان، الشيء الذي يفرض تأطيرهم إدارياً وخدماتياً. نتج عن هذا تقوية إشعاع عدد من المراكز وتحولها إلى إحدى قبلات المرشحين للنزوح من الأرياف. أما نتائج هذا التطور بالنسبة للدير فهي تركز للسكان وارتفاع نسبة التمدين. وهو ما يوحى بتقوية مميزة من مميزاته الموروثة التي تعزله عن السهل وعن الجبل إلا أن تركز السلطات بالسهل ونسبة التمدين به كانا أهم مما حدث بالدير. ويكفي أن ننظر إلى خريطتي الكثافة السكانية لـ 1971 ولـ 1982 لنلمس بأن كثافة السكان بمجالات الدير حيث كانت تتراوح ما بين 40 و80 ن / كلم² في 1971، وما بين 60 إلى 80 ن / كلم² في

1982 ظلت أعلى من كثافة سكان الجبل التي كان دون 40 ن / كلم² في 1971 ودون 60 ن / كلم² في 1982. لكنها دون كثافة السهل (الحوز وتادلا والسايس) التي كانت دائماً تفوق 80 ن / كلم².

ومع هذا التطور تكون صورة الدير كمجال كثافة سكانية مرتفعة قد زالت ومرت لصالح السهل.

أما فيما يخص التمدين، فمن الأكيد أن الدير ظل معموراً من طرف ساكنة سوادها الأعظم من الريفيين وإن كانت هناك مدن قديمة مثل تازا وصفرو ودمنات ويني ملال. لكن تحولات القرن العشرين عملت على زيادة أهمية الساكنة الحضرية. وهو ما يعكسه ارتفاع عدد المدن إلى 25 (وذلك بين إيمي نتانوت وتازا) أرتقى أكثر من نصفها إلى بلديات في 1996. وتدخل من ضمنها اثنتان في فئة المدن الكبرى (أزيد من 100 ألف نسمة) : تازا ويني ملال.

عمل اعتبار عدد من المراكز كمدين ونسبة النمو الديموغرافي المرتفعة بمعظمها على جعل نسبة التمدين ترتفع بصفة عامة لكن من دون أن تصل بعد إلى مستوى المعدل الوطني (51.4٪ في 1994). وهي نسبة جد متفاوتة من دير الأطلس الكبير إلى دير الأطلس المتوسط الشمالي.

ففي إقليم الحوز مثلاً لم يمثل سكان المدن سنة 1994 سوى 7.7٪

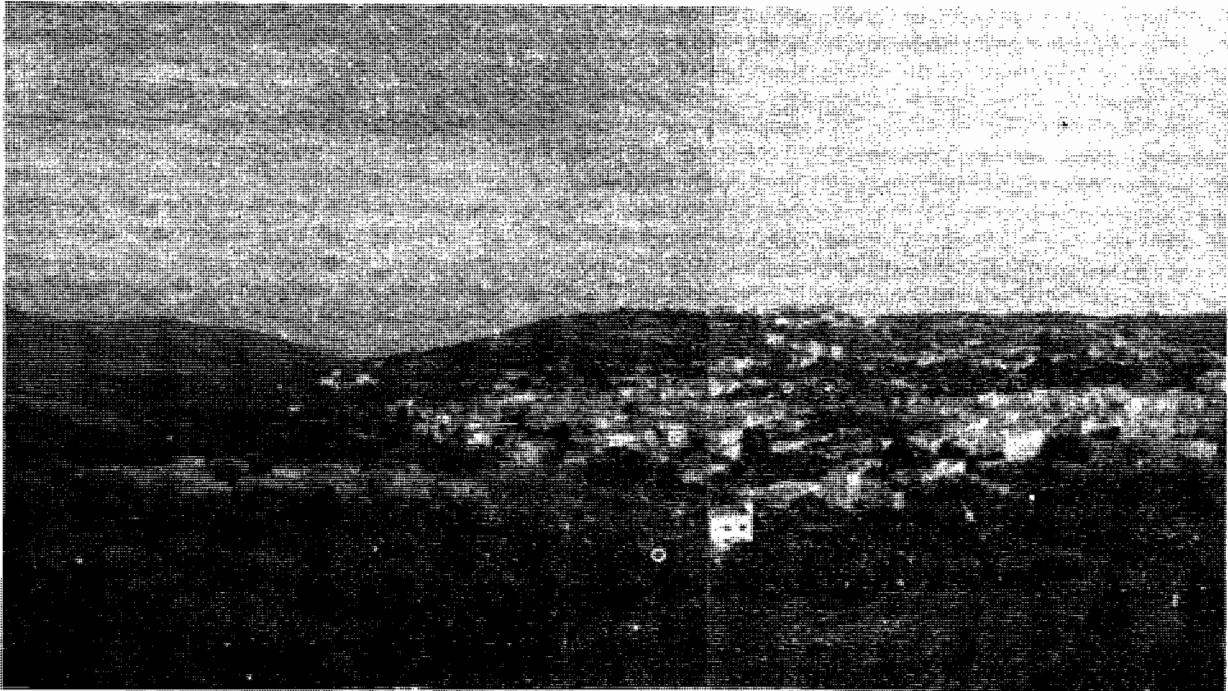
وفي دائرة دمنات 11.2٪

وفي دائرة القصيبة 31.2٪

وفي دائرة أگوراي 21.9٪

وفي دائرة الحاجب 52.3٪

وفي إقليم صفرو 43.2٪



وفي دائرة تاهلة 29.7٪

فالأول مازال ضعيف التمدين

إن تركيز السكان بالدير والتمدين الناحيتين جزئياً عن النزوح من الجبل ليقويان من مميزة قديمة لهذا المجال لكن ذلك يبقى دون ما حدث بالسهل حيث الظاهرتان أهم. وهو ما يزيل للدير مميزة أخرى ساهمت في بلورة شخصيته الجغرافية ويحوّله إلى امتداد للأول كثافة وجهازاً حضرياً، وإلى مجال انتقال عوض مجال قائم بذاته.

في القطاع الرعيزراعي، تتواصل التحولات تحت تأثير حركية السكان وما ينجم عنها من تركيز لهم ومن تمدين وتأثير انتشار الزراعة المندمجة بفضل مستثمرين من خارج المنطقة وتأثير تدخل الدولة بواسطة مختلف مشاريعها التنموية وتقسيماتها الترابية والإدارية. وهي تحولات متضمنة لعدة تناقضات مما يجعل تحقيقها للتنمية المستدامة مسألة تناقض.

أكد أن المستثمرين الجدد يحولون أراضي بورية كانت خاضعة لاستغلال واسع (حبوب أورعي) إلى مغارس للورديات ومبقات مسيجة ومسقية عن طريق الضخ من السدئية، وصحيح أن عدداً منهم قد شيد إسطبلات ضخمة لتربية الماشية والدجاج الصناعي... وهي مؤشرات تُرسخ صورة الدير كمجال فلاحي غني ومجال للزراعة الشجرية

دائم الاضرار.

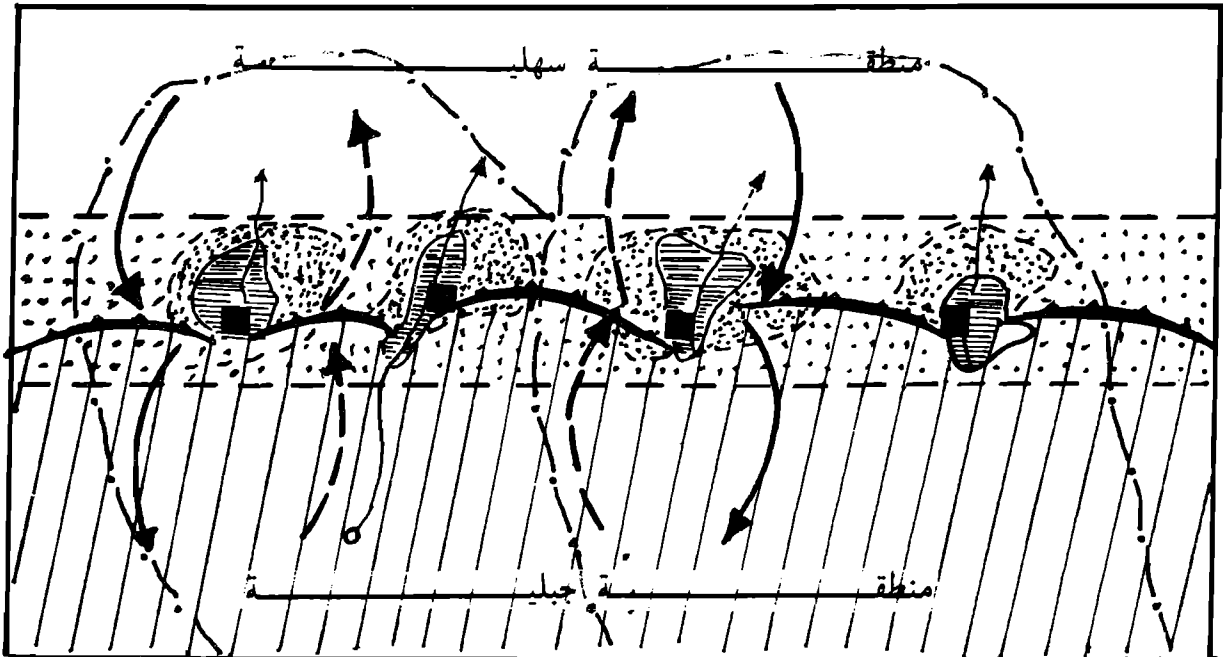
لكن في الوقت الذي يحدث فيه هذا نسجل أن الظاهرة عمت السهل منذ الاستعمار وتهم في الوقت الراهن الجبل والدير وهو ما يزيل خاصية الانفراد بالزراعة المسقية والشجرية عن هذا المجال.

ونسجل تدهوراً كبيراً وتراجعا للزراعة المسقية التقليدية التي صنعت شهرة الدير بسبب التمدين الذي يزحف على الأرض ويحول ويلوث المياه من جهة، ويسبب الضخ المتزايد لإرضاء حاجيات الزراعة المندمجة المتوسعة والذي ثبت تأثيره على مصادر مياه السقي التقليدية التي يؤدي نقصانها إلى تبوير الأرض.

ونسجل نهاية حركات نصف الترحال التي كانت تستغل الأراضي الفارغة بين هوامش محاطات السكان المستقرين للرعي أو للمرور بسبب انتصاب ضيعات المستثمرين الجدد بها كحواجز يمنع الاقتراب منها.

إن مجرد اعتبار الدير كمفهوم جغرافي طبيعي - بمعنى التقاء بين الجبل والسهل - لا يستجيب لصفة الحزام نظراً لغياب التجانس طبوغرافيا وجيومورفولوجيا لكنه كمجال انتقال بينهما وكدرجة من حيث الارتفاعات والمناخ يبقى حقيقة وإن كانت كل مناطق أقدام الجبال لا تسمى ديراً. ويبدو أن صفة الحزام - متصلاً كان أم على شكل حبيسة

شكل رقم 2 - رسم مبسط للتنظيم المجالي القديم بالدير



مجمع حافة أو سفح خارجي

عين ومجرى مائي

--- حدود مجال الدير

--- حدود مجالات قبائل نصف - رحل

■ تجمعات سكنية

مجال زراعي مسقي

مجال زراعي بوري

مراعي

--- حركة انتجاع (نزول في الخريف)

— حركة انتجاع (صعود في الصيف)

Implantation humaine dans le dir de Beni Mellal, R.G.M. n° 8, 1965 ; J. Saulnier, Beni Mellal, BSGM n° 2, pp. 34 - 41, 1916.

محمد كربوط

ديرلانيجي البارون رودولف D'Erlanger le Baron

Redelphé مستشرق فرنسي ينحدر من أسرة فرنسية نبيلة ذات أصل ألماني حازت ثراءً واسعاً. درس الرسم والموسيقى في باريس ولندن. رحل إلى تونس للاستشفاد من مرض ألم به، واختار الإقامة في ضاحية سيدي بوسعيد شمال العاصمة التونسية حيث ابتنى قصراً فخماً.

اختص ديرلانيجي بالبحث في الموسيقى العربية. ومن ثمرات جهوده في هذا المجال تأليف موسوعة علمية تحت عنوان "الموسيقى العربية أساليبها وتاريخها" أنجزه في ستة مجلدات.

وقد كانت شهرته كباحث في الموسيقى العربية من وراء الدعوة التي وجهها إليه ملك مصر فؤاد الأول لاعداد المؤتمر الأول للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة من 28 مارس إلى 3 أبريل 1932. إلا أنه وافته المنية قبل انعقاد المؤتمر بأسابيع قليلة.

ترجع علاقة البارون ديرلانيجي بالمغرب إلى البحوث العلمية التي كان قد أعدها حول الموسيقى الأندلسية المغربية قصد عرضها على لجن مؤتمر القاهرة وتتعلق هذه البحوث بالقضايا الفنية التالية :

- جدول المقامات (الطبوع) المستعملة بمراكش ومقارنتها بمقامات الموسيقى المصرية. وقد عرض الجدول على لجنة المقامات والإيقاع والتأليف التي رأسها رؤوفيكتا أستاذ بمعهد الموسيقى باستنبول، فأقرته اللجنة بالرغم من مجافاته للحقيقة، مما يدل على أنها غفلت عن استشارة المجموعة الموسيقية التي كانت تمثل المغرب في المؤتمر.

- تقرير حول النوبة وترتيب أقسامها في المغرب الأقصى "وكان ذلك بحضور رئيس جوقه مراكش فوافق على ما جاء بالتقرير المذكور، وقد أكد التقرير على "أن ظهور آثار الحضارة الأندلسية في المغرب الأقصى أوضح من ظهورها في الجزائر وتونس" ومن ثم "يجوز أن نعتبر الألحان الأثرية التي نسمعها الآن في المغرب الأقصى والأساليب الموسيقية التي يتبعها موسيقيو مدنه وحواضره بمثابة لروح الموسيقى الأندلسية".

- جدول الايقاعات المستعملة في مراكش ويسجل هنا أن المؤتمر تبني في تعيين مواقع القوة والضعف في أدوار الموازين الأندلسية المغربية مصطلحي "الدم والتك" الشرقيين.

كتاب مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد في القاهرة، القسم الفني، 1350/ 1932، ص. 157 و180 و189.

عبد العزيز بن عبد الجليل

تميزت بها بعض مناطق أقدام الجبال دون أخرى - ناتجة عن عوامل ومظاهر بشرية أهمها : تركيز السكان وانتشار التجمعات السكانية والزراعة المسقية والقيام بأدوار الوصل والفصل والمراقبة. وهذا ما أعطى هذه المناطق شخصية متميزة من الناحية الجغرافية لدرجة استثناها بتسمية الدير أي الحزام.

لكن منذ مطلع القرن العشرين عملت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية... الناتجة عن عوامل محلية وأخرى خارجية على تجريد الدير من صفاته وأدواره مفقدة إياه صورة الحزام وذلك بجعل السهل أكثر غنى وتركزاً للسكان وتديناً، ومدمجة إياه فيه كهامش كثير التناقضات وكمجال مهيمن عليه. وهكذا يكون الدير قد مر من وضعية الانتساب إلى الجبل إلى وضعية الاندماج في السهل.

أ. التوفيق، 1983، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، ابنولتان، 1850. 9121، الرباط : ع. العزيز مونير، 1999، الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات - بني ملال، مدن صغيرة في تحول بطني، د. د. ع. ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.

H. Benhalima, Sefrou, de la tradition du dir à l'intégration économique moderne, Etude de géographie urbaine, Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1977 ; A. Bellaoui, Le Dir septentrional à l'Adrar N'Dern, un espace de transition en pleine mutation. In Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et aménagement..., Etudes méditerranéennes n° 18 et fascicule de recherche n° 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; M. Bossavy, L'économie montagnarde chez les Ait Seri du Tadla, R. G. M., n° 1, 1939 ; J. Célérier, La montagne au Maroc, essai de définition et de classification, Hesp, 1938 ; L'économie montagnarde dans le Moyen Atlas, R. G. M., n° 1, 1939 ; Le Maroc, (Le dir de l'Atlas à la page 61), Paris 1946 ; J. Despois, L'utilisation du sol dans les montagnes du Maghreb, Acta Geographica, 2ème et 3ème trimestre, 1963 ; S. Guennoun, La montagne berbère : Les Ait Oumalou et le pays Zaïan.. Paris, 1929 ; F. Joly, Les régions géographiques du Maroc, I.G., n° 2, 1950 ; Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc, Notes marocaines, n° 13, 1960 ; M. Kerbout, Les périmètres irrigués du dir moyen atlasique septentrional d'Agourai à Al Manzal, Etude géographique, Thèse de 3ème cycle, 2 tomes, Tours, 1981 ; Originalité des zones de piémont : le cas du dir du Moyen Atlas, G.E.M. géographie humaine, Ralat, 1987 ; L'eau dans le dir, de l'irrigation sociale à l'inigation économique : la pénurie, ses conséquences et les stratégies d'adaptation, in Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et ménagement..., Etudes méditerranéennes n° 18 et / fasc. de recherches n° 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; J. Martini, Les Potentialités agro-pastorales du Moyen Atlas Central : première approche cartographique, R.G.M., vol. 10, n° 1 et 2, pp. 217 - 233, 1986 ; Dr. Miègeville, La situation économique de la région de Beni Mellal, R.G. M., Tome 4, 1927 ; S. Nouvel, Nomades et sédentaires au Maroc, Paris, 1919 ; D. Noin, La population rurale au Maroc, Paris, 1970 ; 2 tomes, Planhol X. (de), Caractères généraux de la vie montagnarde dans le Proche Orient et dans l'Afrique du Nord. A.G. n° 384, vol. LXXI, 1962 ; R. Roblès.

ديريس Dyris ديريس أو دوريس، كلمة وردت في المصادر الإغريقية واللاتينية على أنها اسم واد أو اسم جبل في لغة المورين، سكان المغرب القديم الذي كان يدعى موريطانية. أول كاتب تحدث في هذا الشأن هو اللاتيني فتروفيوس قائلاً: "في موروسية Maurusia التي يدعوها كتابنا باسم موريطانية Mauretania، هناك ديريس Dyris الذي ينبع من السفوح الشمالية لجبال الأطلس، وفي اتجاه الغرب يصل إلى مرجة تدعى إبتاكنوم Eptagonum، حيث يتغير اسمه فيدعى أكبر Agger ويضيف موضحاً أن منابع نهر النيل تتصل بهذا الواد، لأن مياهه تخترق جوف الصحراء وتصل إلى أقصى جنوب مصر حيث ينطلق النيل: Vitruve, 8, 2, 6.

حسب ديزانج في تعاليقه على الكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بترجمته وتحقيقه، إن الأمر يتعلق بواد كُير Ger (واد غير) الذي ذكره بلينيوس الشيخ، في مناطق قاحلة وراء السفوح الشرقية لجبال الأطلس، التي اخترقها القائد الروماني سويتونيوس باولينوس Suetonius Paulenus، في حملته ضد الثوار المورين حوالي سنة 42 م Pline l'Ancien, 3, 15. ثم ذكره الجغرافي بطوليمايوس: Desanges, Commentaire de: Ptolomée, 4, 6, 4. انظر Pline, p. 139.

الكاتب الثاني بعد فتروفيوس هو الجغرافي الإغريقي سترابون. استعمل صيغة دورين في النص التالي: "عند تجاوزنا لمضيق أعمدة هرقل Colonne d'Héraklès وعلى شمالنا ليبيا (قارة أفريقية)، نجد جبلا يدعوه الإغريقون باسم أطلس بينما يدعوه البارباريون (يقصد المورين) دورين Durin" Strabon, 17, 3, 2. وأغلب الظن أن الصيغة التي استعملها سترابون هي الأقدم، لأن أهم مصادره حول المغرب القديم تمتد من القرن الثالث قبل الميلاد مع إراتوستين Eratosthene. حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد مع بوسدونوس Poseidon. بعد ذلك خضع الاسم لتحويل قليل عند بلينيوس الشيخ في قوله: "هناك واد يدعى فوت Fut يبعد بنحو 200 قدم عن أديرس Addiris، وهو الاسم الذي يدعى به أطلس في لغتهم يقصد المورين)" Pline l'Ancien, 5, 13. لقد أوضح الباحث ديزانج أن الكاتب استعمل أيضاً صيغة ديريس Diris Desanges, Commentaires de Pline. أما صولان الذي ينقل في الغالب عن بلينيوس الشيخ فقال بدوره: "إن جبل الأطلس يسميه الموريون أديرس" Solin, 24, 15.

أما الجغرافي بطوليمايوس، فقد استعمل كلمة من عائلة هذه الأسماء، لواد ولجبل في مجالين مختلفين. يتعلق الأمر أولاً بواد يدعى عنده باسم ديور Diour، على أنه يصب في المحيط بعد أسانة Asana، في خط الطول 7 وخط العرض 32: Ptolémée, 4, 1, 2.

بما أن أسانة هو نهر أم الربيع بإجماع الدارسين، فإن

شارل تيسو قام بتحريات ميدانية لمغرفة ما يطابق ديور جنوب نهر أم الربيع. ونظراً لانعدام الوديان حتى رأس كونتان، فإنه رجح أن الأمر يتعلق بضاية الواليدية، التي تغمرها مياه البحر وتبدو كالواد: Tissot, Recherches, p. 238 - 241.

أما ديزانج فقد حاول مقارنة واد ديور الذي ذكره بطوليمايوس مع واد إيور Ivor، الذي ذكره بلينيوس الشيخ بين واد فوت والأطلس، مرجحاً أنه هو واد كسوب جنوب موكادور 4 - 133. Desanges, op. cit., p.

ومن جهة أخرى أطلق بطوليمايوس اسم ديور على جبل، ضمن حديثه عن الواجهة المتوسطية من موريطانية الطنجية، فقال: "إن سلسلة الجبال التي توجد في هذه الناحية هي ديور Diour، حيث إن وسطها يتحدد حسب الإحداثيات الجغرافية التالية: خط الطول 8 و30، خط العرض 34" Ptolémée, 4, 1, 6.

وفي الختام نشير إلى أن الباحث غسيل Gsell, T. 1, p. 6 - 315 انتبه إلى التقارب بين هذه الأسماء القديمة: (ديرس - دورين - أديرس)، والكلمة الأمازيغية الحالية "أدار" التي تجمع على "إدارن"، على أنها تعني الجبل. وقد تبعه ديزانج في هذا الرأي: Desanges, op. cit., p. 133. الواقع أن هذه الأسماء القديمة لجبال ووديان هي متقاربة فعلاً كلمة أدار، التي لاشك أنها كانت مستعملة في القديم بنفس المعنى الحالي. واسم أدار القديم والمعاصر هو الذي تحول اسم "درن"، الذي أطلق على جبال الأطلس في العصر الوسيط.

من جهتنا نلاحظ تقارباً بين اسم "درن" في التاريخ الوسيط واسم "دورين" كما ورد عند الجغرافي سترابون. والاسمان معا يمكن إيجاد تشابه بينهما وبين الكلمة الأمازيغية "أدرن" وجمعه "إدارن"، مؤنثة "تادرن" والجمع "تيدرنين"، هو اسم شجر البلوط. فإلى أي حد نعت جبال الأطلس منذ القديم بهذه الصفة، التي تعبر عليها كلمة قريبة من "أدرن"، نظراً لكثرة أشجار البلوط فيها.

Ch. Tissot, Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, Paris, 1878; S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris, 1912; R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1924; Idem, Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M., 4, 1939; J. Desanges, Commentaire de Pline l'Ancien, Livre 5, 1 - 46, Paris, 1980.

محمد مجدوب

ديزة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Deza وهو اسم مدينة إسبانية؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 689.

محمد ابن عزوز حكيم

الديس، نبات نجيلي عشبي يسمى علماً أمبيلوديسما موريسانكا Ampelodesma mauritanica وهو من فصيلة النجيليات Graminae أو Poaceae.

الديس نبات معمر وعشبي لكنه يشكل أجسام يبلغ علوها المتر الواحد. له أوراق طويلة جداً وخشنة عند اللمس. سيقان أزهار ترتفع إلى حوالي المترين فوق سطح الأرض. أزهاره تشبه أزهار الخلفاء في الشكل، مجتمعة في عثكول كبير.

يعيش الديس بالجزء الغربي من حوض البحر المتوسط ويكثر في المنطقة الشمالية من المغرب حيث نجده بالريف والأطلس المتوسط وجبال المغرب الشرقي وقليلًا بالأطلس الكبير الشرقي. وفي هذه المناطق لا يخرج الديس عن نطاق البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة والأراضي الغنية بالطين. يلعب الديس دوراً مهماً في المحافظة على التربة المهددة بالانجراف.

يستعمل الديس في بعض الحالات في أنبحار أسقف المنازل.
أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

ديسولتي Desaulty لقب عرف به جاسوس من الجواسيس الذين جندتهم السفارة الفرنسية بالمغرب لخدمة أغراض الاستعمار.

ينتمي ديسولتي أو محمد المراكشي، كما وجد مكتوباً على ظهر بعض الأوراق في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بمدينة نانت إلى مدينة مراكش. كان يسكن مدينة طنجة وفيها ربط خيوطه مع المفوضية الفرنسية التي جندته في شخص رئيسها رينيو Renault لإمدادها بأخبار ما يجري في الحوز عامة ومراكش على الخصوص في السنوات الحرجة التي سبقت إعلان بيعة الحفيظ (غشت 1907).

لا ندري بالضبط سر ديسولتي Desaulty وهو الاسم الذي كان يوقع به الرجل مراسلاته سنة 1906. ولم تساعدنا المستندات المتوفرة على معرفة حقيقة انتهاء الرجل أي على معرفة أسرته بمراكش.

والذي لاشك فيه أن أسرة ديسولتي كانت من الأسر المخزنية أو المقربة من المخزن. فحسب ما جاء في إحدى المراسلات أن أهله كلهم كانوا يخدمون في بلاط الخليفة عبد الحفيظ بمراكش سنة 1906. ومع ذلك يمكننا أن نتساءل عن علاقة Desaulty بالضابط الفرنسي الذي أسلم في عهد مولاي عبد الرحمان De sorty ؟

يشير K. de Chiny إلى أن Desaulty وهو ضابط فرنسي في الهندسة هو الذي علم مولاي أحمد الصوري مهنة المدفعية وقد أسلم وخدم في بلاط مولاي عبد الرحمان. وحسب كامبون H. Cambon فإن عبد الرحمان

ديسولتي ضابط هندسة فرنسي دفعته المغامرة إلى التخلي عن الزى الفرنسي، وذهب لتونس ثم استقر بمراكش وساهم في بناء عدة قصور سلطانية. وتوفي بفاس سنة 1879.

وأمام هذه المعطيات فهل، ديسولتي أو محمد المراكشي هو من أبناء أو أحفاد الضابط الفرنسي De Sorty لا نستطيع تأكيد العلاقة وإن كانت القرائن تثبتها. وفي حالة الإثبات يكون الجانب الفرنسي قد لجأ إلى خدمات فرنسي تخلى عن خدمة بلاده واعتنق الدين الإسلامي، على عكس ما ذكره كامبون من أن فرنسا لم تهتم بالجوء إلى خدمات الضابط الفرنسي (Histoire du Maroc, p. 442).

وعلى أي حال لم يكن الجاسوس ديسولتي وحيد نوعه. فقد كان لكل الدول الأوروبية جواسيسها بالمغرب وفي البلاط السلطاني نفسه. ولهذا عمدت السفارة الفرنسية إلى إرسال ديسولتي إلى مراكش صيف 1906 لما تأزمت أوضاع المخزن واضطربت أحوال المغرب.

وصل ديسولتي إلى مراكش يوم 22 ماي 1906 عبر الصورة، وشرع حالاً في بعث رسائله يوماً بيوم. واهتم فيها خاصة بكل شاذة وفادة من أمور المدينة والحوز وخاصة أمور الخليفة عبد الحفيظ وتطلعاته نحو الملك. واستمرت مراسلات الرجل إلى شهر غشت 1906. ثم توقفت حسبما يستفاد من الوثائق الدبلوماسية بنانت ولا يُعرف ماذا كان سبب التوقف أو المصير الذي انتهى إليه ديسولتي. هل توجد مراسلاته كاملة في جهة أخرى غير مركز نانت الدبلوماسي أم هل توقف بأمر من السفارة الفرنسية أم نتيجة لطارئ آخر ؟ ذلك ما نتمنى أن تبرزه أبحاث أخرى في الموضوع.

Archives diplomatiques (Nantes) ; Kerdek de Chiny, Un boulevard de l'Islam (244) ; H. Cambon, Histoire du Maroc. (442).

علال الحديدي

ديفيدسن ج. J. Davidson طبيب إنجليزي تحول سنة 1830 بوادي درعة ووصل إلى تنبكتو. وكانت له علاقة مع أولاد بيروك. كان يريد إنشاء مركز تجاري بالجنوب سنة 1835 يربط بين جبل طارق والمغرب. وتوفي سنة 1836 مغتالا بنواحي طاطة بالجنوب.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 4، ص. 1508.

J.-L. Miège, Le Maroc et l'Europe, Tome I, p. 97, Tome III, p. 80.

مصطفى بوشعراء

ديكوجيس Décugis طبيب فرنسي من أطباء البحرية رافق ده فيرنويي A. de Vernouillet سفير فرنسا لدى السلطان مولاي الحسن سنة 1877، فخرج مع الوفد من طنجة إلى فاس ماراً بالغرب وزغوطه. وكان رجوعه عن طريق مكناس. كان هذا الطبيب يقرأ خلال الطريق كتاب

روض القرطاس. وخلف أبحاثاً ودراسات نشرتها الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس سنة 1886 و1887. كما أنه وضع عن رحلته كتاباً نشر سنة 1878 بعنوان : قصة رحلة إلى داخل المغرب (Relation d'un voyage à l'intérieur du Maroc).

م. بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 4، ص. 1527.

J.-L. Mège, Le Maroc et l'Europe, Tome I, p. 98.

مصطفى بوشعرا.

ديلبيريل، جبرائيل Delbrel Gabriel ولد بفرنسا عام 1872، وكان في طفولته وشبابه متأثراً بما كان يسمعه حيناً ويقرؤه حيناً آخر من أخبار عن البلدان "الغربية" الواقعة وراء البحار. وأقرب هذه البلدان إليه أمصار شمال إفريقيا التي تبثت في اثنين منها أقدام الاستعمار الفرنسي، ونشطت الحركة التجارية معها وبدأت أفواج من الفرنسيين تتوجه إليها قصد الاستيطان أو للعمل في الخدمة العسكرية.

وفي إطار هذه الخدمة نزل ديلبيريل بالجزائر جندياً مبتدئاً، تعلم اللغة العربية واهتم بتقاليد الأهالي وأعرافهم ودينهم الذي تعلم منه بعض المبادئ، ولما صار له إلمام بهذه الأمور، وأنهى خدمته العسكرية، أقبل على مغامرة ولوج المغرب عن طريق وجدة عام 1891 وأخذ يتجول بين القرى والمداشر، مدعياً أنه تركي مسلم، فكان يلقي الترحاب وحسن الضيافة لدى بعض الأسر المسيورة من أهل الأرياف، ويدخل معهم في أحاديث سياسية، واكتسب مودة مضيغة. الذين كان يتحفظهم بصور عنهم يرسمها بقلم الرصاص، فيعجبون بفنه حتى مضى بعضهم يتوددون إليه للحصول على صورة لهم.

واتفق أن تجواله في قبائل أنكاد جاء متزامناً مع وجود الأمير عمر بن مولاي الحسن الذي حلّ بتلك الجهة لعقاب القبائل التي عتت عن أمر المخزن وغدت تجنح إلى الاستقلال بذاتها، وكان السلطان يومئذ يعلم أن جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر بث عيونه في مختلف جهات الامبراطورية الشريفة يدعون أهلها إلى طلب الحماية الفرنسية.

استطاع ديلبيريل أن يلتحق متنكراً في زي مغربي، بمحلة الأمير عمر. ملقياً أذناً صاغية إلى الأخبار التي يتداولها الجنود والأهالي، فيسجل محاورها في مذكراته كما بات يرسم المسالك التي يمر بها ويكتب بعض انطباعاته عن مشاهداته.

غير أن ظهور عصاة هنا وهناك في المنطقة الشرقية وما وافق هذه الظاهرة من فتن، جعل ديلبيريل يخشى على حياته، فولّى أعقاباً نحو وجدة ومنها رحل إلى الجزائر. وهناك رتب أموره وعاد إلى المغرب وحصل على مساعدة أشخاص مغاربة وأجانب، مكنوه من الوصول إلى

فاس. وفي هذه المدينة، تقرب من الأمير الشاب عبد العزيز، واستطاع أن يكسب مودته وصداقته وعطفه. ومكث بجانبه في زمرة أصدقائه الفرنسيين، بإيحاء من الطبيب الفرنسي المعروف بالدكتور ليناريس (Dr. Linares) الذي كان الطبيب الخاص للسلطان مولاي الحسن، وهو يومئذ أكبر جواسيس فرنسا بالمغرب.

انبهر الأمير عبد العزيز بمواهب ديلبيريل في الرسم، وكانت علاقاتهما تتطور من حسن إلى أحسن. وكان السلطان على علم بذلك، فلم يمانع، وإنما عندما قرر أن يقوم برحلة إلى تافلات في مستهل صيف عام 1892، أصدر أوامره بإبعاد كل الأجانب عن القصر ومنعهم من مرافقة الحاشية السلطانية ورجال المحلة المخزنية في هذه الرحلة، نهدياً بالويل والثبور كل أجنبي تجرأ على تعقب تنقلات السلطان المقبلة، باستثناء أجنبي واحد، ليناريس، طبيبه الخاص.

لكن الأمير عبد العزيز تدبر الأمر متجاوزاً أوامر والده، فساعد صديقه ديلبيريل على الانضمام إلى رجال المحلة، متنكراً في زي مغربي، مسائراً كل تقاليد المغاربة، ومن موقع في مؤخرة المحلة لا يشير أي انتباه، وهو واع كل الوعي بعاقبة خرق التعليمات السلطانية.

مضى ديلبيريل يختبئ من حين لآخر ليرسم معالم القصب والقرى وتحصيناتها ومنازلها والطرق التي يمر منها الموكب السلطاني والجنود، فلاحظ أن السلطان غير مسار الرحلة من فاس إلى تافلات، حيث لم ير الجاسوس الشاب المواقع المعتادة التي ورد ذكرها في أكثر من تقرير مما كتبه المستكشفون والجواسيس المتقدمون. وجاء في تقرير ديلبيريل أن السلطان برح فاساً في أوائل يونيو 1892 ووصل إلى تافلات بعد ثلاثة أسابيع. ثم أقام هناك إلى يوم 25 نونبر 1892.

وكذلك رافق المحلة في عودتها إلى مراكش، ونبه إلى أن بعض الجنود كانوا يفرون من المحلة فلم يعد يظهر لهم أثر، فوصل السلطان إلى مراكش يوم 20 دجنبر. لكن، في مراكش، غدت الشكوك تحوم حول ديلبيريل، وأقيمت عليه حراسة غير شديدة حتى لا يفتن بما يدور في شأنه، ولكنه علم، ولم يذكر من نبأه أنه أضحي متهما بما لن تحمد عقباه.

وأثناء آخر ليلة من شهر دجنبر 1892، خرج ديلبيريل تحت ستار الظلام من غرفته بأحد الفنادق، متنكراً كذلك، ولم يعثر له بعد على أثر في مراكش، فغضب السلطان وأمر بالبحث عنه في دائرة حول مراكش تشمل الجديدة وأسفي والصويرة وطريق فاس وطريق الدار البيضاء وقيل للمخزن إن الاحتمال هو ذهاب ديلبيريل إلى الجديدة للاتحاق بالقنصل الفرنسي آبريدو الذي نظم أول بريد حر حديث بين الجديدة ومراكش.

وبالفعل، حلّ ديلبيريل بالجديدة بعد يومين من فراره وكان يتبع خطوات الرقاص الذي وظفه آبريدو لنقل الرسائل

بين المدينتين. وأمر السلطان بإلقاء القبض عليه وتقديمه إلى المحاكمة ليدوق وبال أمره، لولا أن ابريدو استقبله قبل ذلك وأخفاه في مكان ما ولم يكتشفه أحد.

أثناء هذا الحدث كانت سفينة فرنسية راسية بمرسى الجديدة، فأخرج ابريدو مواطنه في هيئة لا تتفق أوصافها مع تلك التي ذكرها رسل السلطان. وتمكن الهارب من الصعود إلى السفينة بأوراق مزورة وفي صورة لم يكتشف أحد من موظفي المخزن وشرطة المرسى من اختفى من ورائها، وكان الإبحار في العاشر من يناير 1893، والوصول إلى مرسيليا بعد سبعة أيام. كانت تقارير ديلبريل مفيدة إلى حد ما للمخابرات العسكرية الفرنسية التي تعرفت من خلالها على بعض جوانب الريف والجو السياسي المحلي الذي تميز بمؤشرات لم تكن في صالح التوسع الاستعماري الفرنسي.

ثم رجع إلى طنجة في ثاني يناير 1899، وفي حقيقته تكليف بمهمة تتعلق باستكشاف حوض وادي آناون شمالا بين فاس وتازا وبعض الجهات الواقعة جنوب جباله وغماره والريف. وكان في استقباله بالمرسى مالبيروتوي فنصل فرنسا الذي اعتنى به وأوصله سالما إلى فاس. وهناك مكث بضعة أيام إلى أن أقبل عليه مرشد مغربي فتوجه إلى تازا ومناطق أخرى مجاورة. إلى أن وصل يوم الاثنين 10 فبراير إلى قصبة سيدي ملوك، ومنها دخل رفقة مرشده الشيخ سعيد إلي مغنية حيث لقي استقبالاً فاخراً من طرف السلطات الفرنسية.

استفادت هذه المرة الاستعلامات الفرنسية من نتائج رحلة ديلبريل التي لم تستغرق أكثر من شهر، فوقفت على أسرار مواقع استراتيجية جديدة، وعلى معلومات اجتماعية وسياسية تصب أهميتها خيما يخططه منظرو الاستعمار الفرنسي للمغرب. وأشاد كل من لامارتينيير والدكتور ليناريس بما أنجزه ديلبريل في ظرف وجيز لحساب فرنسا، مما يسر توغلها في المنطقة، تمهيداً لما يسمى بالحماية.

A Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain* (1830 - 1912) ; De La Martinière, *Souvenirs du Maroc* ; Commandant F. Gendre, *Voyageurs et géographes, pionniers oubliés* ; H Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. II.

أحمد بنجلون

ديلكاسي طيوفيل Théophile Delcassé سياسي فرنسي قام بأدوار طلائعية في التمهيد لعقد الحماية الفرنسية على المغرب، ولد في فاتح مارس 1852 بمقاطعة الأرييج (Ariège) بالجنوب الشرقي من فرنسا من أسرة فلاحية، حصل على الإجازة في الأدب وانضم إلى حزب الزعيم غامبيطا (Gambetta) الذي كلفه بالإشراف على قسم الشؤون الدولية في جريدته "الجمهورية الفرنسية" فاشتغل في الصحافة عدة سنوات إلى أن انتخب نائباً في مجلس

النواب في صفوف الحزب الرديكالي وتجلت خبرته بالعلاقات الدولية بما أهله لدخول الحكومة كنائب لكاتب الدولة في التجارة والصناعة والمستعمرات (17 يناير 1893 إلى 2 دجنبر 1893) ثم أسندت له وزارة المستعمرات وكان ذلك أول مرة تحدث فيها وزارة لتلك القضايا مستقلة الذات (30 ماي 1894 إلى 25 يناير 1895) فاشتغل بتعزيز الممتلكات الفرنسية وتشجيع المقاولات الحرة بها مع تقوية الوجود الفرنسي بالطونكين وكوط ديفوار، ثم إنه تربع على كرسي وزارة الشؤون الخارجية يوم 28 يونيو 1898 فذاع صيته لما كان له من التأثير الحاسم في وطنه وفي المغرب وعلى الساحة الدولية، ذلك أنه بادر إلى نهج خطة معاكسة لما كانت عليه الدبلوماسية الفرنسية قبل أن تمسك هو بزمامها. فإنه تخلى عن مسالمة ألمانيا وسعى في تذليل أسباب النزاع مع إنجلترا التي كانت هي المنافس الأول لفرنسا في مجال الاستعمار، فقبل أن يتخلى لها عن السودان الشرقي وعن منطقة بحر الغزل بعد حادثة فاشودا التي كادت أن تؤدي إلى الحرب بين الدولتين سنة 1898، ثم اجتهد في التفاهم معها ومع إيطاليا وإسبانيا لاقتسام النفوذ في إفريقيا فأبرم اتفاقية مع إيطاليا سنة 1900 مطلقاً لها اليد في ليبيا مقابل تنازلها لفرنسا عن المغرب، كما أبرم اتفاقية أولى مع إسبانيا تفك أسباب النزاع معها بخصوص الصحراء المغربية الغربية وبخصوص غينيا الاستوائية وما إليهما (يونيه 1900). كما اهتم ديلكاسي في نفس الوقت بالتقرب من روسيا فأبرم معها اتفاقية عسكرية سرية، لكن أكبر إنجازاته وأخطرها شأنًا إبرامه الاتفاق الودي مع إنجلترا وساعده في ذلك وفاة الملكة فيكتوريا (Victoria) سنة 1903 وجلس إدوارد السابع على العرش، وكان أكثر تعاطفاً مع فرنسا من والدته، وأيضاً شروع ألمانيا في تنمية أسطولها مما أقلق الحكومة الإنجليزية وجعلها تصغي إلى مفاوضات ديلكاسي وانتهى الأمر إلى الاتفاق الودي بين الدولتين (8 أبريل 1904) الذي تخلت فرنسا بمقتضاه لإنجلترا عن امتيازاتها في مصر مقابل تخلي إنجلترا لها عن امتيازاتها في المغرب شريطة أن تكون شواطئ المغرب الشمالي وما وراءها من الأرض من نصيب إسبانيا، أما طنجة فتقرر أن تبقى منطقة دولية وأدركت ألمانيا على التو ما كان في مبادرات ديلكاسي من التأمر عليها ومن المضايقة لها في أوروبا وفي المجال الاستعماري، وكان رد فعلها عنيفاً حيث أبى الامبراطور غليوم الثاني إلا أن يزور مدينة طنجة ليعلم من هناك تمسكه بسيادة المغرب ويوحده تراهيه وأمر حكومته بأن تمارس كل الضغوط الدبلوماسية على الحكومة الفرنسية لإرغامها على إقالة ديلكاسي وذلك ما حصل في يونيو 1905.

وهكذا كان لهذا الرجل أبلغ الوقع على مصير المغرب، فإنه هو الذي وضع الخطوط العريضة الأولى للحماية الفرنسية عليه، ودليل ذلك منبسط في مراسلاته المنشورة

حيث تبدو منها خطة واضحة ثابتة وإصرار في التنفيذ امتد على مدى سبع سنوات فإنه قال في رسالة بتاريخ 9 يوليو 1903 : "ليس من العيب أن نذكر بعدم جدوى مارمناه منذ نصف قرن لتسريب نفوذنا إلى المغرب من خلال حدود الجزائر بالرغم مما كان يفترض أن يعود علينا من الفوائد لمجاور تناله، وذلك أن قبائل مغربية ذات بال ظلت تقوم بين الجزائر والمغرب مقام حجاب لا يخترق [...] فلما أبرمت الحكومة مع السلطان أوافق 1901 و1902 كان غرضها من ذلك تغيير هذه الأوضاع التي ما كانت لتدوم دون أن يترتب عليها أضرار كبرى علينا، وإذا ما تتبعنا تطبيق ما لا بد أن يترتب على تلك الأوافق من التدابير السياسية فإنه يجوز أن نتشوف في ظرف وجيز وبموافقة المخزن إلى إقامة العديد من مراكز الاتصال مع الإمبراطورية المجاورة من خلال أراضي تلك القبائل بعد تمهيدها، ومن ثم تتحسن علاقاتنا مع السلطان في أقرب الآجال".

وجاء في رسالة يوم 27 أبريل 1904 قوله : "على السيد سانت أولير (Saint - Aulaire) والسيد غايارد (Gaillard) أن لا ينبا في ترديد القول بأننا نتقدم إلى المغرب كأصدقاء يسعون في ازدهاره لأن ازدهارنا رهين بذلك وأننا لانرمي إلى النيل من نفوذ السلطان بل إننا على العكس منشغلون بالرفع من جاهه [...] وأننا ننتظر في المقابل أن يتفهم المخزن مجهوداتنا وأن يسعى مخلصا في مؤازرتنا" ثم قال في رسالة يوم 3 ماي 1905 : "قل لابن سليمان بلسان الصرامة إنه لا يمكن أن يتوسط بين الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية أية قوة أخرى مثلما أنه لا يوجد أي بلد يتوسط بين المغرب وبين فرنسا الجزائرية فإنه لا يحد المغرب إلا فرنسا" وهو الذي وضع برنامج الحماية الأول وكلف سان ريني طاياندييه (Saint-René Taillandier) بفرضه على المولى عبد العزيز. ومما جاء في ذلك البرنامج قوله : "مهمتنا تكمن من أجل مصلحتنا الذاتية في السعي في مصلحة المغرب ومن أجل سلامتنا الذاتية في العمل على مساعدته على إرساء الأمن والنظام في ترابه ومن أجل ازدهارنا الذاتي في تزويده من أدوات استثمار ما يزخر به من الخيرات بحيث يبقى على ما كان عليه من أشكال العيش ويحفظ بأعرافه وقوانينه وروسانه تحت إمرة السلطان بعد تقوية نفوذه وإمداده فلا يشعر بقوتنا إلا من جهة ما سترتب عليها من النعم".

وامتد تأثير ديلكاسي على الأحداث في المغرب حتى بعد انفصاله عن وزارة الشؤون الخارجية فإنه ظل يعمل من أجل إنجاح سياسته سواء من خلال مجلس النواب أو من داخل الحكومة حيث كان وزيراً للملاحة البحرية من مارس 1911 إلى يناير 1913 ثم كان سفيراً في روسيا تلك السنة وعاد إلى الحكومة كوزير للحرب بضعة أيام في شهر يونيه 1914 ثم وزيراً للشؤون الخارجية مرة أخرى في غشت 1914 إلى أكتوبر 1915 وهي السنة الأولى من الحرب العالمية.

وبعد ذلك اعتزل السياسة وإن ظل يؤثر على مصير المغرب بصفة غير مباشرة، إذ تزوجت بنته سوزان سنة 1920 من الضابط شارل نوجيس (Ch. Noguès) الذي كانت له أدوار مرموقة في التمهيد العسكري وفي إدارة الحماية العليا إلى أن أسندت له الإقامة العامة. فكان مصير المغرب بيده من سنة 1936 إلى 1943.

توفي طيوفيل ديلكاسي يوم 21 فبراير 1932 بمدينة نيس.

Documents diplomatiques français ; B Yvert, Dictionnaire des ministres 1789 - 1989, Paris, 1990.
إبراهيم بوطالب

الدِّيمَان، أسرة تطوانية أشار إليها عمر لوقش في قصيدته المشهورة : وقد انقضت هذه الأسرة بتطوان. م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1621.

محمد ابن عزوز حكيم

الديماني، علي بن الحسن، أو الدوماني كما في بعض الوثائق. لا يبعد أن يكون أصله من عائلة بني ديمان الصحراوية، وهي من الأسر التي نبغ فيها عدد من رجالات العلم والأدب. لم يحظ الديماني بعناية أصحاب التراجم فيما رجعنا إليه من المظان، وتكاد المعلومات عنه لا تخرج عما أورده عن نسبه في مستهل كتابه "روضة التحقيق في ذكر مناقب آل الصديق" الذي ألفه للحديث عن مناقب وأخبار الشيخ الصوفي محمد بن إبراهيم التمارتي (ت. 971. 1563) لا يذكر لنا الديماني شيئا عن طبيعة علاقته بمنطقة تمارت، ولا عن دواعي تأليفه هذا. وكل ما نعلم هو أن هناك مريدين وتلاميذ من أصل صحراوي يرتادون باستمرار زاوية تمارت. وكان للبعض منهم مكانة خاصة لدى الشيخ التمارتي كخديمه علي بن أبي العباس بن أبي زكرياء الديماني، ويحيى بن موسى الديماني الصحراوي. والظاهر في سياق ما يورده الديماني عن التمارتي، أنه إستقى معلوماته اعتماداً على روايات من أخذ عن هاتين الشخصيتين. وهذا ما يقودنا إلى تأكيد كون الديماني لم يعاصر التمارتي وإنما ألف كتابه في مرحلة متأخرة قد تكون القرن السادس (12 م) "بعدما مضى من أخبار الشيخ الصحيحة ما ذهب وبقي ما يبقى في الأسمار عند العوام والعجائز". ويبدو من خلال مؤلفه بعض ملامح شخصيته المتسمة بالصيغة الصوفية الصرفة، وتترأى هذه الصورة حينما يبالغ في تعداد مناقب وكرامات الشيخ التمارتي بأسلوب بسيط يغلب عليه الاستطراد.

علي بن الحسين الديماني أو الدوماني : روضة التحقيق في ذكر بعض مناقب آل الصديق، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، دليل

مؤرخ المغرب، دار الكتب، الدار البيضاء، ج 1، ص. 83 : المختار السوسي، العسول، ج 7، ص. 35، 45، سوس العالمية، ص. 219 : أ. بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، 1989.

أحمد بومزكو

الديموقراطية كلمة يونانية Democratia تعني حكم الشعب بالشعب، وتقتضي توسيع مجال الحريات العامة، ومشاركة المواطنين في تسيير شؤون البلاد عن طريق ممثلهم في البرلمان. للنظام الديموقراطي جذور تاريخية بالمغرب فيما يسمى بنظام الجماعات خصوصاً في المناطق القروية التي كانت تتمتع بالاستقلال الإداري بالنسبة للحكومة، وتحتوي على هياكل إدارية وقضائية تمكنها من تسيير شؤونها المحلية.

ومنذ 1912 إلى 1956، أي طيلة عهد الحماية، وقع تهميش الهياكل الجماعية، ولم يبق للجماعة أية سلطة فعلية، الشيء الذي أدى برجال الحركة الوطنية آنذاك إلى أن ينتقدوا بشدة هذه السياسة الاستعمارية معتبرين أن نظام الجماعات يمثل مبدءاً ديمقراطياً يجب احترامه.

ولما أحرز المغرب على استقلاله انكبّت جهود المغاربة بقيادة محمد الخامس على وضع الركائز الأساسية للديمقراطية في البلاد، فصدرت ظهائر وقوانين في مجال الحريات العامة والنقابية والوظيفة العمومية. كما شملت أيضاً هذه التوجهات الديموقراطية ميدان الانتخابات وتنظيم الجماعات المحلية.

كان المجلس الوطني الاستشاري أول تجربة ديمقراطية فعالة بعد الاستقلال، مثل الرأي العام الوطني في تلك الظروف تمثيلاً واسعاً بقدر الإمكان، وشارك فيه ممثلون عن الحزبين السوطينين : الاستقلال والشمس والاستقلال، والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنقابية، ومنظمات الشباب والرياضة.

تأسس المجلس الوطني الاستشاري بمقتضى ظهير شريف مؤرخ في خامس وعشري ذي الحجة عام 1375 / 3 أغسطس 1956 واستمرت جلساته منتظمة إلى نهاية دورة 1959. وصدر في هذه الأثناء ظهير الحريات العامة سنة 1958 الذي حرّم نظام الحزب الوحيد بالمغرب وفتح الباب مشرعاً للحياة الديمقراطية.

وفي شهر شتنبر 1959 صدر الظهير الشريف المتعلق بانتخابات المجالس الجماعية، كما صدر في 23 يونيو 1960 الظهير الشريف المتعلق بالنظام الجماعي. وفي 21 شتنبر 1963 صدر ظهير بشأن تنظيم العمالات والأقاليم مازال ساري المفعول مع ما أدخل عليه من التغييرات.

وقد ركزت هذه النصوص على تنظيم الجماعات المحلية بصفة قانونية فيما يخص مجال الانتخابات بالنسبة للمجالس الجماعية، وفيما يخص التسيير الإداري اليومي

بالنسبة للجماعات كلها. ومن هنا عرفت بلادنا أول تجربة لنظام اللامركزية الذي يعد بمثابة الديمقراطية المطبقة على الإدارة كما عرّفه بعض الفقهاء. وتعتبر الجماعات المحلية كأداة لتدعيم هذا النظام الديموقراطي اللامركزي.

اعترف هذا النظام بوجود قضايا محلية يسند أمر إدارتها إلى هيئات محلية منتخبة تتمتع بالشخصية المعنوية وبلاستقلال المالي في إطار خصوصيتها لوصاية إدارية تمارس عليها من طرف السلطات المركزية. وخصص دستور 1962 للجماعات المحلية باباً خاصاً تجده كذلك في دستور 1970 ودستور 1972 وفي الدستور الحالي. واعترف الدستور بوجود قضايا محلية يسند تدبير شؤونها إلى جماعات منتخبة، يقول الدستور : "تنتخب الجماعات المحلية مجالس تتكلف بتدبير شؤونها تدبيراً ديمقراطياً طبق شروط يحددها القانون".

وفي شهر يوليوز 1975 أعلن عن تنظيم انتخابات محلية كما أعلن عن توسيع اختصاصات الجماعات التي ستنبثق عن هذه الانتخابات. ثم أتى خطاب 8 يوليوز 1976 الذي أوضح فيه جلالة الملك فلسفة النظام الجماعي الجديد. وفعلاً ذهب المغرب بعيداً في المسلسل الديموقراطي المحلي إذا ما قارنا النظام الجماعي الحالي مع ما يوجد في بعض الدول التي تسير في طريق النمو.

وقد تعزز هذا الاختيار الديموقراطي بجعل الجهة جماعة محلية كباقي الجماعات الأخرى تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي يتولى تدبير شؤونها بحرية مجلس ينتخب بطريقة ديمقراطية لمدة ست سنوات. وهكذا بعد خضوع الجهة للتجربة في إطار ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث المناطق الاقتصادية تمّ الارتقاء بالجهة إلى مستوى الجماعة المحلية بمقتضى دستور 1992.

وبعد المصادقة على مراجعة الدستور في استفتاء 13 شتنبر 1996، أصبح للجهات إطار قانوني جديد يضع أسسه القانون رقم 96 / 47 المتعلق بتنظيم الجهات والذي صدر بتنفيذه ظهير شريف مؤرخ في 12 أبريل 1997. والجديد في الإصلاح الدستوري الأخير هو توسيع اختصاصات البرلمان مع إنشاء غرفتين : مجلس النواب ومجلس المستشارين، الشيء الذي يدعم الركيزة الثانية للنظام الديموقراطي أي مشاركة المواطنين في تسيير شؤون الدولة.

وبالجملة ركز المغرب جهوده طيلة السنوات الأخيرة على إرساء قواعد الديمقراطية سواء على الصعيد الوطني بالنسبة للمؤسسات الدستورية أو على الصعيد المحلي، وعلى ترسيخ دولة الحق والقانون التي تعد الركيزة الأولى في إرساء الديمقراطية وذلك بإنشاء محاكم إدارية في جل جهات المملكة وإنشاء مجلس استشاري لحقوق الإنسان. وبهذا يكون المغرب قد دعم ركائز النظام الديموقراطي بتوسيع مجال الحريات العامة وحماية حقوق الإنسان.

المجريدة الرسمية، الرباط، 1956-1999 : المدونة القانونية للجماعات المحلية بالمغرب، مراكش، 1997 : ع. الرحمان جمجمة، اللامركزية مع اللامركز والديموقراطية المحلية في الخطاب الملكي - من إرسال التجربة إلى إعلان الإصلاح الجهوي، 1955 - 1995، الرباط، 1996.

S. Ben Bachir, *L'Organisation administrative du Maroc*, Rabat, 1968 ; A. Sedjari, *Le système d'administration territoriale au Maroc in L'administration territoriale au Maghreb*, Rabat ; E. De Laubadaire [etal...] *Traité de Droit Administratif*, Paris, 1992 ; H. Ouazzani Chahdi, *équation ? in Décentralisation et pratiques locales de développement*, Casablanca, 1996 ; *Droit de l'homme et Administrations Publiques : le cas du Maroc*, Bruxelles, 1997 ; *Droit Administratif*, Rabat, 1997.

الحسن الوزاني الشاهدي

الدينار، كلمة لاتينية Denarius وهو قطعة نقدية ذهبية، وخلال العهود القديمة كان المغاربة يستعملون النقود الذهبية الأجنبية، وقد حملت الطلائع الأولى للفتح الإسلامي لشمال إفريقيا الدينار الذهبي الإسلامي، ونظراً لوضعية الدولة الإدريسية التي كانت تعيش وضعية اقتصادية محدودة، فلم تقم بضرب النقود الذهبية واكتفت بسك النقود الفضية، لعدم توسع الدولة الإدريسية تجارياً نحو مناجم الذهب الإفريقية، وظل سك النقود الذهبية من الحقوق التقليدية للخلافة العباسية في الشرق، ولم يقع تجاوز هذا التقليد في الغرب الإسلامي إلا في عهد الأمير عبد الرحمان الثالث بالأندلس حيث سك الدينار الذهبي في بداية القرن الرابع (10 م).

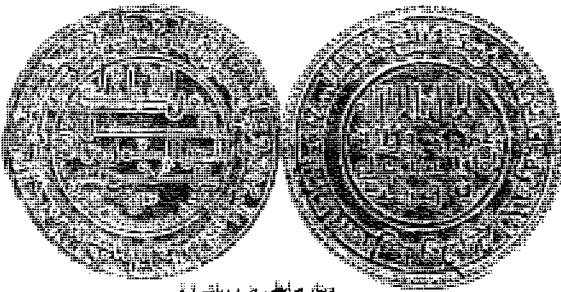
وفي العهد المرابطي ظهرت الدنانير الذهبية المغربية بوفرة بفضل نموّ تجارة القوافل مع إفريقيا واتسعت الامبراطورية المرابطية نحو الأندلس، كان الخط الكوفي سائداً في العهد الإدريسي وفي العهد المرابطي ظهر الخط اللين "خط الثلث المغربي" على الدنانير، وفي العهد الموحي اختفى الخط الكوفي وظهر خط الثلث المغربي على جميع القطع، وكما ضرب الموحدون الدرهم الفضي المربع رسموا الشكل الرباعي على الدنانير الذهبية المستديرة، ولعل ذلك راجع إلى التعارض السياسي والمذهبي الذي كان سائداً بين الموحيين والمرابطين، فسعوا لإظهاره على النقود، وشمل هذا التعارض أيضاً الأوزان النقدية فجاء الموحدون بوزن مخالف للدنانير المعروفة في الغرب الإسلامي فأصبح الدينار المغربي أكبر وزناً من الدينار الشرعي إذ كان الدينار الشرعي يزن 72 حبة من الشعير الوسط (= 4.1594 غ) بينما يزن الدينار الموحي 84 حبة من الشعير الوسط (4.8526 غ).

ولقد استفاد المرابطون والموحدون من كميات الذهب التي تراكمت في المغرب نظراً للتوسع في مجال التجارة الصحراوية، شكل ذهب السودان المزود الرئيسي لدور

السكة المغربية حتى القرن السابع (13 م) لكن تحول المسالك التجارية في عهد بني مرين في القرنين الثامن والتاسع (14 و 15 م) في اتجاه المغرب الأوسط وإفريقية ومصر انعكس سلباً على دور السكة المغربية التي افتقدت ذهب السودان ومع ذلك ظلت الدولة المرينية تستفيد من الأرصدة الذهبية للعهد الموحي وما كانت تحصل عليه من الغنائم.

وقد ارتبط عهد السعديين بفتح المنصور الذهبي للسودان واستفاد هذا العهد من الذهب الإفريقي الذي كان يغذي التيار التجاري المتجه نحو البحر المتوسط بعد أن تصل القوافل إلى المراكز المغربية القديمة المتاخمة للصحراء مثل نول لمطة وسجلماسة. ورغم ما أكدته لومبار وهو من المهتمين بحركة المعادن النقدية ومناجمها من كون "الذهب لا يبقى في المغرب وإنما يمرّ به فقط" فقد استفادت دور السكة المغربية من ذهب إفريقيا، ولدينار صيد في مختلف المتاحف من الدنانير الذهبية التي كانت تضرب في معامل السكة بنول لمطة وسجلماسة ومعامل تارودانت ودرعة ومراكش وفاس.

لم تستمر هذه الوضعية بعد العهد السعدي إلا قليلاً، ففي العهد العلوي ونتيجة لتحول الطرق التجارية نحو سواحل السودان بعد تقدم الكشف الجغرافية، تضائلت هذه الاستفادة تدريجياً حتى انقطعت بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) بقليل، فقد كانت الكمية القليلة من الدنانير التي ضربت بدار السكة بفاس سنة 1868 من أواخر الدنانير التي ضربت في القرن الثالث عشر (19 م) وقد انسحبت من التداول نهائياً في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان تأخر استعمال دينار التبر في الجنوب المغربي، وذلك نظراً لندرة الدنانير المضروبة واختفائها، وكان التعامل بها جارياً في المناطق المتاخمة للصحراء التي لا تزال القوافل التجارية تحمل إليها كميات من التبر (مسحوق الذهب) وقد وقع التعامل بتعويض قطعة الدينار بوزن مضبوط يدعى المثلث الذهبي أو دينار التبر ويزن 4.50 غ وقد استعملت هذه الوحدة في منطقة توات ودرعة وسوس، ويلاحظ أن وزن هذا الدينار في هذه المناطق يفوق وزن الدينار الشرعي البالغ 4.25 غ، وقد استغرب مارتان من



دينار مرابطي ضرب بإشبيلية

ذلك دون أن يعطي تعليلاً واضحاً، غير أن السنوات الأولى من القرن العشرين عرفت اختفاء الدينار الذهبي بالمغرب، فلم تبق منه إلا قطع محفوظة للذكرى عند بعض الخواص. إن الأسباب التي أدت إلى تدهور القاعدة الذهبية للعملة المغربية وزوال الدينار المغربي من الرواج متعددة أشرنا إلى بعضها مما يتعلق بالتغيرات التجارية، ولكن هناك ظروف أخرى داخلية تتعلق بالقحوط والطواعين التي عرفت بداية القرن الثالث عشر (19 م)، وما استجد على المغرب من التدخل الأجنبي الذي واجهته البلاد في معركة إسلي وحرب تطوان، هذه الحرب التي استنزفت عسكرياً واقتصادياً طاقات البلاد وأفقدتها الغرامة الناجمة عنها وتوابعها كل الأرصد الذهبية والفضية وما كان يتمتع به المغرب من توازن في مختلف المجالات.

العهد العلوي حتى القرن الثاني عشر (18 م) عندما قام السلطان محمد بن عبد الله بإصلاحه النقدي سنة 1766 فبناه على القاعدة النقدية الفضية ووقع التراجع شيئاً فشيئاً عن القاعدة الذهبية، ويفسر هذا التراجع في بعض جوانبه بضمور كميات الذهب التي كانت ترد على المغرب من السودان وانعكاسها سلباً على موارد بيت المال، ولم يُطل استقرار النقود على القاعدة الفضية إذ سرعان ما تحولت نحو القاعدة المزدوجة من الفضة والنحاس عند حلول القرن الثالث عشر (19 م)، ثم تحولت الأهمية إلى معدن النحاس نتيجة التدخل الأوروبي وما صاحبه من عوامل.



الدينار الأسمايلي

ونورد هنا نموذج النظام المتعامل به في القرن الثاني عشر (18 م) قبل انقطاع التعامل بالدينار في النصف الثاني من القرن الموالي كما توصلنا إليه من عدة وثائق وتقايد المعاملات. فقد تعامل الناس بنوعين من الدنانير : الدينار السني "الشرعي" والدينار السوقي "العرفي". فكان الدينار السوقي إما حسب عياره وإما حسب وزنه، وهذا ما نوضحه في الجدول التالي :

الدينار			
الدينار السني		الدينار السوقي (العرفي)	
(72 حبة من الشعير)			
المشعر الصافي	حسب العيار	المشوب بالفضة	حسب الوزن
السداسي : الجديد	العشارى دينار	دينار	دينار
	وزنه 100 ح	وزنه أقل من	وزنه أكثر من
	السباعي	100 ح	100 ح
الخماسي السداسي	المكتاسي	المراكسي	
الجزولي	الفاسي	الوادوني	
		السوسي	



دينار بني مدرار بسجلماسة

وقد عرف المغرب في عهوده التاريخية المختلفة أنواعاً من الدنانير تحمل سمات حضارية متميزة تعتبر مجاًلاً للبحث والدراسة في هندستها وأحجامها ونقش أشكال الحروف وأنواع الخطوط، وتقسيم فضاءات القطعة في المركز والهامش على الوجهين، إلى ما ذكرناه من اختلاف الأوزان وتحديد عيار الدينار ومقدار صفائه. إلى المدلولات الدينية والمذهبية والشحنات السياسية التي تحملها العبارات الكتابية المنقوشة عليها والتي تعتبر كل دولة دنانيرها مجاًلاً لإعلان مذهبها لتخليد أفكارها ويمكن الرجوع إلى كل ذلك في بعض مظانّه الخاصة.

وفي مجال الرواج النقدي عرف الدينار بالمغرب أنظمة وأسماء خاصة في الرواج والحساب تستقي أصولها أحياناً من الخصائص والمعطيات المذكورة آنفاً وتستقيها أحياناً أخرى من عمليات الصرف ونظام التداول.

من هذه الأنظمة أن الدينار يشكل وحدة أساسية مبنية على القاعدة الذهبية، حسب الشريعة الإسلامية التي تعتبر الذهب القاعدة النقدية الأساسية في كل المعاملات، وقد استمرت هذه القاعدة منذ العهد المرابطي والموحدي إلى

دينيا ويكتب الدنيّا أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Denia وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 688.

محمد ابن عزوز حكيم

دينية (أسرة رياضية) ← دنية

ابن **ديهاج**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلوط، وقد انقرضت بهذه المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 240.

محمد ابن عزوز حكيم

ديودور Diodore ملك أشار بلوترخوس إلى انتمائه ناحية طنجة في غابر الزمان Plutarque, Sertorius. وردت هذه الإشارة عند الكاتب المذكور بمناسبة حديثه عن التدخل العسكري للقائد الروماني Sertorius في شمال موريطانية قادما إليها من إسبانيا، وذلك حوالي سنة 82.

أفاد الكاتب أن القائد الروماني المذكور جاء إلى موريطانية لمساعدة الثوار المورين الذين انتفضوا ضد الملك أسكاليس Ascalis، في طنجة وناحيتها. وفي هذا السياق شاء الكاتب أن يستطرد في حديثه لإثارة أمجاد الملك يوبا الثاني الذي سبق له أن حكم هذه البلاد. وهكذا ساق رواية تتعلق بالملك الأسطوري أنتايوس Antaeus، فأكد أنه دفن في ناحية طنجة، وأن سرطويوس فتح قبره للتأكد مما يحكيه السكان حول طول قامته، فتبين للشخص المذكور أن جثة أنتايوس تقدر فعلاً بستين ذراعاً.

ثم أورد الكاتب الإشارة التي تتضمن الملك ديودور قائلاً : "يحكي أهل طنجة أنه بعد وفاة أنتايوس، اقترنت زوجته تنكي Tingé بهرقل. ثم أنجبا ولداً يدعى صوفاكس Sophax. ولما صار هذا الأخير ملكاً، أطلق اسم والدته على المدينة. ويضيف السكان أن ولد صوفاكس المدعو ديودور قد تمكن من السيطرة على عدة شعوب في ليبيا، بواسطة جيش يتكـون من الألبين Olbiens والموكسينين Mucéniens، وقد أتى هؤلاء مع هرقل إلى هذه البلاد. واني أسوق هذا الحديث تكريماً ليوبا. إنه أكبر المؤرخين من بين الملوك. وهو الذي يقال إن أجداده انحدروا من صوفاكس وديودور".



دينار مريني ضرب بأزمور

امتد هذا النظام من العصر السعدي إلى العصر العلوي حتى نهاية القرن الثالث عشر (19 م) فكان هذا التعدد في أوزان الدينانير وعباراتها يثبت وجود تعدد في صرفها، ولكل دينار أنصاف وأرباع وغيرها من الأجزاء، وقد كانت عمليات الصرف تمارس بأجزاء تلك الدينانير أو بعدد من الدراهم الفضية المعادلة لها. وكان التجار والصيارفة والفقهاء ممن يتقنون حسابات هذا الصرف، وخاصة عند إجراء المعاملات التي تحتاج في ضبطها إلى كتابة العقود والرسوم مما كان الناس يرجعون إليه حتى بعد انقطاع التعامل بالدينار لفض النزاعات الموروثة.

الكرملي أنسطاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط 2، القاهرة، 1987 ؛ حلاق حسان علي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، 1978 ؛ حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 23 سنة 1999، ص. 109 - 230 ؛ مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، أكادير، 1988 ؛ النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993 ؛ ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993 ؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، دمشق، 1980 ؛ ع. الكرسيفي، رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر ؛ ابن جزي، القوانين الفقهية، الرباط، 1962 ؛ لومبا رموريس، الإسلام في مجده الأول، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (roméotypé) ; Sidbon, Beyda B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, R. M. M vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat, 1884 ; *Corpus des Dirhams Idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes* H. T, vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie arabe et sa metrologie*, Rabat, 1970 (roneotype) ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III.

عمر أفا

الديوري، أسرة فاسية أصلها من السوس الأقصى اطلع مؤلف كتاب رفع الالتباس على وثيقة تذكرهم في فاس مؤرخة بعام أربعة وثمانين وألف. قال : "و ادعى بعضهم في هذه الأزمان الشرف وأفتى علماء الوقت ببطلانه ... ودارُ الديوري الكبرى كانت بدرب بورجوع حُبساً على بعضهم وقد صارت الآن بناءً".
ع. السلام ابن سودة، رفع الالتباس، مرقون.

الديوري، محمد بن أحمد الفاسي ثم القنيطري ولد بفاس سنة 1314 / 1895 وبها تلقى تعليمه حتى حصل على شهادة الدروس الثانوية سنة 1918، وعين في نفس السنة أميناً للصندوق بالبنك "كريدي فونصبي"، ثم انتقل إلى مدينة القنيطرة سنة 1922 للأشتغال بالتجارة ولم تكد تصل سنة 1930 حتى أصبح من كبار تجار المدينة. وبموازاة مع غو ثروته عرف وعيه الوطني كذلك نمواً سريعاً، فانتقل إلى مقدمة الأحداث التاريخية منذ القنطرة.



وأخذ يعد العدة لالانخراط في انتصار الوطني بعدما هباً لذلك الظروف المادية وحتى الفكرية حيث إن زوجته المغربية الأصل والتي استغلت إقامة أسرته بالسينغال للحصول على الجنسية الفرنسية الشيء الذي هباً لها الظروف لإدارة جريدة بالفرنسية بإيعاز من زوجها محمد الديوري وكانت لسان الحركة الوطنية الناشئة.

ومنذ صدور الظهير البربري (16 ماي 1930) شرع محمد الديوري في نشر الوعي بين ساكنة القنيطرة متخذاً الزاوية التجانية مركزاً لعمله التنظيمي، وظهرت نتائج هذا العمل يوم 16 ماي 1933 بمناسبة الذكرى الثالثة لإعلان الظهير البربري، إذ دعا الديوري إلى تنظيم مظاهرة اجتجاجية، انطلقت من رحاب الزاوية التجانية، وبموازاة مع هذه المظاهرة التي عرفت إقبالا جماهيريا كبيرا، دعا محمد السديوري التجار والحرفيين لإغلاق السكاكين فاستجابوا لندائه، بالرغم من تهديدات باشا المدينة وسلطات الحماية، ويمكن اعتبار 16 ماي 1933 تاريخ ميلاد الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة بشكل عملي وعلني.

وأهم ما يعكسه هذا النص هو العلاقة الراسخة في القدم بين بلاد المورين والعالم الاغريقي قبل العهد الفنيقي. وهو موضوع مازال لم يحظ بالعناية اللازمة.

والملاحظ أن ديودور اسم إغريقي، اشتهر به مؤرخ عاش في القرن الأخير قبل الميلاد يدعى ديودور الصقلي.

م. المجذوب، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، المحمدية، 1998، مرقونة ؛ نفسه أضواء حول تاريخ المغرب قبل العهد الفنيقي، النشرة الأثرية المغربية، العدد، 20، تحت الطبع.

محمد مجذوب

٥

ديور (Diur ou Diour) نهر وجبل هو أحد أنهار موريطانيا الطنجية يحدد بطليموس مصبه عند خط عرض 40 31 وخط طول 720، بين نهر إسبان (أم الربيع) في الشمال وجبل الشمس في الجنوب (أي رأس كانتان).

لكن لا يوجد أي نهر بين أم الربيع ورأس كانتان، بل نجد فقط عدداً من السنجات الممتدة على طول الشاطئ والمنفتحة على البحر إلا أن مياهها غير راكدة الشيء الذي يظني عليها مظهر مجرى مائي وهذا ما يفسر ارتباط اسم بوطا موسى بنهر ديور.

إن الباحثين Tissot و Vivien de St. Martin متفقان على مطابقة ديور بوطاموسى بضاية الوليدية والتي تسميها أيضاً ضاية Ivor وهذه الأخيرة تتطابق بشكل جيد مع ديور الذي يتحدث عنه بطليموس.

أما ديور الجبل فيحدد بطليموس إحداثياته فقط : 34 خط طول و830 خط عرض.

R. Roget, PSAM, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique, R. A, 1887.

عبد العزيز بل الفايذة

ابن ديوركان، محمد بن أحمد بن ديوران الغالمي السهلي أحد قواد فرقة السهول من قبيلة بني حسن، ويقع تراب السهول في الجنوب الشرقي لمدينة سلا. ويظهر من نسبه أنه زعري من بطن الغوالم، ربما انتقل أجداده من زعير من قديم إلى السهول. وتدعوه الوثائق المغربية : محمد بن أحمد السهلي فقط.

تولى على إخوانه نحواً من عشر سنوات. ففي سنة 1303 / 1885 وجه إليه المخزن طابع القيادة، وكان سنة 1311 / 1894 لا يزال عاملاً على طرف من السهول.

م. بوشعرا، قبيلة بني حسن، 1860 - 1912، خطوط : الوثائق الملكية ؛ وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعرا.

كان محمد الديوري من الأعضاء المشاركين في "كتلة العمل الوطني" وساهم في تحرير وتقديم المطالبات الإصلاحية للإدارة الفرنسية سنة 1934. كما شارك في نفس السنة وفد مدينة القنيطرة الذي قدم عريضة احتجاج للمقيم العام وللسلطان، ضد تصرفات سلطات الحماية التي رفضت السماح ببناء مسجد بمدينة القنيطرة فلقبت العريضة صدى واسعاً ونشر مضمونها يوم 5 أبريل 1934 في جريدة "الحياة" التي كانت يُصدرها بتطوان عبد الحالق الطريس.

واتجه الديوري كذلك إلى التعليم - وذلك لعلمه بدور حركة المدارس الحرة التي عرفت نهضة في مختلف المدن في نشر الوعي الوطني - ولهذا قام رفقة بعض تجار المدينة أمثال سيدي مشيش العلمي والجيلالي بناني - بإنشاء مدرسة أطلق عليها "مدرسة الوطنيين" أو مدرسة: سيدي بوشتي" نسبة إلى مديرها الأول أبي الشتاء الجامعي فساهمت هذه المدرسة على امتداد السنوات اللاحقة في تكوين جيل من الوطنيين، لعبوا دوراً طلائعياً في الحركة الوطنية بالمدينة وكان من أبرزهم السيد أحمد الدمناتي بوفلوس.

وتميزت سنة 1937 باشتداد الحناق على الحركة الوطنية بعد رفض الاستعمار للمطالبات الإصلاحية والأحداث الدامية التي عرفتتها مدينة مكناس على إثر تحويل مياه وادي بوفكران لصالح المعمرين. واقتداءً بجميع المدن المغربية دعا محمد الديوري في أواخر أكتوبر 1937 إلى مظاهرة كبرى انطلقت من رحاب الزاوية التيجانية بعد الاستماع إلى خطبة حماسية ألقاها محمد الديوري، فواجهتها سلطات الحماية بعنف وتم إغلاق مدرسة الوطنيين والزاوية التيجانية، كما تم اعتقال الوطنيين بالمدينة ومنهم محمد الديوري وأبو الشتاء الجامعي والفقيه محمد برادة وأحمد بندلة الإدريسي والجيلالي بناني والصديق الكنيسي بحيث بلغ عدد المعتقلين حوالي 72 معتقلاً، حكم عليهم بالأعمال الشاقة، ونقلوا إلى الريش ثم إلى غلميمة. وعند خروج الديوري من السجن نُفي إلى مدينة الصويرة سنة 1939 ثم أطلق سراحه فيما بعد. وكان من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

وفي سنة 1946 أشرف على تكوين مدرسة التقدم بالقنيطرة. لتقوم مقام مدرسة الوطنيين كما شجع تكوين الجمعيات الرياضية والكشافية لتأطير الشباب، بالإضافة إلى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية لتقديم المساعدات للمحتاجين واليتامى.

وقد نفي محمد الديوري مرة أخرى إلى أيت أورير بضواحي مراكش وبقي هناك بعيداً عن أهله وأسرته حتى سنة 1953 حيث نقلت أخبار وفاته في ظروف غامضة وذلك يوم الثلاثاء 19 محرم 1373 / 28 شتنبر 1953 ومنعت

السلطات الفرنسية دفنه بالقنيطرة حيث توجد أسرته، فنقل إلى فاس وفيها دفن بمقبرة القباب خارج باب الفتوح.

ق. الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أگدال، 1984 ؛ م. مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية، 1913 . 1937، دار البوكيلي للطبع والنشر، 1998 ؛ ح. بوعباد، الحركة الوطنية والظهير البربري، الدار البيضاء، 1979 ؛ وثيقة المطالبة بالاستقلال 11 يناير، 1944، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، 1996 ؛ ع. القادر بوراس، مداخلة في ندوة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقنيطرة حول الحركة الوطنية، أبريل، 1998 ؛ أ. الدمناتي بوفلوس، محاضرة خلال اليوم الدراسي حول المقاومة جريدة القنطرة، العدد، 14، 1996 ؛ أعمال الندوة : القنيطرة في أفق سنة 2000، مطبعة دار البوكيلي، 1994.

C. A. Juline, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.

عبد القادر بوراس

ديوس (Dyos) النهر يحدد بطليموس مصبه جنوب سلا وبالتالي فهو يطابق المجرى المائي الذي يصب ترب فضالة ويحمل اليوم اسم وادي المالح أو وادي القنطرة وما يثبت ذلك هي إشارة بطليموس إلى جزيرة باينا التي تمت مطابقتها بفضالة وإذا كانت الخرائط الحديثة لم تتحدث عن هذه الجزيرة فلأن مدينة فضالة (المحمدية) قد غطت أثارها وآثار الجزر المجاورة.

أن وادي المالح أو ديوس عند القدماء يصب في منطقة غمرتها مستنقعات وهي تشكل ربما ما تبقى من ميناء مغمور كان يوجد بين الفصبة وجزر فضالة.

Schmidt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc* ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Tingitane*, Paris, 1978 ; Mc. Carthy, R. A, 1887.

عبد العزيز بلفايدة

دِيوسَدادو إي كاستيُو، خوسي José Diosdado

y Castillo أحد الديبلوماسيين الأسبانيين كان سنة 1871 وقبلها معيناً للقنصل الإسباني بطنجة مبري إي كولوم F. de P. Merry y Colom. وبعد عزل إيدواردوروميا يانغوس E. Roméa Yangos عن القنصلية العامة بطنجة حوالي 1878 عين ديوسدادو مكانه، و بقي بعد ذلك إلى رتبة وزير مقيم. ومكث في منصبه نحو العشر سنوات إلى أن عين سنة 1889 سفيراً بالسويد. غير أنه يعد سنتين طلب الإغفاء من منصبه بالسويد وطلب "الرجوع للخدمة بطنجة" حيث كانت له عرصة بها، فالتمس "الانعام عليه يُطَرِّف من مرسان ليكمل استواء جهة من عرصته. وهذا الطريف تافه الاضرر فيه على الطريق" حسبما جاء في رسالة

السلطان إلى الطريس سنة 1308 / 1891 ، وأذن السلطان له في ذلك إن لم يكن فيه ضرر على الطريق.

كانت سياسته معتدلة، وتولى منصبه في وقت كان المغرب وإسبانيا يبحثان عن التفاهم والوثام.

وقد خلفه سنة 1889 فرانسيسكو رفائيل فيغيرا F.R. Figuera.

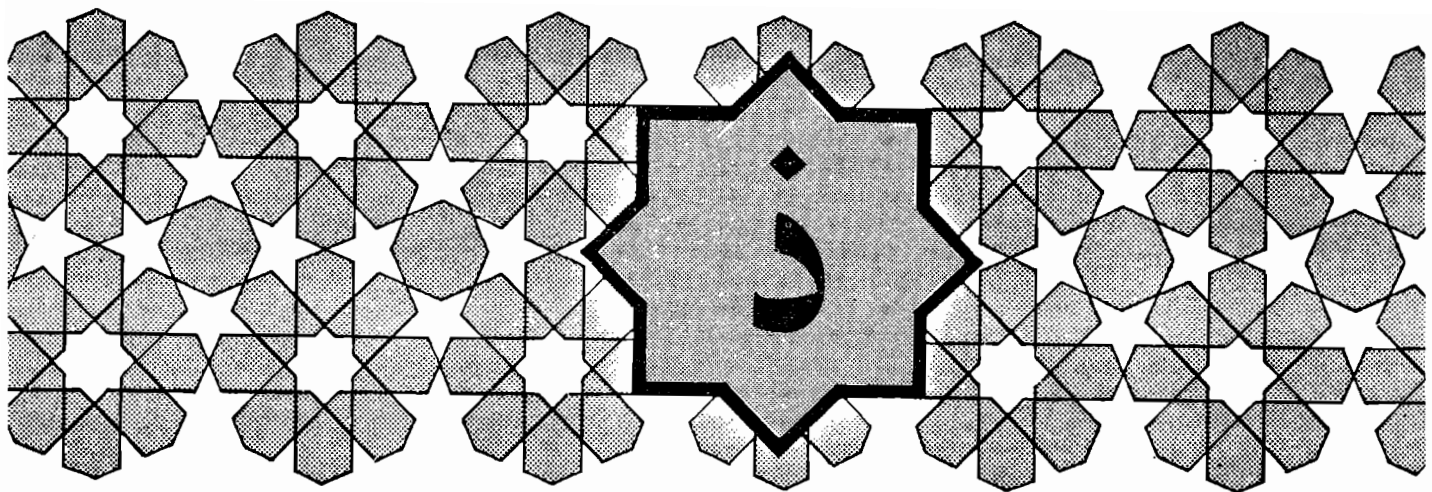
م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 2، ص. 552 - 554 ؛
وثائق مكتبة تطوان ؛ الوثائق الملكية.

مصطفى بوشعراء

دياز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Diaz و Diez ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 686.

محمد ابن عزوز حكيم



لا يتعدى طول الذبابة 0.5 سنتيمتر والجسم خفيف غاية الخفة حيث إن ألف ذبابة تزن حوالي 20 غراما. وللذبابة ثلاث زوجات من الأرجل ذات مفصلات تخرج من أسفل الصدر، ويكل رجل مخليان ووسادتان تفرزان سائلا لزجا. يساعد الذبابة على التعلق وعلى المشي بأي سطح كان. فهي تمشي على الأرض وتمشي على زجاج النوافذ وعلى الجدران وظهرها رأسي، وتمشي على السقف وظهرها إلى أسفل.

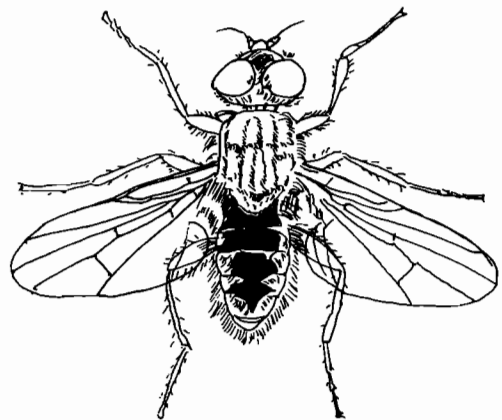
فم الذبابة من الصنف اللاعق الماص وتتكون أعضاؤه من خرطوم إسفنجي قصير. تنتقل الذبابة بسرعة وتحط باستمرار على جثث الحيوانات وفضلاتها وعلى الأزبال والقاذورات فتشحن على شعيراتها كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات ثم تحط على وجه الانسان وعلى أغذيته كاللحم والحليب والسكر والخبز وغيرها مما ينتج عنه نقل أمراض عديدة كالرمم والإسهال والتفؤيد وغيرها. يمتص ويلعق الذباب المواد السائلة الناتجة عن تفسخ المواد الغذائية وتحللها، فإذا صادف طعاما صلبا صب عليه من ريقه فيذيب ويعد ذلك يمتصه. وذبابة المنزل لا تعض إذ ليس في فمها شيء متهيب لهذا.

للذبابة عينان كبيرتان تملآن الرأس، وهما من النوع المركب تشتملان على عدسات كثيرة وبين هاتين العينين ثلاث أعين صغيرة. كما أن الجسم ينقسم إلى رأس وصدر وبطن. تكسو الجسم شعيرات عديدة لا ترى بالعين المجردة. كثيراً ما تجمع هذه الشعيرات كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات مصدرها البيئات القذرة وفضلات الإنسان والحيوان.

يختفي الذباب شتاء وكلما برد الجو ولا يبقى منه إلا القليل، ينام نومة الشتاء فإذا ما حل الصيف استيقظ ليتم دورته الحيوية. يتوالد الذباب طوال فصل الصيف ويضع البيض في الأماكن الرطبة وهو بيض في شكل بذور

الذباب ويسمى بالفرنسية Mouche وبالانجليزية Fly وفي المعاجم ذبابة، ويطلق عليه في أغلب مناطق المغرب العربي اسم "ذبانة"، وهي حيوانات من اللاقريات تصنف إلى طائفة الحشرات Insectes ورتبة مزدوجات الأجنحة أو ذوات الجناحين Diptera ومن فصيلة الذبابيات Muscida التي تتكون من 31 جنسا و76 نوعا في المغرب. نذكر من بينها الأنواع الشائعة : *Musca domestica* وهي الذبابة الأهلية و *Musca corvina*, *Musca sorbens*, *Musca vitripennis*, *Musca stabulans*.

وتشمل الذباب أيضاً عدة فصيلات من الحشرات المزدوجات الجناحين نذكر من بينها Musidoridae, Oestridae, Dixidae, Cecidomyidae, Drosophilidae الجناحان الأماميان عند الذباب مكونان من غشاء رقيق وشفاف تتخلله خطوط يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. الجناحان الخلفيان تحولاً إلى عضو التوازن Balancier. يتشكل الهيكل الخارجي لأنواع الذباب أشكالاً وأحجاماً عديدة كما أن الألوان تختلف من نوع لآخر فنجد منها الأسود والأخضر والأزرق والأبيض وغير ذلك.



القمح. تبيض الأنثى في المرة الواحدة حوالي 150 بيضة وقد يبلغ عدد البيض خلال شهر واحد 2000 بيضة للأنثى الواحدة. يتم تفقيس البيض بعد عشرين ساعة من وضعه تخرج منه الدودة التي تتغذى على القاذورات طوال خمسة أيام ثم تتحول إلى عروس تمتنع عن الأكل لمدة خمسة أيام أخرى، ويعد ذلك تتحول إلى ذبابة كاملة بالغة تبيض بدورها بعد أسبوعين وتعمر حوالي شهرين.

الذبابة الأهلية أو البيتية تسمى علمياً *Musca domestica* وتسمى بالانجليزية Housefly وهي منتشرة في مختلف مناطق العالم وخاصة منها المناطق الحارة والمعتدلة الحرارة.

الذبابة السوداء أو ذبابة الحبوب تسمى علمياً *Phorbia securis* شائعة في المناطق الزراعية. تضع الإناث بويضاتها على جذور نباتات القمح والشعير والخرطال وتعيش اليرقات بداخل سيقان هذه النباتات مما يجعلها تخلف أضراراً بالمنتجات الفلاحية.

ذبابة الثمار أو ذبابة الزيتون *Dacus oleae* هي ذبابة تتطفل يرقاتها على عدة أنواع من الأشجار المثمرة وخاصة منها ثمار الزيتون. ولهذه الذبابة ثلاثة أجيال في السنة، اثنان يعيشان على ثمار الزيتون قبل نضجها، بينما يعيش الجيل الثالث بداخل الثمار السوداء الناضجة. وهذا النوع من الذباب شائع في مناطق الحوز وبني ملال وسهول الغرب وسائس وسهول تريفه وغيرها من المناطق المشجرة بالزيتون، كما أنها شائعة أيضاً في مناطق حوض البحر المتوسط. تخلف هذه الذبابة خسائر فادحة في منتجات ثمار الزيتون مما يجعل المزارعين يستعملون عدة مواد سامة لمحاربتها.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أ. العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

A. Maarouf et M. Ramdani, Sur la mouche noire des céréales au Maroc : *Phorbia securis* Tiensuu (Diptera Anthomyiidae), *L'Entomologiste* (14).

محمد خربوعة ومحمد رمضان

الذرة (نبات -) بالعربية أو الدُرَى بالعامية المغربية

هو نبات زيا مايس *Zea maïs* الذي ينتمي إلى فصيلة النجيليات Graminae أو Poaceae.

إنه نبات حولي حشيشي لكنه يعتبر أكبر الحبوب النجيلية إذ يتراوح ارتفاعه ما بين متر واحد وأربعة أمتار. ساقه مقسم إلى عقد. أوراقه كبيرة وذات حواف متموجة. أزهاره ثنائية المسكن : المذكرة على شكل عثكول يوجد بأعلى الساق، الأنثوية تصادف على القولحة أو الكوز وتحميهما الأوراق في مستوى سفلي على الساق. لكل مبيض قلم زغبى طويل وحريري، تكون في مجموعها شرابة حريرية ناعمة، تيبس بعد نضج القولحة.

إن الموطن الأصلي للذرة هي الأراضي المنخفضة الحارة من جنوب أمريكا. ومنها انتشرت إلى الشمال والجنوب. عرفت زراعتها قبل عهد الأنكا في بيرو، وتطورت في عهد الميايا والأستك. وزرعت من طرف الهنود في جنوب الولايات المتحدة في حدودها الحالية منذ ألفي سنة قبل الميلاد. وقبل أن تنتقل الذرة إلى العالم القديم من طرف الأوربيين بعد اكتشافهم لأمريكا كانت زراعتها قد امتدت امتداداً كبيراً ما بين البحيرات العظمى ووادي سانت لوران شمالاً، والشيلي والأرجنتين جنوباً.

وقد انتشرت الذرة حالياً في جميع أنحاء العالم. واستنبطت أصناف عديدة لا يوجد منها بالمغرب إلا العدد القليل.

تزرع الذرة في المغرب بورية في المناطق البيومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، ومسقية في البيومناخات أكثر جفافاً أو في السنوات القليلة الأمطار. وأفضل تربة هي الخصب الهشة. الطميية، جيدة الصرف كالترية الترسية والحرمة المصادفة بالسهول والهضاب المغربية، حيث تطورت زراعة الذرة بفضل التقنيات الحديثة كالأذرة المحورية المستعملة للري من طرف بعض الفلاحين في الشاوية والحوز حيث يبلغ إنتاج بعضهم 80 قنطاراً من حبوب الذرة في الهكتار الواحد.

أهم استعمالات الذرة بالمغرب هي استخدامها كغذاء للحيوانات المستأنسة مثل الخيول والأبقار والأغنام والدواجن. كما يستعمل النبات كذلك كعلف أخضر أو جافاً أو مكوراً.

أما استعمالها كغذاء للإنسان في المغرب فهو ينحصر في شوي القولحة (أو الكبال بالعامية المغربية) التي يتم تليحها بماء مالح قبل تناول حبوبها المشوية. وقد انتشرت هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة إذ غزت الأسواق والشوارع وبعض المحاور الطرقية.

كما تستعمل كميات قليلة نسبياً من ذرة الفشار لصنع البُوب كُورن Pop corn الذي يستهلكه الإنسان في منزله أو في الحدائق والمتنزهات والشوارع.

والجدير بالذكر أن الذرة لا تستعمل في المغرب لصناعة الخبز إلا استثنائياً لأن هذا الخبز سهل التفتت جداً وذلك نظراً لغياب الغلوتين.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل : النبات الاقتصادي، 1962 تر. د.

ع زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

* * زراعة الذرة قديمة بآلاف السنين. يرجع أصلها لجهات ما بين المكسيك والأراضي العالية في البيرو وبوليفيا. وقد دخلت إسبانيا عبر رحلات كريستوبال كولومب في 1519 وانتشرت في مجالات واسعة من أوروبا وشمال إفريقيا، حيث وصلت المغرب في أواخر القرن السادس عشر.

تحتل الذرة المرتبة الثالثة من ضمن أهم الحبوب في العالم بعد القمح والأرز. وهي كذلك بالمغرب في الترتيب الثالث بعد القمح والشعير، بحوالي 350.000 هكتار، تتوزع خاصة بالأقاليم شبه الجافة على الشكل التالي :

جدول الأراضي المنزرعة بالذرة (بآلاف الهكتار)

منطقة	سنة	95 . 1994	96 . 1995	97 . 1996	98 . 1997	99 . 1998
مُلأمة		35,4	20,5	25,9	21,9	24,2
متوسطة		186,6	98,7	149,6	119,0	140,1
ضعيفة - جنوبية		153,7	120,5	154,3	158,9	162,9
ضعيفة - شرقية		1,3	1,5	2,7	1,4	0,9
جبلية		2,5	3,2	0,6	1,5	0,4
صحراوية		7,9	9,1	7,8	5,7	0,5
المجموع		387,4	253,5	340,9	309,4	331,0

وقد حصل تراجع بالأراضي المنزرعة بالذرة مقارنة بسنة 1979 حيث بلغت المساحة الإجمالية 461.000 هكتار. معدل المردودية ضعيف جداً، يتراوح بين 1,3 و 11 قنطار/ هكتار. وتعود التفاوتات الكبيرة أساساً إلى الخصائص المائي، واستعمال الأصناف المحلية وضعف مستوى التقنيات الزراعية الراجحة.

جدول مردودية (قنطار / هكتار وإنتاج الذرة (ألف قنطار)

منطقة	سنة	95 . 1994	96 . 1995	97 . 1996	98 . 1997	99 . 1998
مُلأمة		1,7	8,6	10,5	10,2	7,3
متوسطة		0,9	11,1	13,1	6,4	4,9
ضعيفة - جنوبية		0,9	7,5	9,0	5,6	2,8
ضعيفة - شرقية		7,8	10,3	10,3	-	-
جبلية		9,3	10,4	10,5	19,5	4,0
صحراوية		12,1	14,2	11,0	13,7	11,8
المجموع		1,3	9,3	11,0	6,5	4,1

على العموم، يمكن الحصول على بيئة زرع مواتية بواسطة الحرث العميق خلال فصل الشتاء أو مباشرة قبل البذر المتبوع بعملية أو عمليتين للقلب وحركة تمشيط للأرض في حالة الزرع العابر للذرة، بعد القمح مثلاً، يُطلب شحب الأرض قبل الحرث.

2 - 2 - التطهير. لأجل الوقاية من اعتداءات الديدان الرمادية والسلكية وبرقات الظلاميات يكون لزاماً معالجة

الإنتاج الوطني متفاوت جداً، بين 05 و 37 مليون قنطار. وهو مخصص أساساً للاستهلاك الداخلي. لكن الحاجيات في تغذية الماشية مستمرة التزايد حيث مرت من 35.000 قنطار سنة 1971 إلى 1.290.000 قنطار في 1979. أما صناعات الذرة ومشتقاتها فإنها تجد صعوبات في التزود.

لذا فقد تحول المغرب من مُصدِّر للذرة إلى مستورد لها مع تزايد في حدة النقص يستفحل في سنوات ضعف

التربة بواسطة الألدن بمقدار كيلو غرام واحد في الهكتار قرابة شهر قبل البذر.

3 - التخصيب. تخصيب الأرض أمر ضروري من أجل الحصول على نمو عادي للذرة لأنها شديدة الطلب للمواد المغذية. ويأخذ التخصيب في الاعتبار :

- السابق الزراعي

- النظام الزراعي بين البور والمسمي

- المردودية المتوقعة

في حال الأتربة التي تُعاني من خصائص في الضروريات، يكون من الضروري تقديم تسميد التصحيح للرفع من المردودية. يُطَمَّر مع الحرث السماد العضوي إذا أمكن والسماد الفوسفاتي البوطاسي، أخذاً في الاعتبار المقاييس التالية :

- التسميد العضوي : 20 إلى 30 طن / هكتار في الأتربة الرملية. 10 إلى 20 طن / هكتار في الأتربة الثقيلة.

4 - اختيار الصنف. يتمشى اختيار الصنف مع نوع الزراعة بين بورية ومسقية، وتاريخ البذر وطبيعة المنطقة.

يقترح المعهد الوطني للبحث الزراعي الوصفة التالية :

- في البور الضعيف : الأصناف المبكرة جداً

- في البور الملائم : هجائن مبكرة جداً

- في المسمي، تُصادف حالتين :

- بذر مارس : هجائن مبكرة، نصف مبكرة

ومتأخرة.

- بذر الخلسة : هجائن مبكرة جداً.

5 - كثافة الإعمار

ترتبط الكثافة بالصنف ونوع الزراعة.

- الصنف : (مراجعة الجدول اللاحق) ويلزم بذر

الأصناف المتأخرة بكثافة أقل من المبكرة بسبب أهمية نموها النبوتي.

- النوع الزراعي : في البور، حيث يُشكل الماء أهم

الإكراهات، يُنصح استعمال الأصناف المبكرة المقاومة للجفاف.

جدول التسميد المعدني المنصوح به

منطقة	أزوط بالوحدة / هكتار	P ₂ O ₅ بالوحدة / هكتار	K ₂ O بالوحدة / هكتار
شبه جافة : 250 - 400 مم	20 إلى 40 عند البذر	0 إلى 40	0 إلى 30
بور مناسب : أكثر من 400 مم	40 إلى 80	40 إلى 60	30 إلى 50
مسقية	100 إلى 150 (100 للذرة الباكورة و150 للذرة المتأخرة)	60 إلى 80	60 إلى 80

جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد

هجائن	زراعة بورية (ساق / هكتار)	زراعة مسقية (ساق / هكتار)
مبكرة	32 إلى 45.000	60 إلى 70.000
نصف مبكرة	37 إلى 35.000	50 إلى 60.000
متأخرة	30 إلى 35.000	45 إلى 50.000

وقد سبق تجريب وتطبيق هذه الكثافات من طرف المحطة المركزية للحبوب الربيعية للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب.

6 - البذر

1.6 - فترة البذر

- في البور، ومن أجل الاستفادة الكاملة من الذخيرة المائية للتربة واتقاء رياح الشرقي، وجب البذر المبكر شريطة أن يزيد معدل حرارة التربة على 8 درجات.

- التسميد المعدني : تقترح تجارب البحث الزراعي

الصيغ التالية :

يُقدم الأزوط عند البذر في صيغة سُلفات الأمونيوم وعند التغطية في شكل الأمور نترات أو الأوريا. وبالطبع كلما زاد استعمال السماد العضوي أمكن تقليل جرعات التسميد المعدني بالتناسب.

يتم تقديم الأزوط على مراحل، وتكون المعالجة في الأراضي المسقية ذات التربة الرملية على النمط التالي :

- 1/3 عند البذر

- 1/3 في مرحلة 6 إلى 7 أوراق

- 1/3 قُبيل الإزهار

وفي الأتربة الثقيلة (دكالة، الغرب وتادالا)، يأتي

تقديم الأزوط مجزأً بين 1/3 عند البذر و2/3 في مرحلة 7 إلى 8 أوراق.

ملاحظة : إذا حصل البذر على الأرض المسطحة، يكون من باب الحيلة الحسنة إجراء الدحرجة عليها بُعيد البذر حيث إن اندكاك التربة يوفر الاتصال الجيد بين الحبة والتربة ويوفر إنباتاً متجانساً.

لكن إن كانت التربة رطبة، بليلة، فلا حاجة إذن للتحديد بالدحرجة، بل ولربما أصبحت ضارة.

أما في حال البذر على الجديرات، فإن البذور توضع إلى الثلث من جانب الجدير، مباشرة إلى الأعلى من مستوى السقي، ذلك أن التصاعد الشعري للماء يتولى توفير الرطوبة للبذور.

7- السقي

تتفاوت حاجيات الذرة من الماء حسب مراحل الدورة الإنبائية. فهي ضعيفة من بداية الإنبات إلى مرحلة 6 أو 7 أوراق (اليوم الخمسين)، ثم تصبح مهمة بوتيرة متسارعة من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى المرحلة العجينية للحبة. فأي نقص أو خصائص في التزويد المائي بهذه المرحلة المرحجة يمكن أن يسبب هبوطاً في المردودية يصل إلى 60٪ أو يتعداها.

1.7- وتيرة السقي

يكون السقي على رأس كل عشرة أيام من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى الإزهار، ثم يصح الإيقاع كل ستة أيام من الإزهار حتى المرحلة العجينية للحبة.

2.7- احتياطات نافعة

إذا كان المتوفر المائي محدوداً، فمن الأولى تركيز الريات في فترة 10 إلى 15 يوماً قبل الإزهار ومثلها بعد الإزهار.

أما إذا صادف الشرقي فترة الإزهار ذاتها، أصبح من الضروري إذ ذاك تغزير السقي تجنباً لإتلاف الزهور.

8- إبادة الأعشاب

من الضرورة تحطيم الأعشاب الضارة لأن للذرة حساسية كبيرة لإزاعها. وتتم هذه الإبادة إما آلياً كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو بواسطة المبيدات الكيماوية.

9- مكافحة عوامل التخريب

أخطر أعداء الذرة : السمسمية والسود.

السمسمية (Sesamiea monagrioides lef.). عندما تبلغ الذرة ست أوراق تقريباً، تُلاحظ على حواشي الأوراق تقوُب أحدثتها اليساريع الفتية. بعد ذلك بحين، تظهر أروقة وتحويّفات بالساق والسنبلة يمكن العثور بداخلها على اليساريع الوردية الفاتحة، والبراز والتفغات ونفاياتها.

تعتبر السمسمية عامل تخريب شائع في مجموع البلاد، يمكن أن تتسبب في حالات الاعتداءات القوية على الذرة الفتية في إتلافات كاسحة يمكن أن تأتي على نسبة من المحصول تتراوح بين 50 و100٪.

يجتاز هذا النوع فترة الإشتاء في وضعه اليرقاني ضمن الحبوب الشتوية وقصب السكر والنجيليات البرية. وتعرض دورته الإحيائية التي تقرر أخيراً (1972 - 1978) أربعة

- في المسقي، بالنسبة لمزروعات الربيع، يكون الأول هو اعتماد البذر المبكر اتقاء لهجمات السمسمية من الجيل الثالث وبخاصة تحسباً للشرقي.

تختلف فترات البذر المقترحة من منطقة إلى أخرى :

. دكالة وسوس ماسة : بداية فبراير.

. تادلاو الغرب وملوية : بداية مارس.

- في زراعة الخلصة، وبالنسبة للذرة العلفية، وجب التذكير بالبذر ما أمكن، بمجرد الانتهاء من إعداد التربة. وبالنسبة للذرة الحبية، يلزم استيفاء شرطين للحصول على إنتاج مناسب وحبات تتوفر على نسبة رطوبة مقبولة. الأول، تقصير الوقت الفاصل ما أمكن بين نهاية الزراعة السابقة وزراعة الخلصة. والثاني، اختيار صنف مبكر جداً.

2.6- عمق البذر

على العموم، تودع الحبات في عمق يتراوح بين 3 و5 سنتمترات، ويزيد العمق إلى 5 أو 6 سنتم في التربة الرملية الخفيفة. مع الإشارة إلى أنه بقدر التذكير بالبذر حيث تكون التربة ما زالت باردة، بقدر ما يكون عمق البذر ضحلاً.

3.6- جرعة البذر

يكون مقدار البذور الكافية للهكتار متناسباً مع كثافة الإعمار المرغوب فيها، بوزن 1000 حبة. ويؤخذ في الاعتبار عند احتساب المقادير النسبة المئوية للإنبات والكفاءة التفريخية للبذور - لذا، وجب في الغالب تضخيم الكثافة المرغوب فيها بنسبة 25 إلى 30٪.

مثال هجين مبكر

من زراعية بورية، كثافة الإعمار المطلوبة منه 35.000 شتلة في الهكتار. وترد الألف حبة هو 300 غ. يناسب تضخيم العدد النظري بـ 25 إلى 30٪ : $35\,000 \times 30 = 105\,000$

مقدار البذور اللازمة للهكتار : $105\,000 / (300 \times 45\,000)$

$1000 = 13\,650$ غ، أي قرابة 14 كلف / الهكتار.

4.6- طريقة البذر

يكون البذر خطياً، وينجز باليد أو بالمبذر، بصفة مسطحة أو على جذيرات. ويتحقق البذر بتحديد الانفراج بين الخطوط الذي يمكن أن يكون من فئات 60، 70 أو 80 سم حسب الأدوات المستعملة للبذر أو لإزالة الأعشاب.

جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد

الانفراج بين الشتائل على الخط (سم)	الانفراج بين الخطوط (سم)			
	100 سم	80 سم	70 سم	60 سم
كثافة	الإعمار في الهكتار بالآلاف			
10	100.0	125.0	142.9	166.7
15	66.7	83.3	85.2	111.1
20	50.0	62.5	71.4	83.3
25	40.0	50.5	57.1	66.7
30	33.3	41.7	57.6	55.5
35	28.0	35.7	40.8	47.7
40	25.0	31.2	35.7	41.7

أجيال متراكبة في السنة، بإضافة خامس ممكن بإقليم الحوز.

في الغرب، تتوالى انطلاقات البالغين كما يلي :

الانطلاق الأول : بداية فبراير - نهاية مارس

الانطلاق الثاني : منتصف ماي - منتصف يونيو

الانطلاق الثالث : منتصف يوليو - بداية غشت

الانطلاق الرابع : بداية شتنبر - بداية أكتوبر

في الحوز، تكون المتواليات على الشكل التالي :

الانطلاق الأول : منتصف فبراير - منتصف مارس

الانطلاق الثاني : في يونيو

الانطلاق الثالث : نهاية يوليو - منتصف غشت

الانطلاق الرابع : نهاية شتنبر - بداية أكتوبر

10 - الأصناف المحلية

وهي ضروب تحمل عادة اسم الجهة أو الموقع الذي تزرع فيه جل حباتها من النوع القرني الأصفر. هناك ضروب حباتها قرنية بيضاء، وأخرى حباتها مسننة بيضاء أو صفراء.

من مميزات حسن تكيفها مع الظروف المناخية، وكفاءتها في مقاومة الطفيليات. لكنها في الغالب تخشى الضجعان وتوفر منتجات محدودة.

هناك ملاحظة هامة يجب الوقوف عندها، مُفادها عدم التوافق بالضرورة بين الإنتاج المحلي والمردودية، ذلك أن المردودية لا تعبر عن الطاقة الكلية للإنتاج إلا في الظروف الزراعية المثلى. وقد دلت تجاربنا على أن مردودية الضروب المحلية يمكن أن تتضاعف مرتين أو ثلاثاً إذا ما تحسنت الظروف الزراعية وبالتالي، فإن بالإمكان الجزم بأن أصنافنا المحلية تعاني من سوء الاستغلال وأن المجهود كل المجهود الذي نحتاج إلى بذله على الصعيد الوطني هو قبل كل شيء تحسين التقنيات الزراعية وتعميم استعمال الأسمدة.

11 - هجائن الذرة

يمثل هجين الذرة نهاية المطاف بالنسبة لمجهود طويلة المدى في الانتخاب والتحسين. وهو يتميز بتجانسه الكبير ويقدرته الإنتاجية العالية، لكنها لا تعطي كل إمكاناتها إلا داخل مجالها الزراعي وحين توفير قيادة زراعية جيدة.

11 - 1 - الهجائن البسيطة : وهي حصيد سلالتين، إحداها مستعملة كأصل أنثوي والأخرى كأصل ذكر. مثال : 350 - DRA.

11 - 2 - هجين طوب - كروس (tob - cross) : حصيد هجين بسيط مستعمل كأصل أنثوي. وضرب محلي مستعمل كأصل ذكر مثال : 21 x t:

11 - 3 - هجين ثلاثة مسالك : حصيد هجين بسيط كأصل أنثوي وسلالة كأصل ذكر. مثال : 560 - DRA.

11 - 4 - هجين مثنى : مكون ابتداء من هجينين بسيطين مثال : 400 - DRA.

بالنسبة لوسط معلوم، الهجين البسيط هو الذي يوفر أفضل مردودية. لكن ثمن هذا النوع من الهجائن يفرض

الالتجاء إلى الهجائن الأخرى لأن إنتاج البذور منها أسهل وبالتالي أرخص، ولأن مجال تكيفها أوسع شيئاً ما منه في الهجين البسيط.

12 - البذور.

في ما يخص الضروب المحلية، يمكن للفلاح أن يخصص للبذر حبات أفضل السنابل من المحصول. وقد استطاع البحث الزراعي أن يضبط تركيب ضروب تأليفية. يمكن اعتبار هذه الضروب ذات البذور المناسبة الأثمان كتحسين أولي للأصناف المحلية.

أما بالنسبة لهجائن الذرة، فإن شراء بذور الهجائن إلزامي كل سنة كشرط للحصول على الهجائن.

بحث ميداني.

أحمد بوعزيز

الذرة ← الطاقة النووية

الذهب، معدن ثمين وأصل الكلمة لاتيني (أوروم) ؛ وزنه الذري 197.2، نظامه البلوري مكعب، صلابته 2.5 - 3، كثافته 19.3 15.5، رمزه الكيميائي Au⁴ ؛ أصفر إلى أصفر مائل للبيضاء عندما يكون ملوثاً بالفضة، ويسمى هذا الفلز إلكتروم إذا ما كانت كمية الفضة تتجاوز 20٪. قليلاً ما نجد الذهب الخاص على شكل مكعب، ولكن غالباً ما يكون إما على شكل إشباعات أو شذور أو تبرات الذهب.

من بين خصائص الذهب الطروقية، اللدانة، قابليته الجيدة لتوصيل الكهرباء، كونه لا يصدأ (لا يؤكسد) ولا يتبدل في الأحوال العادية. رغم كثافته، فإن الذهب سهل الانكسار ؛ ولهذا السبب ومن أجل إمكانية استعمال الذهب في الحياة العادية كتنقود، أو من أجل الزينة فلا بُد من خلطه بمعادن أخرى أكثر صلابة كالنحاس والفضة، والبلاتين، والنيكل. يستخدم الذهب في الصياغة كعملة للأبنك كما يستخدم في الطب والحفز.

نجد الذهب في الأركز المروية الحرمانية المرتبطة بكتل الصخور الصهارية (الا عبل الكرانوديوريت والديوريت) ؛ وكذلك في الصخور الرسوبية الفتاتية، وبعض مناطق الغرين (الرواسب السطحية) والتي يفرز بها الذهب عن باقي المعادن. تحت عملية القرص الجوي خلال الجرف والنقل، ليؤدي به هذا إلى التجمع.

بالمغرب يتجمع الذهب إلى الفضة، والبيريت، والكالكوبيريت والبلاتين والجالينا، والارسينيو بيريت، والنحاس الرمادي، في المناطق الآتية :

+ شمال الأطلس الصغير (سيروا، شرق جبل صفرو، وأوكنات) : تتكون هذه المنطقة من قاعدة تنتمي إلى الحقبة الزمنية المنتمية لما قبل الكامبري الأول والثاني ؛ ومن غلاف ينتمي إلى حقبة لما قبل الكامبري الثالث. ونجد في هذه المنطقة مكامن تيوت وجمعة النوحولزي. تتراوح نسبة الذهب في العروق المحصورة في صخور الكرانيت التابع لعهد ما قبل الكامبري العلوي ما بين 10 و20 جراماً للطن.

+ في بوازر، الموجود على بعد 80 كلم جنوب مدينة ورزازات بالأطلس الصغير ؛ يظهر الذهب في حالة تشرب في صخور الديوريت، أو في الشوائب المعدنية من المرو، والكربونات (تعدن عادي من الكوبالت والنيكل) حيث استخرج 50 طناً منذ بداية استغلال المكن.

+ منطقة مولاي بوعزة (المغرب الأوسط الهرسيني) جوار كتلة أعبل مولاي بوعزة، في صخور الشيست الجوتلاندي.

+ سفح إغرام لما قبل الكميري يقع على بعد 130 كلم شرق أكادير ويشتمل على مركبات التبر، المحتوية على حبات ذهب (0.2 إلى 157 جزءاً في المليون من الذهب).

+ سفح عقا لما قبل الكميري : يقع هذا الأخير على بعد 260 كلم من أكادير. ومن بين البنيات المعيرة (عروق المرو، مناطق السحق والمناطق الصوانية) أبحاث بعضها عن محتويات تصل إلى 13 غراماً من الذهب للطن.

+ سفح كردوس لما قبل الكميري المكون من قاعدة تنتسب إلى البروتيروزوي السفلي المكون من الكرانيت، الميجماتين، النضيد الميكائي ونسق طيني حصبي. وتعلو هذه القاعدة وتتأخر كوارتزيت البروتيروزويك الأوسط، ويعد الصخور البركانية فتاتي للبروتيروزويك العلوي الأخير. ويقطع الكل بأعابيل دخيلة تحقيرية. إن أشهر منطقة متمعدنة في سفح كردوس هي تيبوت، حيث نجد فيها الذهب في مستويات محببة مسلكة داخل مركبات طبقية نضيدية.

+ سفح تزكا : يوجد هذا الأخير على بعد 45 كلم جنوب غرب مدينة تازا. ويكون سفح تزكا من قاعدة الأودوفيسي ونضيدية بنفسجية إلى خضراء داكنة، يقطعها اعبولان إندساسيان (تزكا وولجمة) ذات حلقات تحولية.

بحث ميداني.

عبد الله بوصحابة

الذهب (سقاية -) بمكناس. أنشأ المولى إسماعيل هذه السقاية على قنطرة دردورة سنة 1101 / 1690، واهتم بها على حد قول ابن زيدان اهتماماً زائداً حتى حبس عليها عدة أوقاف من رباع وعقار (حوالة 4، ص 214) لإصلاح الماء المجلوب لها واقتفى أثره في التحبيس عليها غير واحد من أنجاله وكبار ولايته.

ع. الرحمن، ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 1، ص. 158. 159. 162 : *المنزعة اللطيف*، ص. 345 : *حوالة الأحباس الصغرى*، رقم 4، ص. 214.

رقية بلمقدم

الذهبي، أحمد بن إسماعيل بن الشريف العلوي. لقب بذلك بسبب بسط يده بالعتاء، وكرمه الزائد عن الحد. ويذهب القادري إلى أنه لقب بالذهبي على لقب أحمد

المنصور السعدي، كنيته أبو العباس. (نشر المثاني، 3 : 293). وهو ليس أكبر أبناء السلطان المولى إسماعيل، كما زعم الأمير الإسباني خوصي دوليون (Ch. De la Veronne، 15)، ليبر بذلك ولايته بعد وفاة والده.

أمه هي عائشة مباركة الرحمانية البروشية، المرأة التي كان لها نفوذ كبير داخل البلاط الإسماعيلي حتى إن المصادر الأجنبية تدعوها السلطانة زيدانة (م. س : 5).

لا نعرف شيئاً عن مستواه العلمي، لكن يظهر أن بضاعته كانت مزجاة، على عكس أخيه محمد العالم، مثلاً والرسائل الموقعة بيده تدل على ذلك. فهي موجزة جداً، تتخلل أسلوبها العامية، ولغتها ساقطة (رسائل زاوية كرول). ولعل ذلك قد جاء انعكاساً لسلكه، حيث اشتهر بالانحلال الخلقي والميل إلى اللهو والعكوف على الملذات.

ورغم ذلك فقد عينه والده واليا على إقليم تادلا سنة 1111 / 1700 ؛ حين وزع أعمال المغرب على أولاده الكهال. فنزل بقصبة تادلا بمعية ثلاثة آلاف جندي. ودامت ولايته بها نحو عشرين سنة (*المنزعة اللطيف* : 229). وإذا كانت المصادر لا تحدثنا عن سيرته في رعايا ذلك الإقليم، فمن الراجح أنه وجد المنطقة مهددة نتيجة السياسة العسكرية المحكمة التي انتهجها والده هناك. لذلك فمن الممكن أن يكون سكوت الإخباريين دليلاً على الاستقرار الذي عرفته المنطقة في ذلك العهد.

كما أن أحمد الذهبي لم يكن يألو جهداً في مد أواصر العلاقات مع بعض الشخصيات ذات النفوذ هناك. وتشهد بعض الوثائق على أنه عقد اتصالات مع الشيخ يوسف بن سعيد الخنصالي، فسعى من وراء تلك العلاقة إلى الحد من نزوح أيت عطا إلي السهل (وثائق زاوية كرول).

ولعل الاستقرار الذي نعم به إقليم تادلا في أثناء ولاية أحمد الذهبي، هوما جعل السلطان المولى إسماعيل يبقي عليه في تلك الولاية، في الوقت الذي عزل فيه مختلف أولاده عن الأعمال سنة 1130 / 1718 (*الترجمان* : 28). ويظهر أن الزياني قد ربط العلاقة بين الإبقاء على أحمد الذهبي في ولايته، دون سائر إخوته، وبين إسناد ولاية العهد إليه.

ورغم أن هذا المؤرخ يصّر على أن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي - اعتماداً عما نقله عن السلطان سليمان - فإننا نستبعد هذا الأمر ؛ ذلك لأن معظم المصادر العربية تجزم بأنه ليس بوصي، وإنما هو صنيعه عبيد البخاري. كما يميل الأسير الانجليزي إلي القول بأن المولى إسماعيل لم يوص لأحد. فقد ذكر أن أحمد الذهبي انتقل إلى مكناس فور علمه بمرض والده. فاستقبله هذا الأخير ببرودة، وأمره بالاعتدال في إلحاحه. هنالك حاول إخفاء نواياه، وطمان والده بأنه لا يرغب إلا في رؤيته. لكنه لم يكن صادقاً فقد بذل كل ما في وسعه لتخفية منافسيه، وعمل على استقطاب عدد كبير من عبيد

البخاري، فأدخلهم ليلاً إلى مكناس ليحتلوا بعض المواقع الحساسة في المدينة. واستمال الباشا مساهل الذي كان من كبار ضباط الجيش فتولى كبر ذلك (T. Pellow, 139).

وهكذا ما أن لفظ المولى إسماعيل آخر أنفاسه في يوم السبت 28 رجب 1139 / 21 مارس 1727 ؛ حتى قام الباشا مساهل بتسليم مفاتيح المدينة لأحمد الذهبي الذي هب على التو، لاحتلال دار المخزن (البستان/الظريف، 189).

وبناء على ذلك يبدو من المستبعد أن يكون المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي. نستوضح ذلك من خلال عدة قرائن نجملها فيما يلي :

أ - أن أحمد الذهبي كان ضعيف الشخصية، غارقاً في شهواته، طافحاً على الدوام، فكيف يرشحه والده لتولي أمور الناس مع علمه بأنه "لم يكن ينفع حتى نفسه لعدم صحوه" ؟ (الإعلام، 2 : 369).

ب - اتفاق كل المصادر العربية - باستثناء الزباني - والأعجمية على كون المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه بولاية العهد.

ج - أن التناقض الذي وقع فيه يبلو لا يقلل من قيمة القرينة السابقة. فقد قرر أن أحمد الذهبي هو ولي العهد، ثم أشار بعد ذلك إلى أنه قد بادر إلى مطالبة والده - وبالحاح شديد - بالعهد إليه. ومن أجل انتزاع ولاية العهد انتقل من تادلا إلى مكناس على وجه السرعة، لما علم بمرض والده. هذا علاوة على التدابير التي اتخذها لإبعاد منافسيه، المولى عبد الملك والمولى عبد الله، والمكر الذي سلكه للسيطرة على السلطة بواسطة الباشا مساهل (Pellow, 138 - 139).

د - أن أعوان الباشا مساهل هم الذين أشاعوا بأن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة إلى أحمد الذهبي، حتى لا تتشوف نفوس إخوته لمنازعة الملك، ويحظى بالمشروعية لدى الجميع.

ومهما يكن فإن المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه. رغم أنه استشار بعض العلماء، اقتناعاً منه بعدم كفاءة أي واحد منهم ؛ وأن أحمد الذهبي هو الذي بوع سلطانا من بعده من قبل جيش العبيد أولاً، ثم الأودايا وسائر قبائل الجيش بعد ذلك. وحذا حذوهم خاصة الناس وعامتهم في سائر الآفاق. فترادفت على أبواب مكناس الوفود حاملة بيعاتها. وبُجمل ابن زيدان الكيفية التي تمت بها بيعة أحمد الذهبي قائلاً : "أشاعوا [أي عبيد البخاري] أن والده عهد إليه كي لا تتشوف نفوس إخوته لمنازعة الأمر واختلقوا له طابعا باسمه، وكتبوا عدة مكاتب لسائر البقاع المغربية وطبعوها بطابعه مظهرين أن والده عهد إليه بالخلافة من بعده" (الإتحاف، 1 : 266).

واللاحظ أن سكان فاس قد تخلفوا بضعة أيام عن بيعته لأنهم كانوا قد فتكوا بالقائد أبي علي الروسي وجماعة من أصحابه. فأوجسوا في أنفسهم خيفة من كيد

السلطان (زهر الأكم : 204، نشر الثاني، 3 : 297). لكنهم سرعان ما بعثوا إليه ببيعتهم مع وفد منهم ؛ واشتغلوا - في نفس الوقت - بتحسين مدينتهم، تحسباً للحصار، لأنهم لم يأمنوا غائلة العبد.

ولما تربع أحمد الذهبي على أريكة الملك طاف على بيوت المال ومخازن السلاح والكسوة، ففرق المال على الجيش، وعمّ نواله العلماء والشرفاء والطلبة، وخص كبار الضباط بجزيل العطاء ؛ ثم قام بتصفية عدد من كبار موظفي المخزن مثل علي بايشي زعيم البربر وعامل العمال، وأحمد بن علي البازغي الذي كانت عمالته تمتد من جبال مرموشة وبين وراين وغياثة إلى الحياينة، وإلى بلاد الهبط مع فاس وماوالاها. كما قتل الباشا ابن الأشقر عامل زرهون الذي كان إلى نظره سائر أعشار قبائل الغرب، ومرجان الكبير صاحب بيوت المال، الذي كان له النظر في أمور المداخل والنفقات (البستان/الظريف، 215).

وتتفق مختلف المصادر على أن قتل هؤلاء الموظفين كان إيذانا بتقويض أركان الدولة ؛ إذ بعد موتهم استخف الرعايا بأمر الملك لأنهم لم يعدوا يتهيّبون من يحول بينهم وبين الزيف والفساد ؛ وخاصة قبائل الجبال التي كانت منكسبة وراء القلاع المخزنية ؛ فاشتغلت بشراء الخيل واقتناء السلاح (م. س. ن : 216).

وفي نفس الوقت اضطرم أوار الفتنة بفاس بين المدينة الإدريسية والأوداية النازلين بفاس الجديد. فكانت الحرب سجلا بين الطرفين طيلة دولة أحمد الذهبي الأولى. وعوض أن يتدخل السلطان لحسم مادة الخلاف بين الجانبين، فقد انساق في المؤامرات والدسائس التي حاكها العبيد. ومن ثم صار كاللعبه بين أيديهم، فاستبدوا عليه في معظم الأحوال. فكثرت القتل، وفشا النهب واستشرى الجور، وانتهدت الأعراض، وتدنست الحرمات، والسلطان مقبل على لهوه وملذاته.. من أكل وشراب وسماع... الشيء الذي جعل لهيب الفتنة يسري في مختلف جهات البلاد. فكثرت الغارات بين القبائل وعم النهب، وانقطعت السبل، وانتشر الخوف، وأكل القوي الضعيف (نشر الثاني، 3 : 298).

ولما استيقن جيش العبيد بأن السيل قد بلغ الزبي، وأن الأمور إذا استمرت على ذلك المنوال، قد يفلت منهم زمام الأمر انتمروا بالسلطان، واتفقوا على عزله. فخلعوه في 8 شعبان 1140 / 1728، وأرغموه على مغادرة دار الملك ؛ بل فرضوا عليه إقامة إجبارية في داره "بالهديم" خارج القصبة المكناسية. فكانت مدة دولته الأولى عاما وستة أيام (زهر الأكم، 220 - 221 والترجمان / المغرب : 31). وفي نفس الوقت بعثوا برسلهم إلى أخيه عبد الملك الذي كان ما يزال منتفضا بالسوس، فعدّوا له البيعة. ولما تولى الملك قبض على أحمد الذهبي وبعث به إلى تافيلالت، وكتب إلى العامل بها أن يسمل عينيه بفور وصوله. لكن ذلك الخبر

نما إلى السلطان المخلوع، فعمل على التخلص من حراسه والفرار إلى زاوية أحنصال واستحرم بها في 28 رمضان 1140 / 8 ماي 1728 (نشر المثنائي، 3: 301 والاستقصا، 7: 120).

وقد أشرنا إلى أنه كان قد اتصل بالشيخ الحنصالي في أثناء ولايته على إقليم تادلا. وفي أثناء نزوله عند ذلك الشيخ تنبأ له بالعودة إلى الملك، لأنه كان يشتغل يعلم الحدثن، يربط بعض الإخباريين بين هذا التنبؤ وبين مبادرة العبيد إلى حمله ثانية إلى سدة الملك. والحقيقة أن عبد الملك لم يستطع الاستجابة إلى شطط العبيد، ولم يزدحم في العطاء، كما أن الوضع السياسي في البلاد عامة لم يكن قابلاً للترقي بسبب ثقل أوضاع العهد السابق.

وهذا ما جعل العبيد - الذين لم يكونوا يفكرون إلا في البقاء في مراتع جشعهم وتلاعهم - يقلبون ظهر المجن لعبد الملك، لا سيما وأنه قد حاول أن يتملص من ضغطهم، فعمل على استمالة البربر والتقرب منهم لكسر شوكة العبيد. لذلك ركب هؤلاء من مشرع الرمل وقصدوا قاعدة الملك، فنهبوا الممتلكات وجاسوا خلال الديار، ونادوا في المدينة بعزله ونصر أحمد الذهبي.

قدم المترجم له عليهم، وفي طريق عودته من زاوية أحنصال التقى بطوما بيللو مع رجاله من العبيد، بالقرب من تاساوت، فراقبوه حتى مدينة مكناس (T. Pellow, 145). وبعدما عرج على قبيلة بني حسن والتف حوله الأوداية، دخل دار الملك بمكناس، فبايعه - من جديد - من حضر من القواد والقضاة والعلماء والأشراف، وذلك يوم الاثنين 24 من ذي الحجة 1140 (نشر المثنائي، 3: 316، الترجمان، 33). وهنالك قدمت عليه بعض الوفود من الحواضر والبوادي.

وفي 2 محرم 1141 زحف إلى مدينته فاس لأن أهلها - وخاصة اللطيين - ظلوا متمسكين ببيعة أخيه عبد الملك (زهر الأكمل، 223)؛ بل لقد فتكوا ببعض رجاله، مثل صالح اللريني والخياط عديل. ونهبوا ممتلكات أنصاره الأوداية، الشيء الذي دفعه إلى أن يضرب عليهم الحصار؛ فحمي الوطيس واستحرت الحرب من جديد. ويصف الزباني هذا الحصار قائلاً: "ونزل على فاس بجميع العساكر، وركب عليها المدافع والمهاريس والمجانيق، وأمر العسكر بالعيث في أجنحتها وبحائرها، ونسف ثمارها، وأمر الطبخية بإرسال صواعق البومبة والكور وحجارة المجانيق عليها ليلاً ونهاراً فأرسلوها إلى أن عمها الخراب وأنهدم كثير من دورها" (الترجمان، 34) كما يشير القادري في نفس السياق إلى أن العبيد "قطعوا الماء عن عدوة القرويين" (نشر المثنائي، 3: 319).

وقد امتد هذا الحصار طيلة خمسة أشهر متوالية حتى ضاق الحال بالسكان. وكانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي عاشها سكان فاس. ورغم أنهم أعدوا عدتهم لمواجهة

الحصار فقد قلت الأقوات، وارتفعت الأسعار، بسبب النهب الذي تعرضت إليه أمراس المدينة ومواسيها.

كما امتدت الفتنة إلى أحواز المدينة لأن جيوش أحمد الذهبي تعقبت الفارين من أهل فاس، وفلول القبائل المساندين لهم في مختلف الجهات (م. س. ن).

ورغم الأزمة التي حلت بأهل فاس، فقد لاقت الجيوش المحاصرة هولاً كبيراً في خضد شوكتهم طوال تلك المدة. وحين لم تغن عنهم كثرتهم، ولم يستطيعوا اقتحامها عنوة عمدوا إلى تدبير مكيدة؛ إذ تظاهروا بالرغبة في إبرام الصلح مع عبد الملك. فغروا به حتى التقى بأحمد الذهبي، في يوم الخميس 21 جمادى الأولى سنة 1141.

وفي نفس الوقت قبل أهل فاس عقد البيعة للسلطان أحمد الذهبي وبشروط اشترطوها عليه. فتظاهر لأخيه بالبشر والبرور، زاعماً أن أهل فاس تشفعوا فيه، الأمر الذي جعل عبد الملك يشهد على نفسه بالتنازل عن الملك (الإتحاف، 1: 292). ثم قبض أحمد الذهبي عليه وأرسله إلى سجن مكناس ليسجن بدار الباشا مساهل. وفي يوم الجمعة 22 من الشهر صلى أهل فاس مع السلطان، وأهدوا إليه وشكروا صنيعه؛ فسرّح مساجينهم، وانعقد الصلح كذلك بينهم وبين الأوداية، وبذلك توقفت الحرب ورفع الحصار (الإتحاف، 1: 293، 294).

وكان العقد والحل طوال هذه المدة بأيدي العبيد. أما السلطان أحمد الذهبي فلم يكن له من الملك إلا الاسم، لا يقطع أمراً إلا بما يأمره؛ لا سيما وقد اختلت صحته بسبب إصابته بمرض الحَبْن. فظل يعاني من الوهن، حتى إذا أحس بدنو أجله حمله العبيد إلى مكناس. وبفور وصوله أمر أخويه محمد بن عربية وسليمان بن الجامعية وبعض العبيد من أهل مشورته بقتل أخيه عبد الملك، فخنقوه ليلة الثلاثاء الموفي 30 رجب 1141 / فاتح مارس 1729 (م. س. ن: 294).

وبعد ثلاثة أيام لفظ أحمد الذهبي أنفاسه في يوم السبت 4 شعبان من السنة 4 / مارس 1729 وقيل إنه مات مسموماً، إذ دس إليه السم من قبل إحدى زوجات والده. (زهر الأكمل، 15، 225 (J. De Léon). فكانت مدة دولته الثانية عشرة أشهر و21 يوماً.

ومن بين الأعلام الذين قامت عليهم دولة أحمد الذهبي، يمكن أن نذكر أخاه مولاي علي الذي كان خليفة له على مدينة مراكش؛ وابنه أبا فارس وأخاه المستضيء، والباشا مساهل الذي كان صاحب التدبير والسياسة، وموسى الجراري وكروم بن رحمون ومحمد بن علي ويشى، والباشا علي بوشفرة وأحمد بن علي الرفي والمحبوب العليج. ومن قضاته محمد بن أحمد التماق.

ومن منشآته المعمارية قصبة تادلا التي اتخذ بها داراً ومسجداً (الإتحاف، 1: 296). أما على الصعيد الخارجي، ففي أثناء حصار مدينة فاس قدم إلى المغرب القنصل الانجليزي راسل مرتين،

مستغلاً فرصة ولاية السلطان الجديد ليطالبه بفداء الأسرى الإنجليز، وتجديد معاهدة 1721. وفعلاً أنعم عليه أحمد الذهبي بفداء كل الأسرى الإنجليز الذين كانوا في سجن مكناس. وللإشارة، فقد رافق البعثة الإنجليزية الكاتب برايطايت الذي خلف عن تلك الرحلة كتاباً مشهوراً يصف حالة المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، وعهد أحمد الذهبي بصفة خاصة (T. Pellow, 142. n. 333).

م. القادري، نشر الثاني، ج3، التقاط الدرر؛ الريفي، زهر الأكم؛ م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة؛ الزباني، الترجمان... والستان؛ أكتنوس، الجيش، ج2؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج7؛ المشرفي، الحلل؛ ابن زيدان، إتحاف، ج1، والمنزع اللطيف؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج2، معلمة المغرب، ج6.

Braithwaite, *Histoire des révolutions*, J. De Léon, *Vie de My Ismail* ; T. Pellow, *Relation...* ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles...* ; M. Morsy, *Les Ahansalas...* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

الذهبي ← أحمد المنصور السعدي

الذهبي، أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسين بن جرج البلبلي (554-601 / 1156-1204) ينتسب إلى بيت بني جرج، البيت المشهور بقرطبة، وعرف بالذهبي لأن جده كان مولعاً بالكتب بالذهب والتصوير به، فجرى ذلك على عائلته.

ولد ببلنسية سنة 554 / 1159 وكان من أعيانها، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب على عدد من كبار علماء الأندلس كابن مضاء اللخمي وأبي القاسم ابن حبس وأبي عبد الله بن حميد وغيرهم، حتى أصبح مشاركاً في العلوم متحققاً بأصول الفقه، ماهراً في اللغة العربية، ذا حظ من نظم الشعر، وكان مع هذا طبيباً ماهراً. تؤكد شهادات معاصريه أنه كان ذا شخصية فريدة في أخلاقه وعلمه الواسع وتوقد خاطره وذكائه، لذلك بالغ بعضهم في تعظيمه وتقديمه على علماء عصره، حتى قال فيه أحد أصدقائه وملازميه وهو أبو الوليد الشقندي: "إن الكمال الإنساني إن جمع لإنسان فإنه لم يعد ثلاثة: أرسطو وابن سينا وأبا جعفر الذهبي" (العصون البيانة، 36).

وإلى جانب ما سبق، تفتن الذهبي في العلوم النظرية والقدية، وأحاط بكثير من الفلسفة، حتى مهر في كل فن منها. وساعده على ذلك ذكاؤه وحسن استنباطه، فاعتبر أعلم أهل زمانه فيها. وقد استفاد من إتقانه للعلوم النظرية في حسن الاستنباط والغوص على دقائق المعاني لآيات القرآن الكريم.

وسبب اشتغاله بالفلسفة وصحبته للفيلسوف أبي الوليد بن رشد، كادت أن تلحق به المحنة التي لحقت بأبي

الوليد وأبي عبد الله بن إبراهيم وجماعة من أصحابهما على يد الخليفة الموحي يعقوب المنصور، لكن الذهبي نجا من ذلك بفضل خدمته للأمير أبي الحسن علي بن أبي جعفر ابن عبد المؤمن بغرناطة، ولم ينله منها سوى "لعنات" وجهها له مجلس من الخاصة بمحضر الأمير، وبأمر من السلطان. ومع ذلك فقد توارى عن الأنظار ولحق بقرية قاشرة مختفياً حتى مرت سحابة تلك المحنة، ثم عفا عنه الخليفة وقربه منه وصار طبيباً له ومن جلسائه.

اشتغل الذهبي أول أمره بالعلم ببلنسية، إلى أن ذاع صيته وجل قدره بين العلماء، وكانت أصداء ذلك تصل إلى الخليفة المنصور الذي كان حريصاً مثل أبيه على تزيين مجلسه بخيرة أهل العلم في المغرب والأندلس، فاستدعاه إلى حضرته مراکش وصار من أعضاء مجلسه، ولم تزل مكانته ترتفع ببلاط الخليفة بفضل علمه ومواهبه حتى قدمه على هيئة "طلبة الحضر" فأصبح شيخاً أو مزوراً لها، ولم ينل هذه الرتبة في عصر الموحيين إلا قلة من كبار العلماء أمثال أبي محمد المالقي وأبي الحسن بن القطان.

ثم قدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، وقد بلغ الغاية في إجاباته في المسائل والفتاوى الفقهية والنوازل. وبلغ من حذره من الموحيين وولائه لسياستهم الدينية أنه كان يراعي في أجوبته الفقهية أصول مذهب الإمام مالك دون أن يسند كل قول إلى صاحبه من فقهاء المذهب نظراً لموقف يعقوب المنصور من الرأي وفقه الفروع. وفعلاً كان الذهبي من أجل من يحضر مجالس الخليفين يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر من العلماء. وسبب قربه منهما نال جاهاً عريضاً أسنده ثراء واسع بما كان يصله منهما من إحسان وعطايا، فقد وصله المنصور مرة بألف دينار ذهبية مكافأة له على إلقائه لمسألة فلسفية بين يديه تمكن الخليفة من فهمها واستيعابها.

استوطن الذهبي مدينة مراکش مدة طويلة، وبها لقيه ابن حموية السرخسي رسول صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور، فأعجب به وأشاد بعلمه ومعارفه وأخلاقه، وأثنى عليه في كتابه "الرحلة المغربية". وكان احتفاظ الموحيين به وبأمثاله من العلماء بالعاصمة مراکش يعكس متانة الثقافة العربية الإسلامية بالمغرب وعلو كعب أبنائه فيها، وذلك ما لا حظه عدد من المترددين على مراکش في العصر الموحي.

وتعبيراً عن ولائه للموحيين ألف الذهبي كتاباً ضاع منها كتاب الإعلام بفوائد مسلم للمهدي الإمام، وكتاب حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة، كما قيدت عنه في الفقه وغيره فتاوى بديدة وجوابات حسنة (التكملة، 1: 95).

ورغم إتقانه للفلسفة واشتغاله الطويل بها، فإننا لم نقف على شيء من المقولات الفلسفية التي كان يتبناها، ربما لأنه لم يؤلف في الموضوع كما فعل ابن رشد، إضافة إلى أن كل من كتب عنه لم يعر هذا الجانب اهتماماً. وقد بقي الذهبي مقدماً محتفياً به إلى أن توفي بمدينة

تلمسان وهو يرافق محلة الخليفة محمد الناصر في حملته إلى إفريقية سنة 607 / 1204.

ابن الأبار، التكملة، تج. د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، د.ت، 1، 85 : ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تج. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط 3 — 1978، 2 : 321 : الفصول اليناعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تج. إبراهيم الأبياري، القاهرة، ط 3، 1977، ص. 36 : رايات المبرزين وغايات المميزين، القاهرة، ص. 115 : ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تج. محمد بنشريفة، بيروت، د. ت، 1 : 279 : ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة، ط 4، 1987، 3 : 132 : إ. ابن فرحون، الديباج المذهب، تج. محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، ط 2، 1972، 1 : 217 : الصفدي، الوافي بالوفيات، تج. د. رينغ وآخرين، فيسبادن، 1974، 62، 7 : 176 : أ. المقرئ، نفع الطبيب، تج. إحسان عباس، بيروت، 1968، 3 : 206 : 411 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1984، 74 : 2 : 107.

محمد المغراوي

الذهبي، علي بن أحمد بن علي الزكاري الحسني (نسبة إلى قبيلة بني زكار قرب قبيلة رهونة بناحية وزان) انتقل أسلافه منها إلى شفشاون ومنها إلى تطوان.



ولد في عام 1322 / 1904 وحفظ القرآن على الفقيه المدرس محمد بن المهدي داود الودراسي بكتابه المقابل لجامع الرزيني بدرب الصفار من حومة الربض الأسفل من تطوان. وأخذ عام 1334 المتون المعهودة : الجرومية والألفية والمرشد المعين ومختصر خليل والسوسية والتحفة والرسالة على الفقهاء : أحمد الزواقي وأحمد الرهوني ومحمد القراطخ، ومحمد المرير ومحمد بن التهامي أفيلال وغيرهم، ثم انتقل إلى فاس عام 1338 فأخذ عن الشيوخ : عبد الله الفضيلي وأحمد بن الجيلالي الأمغاري والفاطمي الشراذي ومحمد النميشي ومحمد بناني والحسن مزور ومحمد ابن السلمي وأبي شعيب الدكالي والطابع ابن الحاج وأحمد بن الخياط والمهدي الوزاني العمراني ومحمد ابن الحاج ومحمد العلمي

وأحمد بن المامون البلغيثي.

وحصل على شهادة العالمية بتوقيع رئيس المجلس العلمي السيد أحمد بن الجيلالي وأعضائه، وقد حصل على هذه الميزة الخاصة لتفوقه وشدة ذكائه ونبوغه. وكانت هذه الشهادة لا تعطى يومئذ إلا للمقيمين بفاس بعد تخرجهم ولا تعطى للأغراب. وكان هذا عام 1344 / 1925 رجع بعده لمسقط رأسه تطوان وشرع في التدريس بالجامع الكبير بصفة رسمية ثم تعاطى العدالة والإفتاء. قبل أن يعين قاضياً بقبيلة بني حزم قرب تطوان عام 1346 ومنها نقل عضواً لمجلس الاستئناف الشرعي بتطوان ثم مستشاراً شرعياً بالمحاكم القانونية بنفس المدينة. وبعد استقلال المغرب عين عضواً بالمحكمة الإقليمية بتطوان إلى أن توفي.

امتاز بهدوء الطبع وشدة الذكاء وحذق القضاء، فكان مرجعاً لحل المشكلات والقضايا العويصة. كما كان مشاراً إليه باتقان التدريس وجودة الفهم وقوة الحافظة يُجهد نبغاء الطلبة أنفسهم في إيراد الإشكالات عليه رغبة في إرباكه فسرعان ما يحل الإشكال ويبطل الإيراد.

لقيته في عرفات في موسم حج عام 1382 وعلامات الاجتهاد والتعب والمرض بادية عليه، وهو راض مسرور داع مستغفر مستعبر، ثم عاد إلى تطوان مزاوياً عمله بالمحكمة إلى أن لقي ربه يوم الأربعاء 11 شعبان عام 1384 / 16 دجنبر 1964 ودفن خارج باب المقابر.

م. ابن الحاج، إسعاف الإخوان الراغبين، ص. 486 : معلومات شخصية.

محمد بوخبرة

الذبيب، كحيوان مفترس لا يوجد بالمغرب، وإنما يوجد به ابن آوى الذي يشبهه (انظر ابن آوى). ومع ذلك نجد للذبيب صدى واسعاً في المناطق التي يهيمن فيها غط الترحال ويعتمد أهلها بشكل خاص على تربية قطعان الماشية، فإن ذلك يقود إلى تأسيس علاقة متميزة مع حيوان يرتبط خاصة بهذا النشاط، ففي وادي نون مثلاً الذي ينطبق عليه هذا الوصف نلمس كثافة تردادته في الأشعار والحكي (الأدب الشفوي) كما يختفى حضوره أيضاً ضمن نسق من الاستعارات بإدماجه (كرمز) داخل بنية العلاقات الاجتماعية، فوجود بعض الفئات تحت اسم "الذوبيات" (تصغير ذئب) يظهر انتماء هاته الأخيرة بشكل خاص إلى المستويات الدنيا في سلم التقسيم أو اعتبارها فئات غير مالكة أو لا تنتمي إلى نفس الجينالوجيا مع الفئة المهيمنة التي أطلقت الرمز كتصنيف، فالذئاب معروفة بسرقة القطيع وهو الرأس المال الجماعي أو الفردي، وهم في هذه الحالة لا ينتمون للفصيلة ولا يتمتعون بالتصرف في هذا الرأس المال المتحرك، بل إن الإنسان في المجموعة يشبه

الخروف في القطيع مما يحتم درجة من التماسك وحضور الآخرين، فالقطيع يقدم كجماعة وكدرجة من الالتحام تنفي غير المنتمين (Chevalier, 343) وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على أهمية التراتبية داخل القبائل خلافاً للفكرة التي روجتها الأطروحة الانقسامية (الحمودي : 68- 69) ويدفعنا بالمقابل إلى التنبيه إلى أن هاته اللامساواة مثلما يجب البحث عنها في الأحداث التاريخية فانها أيضاً تجري بشكل أهم في اللغة والممارسات والمعتقد.

ع. الله الحمودي، الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداية ملاحظات حول أطروحات كلز، ضمن الانثروبولوجيا والتاريخ، تر. عبد الأحد السبتي، ط1، الدار البيضاء، 1988.

Encyclopédie des animaux, éd. Alberto Perruzzo, Rome, 1980 ; J. Chevalier et A. Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, Paris, 1974 ; Revue Historia, Mars 1983, n° 436, 1 - J. Emmanuel, Les loups, p. 16 - 19, 2 - D. Bernand, Ce que cache l'histoire du loup, p. 20 - 22.

أحمد جوماني

الذيب، أسرة يهودية بأزمور حين كانت أزمور تضم عشية احتلالها من قبل البرتغاليين جالية يهودية لا تعرف أهميتها. وقد أرجع الزان سقوط المدينة في أيدي الغزاة إلى خيانة أفراد تلك الجالية، في حين أن المصادر البرتغالية، وتقارير المشرفين على الحملة، تذكر أن دور أحد أفراد أسرة أولاد الذيب، وهو يعقوب، اقتصر على إشعار قائد الحملة بتوقف المغاربة عن المقاومة وإخلائهم لمدينتهم. وعلى غرار ما فعله الملك البرتغالي بعد احتلال أسفي، قرر يوم 18 يونيو 1514 فرض جزية على كل أسرة يهودية، وعين يوسف بن الذيب حاخاما أكبر لتلك الجالية (23 يونيو 1514).

ينحدر يوسف بن الذيب من أسرة نزحت إلى المغرب من البرتغال فراراً من الاضطهاد. ولعل ذلك تم بعد إلزام كل يهود البلاد بالنصر أو مغادرة البلاد (1496). ولعب أفراد هذه الأسرة دوراً كبيراً في التوسع البرتغالي بداخل دكالة والشاوية انطلاقاً من أزمور، وفي المفاوضات التي أجراها المسؤولون عن تلك المدينة مع القبائل والسلطات المغربية القائمة آنذاك.

لقد كان يوسف بشرك في كل القضايا التي تهم النفوذ البرتغالي بالمنطقة، وكان على اتصال مستمر بالبلات البرتغالي، يرفع تقارير إلى الملك نفسه أو يرسل إليه لإطلاعه شفويا على الأوضاع بدكالة. فقد طلب يحيى بن بلصباغ، شيخ الشاوية، من الملك البرتغالي في رسالة بعثها له في ربيع 1517 أن يطلعه عن طريق يوسف بن الذيب، الذي كان آنذاك بلشونة، على شروط السلم مع قبيلته. كما كان هذا اليهودي مكلفاً باستضافة الأعيان الذين يقبلون على المدينة بغاية التفاوض، وكان يتقاضى تعويضا عن ذلك من الخزينة البرتغالية.

وتوصلت محكمة تفتيش لشبونة بتبليغ مؤرخ في 18 يناير 1537 مفاده أن يوسف هذا تنصر، وأنه كان قليل التمسك بدينه الجديد. وسرعان ما اصطدم هؤلاء الوسطاء اليهود مع الأعيان المسلمين الذين كانوا مكلفين بنفس الأدوار. وعلى غرار ما حدث بأسفي بين كبير يهودها، أبراهم بن زميرو، وكبير الوسطاء والقواد المسلمين، يحيى أوتغوفت، تأمر أبناء الذيب بأزمور ضد قائد الشرقية، عبد الرحمن بن حدو، وألصقوا به تهما جعلته يخاف على نفسه ويفر من المدينة.

وتزايدت مكانة أولاد الذيب بعد تغير ميزان القوة لصالح القبائل المغربية وبداية مشاكل البرتغاليين في المنطقة. فقد اتهم برتغالي في رسالة موجهة إلى الملك يوحنا الثالث (10 أبريل 1530) القبطان بكونه لا يستشير إلا اليهود الذين أصبحوا يحرضونه على طلب السلم من السلطان أحمد الأعرج، وأخير المراسل الملك بالتحاق أحد أبناء الذيب فعلا بمحلة السلطان ويتسلمه هدية.

وعُين يحيى الذيب، وهو ابن يوسف المذكور، يوم 9 شتنبر 1514 ترجمانا بأزمور، وهو المنصب الذي احتفظ به بقرارين ملكيين لاحقين (1520- 1524). وكان مكلفا تبعا لذلك بحضور المفاوضات بين المسؤولين البرتغاليين وأعيان القبائل بخصوص السلم وشروط الخضوع للتاج البرتغالي. ففي رسالة أعيان أولاد عمران إلى قبطان أزمور (صيف 1516) نقف على الجهود التي بذلها يحيى المذكور لإقناع تلك القبيلة بالخضوع. كما نفهم من الرسالتين اللتين بعثتهما من تادلا أن القبطان كلفه بالتفاوض مع القائد أحمد العطار (1529). وهي نفس المهمة التي أنيط بها مرة أخرى لدى مساعدي السلطان أحمد الأعرج. ففي رسالة من محمد بن الحسن زنيق "وصيف مولاي أحمد"، (ربيع 1530) نعلم أن يحيى هذا فاوض الشريف في شأن هدنة مع أزمور، وحاول دفعه إلى إيقاف الغارات التي كانت تستهدف تلك المدينة انطلاقاً من سلا : "فقد وصل إلينا الشيخ يحيى بن الذيب والتقينا معه فيما ذكرت لنا من حجة الصلح...". كما أرسله قبطان أزمور (يونيو 1530) إلى فاس للتفاوض مع السلطان الوطاسي. وفي طريق العودة، مر بسلا واقترح السلم على قائدها. وبهذا لم يخطئ قبطان أزمور السابق، الذي اعتبر في تقرير مؤرخ في أكتوبر 1516 أن يحيى الذيب من "الخدام الأوفياء لجلالتكم وأعتبره شخصياً رجلاً مخلصاً".

ونجهل مآل أفراد هذه الأسرة بعد تحرير أزمور سنة 1541.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1984.

P. de Cenival [et al. ...], Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, 1ère série, Portugal, 5 volumes ; G. S. Colin, Des Juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au XVIème siècle, dans Mélanges d'études luso-marocaines dédiées à la mémoire de David Lopes et Pierre de Cenival,

الذبيب، علي (الحاج -) أول حاكم لمدينة تطاون في بنائها الأخير بعد القائد المنظري الأندلسي الحفيد، ولا يعرف عنه أكثر من هذا، قال الرهوني : "ولازال أولاد الذبيب إلى الآن بتطاون". قلت : هذا كان قديماً وقد انقرضوا الآن. نعم بقيت أسرة تعرف بالذبيب بالتصغير ولا علاقة لها بالأولى.

وقد بقي الحاج علي الذبيب عاملاً على تطاون مدة إلى أن ثار عليه سكان البلد برئاسة مقدمهم القائد حسين، وعزلوه وطردوه، فانتقل إلى أعلا البلد وشرع في بناء الحي المتصل بها من جهة الشمال الغربي، وهو المعروف الآن بحومة الطالعة (طالعة السوق الفوقي) ولم يكن في تلك الناحية بناء قبل ذلك، وبنى الناس هناك حتى بلغ عدد الدور في مدة يسيرة نحو خمسمائة دار، وبنى القائد الذبيب بأعلا ذلك الحي قصبة نسبت إليه ولا زالت معروفة بهذا الاسم إلى الآن (قصبة الذبيب) وقد سقط قسم منها في انفجار للبارود وجُدّد، وكانت هناك على باب القصبة كتابة، وبها مسجد ومن أعلاها تطلق المدافع في الأعياد وللإفطار في رمضان.

ولتقريب تحديد تاريخ تولية الذبيب على تطاون نشير إلى أن المؤرخ الإسباني مارمول - وكان حياً في ذلك العصر - ذكر في إفريقية (2 : 242 - 244) أن أهل تطاون انقسموا فرقتين فكانت كل واحدة تقاتل الأخرى، وإن إحدى الفرقتين طردت الأخرى من المدينة وأنه في سنة 1567 (وهي توافق عام 974 - 975) دخل قائد المطرودين إلى البلد في غيبة حاكمها وقتل كل من وجد بها من الفرقة المعادية له ولأصحابه : فقامت بسبب ذلك ثورة اضطرت السلطان لإرسال قوة لقمعها، وكانت تلك القوة مؤلفة من ألف فارس وألفي راجل، وأن جند السلطان قصد تطاون وقبض على رئيس الثوار وأرسله سجيناً إلى فاس، ثم طارد أنصاره، وأن قائد أولئك الفرسان بقي بالمدينة. أما قائد المشاة فقد رجع إلى فاس ليبلغ الخبر إلى السلطان، ولم يذكر مرمول أسماء المعنيين بالأمر إلا أن ابن القاضي ذكر في لقط الفرائد أنه في تاسع محرم عام 975 أخرج الأمير أبو محمد عبد الله الشريف الحسني (يعني السلطان الغالب عبد الله بن محمد الشيخ السعدي المتولي من عام 965 إلى 981) القائد (حسين) من قيادة تيطاون، واستنتج الأستاذ داود من هذه النقول أن بعض سكان تطاون من الأغمار كما وصفهم الأستاذ التهامي الوزاني في مقابلة الأخيار الكرام من مهاجري الأندلس وهم أصحاب المنظري، في هامش صفحة 128 من الجزء الأول من تاريخ تطاون (داود) يرأسهم القائد (حسين) ثاروا على القائد الذبيب وطردوه، فصعد إلى أعلا البلد وبنى حي الطالعة واجتمع إليه الناس، فعاد الذبيب بأنصاره وانتقموا من جماعة القائد (حسين) وغلبوه

وعزلوا قائدهم وطردوه، فعاد بعد ذلك في غيبة القائد الذبيب وقتل من قتل حتى جاء الجيش السلطاني وتغلب عليه وأسرهم وأرسل إلى فاس كما قال ابن القاضي.

قلت : ولم يرد ذكر لهذا القائد (حسين) في هذه المصادر إلا هنا ولم يعرف من هو ولعل الصواب إنه (حسن) لا حسين، وقد عثر مؤخراً على رخامة قبر لقائد تطاون قاسم بن محمد حسن من عائلة (حسن) الأندلسية التي ما زالت موجودة المتوفى عام 954 فلعل هذا القائد من هذه الأسرة، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاة الحاج علي الذبيب ولا شك أنها كانت في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16م).

أ. ابن القاضي، لقط الفرائد/ موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996 : م. داود، تاريخ تطاون، ج 1، ص. 124، طبع تطاون : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 2 : 18، مخطوط : ع. السلام سكيرج، نزعة الإخوان، ص 4، مخطوط : مارمول كرباخ، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984.

محمد بوخيزة

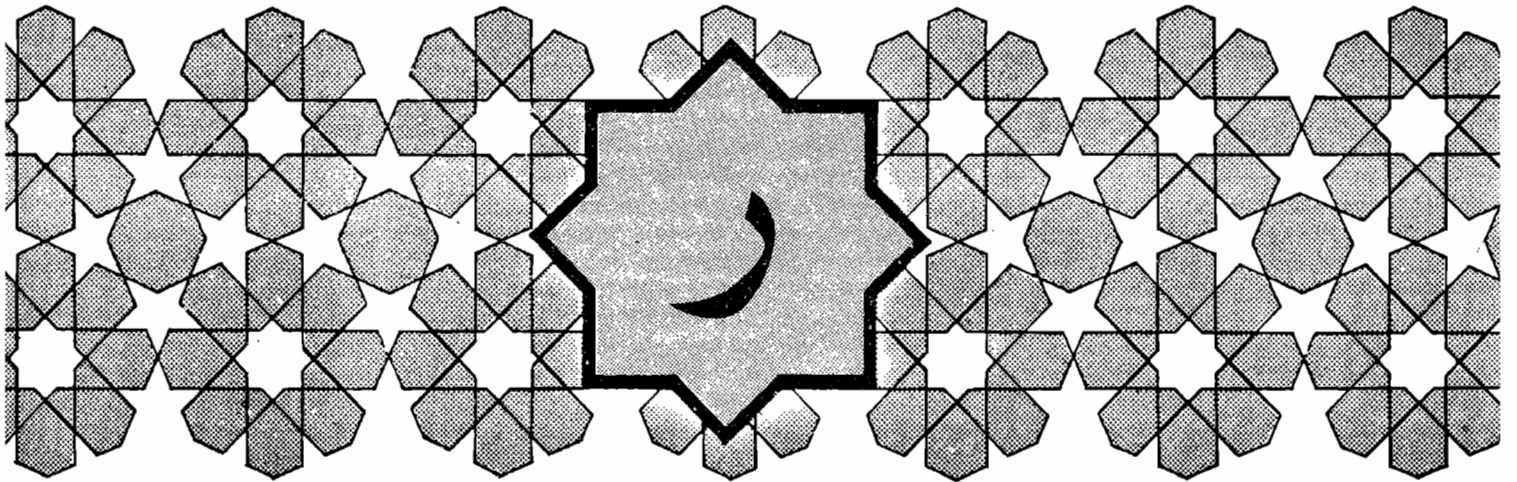
الذبيب، محمد بن عبد القادر التلمساني الوجدي، مقاوم ولد سنة 1923، استقر بمدينة وجدة ومارس بها مهنة الدرازة إلى غاية شهر غشت 1953 وغداة اندلاع الثورة في 16 غشت 1953 برودة ضد ما كان يحاك ضد السيادة المغربية، شارك بغيرة وطنية صادقة إلى جانب الثوار وقد ألقى عليه القبض خلال هذه المظاهرة وتم إيداعه السجن رفقة من ألقى عليهم القبض من رفاقه في الكفاح أثناء أحداث وجدة الشهيرة، ونظراً لما لاقاه هذا المجاهد من أنواع التعذيب والتنكيل التي تعرض لها مع باقي المتظاهرين المسجونين وبسبب ضيق الزنزانة من جهة وكثرة المعتقلين وشدة الحرارة بها من جهة ثانية لفظ الشهيد أنفاسه الأخيرة يوم 18 غشت 1953.

المنووية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 3 : 101.

ذيبو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت بتطاون سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 693.

محمد ابن عزوز حكيم



رابطة الجهاد ← الرباط

رابطة الغار، وحدة صوفية تقع خارج الواجهة الجنوبية (التشوف، من السور المرابطي لمراكش بجوار باب أغمات (312) وهو الموقع الوحيد خارج مراكش الذي ذكر مقرونا باسم رابطة في خريطة مواقع التصوف بسهل الحوز في العصر الوسيط.

لا نعرف بدقة تاريخ ظهور هذه الرابطة، والإشارة الوحيدة التي ذكرت فيها وهي مؤرخة، ترجع إلى عام 593 / 1197، كمكان دفن أبي يعقوب يوسف المبتلى (التشوف، 312) وهذا يفيد وجودها قبل هذا التاريخ. وقد أورد ابن الزيات أيضاً تاريخاً آخر ذكرت فيه حارة الجذماء التي كانت توجد بها رابطة الغار وهو عام 583 / 1187 الذي توفي فيه الشيخ الصوفي السابق الذكر أبو عصفور بنفس الحارة دون تحديد مكان دفنه (التشوف، 268). فهل يفهم من هذا السكوت ظهور رابطة الغار بعد هذا التاريخ ؟

يعتبر الصوفي أبو عصفور يعلى بن وين يوفن الأجدم (التشوف، 268) وتلميذه أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلى (التشوف، 312) اللذان جمعت بينهما علاقة المشيخة الصوفية أبرز رجالات أهل الطريق بهذا الموقع. وشكلت حارة الجذماء مركز ثقل النشاط الصوفي به. ولعل ما كان يجمع بين هذه الحارة والصوفيين المذكورين، خاصيتها الوقائية والاستشفائية كمكان خاص بإقامة مرضى الجذام، وهي علة يبدو أنها كانت في الشيخ وتلميذه حسبما يستفاد من نعت الأجدم والمبتلى الذين ينتهي بالأول منهما اسم أبي عصفور، والثاني اسم أبي يعقوب.

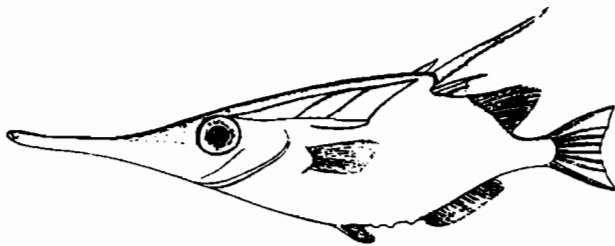
وقتل رابطة الغار بداية مسلك الترتيب الخاص بزيارة الرجال السبعة بمراكش.

ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء،

1984.

محمد رابطة الدين

الرابوز أو الرابوزة نسبة لشكله، وكما هو اسمه الشائع في الأسواق السمكية المغربية، سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة ماكرو غامفوزيدي Macrorhamphosidae. اسمه العلمي Macrorhamphus scolopax وبعاصة de mer وبالفرنسية وبالإنجليزية Longspine snipefish وبالإسبانية Trompetero الجسم مضغوط جانبياً، الرأس طويل يتقدمه خرطوم أنبوبي يبلغ طوله 4.6 سم وينتهي بفم صغير. العينان جانبيتان وواسعتان. يشتمل الظهر على زعنفتين، تتكون الأولى من 4.8 - شوكات، الثانية منها قوية وطويلة تبرز فوق ظهره من الجهة الخلفية. الشوكات الأخرى قصيرة وسميكة. تتكون الزعانف الأخرى من شعاعات قصيرة وهشة. الحراشف دائرية، صغيرة ومستننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع من الأسماك شكل ورقة زجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحياناً يسيطر على ظهر الكبار والبطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي منعدم لدى هذا النوع. طوله شائع بين 7 - 14 سم ولا يتعدى 20 سم.



يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد في المناطق البحرية العميقة المتراوحة بين 50. 500 متر. تفضل الكبار

العيش في أعماق البحار وخاصة منها 50-200 متر، بينما توجد الصغار في المياه القريبة من سطح البحر. يتوالد طول فصل الشتاء.

يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة ومن الحيوانات الهائمة الصغيرة الدقيقة وخاصة منها مجدافيات الأرجل. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلسية الشرقية، كما أنه يوجد في البحر المتوسط وفي المحيط الهادي والهندي وذلك في المناطق المعتدلة الحرارة.

يتم صيده بشباك الجرف وبالشباك المخصصة لصيد الإربيان. صيده تقليدي وشبه صناعي. وجوده غير منتظم في أسواق الأسماك المغربية وتستهلك أغلب الكميات المصطادة من هذا النوع في صناعة دقيق الأسماك. ويتميز هذا الدقيق بجودة عالية.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان - ط3. 1988 : أ، المعلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932؛ دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

رات (جبل -) في الأطلس الكبير في قسمه الأوسط وبالتحديد ضمن إقليم أزيلال في تراب قبيلة أيت بوولي. ويكتب - خطأ - غات" بتأثير الفرنسية، والصحيح هو رات براء غير مُفخمة.

تتميز قمة هذا الجبل البالغ من الارتفاع 3788 م بحدتها وشدة انحدار سفوحها، غير أنها تشرف على منطقة أقل تعقيداً : منطقة "أعزيب إزوم" التي تتميز بسطح يغلب عليه الانبساط مع بعض التحدبات الخفيفة حيث تتناثر صخور مفككة هنا وهناك. وتتخلل هذه الأشكال نباتات متفرقة وقصيرة أغلبها من الدوم، أما الغابة فيظهر أنها اندثرت منذ وقت بعيد. لذلك اتخذ الأهالي هذه المنطقة

كمركز جماعي ضمن ظاهرة "ألو" خلال فصل الصيف. ثم ينحدر الرعاة بمواشيهم إلى المنخفضات والأودية خلال فصل الشتاء البارد. والمر الذي يخترق جبال هذه المنطقة مُتيح الاتصال بين الجنوب والشمال هويتي ن تيزغيست.

غير أن شهرة جبل رات ترتبط بشئ آخر على جانب كبير من الأهمية، تلك هي الكتابات القديمة الموجودة عند قدم هذا الجبل :

سطح صخري مستوٍ مع ميلان خفيف في اتجاه جبل رات يتكون من صفائح حجرية تتخللها تشققات وانكسارات متعددة نتيجة لعوامل التجوية والتعرية.

والحقيقة أن هذا الموضع يعتبر كتاباً ثميناً سجل فيه أصحابه أفكارهم وهواجسهم واهتماماتهم، وجاء ذلك على شكل رموز ورسوم إنسانية وحيوانية وأخرى مبهمّة متعددة : رسوم تمثل معارك فرسان حاملين لأسلحة معدنية، ورسوم تمثل حيوانات مختلفة بأشكال متباينة.

وقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه الرسوم، فهناك من ردها إلى غزاة من البربر اختاروا تيزي ن تيرفيست الواقعة على ارتفاع 2500 م والقريبة من المرات الواصلة بين الصحراء والداخل لتخليد معركة خاضوها من أجل الحصول على المراعي كانت في صالحهم. وإن وجود الجبل والنعام في الصور، يجعلنا نقتنع بوقوع الحدث في السهل.

وقد عزا مهتمٌ غيره بالموضوع هذه الرسوم إلى رعاة محاربين التجأوا إلى الجبال عند اشتداد جفاف الصحراء فيما بين 2500 و1200 ق. م.

ورأى مؤرخ آخر أن هذه الرسوم ترجع إلى العصر الحجري الحديث في المغرب، وهي من وضع عبّاد الطبيعة مارست عليهم قمم الجبال الشاهقة وعيونها المائية نوعاً من الجاذبية.

وأعتقد أن جميع هذه الآراء متكاملة وكل منها تلامس جزءاً من الحقيقة، فما ذهب إليه كلوري في الرأي الأول



وسيمونو في الرأي الثاني يلتقيان في مزاولة السكان النازحين من الصحراء (بربر على الأرجح) للرعي، وهذا شيء يتطابق مع طبيعة المنطقة الرعوية ومع أنشطة سكانها حتى في الوقت الراهن بدليل أن تسميتهم تؤكد ذلك : فأيت بولي تعني "أصحاب الغنم".

أما الرأي الثالث (سيمونو نفسه) والذي يرد هذه الكتابات إلى عباد الطبيعة، فإن الذي يعاين هذه الرسوم لا شك أنه سيحار في فهم كثير من الأشكال الهندسية المربعة والمستديرة وبداخلها أشكال أخرى وكلها مبهم، من المؤكد أنها - بالفعل - تدل على مشاغل دينية.

أ. التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، الدار البيضاء، 198 : تحريات ميدانية ومعاينة : خرائط ومراجع جغرافية متنوعة.
بوشعيب العكرو

راديوالمغرب — الإذاعة

الرأس الأبيض — بدوزة

رأس سبارتيل — أميلوسيا

رأس العين، (عين بني مطهر، برگنت في فترة الحماية) تقع جنوب مدينة وجدة على بعد حوالي 80 كلم بالقرب من الحدود بين المغرب والجزائر، اشتهرت بوفرة مياهها في مجال يغلب عليه الجفاف، فاستقرت بها قبيلة بين مطهر التي طغى اسمها على اسم الموقع المذكور حتى صار يُنعت في أغلب الأحيان بعين بني مطهر. (انظر بني مطهر في المعلمة)، وإذا كان الموقع المذكور قد غا في عهد الاستقلال إلى أن أصبح مركزا حضريا بالجهة الشرقية في نهاية القرن الرابع عشر (20 م)، فإنه كان خلال القرن السابق موطنًا مغمورا لبعض الأسر المستقرة من قبيلة بني مطهر، لكن بعد احتلال الجزائر وخصوصا بعد توقيع اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1845 كثر تداول اسم الموقع المذكور في الوثائق المغربية وفي الرسائل المتبادلة بين المغرب وفرنسا بشأن الحدود.

وقد ورد ذكر رأس العين لأول مرة في البند الثالث من الاتفاقية المشار إليها أعلاه معززا برسم توضيحي يحدد موقع عين بني مطهر، (إتحاف، 5 : 168) وأشار إليه بالعبارة التالية "بني مطهر أهل رأس العين". وترتب عن رسم خط الحدود استقرار عدد من الأسر المنتمية لأولاد سيدي الشيخ برأس العين، التي صارت ملتقى وسوقا للقبائل الرحل بمنطقة الظهرا، وكان قائد قبيلة المهية الحاج بويكر قد شيد بها دارا على شكل قصبة مخزنية منذ منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، إلا أنها تلاشت في نهاية القرن، فأمر السلطان مولاي الحسن سنة 1892 / 1310 بتجديد البناء وتوسيعه تعزيزاً للحضور المخزني بالمنطقة

ولمراقبة تهريب الماشية نحو الأسواق الجزائرية، غير أن المشروع لم يتحقق إلا في سنة 1899. وقد استغلت السلطات الفرنسية بالجزائر فتنة الروكي بوحمارة (انظر بوحمارة في المعلمة) بعد انتقاله إلى الجهة الشرقية وتحالفه مع الشيخ بوعمامة فبسطة نفوذها على أهل بني مطهر.

وتجدد الحديث عن رأس العين في اتفاق الجزائر الموقع في 20 أبريل 1902، حيث أشير في البند الثالث منه إلى إحداث سوق مشتركة في التراب المغربي بالمكان المسمى رأس العين بقبيلة بني مطهر؛ ثم صارت مبعث توتر بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر عقب احتلال الجيوش الفرنسية الموقع المذكور في منتصف شهر يونيو 1904 بدعوى مساعدة المخزن بمقتضى الاتفاقيات الموقعة معه، وقد لعب القائد علال البوشيخي (من أسرة أولاد سيدي الشيخ) دورا كبيرا في تسهيل عملية الاحتلال بإيعاز من الجنرال ليوطي، الذي كان آنذاك حاكما لمنطقة العين الصفراء بجنوب غرب الجزائر، فغُرر بالحاج أحمد الركينة الذي كان متوليا رئاسة القوات المخزنية بشرق المغرب، حيث طلب المساعدة الفرنسية لحماية عين بني مطهر من أنصار الروكي وبوعمامة، فكان ذلك سببا لإعفائه من منصبه بأمر من السلطان عبد العزيز، الذي احتج بشدة على الاحتلال الفرنسي، واعتبره خرقا للاتفاقيات الموقعة بين الجانبين وطالب بالجلء عن الموقع المحتل. إلا أن فرنسا اشترطت مقابل ذلك إرسال قوات نظامية مغربية تتولى الحفاظ على الأمن والنظام، وهو ما عجز عنه المخزن آنذاك. وأثيرت مسألة احتلال رأس العين في مفاوضات فاس سنة 1909 بين السلطان عبد الحفيظ والوزير المفوض الفرنسي بالمغرب (رينيو)، حيث جدد طلب انسحاب القوات الفرنسية من مناطق شرق المغرب وفي مقدمتها رأس العين، مستدلا بمغربية الموقع بموجب الفصل الثالث من اتفاقية مغنية (1845) والفصل الثالث من اتفاق الجزائر الموقع بتاريخ 20 أبريل 1902، فاقترح المفاوض الفرنسي دفع تعويض للمغرب نظير احتلال هذا المركز على أن تقدر قيمته في مفاوضات لاحقة بباريس. وتطبيقا لذلك تضمن اتفاق باريس الموقع بتاريخ 14 يناير 1910 ما يؤكد مغربية رأس العين، حيث نص البند الثاني على أن : مركز رأس عين بني مطهر - برگنت - الموجود بتراب الإيالة المغربية يعدّ نقطة حيوية لحماية حدود الإيالة الجزائرية، وحسما لمادة الخلاف في هذا الشأن تدفع الدولة الفرنسية (كذا) للدولة الشريفة معاوضة تُبيّن بالتوافق بينهما في المستقبل".

وكان الدافع وراء المطلب المغربي ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية بالجزائر، حيث ضمت رأس العين إلى التراب الجزائري منذ شهر غشت 1905، بعد أن عمد ليوطي عن قصد إلى إطلاق اسم برگنت (Berguent) على رأس العين، إذ أمر بتشديد ثكنة عسكرية قرب القصبة المخزنية، وحاول إيهام الرأي العام الفرنسي أن هذا الموقع لا يوجد

بالتراب المغربي، فأصبح بذلك المركز المذكور تابعا لدائرة العين الصفراء ضمن التراب الجزائري، بناء على تأويل مغرض للبند الثاني من اتفاق 1910، فأصدر الوالي العام للجزائر (جونار) مرسوما بتاريخ 22 يوليوز 1910 أكد إلحاق عين بني مطهر بالتراب الجزائري، ويُعد تطبيق المرسوم المذكور مسا بالوحدة الترابية المغربية كما أقرها ميثاق الجزيرة الخضراء سنة 1906، مما أثار جدلا حاداً بين وزارة الخارجية ووزارة الحربية الفرنسية، حيث اعترف وزير الخارجية الفرنسية آنذاك ستيفان بيخون (Stéphen Pichon) بمغربية رأس عين بني مطهر المثبتة في وثائق دولية، واعتبر أن كل موقف مخالف لهذا الواقع قد يجرح الحكومة الفرنسية أمام الدول الموقعة على ميثاق الجزيرة الخضراء، وخصوصاً ألمانيا التي كانت فرنسا بصدد ترقيتها لرفع يدها نهائياً عن المغرب، وبناء على ذلك لم تعد رأس العين تخضع للسلطة المباشرة للحكومة العامة للجزائر، بل صارت تابعة لسلطات الاحتلال بوجدة، مما أكد مغربيتها رغم وقوعها تحت الاحتلال.

إلا أن استبدال الاسم الأصلي باسم بركنت أصبح طاعياً أثناء فترة الحماية، إلى حد أن الذاكرة الشعبية لأكثر من جيل تشبعت بالاسم الدخيل، فأصبح شائعاً لدى عامة الناس في المنطقة الشرقية اسم بركم وهو تحريف لاسم بركنت. وترسخ الاسم الاستعماري في أذهان الناس باستعماله في الوثائق الرسمية، وكان ليوطي قد شجع البحث في كل ما من شأنه إثبات الاسم الدخيل، فسخر أعلام بعض الضباط الفرنسيين لتحقيق هذا المبتغى، فتفتقت عبقرية البعض منهم عن تفسير مفاده أن بركنت كانت تطلق على وادي الشارف في مجراه المحاذي لرأس العين، وأن الحوض الأوسط لهذا الوادي يحمل بالتتابع الأسماء التالية : وادي الشارف، ثم واد بركنت، ثم وادي الحى وأخيراً وادي زا الذي يصب في نهر ملوية. ووقع تحديد موقع بركنت على بعد 3 كلم من ينابيع الماء التي تتكون منها عين بني مطهر. إلا أن هذا التفسير تدحضه الاتفاقيات التي سبقت ذلك ومنها اتفاق مغنية سنة 1845 ثم اتفاق الجزائر (20 أبريل 1902)، حيث أشير إلى الموقع باسم رأس العين أو عين بني مطهر، بل إن الوثائق والمصادر الفرنسية نفسها السابقة لاحتلال الموقع المذكور لا تشير إلى التسمية التي أشاعها ليوطي منذ سنة 1904، ونذكر من بينها لامرتينيير ولاكروا، حيث أكد المؤلفان على أن أهم القصور والقرى التي صادفها بالمجرى الأعلى لوادي زا هي قصبة رأس العين. ومن جانبه أشار علي السوسي السملالي في كتابه منتهى القول ومشتهى العقول (ص. 135 من المخطوط) ما ينفي ادعاءات ليوطي، وكان السلطان مولاي الحسن قد أوفده إلى شرق المغرب سنة 1884 ضمن بعثة مخزنية بهدف إشهار معالم الحدود وحل النزاعات بين القبائل، وقد سجل في رحلته ما يلي : "خرجنا من وجدة

ليلاً بعد صلاة العشاء، وسرنا الليل كله إلى زوال الغد ووصلنا إلى بني يعلا...، وعند الزوال قمنا من عندهم وبتنا في عين بني مطهر". وفي موضع آخر من الكتاب يصف المؤلف عين بني مطهر بما يلي (ص. 150 من المخطوط) : "... ويوم السبت نهضنا منه (جبل بني يعلا) إلى عين بني مطهر، وهي بلدة كثيرة العيون وفيها نهر كبير يجري على الدوام، ولكن لا ينتفعون به لغرقه جداً وينتفع به من غير بلدهم، وقطعنا تلك المسافة في ست سوانع ونزلنا بواد يسمى الشرف...". تثبت هذه المعطيات بما لا يدع مجالاً للشك أن الاسم الأصلي للموقع المدروس هو رأس العين المنسوب لبني مطهر. وهو ما تزكيه الوثائق المغربية الصادرة قبل الاحتلال الفرنسي، وهذا ما أدى في نهاية المطاف بعد حصول المغرب على الاستقلال إلى العودة إلى الاسم الأصلي للموقع بعد أن حاول ليوطي استبداله باسم بركنت، وهذه سياسة اتبعها ليوطي في عدة مواقع بالمنطقة الحدودية، نذكر منها على سبيل المثال بشار الذي صار يدعى كلونب بشار وأحفير الذي أصبح يسمى أثناء فترة الحماية مارطنبري دو كيس.

ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط : علي السوسي السملالي، منتهى القول ومشتهى العقول، مخطوط، رقم D.633، ج.ع. الرباط : ابن زيدان، إنحاف، ج. 5 : عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي - الدولة المغربية ومشكلة الأطراف الشرقية في مطلع القرن العشرين (أطروحة غير منشورة).

A. Cour, Notes sur la région de Berguent, B.S.G.A. d'Oran, 1909 ; Lt. Gaquière, Berguent (Ras el-Aïn), 1904 - 1906, B.S.G.A. d'Oran, 1913 ; C. Galinier, Les Béni Mathar de Ras El-Aïn (Berguent), B.S.G.A. d'Oran, 1917 ; P. Venier, Lyautey avant Lyautey, Paris, 1997. عكاشة برحاب

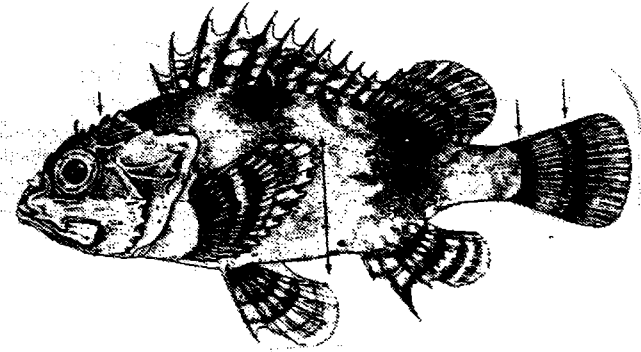
راس الواد، يمتد مجال رأس الواد بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير على مسافة مائتي كلم. ويقصد بالوادي واد سوس. وأهم قبائله رحالة، جزء من أنين، أيت سمك، تاججونت، تالامت، أسيف نايت تامنت، أيت إيكاس، إندوزال، إيرازان، أرغن - مسقط رأس المهدي بن تومرت، إداو قيس، تيسوت، غطيو، المنابهة، أولاد يحيى، تارودانت، هواره.

تعد منطقة رأس الواد جزءاً مهماً من السوس الأدنى، وهي "صرة سوس ثروة وقوة". فإمكاناتها الفلاحية متنوعة بين البسيط والجبل، لكن حسب دوفوكو لم يستغل منها إلا النزر القليل، وترك الباقي للرعي وللغاية.

بالمقابل كانت إمكاناتها الدفاعية تفوق إمكانات الجهات الأخرى من سوس. وقد ذكرها الرحالة المذكور بتفصيل. ولا نوافقه في حديثه عنها سياسياً بتأكيد أنها كانت غير خاضعة للسلطة المخزنية.

- الراسكاس الصغير *Scorpaena notata* يسمى بالفرنسية *Petite Rascasse* وبالإنجليزية *Small red scorpionfish* وبالأسبانية *Escorpora*.

- الراسكاس الأسود *Scorpaena porcus* يسمى بالفرنسية *Rascasse brune* وبالإنجليزية *Black scorpionfish* وبالأسبانية *Rascacio*.



الراسكاس الأحمر قبيح المظهر، الرأس ضخم جداً، كثيف التجاعيد، مزين بعدة أشواك وقنزعات وينتهي بقم واسع ومائل. يشتمل الظهر على زعنفتين متواصلتين، تتكون الأولى من 11 - 12 شوكة و 9 شعاعات، الزعنفة الشرجية مكونة من 3 شوكات و 5 شعاعات. الأشواك الأخرى قصيرة وسمكية. تتكون الزعانف الصدرية والذيلية من أشعة قصيرة ولينة. الحراشف دائرية، صغيرة ومسننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع شكل ورقة رجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحياناً يسيطر على ظهر الكبار مع وجود بقع سوداء على الزعانف وأحياناً على الظهر، البطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي غير موجود - طول الراسكاس الأحمر شائع بين 20 - 30 سم ولا يتعدى 60 سم لدى الكبار.

يعيش في الأعماق المتراوحة بين 370.0 متر، سواء منها الصخرية أو الوحلية بالجرف القاري، وكذلك في الأعماق الغنية بعشب پوزيدونيا *Posidonia* ويصعد أحياناً إلى البحيرات الشاطئية ومصبات الأنهار. موجود بالأخص في الأعماق المتراوحة بين 20 - 200 متر على الواجهتين المتوسطية والأطلسية وتستقر الصغار في الأعماق الصخرية. يتوالد من مايو إلى غاية شهر غشت. يتكون غذاؤه من القشريات والأسماك الصغيرة ومن الرخويات الصدفية. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلسية والمتوسطية.

يتم صيده بشباك الجر العميقة وشباك الصنابير العميقة وصنارة اليد - صيده تقليدي وشبه صناعي. موجود باستمرار في أسواق الأسماك المغربية وبيع طرياً ومبرداً ومجمداً.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم

إن قبائلها الجبلية كانت في الأرجوحة، بينما تلك الواقعة في البسيط فهي خاضعة للمخزن باستمرار باستثناء قبيلة أولاد يحيى وأجزاء من هوارة. وكانت محط قلاقل أقلقت السلطة المركزية أكثر من مرة، وأرسلت إليهما حملات تأديبية كان أخطرها على يد الباشا حم الجليلي المكناسي.

وقد لا حظنا من خلال المحلات المخزنية النازلة بسوس أنها تعتمد أكثر في تموينها ومدها بالكلف على أهل رأس الواد. فضلاً عن أن مدينة تارودانت كانت على الدوام قاعدة للمخزن المغربي، فهي مقر العمال ومعظمهم من الأسرة المالكة.

وحظيت قبائل رأس الواد بنفس الأهمية على عهد أحمد الهببة، إذ بدخول أهلها في حركته الجهادية تقوى نفوذه، ويخرجهم عن طاعته أمسى مجالها فاتحة الهزائم التي تقلب فيها.

وفي عهد الحماية كانت منطلقاً لاحتلال بقية السوس الجبلي "جزولة" بدعم قيادات محلية وعلى رأسها التيوتي والضروري وأيت بازي. كما كانت مدارس رأس الواد وزواياه منذ القديم محجة الجبلين الأفاقين، واشتهرت كمثلياتها الهشتوكية بعلم القراءات. واشتهرت كذلك بزواوية تمكشدت وزوايا ناصرية، أنبتت متصوفة طبعوا التصوف السوسي، ومنهم من وقف نداً ضد شطط القواد والشيوخ.

وثائق الخزنة الحسنية، وثائق خزانات سوسية خاصة، بودمعة، أكرض بتمنارت... : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 3 : 167 - 169 : المعسر، 4 : 121 - 122 - 160 - 164 - 180 - 196 - 268 : 6 : 171 - 182 : 34.10 - 180 - 185 : 13، 200 : 18 و 20 صفحات مختلفة.

شفيق أرفاگ

الراسكاس (سمك) هذا هو اسمه الشائع في أسواق الأسماك المغربية، ويدعى العقرب في مصر والشرق العربي، وسكروف في الجزائر وبوكشاش الأحمر في تونس. هو سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة سكوربينيدي *Scorpaenidae*. منه عشرة أنواع شائعة في سواحل المغرب، أهمها في الجانب الاقتصادي :

- الراسكاس الأحمر *Scorpaena scrofa* يسمى بالفرنسية *Rascasse rouge* وبالإنجليزية *Red scorpionfish* وبالأسبانية *Cabracho*.

- راسكاس الصخور اسمه العلمي *Helicolenus dactylopterus (maderenis)* يسمى بالفرنسية *Rascasse de fond* وبالإنجليزية *Rockfish* وبالأسبانية *Gallineta*.

- الراسكاس الوردي *Scorpaena elongata* يسمى بالفرنسية *Rascasse rose* وبالإنجليزية *Slender rockfish* وبالأسبانية *Gallineta rosada*.

الزراعية، مكتبة لبنان - ط. 3، 1988 : أمين المعلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932 : دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب. المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

الأسماوية ← الليبيرالية

ابن راشد، أسرة شفشاونية من شرفاء جبل العلم، تنسب لراشد بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب مولاي عبد السلام ابن مشيشي حفيد إدريس بن إدريس. وأول من اشتهر منهم القائد المجاهد علي بن موسى بن راشد مؤسس شفشاون آتي الترجمة.

ابن راشد، إبراهيم بن الأمير علي بن موسى العلمي الحسني، ولد بشفشاون سنة 895 - 1490 وتزوج لأول مرة بالسيدة يطوبنت قائد القصر الكبير طلحة بن عبد الحميد العروسي سنة 916 / 1510 فأنجبت له ابنه الوحيد علياً : ثم تزوج بالسيدة يامنة بنت القائد أحمد بن طلحة العروسي سنة 926 / 1520، ثم بعائشة بنت السلطان محمد الوطاسي البرتغالي سنة 934 / 1528).

كان إبراهيم خليفة لأبيه الأمير علي من سنة 914 / 1508 إلى سنة 922 / 1516 ثم أصبح على رأس الإمارة إلى سنة 946 / 1539 ؛ وتولى حكم تطوان مباشرة من سنة 925 / 1519 إلى سنة 931 / 1525، ونظم عدة هجمات ضد البرتغاليين المحتلين لمدينة أصيلا ؛ وفي سنة 935 / 28 - 1529 أصبح الوزير الأول للملك أحمد الوطاسي بفاس إلى أن وافته المنية سنة 946 / 39 - 1540.

ابن راشد، أحمد بن محمد بن الأمير علي ابن راشد، كان خليفة لأبيه الأمير محمد وناب عنه عندما كان والده أسيراً بفاس من سنة 961 / 1554 إلى سنة 962 / 1555 ؛ وفي سنة 969 / 1562 فرّ مع والده إلى المشرق حيث مات قتيلاً بمصر.

ابن راشد، إدريس بن علي بن إبراهيم بن الأمير علي العلمي الحسني. كان له ذكر في مراكش على عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي بصفته أديباً شاعراً ؛ وقد ذكره أحمد المقرئ في روضة الآس من بين الأدباء والشعراء الذين لقيهم بالمدينة المذكورة أثناء زيارته لها سنة 1009 / 1600 كما ترجم له ابن القاضي في درة الحجال ويبدو من كلامه أنه كان على قيد الحياة سنة 1025 / 1616.

ابن راشد، عبد السلام بن علي العلمي الحسني كان خليفة أخيه إبراهيم بشفشاون، من سنة 937 / 1531 إلى سنة 945 / 1538.

ابن راشد، علال بن سعيد بن موسى العلمي الحسني كان خليفة لابن عمه الأمير إبراهيم بن علي من سنة 922 / 1516 إلى سنة 937 / 1531.

ابن راشد، علي بن إبراهيم العلمي الحسني. ولد بمدينة شفشاون سنة 917 / 1511 وكان يرافق والده الأمير إبراهيم في الغزوات التي كان يقوم بها ضد البرتغاليين بمدينة أصيلا ؛ وقّع مع والده وعمّه محمد المعاهدة المبرمة مع البرتغال في 8 دي الحجة 945 / 8 ماي 1538.

ابن راشد، علي بن موسى العلمي الحسني الأمير المجاهد واسطة عقد هذه الأسرة الماجدة ومؤسس مدينة شفشاون. ولد بقرية إيناروزيم بقبيلة الأخماس الغمارية سنة 844 / 1440 وذهب إلى الأندلس سنة 864 / 1460 حيث حارب هناك بجانب ملك غرناطة، ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة فاختاره ابن عمه ابن جمعة العلمي خليفة له كأمر للجهاد. وقد أسس علي ابن راشد مدينة شفشاون سنة 876 / 1471 وجعل منها دار الإمارة الراشدية وظل على راسها إلى سنة 922 / 1516.

وفي سنة 888 / 1481 أعاد الأمير علي بناء مدينة تطوان المخربة، - على أحد الأقوال - فكان أول حاكم لها إلى سنة 898 / 1493.

وتذكر له المصادر عشرين غزوة قام بها ضد البرتغاليين المحتلين لمدن أصيلا وطنجة وسبتة.

وكانت زوجته الأولى إسبانية اعتنقت الإسلام واتخذت اسم الزهراء وأنجبت له إبراهيم والست الحرة ؛ ونجّهل اسم زوجته الثانية التي أنجبت له عبد السلام وعمر، وأما زوجته الثالثة فكانت شريفة علمية أنجبت له أحمد وفاطمة ومحمداً.

توفي الأمير علي ابن راشد بحاضرتة شفشاون سنة 922 / 516 وخلفه ابنه الأكبر إبراهيم على رأس الإمارة.

ابن راشد، عمر بن راشد بن علي بن سعيد العلمي الحسني، عم الأمير علي بن موسى وخليفته من سنة 876 / 1471 إلى سنة 892 / 1487، شارك في عدة معارك ضد البرتغاليين واستشهد في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487 في حين سقط ابن أخيه الأمير علي أسيراً بيد البرتغاليين.

ابن راشد، محمد بن الأمير علي بن موسى. كان خليفة لأخيه إبراهيم من سنة 945 / 1538 إلى سنة 946 / 1538 وفي يوم 8 ذي الحجة 945 (8 ماي 1538) وقّع معه المعاهدة المبرمة مع البرتغاليين.

تولى المترجم له شؤون الإمارة الراشدية من سنة 946 (1539) إلى سنة 960 / 1553، وسجن بفاس سنتين عاد بعدهما إلى إمارته بشفشاون سنة 962 / 1555. وقد حاصره جيش السلطان عبد الله الغالب سنة 969 / 1562. وتمكن محمد من الفرار إلى مرسى ترغة ومنها أبحر إلى المشرق حيث كانت وفاته بالمدينة المنورة في تاريخ غير محدد.

ابن راشد، موسى بن راشد بن علي بن سعيد العلمي الحسني، والد الأمير علي ابن راشد مؤسس شفشاون، كان يرافقه في الغزوات التي يقوم بها ضد البرتغاليين المحتلين لمدن أصيلا وطنجة وسبتة ؛ وقد جرح في المعركة التي جرت بضواحي طنجة وسقط فيها ابنه الأمير أسيراً يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487.

ابن راشد، موسى بن سعيد العلمي الحسني، مجاهد عمل خليفة لعمه الأمير علي بن موسى، وجاهد إلى جانبه ضد البرتغاليين، وشارك في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال عام 892 / 11 أكتوبر 1487 حيث سقط أسيراً بيد البرتغاليين صحبة عمه، وظل هناك رهينة عندما أطلق سراح الأمير ؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول عام 901 / 19 نونبر 1495.

ابن راشد، يعقوب بن سعيد بن موسى العلمي الحسني، مجاهد شارك في الغزوات التي كان يقوم بها عمه الأمير علي وسقط أسيراً في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487 وظل هناك رهينة عندما أطلق سراح عمه ؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول 901 / 19 نونبر 1495.

وفي شهر ذي الحجة 895 / أكتوبر - نونبر 1490 عينه عمه الأمير قائداً على فرقة بني ومراس بقبيلة بني عروس ليراقب عن كثب تحركات البرتغاليين في أصيلا.

م. ابن عزوز حكيم، مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون، تطوان، 1998، والمراجع المذكورة في هذا الكتاب.

محمد ابن عزوز حكيم

الراشدي (أولاد -) أسرة فاسية ذكر صاحب كتاب إزالة الالتباس (1: 216) أنهم على فرقتين : فرقة من

الرواشد من أولاد جامع، أهل ثروة ومال وجاه قديم ومعاش وحرفة. ويقال إنهم سكنوا أولاد جامع قريباً وإن أصلهم من ملوية، ولكن رأيت ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام 1167 / 1753. وقبلها أخرى بتاريخ 916 / 1510. والفرقة الثانية شرفاء من جبل العلم كانوا بفاس، والآن انقرضوا لا ذكر لهم بها.

ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، ج 1، مرقون.

محمد حجي

الراشدي، أحمد بن يوسف دفن مليانة، نُحله مصادر التصوف المغربي صدارة الطبقة الزروقية الأولى، وتحليه "شيخ المشايخ" و "شيخ الطوائف المغربية". وهي تحلية تترجحه منزلته الرفيعة في تاريخ الطريقة الشاذلية بالمغرب، والتي ينزل من فرعها الزروقي منزلة الشيخ محمد الصغير السهلي (ت. 918 / 2: 1513) من فرعها الجزولي. ذلك أن طريقته الراشدية تعتبر الوساطة التي أوصلت جبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مثيلاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به.

ولد في دوار "راس الماء" الواقع في قسم الهضاب الشمالي من وطن بني راشد بالمغرب الأوسط، في تاريخ غير محدد من النصف الثاني من القرن التاسع (15 م). وانتسب إلى الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) خلال العقد الأخير من هذا القرن، قريباً من ثغر بجاية، وبالضبط بقرية "تامقرة" التي كانت تأوي المعهد العلمي والصوفي الشهير الذي أسسه يحيى بن محمد العبدلي شيخ زروق.

ظهر أحمد الراشدي في أوليته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين عشيرته، فالإمامة والوعظ في مسجد سوق "أم العساكر" أهم التجمعات القروية بالقسم الشمالي من وطنه، والتي تبعد عن دواره بنحو ستة كيلو مترات. ثم بنى أول زواياه بدواره المذكور، بعد إقبال الناس عليه وحصول التعريف به وبمذهبه.

وأزعجته الدولة الزيانية عن زوايته في تاريخ قريب من عام 911 / 1505، فهجرها نهائياً وقضى العقدين المتبقين من عمره في التنقل بين مختلف جهات المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً، ومن السواحل المتوسطية شمالاً إلى التخوم الصحراوية جنوباً. وأسس زوايا متعددة تصدر لمشيختها في مواضع مختلفة من هذه المنطقة الشاسعة، قبل أن يلقي عصا التسيار في سهل شلف. واضطلعت زواياه بالأدوار المألوفة للزوايا المغربية، مع ما تفرضه الخصوصيات المحلية والتاريخية من الامتياز أو التخصص في بعض الوظائف والأدوار : من إطعام وإيواء وتعليم وإشفاء، ومواجهة القبائل الهلالية، وإغاثة منكوبي فيضان نهر شلف، ورد المسروق لأهله، وغير ذلك. وقد مر الحسن بن محمد الوزان

(ت. بعد 934 / 1528) بهذه المنطقة مع ركب الحجيج الفاسي أواخر عام 921 / 1516 ، فنزل في ضيافة الزاوية الراشدية، ونال قراها، وحظي برعاية شيوخها. وخلف لنا وصفا شافيا عن يسر حاله وكثرة حرثه وماشيته، ووفرة أتباعه، وتوقير الأمراء الزينانيين له، ومراعاة قبائل الأعراب لجانبه، وذلك في رحلته الشهيرة وصف إفريقيا.

كانت للشيخ أحمد بن يوسف يد في الأحداث السياسية التي عرفها المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، في خضم تنافس الإمبراطوريتين العثمانية والإسبانية على مملكة تلمسان. ويعود لقاؤه بعروج ماهد دولة الأتراك بالمغرب الأوسط إلى تاريخ سابق لسقوط ثغر وهران في يد الإسبانين عام 915 / 1509 ، ولقيامه هو وأخوه خير الدين بوظيفة الجهاد التي أهملها الأمراء الزينانيون، ابتداء من عام 918 / 1512. وتأكد هذا الاتصال عام 923 / 1517 الذي تحرك فيه الجيش التركي بقيادة عروج لنصرة التلمسانيين على أميرهم الزيناني وشيعته من المسيحيين. وقد استشهد عروج في معمة تلمسان عام 924 / 1518، ودخل الشيخ أحمد بن يوسف سجنها، ولم يطلق سراحه إلا بعد سقوطها في يد الأمير الزيناني المحمول على أكتاف الأتراك. وقد توطدت علاقة الزاوية الراشدية بالأتراك بعد قيام دولتهم بالمغرب الأوسط، ودامت حتى الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1245 / 1830. وذهب البعض إلى القول باستعانة أترك إيالة الجزائر بإخوان الطريقة الراشدية في حربهم ضد الدولة السعدية الناشئة التي نافستهم على تلمسان، وأنهم استخدموهم في الدسائس والمؤامرات التي كانوا يمدون بها لاستكمال نفوذهم على كل بلاد المغرب الإسلامي.

ولم يكتمل نصف العقد على خضوع تلمسان لآل عثمان، حتى وافى الشيخ أحمد ابن يوسف الأجل المحترم في شهر صفر عام 931 / 28 نونبر - 26 دجنبر 1524. وتذكر سيرته أنه قد أوصى في حياته بأن يشد نعشه إلى ظهر بغلة، ولا يدفن إلا بالموضع الذي تقف فيه. فيممت الدابة مليانة، وهناك قام ضريحه، وظهر لقب الملباني الذي سيغلب عليه ويشتهر حفدته به. ولا يستبعد أن تكون لخير الدين يد في إقامة ضريحه بمليانة لأهميته، وحتى تسهل مراقبة نشاط أتباعه.

ويؤول الفضل في نشاط ذكر الشيخ الراشدي من عقال المحلية المحصور في غرب المغرب الأوسط، وانفلاته إلى مجال أرحب وأوسع، وهو مجال التصوف ببلاد المغرب الأوسط والأقصى، إلى صورته كعارف وكصاحب مذهب صوفي له نظريته الخاصة إلى أهم قضايا المعرفة الصوفية المتعلقة بالله والوجود والإنسان. وقد هرع فيه على أثر مذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، في صورته المتأثرة برواد الحب الإلهي الخالص الذين سبقوه، وبغلاة التصوف الذين مهد لهم وجاؤوا من بعده.

واتباع الراشدي للبسطامية لا يتناقض مع نسبته الزروقية، بل يتفق مع ركن من أهم أركانها، وهو مبدأ الاستحسان الذي أكد عليه الشيخ زروق، وأقر أن كل فرد له الحق في اتباع الأحسن من المذاهب الصوفية، والاختصاص بالضرب الصوفي الذي يتفق مع قدرته واستعداده الطبيعي، شرط الرجوع إلى الكتاب والسنة، والتقيد بقواعد الإسلام. فالتصوف في الطريقة الزروقية علم الفضائل والخلائق، والأعمال والحقائق. وقد شجع الشيخ زروق تلامذته من المتعلقين بالحقائق على الإقبال والنهل من مختلف المشارب والتيارات التي عرفها تاريخ الفكر الصوفي الإسلامي، بما في ذلك المذاهب الفلسفية الرقيقة. وذلك في إطار مفهوم للتصوف يراه طريقاً فردياً ومنهجاً شخصياً، مقصوراً على الخاصة دون العامة والجهلة ممن لاقدرة لهم على فهم دقائقه.

وهكذا إذا كان الطريق إلى الله، في الطريقتين الزروقية والراشدية، يسلك منهجاً معرفياً واحداً. حيث يتفق الأستاذ والتلميذ في كيفية التفكير في الله، وأدوات هذا التفكير، ودور العقل فيه، والنظرة إلى العالم وأقسامه. وتسير الطريقتان بالسالك على نفس الخريطة التي رسم زروق واطر عليها معالم الطريق إلى الله، وتقطعان به نفس المنازل والمراحل. فإنه حين تبلغان به قمة المراتب الصوفية، وأعلى الدرجات دنواً من الله، حيث يستحوذ على العارف جمال الله وجلاله، ويستغرق بالكلية في شهود وجوده من خلال صفاته. هنا تنشأ نقطة الخلاف الحاسمة التي باعدت بين الطريقتين. فينتفي التمييز لدى الراشدي بين الموقف بين الألوهية والربوبية، ولا يبقى إلا موقف الحب الخالص الذي يصرف القلب عن مشاهدة تجليات الجمال والجلال في الكونين الدنيوي والأخروي، ويصونه عن الافتراق بين مختلف العوالم. فتضمحل أسباب الخشية والرجاء، وتزول دواعي العمل طمعاً في الجنة وخوفاً من النار.

وقد وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر المائة العاشرة للهجرة، التي وقر في اعتقاد أهلها عدم مجاوزة عامها الألف، الذي سينتهي بفناء الدنيا ونهاية دولة الإسلام. وشهد هذا الفجر عصوف رياح هوج بالبلاد المغربية: فالدول القائمة بها فشلت ربحها، وتفرقت سلطتها أيدي سباً. وحملة الصليب تمكنوا من أكنافها، والقحوط جف لها ضرع وزرع أرضها، والمجاعات ذوى لها أهلها. فترتب عن هذا الواقع الحالك عواقب استقرت بأذهان أهل القرن العاشر، وأدواء ثوت بأفئدتهم ونفوسهم. وكان الخوف على رأس هذه العواقب والأدواء. وهو خوف لا يزداد - مع مرور السنين - إلا حدة، ولا تزداد وطأته إلا شدة، بفعل الترقب والانتظار، ترقب القيامة وانتظار يوم النشور! وقد استوى في الاعتقاد بصدق هذا الخبر الخاص والعام من أهل هذا القرن، فالشيخ زروق كان يدعو ربه أن يقبضه إليه قبل أن يشهد هذا القرن، وقد استجاب له وتوفاه في آخر القرن

التاسع (15 م). وتلميذه الراشدي الذي ظهر في أولية القرن العاشر (16 م)، كان يصرح بأنه آخر القرون مع فسادة وفساد أهله، إلا أنه كان يرى في ذلك ميزة تعلي من شأن سلطانه الروحي، ويعتقد أن في الأمر حكمة ربانية تختصه دون سواه بسلطنة هذا الوقت.

وهكذا إذا كانت مدرسة المحبين في تاريخ التصوف الإسلامي قد نشأت كرد فعل ضد مدرسة الخائفين، فإن المذهب الصوفي الذي دعا إليه الراشدي، خلال الربع الأول من القرن العاشر، قد جاء كرد فعل ضد الخوف من النار الذي أصبح سمة العبادة على عهده. ولاشك أن الصورة التي قدمها هذا المذهب، والتي تهم العلاقة بين الله والوجود والإنسان، والقائمة على المحبة الخالصة بالأساس، قد ركنت إليها نفوس معاصريه لاختلافها عن بقية الصور التي روجتها المذاهب الصوفية المعاصرة. وهذا الركون هو الذي يفسر لنا القبول الجسيم والانتشار الواسع للذين حظي بهما هذا المذهب، والذي طارت شهرة مبدعه في حياته شرقا وغربا، وتقاطرت عليه وفود الآخذين والمنتسبين من كل حذب وصوب.

ومن الحق أن التصوف الذي دعا الشيخ أحمد بن يوسف إلى الكروع من حياضه يعد من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشايخ التصوف المغاربة على هذا العهد، لأنهم كانوا يرون فيه أصل شوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف. فكانوا يحذرون الناس من مشايخه ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فرنقت الشبهات فوق الراشدي ومذهبه، منذ خطأ خطواته الأولى على درب المشيخة إلى أن شاع نعيه في الناس، وجُوبه أتباعه بالمكافحة في كل من المغربين الأوسط والأقصى. وألف علماء القرنين العاشر والحادي عشر (16، 17 م) في الرد عليهم والتحذير منهم، وامتنحت بعض طوائفهم على عهد كل من الوطاسيين والسعديين والعلويين.

ونسبت الأجيال المتعاقبة من أهل المغرب الأوسط إلى الشيخ أحمد بن يوسف أدعية مدقعة ومرسلة باللسان الدراج، تهم معظم بوادي وحواضر هذا الصقع. ونسج المتأخرون قصصاً، سدّوا بها الثلمة الحادثة في المرحلة السابقة من ترجمته لأخذه عن الشيخ أحمد زروق. وابتدأ الاهتمام بالراشدي والراشدية في الأسطوغرافية الكولونiale مباشرة بعد احتلال الجزائر عام 1245 / 1830، وتم تجميع كل هذه الأدعية والقصص ونشرها. وحصلت العناية بالسير المبكرة والمتأخرة والمفردة في الشيخ أحمد بن يوسف، وتمت قراءتها على ضوء أحداث التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي للمغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وتنكب الدراسات التي اهتمت بالراشدي والراشدية تمام التنكب عن مذهبه الثاوي في ثنايا سيرته المدونة من قبل محمد الصباغ القلعي، ما بين أعوام

952-962 / 1545 - 1555، والموسومة بستان العارفين الأزهار، فافتقدت بذلك مفتاح الإشكال الذي ظل يعتور هذه السيرة طيلة أربعة قرون، وقوامه تأرجحها بين التسنين والتبديع. ولم تزدها هذه الدراسات إلا غموضاً، ولم تفلح سوى في تحويلها إلى أغرب وأعقد سيرة في تاريخ التصوف المغربي.

م. الصباغ القلعي، بستان العارفين الأزهار، في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخطوط، خ. ع. 243 ك؛ مؤلف مجهول، التعريف بنسب الشيخ الإمام قدوة السالكين وإمام العارفين وتاج الموحدين وترجمان المتكلمين قطب الأقطاب وغوث الأغوات وجرس الأجراس سيدي أحمد بن يوسف، مخطوط خ. ع. 1457 د. 1471 د؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. 2، بيروت، 1983، 2: 26-29؛ م. ابن عسكر، دوحة الناشر، تح. م. حجي، الرباط 1977، 125؛ أ. بن القاضي، درة الحجال، 1: 165؛ م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية، 224؛ م. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط. بيبرفونتانة الشرقية في الجزائر، 1909، 972. 100؛ ع. نجمي، طائفة العكاكرة، 1: 265.

R. Basset, Notice biographique sur Sidi Ahmed ben Youssef, J.A., 1889; Dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed ben Youssef, J.A., 1890; S. Biarnay, Notes d'ethnographie et de linguistique Nord Africaines, Paris, 1924, 117 - 122; M. Bodin, Notes et questions sur Sidi Ahmed ben Youssef, R.A., n°323 - 324, 1925; E. Dermenghem, Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin, Paris, 1954; J. Berque, Les Arabes par leurs archives, XVI - XX siècles, Paris, 1976; L'intérieur du Maghreb, Paris, 1978.

عبد الله نجمي

الراشدي، عبد القادر الرباطي موسيقي ولد

بالرباط عام 1348 / 1929 بدأ مسيرته الفنية وهو لم يتم العقد الثاني من عمره فتكشفت موهبته الفنية، وأقبل في عاصمة متناهية على دراسة أصول الموسيقى العربية اعتماداً على بعض الكتب الشرقية، وعُني بتعلم أصول الآلة الأندلسية وحفظ صناعاتها على يد عميدي هذا الفن بالرباط الحاج عبد السلام بن يوسف والفقيه الحاج محمد



السبيع، وكان إلى ذلك مولعا بحفظ الموشحات والأدوار الشرقية، مواظبا على سماع قصائد الملحن والأهازيج الشعبية، ومستعملا أرباب الزوايا وأمداح الطوائف الطرقية كالعيساوية والحراقية والجيلالية.

دخل الراشدي دنيا الاحتراف الموسيقي في مطلع عام 1364 / 1944 عندما انضم إلى جوق الاتحاد الرباطي الذي كان يرأسه عبد النبي الجارري. وبعد ذلك بنحو عامين استقل الراشدي بنفسه ليلم من حوله مجموعة من المطربين أطلق عليها اسم "جوق التقدم" الذي أصبح يحتل موقع المنافس الشديد لجوق الجارري، كما أصبح يقاسمه حظوة الاضطلاع بإحياء حفلات الأعراس في الأوساط الرباطية بعدما كان ذلك موكولا إلى أجواق الآلة الأندلسية.

ويذكر شاهد عيان، عبد الله شقرون، أن البرنامج الفني لجوق التقدم كان يقوم على أهازيج مصرية وموشحات جزائرية أندلسية، إضافة إلى بعض الأغاني التي لحنها رئيس الجوق نفسه.

وقد كان الراشدي من السابقين إلى العمل في الجوق الذي أسسته إذاعة (راديو ماروك) عام 1371 / 1952. غير أن الظروف السياسية التي سادت البلاد بسبب نفي الملك محمد الخامس قلصت من نشاط هذا الجوق، فانتابه التعثر ثم توقفت عناصره عن العمل فيه، ومن بينهم عبد القادر الراشدي.

وفي هذه الأثناء دعاه زملاؤه في الحركة الوطنية إلى تلحين بعض الأناشيد، فكان شبان الرباط يتغنون بها في المخيمات ورحاب المدارس الحرة، وكان مما أبدعه في هذه الفترة رائعته الموسيقية "رقصة الأطلس"، التي لحنها في مخيم خرزوزة بالقرب من مدينة أزرو مع تلامذة مدرسة محمد حيسوس وأساتذتها.

وفي هذا الصدد يقول الراشدي في استجواب أجري معه عام 1395 / 1975 كنا تتصل بالتلاميذ والطلبة سواء في المدارس أو في المخيمات وبالعامل في المعامل لإحياء حفلات موسيقية والتغني بأناشيد وطنية، هدفنا من ذلك التعريف بالوطنية المغربية وبعث الشعور الوطني في نفوس المغاربة.

وكان لرجوع محمد الخامس من المنفى الأثر الأكبر في عودة الحياة إلى جوق الإذاعة الذي أصبح يعرف باسم الجوق العصري لدار الإذاعة الوطنية، وعاد الراشدي وزملاؤه يتربعون مقاعدهم بقيادة المرحوم أحمد البيضاوي، فكان الراشدي من خيرة أعضائه عازفاً على الكمان وملحناً، أتحف جمهور المستمعين بروائع الألحان، وفي مقدمة ذلك نشيده الوطني الخالد : "عُدْتُ ياخير إمام" الذي وضع كلماته محمد بلحسين، ومنذئذ انتهالت أناشيده الوطنية غزيرة مدرارة كان من بينها : حب الوطن من الإيمان - أنشودة الاستقلال - أمير الشباب، شارك بهذا النشيد الأخير في مباراة نظمها الإذاعة الوطنية، مطلعاً :

ولي العهد ياولي العهد أمير الشباب عليك السلام
ودمت عظيماً رفيع المقام أمير الشباب عليك السلام
ومنها نشيد التجمع الكشفي العربي الخامس الذي انعقد بالمعمورة في صيف 1962. وهو من كلمات الشاعر أحمد عبد السلام البقالي ومطلعته :

مرحبا بالعرب في ديار العرب
وستحول الجوق العصري عام 1379 / 1959 في عهد مدير الإذاعة المهدي المنجرة إلى جوق ضخم يحتضن عناصر "جوق المتنوعات" الذي كان يرأسه محمد بن عبد السلام من جهة، ويستقبل من جهة أخرى مجموعة من الفنانين القادمين من الدار البيضاء وعلى رأسهم عازف العود عمرو الطنطاوي، الأمر الذي أفضى إلى تسميته باسم جديد هو "الجوق الوطني لدار الإذاعة" غير أن رحيل المدير المنجرة عن الإذاعة كان إيذاناً بتسرب النزاع إلى صفوف أعضاء الجوق بسبب منافسة الراشدي وأحمد الشجعي ومحمد بن عبد السلام لأحمد البيضاوي على منصب الرئاسة. وانتهى هذا النزاع بتعيين الثلاثة على رأس أجواق جهوية، فعين الراشدي على رأس جوق إذاعة طنجة، ونال مثل ذلك الشجعي بإذاعة فاس، ومحمد بن عبد السلام بمدينة مكناس.

استطاع الراشدي خلال فترة إقامته بطنجة أن يخلق جوقاً قوياً، غير أن تمسكه بإبداعاته وشغفه بأسلوبه الخاص في الأداء والتسجيل كان مما عجل بانقراض أعضاء الجوق من حوله، فلم يجددوا من مغادرة طنجة والعودة إلى الرباط عام 1384 / 1964، ليتقلد مسؤولية رئاسة الجوق الوطني خلفاً لأحمد البيضاوي الذي تسلم رئاسة قسم الموسيقى بدار الإذاعة الوطنية. واستمر الراشدي على رأس الجوق الوطني إلى أن أحيل على التقاعد عام 1410 / 1989.

تعددت مجالات إبداعات الراشدي وتنوعت مواضعها، فلحن الأغاني العاطفية والأناشيد الوطنية والابتهالات الدينية، وألف مقطوعات في قالب الموشح الشرقي، كما ألف معزوفات آلية متعددة، فناهز ما وضعه ثلاثمائة مقطوعة موسيقية موزعة ما بين الشعر الفصيح والزجل المغربي، ولم يقل عدد المعزوفات الآلية عن العشرة، من أروعها "رقصة الأطلس"، و"فرحة غانا" التي وضعها بمناسبة زيارة الرئيس قوامي نكرومة للمغرب، و"تحية العرش"، و"مهرجان" و"الربيع"، و"بستان".

تعامل الراشدي مع جل الأصوات المغربية الناجحة، وأكثر أغانيه مما أداه الفنان الراحل إسماعيل أحمد الذي غنى له زهاء خمسين أغنية من أروعها : زينة - هجرك قاسي - ياللي جاهك عالي - المثل العالي - حبيبي لما عاد - عيدك نُورُه شاعُ وبان - ناديني يا مليكي - مراکش بين النخيل.

ويأتي بعد إسماعيل أحمد من المطربين المعطي بلقاسم، وعبد الهادي بلخياط، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمود

الإدرسي، ومحمد الحباني، وعبد المنعم الجامعي، ومن المطربات سميرة بنسعيد. ولطيفة رأفت، ورجاء بلمليح، ونعيمة سميح، وعزيرة جلال...

أما الشعراء الذين تعامل معهم الراشدي فأشهرهم محمد بلحسين، وأحمد الطيب العليج، وعلي الحداني، والطاهر سباطة، وحمادي التونسي، وعلي الصقلي، كما تعامل مع شعر ابن زيدون، واقتبس من كناش الحايك بعض أشعار الآلة الأندلسية.

وقد شكل الشاعر محمد بلحسين والمطرب إسماعيل أحمد إلى جانب الراشدي - ملحننا - "الثالوث المتكامل" الذي وفق إلى إبداع جملة من الأغاني الناجحة.

عايش الراشدي فترة نشوء الأغنية العصرية، وكان له دور كبير في إرساء قواعدها الأولى وفي تطويرها على امتداد أربعة عقود من حياته، ومنذ أن وضع أول ألحانه عام 1367 / 1947 وهو في سن السابعة عشرة من عمره.

وتميز الراشدي من بين الملحنين المغاربة بامتلاك أسلوب خاص في التلحين كان يتسم بالتجديد والابتكار ويتمسك في ذات الوقت بالحفاظ على خصوصيات الهوية الوطنية. وفي سياق هذين التوجهين انطبعت أعماله بخصائص أبرزها :

* إعادة تلحين بعض أشعار "الآلة الأندلسية" على نمط الموشح الشرقي، وظف في بعضها الإيقاعات المستمدة من هذه الموسيقى من قبيل ميزان انصراف البطايحي، إلى جانب توظيف المقامات الشرقية. ومن نماذج هذه الموشحات : موشح "سقاني" القائم على إيقاع سماعي ثقيل الشرقي، وموشح نعشق الشمال، وموشح "باليل طل"، وهما من أداء المطرب محمود الإدرسي.

* توظيف مقامات وإيقاعات الآلة الأندلسية في تلحين بعض الأغاني. ومن قبيل ذلك أغنية "غاب علي الهلال" التي تؤدّيها المطربة نعيمة سميح على ميزان انصراف البطايحي، وأغنية "جاري يا جاري" التي تؤدّيها نفس المطربة على طبع الرصد.

* استخدام المقامات الشرقية في تلحين أغانيه الزجلية.

* استخدام تعددية المقامات في تلحين الأغنية الواحدة. ومن أمثلة هذا أغنية "طابع راضي نموت شهيد" التي أداها إسماعيل أحمد على مقامات البياتي والعجم والصبا والسيكا.

* استخدام إيقاعات شعبية محضة من قبيل الإيقاع الخماسي في أغنيته الدينية "يا محمد يا شفيعنا الهادي".

لقد كان عبد القادر الراشدي نموذجاً حياً للفنان الذي نجح في التوفيق بين خصائص الموسيقى المغربية والشرقية،

والذي عرف كيف يقدم التراث الموسيقي الوطني في صيغ تجمع بين الأصالة والابتكار. وكان يصدر في ذلك عن قناعة ترسخت لديه ولم يفتأ يعبر عنها في اللقاءات والمناظرات التي نظمتها وزارة الشؤون الثقافية أونقابة الموسيقيين المغاربة، وهي ضرورة تلقين الألوان الموسيقية التراثية وتشجيع البحث فيها بين طلاب مؤسسات التعليم الموسيقي.

وتقديراً لجهود الراشدي في خدمة الأغنية المغربية تم تكريمه في حفل خاص أقيم بمدينة المحمدية عام 1412 / 1991 حيث نصب عميداً للموسيقى المغربية، كما تم ترشيحه لنيل جائزة المجمع العربي للموسيقى في مؤتمره الخامس عشر المنعقد ببلنات - بيروت - في ماي 1999. توفي عبد القادر الراشدي بالرباط يوم الخميس 12 جمادى الثانية 1420 / 23 سبتمبر 1999.

جريدة التحرير، عدد 24 - 12 - 1961؛ ع. اللطيف جبرو، جريدة الأحداث المغربية، ع. 2 - 3 أكتوبر، 1999؛ ع. الله شقرون، مجلة الفنون، س 2، ع 5 و6، محرم وصفر 1395 يبرابر - مارس 1995، ص. 31، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية؛ صالح الشرقي، جُلُّ تر المعاني، ص. 19 - 20، الدار البيضاء؛ مصطفى بنريسل، جريدة الاتحاد الاشتراكي، ع. 2 - 2 - 1997.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الراشدي، عبد القادر المراكشي الحشمي ويدعى أيضاً الشركاوي، فقيه أديب مشارك من علماء المغرب الأوسط، ولد ونشأ بتلمسان، ودرس فيها وفي وهران، ثم هاجر إلى فاس في جملة من هاجر إليها بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1246 / 1830، واشتغل بالتدريس في القرويين، ومنها انتقل إلى مراكش في حدود سنة 1268 / 1852 حيث عينه السلطان عبد الرحمن بن هشام قاضياً بها، بتوصية من الشيخ الصالح الحاج محمد البركة المراكشي.

حلى صاحب الإعلام المترجم بقوله : "كان آية في الذكاء ومعرفة الفقه والفروع، ممن أتى بالجواهر من معادنها وامترى الضروع، لا يشق غباره، ولا يبارى مضماره، وأخذ من العربية والحديث بأوفر نصيب، وتمسك من الفطنة بعقل راجح مصيب، كان جامعاً مانعاً، وإماماً جليلاً بارعاً، أحلى الناس نظماً ونثراً، وكتابه وشعره".

وأشار صاحب اللؤلؤ المكنون إلى سعة أفق المترجم في ميدان المعرفة ومشاركته "في علوم شتى من نحو ومنطق وبيان وحساب وتنجيم وفقه وحديث وعروض وفرائض وأصول".

توفي بمراكش يوم الخميس منتصف جمادى الأولى عام 1272 / 23 يناير 1856.

م. بن المعطي السريغيني، حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من

الأخبار، مخطوط : العربي المشرفي، الحسام المشرفي، مخطوط : م. التاشفيني، اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون، مخطوط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، 8 : 463 — 465 : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 2605.

محمد حجي

الراشدي، علي بن الجيلالي الجامعي الطرمي، ينتمي إلى بيت مرموق من بيوتات قبيلة أولاد جامع المجاورة لمدينة فاس. لا ندري على وجه التحديد تاريخ ميلاده، ولكن وثيقة بتاريخ ثاني جمدي الأولى عام 1311 / 11 نونبر 1893، وصفته بأنه "من العمال الملحوظين (عند السلطان)، ولا سيما مع كبر سنة..."، الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد أن مولد الرجل قد يرجع إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن الثالث عشر (19 م).

وأياً كان الأمر، فإننا نجد فيما بعد إلى جانب القائد العربي ولد أب محمد الشرقي باشا جيش شراكة وأولاد جامع وفاس الجديد، في منصب النائب عنه، مكلفاً بأحوال هذه المدينة، قبل أن تسند إليه مهام باشوية مدينة تارودانت في صيف سنة 1304 / 1886، حين قدم السلطان المولى الحسن إلى منطقة سوس للمرة الثانية.

ومعلوم أن مناصب من هذا المستوى وهذا النوع، في مناطق نائية لم يكن أهلها دوماً طوع البعد، كان المخزن يُسندها إلى ذوي الخبرة والتجربة من أعوانه الكبار الذين يحظون بكامل ثقته. والدليل على ذلك، أن صاحبنا قبل مجيئه إلى الأصقاع السوسية، كانت تُزاول هذه المهام شخصية بارزة في الجهاز المخزني وقتئذ، ويتعلق الأمر بالقائد بوشتي بن البغدادي الجامعي. ومن غريب الصدف أن يتولى الراشدي بعده، مرة أخرى، عاملاً على فاس العتيق، على إثر وفاة ابن البغدادي بها في 30 يناير 1893.

بيد أنه لم تدم مدة حكمه للحاضرة الإدريسية طويلاً، إذ كان من بين الأشخاص الذين شملتهم الحملة الانتقامية التطهيرية التي دشنها الوزير الصدر أحمد بن موسى البخاري ضد آل الجامعي ومن عدّ من "حزبهم" على إثر وفاة السلطان المولى الحسن سنة 1312 / 1894، بصفته واحداً من أصحابهم المرموقين في الجهاز المخزني، إذ كان متزوجاً بواحدة من أخوات الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي، على عهد السلطان المولى الحسن، فعزله أحمد بن موسى عن فاس وعينه عاملاً على العرائش. وظل محتفظاً بهذا المنصب إلى أن وافته منيته في سادس وعشري جمادى الثانية عام 1313 / 14 دجنبر 1895. بمدينة الرباط، حيث مرقده الأخير بمقبرة العلو، تاركاً تسعة أبناء ذكور، يتصدرهم عبد الرحمن بن علي بن الجيلالي الراشدي، خليفته وساعده الأمين في السنوات الأخيرة من عمره.

ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، مخطوط، خ. ع. ك. 1281، ص. 512 : الخزانة الحسنية بالرباط، الوثائق الزيدانية، مجلد 30، وثيقة رقم 30 بتاريخ 12 ذي القعدة 1301 / 3 سبتمبر 1883 : مجلد 29، وثيقة رقم 13 بتاريخ 2 جمدي الأولى 1311، الموافق لـ 11 نونبر 1893 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1986، ج. 9 : 2804.

Archives Ministère Guerre - Vincennes, Carton 3h7, Rapport n° 99 du Cap. Thomas, Janvier 1893, p. 5.
مصطفى الشابي

الراشدي، علي بن عيسى التلمساني الفاسي، من علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى فاس بعد الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير ومدينة وهران.

جاء علي الراشدي إلى فاس سنة 911 / 1506 وهو لا يتجاوز العشرين سنة، فكان يحضر مجالس كبار علماء المدينة الإدريسية كالمقرئ محمد الهبطي السماتي مؤلف كتاب الوقف في القرآن، والفقيه أحمد الدقون وأضرابهما. وكان في نفس الوقت يلقي دروساً في مبادئ النحو والقراءات قبل أن ترسخ قدمه ويستد ساعده فيسند إليه كرسي القراءات والسيرة النبوية بمسجد الشرفاء ويأخذ عنه نجباء الطلبة أمثال أحمد المنجور الذي خصه بترجمة حافلة في فهرسه.

توفي بفاس سنة 961 / 1554.

أ. المنجور، فهرس، الرباط، 1977، ص. 69 - 71 : م. القصار، فهرس، مخطوط : أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1973، 2 : 491 : درة المجال، تح. م. الاحمدى أبو النور، القاهرة، 1970، 3 : 256. م. حجي، الحركة الفكرية، فضالة، 1978، 2 : 356.

محمد حجي

الراشدية، إمارة بشمال المغرب. تأسست على إثر سقوط مدينتي أصيلاً وطنجة بيد البرتغال سنة 876 / 1471 م)، على يد الشريف علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون، وكان نفوذ هذه الإمارة يشمل القبائل التالية : الأخماس - بني زكار - بني يسف - سماتة - بني غرفط - بني عروس - جبل حبيب - بني مصور - بني بدر - بني حمزمر (التي كانت تعرف أيضاً ببني يجم) - بني ليث - بني حسان - بني سعيد - بني زجل - بني زيات - بني بوزرة - بني سليمان.

وقد عُمِّرت الإمارة الراشدية ثلاثاً وتسعين سنة (876 - 969. 1471 - 1561). واشتهر أمراء بني راشد بالجهاد ضد البرتغاليين، وتعاقب على حكمها بعد الأمير المؤسس علي ابن راشد، ابنه إبراهيم بن علي، ثم ابنه الثاني محمد بن علي، ثم حفيده أحمد بن محمد بن علي بصفته نائباً عن والده السجين بفاس الذي لم يطلق سراحه إلا سنة 962 /

1555 فعاد إلى إمارته بشفشاون لكن قوات السلطان عبد الله الغالب هاجمته في شهر صفر عام 969 / أكتوبر 1561. وقضت على الإمارة الراشدية في نطاق إعادة توحيد البلاد تحت سلطة السعديين.

م. ابن عزوز حكيم، مولاي علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون، تطوان، 1998.

محمد ابن عزوز حكيم

الراشدية طريقة صوفية أسسها الشيخ أحمد بن

يوسف الراشدي متقدم الترجمة، بالمغرب الأوسط، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). ووسمها محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1858) "بالْيوسفية" و"الراشدية - الزروقية"، وذلك في كتابه المنهل الروي الرائق. وكل هذه التسميات نشأت عن الحاجة إلى التصنيف، وتتصل بوطن بني راشد نجار الشيخ أحمد بن يوسف وداره، وبوالده، وبطريقة شيخه. وتبقى "الراشدية" التسمية التي ينبغي وضع اليد عليها وترك مادونها، لدلالاتها على خصوصية هذه الطريقة، واستقلالها عن الزروقية في عدد من أصولها وتعاليمها. وتبميزاً لها كذلك عن الطائفة "اليوسفية" التي هي واحدة من الطوائف التي تفرعت عنها بالمغرب الأقصى، في حياة الراشدي، وبالغت في التأسي بها إلى درجة القناعة بإحدى تسمياتها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها.

والطريقة الراشدية عدت دائماً حلقة من السلسلة الشاذلية - الزروقية، وأنها على هذا الأساس نشأت وانتشرت في الآفاق. واعتبرت الوساطة التي أوصلت جبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مثيلاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، خلال عصر التصوف هذا، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به. هذا من حيث السند، أما من حيث النحلة فقد اقتفى الشيخ الراشدي أثر أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، وجعل مذهبه إحساناً بلا علل، وقال بالمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الرجاء والخشية. وهذا لا يتناقض مع النسبة الزروقية، بل يتفق مع مبدأ الاستحسان الذي يعد من أهم مبادئها.

وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر القرن العاشر الهجري، الذي اعتقد خاصة وعامة أهله عدم مجاوزة عامه الألف، فأقبلوا على شيخها ومذهبه يزفون. ويذكر محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) من الآخذين عن الراشدي من المشايخ وأرباب الطوائف والزوايا من المغاربة: عبد الله الحياض (ت. 939 / 1533.2) دفين زرهون، ومحمد بن عبد الرحمن السهيلي (ت. 936 / 1530) دفين السهل من بلاد غير، ومحمد الحاج الشطبي (ت. 981 / 1574) دفين تازغدر من قبيلة بني زروال، ومحمد بن عبد الرحمن ابن

جلال (ت. 981 / 1574) دفين فاس، ومحمد بن عبد الجبار (ت. 956 / 1549) دفين فجيج، وعلي بن عبد الله الفيلالي دفين سجلماسة، ومحمد بن عبد الله أمغار والزبير بن محمد المحمدي دфина فاس، ومحمد بن قاسم الجوزاتي التازي دفين هسكورة، وأحمد المجذوب الحمياني، وأبو سعيد الدخيسي، ويعقوب الدخيسي، وغيرهم.

هكذا فتح الراشدي عهداً جديداً في تاريخ الطريقة الزروقية بالمغرب بوجه خاص والطريقة الشاذلية بوجه عام: فعن طريقه ستتفرع طوائف مغربية عديدة، وستنتسب إليها زوايا شتى، بالإضافة إلى كبار صحبه من المغاربة ممن لا يعرف أنهم أسسوا طريقة أو أقاموا زاوية. وسيصبح الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) عن طريقه الوساطة في الشاذلية بالنسبة للخياطية والغازية والسهيلية والصادقية والكرزازية والشيخية والناصرية والحنصالية والزبانية، وغيرها من الطوائف والزوايا المغربية.

وإذ يتفق أعلام الطبقة الراشدية الأولى هؤلاء، في السند الراشدي - الزروقي، فإنهم يختلفون في الاتجاهات الفكرية والمذهبية التي ساروا فيها، وقوامها ثلاثة:

الاتجاه الأول، وهو الغالب ويضم المشايخ الذين نظمت علاقات سابقة ومختلفة بينهم وبين الزروقية، وإنما انتسبوا إلى الراشدي قصد الحصول على سنده الرفيع في الزروقية باعتباره صدر طبقتها الأولى. وهذه حال الشيخ عبد الله الحياض الذي ولد في بيت صوفي زروقي، وشب في خضم نضال أهله في سبيل نشر الزروقية بالمغرب، من القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. وتمتع بشهرة بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، وتحلى بسند عال في الزروقية، وواسطته فيه والده إبراهيم وإخوته عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وكلهم أفراد الطبقة الأولى الزروقية. ولا يستبعد أن تكون فرصة رؤية الشيخ زروق قد أتاحت له خلال العقد الأول من حياته، والذي وافقت وفاة الشيخ اكتماله. وهذه أيضاً حال الشيخ الشطبي الذي انتسب إلى الزروقية بالبلاد الشرقية، والتقى بعدد من مشايخها المشاركة. واستقر في طريق أوبته من هذه البلاد بضريح الشيخ زروق بمسراته، وذلك لمدة ثلاثة أعوام كاملة عكف خلالها على دراسة الزروقية في أصولها المكتوبة بخط مبدعها، ونسخ ما استطاع من تراثه الضخم، وتباحث في مسائلها مع كبار صحب زروق من المستقرين بضريحه أو المترددين إليه من المشرق والمغرب، وهذا قبل أن يدخل المغرب الأوسط، ويأخذ عن الشيخ الراشدي.

الاتجاه الثاني، وقوامه تلامذة الراشدي الذين دخلوا المغرب لنشر الطريقة الراشدية به، وأنشأوا على هذا الأساس طوائف وزوايا به. وقد تزعمتهم الطائفة "اليوسفية" التي بالغت في التأسي بالراشدية التي تسلت منها إلى درجة انتحال أحد أسمائها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها، وظلت تعرف بهذا الاسم طوال

القرن العاشر (16 م). وتستدعى من بعده، وعلى مدى تاريخها الطويل الممتد إلى القرن الرابع عشر (20 م)، بتسميات متعددة. منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم كالأحمدية والملاينة نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف وضرحة بجليانة، ومنها أطلقها خصومهم عليهم كالبيضاضة نسبة إلى الإباضية، والشرافة نسبة إلى القبائل التي طرأت على المغرب من المغرب الأوسط، والعكاكزة نسبة إلى العكاكز أحد شعارات الفقر، وهي التسمية التي اشتهرت بها هذه الطائفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطلعت على كافة تسمياتها السابقة. بالإضافة إلى القبائل التي ظلت على هذه النحلة إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، والتي لم تعد تعرف إلا بأسمائها كالزكارة وبنو محسن والغنامة والملاينة. وتعتبر تسميات خصوم اليوسفيين عن رغبتهم في قطع صلتهم بالراشدية، وإخراجهم من سلك التصوف بالمرّة، والزج بهم في دائرة أهل الملل والنحل.

الاتجاه الثالث، وقوامه الطوائف والزوايا المتصلة السند بالشيخ أحمد بن يوسف، والتي حدث مشايخها بسندهم إليه بمقالة "من رأى من رأيي إلى سبعة ضمنت له الجنة". وهي مقالة سابقة في تاريخ التصوف الإسلامي والمغاربي لتأسيس الطريقة الراشدية، ومتسلسلة في سندها إلى الشيوخين عبد القادر الجيلاني (ت. 561 / 1167) وعبد الرحمن الثعالبي (ت. 875 / 1470). وقد قال الشيخ الراشدي بهذه المقالة التي تنسجم مع موقف الإنسان من الوجود في مذهبه، والمنبني على تجاوز الكون الأخروي نعيمه وجحيمه إلى مبدع الكون وخالفه. ويبدو أن المقصودين بها هم العوام من الأتباع ممن لا قدرة لهم على فهم مذهبه في صورته النظرية والمجردة. والمشايخ الذين تواردوا على نقل هذه المقالة واشاعتها بين مغاربة القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م) هم شيوخ الغازية والناصرية والشرقاوية.

وقد تزامنت هذه الاتجاهات الثلاثة التي تفرعت إليها الراشدية، بعد دخولها إلى المغرب في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وصادفت الأيام المعتمدة للمتأخرين من بين وطاس، والمتسمة بكساد سوق العلم، وتعطل الاشتغال بالفكر. فلم يميز بينها معاصروها من الفقهاء والصوفية المغاربة، وبادروا إلى معارضتها، وأغروا المخزن الوطاسي بمكافحتها. وامتنح الجليل الراشدي الأول من قبل السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، الذي تسنم عرش مملكة فاس ما بين 911-931 / 1505-1524. وفرغ الشيخ أبو البقاء عبد الوارث البياصوتي (ت. 971 / 1564) يوم 17 رمضان 942 / 10 مارس 1536 من رسالته الموسومة *المسلك القريب الموصول إلى حضرة الحبيب*، التي حمل في مواضع متفرقة منها، على الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً.

ويؤرخ عهد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي (965-982 / 1557-1574) لذويان الطوائف والزوايا الراشدية بالمغرب في النسيج العام للحياة الصوفية السائدة في البلاد، واستعصاء اليوسفيين عن هذا التحول والانقلاب. وتسجل المصادر انتقال بدعتهم من بدايتها وقوامها النحلة الراشدية إلى متوسطها وهو الغلو في محبة الشيخ أحمد بن يوسف، وإشارة الفقهاء على هذا السلطان بحسم مادة طائفتهم، فقاد جماعة منهم إلى السجن وقتل آخرين.

وبلغت البدعة اليوسفية نهايتها، وهي الظهور بالإباحة، وذلك في المصادر المصنفة أواخر القرن العاشر (16 م). وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الطويل الذي امتد من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) إلى قيام الدولة العلوية، وجرائم تهاون الحكام في شأنهم على استحكام بدعتهم، وظهورها ظهوراً خطيراً. وبادر السلطان المولى وشيد عام 1080 / 1670 إلى استفتاء العلماء في قضيتهم، فأفتاه ثلاثة من أعيان علماء العصر. وهم قاضي الجماعة بالحضرة الفاسية محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) الذي حرر ثلاثة أجوبة في نازلتهم، والفيقيه عبد المالك التجموعتي (ت. 1118 / 1707)، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690) الذي صنف فيهم فتواه الشهيرة برسالة العكاكزة.

وأدى اختلاف العلماء في نازلة اليوسفيين إلى تشعب مسألتهم، وطول مرحلة التفاوض والتشاور في شأنهم. وعلى الرغم من قول كل من اليوسي والتجموعتي بزندقته، فقد عمل السلطان برأي المجاصي قاضي الجماعة، ونفذ فيهم حكم الردة والاستتابه، وسجن جماعة من مشايخهم في فاس شهوراً، ثم أطلقهم بعد تحقق توبتهم. وسيعمد السلطان المولى إسماعيل بعد مضي عقدين من حكمه إلى نكبة اليوسفيين عام 1102 / 1691، فخرّب أنشط وأهم مراكزهم الواقعة في تادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقه في مشايخهم ولم يستتبهم، وقتل ثلاثة وستين منهم. وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم وأجلاهم عن مطاعنهم إلى حيث لا شيعه لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم.

وقريباً من محاكمة اليوسفيين في خلافة السلطان المولى رشيد تبرأ نفر من الناصريين من الشيخ محمد ابن ناصر (ت. 1085 / 4 / 1675) لقوله بمقالة "من رأى من رأيي إلى سبعة ضمنت له الجنة"، وكتبوا في ذلك كراسة، وأضرموا على الزاوية الناصرية نار الفتنة بسجلماسة. وقالوا إن هذه المقالة تروّج الناس في الأمن وفي الإعراض عن علم التوحيد، زيادة على أنها لا وثوق بها ولا يعول عليها بحال. وانبرى الإمام اليوسي للرد على خصوم شيخه ابن ناصر هؤلاء في كتابه *المحاضرات*، واجتهد في تأويل هذه المقالة، وذهب إلى القول إنها تذكر على طريق الرجاء، وأن

الأمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع. وتكرر التأليف بعده في قضية ضمان الجثة هاته التي أصبحت من بين القضايا الصوفية الحيوية التي أثارت جدلاً كثيراً. واختلف الناس في أمرها، وانقسموا ما بين محبذين منتصرين ومنكرين معترضين. فكتب فيها أحمد بن محمد بن السيد الحسني (كان حياً عام 1095 / 3 / 1684) رسالة تكلم فيها على الكراسية الموقعة من قبل أولئك المعترضين على الشيخ ابن ناصر، ونقض ما جاء بها عروة عروة. وأفرد فيها المؤرخ محمد الصغير الإفرائي (ت. ما بين 1156 / 1157 / 1743 و 1744) تأليفاً مستقلاً يعد من ضمن تأليفه الضائعة والمنسية.

وخبا ذكر اليوسفيين في المصادر المغربية خبواً يكاد يكون تاماً، بعد خضد شوكتهم على يد المولى إسماعيل في مطلع القرن الثاني عشر (18 م)، وظلت بعض المجموعات الناجية من فرقتهم تحافظ على ذبالة نحلتهن. واهتدى إليهم الرعيل الأول من الإثنوغرافيين الفرنسيين في مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، ولم يعرفهم إلا بأسمائهم من زكراوين ومحسانين وغنائيين ومليانيين. ولم يأبهوا بصلتهم بضريح مليانة ومحبتهن في دفينه، وأركابهم التي تشد إلى مواسمه وخدمتهم لحفدته، وانتظام "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" في المجموعات المشكلة لبعض قبائلهم. ولم يخلصوا من ذلك إلى انتسابهم إلى الطريقة الراشدية، أو اتصال أمرهم بتاريخ التصوف المغربي. وعدوا ذلك من ضمن عناصر الحياة الدينية لهذه القبائل، وهو عنصر تبجيل الصلحاء. بل إن معظمهم كان يشك في تغلغل الإسلام خلال هذه القبائل، ولا يخامرهم ريب في قدم نحلتهن، واتصالها بالمعتقدات البدائية والشعائر الوثنية الطبيعية.

ع. الوارث البالصوتي، المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب، مخطوط خ ح 5723 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 237 - 240 ؛ ع. نجمي، طائفة العكاكرة، 2 : 265 - 438.

L. Rinn, *Marabouts et Khouans*, Alger, 1884, 40, 271- 273 ; X. Coppolani et O. Depont, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1897, 461 - 467.

عبد الله نجمي

الراضي (أولاد -) أسرة فاسية ذكر في إزالة الالتباس أنهم أهل معاش وحرقة. ويوجد بالرباط أيضاً أولاد ابن الراضي، ولا يعرف إن كانت لهم قرابة بالفاسيين. على أن أكثر آل الراضي يوجدون في قبيلة بني حسن المستقرة شمال مدينة سلا، وهم من الصفاقة الغربيين المشتملين على ثلاثة بطون : أولاد حَسُون وبنو ثور والدواغر. وإلى هذا البطن الأخير ينتمي أولاد الراضي، فهم من فخذة أولاد خَدْلَة المنقسمين إلى ستة دواوير حسناوية أصيلة، هي أولاد الراضي وأولاد ابن عائشة والشياطبة وأولاد سعيد والخياطبة والمراونة بإضافة دواير الفقراء الدرقاوين إليهم.

وكان القواد من أولاد الراضي في وقت ما يحكمون جميع الصفاقة الذين كانت خيامهم تبلغ نحو 1765 وحدة. وقد صممت المصادر عن الجد الأول لآل الراضي وهو الطاهر ابن الراضي الذي يظهر أنه كان قائداً قبل سنة 1262 / 1846 . وتولى قيادة القبيلة بعده بعض أبنائه وأحفاده.

الراضي، أحمد بن عبد الله بن الطاهر، كان قائداً على قبيلته الحسناوية سنة 1311 / 1894، اعتباراً لجانب أبيه وجده. ومكث في القيادة إلى عهد الحماية. كان سنة 1350 / 1930، يسكن مع أولاده بمدينة سلا، لأنه تزوج من بعض بنات السلاوين، وبها توفي بعد هذا التاريخ. م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحوال سلا*، ص. 155 - 116 ؛ كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي ؛ وثائق الخزنة الصبيحية.

مصطفى بوشعراء

الراضي، أحمد بن المحتصر من قبيلة بني حزمير الغمارية في الشمال، كان قائداً يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته وانضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف أحمد الريسوني وشارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 28 ربيع الأول عام 1331 / 7 ماي 1913، ويعين الدالية يوم 2 ربيع الثاني / 11 ماي نفس الشهر، وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 15 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913 وبقرة الزوة يوم 24 صفر 1333 / 11 يناير 1915.

كان أحمد الراضي بظلامغواراً شارك في إحدى وعشرين معركة، وتوفي في تاريخ غير محدد.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الراضي، التهامي الحسناوي. كان سنة 1324 / 1906 قائداً على الدواغر، دون الفقراء الدرقاوين القاطنين بدواير أولاد خدلة الذين أسندت ولايتهم إلى عامل سلا الحاج الطيب الصبيحي الذي كان يبعد عنهم بنحو ثمانين كيلو متراً. فأمره السلطان بالتخلي عنهم للتهامي الراضي. ومكث هذا في الولاية نحو سنتين حتى عزل سنة 1326 / 1908 وولي بوشعيب بن الجليلي الثوري على الدواغر، فقبض على التهامي الراضي وحاز أمتعته وفتك به وما قصر، حسبما جاء في رسالة إلى الحاج الطيب الصبيحي في 23 رمضان 1326 / 26 أكتوبر 1908.

الراضي بن الطاهر بن الراضي الحسنائي، أشهر

قواد هذه الأسرة وأحد ولاة بني حسن الكبار في القرن الثالث عشر (19 م). كان سنة 1279 / 1862 قائداً على الصفافعة، حسبما جاء في رسالة الطبيب بن اليماني بوعشرين في 9 ربيع الأول 1279 / 4 شتنبر 1862، وفيها أنه منع إخوانه من حمل القمح والشعير إلى مدينة سلا. وذكرت رسالة السلطان إلى الراضي في 16 شوال 1280 / 25 مارس 1864 أن علي بن إبراهيم الوزاني كتب إليه يقول إن الراضي أضرب بأولاد ابن العربي النازلين في عزيب زاويته، واعتقل واحداً منهم، وقبض منه 200 مثقال، وحبس آخر بسجن مهدية، فأمره السلطان أن يبقيه على حالهم ويبين سبب السجن وأخذ المال من أحدهم.

مكث الراضي عاملاً إلى حدود سنة 1283 / 1868، حيث عُزل وسجن وعُين مكانه محمد بن العربي بن خدة الثوري. وقد تبعته نكبة العزل والسجن مصيبة القبض على أقاربه، ومنهم عمه التهامي ابن الراضي الذي سجن مرتين في ظرف عشرين سنة (1847 - 1867).

وبعد عزل الراضي صدر أمر السلطان سنة 1284 / 1867 إلى عامل سلا ليحوز لجانب المخزن داره وديار أبناء عمه القارين إلى زمور لأن بقاءها بأيديهم مع قرارهم وفسادهم تجرى على مثل فعلهم، ولكون ذمتهم عامرة بمال بيت المال حسب رسالة السلطان في 12 ربيع الثاني 1284 / 13 غشت 1867، فتفد العامل بنسعيد ما أمر به.

كان الراضي مديناً، وكان دوره المستصفاة منه لم تكف في تسديد ما عليه، فاستأذن السلطان "في بيع دوره التي بسلا، فإذا سُمِرت. كما يقول السلطان. ووقفت على آخر زائد، فلا يُسَطَّ البيع فيها إلا عن إذننا ومشورتنا وإعلامنا بما تقتضيه نظرنا".

وحتى دُيِّنَ على الناس ظل محتجزاً، وهذا ما يفهم من رسالة العاهل إلى عامل سلا في 8 رمضان 1286 / 12 دجنبر 1869 من أن قاضي سلا أبا بكر عواد "أخبر أن أهل الراضي الصفاعي الذي كان قائداً قبل استظهروا برسم دين على محروقاتهم بالملك المسمى بـ"وادي" وقدره نحو الألف مثقال صغرى، ولما أُجِزَ حوزة ورفعت لغرض الضريبة أمرهم بالإتيان بالوكالة ومعهما كتابنا العالي بالله لكونه مستغفراً".

كان الراضي 1286 / 1868 فأوصى الحاجب عليه الخليفة الأمير مولاي الحسن حتى ينعم بتمام التسريح، وقبلها أوصى أيضاً عامل سلا على ولده المسمى بنعبد الله. وكان الأمل قوياً في الإفراج عن الراضي سنة 1287 / 1870، حتى إن قائد عبدة عيسى بن عمر طلب أنه "إذا سرح الراضي الصفاعي أن يتوجه عنده ليستريح أياماً نحو الشهر من غم السجن وتضرره به". لكن العفو لم يصدر وظلت وصاية موسى بن أحمد متصلة فطلبه أيضاً من الخليفة مولاي عثمان سنة 1290 / 1873.

لم تنصرم السنة الأخيرة حتى اعتلى العرش مولاي الحسن فأمر بإشخاصه إليه، ثم عينه مرة أخرى قائداً، وأمر أن ترد له دوره التي كانت محجوزة بسلا، فمكث في منصبه خمس سنوات من سنة 1290 إلى 1296.

وفي السنة الأخيرة حلَّ عليه غضب السلطان وامتنح أقاربه كذلك، فسجن هو بفاس ثم بمراكش إلى أن أُرْجِعَ إلى حبس سلا.

ويظهر أن ولده المقبوض بسلا هو عيد السلام الذي كان من قبل سجيناً بمراكش وصدر أمر السلطان للإفراج عنه سنة 1302 / 1884. وسنجد بعد ذلك قائداً عسكرياً سنة 1306 / 1889، وسيلعب عند وفاة مولاي الحسن دوراً آخر. فيروي المختار السوسي أن الجامعيين أمروا القائد العسكري عيد السلام باغتيال السلطان وحاجبه أبا احصاد أثناء صلاة الجمعة، لكنه أخبرهما بالمؤامرة عليهما.

كما أفرج عن أخيه الحاج بنعبد الله الذي كان سنة 1303 / 1886 سجيناً وبعدها نجده منخرطاً في الجيش برتبة أغا.

وقد سُرح الراضي وولده ورد إليهما وإليه بعض الاعتبار. ولم أقف على مكان إقامة القائد المعزول بعد تسريحه مباشرة لكنه كان سنة 1304 / 1887 مرحلاً إلى إيالة بوسلهام بن المصطفى الرُّمُوش قائد سفيان، بعد أن أصبح معه عدداً كبيراً من الصفافعة الذين تركوا محلهم بقبيلتهم فارغاً، والطريق المارة عليهم خالية. ولذلك أمر السلطان القائد الرُّمُوش المذكور بردهم جميعاً لعمارة بلادهم، وبأن لا يترك مع الراضي إلا أربع خيام لأقاربه: حمور بن الحسن، وولده التهامي بن الراضي وابن عمه، وولد ابن محمد، وعبد السلام وبعث العاهل لقائد سفيان خمسة من المخازنية لرد الباقيين إلى أرضهم.

وقد التمس الراضي الرجوع لأرضه والتزم بعدم الدخول في أمر القبيلة، وذلك لعدم موافقة أرض الغرب له في الحرث، ولكثرة العيال. فعلق السلطان: "له ذلك إن وافق عليه عامله"، عبد الكبير الثوري الذي كان يخاف من الراضي وشيعته.

توفي الراضي بمسقط رأسه بعد سنة 1309 / 1891.

م. بوشعرا، علاقة المخزن بأحوال سلا، قبيلة بني احسن، 1860.

1912، ص. 104 إلى 110: م. المختار السوسي، المعول، ج. 20.

ص. 19: وثائق بنسعيد: الوثائق الملكية.

مصطفى بوشعرا.

الراضي، عبد السلام، رياضي كبير من أبطال

اللعاب القوي على المستوى المغربي والعربي والأوربي. ولد في أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر (20 م) بأحوال مدينة فاس ونشأ في وسط فقير.

كان مولعاً منذ صغره بالعدو ومنافسة أترابه إلى حين

استد عوده، فانخرط في إحدى الأندية الرياضية. بدأ يبرز على الساحة العالمية كعداء من العيار الثقيل حين شارك في سباق الأمم بالبرتغال سنة 1959 فدخل ثامناً في الترتيب العام، وفي سنة 1960 أحرز على بطولة العالم بإسكتلندا باحتلاله الصف الأول. كما شارك في سباق الأمم بنانط بفرنسا وشيفيلد بانجلترا وسان سبتيان بإسبانيا، كما أحرز على أول ميدالية أولمبية مغربية (عربية إسلامية) في تاريخ الأولمبياد وكانت فضية في سباق الماراطون بروما سنة 1960. وعقب إنجازاته الباهرة تقاطرت طلبات العديد من الأندية الأوروبية لينضم إليها فانخرط في أحد الأندية الفرنسية وكانت بعض البلدان ترغب في أن تمنحه جنسيتها لكنه كان يرفض.



ظل عبد السلام الراضي يحقق الإنجازات الرياضية على الصعيد المحلي والعالمي إلى أواخر الستينيات حيث اعتزل الميدان الرياضي ليعود إلى الظل. قضى هذا البطل الرياضي بقية حياته مهماً معهما حتى سقط طريح فراش المرض وظل يعاني إلى أن وافاه الأجل يوم الأربعاء 6 رجب عام 1421 / 4 أكتوبر سنة 2000 عن عمر يناهز 75 سنة، وووري جثمانه بمدينة فاس وسط المعجبين به من الرياضيين وعشاق ألعاب القوى. وثائق خاصة، رواية شفوية.

محمد بلعربي

الراضي، المحجوب مقاوم. ولد سنة 1348 / 1929 بمدينة العيون والتحق بصفوف جيش التحرير منذ الانطلاقة

ضمن المقاطعة التاسعة بمركز تافودارت تحت إمرة صالح الجزائري، حيث شارك في عدة معارك ضد جيش الاحتلال الإسباني، منها معركة المسيد ومعركة طريق السدرة. وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله عمل الراضي في حقل التجارة إلى أن مات في 11 شوال 1415 / 13 / 3 / 1995.

المدنية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

راغون، العربي بن محمد الأندلسي التطواني، تولى منصب خليفة أول عامل على تطوان الحاج أحمد الطريس، بعد قيام الحماية وظل في منصبه قائماً بمهامه أحسن قيام إلى أن توفي في 13 ربيع الأول عام 1338 / 6 دجنبر 1919.

أ. الرهوني، مختصر عمدة الراوين، مخطوط، ص. 95.

راغون، محمد بن محمد بن الحاج العربي الأندلسي التطواني. ولد بتطوان عام 1289 / 1872 ونشأ نشأة صالحة، قرأ القرآن وحفظ بعض المتون العلمية على العادة المتبعة، وبدأ في تلقي العلم عن علماء بلده المشايخ الزواقي، وابن الأبار، والبقالي، والمؤذن، وغيرهم. ولما رشح والده لأمانة (دار غديل) بفاس توجه معه إليها أوائل شوال عام 1309 حيث درس على المشايخ : محمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهما. كما درس على بلدييه أحمد الرهوني الذي كان ما يزال طالباً بفاس.

استخدم محمد راغون كاتباً بدار النيابة مع خال أمه النائب الحاج محمد الطريس، وبعد وفاة الطريس عين راغون كاتباً أول للصدارة في الحكومة الخليفة أيام مولاي المنهدي ابن إسماعيل، وكان ضمن الوفد المعين من قبل السلطان مولاي عبد العزيز برئاسة الحاج أحمد الطريس لحضور تتويج الملك الفونسو الثالث عشر، فكتب رحلة وصف فيها إسبانيا وحفلة التتويج وما شاهد فيهما مما ينبغي الوقوف عليه، ثم حج مع والده عام 1306 : وقته كان كاتباً بالصدارة كتب تقارير سياسية مهمة، منها تقرير عن ثورة أبي حمارة وغيره، أفاد منها محمد داود في كتابه تاريخ تطوان، وكان له نظم وسط ذكر جملة منه الرهوني في العمد.

توفي محمد راغون في 27 صفر عام 1337 / نوفمبر 1918 ودفن بحومتهم بجبل المقابر.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، ص. (7 / 14) : م. داود،

مختصر تاريخ تطوان، ص. 221 - 297.

محمد بوخبرة

رافع (أولاد -) أسرة فاسية ذكرهم صاحب كتاب *إزالة الالتباس* عن قبائل سكان مدينة فاس وأنهم أهل علم وطلب وخيار. وذكر منهم - نقلاً عن كتاب الإعلام بمن غير - أبا محمد عبد الواحد رافع الفقيه الزاهد الذي كان لا يقتات إلا من عمل يده، المتوفي سنة ثلاث وخمسين وألف، دفن خارج باب الفتوح.
ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

الرافعي، محمد بن أحمد الأزموري ثم الجديدي "صاعقة العلم، المتكلم الفيلسوف" بهذا حلاه صديقه القاضي عبد السلام السانح في الترجمة العلمية التي كتبها له عقب وفاته ونشرتها مجلة الثقافة المغربية الصادرة بسلا.

ولد محمد الرافعي سنة 1303 / 58 - 1886 بأزمور، ودرس على القاضي أبي النعائم أبي شعيب الأزموري، ولم يأخذ عن غيره من الشيوخ إلا قليلاً "حرك قريحته وأنبط ينابيع فكره الدفاق بما أوتي من كمال القابلية والاستعداد الفكري بالاستغراق في المطالعة اكتسب ذلك العلم الواسع، وإن الحصول على ذلك الخصب العلمي برشاش قليل من الأخذ والتلقي عزيز نادر الوجود لا يكاد يتفق إلا لعقل جبار كعقل الرافعي".



ساعده على ذلك خلوه ذهنه من كل علاقة تمتص من قوة فكره، وراحة مستمرة إذ عاش عزياً لا تلتقى صفحة خده إلا بصحيفة كتاب عزوفاً عن الولايات والمناصب، قضى حياته منهمكاً في المطالعة والبحث والنظر يستغرق في ذلك الليل كله حتى يغشاه النهار، عاش على ذلك دهرًا طويلاً.
درس الرافعي الفلسفة دراسة عميقة وتشبع من مذهبها وآرائها فتكيف بها فكره واصطبغ بها ذهنه، فكان يُفرغ ما يلقى عليه من المعلومات على قلبها، ويكسوه بجلتها، فلا يرى إلا بعين النقد والتحليل، والفحص والتعليل... لا يتهيب الأفكار ولا يتردد في مطاولة الأقران، بل بهجم على ما يخالف نظرياته هجوماً لأول وقوع الطرف... إلا أن كتابته مشتبكة معقدة لا يتمكن من حلها إلا من عاقرها طويلاً. وما أخوفني أن تكون سباً لضياح علمه".

كان الرافعي مشار إعجاب كل من اتصل به من المفكرين الكهول والشيوخ، وحتى المثقفين الشباب الذين درسوا دراسة حديثة كانوا يحاورونه ويستفيدون من معارفه وغوصه في المباحث العلمية الدقيقة.
من مؤلفاته :

رسالة في شرح وحدة الوجود.
رسالة في تحقيق معنى العقل والنفس الكلية.
رسالة صغيرة في تفسير الهيولي.
رسالة في الأطوال.
شرح قول القطب ابن مشيش : واجعل الحجاب الأعظم حياة روعي...

أصيب الرافعي قبل وفاته بضعف عصبي وجفاف في الدماغ نشأ عن كثرة النظر والسهير، وتوفي بالجديفة يوم الجمعة رابع عشر رجب عام 1360 / 8 غشت 1941.

ع. السلام السانح، ترجمة محمد الرافعي، مجلة الثقافة، العدد 3، فاتح أكتوبر، سلا، 1941؛ ع. ابن سودة، *إنحاف المطالع*، سل النضال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 3082 - 3083.

محمد حجي

الرافعي، محمد بن علي بن محمد الأنديلي التطواني، ولد في حدود سنة 1040 / 1630 ودرس بمسقط رأسه على الشيخ الحاج علي بن محمد بركة التطواني والقاضي محمد بن قريش وأقرانهما. كما قرأ على أبي علي الحسن البوسي والشيخ محمد ابن ناصر الدرعي وغيرهما.

كان الرافعي صوفياً معتقداً سليم الصدر كثير النظم في المديح النبوي ومدح الصالحين والأولياء والتعلق بهم. جمع شعره في ديوان، وله أيضاً رحلة إلى الحج سماها : *المعارج المرقية*، في الرحلة المشرقية : وتأليف في الترسل والرسائل سماه *غرر المقاصد والمطالب*، ودرر الرسائل لكل طالب : ومجموع في الأدعية والأذكار، ضم هذه المؤلفات الثلاثة مجلد في نحو خمسمائة صفحة كبيرة يوجد بخرانة محمد داود بتطوان.

وقد لخص هذه الرحلة الفقيه الرهوني في عمدة الراوين في ترجمة مؤلفها الرافعي وجلب من أنظامه في مدح رجال تطوان كالسعيد - ويعبر عنه بالصعيد بالصاد، وعلي ابن مسعود الجعدي، وعلي الفحل، وطلحة السديج، والمصيميدي. ورحلته لا تخلو من فوائد لأنه يصف المنازل والمدن التي مر منها هو وولده أحمد بعد خروجهما من تطوان ظهر ثامن جمدي الأولى عام 1096 / 12 أبريل 1685. وما ورد في مختصر تاريخ تطوان لمحمد داود من أن الرحلة كانت عام 1196 فسبق قلم. ويذكر كذلك من اجتمع بهم من الفقهاء، ومن زار أضرحتهم من العلماء والأولياء،

عشر ما عدا العلميين منهم المذكورين في الظهير الأول
للسلطان سيدي محمد بن عبد الله.
ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون.

الرامي، الحسن بن أحمد الفاسي من المتخرجين
الأوليين من ثانوية مولاي إدريس بفاس المثقفين ثقافة
عصرية مزدوجة الذين اهتموا بالتأليف المدرسي باللغة
العربية أيام الحماية، فقد نشر بالاشتراك مع زميله في
الطلب محمد بن الحسن التازي كتاب مجمل جغرافية
المغرب في مطبعة النهضة بفاس سنة 1353 / 1935 فكان
فتحاً جديداً في باب أفاد منه كثيراً طلبة القرويين وتلاميذ
روافدها من المدارس العربية الحرة.

تولى الحسن الرامي نظارة أوقاف ضريح المولى إدريس
بعد وفاة والده، واستمر في عمله إلى وفاته عام 1365 /
1946 ودفن بروضة الأدارسة ببني مسافر.

إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : ص 55 ؛
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة المغرب، بيروت، 1996، ج
9 : 3220 ؛ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ط. 2،
1960، ص. 55.

الرامي، محمد الفاسي، فقيه أديب من أصحاب
الشيخ المهدي ابن سودة الذين ذكروهم في تقييده. لم يقف
له مؤلف إتحاف المطالع على ترجمة في كتاب إلا أنه اطلع
على بعض آثاره الأدبية، وهي تدل على أنه كان مشاركاً
مطلعاً يقول الشعر. وعثر له على مقطوعة يمدح بها قائد
فاس الطيب البياز (ت. 1259).

توفي محمد الرامي بفاس في تاسع وعشري شعبان عام
1261 / 2 شتنبر 1845.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت،
1996، ج 7 : 2575.

محمد حجي

الرامي، محمد مقاوم من مواليد سنة 1916 بگزناية
إقليم تازا، ومن الرعيل الأول من المجاهدين الذين كافحوا
في سبيل استقلال البلاد وعودة محمد الخامس إلى عرشه.
انخرط في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشمالية
بنواحي إقليم تازا تحت قيادة عبد الله الزكريتي بمركز بوردا
وشارك في عدة معارك شهدتها المنطقة ضد الاحتلال
الأجنبي إلى أن أحرز المغرب على استقلاله.

توفي بمدينة مكناس في 13 جمادى الأولى عام 1416 /
8 أكتوبر 1995.

المدونية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال، رقم 1941.

على أغلاط وقعت له في ذلك، منها ذكره أنه زار قبر
الإمام عبد الحق الإشبيلي بالجزائر، وهو مدفون ببجاية.
ومنها زيارته لقبر الششتري بالقاهرة، وهو أنما مات بقرية
الطنية قرب دمياط، كما ذكر زيارته لقبر البوصيري
بالقاهرة وهو دفين الأسكندرية.

وذكر الرافعي أنه حضر دروس المشايخ عبد الباقي
الزرقاني، والخروشي والشبراخيتي شراح مختصر خليل،
وهكذا استمر في رحلته واصفا المراحل والأماكن مُسمياً من
يأخذ عنه أو يجتمع به، وقد أورد المهم من رحلته ونظمه
ورسائله محمد داود في تاريخ تطوان.

وما يجدر ذكره أن رحلة الرافعي وديوانه في نسختها
المشار إليها قد اطلع عليها عدد من علماء عصره وأدبائه
فقرطوها له، منهم شيخه علي بركة التطواني، وأحمد بن
عبد الحى الحلبي الفاسي، والوزير الغساني، والأديب محمد
المفضل الأندلسي ومحمد بن زاكور الفاسي، وهذه التقاريط
مثبتة بآخر المجلد بخطوطهم.

لا يعرف تاريخ وفاة المترجم إلا أنه عاش إلى عام
1125 / 1713.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، ص. (7 / 45) ؛ م. داود،
تاريخ تطوان، تطوان، د. ت. (1 / 390) ؛ مختصر تاريخ تطوان،
طبع تطوان، ص. 283 ؛ خ. الزركلي، الأعلام، (6 / 295) ط.
رابعة ؛ م. ماگامان، الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة،
د د ع ، مرقون بكلية الآداب الرباط.

محمد بوخيزة

الرامون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما
زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramon ؛ وقد
انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 / 1749.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483
إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي
ذكرها في الرقم 694.

محمد ابن عزوز حكيم

الراموش (أولاد -) أسرة فاسية عريقة، ذكرها
صاحب إزالة الالتباس وعدّ منهم المجذوب حمّ الراموش
(ت. 1123 / 1117) الذي ينسب إليه مسجد الراموش
بفاس. ورأى ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام اثنين
وعشرين وألف، وأن عين الراموش توجد بجانب المسرة قرب
زواغة خارج فاس الجديد. ولا يعرف إن كان أولاد الراموش
ما تزال منهم بقية بفاس.

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، ج 1، مرقون.

الرامي (أولاد -) أسرة فاسية نبيلة أصلها من بلاد
توات، بين حسب ونسب وثروة. عرفوا منذ أجيال بسدانة
جرم المولى إدريس الأزهر، فمنهم يكون مقدّم الضريح
ونقيب الشرفاء الأدارسة أصحاب الإرث بفاس السبعة

الرايس، أحمد بن محمد التطواني فقيه زاول خطة العدالة في تطوان من سنة 1201 إلى سنة 1221.

الرايس، عبد الرحمن بن محمد الفاسي، أستاذ مقري متمكن من علوم القرآن والتجويد والقراءات السبع جمعها على شيخ جماعة المقرئين في عصره الإمام عبد الرحمن ابن القاضي الفاسي وغيره، كما درس علوم اللغة وقواعدها والفقه فروع وأصوله علي الشيخين أحمد الفاسي وأحمد ابن الحاج وغيرهما.

كان محل إقرائه بمدرسة العطارين يلقي الطلبة القراءات بالروايات، ويدرس لهم الألفية والشاطبية والرسالة والكراريس وغيرها، فكثر تلاميذه وعظم الإقبال عليه. وكان إماماً بمسجد الفاسين من عدوة فاس القرويين، لم يؤخذ عليه إلا مبالغته في الجمع بين العشائين لأدنى سبب.

توفي بفاس عام 1109 / 1697.
م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 5 : 1844. 1845.

محمد حجي

الرايس، عبد الكريم (الحاج -) موسيقي شهير. ولد بمدينة فاس عام 1331 / 1912، وتربى في أسرة مولعة بموسيقى الآلة فنهل من نبعها، وهو حفيد أحد رجالات



الأستاذ الحاج عبد الكريم الرايس

الراميريس ويكتب الراميريس أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ramirez و Ramirez ؛ وقد انقضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1786 / 1200.

ومن أفرادها الذين تذكرهم الوثائق :

الراميريس، علي بن محمد وأبناؤه قاسم وعبد السلام والصافية، كلهم كانوا على قيد الحياة سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 695.

محمد ابن عزوز حكيم

الرايس (أولاد -) أسرطان كبيرتان بفاس وتطوان. ويوجد أولاد الرايس كذلك في العدوتين سلا والرباط وربما في غيرهما أيضاً لكن بقلّة.

أولاد الرايس بفاس فرقتان : إحداها من قبيلة بني حسن، وهم أهل معاش وحرفة ومال ؛ وفرقة من سوس أهل معاش وحرفة وثروة كذلك. ولعل من هذه الفرقة المقرئ عبد الرحمن الرايس آتي الترجمة. وينسب إلى أولاد الرايس مسجد بأسفل راس الشراطين حتى الآن.

وأولاد الرايس بتطوان أصلهم من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Arraez و Arraiz ؛ وقد أرغم من بقي بالأندلس من أفراد هذه الأسرة بعد سقوط غرناطة على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Arraiz - Arraliez - Arraez.

وكانت بتطوان أسر أخرى تحمل نفس الاسم، إحداها من قبيلة بني حسان، وأخرى من قبيلة حوز تطوان، وثالثة من الجزائر.

الرايس، أحمد بن عبد الرحمن الفاسي، إداري محنك تقلب في عدة مناصب على عهد الحسن الأول. فكان خليفة لعامل فاس الباشا بوشتي ابن البغدادي، واختلف معه ورفع أمره إلى السلطان، فوجهه إلى مراكش وبقي بها إلى أن استدعاه مرة أخرى إلى فاس ليضطلع بمهمة الحسبة بعد وفاة المحتسب المهدي بناني وظل يقوم بأعماله إلى أن توفي فجأة مساء يوم الخميس سابع وعشري رمضان عام 1305 / 7 يونيو 1888.

ع. السلام ابن سودة، إتخاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2774.

الفن في القرن السابق العالم الفنان محمد بن محمد الرايس
آتي الترجمة.

وقد كانت الظروف مواتية لتنشئة الحاج عبد الكريم
الرايس تنشئة فنية مكتملة، فإلى جانب ما أوتي من موهبة
تبدت معالمها منذ طفولته ثم تفتحت في ريعان شبابه،
أسعفه الحظ إذ هيا له أن يتلمذ على ثلة من أعلام طرب
الآلة في فاس وإلى جانبه نخبة من زملاء الذين أصبحوا
فيما بعد من حذاق هذا الفن بالمغرب مثل أحمد الوكيل،
ولبرور التازي، والحاج محمد الاخصاصي، ومحمد دادي،
والغالي الشرايبي، وإدريس اسميرس ومحمد التويزي،
ومحمد العراقي، ومصانور التازي، وغير هؤلاء. ففي رفقة
هذه الزمرة أقبل على دراسة الموسيقى الأندلسية، فأتقن
العزف على سائر آلات جوق هذه الموسيقى، وحفظ النوبات
الإحدى عشرة. و كان في مقدمة شيوخه الفنان التطواني
الأصل الفاسي المقام عبد القادر كرش، ثم صهره محمد بن
عبد السلام البريبي رئيس الجوق الفاسي. وما أن حلت سنة
1933 حتى فتح له البريبي المجال ليلتحق بالجوق عازفا
على آلة العود.

لازم عبد الكريم الرايس شيخه البريبي أحد عشر عاما،
حتى إذا وافاه الأجل عام 1364 / 1944 خلفه في رئاسة
الجوق. ثم آلت إليه إدارة المعهد الموسيقي التابع لوزارة
الثقافة سنة 1960، وبذلك تجمعت لديه مسؤولية جوق
البريبي ومهمة الاضطلاع بتكوين الأجيال الناشئة المتطلعة
إلى تعلم "طرب الآلة". وأنجز عدة أعمال فنية يمكن إجمالها
في الآتي :

- شارك في الجمع التأسيسي لجمعية هواة الموسيقى
الأندلسية عام 1378 / 1958.

- شارك في تسجيل نوبات الموسيقى الأندلسية بإشراف
منظمة اليونيسكو في الستينيات ؛ وكان إلى جانبه في
هذه العملية أحمد الوكيل، والحاج إدريس بن جلون
التويجي، ومحمد العربي التمساني، وآخرون منهم ليزور
التازي، ومحمد التويزي، ومحمد بوزويج، ومحمد
الشافعي. وكانت هذه العملية تتوخى تقريب أنماط الأداء
وتذويب الفوارق بين روايات شيوخ الآلة. وشمل التسجيل -
يومئذ - ثماني نوبات ظلت أشرطتها بعيدة عن التداول، فلم
تتحقق الغايات المتوخاة منها.

وقد عاود عبد الكريم الرايس الكرة في هذا المجال من
جديد في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، فسجل
أربع نوبات يكاملها هي المايسة، والحجاز الكبير،
والاستهلال، والحجاز المشرقي، وذلك في نطاق خطة شاملة
أقرتها وزارة الثقافة. وهي خطة أفضت إلى إنجاز
انطولوجية الآلة يكامل نوباتها الإحدى عشر بعدد مع
دار ثقافات العالم.

ولعل أعظم إنجاز حققه الحاج عبد الكريم الرايس هو
طبعه في بحر سنة 1982 / المستعملات ومختصر الجامعي في
كتاب سماه من وحي الرباب، وتكمن أهمية هذا الكتاب
في كونه يجسم خلاصة أعمال اللجنة الفنية التي شكلها
وزير العهد الحسن محمد بن العربي الجامعي عام 1303
بغية مراجعة كنش محمد بن الحسن الحايك وتنقيح بعض
صناعاته واستبدال بعضها الآخر.

- إنجاز مدونة نوبة غربية الحسين بتعاون مع السيد
محمد ابربول أستاذ مادة الصولفيج بمعهد الموسيقى بفاس.
وقدم لهذه المدونة المرحوم محمد زنيبر، كما حظي هذا
العمل الصادر سنة 1985 بجائزة المغرب الكبرى للعلوم
الإنسانية والاجتماعية.

وإلى ذلك شارك الحاج عبد الكريم الرايس بجوقه في
عدة مهرجانات وطنية وعربية ودولية، وكان موضع تكريم
من طرف معهد العالم العربي بباريس، وحظي بوسام
الجمهورية الفرنسية في الفنون والآداب. وما تزال
التسجيلات التي تحتفظ بها إذاعة فرنسا وشركة
هارمونياموندي ومدينة بال السويسرية والعاصمة البريطانية
موضع تقدير وتنويه.

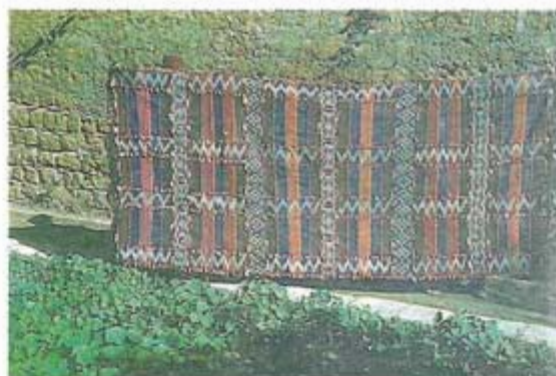
وبعد حياة حافلة بالعطاء مديراً ومدرساً وموجهاً
ورئيساً لجوق المرحوم البريبي أسلم الحاج عبد الكريم روحه
لخالقه بعد مرض ألزمه الفراش وكان ذلك زوال يوم الثلاثاء
12 ربيع الثاني 1417 / 27 غشت 1996.

ع. الكريم الرايس، من وحي الرباب : روايات شقوية ومعركة
شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل



حنبل زيان
انظر صفحة 3618



حنبل زمور
انظر صفحة 3618



الحزّ القاري
انظر صفحة 3715



الحزّ البحري
انظر صفحة 3714

خلنج برانس
انظر صفحة 3803



خلنج أبيض
انظر صفحة 3803





الخنفساء
انظر صفحة 3831



خلنج زغبى
انظر صفحة 3803



الخيمة
انظر صفحة 3878



الخيل
انظر صفحة 3872

باب الدباغين بمراكش
(من خارج)
انظر صفحة 3965



باب الدباغين بمراكش
(من داخل)
انظر صفحة 3965





دغموس أصفر

انظر صفحة 4043

دفلة حمراء

انظر صفحة 4049



دغموس أبيض

انظر صفحة 4043

دفلة بيضاء

انظر صفحة 4048



دم الأخوين في إفريز منيع

انظر صفحة 4078



دم الأخوين في قمة جبل

انظر صفحة 4078





الدير
(منطقة بولمان)
انظر صفحة 4134



الدير
(منطقة البهاليل)
انظر صفحة 4132



علامة ذبابة الزيتون
انظر صفحة 4152



دودة ذبابة الزيتون
انظر صفحة 4152

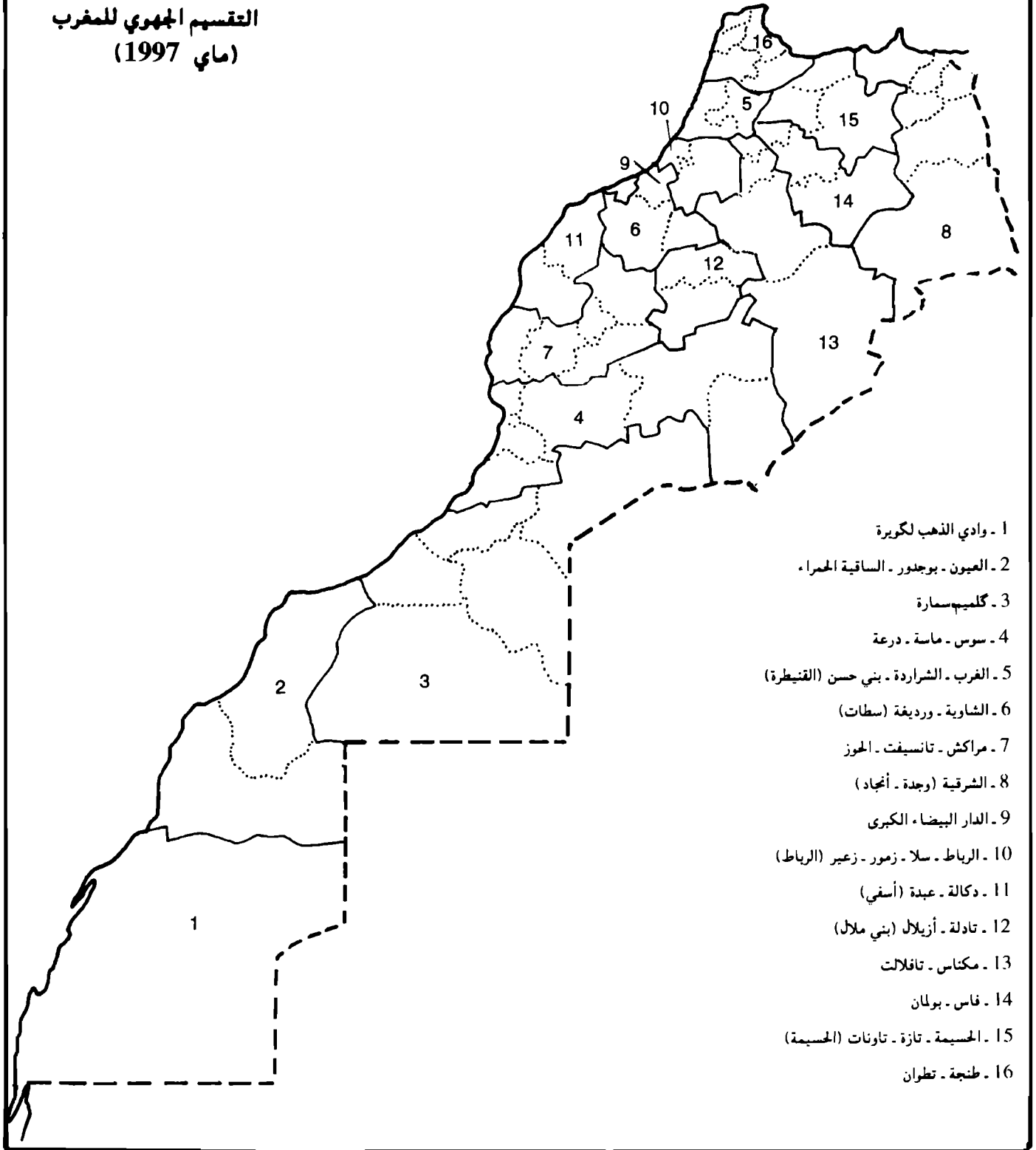
سمك الرابوز
انظر صفحة 4167



الدقة المراكشية
انظر صفحة 4050



التقسيم الجهوي للمغرب
(ماي 1997)



- 1 - وادي الذهب لأكورة
- 2 - العيون - بوجدور - الساقية الحمراء
- 3 - كلميم-سمارة
- 4 - سوس - ماسة - درعة
- 5 - الغرب - الشارقة - بني حسن (القنيطرة)
- 6 - الشاوية - ورديفة (سطات)
- 7 - مراكش - تانسيفت - الحوز
- 8 - الشرقية (وجدة - أنجاد)
- 9 - الدار البيضاء الكبرى
- 10 - الرباط - سلا - زمور - زعير (الرباط)
- 11 - دكالة - عبدة (أسفي)
- 12 - تادلة - أزيلال (بني ملال)
- 13 - مكناس - تافالالت
- 14 - فاس - بولمان
- 15 - الحسيمة - تازة - تاوانات (الحسيمة)
- 16 - طنجة - تطوان

تصحيح أسماء بعض الجهات

كُتبت مختصرة في الجزء التاسع قبل صدور المرسوم في الجريدة الرسمية

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Ist. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.I. : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie*.
 A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord*.
 Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales*.
 A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures*.
 A.F : *Afrique Française*.
 A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux*.
 A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos*.
 A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales*.
 A.M : *Archives Marocaines*.
 A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie*.
 And. : *Al-Andalus*.
 Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc*.
 Ant. Afr. : *Antiquités Africaines*.
 B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine*.
 B.A.R : *British Archeological Reports*.
 B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques*.
 B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc*.
 B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc*.
 B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc*.
 B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine*.
 B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire*.
 B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris*.
 B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère*.
 B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne*.
 B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris)*.
 B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger*.
 B.S.G.Æ.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran*.
 B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc*.
 B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*.
 B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc*.
 Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique*.
 C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie*.
 Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique*.
 C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord*.
 C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan*.
 C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques*.
 C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos*.
 C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam*.
 C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée*.
 C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*.
 C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris*.
 C.T : *Cahiers de Tunisie*.
 E.B : *Encyclopédie Berbère*.

تم طبع الجزء 12 من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شعبان عام 1421 / نونبر 2000



مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
المحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

**L'Imprimerie de Salé
"SALA"**

2000 - 1421

عصور ما قبل التاريخ

ماقبل التاريخ	مناخات قديمة	الترتيب الزمني				
		سنوات	جيولوجيا - مورفولوجيا			
			هلويسين	البلايستوسين الأعلى	بلايستوسين اوسط	بلايستوسين أسفل
الحجري الحديث		0	كثبان - ترسبات شاطئية - ترسبات خورية - كلس وردي			
الحجري القديم الكلسي		2.730.000 ق . ح . س	مواد ملء مغارات . - كثبان			
عاطري		ولجي أعلى	شاطئ وتكون ومغارات			
المستيري		75.000	كثبان			
الأشولي		100.000	شاطئ حفر مغارات			
		بين تانسيفتي وسلطاني	مركب كثباني مع 2 تكون شاطئ محلي تريات سمراء			
		تانسيفتي II	شاطئ			
		قبلسلطاني	مركبات كثبانية			
		II - I	شاطئ			
أولى الصناعات ذات وجهين		تانسيفتي I	أنفاني أعلى			
		ما بين عامري و تانسيفتي	أنفاني أوسط			
		عامري II	أنفاني	صخور ريعية رمادية - تكون شطي		
		II - I	حركة غمرية سيدي عبد الرحمان	مركب من الحث الأعلى		
حضارة الحصى		عامري I	أسفل مسعودي أعلى			
		بين ملوي وعامري	مسعودي اوسط	شط		
		II	مسعودي أسفل	كثبان		
		II - I	غمر 1.9 م . س	شط		
		I	انحسار مغربي أعلى	كثبان تكونات دلتائية		
		2.4 م . س				

أهم المواقع	المحاصيل الثقافية
(الكحل، الصخيرات، الكيفان،) الكحيل (طنجة) كاف تحت الغار، غار الكحل، الصخيرات الكيفان تولكين، طرفاية	ظهور حرف ابتداء من القلب زراعة وتربية ماشية تجمعات بشرية مهمة (الصخيرات)
- تافوغالت، دار السلطان،	- أدوات حجرية مجهرية
تمارة، القبعة الحمراء، دار السلطان، تافوغالت.	- قطع ذوات سوق معلاقية
- جبل إغود، تافوغالت، كيفان بلغماري.	- صنع أدوات فوق شظايا، تقصيب لوفالوك.
سيدي عبد الرحمان، م. طوماس ومواقع أخرى في نواحي الدار البيضاء، سلا الضاية الحمراء	- تعقد صناعات ذات وجهتين - أهمية القدومات.
- الدار البيضاء (م - طوماس)	- أولى الأدوات ذات الوجهين.
- الدار البيضاء (محجر ديبيري)	- زلط معالج.

Encyclopédie
du
Maroc

12